

عبد الرحمان الجبرتي

عجايب الآثار في التراجم والإخبار



الجزء الثاني : قيام وسقوط علي بك

إعداد وتحقيق :

عبد العزيز جمال الدين

الناشر : مكتبة مدبولي



عبد الرحمان الجبرتي

عجايب الآثار
في
التراجم والأخبار



الجزء الثاني: قيام وسقوط على بك.

إعداد وتحقيق:
عبد العزيز جمال الدين

عجايب الآثار
في
التراجم والأخبار
تأليف:
عبد الرحمان الجبرتي

إعداد وتحقيق:
عبد العزيز جمال الدين

الجزء الثاني:
قيام وسقوط على بك.
الإخراج الفني: مصرية وتامر عبد العزيز
الناشر: مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب
تليفاكس ٥٧٥٦٤٢١ ت ٥٧٥٢٨٥٤

الصحف والتنفيذ الفني:
أبو مسلم للكمبيوتر: ت ٣٥٥٨٩٨٨ / ٤٣.٧٢٢١
٣٣ ش إسماعيل أباطة متفرع من خيرات الإطوغلي

رقم الإيداع ٩٣٨٤ / ١٩٩٧
الترقيم الدولي 977-208-219-5
مكتبة جامعة القاهرة

عبد الرحمان الجبرتي

عجايب الآثار في التراجم والأخبار

الجزء الثاني: قيام وسقوط على بك

إعداد وتحقيق:

عبد العزيز جمال الدين

الناشر: مكتبة مدبولي

مقدمة

٥

إن تاريخ تأسيس السلطنة العثمانية لا يزال موضوع نقاش، ولكن من المؤكد أن تأسيسها كان في أصله مشروعاً شعبياً، بمعنى أن القبائل التركية الأولى التي نزلت إلى آسيا الصغرى كانت تتحرك بمجملها للهجرة والغزو من أجل البحث عن أرض جديدة بديلة عن الأراضي الرعوية في وسط آسيا التي كانت تفقد خصوبتها بشكل مستمر، والتي لم تعد قادر على استيعاب أعدادهم المتزايدة، وكان كل فرد في هذه القبائل النازحة يعتبر نفسه صاحباً لهذا المشروع. وكان نداء الطبيعية ودوافعها السبب المباشر في الغزوات التركية على آسيا الصغرى^(١) وظهور هذا المشروع.

على أنه كلما اتسع ملك السلاطين العثمانيين تغلب الطابع الأسرى العثماني على الطابع الشعبي - القبلي - ، أي تغلب مشروع الأسرة الحاكمة العثمانية الناشئة على مشروع القبيلة . ففقدت القبائل التركية الحماسة العصبية في الغزو وقل المحاربين والمتطوعين منهم، كما أن السلاطين أنفسهم عملوا على الحد من ذلك - حتى لا يكون أفراد القبائل مشاركين لهم في السلطة^(٢) . من هنا اختلفت مصالح السلاطين - إلى حد ما - عن مصالح

رعاياهم الأول وشعر هؤلاء السلاطين - كما شعر ملوك وحكام سبقوهم - بالحاجة إلى قوات عسكرية تدين بالولاء والطاعة لعرش الأسرة العثمانية وحدة وليس للعصبية القبلية، فباتوا يجندونها من الأسرى والعبيد غير المسلمين من أبناء البلدان التي احتلوها. وفي غضون ذلك كانت القوات العسكرية القديمة قد انقسمت إلى مجموعتين أولئك الذين يتقاضون مرتباً من خزينة السلطان، ثم مجموعة الذين يمنحون أراضي التزام يجمعون من سكانها وفلاحיה الضرائب والعشور والمكوس والرسوم المختلفة. ولقد استبعد جنود المجموعة الأولى من القيام بالخدمة بعد أن أصبح دخول العبيد في سلك الجندية أمراً عادياً يطرد باستمرار. ومن ثم حل محل الجيش القائم على تقاضى مرتباتهم من خزينة السلطان هيئة عسكرية تقوم في معظمها على العبيد الذين هم ملك خاص للسلاطين، ذلك أنه ما إن حل ذلك الوقت الذي أصبح فيه توسع السلطنة العثمانية في فتوحها تقليد لا يمكن تحاشيه فإن القوات التي تأخذ رواتبها من الخزانة السلطانية لم تعد كافية لتحقيق توسع آخر أو صد أي هجوم مضاد. ولقد استعان السلاطين العثمانيون لتحقيق ذلك بخطة واسعة لتجنيد العبيد -

نظرا لقلّة تكلفتها - ولكن عيبها الخطير انها كانت تخالف الشرع الاسلامى الذى ضربوا به عرض الحائط .

فقد كانت الخطة تقوم على تجنيد دورى للفتية الذكور غير المتزوجين من رعاياهم المسيحيين الارثوذكس ، وبخاصة فى شرق أوروبا ، وذلك بعد انتزاعهم من عائلاتهم فى سن تتراوح بين العاشرة والعشرين ، والنزول بهم إلى مستوى الرق ، ثم تدريبهم على خدمة السلطنة والجندية (٣)

ومن هنا ادى نظام جمع الاطفال هذا ، وكان يسمى «دوشرمه» (٤) إلى تطور آخر: فبينما كان يقوم على ادارة السلطنة العثمانية والدفاع عنها فى ايامها الاولى مسلمون احرار ، فقد حل الآن محلهم دون استثناء عبيد السلطان على نطاق واسع حتى وصل الامر الى ان كل منصب كبير تقريبا فى السلطنة يشغله اما مسيحي أو عبد يقتنى بطريقة اخرى (٥)

وحقيقى انه بعد مضى ثلاثة قرون على تأسيس السلطنة العثمانية - اى فى اواخر القرن السادس عشر - كانت قد بلغت اقصى اتساعها فبسطت نفوذها على البحر الاسود والبحر المتوسط والبحر الأحمر وشمال افريقيا والعراق وشبه الجزيرة العربية والشام وشبه جزيرة الموره ويوغسلافيا ورومانيا وأجزاء كبيرة

من امبراطورية النمسا والمجر ، لكن هذا الاتساع الذى حققته فى زمن قياسي سريع ، كان الاسرع منه تراجعها عنه خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وذلك بسبب ضعف وفساد القوة العسكرية وكثرة هزائمها وتمرداتها ، إلى جانب اعتماد نظام الحكم فى الاساس على شخص السلطان الذى كان بالتبعية يتعرض للتقلص والتحلل بمجرد أن يلى الحكم سلطان غير كفوء مهما كان السلطان السابق له مصلحا أو عادلا .

ولعل الذى انقذ السلطنة من انياب الدول الاوروبية فى القرن السابع عشر هو جهل أوروبا بمدى عمق التدهور العثمانى ، وانشغالها بحروبها الداخلية . ولم تنتبه أوروبا لتهالك السلطنة إلا عندما صدت جيوشها عند أبواب فينيا عام ١٦٨٣ ثم فقدتها للمجر واستيلاء إمارة البندقية على سواحل البانيا . ومنذ عام ١٦٨٧ استعادت النمسا كرواتيا وسلافونيا وترانسلفانيا وبلغراد . ووصلت الى نيش عام ١٦٨٨ ، كما استولت روسيا عام ١٦٩٦ على ازوف على البحر الاسود ، واستت فيها قاعدة بحرية ثابتة .

وتوالى الهزائم على السلطنة العثمانية فى كل جبهاتها حتى فى الشرق حيث استولى المغامر

التركماني نادر خان على العراق عام ١٧٣٠. وظل الحال يتدهور خلال القرن الثامن عشر فاجبرت السلطنة على توقيع «صلح ياسي» مع الامبراطورة كاترين عام ١٧٩٢ حيث تنازلت لروسيا عن كل املاكها شمال البحر الاسود. ولم يوقف عمليات سحق السلطنة العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر سوى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وانصراف دول اوربا مؤقتا عن السلطنة خوفا من الثورة الفرنسية وظهور نابليون. ولكن مع صعود نجم نابليون بدأت فرنسا في تحقيق امبراطوريتها الشرقية التي كانت نواتها مصر. ومن هنا جاءت الحملة الفرنسية على مصر كتهديد جديد للسلطنة وبداية للصراع الانجليزى الفرنسى على ما تبقى في يدها من ممتلكات في الشرق.

وقد واكب هذا الضعف في نظام الحكم تزايد الخلافات والفوضى والحركات الاستقلالية في الولايات العثمانية التي كفت عن ارسال المال الى الخزينة السلطانية^(٦)، فتأخرت رواتب الجند واندلعت ثورات الانكشارية في استانبول حيث قتلوا الصدر الاعظم وخلعوا السلطان احمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠)^(٧) وانتشرت الرشوة حيث اصبحت قاعدة ثابتة لتولى

المناصب والوظائف وحكم الولايات فمن كان يدفع مالا اكثر للباب العالى والصدر الاعظم كان يتولاها. مما زاد في جشع الموظفين والمسؤولين والمليزمين والميل الى الرشوة والابتزاز، حتى انهم ابتكروا حيل شرعية لذلك كخدمة التكايا والطرق الصوفية. إلى جانب الاوقاف الاهلية التي تستروا خلفها لحماية ثرواتهم عند موتهم او طردهم من وظائفهم، فقد عمدوا الى احوالة الاراضى والاموال التي كانت التزاما لهم إلى نظام الوقف الاهلى، ثم تصرفوا فيها بالبيع والشراء والايجار رغم كونها من املاك السلطنة، مما ساعد على تجميد اموال وعوائد كثيرة توقف الاستفادة منها في تحسين الاحوال الاقتصادية، وراحت ايرادات هذه الاوقاف الى جيوب حائزها.

وقد زاد من سوء الامور تدهور النظم الزراعية والتجارة إلى جانب ضعف النشاط الصناعى بسبب نقص المواد الاولية واعتماده على نظام الطوائف الحرفية البالى.

ولقد حاولت السلطنة منع خروج هذه المواد - انظر محاولات الجزار في الشام ومحمد على في مصر عندما وضع نظام الاحتكار - بسن القوانين واللوائح المانعة للتصدير وتشبثت اسعارها دون جدوى، ذلك ان تخلف نظام الطوائف الحرفية الذى يقوم على محاولات

قيمة العملة العثمانية وارتفاع معدلات التضخم، واستمرت مرتبات الجند والموظفين ثابتة دون أى زيادة مما ساعد على توطين الرشوة بشكل اساسى فى النظام الادارى للسلطنة. وبات من المستحيل اصلاح امرها دون هدمها واقامتها على اسس جديدة مختلفة وهذا ما حاولته الثورة التركية الكمالية فيما بعد عندما الغت الخلافة العثمانية الفاسدة واقتحمت الثورة العلمية والصناعية الحديثة.

وها هو الجزء الثانى من تاريخ الجبرتى يصف فيه الاحوال السياسية والفكرية لمصر فيما بين عامى ١١٦٢/١١٧٤ = ١٧٤٨/١٧٦٠م فى ظل الظروف التى سبق شرحها، ويوضح لنا كيف كانت الأحداث فى هذه الفترة من الاحتلال العثمانى لمصر تتوالى و تتصادم، والنزعات الدموية تحتد بين البيوت المملوكية على النفوذ وخاصة على منصبى «شيخ البلد» و «امير الحاج» ، ومحاولة استغلال الباشا العثمانى لهذه النزاعا لتثبيت اركان حكم السلطنة فى مصر، وفشله فى ذلك. واثّر كل ذلك على أحوال الشعب المصرى وحياته السياسية والفكرية، والاستغلال البشع والمهين له من قبل سلطة محلية مستبدة [المماليك]

الاكتفاء الذاتى وعدم قدرته على مواجهة التجارة الدولية وعدم جدوى نظام الاحتكار الى جانب تفشى الرشوة والفساد بين موظفى السلطنة ليتفاضوا عن تطبيق هذه اللوائح والقوانين، كل ذلك لم يوقف تدهور النظام الاقتصادى للسلطنة. وزاد الطين بلة انه بعد سحب هذه المواد الاولى من السلطنة الى اوروبا قامت بتصنيعها واعادة تصديرها لاسواق السلطنة فى ظل نظام الحماية الاجنبية الذى فرضته دول اوروبا على السلطنة فساعد ذلك على زيادة كساد الصناعات المحلية واضطراب شديد فى التوازن التجارى بين السلطنة ودول اوروبا.

فدول اوروبا منذ نهايات القرن السادس عشر كانت تمارس سياسات مالية واقتصادية تهدف إلى اختراق نظام الاكتفاء الذاتى الذى كانت تطبقه السلطنة، فتوغلت بنوكها وشركاتها الاستثمارية إلى داخل السلطنة واستنزفت مواردها وسيطرة على اسواقها المحلية واقتصادياتها.

كما عانت السلطنة بسبب ثورة النقد الناجمة عن تدفق الفضة الامريكية الى اوروبا وعدم قدرة السلطنة فى الحصول على نصيب مناسب منها، مما أدى الى نقص متتالى فى

وسلطة استعمارية [العثمانيين] تستنزفه لحساب قوى خارجية اجنبية.

كما يوضح لنا الجبرتي رد فعل الشعراء والادباء المصريين على هذه الاوضاع المتردية والظلمة متمثلين في ذلك ما أنجزه من قبل أدباء وشعراء قاوموا الاستبداد الأيوبي والمملوكي والعثماني من أمثال «ابن ممتي» و «ابن سودون» و «ابن دانيال» و «ابن عروس» و «الوهراني» وغيرهم.

ولهذا فإن هذا الجزء يعتبر من أهم أجزاء تاريخ الجبرتي التي تستعرض الحالة الفكرية والأدبية لمصر في ظل الاحتلال العثماني، مما دفعني إلى إلحاق بعض الدراسات الهامة حول الحالة الفكرية والأدبية لمصر في هذه الفترة ضمن الهوامش والملاحق.

إلى جانب هذا يرصد الجبرتي عدة ظواهر هامة في الحياة الفكرية والأدبية منها ظاهرة انتشار المقاهي وشرب القهوة و بروز دورها في الحياة الفكرية والأدبية ، واتساع ظاهرة رواة سير البطولات الشعبية داخل هذه المقاهي واجتماع الناس حول هؤلاء الرواة وسيرهم التي كانت تهاجم الاستبداد العثماني ، مما دفع السلطات العثمانية إلى محاولة محاصرة هذه الظاهرة عن طريق دفع بعض المشايخ

الى الافتاء بتحريم شرب القهوة واعتبارها من الخمر، وان المجتمعين حولها في المقهى فاسقين وخارجين عن الدين، وقد ردّ عليهم بعض المشايخ وافتوا بعدم حرمانيتها، وانها الزم للانقطاع لذكر الله.

ومن الطريف ان هذا الصراع بين المشايخ حول موضوع القهوة تطور ليصبح مظهرا من مظاهر الصراع المذهبي والسياسي والأدبي بين الاشراف من السادة الوفاية (اتباع السيدة فاطمة الزهراء والذين ساندوا شرب القهوة)، والاشراف من السادة البكرية (اتباع الخليفة ابو بكر الصديق الذين حرّموا في أول الامر شرب القهوة)، فقد التقى موقف السادة البكرية مع الموقف العثماني، فساند كل منهما الآخر ضد السادة الوفاية ، الذين اتهموا بالتشيع لآل البيت والميل للفرس الشيعة.

وقد سارع الامراء المماليك إلى مساندة السادة الوفاية والانتساب اليهم وإلى آل البيت وقريش، من أجل الحصول على سند شرعي يدعم نفوذهم ومساعدتهم من أجل الانفراد بالسلطة في مصر، التي فقدوها منذ غزوة السلطان سليم وهزيمة السلطان الغوري على يده.

وقد ظهر ذلك واضحا في اجتذاب الامراء المماليك للشعراء المشايخين للسادة الوفاية إلى

هروبهم من أراضيهم ، بسبب النهب المستمر والجائر لهم من قبل رموز السلطة العثمانية ويكفى ان نذكر هنا مثالا واحدا. لما كانت تبتزه اجهزة الإدارة العثمانية بشكل رسمى من القرى إلى جانب مال السلطان والجزية. ففي سجل الترايع رقم ١٦٠٥ الخاص بولاية الشرقية سجل المال الإضافى على قرية منية عامر كالآتى بالبارة:

٢٠٠٠	ثمن حصان تقدمه
٢٠٠٠	عادة قائمقام.
٣٠٠	عادة الخازندار
١٠٠٠	ثمن اغنام الضيافة
١٠٢٠	ثمن اغنام الهبة
١٠٠٠	ركبات (ركايب) مقدمة لرجال الادارة.
٣٠٦٠٠	ثمن سمن معتاد
٣٢٤٠	عادة الملتزم.
٤١١٦٠	

إلى جانب كل ذلك يذكر الجبرتى الكثير من التحولات فى النظام المملوكى فى ظل الاحتلال العثمانى، سواء على مستوى التنظيم الداخلى للبیت المملوكى وتحولهم عن الاسماء الآسيوية إلى الاسماء المصرية، أو على مستوى النزوع إلى الاستبداد بالسلطة والاستقلال بها عن السلطنة العثمانية والسيطرة على منصبى «شيخ البلد» و «امير

مجالسهم مثلما فعل الامير رضوان الذى لم يكتف بتشجيعهم على اعلان أشعارهم المشايعة لآل البيت، بل انه كلف احد المشايخ لكتابة رسالة «قهر الوجود العابسة بذكر نسب الجراكسة إلى قريش» لينسب الممالك الجراكسة ومنهم الامير رضوان إلى آل البيت وقريش وبالتالي يستحوذ على نسب شريف يدعم نفوذه السياسى.

ولقد كان من مظاهر هذا الانقسام بين الوفائية، والبكرية انقسام الشعراء بينهما وازدهار حركة شعرية مشايعة لآل البيت فى مصر، كما هو واضح من الدراسات المرفقة.

وفى بدايات هذا الجزء يذكر الجبرتى أحداث هامة توضح المواقف المضادة للسلطنة العثمانية ورجال الدين الموالين لها تجاه المصريين الاقباط [قصة منع المحمل القبطى]، تلك المواقف التى دأبت السلطنة عليها من أجل تفتيت وحدة الشعب المصرى حتى تتمكن من استنزافه ونهبه تحت دعاوى دينية باطلة. وليس أدل على أن هذه المواقف كانت بعيدة كل البعد عن الدين وتهدف إلى استغلال الشعب المصرى من حالة هروب الفلاحين من أراضيهم بشكل جماعى، والتى عرفت بظاهرة «تسحب الفلاحين» أى

الحاج»، والصراع الدموي الضارى بين البيوت المملوكية على ذلك، واتباع اساليب الاغتيال والذبح فيما بينها.

وعلى بك الكبير فى هذا الشأن يشكل مثالا واضحا لهذه الاساليب التى أوصلته الى الانفراد بالسلطة فى مصر، بعد ان قضى على امراء البيوت المملوكية المنافسة له، وكذلك على نفوذ القبائل العربية فى الوجهين القبلى والبحرى وشل فعالية الحامية العثمانية والباشا والسيطرة على كل عقود الالتزام [فى الزراعة والجمارك والتجارة] والاقواف والخزانة السلطانية وعوايد الباشا ذاته.

ولكن مقتل على بك جاء بنفس اساليبه التى تعلمها منه وأتقنها محمد بك ابو الذهب احد الادوات التى وصل بها على بك الى السلطة.

وسنلاحظ أن القضاء على سلطة على بك الكبير لم يمنع احد ادواته وهو أحمد الجزار من أن يحاول تحقيق نفس أحلام على بك. فعلى بك كان النموذج الدموى الامثل الذى طرحته وابدعته السلطنة العثمانية والذى ظلت تطرحه باستمرار لحكم ولاياتها اعتقادا منها بان مثل هذه النماذج هى الوسيلة الوحيدة لسيطرتها على املاكها الممتدة من غرب اسيا حتى وسط أوروبا ولكنها كانت فى نفس

الوقت السبب فى انهيارها.

من أجل هذا اطلقنا على هذا الجزء من كتاب الجبرتى اسم «على بك الكبير الصعود والسقوط» فهو يملؤه حضورا وحركة سواء فى صعوده أو هبوطه، وحياته تشكل عملا دراميا متميزا تتجلى فيه احوال السلطنة العثمانية فى ذلك الوقت. تبدأ قصة على بك الكبير عندما خطفه تجار العبيد من بلاده الأباطنة^(٨) وهو فى سن الخامسة عشرة وباعوه بالاسكندرية عام ١١٥٦ / ١٧٤٣م لمديرى جمركها الاخوين اليهوديين اسحاق ويوسف اللذين اهدياه للامير ابراهيم جاويش كخيا [كتخدا]، فسماه عليا، ورباه على النظام المملوكى حتى صار خازن داره، بفضل مهارته القتالية والعقلية. وعندما بلغ الثامنة عشرة اعتقه سيده، وسمح له بإرخاء لحيته.

وما ان استهل عامه الثانى والعشرين فى ١١٦٢ / ١٧٤٩م حتى صار من كشاف مصر، وبدأ ذكره فى دفاتر الروزنامة بلقب «كاشف شرقية»، ولما توفى استاذاه ابراهيم كخيا (١١٦٨/١٧٥٤م) تقلد على بك الصنجدية باسم «على بك مير اللوا قازدغلى»، فكان ذلك دافعا له ليسعى نحو منصب «شيخ البلد» أى زعامة الممالك جميعا وحكم مصر. ولكن لان هذا لم يكن مطعمه وحده

فقد دب الخلاف بين البكوات المماليك اتباع ابراهيم الكخيا وتساقط في هذا الصراع عدد منهم، وكان نصيب على بك من هذه الصراعات نفيه إلى «نوسا الغيط»^(٩) بالوجه البحرى.

ولكنه عاد للقاهرة بعد ان مهد له الجو عبد الرحمن كتخدا (صاحب العماير المشهورة) ليتولى مشيخة البلد سنة ١١٧٤ / ١٧٦٠ م بفرمان (بيورلدى) من الباشا، فعرف باسم «حالا شيخ البلد مصر عزتك ميرالك مكرم على بك قازدغلى». ومنذ توليه المشيخة أبعد كل منافسيه على رئاسة مصر، حتى عبد الرحمن كتخدا - الذى كان سبب صعود نجمه - نفاه إلى الحجاز، وعين فى المناصب الحساسة الامراء الموالين له ومنهم خازنداره محمد بك ابو الذهب.

ولكن أحد الامراء الموالين له وهو حسين بك كشكش انقلب عليه وتمكن من عزله ونفيه الى الشام فى ١١٧٩ / ١٧٧٧ م وحذف اسمه هو واتباعه من دفتر الجراية والعليق، فقد ذكر فيها «على بك ميراللو كاشف شرقية سابق» واضيف فوقها «رفع شدة» أى عزل.

ولكنه عاد فجأة للقاهرة مع اتباعه دون محاربة فتم نفيه الى النوسا كما نفي اتباعه الى اسيوط.

ولكن فى اعقاب احد مؤامراته وهو فى النوسا نفي الى اسيوط فصار وسط اتباعه، وتوافق مع شيخ العرب همام والامير صالح بك العدو اللدود لحسين كشكش، وزحفوا على القاهرة بعسكرهم مما دفع حسين كشكش بك الى الفرار للشام. وعاد على بك للقاهرة شيخا للبلد فى ٢٩ جماد اول ١١٨١ / ٢٢ اكتوبر ١٧٦٧ م، وشتت وقتل معظم خصومه.

وفجأة عاد حسين كشكش بجيش كبير نزل به فى دمياط (١١٨٢ هـ) وتقدم مكتسحا شمال الدلتا حتى وصل إلى طنطا. وأحس على بك بخطورة الازمة فارسل له جيشا مدعوما من شيخ عرب هواره وصالح بك، بقيادة محمد بك ابو الذهب تمكن من محاصرة حسين كشكش وقتله هو ومن معه من انصاره. وبهذا استقرت الامور له، فانقلب على حليفه صالح بك وقتله.

لم يقنع على بك بنفوذه الكبير بين الامراء المماليك وخضوعهم له فسعى الى تحقيق الحلم التقليدى لكل الامراء الكبار، وهو الاستقلال بمصر. لم يكن على بك يستطيع المضى نحو هدفه المضمّر هذا ما لم ينجح فى التغلب على العقبة الكبرى التى طالما أودت بحياة عشرات من مشايخ البلد وبكواتها،

تلك هي شكوك ديوان الاستانة والباشا الممثل لهم في مصر تجاهه، وفي سبيل ذلك قدم الهدايا والرشاوى لرجال السلطنة وملاً الخزانة و المخازن السلطانية من خيرات مصر برهانا على ولائه وتفانيه في خدمة السلطان (انظر حوادث شوال ١١٨١). وأصبح الباشا ينزل من القلعة الى منزله طمعا في هداياه ورشاويه (انظر احداث يوم السبت ثانى عشر ربيع اول ١١٨١) واستكثر من شراء الممالك.

وبفضل تلك السياسة ضمن عدم معارضة الباشا أو الديوان لأعماله، وفي ظل تلك الثقة نشط على بك يكمل تنفيذ خطته لإزالة بقية العقبات فبدأ بنفى كل معارضيه الى البنادر مثل دمياط ورشيد والاسكندرية و المنصورة ثم ارسل من يفتالهم واحدا بعد واحد، وذلك بعد ان يستصفى اموالهم ياخذ التزاماتهم ويوزعها على ممالكه واتباعه الذين يؤمرهم في مكانهم.

بهذه الطريقة تمكن على بك في ظرف سنوات أربع، من أن يقيم في أهم المناصب بكوات من خاصة اتباعه، فولى اسماعيل بك دفتر دارية مصر، وحسن بك رضوان امارة الحج وايوب بك ولاية جرجا التي كانت تعد اهم ولايات مصر. كما تيسر له ان يملأ

جميع مراكز الصناجق ببكوات تابعين له ذكر منهم التاجر «لوزينان» الذي كان بمصر في هذه الفترة سبعة عشرة بيكا هم: رضوان، على، اسماعيل، خليل، عبد الرحمن، حسن، يوسف، ذو الفقار، عجيب، احمد الجزار (والى عكا فيما بعد)، سليم اغا، سليمان كتخدا، لطيف، عثمان، محمد بك ابو الذهب، ابراهيم بك، مراد بك.

وفي الوقت الذي استكثر فيه على بك من الممالك حتى حاز ما يقرب من ٦٠٠٠ مملوك، حرم على بكواته وكشافه ان يحوز الواحد منهم اكثر من مملوك او اثنين حتى يستعصموا به دائما ويأمن من غدرهم.

وأراد على بك فيما أراد أن يأمن شر الحامية العثمانية والديوان فعول على القضاء التام على نفوذهما والتقليل جهد الطاقة من عدد رجالهما، فبدأ أولا باشراكهم في الحروب الداخلية حتى هلك من صدور الأوجاق من هلك، خصوصا في اول اصطدام لجيش على بك مع كشكش بك، ثم ابعد معظم من بقى من كبارهم كما ابعد اتباعهم. وكان غرضه من ذلك كما ذكر الجبرتي «ازالة اصحاب المظاهر كائنا ما كان» وقد ذكر الجبرتي من هؤلاء المنفيين ما يزيد على الثلاثين من ضباط

لحامية. وكان إذا عزل أو نفى أو اغتال واحدا من ضباط الاوجاقات استبدل به آخر من نباعه. وقد ذكر المؤرخون ان على بك لجأ خيرا الى حيلة ما كره لتشتيت شمل من بقي من رجال الفرق الذين كانوا قد التحقوا بها لمعما في دسامة الموجبات. اذا اخر دفع واتبهم مدة ستة اشهر متعللا بقلة المال. ولما شتد بهم الحال وذاقت انفسهم مرارة الحرمان، مع عجزهم عن السلب او النهب لعناية على بك بالامن قبلوا تسلم نصف رواتبهم، ولم تعد الجنديّة مطمعا لأولئك الذين لم يعرفوا لها معنى إلا التجبر والنهب فأخذوا يبحثون عن عمل اجدى.

هكذا اضعف على بك سلطة الديوان العثماني بالقضاء على نفوذ كبار ضباط الاوجاقات، وانقص عدد رجالها الى الحد الذي يمكن اعتبارها بسببه كما مهملا وبعد ان آمن على بك مكر الباشا والديوان، وكسب رضا السلطان وقضى على المعاندين والمنافسين، وشل الحامية حتى كادت تكون اسما بلا جسم، وبعد ان ركز السلطتين الادارية والحربية في يده، أصبح في مركز يسمح له بالقضاء على آخر القوى الخطيرة التي يمكن ان تهدد سلطته، بل وجوده، تلك هي قوة العربان المنتشرين في الوجه البحرى

والمنبثين فى الصعيد.

وللعرب فى مصر قصة قديمة تبدأ مع الغزو العربى. ومنذ دخلوا فى ركاب عمرو وهم اصحاب السلطة، حتى إذا ما انتقلت امور الحكم الى ايدى دول شبه مستقلة استمر تدخلهم بشكل ما. ولما استقلت بمصر دول الفاطميين والايوبيين والمماليك، وتعذر على العرب التدخل الفعلى فى شئون الحكم، التحق بعضهم بالجيش كجند مرتزقة. وأخيرا عندما حارب المماليك دفاعا عن دولتهم ضد العثمانيين ساعدهم العرب أولا، ثم تخلوا عنهم عندما تبين أن قضيتهم خاسرة ونفعهم قليل.

وجاء الحكم العثمانى حائلا دون تدخلهم فى الحكومة والجيش، فراحوا يعيشون فى مصر فسادا، يقطعون طريق الحج، ويسلبون التجارة فى طريقها من الصعيد الى انحاء الوجه البحرى؛ واخذوا يهاجمون الارض المزروعة من حين الى آخر، لا يراعون فى ذلك حرمة. واشتهر امرهم هذا وعرف فى التاريخ باسم «افساد العربان».

وكان أخطر العرب قدرا بالوجه البحرى الحباييه بشرق الدلتا ووسطها، والهنادى بالبحيرة. وهؤلاء جاء معظمهم من الحجاز، بينما استقر عرب هواره بالصعيد. ومعظمهم

جاء من بلاد المغرب وغير هؤلاء كثيرون انبتوا في أنحاء القطر على حدود الوادى المنزرع.

وورث سويلم بن حبيب زعيم الحبايه وشقيقه سالم شهرة تردد صداها في أنحاء الوجه البحرى، وانتهت اليه زعامة جميع القبائل هناك وقد انتهت اليه خفارة الملاحة النيلية بين بولاق وكل من دمياط ورشيد، غير انه رغم ثروته الطائلة، وما كان يمينه من الضياع الواسعة، تجبر وبغى وطفى واصبح لا يفترق في شىء عن قطاع الطرق بعد ان زاول القرصنة النيلية « وأنشأ عدة مراكب تسمى الخرجات، لها شرافات وقلوع عظيمة، وعليها رجال غلاظ فاذا مرت بهم سفينة صاعدة الى (الوجه القبلى) أو حادرة (الى البحرى)، صرخ عليها اولئك: «البر»، فان امثلوا وحضروا، اخذوا منها ما احبوه من حمل السفينة وبضائع التجار، وان تلكئوا في الحضور قاطعوا عليهم بالخرجات فى اسرع وقت، واحضروهم صاغرين، واخذوا منهم اضعاف ما كان يؤخذ منه لو حضروا طائعين من اول الامر.

وكان له قواعد وأغراض وركائز واناس من الامراء وأعوانهم بمصر يرأسلهم ويهاديهم فيذبون عنه ولا يسمعون فيه شكوى.

وما كان على بك ليسمح لتلك الفوضى

بالبقاء فى عهده، وما كان ليغمض عينيه على من كانت «غالب بلاد القليوبية والشرقية تحت حمايته وحماية أقاربه وأولاده ولا يقدر ملتزم، ولا قائمقام على تنفيذ امر مع فلاحيه إلا بإشارته»، ثم هو يتحكم فى الطرق بين القاهرة وموانى القطر الشمالية، فوجه على بك تجريدة بقيادة ابى الذهب وايوب بك للقضاء على سويلم بن حبيب، وتأديب اتباعه، وحجته فى ذلك أن سويلما كان قد أكرم حسين بك كشكش وخليل بك عند عودتهما من الشام.

ولم يكن سويلم موجودا فى مركزه دجوه، بل كان فى سند نهر، فاسرع الى البحيرة. والتجأ الى عرب الهنادى فاكتفى محمد بك ابو الذهب بتجريد دوائره مما فيها؛ وعاد الى القاهرة سنة ١٧٦٩ (ربيع آخر ١١٨٢ هـ).

ولم يكتف على بك بذلك، بل سلط عليهم سنجق البحيرة عبد الله فاشتبك معهم ولكنه خر صريع المعركة، فتولى بعده ذو الفقار كاشف الذى استعان باحمد بك الجزار على الانتقام لمقتل عبد الله.

ولما تم اغتيال صالح بك. ووقعت القطيعة بسبب تلك الحادثة بين احمد بك الجزار وعلى بك، فر الجزار الى سورية ثم عاد مرة ثانية ليناصر سويلما عدوه القديم ضد سيده

وصاحب الفضل عليه على بك.

عند ذلك اسرع على بك فجهز تجريدة بقيادة اسماعيل بك شددت النكير على الحباية والهنادى ، فانكسروا شر كسرة، وقضوا على سويلم ونكلوا باتباعه، وزال خطر اولئك الاعراب، وهرب الجزار مرة أخرى إلى الشام.

وبعد أن أصبحت القاهرة فى يد على بك وخلص له الوجه البحرى ايضا تطلع الى استخلاص الصعيد، وهو مركز تموين القطر، من يد اعظم مشايخ العرب قدرا واكثرهم نفوذا واتباعا همام بن يوسف الهوارى.

وكان حكم الصعيد منذ عصر المماليك فى يد شيوخ العرب من هواره حتى كان عهد الوالى العثمانى سليمان باشا الذى فكر فى ان يعهد بحكم الصعيد الى أحد بكوات المماليك بدلا من مشايخ العرب الذين كانوا قد أدى بهم الغرور والاستهانة بالعثمانيين الى قلة الاهتمام بالاموال السلطانية والغلال الديوانية وكثرة البواقى التى لا تعد ولا تنحصر، والتقصير فى ضبط المال والغلال والجبايات الظاهرة وحصول الخسارة الزائدة والظلم المترادف لعامة الرعايا وكافة البلايا هذا مع اهمال مصالح البلاد وكافة انواع الاصلاح مما أدى الى الخراب.

ففى عهد هذا الوالى تم تحجيم دور الهواره فى الصعيد ولكن عندما ضعف سلطان العثمانيين بمصر وتمهد السبيل لسيادة المماليك وأخذ سنجق جرجا يتجه ببصره الى القاهرة ويهتم بحوادثها السياسية اكثر من الاهتمام بامور الصعيد، واصبح الوجه القبلى منفى المتمردين والمغضوب عليهم وكان هؤلاء فى حاجة الى سواعد العرب واموالهم ليستعينوا بهم على منافسيهم بالقاهرة، بدأ النفوذ يعود تدريجا الى عرب هواره.

وبدأ هؤلاء ينصرون حزبا على اخر ويهتمون بالاحداث السياسية التى لم تعد تقتصر على القاهرة بل شملت القطر من شماله الى جنوبه واضحوا بذلك قوة هائلة خطيرة ترجح الكفة التى يضمون اليها.

وما كاد القرن الثامن عشر الميلادى ينتصف حتى انتهت زعامة عربان الصعيد الى شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى. لم يكن همام يطمع فى زيادة مال، ولم يعمل لتوطيد نفوذه أو توسيع املاكه ولم يكن على بك يخشى منه هذا، وانما كان يرجو بالقضاء عليه ان يستولى على الوكر الذى تنبت فيه الفتن. اراد ان يخرب الحصن الذى يتسجير به المنفيون، وان يقضى على المورد الذى يمول منافس شيخ البلد على بك الكبير.

ولم يكن همام بالضعيف الذى يجار عليه ، وهو الذى اجار على بك من قبل . ولم يكن بالاعزل الذى ينقصه السلاح او الاتباع ، بل كان رجاله لا يحصيهم العد وسلاحه يزيد على حاجته . ورغم كل هذه الاعتبارات لم يتوان على بك فى ارسال تجريدة بقيادة ابي الذهب لقتال همام بحجة انه انكر الاتفاق الذى كان قد عقده مع ابراهيم كخيا سنة ١١٤٩ ومؤداه التنازل له عن التزام برديس وفرشوط .

وما كاد ابراهيم يقابل طلائع همام حتى اتفق الطرفان على ان يقتصر حكم همام على البلاد الواقعة قبلى برديس وبذا اخرجت منها جرجا عاصمة الصعيد وكان ذلك فى منتصف رجب سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨) .

عند ذلك اسرع على بك بتعيين ايوب بك حاكما على جرجا ، وفى نفس الوقت عول على ان يستثمر هذا الصلح فى تطهير الصعيد من جميع الامراء والمماليك المنفيين ، فارسل يشترط على همام ان يطردهم من البلاد التى فى حكمه مقابل اقراره لنصوص الاتفاق - واستشف همام نيات على بك - وايقن فى نفسه ان هذا العمل لن يكون الا خطوة تمهد (لشيخ البلد) بالقاهرة القضاء على (شيخ الصعيد) فجمع المماليك المنفيين ،

والفارين ، واللاجئين واخبرهم بما اراد على بك ، وطلب منهم ان يخرجوا الى اسيوط . ويتحصنوا بها فهى مفتاح الصعيد . ووعده ان يمدهم بالمال والرجال .

ولما زحف هؤلاء على اسيوط وجودها محصنة ، حولها بوابات مسلحة بناها عبد الرحمن كاشف وذو الفقار كاشف من اتباع على بك . فلما امتنعت عليهم استعانوا باحطاب جعلوا الكبريت والزيت فى رؤسها واشعلوها واحرقوا الباب وملكوا مفتاح الصعيد قبل وصول ايوب بك بقليل .

ولم ير ايوب بك من الحكمة ان يصطدم بمن سبقه الى اسيوط فارسل الى على بك يطلب مددا .

ورأى على بك اهمية المعركة القادمة وخطورتها ، فالسيادة ستنتهى الى من يكتب له النصر فيها . لذلك جهز نجدة سريعة من المماليك والمغاربة وفرق الحامية على رأسهم خليل بك القاسمى وابراهيم بك بلفيا ومحمد بك ابو شنب وعلى بك الطنطاوى ، وزودهم بالمؤنة والذخيرة ، وأرسل فى أثرهم تجريدة شاملة من المماليك ، والمرتزقة من الدلاة والدروز والمتاوله والشوام ، وعلى رأسهم محمد بك ابراهيم ورضوان بك ، ولما التأم جميعهم تقدموا واصطدم الفريقان

خارج اسيرط.

واشتد القتال حتى تقرر النصر لجيش على بك، وقتل من أعدائه الكثيرون وفرت فلول المهزومين الى فرشوط حيث كان همام. ولكن ابا الذهب لجأ الى الحيلة فراسل ابن عم همام، وهو ابو عبد الله، واستماله ومناه ووعده برياسة بلاد الصعيد حتى ركن الى تلك الامنية، وصدق تمويه ابي الذهب وتقاعس وثبط عن القتال وخذل طوائفه. ولما أحس همام بحالة جيشه النفسية وخيانة اقرب الناس اليه مات كمدا قرب اسنا (٨ من شعبان سنة ١١٨٣ هـ - ١٧٦٩ م) وبذلك تقرر النصر النهائي لعلى بك.

وتعتبر معركة اسيرط في نظرنا من احسم المواقع في تاريخ على بك، وهى ثانى المعارك الثلاثة الهامة التى اشرنا اليها. وهى التى اكملت له النصر، فاصبح سيد الوجهين وصاحب النفوذ المطلق فى جميع انحاء القطر المصرى.

لم يكد على بك يفرغ من توطيد نفوذه فى مصر حتى اشبكت الدولة العثمانية فى حرب ضروس مع روسيا التى عادت الى تنفيذ سياستها التقليدية بالتوسع نحو بحر البلطيق

غربا والبحر المتوسط جنوبا. وتدخلت فى ازمة العرش البولندى بعد خلوه بوفاة الملك فردريك اغسطس الثالث فى ٥ اكتوبر ١٧٦٣. وقد أدى هذا التدخل الى ان تعلن الدولة العثمانية الحرب ضدها فى اواخر اكتوبر ١٧٦٨. ولكى تشغل روسيا عدوها عن تكريس قوته لتلك الحرب، وتعجزه عن التدخل الحاسم فى تلك المسألة، قامت بدعاية واسعة ضد الدولة العثمانية فى ولاياتها الأوروبية والاسيوية، ونجح الدعاة الروس فى استغلال مساوىء. الادارة العثمانية والنصرة الوطنية والدينية والمذهبية، فبدأ لهيب الفتنة، وانتظمت روح الثورة ولايات البلقان، وماجت رومانيا بالثورة، وتبعتها سواحل الادرياتيک وتساليا والبلوبونيز والصرب والافلاق والبغدان والجل الاسود. ولم تكن الدولة العثمانية فى حاجة الى ما يزيد انشغالها اذا كان لديها ما عجزت عن معالجته فى بلاد العرب ومصر وفلسطين وسوريا وبغداد وارمينية وطرايزون. فاذا اضفنا الى ذلك ثورات املاكها الاوروبية، وفساد نظمها الداخلية، ووهن قوتها الحربية ادركنا مدى عجزها عن المقاومة.

وبينما كان الدولة العثمانية تنتظر وصول الامدادات الحربية التى طلبتها من ولاياتها، اسرعت روسيا فهاجمت الحدود العثمانية من

اتخذته سندا في كفاحه ضد العناصر المعادية. ولكن حان الوقت للتخلص من ظل سلطته، فاستصدر من الديوان امرا بعزل الباشا. وإلى ذلك أشار الجبرتي بقوله انه «حصلت قلقلة من جهة وإلى مصر محمد باشا فانزلوه إلى بيت احمد بك كشك وجرشوه في سابع عشر رجب ١١٨٢، (اكتوبر ١٧٦٨م) «وفي يوم الاحد غرة شعبان، تولى على بك قائمقامية عوضا عن الباشا». وقد ظل محمد باشا محجورا عليه حتى توفي في أوائل سنة ١١٨٣ (١٧٦٩). وظل على بك قائمقام حتى آخر عهده ولم يعد يسمح للباشوات العثمانيين بدخول مصر.

وبعد طرد الباشا لم يبق في مصر من مظاهر السيادة العثمانية سوى الخطبة والعملية والخزنة السنوية. اما الاولى فقد بقيت كما هي، واما الثانية فقد أحدث فيها تغييرا طفيفا منذ ١٧٦٩، واما الخزنة فقد أوقف ارسالها ابتداء من سنة ١٧٦٨. أشار إلى ذلك الجبرتي في ترجمته للامير قاسم بك ابى سيف الذى سافر بالخزنة ومات بالروم وذلك في سنة ١١٨٠ هـ. «وهي آخر خزنة رأيناها سافرت إلى اسلامبول على الوضع القديم...».

جميع النواحي دفعة واحدة من الشمال والجنوب، ومن الشرق والغرب. فخاضت جيوشها غمار المعارك على الدانوب، وفي القرم، وفي جورجيا، وبلاد المورة، بينما انتشرت اساطيلها في البحرين الاسود والمتوسط فهاجم بلاد الاناضول وسورية وهددت مصر. وضيق الخناق على البحرية العثمانية التي ارتدت إلى خليج جشمة وقضت على معظم وحداته (٧ يوليو ١٧٦٩) وفي الميادين البرية ذاق العثمانيون من مرارة الهزيمة ما جعل فلولهم ترتد عبر الدانوب، وتخرج من القرم، وتجلو عن الافلاق والبغدان وصربيا.

من خلال تلك الكوارث الحربية استشف على بك الكبير في مصر انشغال الدولة العثمانية في اوروبا، وارتباكها السياسى، وضعفها الحربى، وعجزها عن حفظ هيبتها، فعول على استغلال تلك الفرصة لمصلحته الخاصة.

بدء الثورة وتخلصه من الباشا العثماني

والتخلص من الباشا العثماني قبل ذلك لم يكن من مصلحة على بك، فقد رأينا كيف

أغراض على بك من الحركة

يذكر جمهرة المؤرخين الأوروبيين ان غرض على بك من حركته كان الملك والاستقلال منتهزا فرصة انشغال الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا، بل ان قنصل فرنسا الميسو دى جونفيل M. De Jonville استشف نيات على بك فكتب يقول ان غرضه جعل مصر دولة مستقلة قوامها قوة الممالك المطلقة. ويذكر الجبرتي ان على بك « كان يقول لبعض خاصته ان ملوك مصر كانوا مثلنا ممالك الاكراد ، مثل السلطان بيبرس والسلطان قلاوون وأولادهم ، وكذلك ملوك الجراكسة وهم ممالك بني قلاوون الى آخرهم كانوا كذلك وهؤلاء العثمانية اخذوها بالتغلب ونفاق أهلها، وينوه ويشير بمثل هذا القول بما فى ضميره وسريته».

بقى لنا ان نتساءل : هل حصل على بك حقيقة على الاستقلال ؟ كل الأدلة والشواهد والوثائق الرسمية تدل على انه لم يعلن استقلاله او انفصاله عن الدولة العثمانية ، فقد كانت هناك بعض الروابط بين مصر والدولة العثمانية، وبقيت هذه الروابط رغم ما كان بينهما من حروب.

ولا يصح لنا ان نرجع بقاء هذه الروابط الى ما ذكره بعض المؤرخين من ان الحرب الروسية التركية فأجأت على بك قبل ان يتم استعداداته ، فانه نجح فعلا فى جميع مشروعاته. وانما بقاء هذه الروابط يرجع الى ان الحركة لم تكن سوى ثورة اوسع نطاقا واعمق غورا من سابقتها. وكان غرضه منها الانفراد بالحكم فى مصر ولا بأس من بقاء مصر تابعة للدولة العثمانية ظاهريا.

تولى على بك قائمقام عقب عزل محمد باشا يوم الاحد غرة شعبان ١١٨١ (اكتوبر ١٧٦٨) كما هى العادة، ولكنه لم يسمح لاي وال عثمانى بدخول مصر بعد ذلك، فقد أشار الجبرتي الى انه « منع ورود الولاة العثمانية» وعزز ذلك المؤرخ العثماني جودت بقوله ان على بك «عزل محمد باشا والى مصر وأنزله عن منصبه.. ولم ترسل الدولة بعده واليا على مصر مدة اربع سنوات».

فكانت جميع الأوامر والفرمانات وتقاسيط الالتزام التى كان تصدر بتوقيع باشا مصر اصبحت تصدر باسم «حضرة على بك ميرلوا قائمقام محروسة مصر» كما كانت تقاسيط الالتزام تختم بخاتمه الخاص دون اى إشارة للبasha وذلك فى المدة الواقعة بين عامى ١١٨١ - ١١٨٦ (١٧٦٨ - ١٧٧٢ م) :

(د) لم يعاد ذكر الباشا في الوثائق الا سنة ١١٩٠، واشير اليه بلقب «حضرت وزير ذو روشن ضمير».

سياسة علي بك الداخلية

لاحظ الرحالة الانجليزى بروس Bruce ١٧٦٨م ان علي بك كان كثير الاهتمام بامور حكومته، يصرف امورها بنفسه الى ساعة متأخرة من الليل، وانه انهمك في ذلك حتى تأثرت قوة بصره الى حد ما. واصبح مريضاً معوداً.

التزام الاراضى والأموال المقررة

رغم ان حماس علي بك وشدة اهتمامه بالعدل والاصلاح دفعا الكشاف الى الاهتمام بامور الزراعة، من حيث الري والصرف واقامة الجسور وحفر الترعى والقنوات ثم حمايتها وحماية غلاتها من عبث البدو فان سياسته في منح الالتزام وفرض الضرائب لم تكن خالصة لصالح الشعب، إنما اضطرته اليها الظروف ودفعته اليها دفعا.

فان السياسة التى اتبعها لاضعاف الاوجاقات العثمانية انتهت بهزالتها وضعف نفوذها ولما كان معظم ملتزمى الاراضى قبيل عهده من ضباط تلك الفرق، فقد نزعها منهم وجعل

وثمة دراسة لدفاتر «اصول مال اسكلها ومقاطعات...»، «ايرادات مال الكمارك...» عن السنوات من ١١٧٤ - ١١٩٠ (١٧٦٠ - ١١٧٦م). اى منذ تولى علي بك شياخة البلد للمرة الأولى حتى بعد وفاته بثلاث سنوات. لاحظنا فيها مايلى:

(أ) ان التزام «مقاطعة عشور اصناف بهار وتوابعها وسمسارية بهار وتوابعها مع مقاطعة قصير»، كان لباشا مصر يغل إيراده لنفسه. والسجلات من سنة ١١٧٥ إلى ١١٧٩ تنص على انه كان «در عهده دستور مكرم مشير مفخم حضرت وزير مصطفى باشا». ثم كان لحمزة باشا حتى سنة ١١٨١، وفي سنة ١١٨٣ اصبح «در عهده حضرة وزير افخم محمد باشا محافظ مصر حالاً».

(ب) ولكن ابتداء من سنة ١١٨٣ (١٧٦٩) اى منذ بدء ثورة علي بك لم يعد يذكر اسم الباشا واشير اليه رمزاً فقط «در عهده دستور مكرم مشير مفخم حضرت وزير...» ونشير إلى ان هذا الامر لم يحدث مطلقاً من قبل.

(ج) وابتداء من سنة ١١٨٤ حتى ١١٧٨ اى عند اكتمال سلطة علي بك، لم يعد يذكر اسم الباشا أو يشار اليه قطعياً. وهذا يعزز الراى القائل بان علي بك منع قدوم الباشوات العثمانيين.

في سنة التون ٦٩٦ التون = ٣٠ بارة

بحساب البارة ١٧٤٠٠

+ ٢٠٨٨ مضاف

١٩٤٨٨ بارة

يكون أقلام (أى مقاطعتان مالتان)

في سنة التون ٧٠٨ التون = ٢٥ بارة

بحساب البارة ١٧٧٠٠

٢٠٨٨

٦٤٩٦

١٠٣٩

٢٧٣٢٣

١٠٩٣

صيفى بارة ٢٨٤١٦ شتوى بارة ٢٧٣٢٣

ويلاحظ ان هذا الدفتر يبين نصيب كل ملتزم من القراريط في قرية بيشة رزينة التابعة لولاية الشرقية. وقد اشير في آخر الحساب الختامى الى مقدار ما يدفع فى كل من الموسمين الصيفى والشتوى . مع ملاحظة ان الالتون يساوى ٢٥ بارة.

(ب) دفتر التزامات «الولايات القبلىة عن سنة ١١٧٠ رقم ٦/٢٣ مخزن تركى» مقاطعة قرية اتلندم (للشمال من مركز ملوى)

الالتزام وقفاً على ممالكه وانصاره وهكذا ابقى نظام الالتزام.

اما اهم فروع الالتزامات فكانت التزامات الاراضى والتزامات الجمارك ومتعلقاتها. وقد فضلت أن أذكر امثلة واقعية مستخرجة من السجلات الرسمية لاغراض سنشير اليها. كما انى فضلت ان تكون الامثلة شاملة وذلك بإيراد مثال تاريخه متقدم على عصر على بك، والثانى فى أواخر عصره حتى تكون المقارنة وافية بالغرض.

أولاً : التزامات الاراضى:

(أ) دفتر التزامات ولايات الوجه البحرى عن

سنة ١١٧٠ رقم ٢٤ / ٦ مخزن تركى:

«مقاطعة قرية بيشة رزينة وغيره»

در عهدة (أى فى عهدة) مراد عبد الله بايع على كوكللويان ٣ ط (٣ قيراط) [ط= قيرط]. وبشير عبد الله بك ط [قيراط واحد] ومنا وعبد الله ٣ ط وبلال اغا عبد الله ٦ ط وبشير اغا عبد الله ٦ ط واحمد عبد الله تابع السيد احمد تفنكجيان ٣ ط بوجه التزام (اى على وجه التزام) قرية بيشة رزينة.

«غيره» مال مضاف وقف ابراهيم باشا براى مهمات سايرة در راه حج شريف (أى لاجل طريق حج شريف).

الله تابع مصطفى ٦ ط، وحسن عبد الله تابع
على تسلم نصف ط وربيع ط، وابراهيم عبد
الله تابع رضوان جاوش مستحفظان بك ط و
نصف ط، وعثمان نام وبشير اغا عبد الله
بروجه اشتراك ٣ ط وربيع ط وثمان ط، وسرور
اغا تابع رضوان جاوش مراد ربع ط وثمان ط
بروجه التزام قيده نقد.

في سنة التون ٢٢٨ التون = ٢٤ باره
بحساب البارة ٥٤٧٢

٦٥٨ مضاف
٦١٣٠
١٧٤١
٤١٩
٨٢٩٠

٣٣٢ مضاف سنة ١١٧٤
٨٦٢٢ مجموع

من مقارنة السجلا الثلاثة السابقة يتضح لنا
اشتراك اكثر من ملتزم واحد في القرية
الواحدة، وثانيا انه في اواخر عهد على بك
كان هناك بعض ملتزمين للقرى من ضباط
الاجاقات، وثالثا ان مبلغ الالتزام الاصلى
كان ينمو بزيادة عدة مضافات كانت رسمية
قبل عهد على بك. ففي المثل الاول كان مبلغ

وكفرها در عهده اسماعيل عبد الله تابع
رضوان جوريجى بحق ٣ ط، وصالح عبد الله
٦ ط، وحسن عبد الله تابع يوسف جاووش
٢ ط، وصالح عبد الله تابع مصطفى بك
٢ ط، وحسن عبد الله تابع كاشف يك ط
١,٥ ط، وعلى عبد الله تابع كاشف يك ط
١,٥ ط، وأحمد اغا تابع سليمان بحق ٢ ط
وأحمد سليمان ٣ ط ومحمد يوسف ولدش
يك، ط، وعنبر اغا عبد الله ٢ ط.

في سنة التون ١٨٤ التون = ١٨ باره
بحساب البارة ٤٦٠٨

٥٥٢ مضاف
٥١٦٠ مجموع
١٢٧١ فرط
٦٤٣١ مجموع
٧٢٥ مضاف
٧١٥٦ مجموع
٢٨٦ مضاف
٧٤٤٢ مجموع

(ج) دفتر التزامات الوجه البحرى سنة
١١٨٥ رقم ٧/٥٥ مخزن تركى «مقاطعة
قرية الغابة (ولاية شرقية) در عهده احمد
رضوان شراقوه ٦ ط، وايوب عبد الله تابع
رضوان شراقوه مستحفظان ٦ ط، وحسن عبد

که عن مصالحه سليمان شراقوه مستحفظان ملتزم قرية مزبورة بحق ٥ ط عن التزامن ٢ ط ونصف ط بمزبور بروجہ مصالحه داده وقيد شده مزبورة بيورلدى شريف حضرت وزير روشن ضمير صدر اعظم سابق مصطفى باشا محافظ محروسة مصر حالا. المؤرخ دربالاي قائمة مزاد الواقع في ٢٣ ذى ١١٧٥ بأمر حضرت وزير دام إجلاله.

قرية مزبوره بحق ٢ ونصف ط قطعة ١ في سنة التون. . .

بحساب باره ١٠٥٣ قديم

١٢٧ مضاف

٤٨ فرط

٤٩ مضاف

١٢٧٧ مجموع

٥١ مضاف درسنه ١١٧٤

١٣٢٨ شتوى

سنكة ملتزم مزبورة سن اشبويه يكه دير بلان تقسيط ديوان موجبنجة قرية مزبورة بحق ايكى قيسراط مذكورك مصالحه سندن التزامكة دير يلوب كركوركه متصرف اولوب اوزركه اداسى لازم كان مال ميرى وقت وزما نيله ديوانه ادا وتسلم ايليوب ظلم وتعيدن بغايت احتراز اوزره اولاشن، «خاتم الباشا»

الالتزام الاصلى ١٧,٤٠٠ بارة، زيد عليه مضاف حتى اصبح ١٩,٤٨٨ بارة، وفي المثل الثانى كان المبلغ الاصلى ٤,٦٠٨ بارة فظل يزيد حتى كان يصل الى قدر الاصل مرتين فاصبح ٧,٤٤٢ وهكذا الحال فى المبلغ الثالث وهو فى عهد على بك، كان أصله ٥,٤٧٢ فاصبح ٨,٦٢٢ بارة .

ولكن الملاحظة التى تهمنى بصفة خاصة انه بعد المضاف الذى فرضه سنة ١١٧٢ لم يقرر مضاف آخر حتى سنة ١١٨٦ وهى آخر عهد على بك وذلك يعد فخرا له.

ثانيا : تقاسيط الالتزام:

وبهذه المناسبة رأينا ان ننقل صورة تقسيطى التزام احدهما فى سنة ١١٧٥ (١٧٦١م) على عهد مصطفى باشا والثانى سنة ١١٨٥ (١٧٧١م) فى عهد على بك وهو ممهور بخاتمه الخاص.

١ - وثيقة رقم ٢ ملف رقم ١٩ محفظه ١ مخزن تركى

«مقاطعة قرية منية بدر سلسيل بحق ٢ ط ونصف ط تابع ولاية منصوره در عهده يوسف عبد الله تابع سليمان جاوش قازدغلى كه حالا بروجہ التزام قيد شده عن اول توت الواقع فى ٩ ص (صفر) ١١٧٥ أدوات شده

تحرير ١ فى التاريخ المزبور ٢٣ ذى الحجة ١١٧٥

والشطر الاخير من التقسيط هو النصيحة التقليدية التى يوجهها الباشا للمتزمين وتعريفها. «انت ايها الملتزم المذكور، انه بموجب هذا التقسيط الديوانى المعطى لك، قد أصبحت القرية المذكورة فى التزامك بحق قيراطين ونصف قيراط من مصلحة المذكور، فبناء عليه تصرف فيها، وعليك ان تؤدى وتسلم المال الميرى المفروض عليك فى وقته مع التحرز من الظلم والتعدى».

بأمر حضرت قائمقام على بك دام عزه.

قرية مزبورة بحق ٢ ط قطعة ١

بحساب بارة ٤٨١٥ قديم

مضاف ٢٩٧

فرط ٩٢٦

مضاف ١٤٨

مضاف سابق ١٥٤

١٦٠ « سنة ١١٧٤ »

٤١٦٦ موقوف إلى

زمان صيفى

مجموع ٦٥٦٦

ب - محفظة رقم ١ ملف رقم ٢٨ وثيقة رقم ٥٠

«مقاطعة قرية منشأة دهشور بحق ٢ ط تابع ولاية جيزة در عهده احمد جلى ولدش كه حالا بوجه التزام قيد شدة عن اول توت الواقع فى ١٩ جا (جمادى الاولى) سنة ١١٨٤ ادات شدة كى عن فراغ يوسف عبد الله تابع على ولدش ملتزم قرية مزبورة بحق ١٩ ط به حصة اسن بمزبور ٢ ط فراغت كرده وقيد شدة برمودة بيورلدى شريف حضرت على بك ميرلوا قائمقام محروسة مصر حالا المؤرخ دربالاى عرضحال فارغ المزبور الواقع فى ١٧ ذى (ربيع ثانى) سنة ١١٨٥».

ويتلو ذلك النصيحة التقليدية السابقة مع زيادة نص «رعايا وبراياتك حفظ وحماية سيله مشغول ومقيد أولوب» أى «وأن تكون منشغلا ومقيدا بحفظ وحماية الرعايا والبرايا».

يتضح لنا من دراسة التقسيطين السابقين وهما مثالان من آلاف التقاسيط ما يأتى:

١ - ان على بك ابقى نظام الالتزام السابق لعصره دون أى تغيير.

٢ - وانه أجلى عناصر الحماية العثمانية عن ميدان التزام الاراضى الى درجة ما، ولم يعد يسمح بذلك إلا لمن والا له منهم

وتأكد من اخلاصه.

٣ - ان آخر «مضاف» على اراضى الالتزام كان فى سنة ١١٧٤ هـ فى أول عصر على بك، ولم تزد عليه اية رسوم أخرى شرعية حتى نهاية عصره.

غير ان سياسة على بك فى جمع المال لم تكن قائمة على اساس اقتصادى عادل، فعندما كان يشعر بحاجته الى المال كما حدث ١٧٧٠ (١١٨٤ هـ) وقت تجهيز حملات الشام كان يتغلب على العقبة المالية باحدى الطرق الآتية:

مصادرة أموال من يشك فى ثرائهم من غير مريديه، كما فعل فى تلك المناسبة فطلب حسن أغا تابع الوكيل والروزنامجى وباش قلعة واسماعيل أغا الزعيم وآخرين وصادرهم فى نحو اربعمائة كيس^(١٠).

ومنها فرض قدر من المال على أهل الذمة من اليهود والاقباط^(١١)، وزيادة مقدار الضرائب على أفراد الشعب، فيخبرنا الجبرتي مثلاً انه، عمل دراهم على القرى وعمل على كل بلد مائة ريال وثلاثة ريال حق طريق، ولم يبال بما لحق الناس من شدة جعلتهم يضجون

بالشكوى، طالما كانت زيادة ضرائب مال الكشوفية تتبعها زيادة ميرى مال الكشوفية الذى يدفعه الكشاف للخزانة العامة^(١٢)

ومنها أيضاً انه كان يأمر المعلم رزق بسك عمله جديدة يوزعها على مماليكه.

هذا وينبغى أن نشير إلى عدم وجود تعارض بين فرض دراهم على القرى وبين عدم فرض مضافات جديدة، فالمضاف كان يفرض على الملتزم، وهذا يجيبه من الفلاحين فى كل موسم (الصيفى والشتوى) فهو عبء ثابت ليس له مبرر، وقد وضحنا أن على بك عدل عن هذا السيل.

أما الدراهم التى كانت تفرض على القرى فكانت حسب الحاجة، فهى ليست دائمة، كما أنها كانت تفرض على جميع أهل القرية: فلاحين وتجارا ومن اليهم فيقل نصيب الفرد ويخف العبء. وقد فضل على بك هذا الامر على ذلك.



النقود المصرية والعملية الأجنبية المتداولة في مصر:

استمر سك العملة في دار ضرب النقود بالقلعة في أثناء الاحتلال العثماني، وكانت تسك اما من الذهب أو الفضة أو النحاس، في سبائك غير خالصة وبفئات مختلفة.

أما النقود الذهبية فكانت المحبوب (أو السكواني) وقيمتها ١٨٠ نصف فضة واجزاؤه الزرمحوب أو النصفية، ثم ربع المحبوب أو الربعية. والزنجيرلى وقيمتها ٢٠٠ نصف فضة تقريبا، الفندقلى (أو الحجر المصرى) وقيمتها ٢٥٠ نصف فضة تقريبا.

وكانت أقل النقود الفضية قيمة : البارة^(١٣) (بالتركية ويسمونها المصريون مصرية) مقدارها نصف فضة وهى الميذى (تحريف مؤيذى). ومضاعفاتها ذات الخمس بارات (يسمونها الترك بشلك والمصريون خمساوية) وذات العشرة بارات (أو نلك) وذات الخمس عشرة باررة (أو نبشلك، بالتركية ويسمونها المصريون نصف صلدى) والقطعة ذات العشرين باره (يارم قرش بالتركية أو نصف قرش بالمصرية أو عشرينية) وذات الثلاثين باره (وهى الصلدى). ثم القطعة ذات

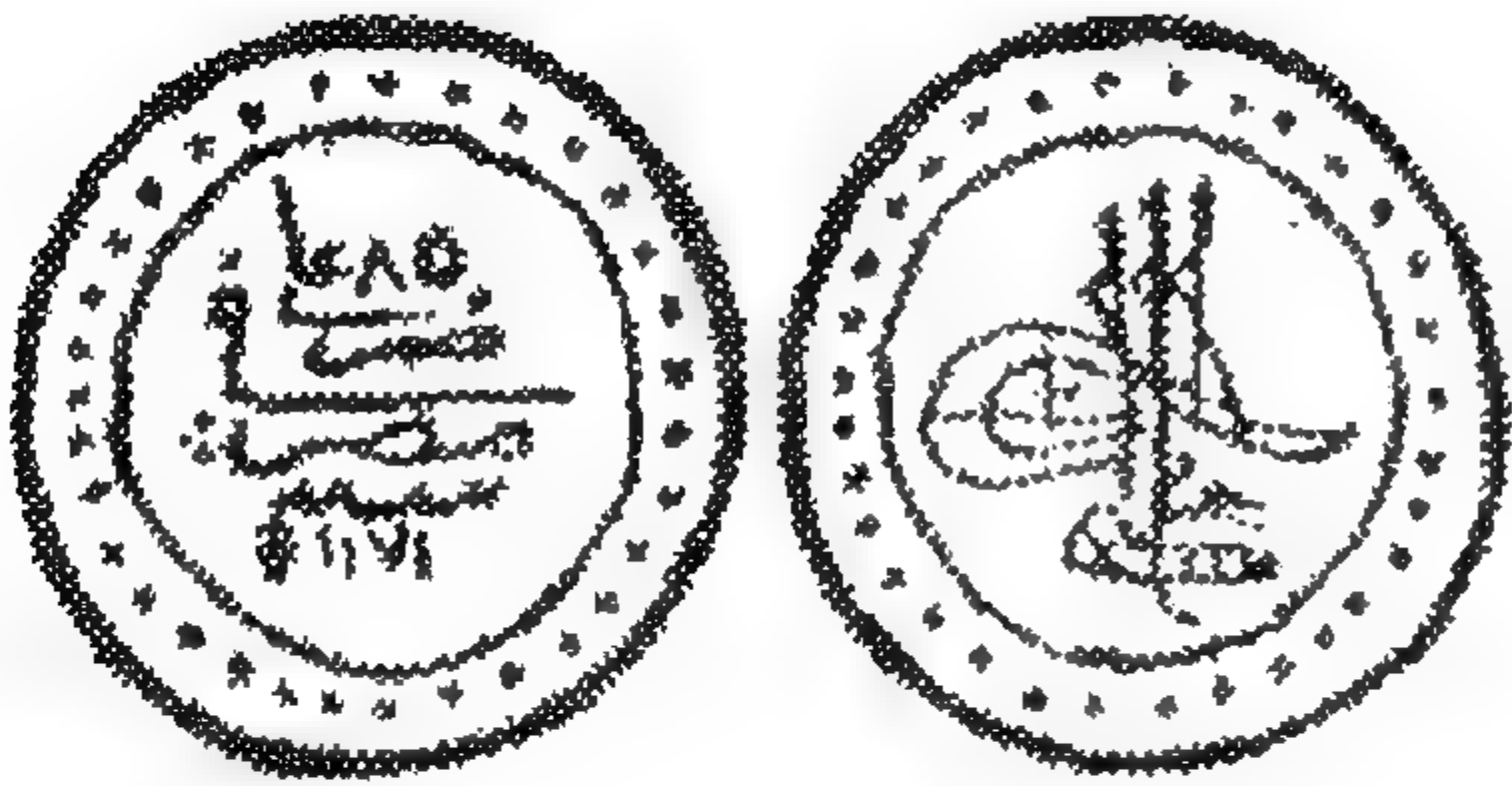
الاربعين باره وهى القرش أو الأصلانى^(١٤). أما النقود النحاسية فهى أجزاء البارة مثل الجديد ويساوى ربع باره والمقصوص ويساوى ٨ جدد والمرادى ويساوى ١٢ جديدا، والاختا يساوى ١٦ جديدا.

ومنذ سنة ٩٢٣ هـ الموافقة ١٥١٧ م، وهذه النقود يجدد سكها كلما تولى عرش السلطنة سلطان جديد، فتسك باسمه، ولما كانت دار الضرب تحت إشراف الباشا العثماني، وهو الذى يصدر الاذن بسك العملة الجديدة سحت الفرصة للجشعين من الباشوات بتزييفها، اما عن طريق غش السبيكة، أو عن طريق انقاص سمك القطعة ذاتها. وتكرر ذلك كثيرا لدرجة افقدت العملة ثقة الشعب المصرى، فكان يطمئن فى الصفقات الكبرى الى التعامل بالعملية الأجنبية المتداولة فى مصر اكثر من اطمئنانه الى العملة المحلية.

وكان أكثر هذه النقود تداولا سكوانى البندقية أو البندقى، دوقات الحجر وهولنده (واشتهرت باسم بوكلب إشارة الى الاسد المنقوش عليها) وهى من الذهب، ثم العملة الاسبانية الفضية من جميع الفئات وخاصة التالير، وهى الريالات الاسبانية وواحدها ابو طاقة (باتاك).

وكانت القيمة السائرة لهذه النقود فى مصر تتغير من وقت الى آخر، ولكنها على كل

ضربها وهي السنة التي تولى فيها قائمقام -
وبعد عامين أى فى سنة ١١٨٥ هـ -
(١٧٧١ م) اصدر قطعا من ذات الاربعين ميديا
(القرش) ونقش عليها عام ١١٧١ هـ على أنه
عام



ضربها مع انه فى الواقع سنة تولى مصطفى
الثالث عرش السلطنة، وفى الوقت نقش رقم
- ٨٥ - اختصار سنة ١١٨٥ فوق كلمة
ضرب [انظر الشكل اعلاه].

ضرب ٨٥ على

وهي السنة التي ضرب فيها تلك العملة.
والاضطراب الذي نلاحظه فى التاريخ المنقوش
على العملة مرجعه الى الاضطراب الذي
صادف على بك فى تحديد مركزه بازاء
السلطان العثماني .
ذكر الجبرتي ان النقود التي ضربها على بك

حال كانت أزيد من قيمتها السائرة فى
الخارج، وليس لدينا بيان عن قيمتها فى عهد
على بك (١٥).

والتعديل الذي أحدثه على بك فى العملة
المحلية تناول عيار سبكها ونقشها، فانه اراد
أن يعيد الثقة إلى تلك العملة، فأعاد سك
معظم القطع النحاسية (الجديد ومضاعفاته)،
والفضية (البارة ومضاعفاتها) - وزاد عيار
السيكة بزيادة مقدار المعدن الاساسى فيها
بمقدار الثلث تقريبا.

وعلى أحد وجهيها ابقى نقش اسم السلطان
«سلطان محمد مصطفى بن أحمد خان عز
نصره» بالطغراء أما الوجه الثانى فقد سجل
عليه اسمه بطريقة بارعة مستخدما لذلك
حرف الباء فى كلمة «ضرب» بدل حرف
الياء الذي يشكل الحرف الأخير من اسمه
فأصبحت تكتب هكذا

ضرب على

غير اننا نلاحظ أن السنة التي ضربت على
قطع الفئات المختلفة كانت تختلف من فئة
إلى أخرى: فمثلا على قطعة العشرينية (٢٠
بارة) نقش سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٨ م) سنة

كانت «قروش مفرد ومجوز وقطع صغار تصرف بعشرة أنصاف وخمسة أنصاف ونصف قرش، وكان أكثرها نحاسا وعليها علامة على بك.

وقد ذكر أيضا في حوادث سنة ١٢٣٥ هـ أن أول من أحدث ذلك النوع من القروش «على بك القازدغلي بعد الثمانين ومائة وألف، عندما استفحل أمره وأكثر من العساكر والغلمان وظهر العصيان على الدولة».

وعندما أمر أبو الذهب في سنة ١٧٧٢ هـ (١١٨٦)، بعد فرار على بك، بإبطال العملة المضروبة باسمه فقدت تلك العملة حوالي ٢٠٪ من قيمتها، انتهز التجار الأجانب تلك الفرصة فصار يجمعها بعضهم ويرسلها إلى مرسيليا حيث كانوا يحولونها إلى سبائك، وجنوا من وراء ذلك أرباحا طائلة».

أما دار ضرب النقود في القلعة فقد جعلها على بك تحت إشراف المعلم رزق^(١٦). وكان يرمى من وراء ذلك إلى ثلاثة أغراض. أولها الحصول على الأرباح الناتجة من سك العملة، إذ كان صهر العملة الأجنبية وإعادة سكها أنصاف فضة (بارات) يعطى ربحا صافيا ٣٠٪ - والغرض الثاني ضمان عيارها. أما الغرض الأخير فكان إبرازها في نقش جديد يدل على معنى انفراده بالسلطة، وجعل دار الضرب تحت

إشرافه مكنه من سك أي مبلغ يحتاجه منها.
السياسة المالية وإدارة الجمارك

العامل الأساسي الذي وجهه على بك في سياسته المالية كانت حاجته الملحة إلى المال للصرف على الحرب والأعمال الداخلية من تجريدات وجوامك عمال الحكومة. أما أهم القواعد التي أقام عليها تلك سياسة كانت: الاستيلاء على عوائد الباشا وأوقاف الدولة والخزنة، ثم ترويج التجارة.

وكان أول ما بدأ على بك أن منع إرسال «الخزنة» السنوية إلى الاستانة ابتداء من سنة ١٧٦٩ وفي خلال أعوام ١٧٧٠، ١٧٧٢، فحصل بذلك على مبالغ لا يستهان بها^(١٧). يعني ذلك أنه حصل على نحو ١٧٦٦ كيسا مصريًا يساوي ٤٤,١٥٠,٠٠٠ باره بمتوسط ٤٤١,٥ كيسا في السنة^(١٨).

ثم وضع يده على موارد الباشا المالية من إيرادات وعوائد أخصها مال جمرك البهار وعوائد على دخل دواوين (جمارك) الاسكندرية ورشيد ودمياط وبولاق ومصر العتيقة، وعوائد أمين البحرين وأمين الخردة وحلوان التزام البلاد التي يتوفى عنها أصحابها. كما أنه أدار دار الضرب لحسابه

مباشرة^(١٩) وتنظر على أوقاف دار السعادة. ولجأ على بك الى التشديد فى جمع الضرائب المقررة من ميرى وعوائد مختلفة ثم فرض بعض الرسوم الجديدة.

ومن بين الرسوم التى استحدثها على بك رسوم «دفن الموتى» تدفع عند ابواب المدافن. ثم انه كان يضغط على الاغنياء عن طرق المصادرات او فرض المغارم، كما فعل مع يوسف لىفى معلم دواوين الاسكندرية (جمارك الاسكندرية ورشيد وابوقير) واسحق اليهودى معلم الديوان ببولاى. فقد قبض على الاخير وصادره فى ٤٠ ألف محبوب وضربه حتى مات. وكان يفرض على القبط واليهود عموما آلاف الريالات^(٢٠).

ذكر الجبرتى انه صادر كثيرا من التجار وغيرهم وأنه «هو الذى ابتدع المصادرات وسلب الاموال من مبادئ - بدء ظهوره واقتدى به من بعده».

اما مع الاجانب فقد اتبع سياسة القروض الاجبارية، يردها احيانا ويحتفظ بها غالبا.

ثم أنا نلاحظ أن الدفتر دار وهو رئيس الديوان الدفترى، والرزنامجى رئيس ديوان الروزنامة، وهما رأس الإدارة المالية، لم يكن لهما من الشهرة او النفوذ فى عهد على بك قدر ما كان للمعلم رزق القبطى الذى شغل الى

جانب على بك مركز المستشار المالى بفضل معلوماته المالية والفلكية.

اما إدارة الدواوين (الجمارك) فقد صادفت تغييرا هاما. كان بمصر أربعة منها، وهى جمرى الاسكندرية ويتبعه جمرى رشيد وابوقير للتجارة القادمة من اوروبا وجمرى دمياط للتجارة الآتية من الشام، وجمرى بولاى للبضائع، الآتية من الوجه البحرى ويتبعه جمرى مصر العتيقة للبضائع الواردة من الصعيد، والرابع جمرى البهار (شرقى القاهرة فى طريق السويس) للتجارة الواردة عن طريق البحر الأحمر. وكان إيراد الجمارك الثلاثة الأولى يعطى «موجبات» لفرقة اليكيجرية اما إيراد جمرى البهار فكان من حق الباشا، كما كانت رسوم الدواوين تباع عن طريق ديوان الروزنامة الى الملتزمين، وهؤلاء يعهدون بإدارة كل منها الى مدير بأسم «جمرى أو أمين الجمرى أو معلم الديوان».

والتغيير الذى أحدثه على بك كان فى الفئة التى تتولى إدارة الجمارك إذا كان هؤلاء من اليهود ثبتت أقدامهم فى تلك المراكز بما اكتسبوه من خبرة بمضى الزمن، ولكنهم تغالوا فى فرض رسوم غير محتملة على التجار الاجانب انفردوا بها لحسابهم الخاص ولما كانت سياسة على بك المالية تقوم من

ناحية على ترويج التجارة، فقد قبض على معلم دواوين الاسكندرية يوسف ليفى، ومعلم دواوين بولاق اسحق اليهودى وصادر اموالهما وأعد مهما وعزل بقية معلمى الدواوين من اليهود، وعهد بالأشراف على ادارتها الى رجال من السوريين المسيحيين الكاثوليك، ولعل هذا رابع الى اصوله الكاثوليكية. وكان السوريون قد تسرب بعضهم بالهجرة الى مصر يزاولون التجارة بعد ان شجعهم حزم على بك وعدله وتسامحه الدينى.

وكان اول هؤلاء السوريين من معلمى الجمارك «المعلم ميخائيل فرحات ثم المعلم ميخائيل الجمل ثم المعلم يوسف بيطار.

وقد سمح هذا المركز للسوريين، الذين جاءوا الى مصر قليلين ضعفاء أن يتمكنوا منها فى وقت قصير ويتخذوا لهم فيها مركزا محترما عاليا. وتكاثروا حتى بلغ عددهم فى أواخر حكم على بك فى القاهرة وحدها نحو ثلاثة الاف شخص.

ثم توسعوا فى التجارة الداخلية وبعض فروع التجارة الخارجية «واستقلوا بها ولم تستطع الجالية الافرنجية مع ما كان لها من النفوذ، ولا اليهودية مع ما كان لها من الدهاء ان تستردها منهم..» وهكذا نجد بواكير الهجرات السورية الى مصر فى عهد على

بك الكبير وتشجيعه.

ويغلب على الظن ان على بك لم يتبع سياسة الالتزام فيما يختص بالجمارك بل ادارها لحسابه هو فحصل بذلك على مالا يقل عن ثلاثة وعشرين مليوناً من البارات كل سنة (وقد رأينا أن نذكر فيما يلى ثلاثة امثلة لالتزام الجمارك مستخرجة من السجلات الرسمية لذلك العهد.

(أ) الأول فى سنة ١١٧٥ أى فى عهد على بك بشياخة البلد.

(ب) والثانى سنة ١١٨١ (١٧٦٧) قبيل انفراده بالحكم.

(جـ) والثالث سنة ١١٨٥ (١٧٧١) فى أواخر عهده

وقد استخرجناها من الدفاتر الثلاث الآتية على التوالى:

(أ) دفتر اصول اسكلها ومقاطعات مع مضاف جديد واجب سنة ١١٧٥ تابع قلم شهر رقم ٣٠/٢٥.

(ب) دفتر يتضمن مال إيرادات الجمارك يخص المحاسبة سنة ١١٨١ رقم ٣٠/٣٤.

(جـ) دفتر عن إيرادات مال الجمارك سنة ١١٨٥ رقم ٣٠/٤٥.

١ - مقاطعة اسكلها اسكندرية ورشيد وتوابعها مع تعريف مراكب ورسم جلود

بقری و جاموس بندر رشید.

(أ) ای عن سنة ۱۱۷۵ در عهده (ای فی عهده) مصطفی کتخدا مستحفظان ملتزم بود (بنفسه).

۵, ۴۰۵, ۷۰۵ باره

(ب) ای عن سنة ۱۱۸۱ - در عهده (لم يذكر)

۵, ۴۰۴, ۶۶۸ باره

(ج) ای عن سنة ۱۱۸۵ - در عهده (لم يذكر)

۵, ۴۰۴, ۶۶۸ باره

۲ - مقاطعة اسکله بولاق ومصر قدیم وتوابعها.

(أ) در عهده مصطفی کتخدا مستحفظان باش اختیار ملتزم بود

۳, ۵۱۶, ۳۱۶ باره.

(ب) در عهده مصطفی کتخدا (لم يذكر)

۳, ۵۱۹, ۴۳۶ باره

(ج) در عهده مصطفی کتخدا (لم يذكر)

۱, ۵۶۴, ۵۳۰ باره

۳ - مقاطعة اسکله ذمیاط وتوابعها

(أ) در عهده مصطفی کتخدا باش اختیار مستحفظان ملتزم بود

۱, ۵۰۴, ۳۵۶ باره

(ب) در عهده مصطفی کتخدا باش (لم يذكر)

۱, ۵۶۴, ۵۳۰ باره

(ج) در عهده مصطفی کتخدا باش (لم يذكر)

۱, ۵۶۴, ۵۳۰ باره .

۴ - مقاطعة اسکله برلس

۱ - در عهده محمد وسليمان عبد الله تابعاً

اسماعيل ۱۲ ط وعبد الله تابع عبد الله

جوريجى مستحفظان ۶ ط ومحمد سعيد

تابع عبد الله ۳ ط ومحمد بدوى تابع

عبد الله ۳ ط ملتزمین بود

۱۳۸, ۳۸۳ باره

(ب) در عهده مصطفی عبد الله تابع محمد

۸ ط ومحرم عبد الله تابع محمد ۴ ط

وعثمان عبد الله تابع محمد ۸ ط

ونعمان محمد تابع محمد ۴ ط

۴۱۲, ۱۴۱ باره

(ج) در عهده ... (لم يذكر)

۴۱, ۴۴۱ باره

۵ - مقاطعة عشور اصناف بهار وتوابعها ،

وسمسارية بهار وتوابعها ، مع مقاطعة

قصير.

(أ) در عهده دستور مکرم مشير مفخم حضرة

وزير مصطفى باشا

۴۴۲, ۹۲۴۱ باره سنويا.

(ب) در عهده دستور مکرم مشير مفخم

حضرة وزير افخم محمد باشا

محافظ مصر حالا.

(ج) در عهده (لم يذكر) محافظ
مصر حالا.

۶ - مقاطعة سمسارية بحرين وتوابعها مع
مقاطعة بحرين وتعريف مراكب
وسمسارية بذر قرطم وغيره.

(أ) در عهده حسن كتخدا عزبان باش اختيار
مشهدى ۶۳۲, ۶۳۴ بارة

(ب) در عهده (لم يذكر)

۸۳۷, ۳۰۰۰ بارة

(ج) در عهده ... (لم يذكر)

۸۳۷, ۳۰۰ بارة

۷ - مقاطعة خرده وتوابعها مع بيت المال
عام تاج بازاراسب (أى سوق بيع الخيل).
(أ) در عهده حسن كتخدا باش اختيار عزبان
مشهدى

۶۸۱, ۶۳۷ بارة

(ب) در عهده (لم يذكر)

۶۸۱, ۶۳۷ بارة

(ج) در عهده (لم يذكر)

۶۸۱, ۶۳۷ بارة

۸ - مقاطعة كیالة أورز بياض در دمیاط.

(وردت فقط بدفتر سنة ۱۱۸۵ رقم
۳۰/۴۴) در عهده مصطفى نام عزبان ۲ ط
وعلى نام ۲ ط واسماعيل عبد الله تابع
كاتب يك ط وبلال أغا عبد الله يك ط وعبد
الله جلبى ولدش ۲ ط وعلى عبد الله تابع
حاج على سقا يك ط وأحمد حسن ۴ ط
وبشير عبد الله تابع محمد شراقوه أحمد ۲ ط
وكورجى تابع أحمد ۲ ط والياس أغا تابع
ابراهيم عبد الله اباطة ۲ ط وسليمن عبد الله
شراقوه عزبان تابع على بك مير الحاج سابقا
۳ ط وبلال أغا تابع عثمان ۲ ط،
۱۵۴, ۴۹۰ بارة سنويا.

۹ - مقاطعة حمام خاصة دراندرون (معسكر)
قلعة مصر.

(أ) در عهده عبد الحليم أحمد ط ۷ وسيد
أحمد ط ۳ وعلى بن عبد الله تابع
سليمان جلبى ط ۷ وحسن جلبى
يروجہ اشتراك ۴ ط وثلاثى ط ومحمد
محمد جاوشان قافطنجى ۲ ط وثلاث ط
ملتزمين بود

۶۸۵, ۱۲ بارة سنويا.

(ب) در عهده عبد الحليم أحمد ط ۷ وسيد
أحمد محمد ط ۳ وحسن جلبى ط ۲
وثلاث ط ومحمد محمد جاوشان

(أ) در عهده خليل بك ميراللو قازدغلی
دفتردار مصر حالا ۵۴۰۸۰. باره .

(ب) در عهده شيخ عبد الله ۱۰۴۰ باره

(ج) در عهده .. (لم يذكر) ۱۰۴۰ باره.

۱۳ - مقاطعة مال حماية كتابت كمرک
اسکله بولاق:

(أ) در عهده اسحق ويوسف باشکاتب
ملتزمين ۱۰۴۰ باره سنويا.

(ب) در عهده اسحق ويوسف باشکاتب
ملتزمين ۱۰۴۰ باره سنويا.

(ج) در عهده .. (لم يذكر) ۱۰۴۰ باره سنويا.

۱۴ - مقاطعة مباشرت كتابت عشور أصناف
بهار

(أ) در عهده قاضي موسى محمد يوسف التزام
۴۰۵, ۶۰۲ باره سنويا.

(ب) در عهده علي نام ولدش ۶ ط وحسن
موسى ولدش ۶ ط وعبيده مصطفى

ومصطفى دياب نكدلى ويوسف باقر
وحسن محرم بروجہ اشتراك

۴۰۵, ۶۰۳ باره سنويا.
(ج) در عهده (لم يذكر)

۳۰۵, ۶۰۳ باره سنويا.

ومايمكن استخلاصه من هذه السجلات
يتناول موضوعات كثيرة. اما ما يخص

قافطنجى ۲ ط وثلاث ط وعمر ولدش

وأحمد ولدش على بروجہ اشتراك ۷ ط

ومحمد ولدش وحسين جلبى ۲ ط

وثلاث ط ۱۲, ۶۸۵ باره.

(ج) در عهده محمد محمد جاوشان

قافطنجى وجوهر اغا تابع محمد

جوريجى تفنكجيان نجده لى

۱۲, ۶۵۴ باره.

۱۰ - مقاطعة بحيرة سمك دربندر دمياط.

(أ) در عهده محمد اغا اغاء قلعة

دمياط ۴۴, ۷۸۳ باره.

(ب) در عهده عثمان اغا اغاء قلعة دمياط

۴۴, ۷۸۳ باره

(ج) در عهده (لم يذكر)

۴۴, ۷۸۳ باره.

۱۱ - مقاطعة محصول مال احتساب نفس

محروسة مصر.

(أ) در عهده محمد اغا امين احتساب

۱۹۷, ۹۷۳ باره.

(ب) در عهده اسماعيل اغا اغاء جاوشان

امين احتساب ۱۹۷, ۹۷۳ باره .

(ج) در عهده ... (لم يذكر)

۱۹۷, ۹۷۳ باره .

۱۲ - مقاطعة مال حماية اورزميرى عن

جانب امين دمياط وملتزمين فارسكور .

الجيش

والتغير الذى أحدثه على بك فى الهيئة الحربية كان تغييرا طفيفا، ولكنه لم يعد يعتمد اعتمادا كبيرا على الأوجاقات العثمانية كهيئة حربية ابتداء من سنة (١٧٦٩ = ١١٨٣ هـ). وقد اشرنا من قبل الى انه فى سبيل تدعيم مركزه أراد أن يقضى على نفوذ الأوجاقات العثمانية، حتى يأمن جانبها ويقبض بذلك على عصب الديوان. واتبع فى سبيل ذلك عدة طرق كان أحصاها اهلاك بعضهم فى الحروب الداخلية كما فعل عندما وجه الفرق لقتال كشكش بك قرب سمنود، ومنها نفى كبار ضباطها ومصادرة اموال غيرهم أو اعدامهم، ومنها ايضا منع العناصر غير المرغوب فيها من بين ضباطها من التزام الأراضى. ولما كان معظم رجالها من التجار مستغلين ائتمانهم لها، ولما كان استقرار الامن وسيادة العدل فى عصر على بك يحولان دون تحقيق تلك الأغراض غير الشرعية فقد انفصل عن الفرق معظم رجالها^(٢٢).

ونحن إذا نقرر هنا أن على بك اتبع مختلف الأساليب لإضعاف الحامية العثمانية، لا يمكننا أن نجزم بأنها ألغت أو حلت فى عهده كما

الجمارك منها فهو ما يلاحظ من عدم وجود ملتزمين لسنة ١١٨٥، ومعنى ذلك أن على بك أدار الجمارك لحسابه الخاص واستوالى على اموالها فحصل على ما يزيد على ثلاثة وعشرين مليوناً من البارات سنوياً ابتداء من سنة ١١٨٢ (١٧٦٨). ويدخل فى ذلك ايضا حرمان اوجاقات الحامية من اهم موارد ثروتهم ونفوذهم بمعنهم من التزام الجمارك كما حرم على العناصر غير المرغوب فيها منهم التزام الاراضى من قبل.

هذا ولا تفوتنا ملاحظة هامة وهى ان مقاطعة مال حماية كتابت كمرك اسكلها بولاق) كانت لليهود حتى نكل بهم على بك واستبدل بهم المسيحيين من السوريين، وبذا جاء حساب سنة ١١٨٥ خلوا منهم كما هو مبين بالثبث السابق.

كما نلاحظ أن على بك كان يدفع باتباعه الى نواحى النشاط الحكومى المختلفة كما حدث عند اشراك تابعه سليمان عبد الله شراقوه عزبان فى التزام مقاطعة كسالة اورزيباض بندر دمياط وباشراكه فى اوجاق عزبان ايضا، وكما فعل فى اول عهده بداود اليهودى وهو من خدامه اذا استصدر فرمانا من الباشا بتعيينه كاتباً بالضربخانة، وذلك قبل طرده اليهود من الجمارك^(٢١).

يدعى المؤرخون فان وثائق العصر تدلنا على انه، وان لم تكن الأوجاقات في عهده هيئات قوية منظمة، فانها كانت موجودة على كل حال. وقد ثبت لنا من دراسة دفاتر الجراية والعليق سنة ١١٧٤، ان اغوات فرق الكوكلويان والتفنكجيان والجراكية والمستحفظان والعزبان كانوا يتقاضون جراية وعليقا على النحو الآتي (٢٣) :

«جماعت أغايان ٥ بلوك»

١ - أغاء كوكلويان ح ١٣ ط ١٤ - ش اردب ٢٩ ط ٢١ (أى ١٣ اردب حنطة و ١٤ قيراط ٢٩ اردب شعير و ٢١ قيراط)
٢ - أغاء تفنكجيان ح ١٣ ط ١٤ ش اردب ٢٩ ط ٢١

٣ - أغاء جراكسة ح ٨ ش اردب ١٢

٤ - اغاء مستحفظان ح ٨ ش اردب ١٢

٥ - اغاء عزبان ح ١٠ ش اردب ١٠ - كل ثلاثة شهور

ثم أن دفاتر «مرتبات دباغ خانة لسنة ١١٨٥ تشير الى وجود فرقة جاوشان ومرتباتها وجرايتها على النحو الآتي (٢٤) :

«مسموح مرتب خانة جاوشان»

فى يوم عدد ٦ فية باره ٣٢٠

فى شهر باره ٩٦٠٠

فى سنة باره ١١٥٢٠٠
جلود عدد ١٨٠ منها جاموس ١٣٥ عددها ٤٥ عددها ٤٥ اسقاط ١٨٠. كما أن دفاتر الجراية والعليق لسنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٢) تشير إلى وجود امراء الجراكسة وفرقة عزبان (٢٥) .

هذا وقد عثرنا على دفاتر مرتبات عساكر القلاع كاملة فى العصر السابق لعلى بك وفى أثناد عصره. وبالمقارنة بينهما وجدنا أن على بك ترك كل شىء على عما كان عليه، فلم يغير فى عدد الحراس أو اشخاصهم أو رواتبهم أو نظام دفع تلك الرواتب.

كما انه لم يزد عدد القلاع. وهذا لا يتعارض مع قول الجبرتي بانه حصنها وخاصة قلعتى الاسكندرية ودمياط.

والاختلاف الوحيد الذى لاحظناه يعنى تعديلا هاما مقصودا وهو احلال حامية من المستحفظان محل حامية العزبان التى كانت مختصة بحراسة ترسانة اسكندرية وقد نص فى الدفتر على ذلك التغيير نصا صريحا. وهذا يعنى بلا شك وثوق على بك باوجياق مستحفظان وشكه فى اخلاص العزبان.

وفيما يلى ثبت بهذه القلاع وعدد حراسها

عثماني	٧٤٤	(ب) ٢١٧	ومرتباتهم في عامي ١١٨١ هـ نقلا عن
عثماني	٦٤٩	(أ) ١٤٣	«دفتر مرتبات مردان القلاع التابعة لمحروسة
عثماني	٦٤٩	(ب) ١٤٣	مصر ١١٧١ رقم ١١٦ / ٥٥ مخزن تركي»
عثماني	٤٤٥	(أ) ٢٠٣	.. وفي عام ١١٨٥ نقلا عن «دفتر ارقام قلاع
عثماني	٤٤٥	(ب) ٢٠٥	در توابع محروسة مصر واجب ١١٨٥ رقم
عثماني	٣٠٣	(أ) ١٢١	٥٥/١٣٢ تركي».
عثماني	٣٠٢	(ب) ١٢١	١ - قلعة اسكندرية
عثماني	٤٥٩	(أ) ٢٠٠	سنة العدد المرتبات اليومية
عثماني	٤٥٩	(ب) ١٢١	(أ) ١١٨١ : ٤٥٤ ١٩٩٨ عثماني
عثماني	٤٢٠	(أ) ١٠٩	(ب) ١١٨٥ ٤٥٥ ١٩٩٦ عثماني
عثماني	٣٢٠	(ب) ١٠٩	٢ - جماعة ترسان عزبان اسكندرية ومتفرقة
عثماني	٣٧٤	(أ) ٨٢	ترسانة عزبان
عثماني	٣٨٤	(ب) ٨١	سنة العدد المرتب السنوي
عثماني	١١٤٠	(أ) ١٦٥	(أ) ١٨٨١ ٣٣٣ ١٦٥٨ عثماني نقرة
عثماني	١١٤٠	(ب) ١٦٥	(ب) جماعة ترسانة مستحفظان اسكندرية
عثماني	١١٤٠	(أ) ١٦٥	امد. عن عزبان (أى بدلا من عزبان)
عثماني	١١٤٠	(ب) ١٦٥	١١٨٥ ١٣٨ ١٤٨٤ نقرة
عثماني	١١٤٠	(أ) ١٦٥	العثماني = ١/٢ بارة، النقرة = ١/٢ عثماني
عثماني	١١٤٠	(ب) ١٦٥	٣ - جماعة مردان قلعة برج مصطفى باشا.
عثماني	١١٤٠	(أ) ١٦٥	السنة العدد المرتب السنوي
عثماني	١١٤٠	(ب) ١٦٥	(أ) ١١٨١ ٩٧ ٢٧١ عثماني
عثماني	١١٤٠	(ب) ١٦٥	(ب) ١١٨٥ ٩٧ ٢٧١ عثماني
عثماني	١١٤٠	(أ) ١٦٥	٤ - جماعة مردان قلعة ركن اسكندرية
عثماني	١١٤٠	(ب) ١٦٥	(أ) ٢١٦ ٧٤٤ عثماني

عثماني (أ) ٧٨٣ ٨٨

عثماني (ب) ٧٨٣ ٨٨

٢١ - جماعت مردان قلعت ابريم:

عثماني (أ) ٣٨٥ ٥٥

عثماني (ب) ٣٨٥ ٥٦

٢٢ - جماعت مردان قلعة ساي (في

الطريق بين قنا والقصير)

عثماني (أ) ٦٧٢ ٩١

عثماني (ب) ٦٧٢٣ ٩٣

وفي نفس الوقت كان على بك يكون جيشا كبيرا يعده لحركات الداخل ضد المنافسين والاعراب: ولمشروعات الخارج من فتوح وامدادات.

وقد كون جيشه الجديد من قسمين : الاول قوامه الفرق المملوكية الراكبة، عدتها حوالي ستة آلاف مملوك مدرب عدا تابعيهم من الخدم وغيرهم للتشهيل وخدمة الخيول. اما القسم الثاني فكان من المرتزقة منقسم الى فرق متجانسة: منهم الاتراك والشوام والمغاربة والمتاولة والدروز والعرب الحضارمة والعرب اليمانية والاحباش والدلاة، ولا يقلون في مجموعهم عن الاثنى عشر الفا.

اما السلاح فكان لا يتعدى السيف، والغدارة «القراينة» والرماح مع بعض البنادق العتيقة الطراز، ومدافع الحصار الصغيرة الحجم.

عثماني (ب) ١٦٣ ١١٤٠

١٣ - جماعات مردان خان يونس (في الطريق إلى الشام)

عثماني (أ) ١٣٨٠ ١٤٣

عثماني (ب) ١٢٧٠ ١٣٩

١٤ - جماعت مردان قلعة قرين:

عثماني (أ) ١٤٧ ٣٥

عثماني (ب) ١٤٧ ٣٥

١٥ - جماعة مردان قلعة عجرود (في الطريق بين القاهرة والسويس)

عثماني (أ) ١٣١ ٥١

عثماني (ب) ١٣١ ٥٦

١٦ - جماعت مردان قلعة السويس:

عثماني (أ) ١٧٠ ٥٣ ١١٨١

عثماني (ب) ١٧٠ ٥٣ ١١٨٥

١٧ - جماعت مردان قلعة طور مبارك:

عثماني (أ) ١٤٣ ٢١

عثماني (ب) ١٤٣ ٢١

١٨ - جماعت مردان قلعة موبلح:

عثماني (أ) ٣٢٨ ٥٤

عثماني (ب) ٣٢٩ ٥٤

١٩ - جماعت مردان قلعة قصير الشامي:

عثماني (أ) ٦٠٢ ٦٧

عثماني (ب) ٦٠٢ ٦٧

٢٠ - جماعت مردان قلعة اسوان:

واما عن حركة تسيير الجيوش وإدارة دفعة المعركة فلم تكن تتسم بشيء كثير من النظام. ولكن نظام التموين الحربى كان وافيا بالغرض منه، ويظهر ان على بك وحد زى ممالكه، فقد كتب الجبرتى يقول ان على بك البس سراجينه قواويق فتلى (بالقاء) من جوخ اصفر تميزا لهم عن غيرهم من سراجين امرائه.

ورغم ماتقدم فانا نلمس فى عهد على بك اتجاهها جديدا فى الفن الحربى المصرى هو الاهتمام بفنون الحصار والمدفعية وخاصة مدافع الحصار، كما تبينت اهمية الاسطول البحرى فى العمليات المشتركة بين البر والبحر. يظهر ذلك فى حصار يافا، كما يظهر فى رغبة على بك فى التحالف مع روسيا والحاحه فى طلب مدافع الحصار وضباط اكفاء لاستعمالها، مما سيكون له اثر ينمو على طول الزمن فى العصور التالية.

حملة علي بك الكبير

علي الحجاز

منذ ان استقر الحكم العثمانى بمصر، وامارة مكة تعانى تنافسا ليس له نظير ولم يكن ذلك راجعا فقط الى ما اشتهر به العرب من حب التنافس على الرياسة، ولكنه يرجع ايضا

الى ما صادفه اولئك المتنافسون من تشجيع اصحاب السلطان فى الخارج، اذ كانت امور مكة دوما موضع تدخل حكام مصر والشام واليمن، وفيها كان يتصادم نفوذ اولئك جميعا. فكان لكل منهم منافس يناصره فى توليه الشرافة، وربما كان من بين الاسباب التى جعلت كلا من الشام واليمن يحقدان على مصر انفرادها بارسال الحمل السنوى.

وفى رأينا ان المنازعات المحلية بين الاشراف بمكة كانت تمثل فى الواقع تنافسا خارجيا بين مصر والشام واليمن. وقد تعودت مصر ان يكون لها الفوز فى تلك الحلبة، ساعدها على ذلك عدة عوامل لا يصح اغفالها جعلت لها مركزا ممتازا لا يضاهيه مركز بلد حتى الآن.

فاذا قدرنا اهمية سعى آلاف الحجاج المصريين الى مكة كل عام مع الحمل المصرى، يذلون المال والزاد لاهل الحرمين، وجلهم من الفقراء، ومئات الحجيج من بلاد المغرب وغيرها الذين يصطحبون الحجاج المصريين لمكة فى موسم الحج، لتبين لنا اهمية مركز مصر هناك. اذ ان الحجاج، لمكة خصوصا والحجاز عموما، كالغيث للأرض المنزرعة وقد غاض عنها الماء فهم حياة أهلها وداعية النشاط والرخاء فيها ومصر بما لها من ثروة، وما بها من خير كانت اقدر من غيرها على التأثير فى حياة

الحجاز الاقتصادية.

ورغم مئات الأميال العديدة التي تفصل القاهرة عن مكة نجد ان الحاجز الوحيد الذى يفصل بين القطر المصرى وبلاد الحجاز لا يتعدى البحر الاحمر الضيق، الذى لم يكن فى ذلك الوقت سوى بحيرة ضيقة اخرج من جهة الجنوب. لذا كانت كل موجة من احداث الحجاز السياسية يتردد صداها فى مصر، ويظهر مداها فى ولاية مكة. ولم يكن يستنكف الشريف منهم ان يفر الى صاحب النفوذ بمصر يسأله العون لاسترجاع الشرافة او اغتصابها من صاحبها.

ولما كانت الدولة العثمانية، وهى صاحبة السيادة الشرعية على البلاد، فى حال لا تسمح لها بالتدخل فى امور شرافة مكة، لكثرة ما بلغ بها التدهور من ضعف والاضمحلال من عجز، فقد كان والى الشام يناصر قضيتها هناك ضد تدخل بكوات مصر، الذين كانوا قد استبدوا بالسلطة، وراحو يتدخلون فى شئون مكة اعتمادا على انهم اقرب اليها من السلطان العثمانى واكثر اتصالا بها منه وتهمهم احوالها لما بين البلدين من علاقات قديمة لا يمكن فصمها.

وما كان السلطان، رغم ما به من وهن، ليحفل بالاحتفاظ بتلك الجهة الفقيرة السحيقة

لولا انها حافلة باغنى الذكريات الدينية، ولا سيم اشتمالها على الحرمين الشريفين الذين كان يفخر بحمايتهما، ويتخذ من ذلك ذريعة للاحتفاظ بما فى سلطنته من ولايات اسلامية.

كانت النزعات بين اشراف مكة قد انتهت بهروب الشريف عبد الله الى مصر طالبا المساعدة من على بك فاتخذ تلك الحادثة سببا مباشرا للحملة التى كان غرضها الظاهرى مساعدة الشريف عبد الله. بينما كان غرضه الحقيقى منها تعيين شريف لمكة يخلص لمصلحته، ويضمن بطاعته ولاء ذلك الجزء الهام من العالم الاسلامى. إذا ان وجود شريف فى مكة من صنائع الدولة العثمانية كان مثارا لمناعب جمّة قد تؤدى الى فساد امر الحج، وسخط الحجاج من مصر والشرق، وتضعف من مركزه فى مصر اذا اقترن وجوده فى الحكم بتلك المناعب. فتعين شريف من صنائعه كان عاملا اساسيا فى مصر أساسيا فى نظره يضمن به هدوء الأحوال ويدخل فى أغراضه ايضا الشهرة التى يحوزها بحمايته للحرمين الشريفين وما كان سيفيده من نفوذ فى مصر، وهيبة فى بلاد المغرب والسودان وبلاد الشام وما يليها بتأمين الحج للمسلمين.

ولم تكن تلك الاطماع السياسية غايته

الوحيدة، بل كان يرمى من وراء ذلك كله الى مشروع اقتصادى خطير شجعه عليه التاجر البندقى «كارلو روسيتى» ، وهو ان يؤمن الشواطئ الشرقية للبحر الاحمر فيصبح فى قبضته ممرا امين لتجارة الشرق فى طريقها الى مصر، ثم يجعل من جدة ، الميناء التجارى ذات الشهرة الواسعة حينئذ، مستودعا وسطا لتجارة الهند والشرق الأقصى يساعد ميناء السويس التى كانت ستقوم فى هذا المشروع بتجارة المرور ويتبع ذلك اضعاف الاقبال على استعمال الطريق الذى استحدثه فاسكو داجاما واحداث انقلابا خطيرا فى طرق النقل البحرى بين الشرق والغرب، وأثرا تأثيرا سينا فى المالية المصرية. ولعل اكبر دليل على صدق ما ذهبنا اليه ان الحملة المصرية بعد ان امنت طريق الحج واقامت الشريف عبد الله الموالى لعلى بك جلست عن الحجاز جميعه، ولم تحتفظ سوى بحكم جدة حيث عينت حسن بك الجداوى صنجقا، وابقت معه حامية صغيرة، كما اهتمت بتنظيم الجمرك كما سذكر ذلك فى موضعه.

ذكر الجبترى فى معرض الكلام عن حوادث سنة ١١٨٤هـ - ١٧٦٩م رواية تحتساج الى تصحيح قال «فيها (أى فى ١١٨٤هـ) ورد على على بك الشريف عبد الله من اشراف

مكة وكان من امره انه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف احمد اخى الشريف مساعد منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد فتغلب عليه الشريف احمد واستقل بالامارة وخرج الشريف عبد الله هاربا وذهب الى ملك الروم واستنجد به فكتب له مكاتبات لعلى بك بالمعونة والوصية والقيام معه وحضر الى مصر بتلك المكاتبات فى السنة الماضية...» وايراد المسألة على تلك الصورة يحتمل اخطاء تاريخية: أولها انه جعل وفاة الشريف مساعد فى ١١٨٣ والواقع ان الشريف مساعد توفى فى يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة اربع وثمانية ومائة والف وكانت ولايته تسع عشر سنة الا ثلاثة اشهر» (٢٧).

ثم عاد فذكر انه وقع بين الشريف عبد الله وابن عمه الشريف احمد اخى الشريف مساعد منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد، فاستنجد عبد الله بملك الروم الذى اوصى به على بك.

وهذه الرواية تحتمل غموضا يؤدي الى الخطأ، فقد وقع تنافس حقا على امارة مكة بين الشريفين احمد وعبد الله ولكنه ليس عبد الله الذى يقصده فان هذا تولى الشرافة فعلا ولم يحضر الى مصر، وانما الذى استعان بعلى بك هو ابن عمه عبد الله بن حسن من آل بركات.

التجريدة في شهر صفر بعد دخول الحجاج في تجمّل زايد ومهيا عظيم صارى عسكرها محمد بك ابو الذهب وصحبته حسن بك ومصطفى بك^(٢٨) ، وذكر صاحب خلاصة الكلام انه كان بالحملة ثلاثة صناجق وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا^(٢٩).

وهاتان الروايتان تشيران الى امرين مهمين : أولهما خروج الحملة في وقت غير اوقات الحج كما كانت العادة، كما ان ذكر اسماء القواد وهم اميز من كان لدى على بك في ذلك الحين يدلنا على ما كان يعلقه من اهمية على نجاح اولى حملاته الخارجية.

دخل ابو الذهب مكة ونزل بدار الحكم وكانت تسمى «دار السعادة»^(٣٠). ثم تولى الشرافة عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات. ويقال ان الشريف عبد الله تأثر كثيرا لما اظهره نحوه على بك وابو الذهب من عطف ومعونة فأطلق على بك لقب «سلطان مصر وخاقان البحرين» اعترافا منه بما له عليه من فضل.

غير ان الشريف السابق لم يرض بما حدث، فجمع بغض العربان وقصد الطائف فدخلها دون قتال واغتصبها من الشريف عبد الكريم بن حسين اخى شريف مكة. ثم تقدم احمد يريد مكة واناخ بعرفة وتحصن هناك. ولكن ابا

ومجمل ما حدث انه بعد عودة المحمل المصرى صحبة ابي الذهب عام ١١٨٣ هـ ثم انتصار الشريف مساعد على عبد الله بن حسن ففر هذا عقب الصلح الى على بك يستنجد له للمرة الثانية. وبينما كان على بك يعد الحملة توفي الشريف مساعد قبل وصول الحملة المصرية الى بلاد العرب فى المحرم ١١٨٤ هـ (١٧٦٩ م). وكان قد عقد البيعة لأخيه الشريف عبد الله بن سعيد. فما كاد عبد الله هذا يتولى الشرافة حتى نازعه اخوه الشرف احمد بن سعيد. فنزل له عن الشرافة وقلده اياها ١١٨٤، وهكذا قدّر ان تأتى الحملة المصرية خلّع الشريف مساعد فلا تجده فتضطر فيما بعد الى خلّع الشريف احمد. وقد انفرد الجبرتي بذكره ان الشريف عبد الله استنجد بملك الروم فكتب له مكاتبات لعلّى بك بالمعونة والوصية والقيام معه.

تجهيز الحملة المصرية:

اهتم على بك اهتماما خاصا بتجهيز الحملة فاتم استعدادها، ووفر لها ما تحتاجه من ذخيرة وعتاد ومؤن. يقول الجبرتي فى ذلك «واستكتب اصناف العساكر، اترাকা ومغاربة وشواما ومتاولة ودروزا وحضارمة ويمانية وسودانا وحبوشا ودلاة وغير ذلك: وخرجت

الذهب فاجأه بها واضطره الى طلب الصلح بعد قتال شديد فتخلى عن الولاية للمرة الثانية والأخيرة.

وفي اثناء ذلك تقدم حسن بك شبكة الصنجق المصرى على رأس فرقة الى جدة وتملكها باسم على بك، ثم حكمها بدل الباشا الذى كان يتولاها من طرف السلطان^(٣١).

ولم اتم القواد ما امرهم به على بك بقى حسن بك بجدة وعاد ابو الذهب على رأس جيشه الظافر وبصحبته اسماعيل بك الى مصر فى عشرين جمادى الاولى وكان وصولهم الى القاهرة فى اوائل رجب من السنة نفسها حيث استقبلوا استقبالا حافلا .

ومما يدعو الى الدهشة ان تلك العمليات الحربية لم تستغرق اكثر من شهر واحد، وان مدة الحملة كلها لم تستغرق اكثر من ستة اشهر بما فيها مدة الذهاب والعودة والاقامة بمكة وغيرها.

ومما لا شك فيه ان كمال المعدات الحربية وتام استعدادات الحملة من مؤونة وذخيرة وعتاد، ووفرة جند، مع شهرة الممالك الحربية، وذكاء ابي الذهب كلها مجتمعة هى التى كسبت الحرب. كما لا يفوتنا ان نشير الى ان بلاد الحجاز كانت على اتم استعداد

لاستقبال أول قادم. فوحدة القبائل العربية كانت منعدمة تماما، والمنازعات الداخلية كانت قد ارهقت القبائل فى تحزبها لشريف ضد آخر. كما انه لحسن حظ الحملة كان الجو السياسى مهيا لنجاحها، فالشريف احمد لم يكن سوى مغتصب للولاية، ولم تكن قد مضت عليه مدة طويلة تمكنه من تثبيت نفوذه أو تنمية موارده. فلم يكن لديه ما يكفيه لنضال جيش مدرب مثل الجيش المصرى الغنى بجنده وماله وسلاحه. كما ان انقطاع المعونة الخارجية سواء من الشام أو تركيا اوجد الشريف احمد فى مركز العاجز الذى اسقط فى يده.

ولاشك فى ان انضمام فريق كبير من العرب واشرافهم إلى قضية الشريف عبدالله بن الحسين ومساعدتهم لجيش ابي الذهب جعلت النصر فى جانبهم وهكذا اجاد على بك الاستعداد واتقن اباالذهب التنفيذ.

حملة الشام ومقدماتها

وكانت الدولة العثمانية قد اتخذت الأهبة للقضاء على الخطر المنبعث من فلسطين بسبب النزاعات المستمرة بين زعامات الشهابيين فى بلاد الدروز واطار حركة ظاهر العمر، فعينت عثمان باشا واليا على دمشق

١٧٦٠، ثم ضمت إليه بيت المقدس ١٧٦٥، وعهدت إليه اتخاذ ما يروقه من الوسائل للقضاء على ظاهر العمر. ثم عينت ابنه محمد باشا واليا على طرابلس الشام، وابنه الثاني درويش باشا على صيدا حتى تتسق أعمالهم وتتوحد جهودهم. كما صدرت الأوامر إلى والي حلب وأمير الدروز بأن يكونا عوناً لعثمان باشا في كل أعماله. وحرصت أهل نابلس على مشاكسة المتأولة حلفاء ظاهر. فنشأت من ذلك كله قوة متحدة دائمة يرأسها باشوات أربعة وأمير الدروز، وتشد أزرها حاميات من إيلات حلب ودمشق وطرابلس وبيت المقدس ودروز لبنان الأقوياء. ولم يكن لظاهر من قوة العدد أو العدة ما يوازي به تلك القوة المتحدة الساحقة، ففكر في طلب المساعدة من علي بك الكبير شيخ البلد في مصر. وكان ظاهر قد آواه ووأكرمه عندما نفى إلى فلسطين في مارس سنة ١٧٦٦م (١١٧٩هـ)، واستشف نياته في أثناء إقامته عنده فصادف ذلك هوى في نفس علي بك.

وعندما تخلص علي بك من الباشا العثماني ١٧٦٨ في مصر أرسل يخبر ظاهراً بالأمر، ويعرض عليه الاتحاد ضد مكائد العثمانيين وأسرعت الدولة فأمرت عثمان باشا أن يبدل

أقصى جهده ليحول دون تلاقى الجيشين: المصري والفلسطيني، فعول هذا على مباغته ظاهر في عقر داره. وسار بجيشه حيثما، غير أن ظاهر لم يكن بالأبله فيؤخذ على غرة. ورغم عجزه عن مقابلة تلك الجحافل بمثلها فإنه ركن إلى الحيلة وعزم على أن يحاربهم «بالخمر بدل السلاح» فأسرع وجمع ماينوف على تسعة آلاف فارس عسكر بهم شمال بحرية طبرية، وكلف ابنه علياً أن يشاغل الجيش العثماني دون أن يدخل معه في معركة جدية، وأن يتقهقر بانتظام صوب المعسكر. ثم قسم جيشه هو إلى ثلاثة أقسام أمر الجناح الأيمن وعلي رأسه ابنه علي بالتقهقر وبالاختفاء في المرتفات الغربية للبحيرة. وأمر الجناح اليسر وعلي رأسه صهره الشيخ كريم بالتقهقر تجاه لبنان شمالاً بغرب. وما وافى المساء حتى كان قلب الجيش وعلي رأسه ابن ظاهر يتقهقر إلى الجنوب تاركاً كل ما يملك من ذخيرة وعتاد، ثم أشعل النيران هنا وهناك تضليلاً للعدو، واعتمد في نجاح هذه الخدعة على الخمر، إذا زود المعسكر بكل ما يكفي الجيش المهاجم من مسكرات.

وفي جنح الليل تقدم عثمان باشا منتصراً أمام جيش علي ظاهر المتراجع، ثم اطبق على معسكر ظاهر فرأى آثار التقهقر السريع غير

المنتظم فأيقن بفرار جيش ظاهر وسمح لجيشه بالراحة في معسكر من عدوه بعد هذا النصر المبين... واحتفل بذلك فأتوا على ما احتواه المعسكر من خمر ثم راحوا في سبات عميق، وفي غسق الفجر داهمهم جيش ظاهر وجناحاه فقتلوا واسروا الكثيرين، وغنموا كل ما كان لدى عدوهم من ذخيرة وعتاد. وفر عثمان باشا مذعورا الى دمشق فدخلها محتما بأسوارها.

واسرع ظاهر فاستخلص صيدا من واليها درويش باشا ابن عثمان باشا. وشجع هذا النصر مدن يافا وغزة والقدس والخليل فطلبت حماية ظاهر ففعل، وارسل يطلب من الدولة ان تقره على ما ملك مقابل خمسمائة كيس تدفع سنويا فوافقت وفي نفس الوقت اعتذر عثمان باشا عن هزيمته للدولة بتأخر الدروز عن نصرته في معركة طبرية السالفة فقبلت اعتذاره وزودته بفرمان يسمح له بطرد ظاهر من يافا.

واذ بلغ ذلك الى ظاهر كتب الى علي بك في مصر يخبره ويشكو له من خيانة الدولة، وأنه كلما استرضاه ترسل له تقرير رضاها ثم لا تلبث بأن ترسل الى عثمان باشا تحثه على ان يغزوه ويقاتله ثم طلب من علي بك أن ينجده لرد عثمان باشا عن يافا وبلاد القدس

والخليل، وكان ذلك في أواخر سنة ١٧٧١.

الحملة التمهيدية :

وفي تلك الأثناء كان علي بك قد وجه جيوشه في أواخر سنة ١٧٧٠ الى بلاد الحجاز كما اسلفنا، وعادت في أواخرها مظفرة تحمل أكاليل النصر الأول، فعزم على إرسال حملات استكشافية الى بلاد الشام ليدرس على اساسها طريق الغزو، ومدى قوة ظاهر وعثمان، وكل ما تحتاج اليه الحملة ليتم تجهيزها على أكمل وجه لاسيما وقد بعد العهد بين الجيش المصري المملوكي وبلاد الشام فمنذ ١٥١٦ لم ترسل مصر حملة باسمها تعمل لحسابها الخاص في تلك الجهات.

ففي منتصف رجب ١١٨٤هـ (١٧٧٠م) عين علي بك القائد عبدالرحمن أغا الانكشارية على رأس تجريدة مهمتها «تأمين الطريق» بين مصر وفلسطين. فقامت هذه التجريدة بمهمتها خير قيام، وطهرت الطريق من العريان، وتمكنت من قتل «سليط» شيخ عربان غزة وأخوته وأولاده، إذ كان وجوده خطرا يهدد خط تموين الحملة^(٣٢).

ثم كانت الحملة التمهيدية الثانية في نفس

الشهر، وهى مايمكن ان نسميها «حملة جس النبض» غرضها الظاهري مساعدة الشيخ ضد عثمان باشا بينما كان القصد منها معرفة قوة كل من ظاهر وعثمان، والعدد التقريبي للجيش الغازي الذي سيخرج من مصر، مع ما يحتاجه من ماء وجنود وذخيرته وقد جهز على بك تلك الحملة الثانية تجهيزا حسنا، وأقام على رأسها اسماعيل بك^(٣٣) يساعده على بك الطنطاوى وعلى بك الحبشى.

وقد ذكر المؤرخون ان عددها لم يكن يقل عن عشر آلاف مقاتل كاملى العدة - كما ذكر لنا الجبرتي ان هذه الحملة سارت عن طريق البر في أواخر رجب ١١٨٤هـ (١٧٧١م) وان على بك اتبعها بتجريدة اخرى عليها احد الصناجق والكشاف، رحلت من دمياط بحرا في أواخر رجب ايضا، ثم اتبعها بثلاثة برية في منتصف ذى القعدة.

وكان عثمان باشا في ذلك الوقت يقوم بجولته السنوية بإيالة القدس، فلم يكد الجيش المملوكي يصل يافا حتى اسرع عثمان فارتد الى دمشق، بينما تقدم ظاهر العمر لملاقاة حلفائه المماليك واتجه الجيش المشترك قاصدا دمشق. ثم ارسل ظاهر الى عثمان معتزا بحلفائه يقول «ان غز مصر أتت تساعدنى عليك، فإن شاء الله غدا صباحا يكون القتال

فأنزل إلينا برجالك.

وتهيب عثمان، وكان رده ان تهيأ للخروج الى الحج لا للقتال. وارسل يخبر الحليفين بذلك قائلا «اننى قد عولت على السير الى الحج الشريف فلا يمكننى ان أتأخر. وان كنتم تريدون قتال زائري بيت الله الحرام فنحن استعنا بالله عليكم.

ولم يقبل اسماعيل بك قائد الجيش المملوكي ان يتحمل وزر ذلك الأثم فعاد الى يافا ينتظر عودة عثمان باشا، وعاد ظاهر الى عكا، وخرج عثمان باشا الى بلاد الحجاز.

«في سنة ٢٧٧٢ تقوى ظاهر العمر وشاع اسمه، ونهب جبخانه عثمان باشا والى الشام^(٣٤). ولما طلع للمزيريب ركب عليه ظاهر العمر وأراد أن ينهب الحجاج ويأخذ الحمل ويقتل الوزراء فما سمح الباري تعالى بذلك^(٣٥).

ولم تشأ السلطنة في ذلك الوقت الحرج ان تترك ولاية دمشق تحت رحمة ظاهر وحليفه فارسلت حملة بقيادة اربعة باشوات لحفظها حتى يعود واليها. لذلك ارسل ظاهر الى على بك يطلب قائدا اطوع ومددا أوفر.

من مساعدة ووعدته بالألا يتأخر فى طلبها متى
وجد نفسه فى حاجة إليها.

تجهيز الحملة المصرية

وأيقن على بك بأهمية المعارك المقبلة ولذلك
وجه عناية فائقة الى تجهيز الحملة فاختر
رجالها بنفسه. وبلغت عدتهم اربعين ألف
مقاتل، وزودهم بكل ما تحتاج اليه حملة
مهاجمة من سلاح وذخيرة وعتاد ثم عين
على قيادتهم محمدا بك أبا الذهب بطل
حملة الحجاز. وفى ذلك يقول الجبرتى «وفىها
(أى ١١٨٥ هـ ١٧٧١ م) اخرج على بك
تجريدة عظيمة وسر عسكرها وأميرها محمد
بك أبو الذهب ورضوان بك وإيوب بك
وغيرهم كشاف وأرباب مناصب، ومماليكهم
واتباعهم، وعساكر كثيرة من المغاربة والترك
والهنود واليمانية والمتاولة وخرجوا فى تحمل
زائد واستعداد عظيم ومهيا كبير، ومعهم
الطبول والزمور والدخائر والأحمال والمطابخ
والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع
الزنيك على الجمال وأجناس العالم ألوف
مؤلفة. وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال
وشحنوا بها السفن، وسافرت عن طريق
دمياط فى البحر».

وفى هدى الحملات السالفة تبين على بك عدة
أمور: أولها صلاحية املاك حليفة ظاهر كقاعدة
حربية للجيش المملوكى . وثانيها حاجة الحملة
الى المدافع لعمليات الحصار. وثالثهما ضرورة
حصول الحملة على مساعدة بحرية فعالة.

وكانت الحرب الروسية التركية قد دخلت فى
دورها الثانى ١٧٠٠ م ، فحجزت جيوش
الدولة على ضفاف الدانوب، وتمكن
الاسطول الروسى من ان يقوم بدور هام فى
البحر المتوسط، ولما كانت روسيا قد اعتمدت
فى حربها ضد السلطنة على اثاره ولاياتها لم
يجد على بك غضاضة فى ان يحصل على
حاجته عن طريق روسيا والاسطول الروسى.

وكتب على بك الى قائد الاسطول الروسى
فى البحر المتوسط وهو الكونت الكسيس
ارلوف Count Alexis Orlov مبدىا رغبته فى
عقد معاهدة تحالف وصداقة مع روسيا
«ووعده بكل ما يحتاج اليه جيشه واسطولة
من مئونة ومال إذا لزم، وطلب منه مدافع
للحصار ومهندسين. فرد عليه امير البحر
الروسى مهنا اياه ومشجعا له على حركته،
ووعدته بارسال طلبه فى الحال لعرضه على
جلالة القيصره، ثم شكره على ما عرض عليه

وتكلفت تلك الحملة كثيرا من الجهد والمال حتى اضطر على بك الى فرض مبالغ تدفعها كل مدينة بمصر. كما فرد اموالا على اليهود والاقباط «قبضت جميعها في اسرع وقت».

وبدأت الحملة سيرها برا في ديسمبر سنة ١٧٧١. وعندما وصلت غزة اتجهت إلى الرملة وصادفت طلائع حملة إسماعيل بك فانضموا إليها. وأخذوا الرملة ونابلس بعد حصار طويل. وعزم أبو الذهب على حصار بيت المقدس فخرج إليه حاكمها وكبير قضاتها ومثلوا بطريقها فقدموا هدية قيمة، وعرضوا عليه دخول المدينة دون قتال احتراماً لقدسيته فأجابهم إلى طلبهم.

ثم حاصر يافا فسلمت بعد شهرين، ولم يبق أمامه سوى احتلال دمشق حتى يصبح سيد سوريا الوسطى. وكان أبو الذهب كلما احتل مدينة يولى عليها حاكما من قبله يحكمها باسم على بك، ويترك بها حامية تشرف على الأمن والنظام، هكذا أمره سيده قبل الرحيل.

وفي تلك الأثناء كان عثمان باشا قد عاد من بلاد الحجاز وجهاز حملة جراحة قدرها بعضهم بمائة ألف مقاتل، على رأسها أربع باشوات من دمشق وحلب وطرابلس وصيدا ثم تقدم

يريد القضاء على الجيش المشترك. وتقاتل الفريقان في السهول الفسيحة الممتدة إلى الجنوب من دمشق. ولقى عثمان باشا من مرارة الهزيمة ما جعله يفر إلى دمشق ومنها شمالا إلى حمص.

أما أبو الذهب فتقدم لحصار دمشق دون أن يعلم بمغادرة عثمان لها. عند ذلك اسقط في يد أهلها وطلبوا من كبار العلماء التوسط لدى أبي الذهب فظهر لهم عزمه الأكيد على دخولها، وعرض عليهم الكتاب الذي زوده به على بك وهذا نصه:

«صدر هذا فرمان الجليل الشأن من ديوان مصر المحروسة العالی، دامت له المفاخر والعالی، بأمر من من به الكرم المنان على أهل هذا الزمان، فظهر العدل والآمان، وعم بالفضل والإحسان جميع أهل القرى والبلدان، وأرغم أنوف أهل الجور والطغيان؛ أمير الأمراء الكرام، كبير الكبراء العظام المختص بمزيد عناية الملك العلام أمير اللوای الشريف السلطانی، والعلم المنيف الخاقانی، الأمير على بك أمير الحاج سابقا^(٣٦) وقایمقام بمصر المحروسة حالا^(٣٧) دام عزه وبقاه آمین.

مضمونه حمد لبارئ النسم ومحیی الرمم،
الذى قدس وعظم قدر الحرم وبارك حوله
بجزيل النعم، وأمر بالعدل فى ساير الأمم،
وأوعد الظالم بالهلاك والنقم، القايل فى كتابه
المبين، والله لا يحب الظالمين، إن الله لا
يصلح عمل المفسدين، فلا تأس على القوم
الفاسقين: والصلاة والسلام على رسوله الأمين
سيد الخلق أجمعين، القايل وهو أصدق من
قال الضرر يزال. وعلى آله وأصحابه الذين
سادوا وشادوا الدين صلاة وسلاما دايمين إلى
يوم الدين.

وبعد مزيد السلام والتحيات، ونوامى الأمن
والبركات، وجزيل النعم والخيرات فى سائر
الأوقات والساعات إلى حضرات العلماء
العاملين، والفقهاء المحدثين المفتين بشريعة سيد
الانام، وقضاة الأسلام، وأرباب المناصب
والحكام. والأكابر والأعيان الكرام، والخواص
والعوام من أهل مدينة دمشق الشام، أعزهم
الله بنور العدل وأحكامه، وأجارهم من الظلم
وظلامه، وعاملهم بالطافة وأكرامه، وأفاض
عليهم جزيل انعامه أمين.

الذى يحيط به كريم علمكم وسليم فهمكم
أن الأمة لا تجتمع على الضلالة. وقد علمتم
مافعله عثمان باشا فى أرضكم، وفى غيرها
من الظلم والجهالة. وأنه قد تعرض للحجاج

والزوار وسلط عليهم الأشرار والفجار^(٣٨)
بالأذية والأضرار وظلم المسافرين والتجار.
وأذى أهل الأماكن الشريفة، وبذل أمن
الحرمين الشريفين باخيفة^(٣٩)، وتعدى حدود
الدين وصنع مالا يليق بالمسلمين. وقد قال من
لاتراه العيون «من يتعد حدود الله فؤلئك هم
الظالمون» ولما بلغنا عنه مابلغ وأنه فى إيذاء
الأرض المقدسة قد ولغ، فبادرنا لسوء فعله
بالنقض كما أزلنا فى العام الماضى من ظلمه
البعض^(٤٠)، وأردنا أن نظهر منه تلك الأرض
نصرة للدين وغيرة على المسلمين. وأعظم
القصد والأحتياج دفع ضرره عن الأرض
المقدسة والحجاج تبعاً للحديث الشريف:
ماحل يحرمكم حل بكم.

وبلغنا أيضا مافعل بالعلماء فى غزوة، وقد
أذاقهم الذلة بعد العزة، ودفنهم فى الأرض
بالحياة والحديث المقدس عن الإله، «من أذى
وليا فقد أذيته بالحرب» والعلماء لاشك أولياء
الله لقوله فى كتابه الأسمى «إنما يخشى الله
من عباده العلماء»، وإذا كنتم بذلك راضين،
وعلى رفع ضرره غير قادرين فنحن انشاء (أن
شاء) الله قادرين على إزالة ما هنا لك وقد
أفتتنا المذاهب الأربعة بذلك فاستخرنا الله،
وهو نعم الولي وسالناه أن ينصر دين محمد
بعلی. [يقصد هنا على بك] وصرفنا الهمة

والأموال في رضى الملك المتعال، ووجهنا
العساكر والأبطال ليرفعوا يد الظالم ويستردوا
المظالم ويحموا الديار والمعالم ويميزوا
العاطب من السالم.

والمقصود منكم ترك الظالمين والبعد عنهم،
ومن يتولهم منكم فانه منهم. وأن تجتهدوا
فيما يدفع الشرور ويوجب لكم الفرح
والسرور والغبطة والخبور وأمير الحاج الشامي
من طرفنا يتولاه، حفظا وصيانة لحجاج بيت
الله فتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الأثم والعدوان، والنصر من الكريم
الفتاح لمن طلب العدل والصلاح.

وها نحن قد أخبرناكم، وللمعاونة على الخير
قد اخترناكم، ومن قبول هذا الظالم في
أرضكم حذرناكم. فالعساكر قاصدة اليه
وجميع مآلديه، وقد سلط غضب الله
وسخطه عليه، فاحفظوا منه سائرا أموالكم
وأحوالكم ولا تدعوه يقيم في أرضكم وبين
عيالكم ورأى العلماء والأكابر أعلى. وأنتم
بالمعاونة على الخير أولى.

وعلى القريب منكم والبعد، والطارف والتلبد،
والأحرار والعبيد أمان الله ورسوله وأماننا
السعيد، والله يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد.
والخير يكون والصعب يهون بعون الله
والسلام.

وكان الرد على ذلك أن استصدر السلطان
فتوى باعتبار على بك وحلفائه وأنصاره بغاة
يجب قتلهم أو أعدامهم.

وأحدثت رسالة على بك الغرض لمقصود
منها. ودخل أبو الذهب دمشق في صبح يوم
٦ يونية ١٧٧١ دون أن تسيل قطرة واحد من
الدماء، وأرتدت حاميه المدينة إلى القلعة
وتحصنت بها، فحاصرها جيش أبي الذهب
وأضطرها إلى التسليم بعد ثلاثة أيام تحت تأثير
القنابل المتساقطة. ودخل ممثل على بك الكبير
دار الوزارة في دمشق وجلس حيث كان
يجلس ممثل السلطان العثماني. وأتت الوفود
من سائر الأنحاء تزف التهاني وبدأ الناس
يشعرون بنعمة الأمن والسلام.

وأرسل الأمير منصور الشهابي من جيل الدروز
هدية وخطابا يتقرب بهما إلى أبي الذهب
وكان ظاهر قد أوصاه خيرا بأمير لبنان^(٤١).

وتردد صدى النصر في القاهرة في ربيع الأول
من ١١٨٥ (١٧٧١) وأحتفل به على بك
احتفالا عظيما. وفي ذلك يقول الجبرتي
«ووردت البشائر بذلك فنودي بالزينة، فزينت
مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة
أيام بلياليها. وتفاخروا في ذلك إلى الغاية
وعملت وقفات وأحمال قناديل بشموع

مصر وسحب في طريق عودته جميع الحاميات التي كان قد أقامها في البلاد المفتوحة، وبدأ يحارب سيده وولي نعمته.

جمهرة المؤرخين تنسب هذا الانسحاب الى ابي الذهب نفسه. فمنهم من يرى ان ابا الذهب كان يدير من زمن طويل وسيلة للقضاء على على بك، وأنه في جميع خدماته السابقة لمولاه، سواء في القضاء على منافسيه أو في حملتي الحجاز والشام انما كان يعبد لنفسه طريق الحكم والسلطان عندما تنضج الثمرة وتسقط راس سيده. فلما دخل دمشق وأمره مولاه في نشوة السرور بالمضي في الفتح خشي فوات الفرصة فعاد لقطف الثمرة دون أى اكتراث لما يجب عليه نحور رب نعمته من اخلاص وولاء.

والمؤرخون الترك يرون أن ابا الذهب تبين له صدق نصيحة اسماعيل بك وتصادف قدوم «أمين الصرة» لبلاد الشام في ذلك الوقت، فاتصل به ورجاه كسب عفو الدولة بعد تقديم الاعتذار الكافي، وبذا حصل اباالذهب على وعد سلطاني بالعفو وشياخة البلد.

اما غيرهم فيقول بأن الباب العالي هو الذي نصح لعثمان باشا والى دمشق بالاتصال سرا بأبي الذهب، وبأن يستثمر مهارته السياسة في كسبه الى جانب العثمانيين. وفوض إليه ان

بالأسواق وسائر الجهات، وعملوا ولائم ومغنى وآلات وطبولا وشنكا وحرافات وغير ذلك...» الى أن قال «وتعاضم على بك في نفسه، ولم يكتف بذلك فارسل الى محمد بك يأمر بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التي فتحوها وملكوها».

ولا غرابة في ذلك فقد أصبح اباالذهب سيد سورية الوسطى والجنوبية يحكمها باسم استاذة على بك ولم يبق أمامه سوى الاستيلاء على حلب حتى يحتل سورية باجمعها. بل أن على بك في يونية ١٧٧١ كان في مركز يسمح له بأن يعلن نفسه «سلطانا على مصر وسورية» كما قرر ذلك قنصل فرنسا في صيدا.

ونشير إلا أن قناصل فرنسا في سورية الوسطى نقلوا محور نشاطهم السياسى من الآستانة الى القاهرة واصبح قنصل فرنسا في القاهرة يقوم لدى على بك بنفس الدور الذى كان يقوم به سفير فرنسا في الآستانة لدى السلطان العثماني.

ويعتبر هذا الحدث منتهى ما وصلت اليه قوة ونفوذ على بك، كما يمكن اعتبار ليلة ١٠ يونية ١٧٧١ بدء أفول نجمه، ذلك لأن محمدا أبا الذهب لم يلبث ان عاد سريعا الى

يَعِدُهُ بِاسْمِ السُّلْطَانِ بِالْعَفْوِ وَبِمَرْكَزِ صَهْرِهِ عَلَى بَكْ.

فَكَانَ أَنْ عَقِدَ مَجْلِسَ سِرِّ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ لِلرَّحِيلِ انْتَهَى بِخُرُوجِ الْعَدُوِّينَ صَدِيقَيْنِ بَلِّ حَلِيفَيْنِ.

هَذَا وَيَعْتَقِدُ الْمُؤَرِّخُ لِكُرُوى Lockroy أَنَّ عَثْمَانَ بَاشَا كَانَ يَحْتَفِظُ دَائِمًا بِبَعْضِ الْكُتَابِ الْمَاهِرِينَ فِي تَقْلِيدِ الْفَرْمَانَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَأَنَّهُ بِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ حَاوَلَ بِمَهَارَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ أَنْ يَعْوِضَ خَسَارَتَهُ الْحَرْبِيَّةَ فَقَابَلَ أَبَا الدَّهَبِ سَرَا وَأَغْرَاهُ بِمُحَارَبَةِ عَلَى بَكْ، وَوَعَدَهُ بِمَرْكَزِهِ، وَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَرَامَانًا سُلْطَانِيًّا مَزُورًا.

وَالرَّأْيُ الَّذِي نَأْخُذُ بِهِ هُوَ مَزِيجٌ مِنْ تِلْكَ الْآرَاءِ كُلِّهَا، إِذْ يَتَضَحُّ لَنَا مِنْ وَقَائِعِ الْحَالِ وَآرَاءِ مَنْ سَبَقَ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ عَثْمَانَ بَاشَا أَرْسَلَ يَطْلُبُ مَدَدًا مِنَ الدَّوْلَةِ حَتَّى لَا يَضْطُرَّ إِلَى التَّسْلِيمِ. وَلَمَّا كَانَتِ الدَّوْلَةُ عَاجِزَةً تَمَامًا عَنْ مُسَاعَدَتِهِ بِالْجُنْدِ وَالسَّلَاحِ فِي ذَلِكَ الْحِينِ، لَانْشَغَالِهَا فِي الْمِيدَانِ الْأَوْرَبِيِّ الرَّوسِيِّ، فَقَدْ أَمَدَّتْهُ بِسَلَاحِهَا السَّرِيِّ الَّذِي بَرَعَتْ فِي اسْتِخْدَامِهِ وَنَجَحَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ فَنَصَحَتْ لَهُ عَنْ طَرِيقِ «أَمِيرِ الصَّرَّةِ» أَنْ يَتَّصِلَ سَرَا بِإِسْمَاعِيلِ بَكْ لِيَسْتَشِيرَ مِيلَهُ إِلَى الْعَثْمَانِيِّينَ فِي كَسْبِ عَطْفِ أَبِي الدَّهَبِ، وَاثَارَةَ شَكْوَاكَ مِنْ جِهَةِ عَلَى بَكْ،

وَتَحْذِيرِهِ مِنْ انْتِقَامِ الدَّوْلَةِ عِنْدَمَا تَتَفَرَّغُ لِتَأْدِيبِ الْعَصَاةِ.

كَمَا أَنَا نَرْجَحُ أَنَّ الْإِشَاعَةَ الَّتِي رَاحَتْ قَبِيلَ الْإِنْسِحَابِ بِوَفَاةِ عَلَى بَكْ، إِنَّمَا ابْتَكَرَهَا أَبُو الدَّهَبِ نَفْسَهُ وَرَوَّجَهَا أَنْصَارُهُ بِقَصْدِ أَغْرَاءِ الْجُنْدِ عَلَى سُرْعَةِ الْعُودَةِ إِلَى مِصْرَ.

وَلَمْ يَكُنْ جُنْدُ ظَاهِرِ الْعَمْرِ أَوْ حُلَفَاؤُهُ الْمُتَاوَلَةِ بِأَقْلٍ دَهْشَةً مِنْ غَيْرِهِمْ لِانْسِحَابِ أَبِي الدَّهَبِ الْمَفَاجِئِ، وَعِنْدَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ ظَاهِرُ وَشَيْخِ الْمُتَاوَلَةِ نَاصِيفُ النَّصَارِ يَسْتَفْسِرَانِ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ رَدَّ عَلَيْهِمَا مَهْدَدًا مُتَوَعَّدًا.

وَكَانَ أَنْ ارْتَدَّ أَبُو الدَّهَبِ قَاصِدًا مِصْرَ فِي سُرْعَةٍ فَائِقَةٍ حَتَّى كَانَ يَخِيلُ إِلَى مَنْ رَأَاهُ أَنْ انْسِحَابَهُ فَرَارًا وَلَيْسَ بِتَقْهُقْرَاءِ، إِذْ كَانَ الْقَائِدُ يَتَخَلَّى عَنْ كُلِّ مَا يَعْوِقُ سُرْعَةَ تَقْدَمِهِ. وَبِذَلِكَ تَمَكَّنَ مِنْ دُخُولِ مِصْرَ بَعْدَ بَضْعِ سَاعَاتٍ فَقَطْ مِنْ وَصُولِ الْخَبَرِ إِلَى عَلَى بَكْ.

وَلَمْ يَدْهَشْ عَلَى بَكْ مِنْ قَبْلِ دَهْشَتِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَكِنَّهُ احْتَبَسَ دَهْشَتَهُ وَكْظَمَ غِيْظَهُ. وَمَا أَنْ دَخَلَ أَبُو الدَّهَبِ عَاصِمَةَ مِصْرَ حَتَّى أَفْضَى إِلَى أَسْتَازِهِ بِسَرِّ عُودَتِهِ، وَنَسَبَهَا إِلَى أَنَّ الْجَيْشَ الْمَمْلُوكِي لَاقَى مِنْ سُوءِ مُعَامَلَةِ ظَاهِرِ الْعَمْرِ وَجَيْشِهِ وَحُلَفَائِهِ مَا هَدَّدَ كِيَانَهُ.

والظاهر أن غرض أبي الذهب من ذلك كان مزدوجا ففيه تبرير لعودته من ناحية، ومن ناحية أخرى كان محاولة خيثة خلق العدواة والبغضاء بين علي بك وحليفه الوحيد ظاهر العمر.

نفى أبي الذهب إلى الصعيد:

أما علي بك فلم يأخذ الأمر على علته بل أرسل يستفسر من ظاهر فبعث له هذا بابنه عثمان ليوقفه بنفسه على ما حدث، وأمره أن يبقى بمصر برهانا على صدق الرسالة التي كلفه بها وأراد على بك أن يختبر صدق أبي الذهب وطاعته له فالح عليه في العودة إلى الشام واصر أبو الذهب على الرفض. عند ذلك تبين علي بك خيانة أبي الذهب وسوء نيته، ولكن «بقى الأمر على السكوت» كما يقول الجبرتي، ذلك لأن علي بك فضل أن يبقى ذلك الأمر سرا مكتوما حتى لا ينضم إلى أبي الذهب انصاره الذين كسبهم إلى جانبه في خلال حملاته في الحجاز والشام، وحتى يستطيع علي بك متى حانت الفرصة أن يقضى عليه قضاء مبرما، وأخيرا قرر نفيه إلى الصعيد.

فلما كان رابع أيام عيد الاضحى سنة

١١٨٥ (أوائل ١٧٧٢) أمر علي بك تابعة علي بك الطنطاوي أن يذهب في خاصة اتباعه إلى أبي الذهب فيبلغه أمر مولاه بنفيه إلى الصعيد. وأمره أن يشرف بنفسه على خروجه من القاهرة فصدع طنطاوي بالأمر، وامتثل أبو الذهب وفي ذلك يقول الجبرتي «وانقضى شهر شعبان ورمضان وعلي بك مصمم على رجوع محمد بك إلى جهة الشام وذلك مصمم علي خلاف ذلك. وبدأت بينهما الوحشة الباطنية. فلما كان رابع شهر شوال (١١٨٥ هـ - ١٧٧٢ م) بيت علي بك مع علي بك طنطاوي وخلافه واتفق معهم علي غدر محمد بك. فركبوا عليه ليلا وأحاطوا بداره ووقفت له العساكر بالأسلحة في الرواق فركب في خاصته وخرج من بينهم وذهب إلى ناحية البساتين وارتحل إلى الصعيد.

وكان علي بك قد أخذ الحيلة لنفسه فعين أيوب بك حاكما على جرجا، وكلفه سرا أن يحتال على أبي الذهب ويقتله عقب وصوله. ويخيل إلينا أن أيوب بك لشدة إخلاصه لعلي بك أسر إليه بما اتفق عليه البكوات مع أبي الذهب في الشام وهذا السر في أن علي بك عينه بالذات حاكما لجرجا وكلفه بتلك المهمة الخطيرة.

نجدة على بك لظاهر العمر:

وعز على بك ان يفك من يده نصر تكلف في سبيله كثيرا من الجهد والمال، فبادر بتجهيز حملة يتراوح عددها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ مقاتل بقيادة عبدالرحمن بك وسليمان كاشف ومصطفى جاوش أرسلها لمساعدة ظاهر وحلفائه بقصد استعادة سلطانهم على أملاكهم السابقة. أما صغر عدد الحملة فيعزى الى اضطرار على بك للاحتفاظ بمعظم جيشه في مصر بعد تغير موقف ابي الذهب نحوه. وقد وصلت تلك الحملة في الوقت الذي كان عثمان باشا يستعد للهجوم بالجيش الجرار الذي كونه من جنود دمشق وحلب وطرابلس وصيدا والقدس والدروز. وتلاقى الفريقان على ضفاف الأردن في اول سبتمبر ١٧٧٢ حيث منى الجيش العثماني بهزيمة ساحقة تفهقر عثمان باشا على أثرها قاصدا دمشق، بينما هزم المتأولة جيشا من الدروز بقيادة الأمير يوسف شهاب تحت اسوار صيدا كان يسرع لنجدة العثمانيين. وأخيرا سقطت صيدا في يد الحلفاء تحت الحكم المشترك.

وعاد الأمل الى نفس على بك ولكن افسد عليه تدبيره وصول الأخبار من الصعيد باستعداد ابي الذهب لدخول القاهرة.

نهاية على بك الكبير:

لم يكن من الهين على على بك ان يشاهد انهيار صرح أحلامه، فعزم على تأديب العاصي ورده إلى الطاعة الواجبة عليه نحو استاذة، فجهز تجريدة عظيمة أرسلها برا بقيادة إسماعيل بك واعقبها بالامدادات في النيل، ولم يدر على بك أن إسماعيل كان الورقة الرابحة الباقية في يد أبي الذهب ليستخدمها في الفرصة المناسبة. وكان أن فوجيء على بك بانضمام اسماعيل بك إلى أبي الذهب. وتقدم الجميع نحو العاصمة.

واتخذت الحركة شكلا جديدا، فلم تعد حركة مملوك انشق على سيده، وإنما أصبحت ثورة جامحة كغيرها من ثورات المماليك التي سبقتها والتي تلتها. انضم المماليك فيها إلى حزين أحدهما في الصعيد على رأسه محمد بك والآخر في القاهرة وعلى رأسه على بك.

يقول الجبرتي «ومنذ ذلك اشتد الأمر بعلي بك ولاحت على دولته لوائح الزوال، وكاد يموت من الغيظ والقهر».

واضطر على بك في آخر الأمر أن يلجأ إلى موضع ثقته على بك الطنطاوى فعينه على رأس حملة ثالثة أفرغ في تجهيزها كل جهده. وأمره بوقف سيل العصاة الجارف. ثم خرج بنفسه إلى البساتين، وعسكر هناك للأشراف

على تحصين الضفة الشرقية للنيل وانتظار النتيجة وإصدار التوجيهات اللازمة.

وتقدم الطنطاوى حتى لاقى طلائع أبى الذهب شمالى بنى سويف تجاه بياضة ومنى بهزيمة ارتد على أثرها فاشلا إلى مولاه. وتأكد على بك من عبث المقاومة فارتد إلى القاهرة وتحصن بالقلعة مع غروب الشمس. أما أبو الذهب فقد عسكر على الضفة الغربية للنيل تجاه بياضة. وعزم على بك أن يقاوم مستعصما بالقلعة ولكن عثمان بن ظاهر أقنعه بضرورة الالتجاء إلى عكا حيث يجد ظاهرا على أتم استعداد لامداده بالمال والرجال لاستعادة ملكه المسلوب، وبين له أن البقاء فى القلعة يسمح لعدوه بحصارها وقطع الامدادات عنها فيسقط فى يده حيا أو ميتا.

فرار على بك إلى الشام:

اقتنع على بك بصدق نصيحة عثمان وحكمتها وعزم على تنفيذها، فأمر رجاله بتجهيز ماله ومتاعه الخاص والاستعداد للرحيل. ثم أرسل أمرا إلى المعلم رزق وهو المتصرف فى شئون المالية المصرية باحضار ما بالخزينة من مال. ولكن رزق كان قد اختفى.

ولم ينس على بك أن يرسل سفيره يعقوب الأرمنى إلى امير الاسطول الروسى الكونت

أرلوف Count Alexis Orlov يخبره بما حدث، ويعزمه على التوجه إلى سورية، ويرجوه أن يرسل إليه هناك مددا من الجنود والمدافع والخبراء يستعين بهم على العودة إلى مصر. وكانت هذه هى الرسالة الثانية من على بك إلى أمير البحر الروسى.

وفى ليلة ١٢ أبريل ١٧٧٢ (٢٥ المحرم ١١٨٦) غادر على بك مدينة القاهرة وكان ضمن بطاقته عثمان بن ظاهر، والتاجر اليونانى سوفير لوزنيان كرزموبوليتس وقد كتب هذا الأخير يصف خروج على بك فقال: «أما عدد من تبعه من المقاتلة فلم يكن يتجاوز سبعة آلاف رجل من الخيالة والمشاة. وقد لزم ست وعشرون بعيرا لنقل ماله وثيابه. أما ثروته الخاصة فكانت تقدر بثمانمائة ألف محبوب نقدا، والباقي مجوهرات تقدر قيمتها بثمانية ملايين من الدوقات. وغادر مصر فى مساء ١٢ أبريل ١٧٧٢ وجد فى السير حتى لا يلحق به أبو الذهب... وفى اليوم الثالث والعشرين من الشهر وصل قرب مدينة حيفا وعسكر فى السهل التى يشرف عليها جبل الكرمل»^(٤٢).

أما أبو الذهب فقد دخل القاهرة فى صباح الخميس ١٣ أبريل ١٧٧٢ (٢٦ المحرم ١١٨٦) بعد أن غاب عن القاهرة سبعين يوما. وكان أول أعماله أن أمر بالقبض على من عرف

بميله إلى علي بك، وأعدم عبد الله كتحدا الباشا. وأمر بإبطال النقود التي عليها اسم علي بك ثم أرسل يبشر الباب العالي بما وفق إليه. وكان ذلك موجبا لزيادة الممنونة.

كفاح علي بك في الشام:

وفي تلك الأثناء كان عثمان باشا قد عاد إلى دمشق، وتقدم بجحافله لحصار صيدا يحاول استردادها من يد الحليفين، علي بك وظاهر العمر. وكان الأمير منصور الشهابي صديق ظاهر قد تنازل عن ولاية الدرروز إلى ابن أخيه الأمير يوسف الشهابي وهو الموالي للعثمانيين.

وكان علي بك قد عزم على البقاء في انتظار وصول النجدة الروسية. ولكن عندما علم بتهديد العثمانيين لصيدا بادر هو وحليفه إلى إرسال جيش مشترك من المماليك، وعلي رأسهم علي بك الطنطاوي، والصفديين والمتاوله وعلي رأسهم علي بن ظاهر والشيخ كريم صهره، ورغم تفوق الجيش المحاصر للمدينة على الحامية المصرية فقد تمكن المماليك وحلفاؤهم من هزيمة العثمانيين الذين ارتدوا سريعا إلى دمشق. وعاد الجيش المصري إلى معسكر علي بك انقاذ صيدا.

ولم يشأ علي بك - وقد شجعه هذا النصر، وأعاد إلى نفسه بصيصا من الأمل المفقود - أن ينتظر حتى تصله النجدة الروسية، فعول علي تطهير الطريق إلى مصر حتى إذا ما وصل المدد الروسي تقدم مباشرة فدخل القاهرة.

ورحب ظاهر بتلك الفكرة وانضم إلى علي بك بكامل قوته ومعه أولاده وحلفاؤه المتاوله. وتقدم الجيش المشترك، وبدأ بحصار يافا في منتصف أغسطس ١٧٧٢، وزود ظاهر الجيش المحاصر بما يحتاجه من ذخيرة ومئونة وعتاد عن طريق البحر بسفن أفرغت حمولتها شمالي يافا ثم أوصلتها الجمال إلى معسكر علي بك.

وكان حسن باشا حاكم صيدا السابق - شقيق مصطفى باشا حاكم نابلس المعادي للمصريين - قد اختزن في يافا قدرا وافرا من الزاد والعتاد فرفض التسليم وركن إلى الدفاع واحباط خطط المحاصرين.

وأخذ علي بك يضيق الحصار على يافا شيئا فشيئا في نظام محكم، فاحاط بالبلدة في شكل دائري تعسكر علي محيطه جماعات من المقاتلة، بين كل جماعتين منها مائتا يارده تقريبا، أما كل جماعة فكان قوامها مائتين من الجند وعلي رأسهم أحد البكوات^(٤٣). ثم نصب علي بك بطارية للمدافع تجاه باب

المدينة الشرقي، تتألف من مدفعين جديدين زنة قبيلتهما اثنا عشر رطلا، عهد بقيادتها إلى عبد الرحمن أغا^(٤٤). وعززها ببطارية أخرى تتألف من مدفع نحاس من عيار ١٦ بوصة تزن قبيلته ١٦ رطلا.

ورغم وطأة الحصار فإن المدينة صمدت للمهاجمين، ذلك لأنها كانت تمون من البحر. وطال الحصار فارسل على بك تجريدة فتحت غزة ودخلت الرملة واللد بغير قتال ثم عادت إلى حصار يافا. واحكم الحلفاء الحصار، وبدأ المدافعون يشعرون بوطأة الجوع والحاجة الماسة إلى الوقود. لذلك استعاضوا عن القمح بالأرز وأخذوا يتسللون في ظلام الليل، يقطعون أشجار الفاكهة التي تحيط بالبلدة لاستخدامها كوقود، ولم يجد على بك بدا من اتخاذ الحزم، فأمر رجاله بقطع تلك الأشجار ليحرم أهل يافا من بعض مصادر تموينهم.

وأخيراً وصل ذو الفقار بك في منتصف سبتمبر على سفينة روسية ترفع العلم الانجليزي يقودها الكابتن براون Captain Browne ومعه يعقوب الأرمني سفير على بك الذي كان قد أرسله إلى أمير البحر الروسي قبل قيامه من مصر. وجاءت السفينة تحمل النجدة الروسية التي كانت تتألف من ضابطين

روسيين، ومعهما بعض الهدايا، وخطاب من الكونت أرلوف إلى على بك - ولما قدمها ذو الفقار إلى على بك نالا شرف تقبيل يده: أولهما الكابتن كلنجلينوف Cap. Clinglin-off من الفرسان والثاني اللفتانت سيرجي بلستشوف S. Pleschoff وكانت الهدية تتكون من ثمان قطع من الحرير المطرز بورود صيغت بالذهب وأسلاك الفضة، وثلاثة مدافع للميدان من النحاس زنة قبيلتها أربعة أرطال، وسبعة بنادق جيدة المعدن مع خمسمائة طلقة وثلاث جرارات للمدافع حديثة الصنع.

وأما الرسالة فكانت من الكونت أرلوف إلى على بك مكتوبة باللغة الروسية في إحدى وجهيها، وبالايطالية في الوجه الآخر. وقد ترجمت إلى على بك بالتركية فكانت تتضمن وعودا بالنجدة السريعة.

ولاقى الضابطان الروسيان من كرم على بك ما جعلهما يقبلان على العمل بهمة فائقة، وهكذا أقيمت بطارية ثالثة جنوب يافا، على بعد مائة ياردة من أسوارها، تتألف من ثلاثة مدافع زنة قبيلتها اثنا عشر رطلا قادها الكابتن كلنجلينوف وأصلى الأسوار نارا حامية صدعتها على الأثر.

ولكن سوء حظ هذا الضابط جعله يوقف

الشفالية ريزو Ch. Rizo إلى ذى الفقار بك واقتصرت رسالة الكونت كالعادة عن التحيات والتمنيات والوعود الخلابية بالمساعدة العاجلة.

وساهمت قطع الأسطول في ضرب يافا من البحر. ولكن الظروف الجوية اضطرتها إلى مغادرة يافا والعودة إلى قواعدها.

وسلح ظاهر بعض السفن وأرسلها لقطع خط التموين البحرى من مصر. فاضطر حسن باشا حاكم يافا أن يفر ليلا إلى أخيه حاكم نابلس. وتمكن الحلفاء من دخول يافا فى أول فبراير ١٧٧٣، بعد انسلاخ ثمانية أشهر على حصارها. وبسقوط يافا اختتم على بك أعماله الحربية بفلسطين ونشط يستعد للعودة إلى مصر.

أوعز أبو الذهب إلى بعض البكوات الموالين له، وبعض ضباط الفرق، من غير فرقة اليكيجرى أن يكتبوا إلى على بك يستنجدونه ويستغيثون به من ظلم أبى الذهب وقسوته ويدعونه إلى دخول مصر^(٤٦). أشار إلى ذلك الجبرتى بقوله «وتحرك على بك للرجوع إلى مصر، وجيش الجيوش فلم يهتم المترجم - أبو الذهب - لذلك وكاد له كيدا بان جمع القراصنة والذين يظن فيهم النفاق وأسر إليهم أن يرأسوا على بك، ويستعجلوه

الضرب، ويطل برأسه من شق فى السور ليرى مبلغ ما سببته قنابله للسور من تلف، فاطلقوا عليه النار من الداخل وأردته رصاصة استقرت فى صدره.

واغتم على بك لوفاته، وانتهاز الفرصة للشار فطلب من الكابتن براون أن يعيره ثلاثة من مدافع السفينة الروسية - زنة قبيلتها ٦ أرطال - فاجيب إلى طلبه وعززت تلك المدافع البطارية الشمالية الشرقية التى يقودها خليل بك ولطيف بك. ورغم تصدع الأسوار لاقى المهاجمون فى هجمتهم الثالثة دفاعا مجيدا جعلهم يرتدون بعد خسارة كبيرة فى الأرواح.

وطالت مدة الحصار فأثر الضابط الروسى أن يرتحل عائدا بسفينته. وزوده على بك برسالة شكر للكونت أرلوف، وأخرى للقيصرة يرجوها العون والمدد وكانت تلك هى الرسالة الرابعة من على بك للقائد البحرى الروسى^(٤٥).

وفى منتصف ديسمبر جاءت بعض قطع الأسطول الروسى إلى بيروت لتسلم الجزية المفروضة. ومرت فى عودتها بيافا، وجاء قائدها الشفاليه بنايوتى الكسيانو Chev. Panagioti Alexian يحمل رسالة من الكونت أرلوف إلى على بك وأخرى من

فى الحضور وينمقوا له مساوىء المترجم ومنفرااته، ويعدوه باخامرة معه والقيام بنصرته متى حضر وأرسلوها إليه بالشريطة السرية^(٤٧) فراج عليه ذلك واعتقد صحته، وأرسل اليهم بالجوابات وأعادوا له الرسالة كذلك باطلاع مخدمهم وأشارته.

واغتر على بك بتلك الرسائل، والح على ظاهر فى العودة. وطلب منه مالا لتجهيز الحملة، وادعى أنه ليس فى حاجة إلى عدد كبير من الجند «لأنه حضر لى مكاتب من سناجق مصر، وكلهم معى يدا واحدة على محمد بك، وعرفونى أنه حالما تظهر اعلامى لهم حيث هم فى الصالحية ينضمون إلينا متحدنين معنا».

وعاد على بك إلى مكاتبه البكوات فردوا يؤكدون ويقسمون. وأخيرا عاد سليمان كخيا من سفارته إلى الكونت أورلوف دون أن يصحب مددا، وكان المعلم رزق قد ظهر بعد غيبة طويلة واعاده سيده إلى خدمته وراح يؤكد لعلى بك أن ساعة الرحيل قد دنت.

وبدا تحرك الجيش من يافا فى أوائل مارس ١٧٧٣. وكان الجيش مكونا من ممالك على بك وجند الشيخ ظاهر من الصفديين وعلى رأسهم على ابنه وكريم صهره، ثم ثلاثة آلاف من المغاربة المرتزقة، وكان عدد الجند جميعا لا

يتعدى ثمانية آلاف رجل بين راكب وراجل. وتمر الجيش فى طريقه بغزة فى أواخر مارس، ثم خان يونس فى مساء ٤ أبريل (١١ المحرم ١١٨٧) ثم تقدم إلى الصالحية بعد أن استراح يومين فوصلها فى ١٩ أبريل. وهناك التقى جيش على بك بطلائع جيش أبى الذهب، ورغم تفوقه فى العدد على جيش على بك فإن المعركة لم تستمر سوى أربع ساعات انسحب الجيش المدافع على أثرها بعد أن منى بهزيمة كبيرة وخسارة فى الأرواح وتمكن على بك الطنطاوى من الاستيلاء على الصالحية.

واسقط فى يد أبى الذهب ولكنه لجأ إلى الحيلة والخديعة، فجمع ذوى الحشية من رجال القاهرة وأثار فيهم روح الجهاد دفاعا عن الدين متظاهرا أمامهم بمظهر المدافع عن الحريات والعقيدة الدينية قائلا «لقد احطت علما بالدعوة التى وجهها بعضكم إلى على بك. أما أنا فإنى (بيك) مثله وحيثما ذهبت فيمكننى أن أحتفظ بهذا الشرف: ولكنى أرى لزاما على قبل مغادرة هذه البلاد بصفتى مسلما قوى الإيمان، أن أخبركم بأن على بك الذى تحسبونه سيحكمكم خيرا منى إنما هو حليف الروس الملحددين وسيستقدم جيشا أوربيا كبيرا يحله بينكم. ومما يزيد الطين بله

ونهض أبو الذهب متظاهرا بالانصراف فمنعه الجميع معلنين في وقت واحد عزمهم الأكيد على الاستشهاد في ساحة الجهاد، واستغل أبو الذهب فترة ذلك الحماس فأعلن في المدينة أن كل «من أحب دينه ووطنه فليقدم إلى حمل السلاح».

معركة الصالحية وأسرى على بك:
وبذلك تمكن أبو الذهب من جمع جيش كبير سيره للقاء على بك بالصالحية، وبقي هو بالعادية. وكتب القنصل الفرنسي بالقاهرة المسيو داميرات يقول في ابريل ١٧٧٣ «أن زعماء البلد يشيرون الآن حربا دفاعية، والجميع يتطلعون إلى نتيجة ذلك الكفاح».

ولما سمع على بك تلك الأخبار السيئة أثرت في نفسه تأثيراً سيئاً، زاده سوءاً شدة تعبته وقسوة حرارة الجو فوق وقع تحت براثن الحمى. ورغم وطأة المرض كان على بك يصمم على أن يشرف بنفسه وهو جالس عند باب فسطاطه على تدريب جنوده اليومي.

وصف التاجر لوزيان التقاء الجيشين فقال «وبدت طلائع جيش أبي الذهب في اليوم الثالث عشر من شهر ابريل. ورغم قلة عدد

أنه في قلبه يميل إلى المسيحية أكثر من الإسلام، ولكم أن تثقوا بقولي أنه بمجرد أن يتمكن هؤلاء النصاري من أرضكم سيغتصبون أموالكم ويستحيون نساءكم وبناتكم، وأخيراً سيجبرونكم على تغيير دينكم. وإنني لأرجو مخلصاً أن تثقوا في قولي حتى لا نقع فيما وقع فيه اخواننا مسلموا الهند. فعندما ظهر الأوروبيون لأول مرة على ساحل ملبار سالتهم طوائف السكان وعاملوهم معاملة كريمة. إذ كانت دعواهم أنهم جاؤا بقصد التجارة، ولما سمحوا لهم بمزاولة تلك الحرفة الشريفة، بدأوا يستقرون ويقىمون المنشآت باسم المصانع، وتدرجوا حتى أصبحوا حكاما للهند وراحوا يفتصبون الأموال وينتهكون الأعراض، بل أنهم فعلوا ما هو أفظع من ذلك... أنهم بشروا بالدين المسيحي بين فريق المؤمنين من اتباع الرسول الأمين.

ويمكنكم الآن أن تتصوروا ما سيفعله أولئك الأوروبيون متى قدموا إليكم وعلى رأسهم رجل كعلى بك، أيها المسلمون الموحدون... اعينوني على طرد عدو بلادكم وعدو شريعتكم، ولا فتحمّلوا كل الشرور التي يعانيتها أخوانكم في الهند، والآن اعتقد أنني أديت واجبي كمسلم ولكم الخيرة بيني وبينه.

جيشنا (جيش على بك) إلى حد كبير فانه كان قد نظم تنظيمًا محكمًا لملاقاة العدو.. فعهد بقيادة جناحنا الأيسر إلى الشيخين على وكريم، وبقيادة الجناح الأيمن إلى الطنطاوى والبكوات الآخرين، بينما جعل المشاة فى القلب، وبدأت المعركة فى الساعة الحادية عشرة صباحًا على وجه التقريب. وصادف طنطاوى توفيقًا فى الهجمة الأولى، ولكن على وكريم لم يكونا كذلك. ورغم هذا فقد لاحت تباشير النصر إلى جانبنا. ولكن انضم مشائنا الخسوة المفاربة إلى جيش العدو، وعم الفرع. أما طنطاوى فقد أحيط به واستشهد، ولاقى على نفس المصير، ولما رأى الشيخ كريم مقتل أخيه ومعظم جنده فرع نحوى مع الشيخ حسن، ووصل ثلاثنا إلى فسطاط على بك بصعوبة كبيرة. وما أن رأنا حتى قال فى لهفة: ما الخبر؟ فأجاب كريم، والدموع تنهمر من مآفية، إننا قد فقدنا كل شىء، وأنه ينبغى ألا تضعى الفرصة. ثم عرض عليه أن يمتطى صهوة جواده حتى نفر إلى غرة.

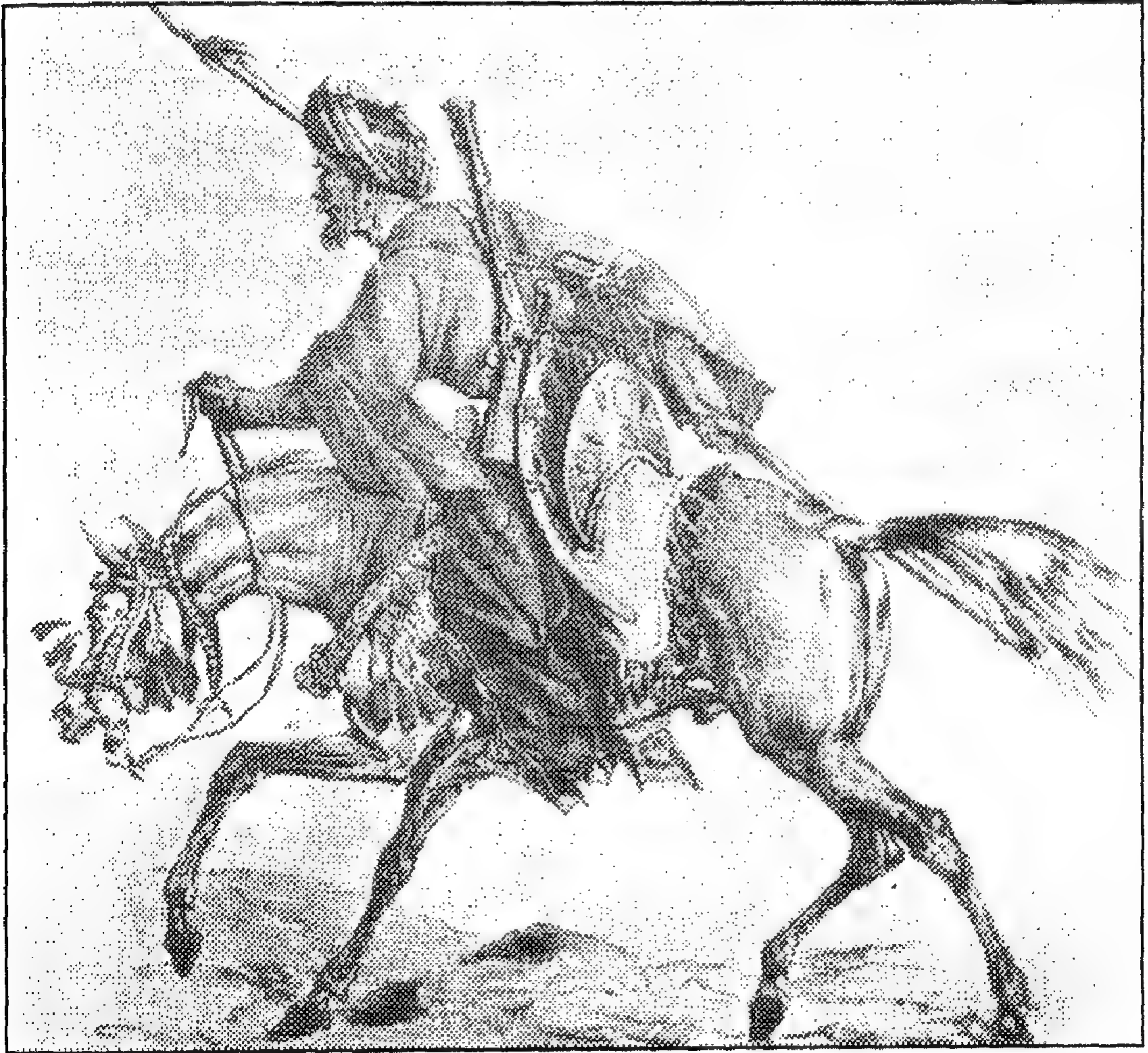
ولكن على بك ظل جامدًا صامدًا، وقال بلهجة اليقين أنه يفضل الاستشهاد على العودة، وبينما نحن كذلك أقبل رضوان بك.. وعندئذ سمح على بك بالفرار لكل من أراد

النجاة قبل أن يقترب العدو. فصدعنا بالأمر واستأذناه فى الرحيل... وكانت الساعة حوالى الرابعة مساءً، ولما وصل لوزنيان إلى غرة تبعه بعض من فروا فى مساء يوم الموقعة ووصفوا له خاتمة على بك فكتب يقول «وبعد رحيلنا بقليل هجم كخيا أبو الذهب ومعه حوالى الثلاثين رجلاً على فسطاط على بك، واقتحموا بابه رغم مقاومة عشرة من مماليكه قتل وجرح فى أثنائها بعض المهاجمين، ولما أحاطوا بعلى بك فرع رغم مرضه إلى سيفه فشهره الدفاع عن نفسه وصرع أول قادم بضربة واحدة وجرح اثنين آخرين. وعندما تبين المهاجمون جرأة المدافع عن نفسه أطلقوا عليه النار فأصيب ذراعه الأيمن وابهامه بطلقتين، ولكنه لم ينفك يقاوم وأطلق النار عليهم بيده اليسرى فجرح الكخيا، ولكنه خر على الأرض طريحاً بعد أن أصابت يده اليسرى طعنة سيف فحملوه جريحاً أسيراً إلى فسطاط أبى الذهب.

واتفقت روايات المؤرخين على أن خيانة المرتزقة من مشاة المفاربة كانت العامل الأساسى فى هزيمة الصالحية، وهى أهم المواقع الثلاثة الحاسمة فى تاريخ على بك. وقد أكد المؤرخون دور الخيانة الذى قام به مراد بك فانه قاد جيش استأذه أبى الذهب

وسادت البلاد الفوضى والاضطراب واستبدت
السلطنة العثمانية والمماليك بالمصريين مرة
أخرى، ولم تحقق السلطنة العثمانية من عودة
نفوذها إلا الخراب وعودة تلاعب الأمراء
المماليك بالسلطة والنفوذ، وهذا هو موضوع
الجبرتي في الجزء الثالث*.

بعد أن وعده بمستولدة على بك الفائقة
الجمال واسمها نفيسه وتلقب بأم المماليك،
وكان مراد مولعا بحبها فاجتهد حتى
كتب النصر لابي الذهب.
وبإنتهاء سلطة على بك الكبير، توقف
مشروعه وعادت مصر إلى حالتها السابقة



* اعتمدت هذه المقدمة على كتاب «على بك الكبير»
تأليف: محمد رفعت رمضان دار الفكر العربي . القاهرة
١٩٥٠.

(١) ولعل هذا هو مشروع كل القبائل الرعوية فى الشرق الى هاجرت من اراضيها الاولى الفقيرة إلى الاقطار الزراعية المستقرة المجاورة لها، منذ الهكسوس والعبرانيين وبدو غرب آسيا (العرب) حتى التتار والمغول والسلاجقة والمماليك والترك والتي ذابت فى البلدان المجاورة لها ولم تتمكن من تأسيس أى دولة مستقرة بسبب تخلف عقيدتها الرعوية التى أتت معها وعدم قدرتها على تأسيس نظام اقتصادى سياسى يستوعب حضارات البلدان التى احتلتها.

(٢) فى التاريخ القديم للقبائل التركية كان الحكام الذين يقودون البطون القبلية منتخبين، ولم تكن مناصبهم تورث لابنائهم، غير ان هذا الوضع تغير شيئا فشيئا، وحل محلهم أن يصبح رئيسا من استطاع ان يقود مجموعة من العشائر أو البطون فى غارات منتصرة جلبت الغنائم. وصارت أسرة هذا القائد تراث امتيازاته ومركزه واحاطت بنفسها بنوع من الحرس الشرفى الخاص وامتلكوا الاراضى القابلة للزراعة، فاطلق على الفرد منهم اسم «طره خان»، أى سيد الحرث (حرف هذا اللفظ فيما بعد الى طرخان).

(٣) صارت العائلات الارثوذكسية فيما بعد تدفع بابنائها طوعية إلى الخدمة السلطانية بسبب الفقر الشديد الذى كان تعالیه، ورغبة منها فى وصول اولادها الى المراكز العليا فى سلك الخدمة السلطانية، بل ان الرعايا المسلمين الفقراء دفعوا باولادهم الى نفس المصير طمعا فى هذه المزايا.

وقد أثرى من ذلك تجار العبيد بشكل اساسى فقد باتوا فى مرحلة تالية ولمواجهة الطلب المتزايد للسلطنة على هؤلاء الفتيان، يقومون بجمعهم وتوريدهم من مختلف البلدان الواقعة تحت يد السلطنة العثمانية.

(٤) الدوشرمة: وتعنى ضريبة الدم. كان هؤلاء العبيد بعد أخذهم صغارا يفرض عليه تدريب صارم من الناحيتين العقلية والجسدية، فكان أكثرهم استعدادا فى اللياقة العقلية والجسدية يختارون بمثابة «ايچ او غلانات» - جمع ايچ أو غلان أى غلمان البلاط - ثم يفرض عليهم تدريب خاص فى أحد قصور السلطان القديمة فى بروسه وأدرنه أو فى مدارس خاصة فى «غلطة» واستانبول ذاتها. وإلى جانب الايچ او غلانات كان هناك جزء آخر من هؤلاء العبيد يطلق عليه اسم «عجمى او غلان»، ومعناها الحر فى «الغلمان الاجانب»، وكانوا يدرّبون تدريبا قاسيا حتى يعودوا على قوة الاحتمال، وكان الذين لا يستطيعون منهم تكلم اللغة التركية يوضعون أولا فى خدمة عسكر السباهية الاقطاعيين فى الاناضول، ثم ينقلون بعد ذلك الى استانبول حيث يعاد اختبارهم بدقة، ثم يعينون لمهام مختلفة طبقا لقدراتهم ويصبحون بشكل مؤقت من هيئة القصر الامبراطورى، ثم يؤخذ عدد منهم إلى أوجاق «الجبهه چيه» أى صانعى الاسلحة وصيانتها، وبذلك يدخلون الى الجندية، كما يعين آخرون من العجمى او غلان فى أوجاق البحرية فى كل من العاصمة

وغالبولي، وهذا ما انتهى إليه أحمد البوشناقى - أحمد باشا الجزار والى عكا فيما بعد - فى فترة حياته الاولى بعد بيعه على يد تاجر العبيد. ومع ذلك فإنه يبدو ان آخرين منهم كان يؤجر لبعض القادرين من اصحاب المناصب بمثابة فعلة وخدم خاص - كما حدث لأحمد البوشناقى عندما ألحق بخدمة على باشا حكيم أوغلى وانتقل معه إلى مصر - ولكن مصير معظمهم كان الانخراط فى سلك المشاة الثابتين، أى فى فرقة الانكشارية المشهورة.

(٥) يقول هاملتون جب وهارولد بوين فى كتابيهما «المجتمع الاسلامى» والغرب ص ٦٤، من سوء الحظ ان نضطر الى استعمال كلمة «عبيد» للإشارة الى اشخاص بهذا الوضع - فقد وصل بعضهم الى رتبة الباشا وحكم بعض الولايات - إذ هى كلمة غير مناسبة فى كل الأحوال. فالعبيد فى الاسلام متاع - أو كانوا متاعا - لساداتهم الذين كانت لهم عليهم حقوقا مطلقة، ولكن من النادر ان عبوديتهم تضمنت اية صرخة اجتماعية، إذ لم تكن ثمة تفرقة بين أبناء الجوارى المولدين لسيد حر وبين أبناء الامهات الاحرار. ومعظم الخلفاء العباسيين فى بغداد، وكذلك الاسر الحاكمة الاخرى التى تقل عنهم شأنًا، كانوا من أبناء الجوارى، وهذا هو ايضا شأن كل السلاطين العثمانيين منذ أواسط القرن الخامس عشر - فيما عدا مراد الثانى ومحمد الثانى فقد تزوجا اميرات. زد على ذلك ان التاريخ الاسلامى قدم أمثلة

عديدة لأسرات حاكمة من العبيد اشهرهم اسرات السلاطين المماليك فى مصر والعراق والشام. والمصيبة الكبرى ان هذا النظام قد تمخض عن ابعاد كل رعايا السلطنة الاحرار المسلمين عن هذه المناصب العليا وسقطت فى ايدي عبيد السلطان والمرترقة منهم الذين مثلوا فيما بعد احد اسباب انهيار السلطنة بسبب تمرداتهم عليها ورفضهم لأى إصلاحات على المستوى العسكرى أو الإدارى. (٦) فى الوقت الذى استقل فيه على بيك الكبير بمصر (١٧٦٨ - ١٧٧٢)، واستبد «ظاهر العمر» بفلسطين، واحتكر «ال عظم» السلطة فى ولاية الشام منذ أوائل الثامن عشر حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر، وكون «ال الجليلى» أسرة حاكمة فى الموصل (١٧٢٦ - ١٨٣٤)، وشابهم «حسن باشا» فى بغداد والبصرة فى النصف الاول من القرن الثامن عشر، ثم استولى المماليك على الحكم فى الولاياتين حتى ١٨٣١ وأخيرا أسرة «القرمانلى» فى طرابلس الغرب (١٧١١ - ١٨٣٥). فى هذه الظروف استبد الجزار كذلك بحكم ساحل الشام وفلسطين لمدة تزيد على الثلاثين عاما.

(٧) فى هذه الظروف المتهالكة للسلطنة العثمانية وعدم قدرتها على مواجهة الاطماع الاوروبية واطماع الفئات العسكرية والدينية. كان حكام الولايات ينهبون إيرادات ولاياتهم دون ان يرسلوا أى منها للخزانة السلطانية حتى أنه

كانت تفوق في الكمية والانتظام ما كانت السلطنة العثمانية تحصل عليه من الإيرادات الرسمية المقررة وكان ذلك يمثل خطيرا في إيرادات السلطنة.

(٨) الإبادة أو الإبازة أو أباسيه. جنوب جبال القوقاز. اعتق أهلها المسيحية في القرن الرابع الميلادي ثم أسلموا. خضعوا للدولة البيزنطية ثم للفرس والجراكسة ثم العثمانيين ثم لروسيا سنة ١٨٢٤م.

(٩) نوسا الغيط: مركز أجا/دقهلية.

(١٠) وقلقه تحريف العربية خليفة وهو الوكيل أو معلم الصنعة أو الكاتب ذو مرتبة رئيسية. وباش قلغة معناها هنا ضابط حسابات أفندية الروزنامة، يقيد جميع إيراد مصر ومصروفاتها، ويحتفظ بسجل مال الكشوفية، ويعطى سندا إلى الملتزمين عندما يدفعون الميرى - والزعيم أى والى القاهرة وهو رئيس شرطتها، ولكنه تحت رئاسة آغا اليكيجرية.

(١١) فرض على الأقباط ١٠٠,٠٠٠ ريال، وعلى اليهود ٤٠,٠٠٠ قبضت بسرعة.

(١٢) ينبغي أن نفرق بين مال الكشوفية وهى نفقات الإدارة المحلية، وميرى مال الكشوفية وهو ما يدفعه الكشاف للحكومة.

(١٣) شاع فى عهد على بك تسمية الميذى بالبارة.

(١٤) كانت المبالغ الكبيرة تقدر بالاكياس، والكيس المصرى قدره ٢٥,٠٠٠ ميسدى أو نصف فضة أو بارة ولم تكن النقود الذهبية شائع الاستعمال إلا للتهادى.

فى مصر التى كان يتبارى باشاتها فى زيادة الارسالية المالية للخزانة السلطانية، والتى حددها قانوناه مصر بـ ١٦ مليون بارة عام ١٥٣٤م، وزادها خسرو وباشا (حكم مصرين ١٥٣٥ - ١٥٣٦)، إلى ٢٠ مليون بارة ثم بلغت ٣٠ مليون بارة فى عهد ابراهيم باشا (حكم مصرين ١٦٦٠ - ١٦٦٣)، عادت وانكمشت إلى ١٩ مليون بار، ولم يعد الامر يقتصر على انقاصها فقط، بل تعداها إلى عدم ارسالها كلها نقدا، بل كان جزء منها يرسل على شكل إيصالات «تمسكات» على أمراء الممالك كان من النادر سدادها. وتطور الامر بعد ذلك إلى تأخر إرسالها، فخزينة عام ١٧٤٠ لم ترسل إلى فى عام ١٧٤٤، وكان المبلغ الواجب إرساله هو ١٨,٥١٢,٩٩٩ بارة فأرسل منه ٣,١٩٥,٦١٢ بارة فقط، أما الباقي فأرسل بدلا منه إيصالات على الأمراء الممالك، ناهيك عن التلاعب والمبالغة فى رصد المصروفات من هذه الاموال السلطانية، ويكفى أن نذكر هنا أن متوسط مصروفات الحج الذى كان فى القرن السابع عشر حوالى ٥٤٠ ألف بارة سنويا ارتفع إلى حوالى عشرة ملايين بارة سنويا فى القرن الثامن عشر، كما يكفى أن نذكر هنا أن مراد بيك وابراهيم بيك تأخر عليهما من مال السلطان حوالى ١٠٣ مليون بارة، بالإضافة إلى تصرفهما فى مال «الحلوان» وكان من أهم موارد الخزانة السلطانية التى تأتىها من مصر حتى أنها

(١٦٨٠) كانت حوالى ١٤٧,٥٨٨ جنيها
مريا تقريبا إلخ انظر الامير عمر طوسون . مالية
مصر ١٠٨ - ١١٥ .

(١٩) جمرك البهار للبضائع الواردة الى السويس
وهى فى الطريق بين القاهرة والسويس ، وأمين
البحرين هو المشرف على ساحلى بولاق ومصر
القديمة ، وأمين الخردة هو المشرف على جميع
الرسوم المفروضة على الملاهى .. إلخ .

(٢٠) الريال = ٩٠ فضة أو بارة تقريبا وقد بلغ
١٦٠ فضة قبل الاحتلال الفرنسى .

(٢١) فرمان باشوى بتاريخ ١٤ رمضان ١١٧٥ -
دفتر قيد الفرمانات الصادرة من الباب العالى
مخرودة مصر . رقم ١ ص ١٤٢ مخزن تركى .

(٢٢) ذكر الرحالة بيرى Perry Part عدد
الأوجاقات حوالى سنة ١٧٤٠ : من ٦ - ٧
آلاف يكيجريان ، ٣ - ٤ آلاف عزبان ، ألف
متفرقة ، ألف جاوشان ، ٥٠٠ لكل من الفرق
الثلاثة الأخرى .

(٢٣) دفتر جرایة وعلیق خدمة الديوان سنة
١١٧٤ رقم ٥٥/٦٢ مخزن تركى ص ٤

(٢٤) دفتر مسموح مذکورین مع مرتبات بدل
مسموح عن محلول مقاطعة دباغ خالة سنة
١١٨٥ رقم ٥٥/١٣٣ مخزن تركى .

(٢٥) دفتر جرایة اسبان جماعت كشيدة ديوان
واجب ماه جمادين ١١٨٦ رقم ٥٥ / ١٢٦
مخزن تركى ، دفتر جرایة جماعت واجب ماه
محرم وصفر سنة ١١٨٦ رقم ٥٥/ ١٣٤ .

(٢٦) ابن دحلان ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(١٥) كانت القيمة الاسمية لسيكوانى البندقية
ودوقات الحجر وهولندا فى مصر أزيد بخمس
بارات من قيمتها الحقيقية .

(١٦) كان يدير دار الضرب أغا يعينه ديوان
الاستانة فيسك العملة بأمر الباشا كلما تولى
سلطان جديد أو احتاجت مصر إلى عملة
جديدة - وكان يدفع عن ذلك ميرى للدولة
وعوائد للباشا والكتخدا ومرتبات لعمال الدار
- ولكن بتقوى الماليك ، وعدم تسديدهم مال
الميرى كاملا والعوائد المقررة للباشا تنازلت
الدولة للباشا عن الاشراف على دار الضرب
ليستعين بالربح الناتج من ذلك على تغطية
مصرفاته - ثم باع الباشوات الربح مقدما
لمشايع البلد ، حتى قام على بك بحركته
فاستأثر بأرباحها .

(١٧) فى سنة ١٧٦٨ (١١٨١) أرسل على بك
آخر خزنة إلى الاستانة عن سنة ١١٨٠ وكان
امير الخزنة عثمان بك أبو سيف وقد توفى
بالأناضول قبل عودته (٢٨ شعبان ١١٨١) .

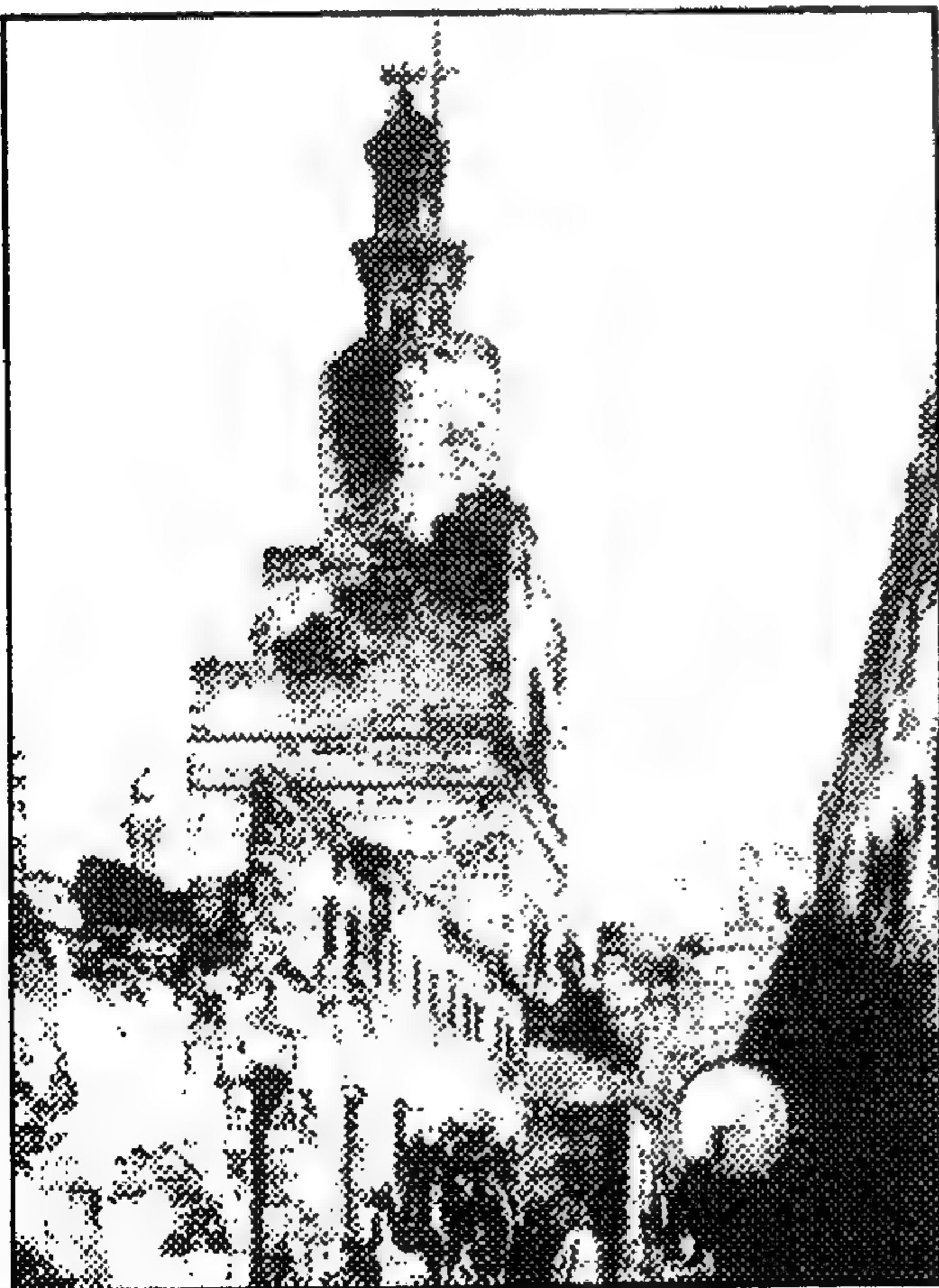
(١٨) الخزنة أو الخزينة فى الاصطلاح العثمانى
مقدار ما يبقى مما يجى بمصر بعد اتفاق كل ما
قرر السلطان انفاقه وبعد النفقات المستجدة -
وكانت تتكون من مال الأراضى الزراعية
وميرى الوظائف ورسوم الجمارك والجوالى . ولم
يكن مقدارها ثابتا بل تعرض كثيرا للزيادة
والنقص فمثلا كانت فى سنة ١٠٤٩
(١٦٨٣) أى ضعف العدد الذى ذكرناه أى
حوالى ٩٤١ كيسا ، فى سنة ١٠٩١

- (٢٧) يقصد بالقصور البرانية الموجودة في ضواحي القاهرة، ويوت المنافى أى الذين نفاهم على بك وصادر أملاكهم - أما المتأولة فهم حلفاء ظاهر العمر من بلاد فلسطين على غاية من الشجاعة.
- (٢٨) يظهر من رواية فولنى وسافارى ولوزيان أن المقصود به اسماعيل بك لا مصطفى بك .
- (٢٩) ابن دحلان ص ٢٠٠ .
- (٣٠) يقال ان موضع دار السعادة هو مكان التكية المصرية التى ازلتها الحكومة السعودية منذ عدة سنوات.
- (٣١) هذا هو السبب فى تسمية حسن بك شبكة بالجداوى نسبة إلى جدة.
- (٣٢) رغم أهمية هذه التجربة فقد تجاهلها المؤرخون عن غير قصد. وانفرد الجبرتي بذكرها . وقد ترجم الجبرتي لعبد الرحمن أغا وقال عن تلك الحادثة أن على بك (أرسل المترجم إلى غزة حاكما وأمره أن يتحيل على سليط ويقتله. وكان رجلا ذا سطوة عظيمة وفجور. فلم يزل يعمل الحيلة حتى قتله فى داره، وأرسل رأسه إلى على بك بمصر، وهى أول نكتة تمت لعلى بك وبها طمع فى استخلاص الشام.
- (٣٣) ترجم له الجبرتي من أشهر مواقفه القضاء على سويلم بن حبيب، وانتصاراته فى الحجاز، وتأثيره على أبى الذهب فى حملة الشام ثم توليه الشياخة فيما بعد.
- (٣٤) إشارة إلى معركة طبرية
- (٣٥) ميخائيل بريك الدمشقى. تاريخ الدمشقيين وجه ١٣٦. والمزيريب أو المزيرب حصن قديم قرب نابلس.
- (٣٦) فضلنا ذكر هذا الكتاب كاملا لأهميته التاريخية .
- (٣٧) هكذا كان على بك يلقب نفسه إشارة إلى تولية الحج (١١٧٧ هـ - ١٢٦٣ م) وفى ذلك دلالة على أنه لم يتخذ لنفسه لقب سلطان.
- (٣٨) ربما كان يشير بذلك إلى حادثة وقعت فى ليلة ١٩ صفر ١١٨٤ (١٧٧١) ملخصها أن عثمان باشا لم يرض العرب فى أثناء عودته من الحج، اعتمادا على قوته فنهبوه ونهبوا الحجاج فسارع ظاهر إلى تعويضهم واشترى المنهوبات وأرسل العلم النبوى وعليه العقاب إلى الدولة - الصباغ ص ٧٥.
- (٣٩) يشير إلى تدخل عثمان باشا فى أمور شرافة مكة، وما ترتب على ذلك من اضطراب ومنافسات.
- (٤٠) يشير بذلك إلى أمرين: أولهما حملة الحجاز وقد اعتبرها إصلاحا لما أفسده عثمان باشا وثانيهما التجربة التى أرسلها على غزة فخلصت أهلها من إفساد العريان وظلم عثمان.
- (٤١) ذكر الأمير حيدز فى تاريخه جـ ص ٨٠٥ - ٨٠٦ أن الأمير منصور الشهابى كان يحقد على عثمان باشا نصرته لشقيقه ومنافسه الأمير يوسف، فلما علم بدخول أبى الذهب إلى دمشق أرسل إليه ثلاثة أفراس

(٤٥) كان بين القتلى في أثناء ذلك الحصار ابراهيم بك وهو ثاني البكوات الذين فقدهم على بك في تلك الحملة ، بعد قتل أحمد بك في تجريدة انقاذ صيدا. وقد حمل رسالة على بك الرابعة إلى القائد الروسي سليمان كخيا وذلك لان ذا الفقار كان مريضا مرضا أودى بحياته بعد قليل وهو ثالث من فقد على بك من البكوات.

(٤٦) في كل المحاولات التي اتخذت لخيانة على بك أو القضاء عليه لم تشترك فرقة اليكيجرى في واحدة منها، وبقيت على الحياد محتفظة بجميل على بك وحسن معاملته.

(٤٧) الشريطة السرية يقصد بها اصطلاح بين الطرفين. وتسمى في عصرنا الحاضر «الشفرة».



من جياد الخيل بالملابس الفاخرة، وكتب له جوابا يستعطف خاطره، وجهه إلى «الجناب العالي صاحب الفخر والجلال.. صدر صدارة الدولة المصرية أمير لواء عالي الشأن..» جاء فيه «أما بعد فإنه في أبرك الأوقات وأشرفها وأيمن الساعات والطفها قد ورد علينا كتاب الجناب الشريف وفهمنا فحواه السامي المنيف واتضح لنا حلولكم السعيد بدمشق الشام على حسن تأييد وأكمل نظام، فقد حصل عند الخلف لكم بهجة لا تحد وسرور ليس له ند. وقد طربت لقدمكم الأقطار واستأمنت البلاد، وأطمأنت خواطر العباد . إلخ»

(٤٢) يرى بعض المؤرخين أن عدد الحملة مبالغ فيه. وأن جيشه لم يكن يتعد ثمانمائة مملوك وألف من المغاربة المرتزقة - وقد صاحب على بك اثني عشر يكا وهم على بك الطنطاوى ورضوان بك ابن أخته، حسن بك، خليل بك، مراد بك ، إبراهيم بك (وهما غير مماليك أبى الذهب) وعبد الرحمن بك، ذو الفقار بك، عاكف بك وسليم أغا الانكشارية وسليمان كخيا.

(٤٣) كان خليل بك ولطيف بك في الشمال الشرقى للمدينة وبينهما مائتا ياردة ثم عبد الرحمن بك ومراد بك في الشرق، ومصطفى بك وعاكف بك في الجنوب.

(٤٤) عبد الرحمن أغا من أهالى طرايرون له خبرة بالمدفعية.

فصل عود وانعطاف

فى ذكر حوادث مصر وتراجم أعيانها وولاياتها

من ابتداء سنة اثنتين وستين ومائة وألف

[١٧٤٧م] إلى أواخر

سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف [١٧٥٩م]

وذلك بحسب التيسير والإمكان، وما لا يدرك كله لا يترك

كله، فنقول: لما عزل الجنب المكرم حضرة محمد باشا

راغب فى الواقعة التى خرج فيها حسين بك الخشاب

ومحمد بك أباطة ونزل من القلعة إلى بيت ذى عرجان^(١)

تجاه المظفر^(٢) كما تقدم، ثم سافر فى أواخر سنة إحدى

وستين ومائة وألف كما تقدم إلى ثغر رشيد، ووصل حضرة

الجناب الأفخم أحمد باشا المعروف بكور وزير، وسبب

تلقبه بذلك أنه كان بعينه بعض حول، فطلع إلى ثغر

سكندرية ووصلت الساعة ببشائر قدومه فنزلت إليه الملاقاة

وأرباب العكاكيز وأصحاب (ص ٤٧٠) الخدم مثل كتخدا

الجاويشية وأغات المتفرقة والترجمان وكاتب الحوالة وغيرهم

وكان الكاشف بالبحيرة إذ ذاك حسن أغا كتخدا بك تابع

عمر بك وتوفى هناك فأرسل عمر بك لكتخداه حسن أغا

المذكور بأن يستمر فى المنصب عوضاً عن مخدومه المتوفى

حتى تتم السنة، وخرج عمر بك من مصر واستمر المذكور

بالبحيرة إلى أن حضر أحمد باشا المذكور إلى سكندرية،

فحضر إليه وتقيد بخدمته وجمع الخيول لركوب أغواته

وأتباعه والجمال لحمل أثقاله، وقدم له تقادم وعمل له

السماط بالمعدية حكم المعتاد، وعرفه بحاله ووفاء أستاذه

وخروج سيدهم من مصر فخلع عليه الباشا صنجقية أستاذه

١١٦٣هـ.

١٤٦٦ق.

١٧٤٩م.

غاية الفيضان: ١ قيراط / ٢٣ ذراع

□ ١ يناير ١٧٥٠ = ٢٥ كيهك ١٤٦٦ =

الخميس ٢٢ محرم سنة ١١٦٣.

□ فى صفر / يناير ١٧٥٠، كانت سلطنة

يوسف الأول على البورتغال.

□ عزل أحمد باشا، المعروف بكور وزير، بعد

أن حكم مصر سنتين، وتولى بعده شريف

عبد الله باشا.

□ فى جماد أول / إبريل. كانت زلازل عظيمة

فى إنجلترا.

□ فى جماد ثانى / مايو. كانت ترتيب

الجنדרمة فى فرنسا.

□ ١ توت سنة ١٤٦٧ = ٩ سبتمبر ١٧٥٠

= الأربعاء ٧ شوال ١١٦٣.

١٠٢ أحمد باشا كور

١١٦٤هـ.

١٤٦٧ق.

١٧٥٠م.

غاية الفيضان: ٠٠ قيراط / ٢٤ ذراع

□ فى محرم / نوفمبر وصل مصر واليهما

الجديد شريف عبد الله باشا.

□ ١ يناير ١٧٥١ = ٢٥ كيهك ١٤٦٧ =

الجمعة ٣ صفر سنة ١١٦٤.

□ فى ربيع أول / يناير ١٧٥١م كان ايجاد

مهندسى القناطر والجسور فى فرنسا.

□ فى ربيع ثان / فبراير، كان تأسيس المدرسة

الحربية الفرنسية فى سان دوماس.

□ فى جماد أول / مارس كان بمصر سعر

الأردب القمح ١٢٠ فضة، وطاقة الشاش

١١٠ فضة، ومقطع القماش ٦٠ فضة،

والزر محبوب ١١٠ انصاف فضة.

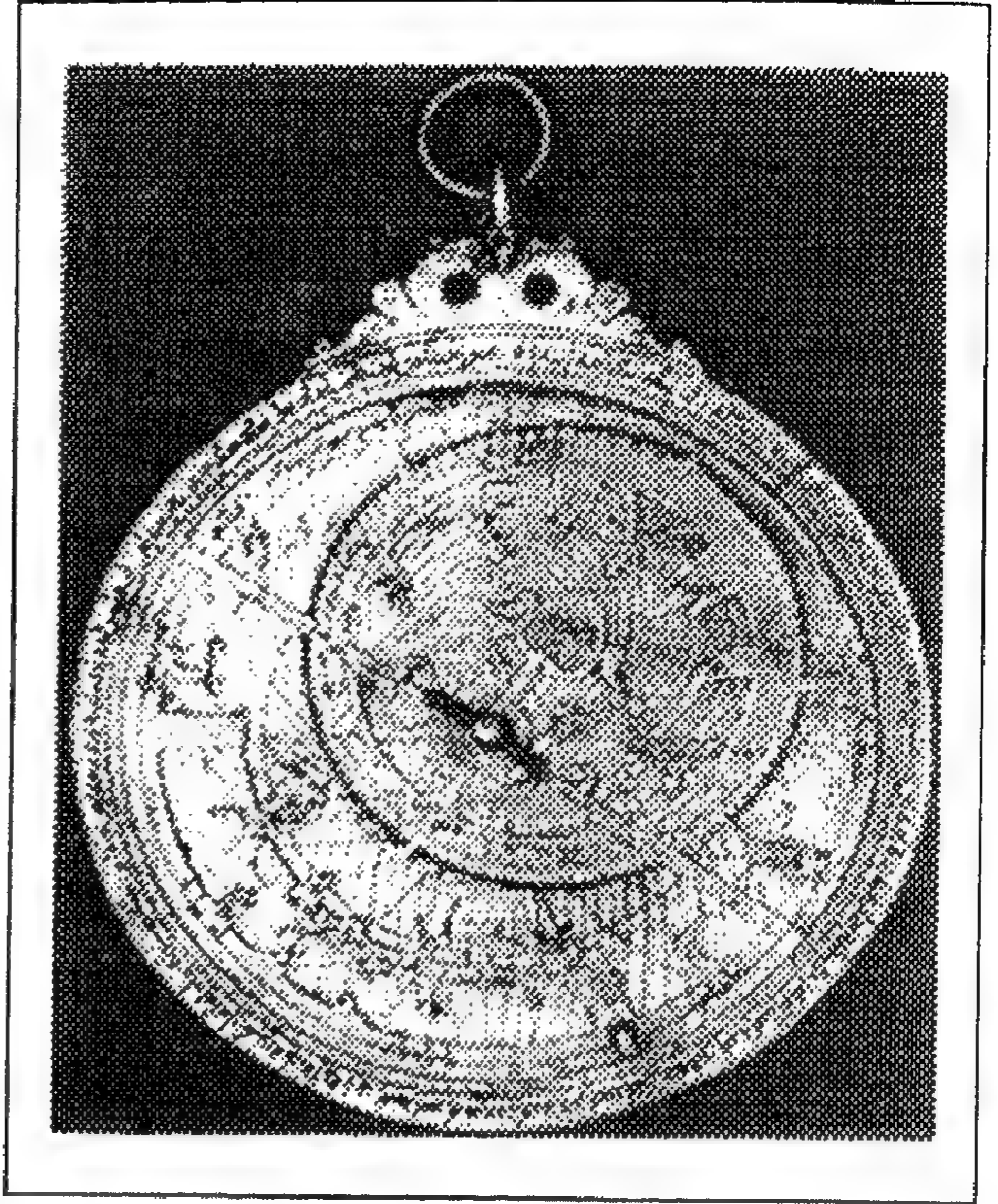
□ ١ توت سنة ١٤٦٨ = ١٠ سبتمبر

١٧٥١ = الجمعة ١٩ شوال ١١٦٤.

وأعطاه بلاده من غير حلوان، وقال له «أنت صرت إشراقى»
 وذلك قبل وصول الملاقاة. ووصل خبر ذلك إلى مصر
 فأرسل المتكلمون إلى كتخدا الجاويشية يقولون له إن
 المذكور رجل ضعيف ولا يليق بالصنجدية، فقالوا للبasha
 ذلك فقال «قبل أن أطلع إلى بلدكم تعارضوني في أحكامي
 وأنا مثل ما نصبته أكفيه» واغتاز وقال «أنا أرجع من محل
 ما أتيت» فسكتوا ووصل إلى رشيد واجتمع هناك براغب
 باشا وسافر في المركب التي حضر فيها أحمد باشا وحضر
 إلى مصر وطلع بالموكب المعتاد إلى القلعة في غرة المحرم
 سنة اثنتين وستين ومائة وألف [١٧٤٨م]، وضربوا له المدافع
 والشنك من أبراج الينكجيرية، وعمل الديوان وخلع الخلع
 على الأمرا والأعيان والمشايخ، وخلصت رئاسة مصر وإمارتها
 إلى إبراهيم جاويش ورضوان كتخدا، وقلد إبراهيم جاويش
 مملوكه على أغا، وهو الذي عرف بالغزاوي، صنجدقا،
 وكذلك حسين أغا وهو الذي عرف (ص ٤٧١) بكشكش،
 وكذلك قلد رضوان كتخدا أحمد أغا خازن داره صنجدقا،
 فصار لكل واحد منهما ثلاثة صناجق وهم: عثمان وعلى
 وحسين الإبراهيمية، وإسماعيل وأحمد ومحمد الرضوانية.
 ثم إن إبراهيم جاويش عمل كتخدا الوقت ثلاثة أشهر
 وانفصل عنها، وحضر عبد الرحمن كتخدا القازدغلي من
 الحجاز وعمل كتخدا الوقت بباب مستحفظان سنتين،
 وشرع في عمل الخيرات وبناء المساجد وأبطل الخمامير،
 وسيأتي تنمة ذلك في ترجمته سنة وفاته، وأقام أحمد باشا
 في ولاية مصر إلى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة
 وألف [١٧٤٩م]، وكان من أرباب الفضائل وله رغبة في
 العلوم الرياضية، ولما وصل إلى مصر واستقر بالقلعة وقابله

- ١١٦٥ هـ.
 ١٤٦٨ ق.
 ١٧٥١ م.
 غاية الفيضان: ١٣ قيراط / ٢٠ ذراع
 □ في محرم / نوفمبر، كان بمصر ثمن
 القطار المسلى ٨٠ قضة، وثمن رأس
 الغنم كذلك.
 □ ١ يناير ١٧٥٢ = ٢٤ كيهك ١٤٦٨ =
 السبت ١٣ صفر ١١٦٥.
 □ في ربيع أول / يناير ١٧٥٢م أنشا الأمير
 عبد الرحمن كتخدا جامع رحبة عابدين
 برحبة عابدين.
 □ فيها ابتدأت الانجليز باستعمال التقويم
 الجريجوريانى.
 □ في جماد أول / مارس، اكتشف فرنكلين
 مانعة الصواعق.
 □ ١ توت ١٤٦٩ = ٩ سبتمبر ١٧٥٢ =
 السبت ٢٩ شوال ١١٦٥.
 □ في ذو القعدة، سبتمبر، كان ماير أول من
 افكر وتصور تكرار الزوايا.

الاسطرلاب المسطح، الذي كان من أهم
الأجهزة التي استخدمها الفلكيون في العصر
الوسيطة.



صدرور العلماء في ذلك الوقت وهم الشيخ عبد الله
الشبراوى شيخ الجامع الأزهر والشيخ سالم النفراوى والشيخ
سليمان المنصورى، فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم، ثم
تكلم معهم في الرياضيات فأحجموا «وقالوا لا نعرف هذه
العلوم، فتعجب وسكت، وكان الشيخ عبد الله الشبراوى
له وظيفة الخطابة بجامع السراية، ويطلع في كل يوم الجمعة
ويدخل عند الباشا ويتحدث معه ساعة وربما تغدى معه، ثم
يخرج إلى المسجد ويأتى إلى الباشا في خواصه فيخطب
الشيخ ويدعو للسلطان وللباشا ويصلى بهم ويرجع الباشا
إلى مجلسه وينزل الشيخ إلى داره، فطلع الشيخ على عادته
في يوم الجمعة واستأذن ودخل عند الباشا يحادثه، فقال له
الباشا «المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع
الفضائل والعلوم، وكنت في غاية الشوق إلى الحجى إليها

فلما جيتها وجدتها كما قيل (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) (ص ٤٧٢)، فقال له الشيخ «هي يا مولانا كما سمعتم معدن العلوم والمعارف» فقال «وأيّن هي وأنتم أعظم علمائها؟ وقد سألتكم عن مطلوبي من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئاً، وغاية تحصيلكم الفقه المنقول والوسائل، وبذلك المقاصد» فقال له «نحن لسنا أعظم علمائها وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام، وغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والموارث كعلم الحساب والعيار^(٣)» فقال له «وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية بل هو من شروط صحة العبادة كالعلم بدخول الوقت واستقبال القبلة وأوقات الصوم والأهلة وغير ذلك» فقال «نعم معرفة ذلك من فروض الكفاية، إذ قام به البعض سقط عن الباقي، وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية كرقعة الطبيعة وحسن الوضع والخط والرسم والتشكيل والأمور العطاردية، وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم فقراء وأخلاق مجتمعة من القرى والآفاق فيندر فيهم القابلية لذلك» فقال «وأيّن البعض؟» فقال «موجودون في بيوتهم يسعى إليهم» ثم أخبره عن الشيخ الوالد وعرفه عنه وأطرب في ذكره، فقال «أتمس منكم إرساله عندي» فقال يا مولانا «إنه عظيم القدر وليس هو تحت أمرى» فقال «وكيف الطريق إلى حضوره؟» قال «تكتبون له إرسالية مع بعض خواصكم فلا يسعه الامتناع» ففعل ذلك وطلع إليه ولبي دعوته وسر بروياه واغبط به كثيراً، وكان يتردد إليه يومين (ص ٤٧٣) في الجمعة وهما السبت والأربعاء، وأدرك منه مأموله وواصله

* أحمد باشا يهاجم علماء الأزهر بسبب تخلفهم العلمي.
والسؤال هنا.. لما لم يحاول هذا الباشا بعد أن عرف حالة المشايخ أن يساعد على رفع مستواهم العلمي بصفته المسئول عن مصر؟.

١١٦٦هـ.

١٤٦٩ق.

١٧٥٢م.

غاية الفيضان: ١٧ قيراط / ٢٠ ذراع
د ١ يناير سنة ١٧٥٣ = ٢٥ كيهك سنة ١٤٦٩ = الاثنين ٢٥ صفر ١١٦٦.
د في ربيع أول/ يناير ١٧٥٣م، كانت الأسعار بمصر رخيصة والأحوال مرضية.
د فيها عزل شريف عبد الله باشا. وإلى مصر، بعد أن حكمها ثلاث سنين. وتولى بعده محمد أمين باشا.
د كان إنشاء المتحف (أى دار الانتيكات) البريطاني.
د في شوال/ أغسطس توفي والى مصر محمد أمين باشا، ولم يحكم إلا شهرين، فتولى عليها بعده مصطفى باشا.
د ١ توت ١٤٧٠ = ٩ سبتمبر ١٧٥٣ = الأحد ١١ ذو القعدة سنة ١١٦٦.

بالبر والإكرام الزائد الكثير، ولازم المطالعة عليه مدة ولايته، وكان يقول «لو لم أغنم من مصر إلا اجتماعي بهذا الأستاذ لكفاني» ومما اتفق له لما طالع (ربع الدستور) وأتقنه طالع بعده (وسيلة الطلاب في استخراج الأعمال بالحساب) وهو مؤلف دقيق للعلامة المارديني، فكان الباشا يختلي بنفسه ويستخرج منه ما يستخرجه بالطرق الحسابية، ثم يستخرجه من التجيب فيجده مطابقاً، فاتفق له عدم المطابقة في مسألة من المسائل، فاشتغل ذهنه وتحير فكره إلى أن حضر إليه الأستاذ في الميعاد فأطلعه على ذلك وعن السبب في عدم المطابقة فكشف له علة ذلك بديها، فلما انجلي وجهها على مرآة عقلية، كاد يطير فرحاً وحلف أن يقبل يده ثم أحضر له فروة من ملبوسه السمور، باعها المرحوم بثمانمائة دينار، ثم اشتغل عليه برسم المزاويل والمنحرفات حتى أتقنها، ورسم على اسمه عدة منحرفات على ألواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرها بالأزمير [الأزميل] كتابة ورسماً، وعمل له تاريخاً منظوماً نقشه عليها وهو هذا.

مزولة متقنة

نظيرها لا يوجد

راسمها حاسبها

هذا الوزير الأمجد

تاريخها أتقنها

وزير مصر أحمد

ونصب واحدة بالجامع الأزهر في ركن الصحن على يسار الداخل بالركن فوق رواق معمر، وهي لفضل داير العصر والغروب، وأخرى بسطح جامع الإمام الشافعي وفيها خيط

- ١١٦٧ هـ -
١٤٧٠ ق -
١٧٥٣ م -
غاية الفيضان: ١٧ قيراط / ٢٢ ذراع
١ يناير ١٧٥٤ = ٢٥ كيهك ١٤٧٠ =
الثلاث ٦ ربيع أول ١١٦٧ .
د فيها وقعت حروب بين فرنساوية
والانجليز في كندا .
د فيها كانت معاهدة مدارس بين
الفرنساوية والانكليز .
د فيها عصت اهالي قورسقة على
الجنويزين .
د فيها اعيد ترتيب البرلمان في باريس .
١ ثوت سنة ١٤٧١ = ٩ سبتمبر
١٧٥٤ = الاثنين ٢١ ذو القعدة ١١٦٧ .
د في ١٣ القعدة حصلت زلازل عظيمة
في الأستانة ومصر .



* مخطوط قبطي: صفحة ناقصة من انجيل مصري قبطي، تمثل العماد في نهر الأردن. برقي تاريخ الكتاب الى ١٧٨ - ١١٨٠ وقد ترجمه من اليونانية ميخايل اسقف دمياط. المكتبة الوطنية باريس.

(ص ٤٧٤) مسطرة، وفضل داير، وقسي عصر، وفضل داير الغروب، وأخرى بمشهد السادات الوفائية وهي بشخص واحد للظهر والعصر وغير ذلك، وكان المرحوم الشيخ عبد الله الشبراوي كلما تلاقي مع المرحوم الوافد يقول له «سترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا، فإنه لولا وجودك كنا جميعاً عنده حميراً» فرحم الله الجميع.

ووصل الخبر بولاية الشريف عبد الله باشا ووصل إلى سكندرية ونزل أحمد باشا إلى بيت البير قدار وسافرت الملاقاة للباشا الجديد ثم وصل إلى مصر في شهر رمضان سنة أربع وستين ومائة وألف [١٧٥٠م] وطلع إلى القلعة، فأقام في ولاية مصر إلى سنة ست وستين ومائة وألف، ثم عزل عن مصر وولى حلب فنزل إلى القصر بقبة العزب وهاداه الأمراء ثم سافر إلى منصبه، ووصل محمد باشا أمين

١٠٣ عبد الله باشا.

١٠٤ محمد باشا الأمين.

فطلع إلى القلعة وهو منحرف المزاج، فأقام في الولاية نحو شهرين وتوفي في خامس شهر شوال سنة ست وستين ومائة وألف [١٧٥٢م] ودفن بجوار قبة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه.

وفي هذا التاريخ أحضر بترك الأروام مرسوما سلطانياً يمنع طائفة النصاري الشوام من دخولهم كنائس الإفرنج، وإن دخلوا فإنهم يدفعون للدولة ألف كيس، فأرسل إبراهيم كتحدا فأخذ أربعة قسوس من دير الإفرنج وحبسهم وأخذ منهم مبلغاً عظيماً من المال واستمر نصاري الشوام يدخلون كنائس الإفرنج ولعلها من تحيلات إبراهيم كتحدا.

ومن الحوادث أيضاً في نحو هذا التاريخ أن نصاري الأقباط قصدوا الحج إلى بيت المقدس، وكان كبيرهم إذ ذاك نوروز كاتب (ص ٤٧٥) رضوان كتحدا، فكلم الشيخ عبد الله الشبراوي في ذلك وقدم له هدية وألف دينار، فكتب له فتوى وجواباً ملخصه أن أهل الذمة لا يمنعون من دياناتهم وزياراتهم، فلما تم لهم ما أرادوا شرعوا في قضاء أشغالهم وتشهيل أغراضهم وخرجوا في هيئة وأبهة وأحمال ومواهي، وتختروانات فيها نساؤهم وأولادهم ومعهم طبول وزمور ونصبوا لهم عرضياً(*) عند قبة العزب، وأحضروا العربان ليسيروا في خفارتهم وأعطوهم أموالاً وخلعاً وكساوي وإنعامات، وشاع أمر هذه القضية في البلد واستنكرها الناس، فحضر الشيخ عبد الله الشبراوي إلى بيت الشيخ البكري كعادته، وكان على أفندي أخو سيدي بكري ممرضاً، فدخل إليه يعود فقل له «أى شيء هذا الحال يا شيخ الإسلام؟» على سبيل التبكيت «كيف ترضى وتفتي النصاري وتأذن لهم بهذه الأفعال لكونهم أرشوك وهادوك؟» فقال «لم يكن ذلك،

* الأقباط يجهزون لقافلة حاج إلى القدس فيعتدى عليهم المتعصبون.

* عرضياً: المقصود به هنا معسكر به عدة خيام للجنود.

قال «بل أرشوك بألف دينار وهدية، وعلى هذا تصير لهم سنة، ويخرجون في العام القابل بأزيد من ذلك، ويصنعون لهم محملاً ويقال حج النصارى وحج المسلمين وتصير سنة عليك وزرها إلى يوم القيامة، فقام الشيخ وخرج من عنده مغتاضاً وأذن للعمامة في الخروج عليهم ونهب ما معهم، وخرج كذلك معهم طائفة من مجاورى الأزهر فاجتمعوا عليهم ورجمواهم وضربوهم بالعصى والمساوق ونهبوا ما معهم وجرسوهم ونهبوا أيضاً الكنيسة القريية من دمر داش وانعكس النصارى في هذه الحادثة عكسة بليغة وراحت عليهم وذهب ما صرفوه وأنفقوه في الهباء. (ص ٤٧٦)

١٠٥ مصطفى باشا بلطجى.

(وحضر مصطفى باشا) وطلع إلى القلعة ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وستين ومائة وألف [١٧٥٣م] واستمر والياً على مصر إلى أن ورد الخبر بعزله فى أوائل شهر ربيع الأول سنة تسع وستين ومائة وألف، وولاية حضرة الوزير المكرم على باشا حكيم أوغلى^(٤) وهى ولايته الثانية، وطلع إلى سكندرية ونزلت إليه الملاقاة وأرباب المناصب والعكاكيز، ثم حضر إلى مصر وطلع إلى القلعة يوم الاثنين غرة شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة وسار فى مصر سيرته المعهودة وسلك طريقته المشكورة المحمودة، فأحيا مكارم الأخلاق، وأدر على رعيته الأرزاق، بحلم وبشر ربى عليهما فكانا له طبعاً وصدر رحب لا يضيق بنازلة ذرعا كما قيل.

١٠٦ على باشا حكيم (مدة ثانية).
كانت نيابته الأولى عام ١١٥٣ = ١٧٤٠م
والثانية عام ١١٦٩ = ١٧٥٥م.
وحضر فى صحبته هذه أحمد البوشناقلى
عرف بعد ذلك باسم أحمد باشا الجزار
والذى عمل بعد ذلك فى بك الكبير.
وكان زميلاً لمحمد بك أبو الذهب

خلق كماء المزن طيب مذاقه

والروضنة الغناء طيب نسيم

كالغيث إلا أن جود يمينه

أبدا * وجود الغيث غير مقيم

* أبدا: المقصود أن جوده دائم للأبد.

كالدهر لكن فيه حلم واسع
 عمن جنى والدهر غير حليم
 كالسيف إلا أنه ذو رحمة
 والسيف قاسى القلب غير رحيم
 واستمر في ولاية مصر إلى شهر رجب سنة إحدى وسبعين
 ومائة وألف [١٧٥٧م].

(ذكر من مات في هذه الأعوام من العلماء والأعيان)

٢٣٢ محمد القليني.
 ت / ١١٦٤ هـ = ١٧٥١ م.

[مات] الإمام العلامة شيخ المشايخ شمس الدين الشيخ /
 محمد القليني الأزهرى، وكان له كرامات مشهورة ومآثر
 مذكورة منها أنه كان ينفق من الغيب لأنه لم يكن له إيراد
 ولا ملك ولا وظيفة ولا (ص ٤٧٧) يتناول من أحد شيئا
 وينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، وإذا مشى في السوق تعلق
 به الفقراء فيعطيهم الذهب والفضة، وإذا دخل الحمام دفع
 الأجرة عن كل من فيه. توفي سنة أربع وستين ومائة وألف.

٢٣٣ محمد بن أحمد العشماوى.
 ت ١١٦٧ هـ = ١٧٥٤ م.

[ومات] الشيخ الإمام الفقيه المحدث المسند / محمد بن
 أحمد بن يحيى بن حجازى العشماوى الشافعى الأزهرى،
 تفقه على الشيخ عبده الديوى والشهاب أحمد بن عمر
 الديربى، وسمع الحديث على الزرقانى، وبعد وفاته أخذ
 الكتب السنة عن تلميذه الشهاب أحمد بن عبد اللطيف
 المنزلى وانفرد بعلو الإسناد. وأخذ عنه غالب فضلاء العصر.
 توفي يوم الأربعاء ثانى عشرين جمادى الأولى سنة سبع
 وستين ومائة وألف ودفن بتربة المجاورين، وقال بعض شعراء
 الوقت وهو السيد حسين الإدكوى قصيدة فأنشدت وقت

١١٦٨ هـ.
 ١٤٧١ ق.
 ١٧٥٤ م.
 غاية الفيضان: ٧ قيراط / ٢٣ ذراع
 □ فى ٢١ صفر كانت وفاة السلطان محمود
 الأول ابن السلطان مصطفى الثانى، وله
 من العمر ٦٠ سنة، حكم منها ٢٥ سنة،
 وفى ٢٨ منه تسلطن بعده السلطان
 عثمان خان الثالث ابن السلطان مصطفى
 الثانى.
 □ ١ يناير سنة ١٧٥٥ = ٢٥ كيهك
 ١٤٧١ = الأربع ١٧ ربيع أول ١١٦٨.

الصلاة عليه على الدكة مطلعها:

ما بين حرقه أدمعى وتولهي
نار يؤججها لهيب تولهي
وحشاشة ذابت وقلب كلما
وجهته للصبر لم يتوجه
يا حسرتي والبين صال ومقلتي
في حنّس الغفلات لم تنتبه
حتى أباد القطب شمس الدين من
من بعده العلماء لم تفوه
يا أمة الاسلام يا أهل الهدى
علماء من مبتدى أو منتهى
قد مات عشاويكم تبا لمن (ص ٤٧٨)
بالمجد عن ثوب التأسف ينتهى
يا حزن دم يا دهر سم رتب التقى
من بعده وافعل بها ما تشتهى
يا أرض مدى يا سماء تشققي
يا شمس نوحى يا نجوم تاوهى
يا أعين الفضلاء فى روض له
من بعده بالله لا تنزهى
من بعده للترمذى ومسلم
أو للبخارى الصحاح الأوجه
مات التقي والزهد معه قد انطوى
فى قبره من رامه لم يشبه
يارب عوض فيه ملة أحمد
خيرا به يا من إليه توجهى

□ فيها استولت الانكليز على ٣٠٠ سفينة
تجارية فرنسوية.
* فيها كانت زلازل فى كيتورفى لسبون.
□ فيها كان اكتشاف آثار بريميه
□ ١ توت ١٤٧٢ = ١٠ سبتمبر ١٧٥٥ =
الأربع ٣ ذو الحجة ١١٦٨.

١١٦٩ هـ.
١٤٧٢ ق.
١٧٥٥ م.
غاية الفيضان: ١٧ قيراط / ٢٢ ذراع
□ ١ يناير سنة ١٧٥٦ = ٢٤ كيهك ١٤٧٢ =
الخميس ٢٨ ربيع أول ١١٦٩.
□ فيها كان ابتداء حروب السبع سنين.
□ فيها كان اتحاد الانكليز والبروسيا.
□ فيها عزل مصطفى باشا، بعد ان حكم
مصر ثلاث سنين، وتولى بعده على باشا
حكيم أوغلى، وهذه هى ثانية ولاية له
على مصر.
□ فيها كان انهزام النمساويين فى لو. أمام
البروسانيين.
□ فيها كانت معاهدة فرساليه بين النمسا
وفرانسا.
□ ١ توت ١٤٧٣ = ٩ سبتمبر ١٧٥٦ =
الخميس ١٤ ذو الحجة سنة ١١٦٩

فالشافعي نادى ليوم مصابه
أواه ضاع مذهبي وتفكهي
ياروحه في جنة الفردوس من
نعم الإله تنعمي وتفكهي
في روضة أرخته بجواره
محمد مهما أحب ويشتهي

ولما بلغت هذه المراثية الشيخ أحمد الجوهري، أنكر هذا الإطراء البالغ، وشدد على قوله (من بعده العلماء لم تتفوه) وقال «هورفيقنا ونعرف ما عنده من البضاعة» وكأنه حصل له في نفسه مثل ما يحصل للمعاصر في معاصره، والله تعالى يعفو عن الجميع بإحسانه.

٢٣٤ سالم ابن محمد النفراوى.
ت / ١١٦٨ هـ = ١٧٥٥ م.

[ومات] الشيخ الإمام العلامة/ سالم بن محمد النفراوى المالكي الأزهرى المفتى الضرير، أخذ عن الشيخ العمدة أحمد النفراوى الفقه، وأخذ الحديث عن الشيخ محمد الزرقانى والشيخ محمد (ص ٤٧٩) بن علاء الدين البابلي بيته بالأزكية والشبراملى وغيرهم، وكان مشهورا بمعرفة فروع المذهب واستحضار الفروع الفقهية، وكانت حلقة درسه أعظم الحلق وعليه مهابة وجلالة. توفى يوم الخميس سادس عشرين شهر صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف.

٢٣٥ سليمان ابن مصطفى بن عمر المنير.
ت / ١١٦٩ هـ = ١٧٥٦ م.

[ومات] الشيخ الفقيه المفتى العلامة/ سليمان بن مصطفى بن عمر ابن الولي العارف الشيخ محمد المنير المنصوري الحنفى أحد الصدور المشار إليهم، ولد سنة سبع وثمانين وألف بالنقطة إحدى قرى المنصورة، وقدم الأزهر فأخذ عن

شيوخ المذهب كشاهين الأرمناي وعبد الحى بن عبد الحق الشرنبلالى وأبى الحسن على ابن محمد العقدى وعمر الزهرى وعثمان النحريرى وفايد الإبيارى شارح الكنز، فأتقن الأصول ومهر فى الفروع ودارت عليه مشيخة الحنفية ورغب الناس فى فتاويه، وكان جليل القدر عالى الذكر مسموع الكلمة مقبول الشفاعة، توفى سنة تسع وستين ومائة وألف.

٢٣٦ عمر بن محمد ابن عبد الله الشنوائى
ت ١١٦٧ هـ = ١٧٥٤ م.

[ومات] الشيخ الإمام الفاضل الصالح الشاعر الأديب/ عمر بن محمد بن عبد الله الحسينى الشنوائى من ولد القطب شهاب الدين العراقى دفين شنوان، قرأ على أفاضل عصره وتكمل فى الفنون وألقى دروساً بالأزهر، توفى فى رجب سنة سبع وستين ومائة وألف.

٢٣٧ صالح الفلاح أوجلى مؤسس بيت الفلاح.

[ومات] الأجل المكرم الحاج/ صالح الفلاح، وهو أستاذ الأمراء المعروفين بمصر المشهورين بجماعة الفلاح وينسبون إلى القازغلية، وكان متمولاً ذا ثروة عظيمة وشح، وأصله غلام يتيم فلاح من قرية من قرى المنوفية (ص ٤٨٠) يقال لها الراهب، وكان والده خادماً لبعض أولاد شيخ البلد فانكسر عليه المال فرهن ولده عند الملتزم وهو على كتخدا الجلفى ومعه صالح هذا وهما غلامان صغيران فأقاما بيت على كتخدا حتى غلق أبوه ما عليه من المال واستلم ابنه ليرجع به إلى بلده فامتنع صالح وقال «أنا لا أرجع إلى البلد» وألف المقام بيت الملتزم واستمر به يخدم مع صبيان الحرم، وكان نبيها خفيف الروح والحركة، ولم يزل يتنقل فى الأطوار حتى صار من أرباب الأموال، واشترى الممالك والعبيد والجوارى ويزوجهم من بعضهم ويشتري لهم الدور

١١٧٠ هـ.
١٤٧٣ ق.
١٧٥٦ م.
غاية الفيضان: ١٢ قيراط / ٢٤ ذراع
□ ١ يناير ١٧٥٧ = ٢٥ كيهك ١٤٧٣ = السبت ٩ ربيع الثانى ١١٧٠.
□ فيها مات ابراهيم كيخيا فانتقلت الكلمة العتقاه.
□ فيها انشا الأمير عبد الرحمن كتخدا جامع الكردى بالحسينية.
□ فيها كانت سيادة الانكليز فى الهند بعد حرب بلاسى.
□ ١ ثوت ١٤٧٤ = ٩ سبتمبر سنة ١٧٥٧ = الجمعة ٢٤ ذوالحجة ١١٧٠.

بعض التحولات في النظام المملوكي في ظل الاحتلال العثماني

إن واحدة من أهم الفروق بين المجتمع المملوكي في ظل السلطنة المملوكية، والمجتمع المملوكي في ظل الاحتلال العثماني كان يتمثل في الأسماء التي حملوها. ففي ظل السلطنة المملوكية كانوا يحملون أسماء تركية أو أسماء أخرى غير عربية، بينما نجد أنهم في ظل الاحتلال العثماني يحملون أسماء عربية وذلك فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة.

إن هذا التحول في الأسماء كان أمراً لا مفر منه تحت الاحتلال العثماني وذلك لأن الطبقة الحاكمة العثمانية كانت تحمل أسماء عربية بصفتها سلطة إسلامية، ومن ثم فإنه كان يبدو أمراً شاذاً أن تسمح السلطة العثمانية بوجود طائفة مشاركة لها في الحكم تحمل أسماء مثل «بيبرس»، «قلاوون»، «إينال» «قصوه» «طومان باي»، وغير ذلك. ذلك أن هذه الأسماء بالإضافة إلى عمقها التاريخي وتمثيلها لعدو (في السابق) ثم قهره، يشكل خروج عن النظام الإسلامي العام الذي تدعيه السلطنة العثمانية، وتميزاً عن بقية رعايا السلطنة في مصر، بل أكثر من ذلك تميزاً عن رموز السلطنة العثمانية. ومن ثم وجد المماليك أنفسهم مضطرين لبند أسمائهم القديمة والتسمي بالأسماء العربية الإسلامية.

إن هذا التحول إلى الأسماء العربية يبدو أنه قد تم بسرعة كبيرة حتى أننا عندما نقرأ الجبرتي نجد أنه يخبرنا في بداية تاريخه بقائمة أسماء أهم خمسة عشر سنجق في مصر في بداية القرن الثاني عشر الهجري، لا نجد منهم سوى شخصاً واحداً يحمل اسم تركي هو «قصوه» كما أنه عندما يذكر أسماء الأمراء الأربعون الذين قتلهم محمد علي في ملهبة القلعة المشهورة لا نجد منهم سوى اثنين يحملون أسماء تركية هم شاهين ورستم. ومن الممكن أن نجد لدى الجبرتي أسماء تركية أخرى «ايواط»، «لاجين»، ولكنها في النهاية استثناءات لا قاعدة.



والإيراد ويدخلهم في الوجاقات والبلكات بالمصانعات والرشوات لأرباب الحل والعقد والمتكلمين، وتنقلوا حتى تلبسوا بالمناصب الجليلة كتخدايات واختيارية وأمراء طبليخانات وجاويشية وأوده باشية وغير ذلك، حتى صار من مماليكه ومماليكهم من يركب في العذرات^(٤) فقط نحو المائة، وصار لهم بيوت وأتباع ومماليك وشهرة عظيمة بمصر وكلمة نافذة وعزوة كبيرة، وكان يركب حماراً ويعتم عمه لطيفة على طربوش وخلفه خادمه، ومات في سن السبعين ولم يبق في فمه سن، وكان يقال له صالح چلبى والحاج صالح، وبالجملة فكان من نوادر الزمن، وكان يقرض إبراهيم كتخدا وأمراء بالمائة كيس وأكثر وكذلك غيرهم ويخرج الأموال بالربا والزيادة، وبذلك انمحقت دولتهم وزالت نعمهم في أقرب وقت، وآل أمرهم إلى البوارهم

النتائج العملية للتحويل نحو الأسماء العربية الإسلامية

إن التحويل إلى الأسماء العربية في ظل الحكم العثماني يتم عن نتائج بعيدة المدى وذلك أنه في ظل السلطنة المملوكية كان أبناء المماليك «على عكس آبائهم» يتسمون بأسماء عربية.

وهكذا فإن الاسم العربي لابن المملوك كان يستخدم كعبر عن عزل الابن وإبعاده عن الطبقة الحاكمة العليا، ومن جانب آخر بوصفه خطوة نحو التمهير واستيعابه في إطار السكان المحليين.

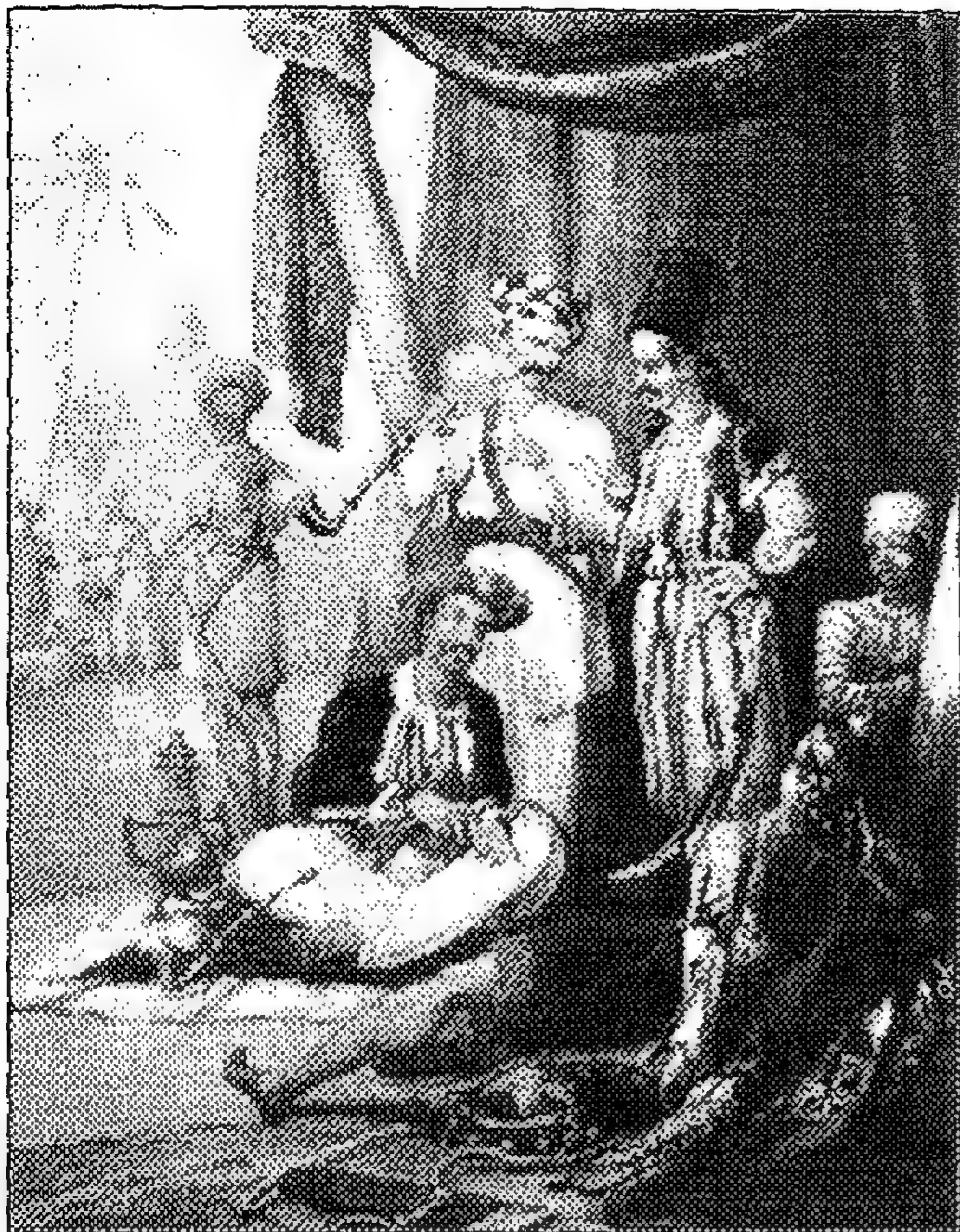
وهكذا نجد أن حاجز الاسم قد انهار عن الطبقة المملوكية، مما شكل إلى جانب عامل آخر أكثر أهمية - وهو انهيار منظومة الرق عبر السلطنة العثمانية في أواخر عهدها - في توطد نظام وراثته الأبناء لمناصب الآباء في ظل الاحتلال العثماني.

يظهر ذلك واضحاً في الأمثلة الآتية: عندما مات درويش بك نجد أن أيوب كاشف قد أصبح صنيقاً بدلاً منه لأن ابن المتوفى كان لا يزال صغيراً تبعاً لما يقول الدمرداشي.

وعندما قتل أحمد بك في أحد المعارك خلفه مملوكه علي كتنخدا الهندي لأن أحمد بك وماله أولاد، كما يذكر الدمرداشي. وعندما مات كل من إيواظ بك وإبراهيم بك أبو شنب، اعتبر أنه من الطبيعي أن يخلفهم أولادهم، اسماعيل، ومحمد أبو شنب. بينما نجد أن أكبر ممالك إيواظ بك وإبراهيم بك بالرغم من كونهم قد وصلوا إلى رتبة صنيق قد أصبحا رسمياً مجرد مؤيدين وحماة لأبناء سادتهم المتوفين كما ذكر الدمرداشي.

كما أن بعض المماليك تولى عدداً من أولادهم منصب الصنيقية. ونظراً لأن الأمراء المماليك كانوا يموتون في سن مبكرة فإننا نجد أولادهم يصلون عادة إلى منصب الصنيقية في سن صغيرة ومن أمثلة ذلك

(١) اسماعيل بن إيواظ، الذي تولى منصب والده وهو في سن الثالثة عشرة، ومات في



وأولادهم وبواقيتهم لذهاب ما في أيديهم، وصاروا أتباعاً وأعواناً للأمراء المتأخرين. (ص ٤٨١)

٢٣٨ إبراهيم كتنخدا والد عبد الرحمن كتنخدا الكبير.

[ومات] الأمير إبراهيم كتنخدا تابع سليمان كتنخدا القازغلي، وسليمان هذا تابع مصطفى كتنخدا الكبير القازغلي، وخشداش حسن جاويش أستاذ عثمان كتنخدا والد عبد الرحمن كتنخدا المشهور، ليس الضلعة في سنة ثمان وأربعين ومائة وألف وعمل جاويشا وطلع سردار قطار في الحج في إمارة عثمان بك ذي الفقار سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، وفي تلك السنة استوحش منه عثمان بك باطناً لأنه كان شديد المراس قوى الشكيمة، وبعد رجوعه من الحج في سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف نما

من العشرين. (٢) مرزوق بك ابن ابراهيم بك، أصبح صنjqاً فى حياة أبيه، بينما كان لا يزال طفلاً طفلاً صغير ومعه الدادة والمرضة، وقد قتل فى مذبحة القلعة.

وهكذا تم ضم أبناء الممالك إلى الطبقة الحاكمة العليا مما جعلها ذات طبيعة مختلفة عن الطبقة المملوكية فى ظل سلطنة الممالك، ودعم مبدأ الوراثة الذى انسحب حتى على نظام الملكية بدلاً من ملكيات الالتزام للبيت المملوكى فى أواخر القرن الثامن عشر مما شكل النواة الأولى لبداية ظهور الملكية الخاصة التى سرعان ما عصف بها نظام محمد على والحملة الفرنسية من قبله.

ذكره وانتشر صيته، ولم يزل من حينئذ ينمو أمره وتزيد صولته وتنفذ كلمته، وكان ذا دهاء ومكر وتحيل ولين وقسوة وسماحة وسعة صدر وتؤدة وحزم وإقدام ونظر فى العواقب، ولم يزل يدبر على عثمان بك، وضم إليه كتخداه أحمد السكرى ورضوان كتخدا الجلفى و خليل بك قطامش وعمر بك بسبب منافسة معه على بلاد هواره كما تقدم حتى أوقع به على حين غفلة، وخرج عثمان بك من مصر على الصورة المتقدمة، فعند ذلك عظم شأنه وزادت سطوته واستكثر من شراء الممالك وقلد عثمان مملوكه الذى كان أغات متفرقة صنjqاً وهو أول صناجقه، وهو الذى عرف بالجرجاوى، ولما قتل خليل بك قطامش وعمر بك بلاط وعلى بك الدمياطى ومحمد بك فى أيام راغب باشا بمخامرة حسين بك الخشاب، ثم حصلت أيضا كايئة الخشاب وخروجه ومن معه من مصر وزالت دولة القطامشة والدمايطة والخشاية، وعزلوا راغب باشا فى أثناء ذلك كما تقدم، فعند ذلك انتهت رئاسة مصر وسيادتها للمترجم وقسيمه رضوان كتخدا الجلفى، (ص ٤٨٢) ونفذت كلمتهما وعلت سطوتهما على باقى الأمراء والاختيارية الموجودين بمصر، وتقلد المترجم كتخدائية باب مستحفظان ثلاثة أشهر ثم انفصل عنها، وذلك كما يقال لأجل حرمة الوجاق، وقلد مملوكيه عليا وحسينا صنjqين وكذلك رضوان كتخدا كما سبق، وصار لكل واحد منهما ثلاثة صناجق واشتغل المترجم بالأحكام وقبض الأموال الميرية وصرفها فى جهاتها، وكذلك العقوبات وغلال الأنبار ومهمات الحج والخزينة ولوازم الدولة والولاية، وقسيمه رضوان كتخدا مشغول ببلداته ومنهمك على خلاعاته، ولا يتداخل فى شىء



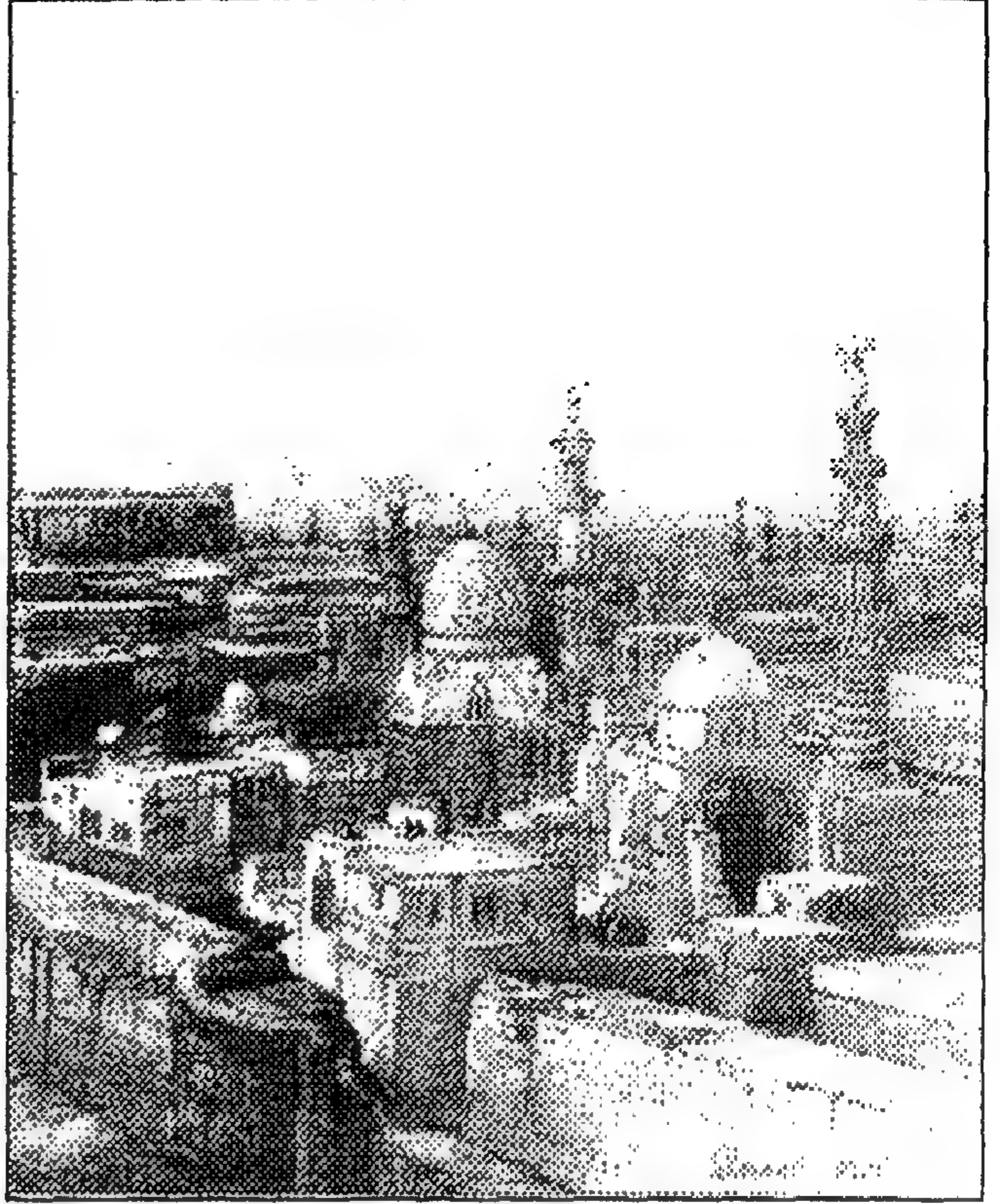
جامع المكي

مما ذكر، والمترجم يرسل له الأموال ويوالى بر الجميع، ويراعى خواطرهم وينفذ أغراضهم، وعبد الرحمن كتحدا مشغل بالعمائر وفعل الخيرات وبناء المساجد، واستكثر المترجم من شراء الممالك وقلدهم الإمرات والمناصب، وقلد إمارة الحج لمملوكه على بك [الكبير] وطلع بالحج ورجع سنة سبع وستين ومائة ألف، وفي تلك السنة نزل على الحجاج سيل عظيم بمنزلة ظهر حمار (*) فأخذ معظم الحجاج بجمالهم وأحمالهم إلى البحر ولم يرجع من الحجاج إلا القليل.

* ظهر حمار: اسم موضع بالحجاز على طريق الحج.

ومما يحكى عنه أنه رأى فى منامه أن يديه مملوءتان عقارب، فقصها على الشيخ الشبراوى فقال «هؤلاء ممالك يكونون مثل العقارب، ويسرى شرهم وفسادهم لجميع الناس فإن

* منظر عام للقاهرة.



العقرب لدغت النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم (لعن الله العقرب لا تدع نبيا ولا غيره إلا لدغته) وكذا يكون ممالكك، وكان الأمر كذلك، وليس للمترجم مآثر أخروية ولا أفعل خيرية (ص ٤٨٣) يدخرها في ميعاده، ويخفف عنه بها ظلم خلقه وعباده، بل كان معظم اجتهاده الحرص على الرياسة والإمارة، وعمر داره التي بخط قوصون بجوار دار رضوان كتخدا، والدار التي بباب الخرق وهي دار زوجته بنت البارودي والقصر المنسوب إليها أيضا بمصر القديمة والقصر الذي عند سبيل قيمار بالعادلية، وزوج الكثير من ممالكه نساء الأمراء الذين ماتوا وقتلوا وأسكنهم في بيوتهم، وعمل وليمة لمصطفى باشا وعزمه في بيته بحارة قوصون في سنة ست وستين ومائة وألف وقدم له تقادم وهدايا، وأدرك المترجم من العز

والعظمة ونفاذ الكلمة حسن السياسة واستقرار الأمور ما لم يدركه غيره بمصر، ولم يزل في سيادته حتى مات على فراشه في شهر صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف.

٢٣٩ رضوان كتخدا الجلفى صاحب رسالة
قاهر وجوة العاسة في ذكر نسب
الجراكسة

[ومات] بعده رضوان كتخدا الجلفى وهو مملوك على كتخدا الجلفى تلقد كتخدانية باب عزبان بعد قتل أستاذه بعناية عثمان بك ذى الفقار كما تقدم، ولم يزل يراعى لعثمان بك حقه وجميلته حتى أوقع بينهما إبراهيم كتخدا كما تقدم، ولما استقرت الأمور له ولقسيمه ترك له الرياسة فى الأحكام واعتكف المترجم على لذاته وفسوقه وخلاعاته ونزهاته، وأنشأ عدة قصور وأماكن بالغ فى زخرفتها وتأنيقها وخصوصاً داره التى أنشأها على بركة الأزبكية، وأصلها بيت الدادة الشرايبي وهى التى على بابها العامودان الملتفان المعروفة عند أولاد البلد (بثلاثة وليه). وعقد على مجالسها العالية قباباً عجبية الصنعة منقوشة بالذهب المحلول واللازورد والزجاج الملون والألوان (ص ٤٨٤) المفرحة والصنایع الدقيقة، ووسع قطعة الخليج بظاهر قنطرة الدكة بحيث جعلها بركة عظيمة وبنى عليها قصراً مطلاً عليها وعلى الخليج الناصرى من الجهة الأخرى. وكذلك أنشأ فى صدر البركة مجلساً خارجاً بعضه على عدة قناطر لطيفة وبعضه داخل الغيط المعروف بغيط المعدية، بوسطه بحيرة تمتلئ بالماء من أعلى وينصب منها إلى حوض من أسفل ويجرى إلى البستان لسقى الأشجار، وبنى قصراً آخر بداخل البستان مطلاً على الخليج وعلى الأملاق (*) من ظاهره، فكان يتنقل فى تلك القصور وخصوصاً فى أيام النيل ويتجأهر بالمعاصى والراح والوجوه الملاح وتبرج النساء ومخاليع أولاد البلد. وخرجوا عن الحد.

* الأملاق: يقصد هنا الفضاء الممتد فيما يلى الخليج.

في تلك الأيام، ومنع أصحاب الشرطة من التعرض للناس في أفاعيلهم فكانت مصر في تلك الأيام مراتع غزلان ومواطن حور وولدان، كأنما أهلها خلصوا من الحساب، ورفّع عنهم التكليف والخطاب، وهو الذي عمر باب القلعة الذي بالرميلة المعروف بباب العزب، وعمل حوله هاتين البدنتين العظيمتين والزلاقة على هذه الصورة الموجودة الآن، وقصدته الشعراء ومدحوه بالقصايد والمقامات والتواشيح، وأعطاهم الجوايز السنية وداعب بعضهم بعضا، فكان يغرى هذا ويضحك منهم ويباسطهم، واتخذ له جلساء وندماء منهم الشيخ على جبريل والسيد سليمان والسيد حمودة السديدي والشيخ معروف والشيخ مصطفى اللقيمي الدمياطي صاحب «المدامة الأرجوانية في المدايح الرضوانية» * ومحمد أفندي المدني، وامتدحه العلامة الشيخ يوسف الحفني بقصائد طنانة، وللشيخ عمار القروي (ص ٤٨٥) فيه مقامة مدحا في المترجم ومداعبة للسيد حمودة السديدي المخلّو، وأجابته بأبلغ منها مقامة وقصيدة من رويها أديب العصر الشيخ قاسم بن عطاء الله الأديب المصري، والأديب الفاضل الشيخ عبد الله الإدكاوي والعلامة السيد قاسم التونسي، وألف فيه الشيخ عبد الله المذكور كتابا سماه الفوايح الجنانية في المدايح الرضوانية، جمع فيه ما مدح به الأمير رضوان كتخدا من قصايد ولطائف وتواشيح (فمن ذلك) مزدوجة الأديب قاسم * ولندرتها ورقتها أوردها في هذا المجموع وهي:

* انظر نص «المدامة الأرجوانية في المدايح الرضوانية» في ترجمة مصطفى اللقيمي رقم ٢٦١. وهو يسميها «المدامة الأرجوانية في المقامة الرضوانية».

* هو قاسم بن عطا الله: انظر ترجمته في الجزء الثالث.

أحمد مولى مستحق الحمد
 مفتتحا كتابه بالحمد
 وحيا على تكرار مسيم الحمد
 فهو الذى حاز لواء الحمد
 وسيلتى مدحى له وحمدى
 بكرت يوما والهوى مطيعى
 أرض الربا فى زمن الربيع
 أذابها فى زخرف بديع
 تزهو بشوب سندس وسيع
 فى حسن وصفهما استمع ما أبدى
 بكت بدمع الطل عين النرجس
 فأضحكت ثغر الأقاح* الألعس*
 والورد يزهو باحمرار الملبس
 مفتتحا أطواقه بالمجلس
 قد أرج* الروض بنشر الند
 روض به ماء الحياة جارى
 خضر النبات منه بالجوار
 فيه خيال الورد باحمرار
 يرى له فى الماء زندوارى
 وعجب فى الماء قدح الزند
 حديقة بها السرور محقق
 جدولها مسلسل منطلق
 فى جوه نجم الزهور مشرق
 والبان ظله غدا يسترق

* أقاح: جمع (أقحوان) وهو نبت طيب
الريح (الألعس) الكثيف الكثير من النبات.

* الألعس: يقال نبات العس أى كثير كثيف
(القاموس المحيط).

* أرج: أى فاحت منه رائحة طيبة والنشر
بمعنى الريح الطيبة والند بفتح النون
(الطيب) فيكون المعنى أن الروض قد فاحت
منه رائحة الطيب.

من وجنه الماء احمرار الورد (ص ٤٨٦)

ظل لطاف قُضِبها يا قارى
كأنه الأَقلامُ جلُّ البارى

كتب فى طرس* الغدير السارى
* الطرس: بكسر الطاء الصحيفة.

ما حفظته من غنا الأَطيار
نقطها الطل بدرُ العقد

أما ترى الدرُّ بدا للحدِّق*
* الحدِّقُ يفتح الدال جمع (حدِّقة) وهى
السواد الأعظم للعين.

كلل تيجانَ رءوس الورق
وقد حكى النهرُ بظل الزَّبِق*

* الزَّبِق (يفتح الزاى والباء) نبات له زهر
جميل طيب الرائحة.

خَد السما مورداً بالشفقِ
كلاهما بالورد زاهى الخدُ

لما حكى الغدير للسَّماء

لاح به السَّمَاك فى ضياءِ

من فوقه صارت يد الهواء

تنصب للصيْد شبَّاك الماء

برقة لم تستطعها الأيدى

شبَّاكُ در ولُجِين تُنسجُ

لجَوهَر الألباب فيها فرجُ

بها شعاع الشمس حين يهيج

بعسجَد ترى اللجين يمزج

ليخطف الأبصار عند النقد

تجائبُ السَّحْب بجند الودِّق*
* الودِّق: المطر.

أرسلها الغرب لحرب الشرق

لنحوه تراسلت بالسَّبق

وكَلما سَلت سيوفَ البرق

يصهل فى الملك جواد الرعد

يجول فى الملك بأمر الملك

وَكأنه الفُلك ببَحَر الفلكِ

قَسْطَلْ* الشَّيْبُورَ للمعترك
 محنتك من تحت ذات الحبك
 والقطر موصول المدى بالمد
 وحوصرت شمس الضحى بالأفق
 بعسكر سد جميع الطرق
 وبالدما غط قميص الشفق
 وانفلقت هام الدجى بالفلق
 ومنه حل عقدها بيند
 وابتهج الشرق على الظلماء
 بالصبح صاحب اليد البيضاء
 أخرجها من حلة الدجاء
 من غير سوء قد بدت للرائي
 لسحر آية الدجى المسود
 وقد بدا الصبح وللجو صعد
 وأصبحت قضب الرياض في ميد (ص ٤٨٧)
 ممطيات البَرْد من در البَرْد
 وكل يابس غدا رطب الجسد
 وفتحت عين الزهور الرمْد
 باكراً صبوح روضة الزهور
 فأبرك الأشياء في البكور
 ورد على اللذات والسرور
 وأترك هوى وساوس الصدور
 فمنهل اللذات عذب الورد
 ما حسن الصبوح في الصباح
 والسكر في روض الربا يا صاح
 على خدود الورد والتنفاح
 والريح تدنى مبسم الاقحاح
 للثم هاتيك الخدود الورد*

والسورق مذغنت على العيدان

بلين قَدِ ماسَ غصنُ البانِ

والآسُ فوقَ وجنة النعمانِ*

من ذا رأى الجناتِ فى النيرانِ

عجبت للتأليف بين الضدِّ

وانظر إلى تلهب الشقيقى

غليظا على لينوفر غريق

يُومى لبنت الكرم بالتعنيق

وبل إلى الرمان بالتحقيق

تراه فى صدر الربا كالنهد

أكـرمُ ببنت الكرم والدوالى

من الهموم غرسها دوا لى

بها يطوف مخجل الغزال

كالشمس تجلى فى يد الهلال

تقارنا فى أفق خان السعد

يرى من الساقى ومنها عجبُ

إذا بدت فى كاسها تلتهب

كأنها من خده تنسكبُ

وإن يكن لكل خمـر حـبُّ

فعرق الجين درا يدي

لله ما أبهى وما أسناها

فى كاسها كالشمس فى مرآها

يسعى بها البدر وقد أدناها

من شفتيه اللعس ما أحلاها

إذا مزجت من ريقه بالشهد

شماعها سطا على الندمان

ساوى شجاع العقل بالجبان

* الورقاء هى الحمامة وجمعها (ورق) بضم
الواو وسكون الراء.

* النعمان: يريد (شقائق النعمان) وهى زهر
أحمر أضيف إلى النعمان بن المنذر لأنه نزل
شقائق رمل قد أثبت هذا الزهر فاستحسنه
فأمر أن يحمى له فأضيفت إليه وسميت
شقائق النعمان.

* اللينوفر (أو النيلوفر): نوع من النبات
ينبت فى المياه الراكدة، له أصله كالجلذر
وساق أملس يطول حسب عمق الماء، فإذا
ساوى سطحه أورق وأزهر.

* بنت الكرم شجرة العنب والدوالى نوع من
العنب، أما دوالى الثانية ففيها جناس لفظى
أصلها (دواء لى).



وجالت الحمراء في الميدان
 بين صفوف صحبة القناني
 (ص ٤٨٨) كأنها من الدما في برد
 مليكة لطيفة المزاج
 تختال في برد من الديباج
 على جواد أشهب الزجاج
 بهجة احمرارها الوهاج
 تحكي حدود قاتلي بالصد
 غصين بان خده نزيه
 فريد حسن ماله شبیه
 يمس في روض البهايتيه
 ظبي النقا* مستيقظ نبيه
 بالقلعة النعسا لصيد الأسد

* النقا: كتيب الرمل.



من دعة الحور سباهها الحور
 في مهجتي بها أصاب القدر
 طلبت حين لم يفدني الحدر
 منهم أمانا في الهوى لي غسروا
 مع أنني عن غيرهم في زهد
 لا تنكروا بعد الحجا جنوني
 تهتكى في ذلك المصون
 وحدهوا أن تصفوا شجوني
 به عن البحر وعن عيوني
 بدمعها لم تطف نار وجدى
 نقيطة خاله* سحيق المسك
 من فوق خد للهيبي يحكى

* خاله: اخال شامة في البدن أى بثرة سوداء
 ويغلب على شامة الخد وجمعها خيلان.

للقلب حتما يدعى بالملك
 واستعبدتني عين ذاك التركي
 لما غزاني جفنها بهندي
 أبحته قلبي وجفني سكنا
 لما أراني منه وجهها حسنا
 وطرفه الساحر لما أن رنا
 بسحره كليم قلبي فتنا
 ولم يجد عن طوعه من يد
 كوكب حسن مشرق لم يافل
 الحاظه قد جردت سيفاً على
 مهفوف من غيره القلب خلى
 والسرف في السكان لا في المنزل
 فأينما كنت حبيبي عندي
 مطلب خده بعيد الطلب
 في كتب الحسن أتى بالعجب
 مصباحه يتلو شذور الذهب
 والعقد في حلية ثغر أشنب
 عقيانه لاحت كنجم السعد (ص ٤٨٩)
 أنعم بلون خده المنير
 مشرب عنه روى الحريري
 وباهتزاز عطفه النضير
 يسكرني النسيم بالعبير
 لذاك أعشق الصبا والنجدي
 البارق النجدي الذي تبسم
 من ثغر قد ذكر المتيم
 من كحل الجفن له من نظم
 لو تم سعدى في الهوى واستحكم
 كان الزمان ما قضى ببعد

بخسده وقسده المران
 عرفنى ظبى النقا والبان
 قانى البها رب الخديد القانى
 ليس لعطفه الفريد ثانى
 يميل ميلات الفصون الملد
 روض زها بمشروق الأزهار
 واستبدل الدرهم بالدينار
 سقته ماء المزن فى الأسحار
 من درها فأنبت الدرارى
 تبارك الله المعيد المبدى
 جاء الربيع والزمان اعتدلا
 وألبس الفصن من الزهر حلا
 والطير ضمنت غناها مثلا
 إنشأها مولى لقد حاز علا
 للكتخدا رضوان رب المجد
 أمير مجد أوحى الزمان
 يفوق معنى كامل المعانى
 لو شام برق سيفه اليمانى
 عنتر فى ألف من الشجعان
 قال اللقا فى الحشر يا ابن ودى
 بحر الندى قد ألف المزيد
 أضحى سريع جوده مديدا
 خليفة الوقت غدا فريدا
 ولم يزل موفقا ورشيذا
 فى كل رأى للصواب مهدى
 صاعد أهل المجد رفقا فرقا
 والأسدولت من سطاء فرقا

مجمعا من دهره ما فرقا
 أصبح شمل حاسديه فرقا
 والناس بين رفقه والرفد
 تراه للأحباب فاق الوالدا
 وللعدا مجادلا مجالدا (ص ٤٩٠)
 أرجوه يحيا في السرور خالدا
 في الجود أعنى طارفا وتالدا
 وكل منسوب له في الود
 روع العدى للأصدقيا يراعى
 يراعُه للعَضْب* واليـراع
 همته للسبع في ارتفاع
 دع عنك سبع القاع بالبقاع

* العَضْب: السيف القاطع.

عالي الدرى أعداؤه في الدرك
 إذا سطا فما الحياة دركى
 ليث الشرى في الحرب مثل الشرك
 يرى الملا في اللطف لطف الملك
 لحسن وجهه بروحى أفدى
 دع علة التسعيل بالأمانى
 واقصد حمى الموصوف بالأمان
 وانف لباس البؤس والأحزان
 واسأل عن النعيم من رضوان
 قل ما تريد لا تخف من رد
 لُدْ بأبى الفـوز من الخفاف
 ومن بجوده يعانى العافى
 تفوز بالأمن وبالإسعاف
 عزيز مصر كامل الأوصا
 بيت القصيد بالغاً للقصيد

حليكننا جلت لنا أوصافه
 لم يَبْد في غير العطا إسرافه
 ضيأؤه قمرت به أضيافه
 تفعل في جيش العدا أسيافه
 ما يفعل الصرصر يوم الحصد
 همامٍ عصر غيث جود هامى
 نامى العطا لسائر الأنام
 مواصل النعيم بالإنعام
 بقية الدهر من الكرام
 أحيا وجود الجود بعد الفقد
 ساد الورى عدلاً له روحى الفدا
 فكم به من شاهدٍ للكتخدا
 روحى الفدا للكتخدا بحر النداء
 ومن غدا على الكرام سيبدأ
 فى عصره وماله من ضد

عفيف أخلاق عن الجانى عفا
 تخافه الأسد وما فيه خفا
 خفيف روح كالنسيم ما هفا
 ألد للعشاق من ترك الجفا
 (ص ٤٩١) ومن وفاء الوعد بعد البعد
 كنوكب مجدٍ نوراً مشرقاً
 يزهر بأفق العز فى طول البقا
 روض النقا فلا يزال موقراً
 لا بالقى لا تراه فى يوم اللقا
 طلق الحيا والحمى والأيدى

أدامه الله برغم الشاننى
عزيز جاه وعلى الشان
جمعا بمن يحب فى امان
متابعاً للحسن بالإحسان
رضوانه مؤيد بالخلد
يا جنة الفنون والأفنان
محفوظة من طارق وجانى
نسيمها بالروح والريحان
يهدى الشذا للملك الرضوان
بهجة ندى مالها من ندى
مجلس أنس دام فى إشراقه
تبدو شمس الحسن فى آفاقه
روض تروض الورق فى أوراقه
قد حفظ الحفظ على طباقه
وقد حوى كل مجيد مجدى
معروفه عم جميع الخلق
والجبر لى منه قبول صدق
كانها يا مالكا للرق
شمس ولكن لم تزل بالشرق
برهانها قال النجوم جندى
خريدة فريدة فى الآن
شبابها يهزأ بالشيبان
فهاكها فى ملبس التهانى
واذكر بها هرون وابن هانى
واعجب لها من ازدواج الفرد
شاهدة للمقصرى بالفضل
والطل منسوب لجود الويل

قد تفعل العصاة فعل النصل
 والجزء أدنى من فوات الكل
 كم حسن سبك أذهب التعدي
 حديقة السرور والأسرار
 نضيرة الزهور كالنضار
 جاءت وليس الشعر من شعاري
 تقول للزجاج لا تماري
 ماذا تقول يا بعيد بعدى (ص ٤٩٢)
 تمت معانيها بحسن أكمل
 مثل الزهور في الرياض تنجلي
 قد بشرت بصفو عيش مقبل
 مذارخت زاكى حفظ لعلى
 أحمد مول مستحق الحمد

وله فيه توشيح عارض به لسان الدين بن الخطيب الأندلسي
 رحمه الله ومطلعه:

ترك الهجر ووافى كرما
 بعدما كان لعهدى قد نسي
 أهيف القد كغصن علما
 من نسيم الروض فى الميس
 مفرد فى الحسن ثنى معجبا
 ألف القد بشكل حسن
 غصن بان هزه ريح صبا
 خدّه يزهر على الورد الجنى
 ساحر الجفن أرانا عجبا
 أسره للأسد حال الوسن



قمر في أفق الحسن سما
 لاح من أطواق أسنى الملبس
 بدر تم زاد حسنا ونما
 بهجة من فوق قطب الأطلس
 جعل الوصل على الحب جزا
 وجلا بالأمن قلبا وجلا
 لحظة الغزال بالسحر غزا
 كم سبا قلبا وعقلا عقلا
 واهتزاز العطف بالغصن هزا*
 ومن الغيرة أسلى الأسلا*
 وجهه فاق على بدر السما
 وبنار نوره لم يمسس

* هزا: أي هزا بمعنى سخر.
 * سلى الأسل: أي كشف الشوك،
 والمقصود أن الغصن أظهر شوكة من شدة
 غيخته من العطف.



أطلق الحسنُ عليه علماً
 وزهت وجنته بالقبس
 حرس الورد بخال سُبُج*
 * سبج: أى أسود اللون.
 وعليه الآسُ حرساً نبتاً
 وسطت مقلته بالدُعج
 مقبلاً يجرحُ أو ملتفتاً
 عابث القيد بحب المهج
 شفتاه لفؤادى شفتا
 رفع القطع ووصلاً جَزَماً
 بانشراح ما بنا من عيس
 وتعاهدنا على رشف اللما
 إن ودى عنده لا ينتسى

نَصَبَ الْهُدْبَ لَصِيدِي شُرْكَاءَ
 لَحْظُهُ الْمُرْسَلُ فِي فِتْرَتِهِ
 وَبَسِيفِ الْجَفْنِ لَمَّا فَتَكَ
 فَطَرَ الْقَلْبَ عَلَى فِطْرَتِهِ
 عَلَّمَ الْعِشْقَ تَرْكَ الشُّرْكَاءِ
 وَحَذَرَ النَّارَ مِنْ وَجْنَتِهِ
 مَعْجَزَ الْوَاصِفِ أَبَدِي حَكْمًا
 مُذْ بَدَأَ بِالْحَسَنِ جَمْعًا مَكْتَسِي
 فَتَحَ الْوَرْدَ بِخُدَيْهِ كَمَا
 لَيَّنَ الصَّلْدَ* مِنَ الْقَلْبِ الْقَسِي
 شَرَفَ الْمَنْزِلَ وَالْوَقْتَ صَفَا
 أَهْيَفَ حَارَ لَهُ مِنْ وَصْفَا
 تَسْتَعِيرُ الْغَيْدَ مِنْهُ وَطْفَا*
 عَنَادَنِي مِنْ حَارِ نَارِي وَطْفَا
 جَاءَ طَبَا لْجِرَاحِي وَشِفَا
 حِينَ قَبِلْتُ خُدُودًا وَشِفَا
 كَعْبَةَ الْحَسَنِ لِكَأْسِي زَمَزَمَا
 وَازْدَرَى عَقْدَ ثَغُورِ الْأَكْوَاسِ
 قَلْتُ لَبِيكَ حَبِيبِي عِنْدَمَا
 طَافَ يَسْعَى بِحَيَاةِ الْأَنْفُسِ
 لَبَسْتَ حِلَّةَ ضَوْءِ الشَّهَبِ
 أَرْجَوَانِيَّةَ لَوْنٍ وَضَحَا
 وَبَدَتْ فِي دَرْتَاكِ الْحَبِيبِ
 تَهَادَى فِي مَقَامِي فَرَحَا
 لَيْلَةَ الْوَصْلِ لَهَا وَاعْجَبِي
 جَمَعْتَ لِي الْبَدْرَ مَعَ شَمْسِ الضُّحَى

* الصَّلْدُ يَفْتَحُ الصَّادَ وَكُسْرُهَا الصَّلْبُ الْأَمْلَسُ.

* الْوُطْفُ: يَفْتَحُ الْوَاوَ وَالطَّاءَ كَثْرَةُ شَعْرِ الْعَيْنَيْنِ وَالْحَاجِبَيْنِ.

وحلالي ثغرُهُ ملتثماً
 في عفافٍ عِرْضُنَا لم يدنس
 واتخذنا جنة الروض حمى
 وهو بالرضوان فيها مؤنسى
 كتخذنا رضوان كنز الفقرا
 بهجة العمر وشمس الزمن
 عنده حُطَّت رحال الشعرا
 ووصفوه كل وصف حسن
 فهو مولاهم ومولى الأُمرا
 وفريد ليس بالمقترن (ص ٤٩٣)
 كفه الغيثُ على الناس همى
 أفعاد الخصب بعد اليبس
 صبح الدهر به مبتسماً
 وهوى فيه محل اللُـعس*
 * اللعس: بفتحين لون الشفة المائل إلى
 السمرة.

ومنه:

في رقاع الحرب للأعدا رمى
 سطوة الرخ وفِرَز الحرس
 ضحك السيف وأبكاهم دما
 وتخطى شأهم بالفرس

ومن موشحاته أيضاً في المشار إليه من عراق:
 عبير الزهر قد نسمُ
 ولاح الورد في أفنان
 وساق المزن قد نظمُ
 ثنايا الورد في المرجان

وغصن البانة الأقصوم
 تحلى سندس الريحان
 فمما أبهى ومما أنعم
 عذار الآس فى النعمان

(دور)

حبيبى بالذى ورد
 شقائق خدك التبرى
 وثنى قـدك المفرد
 بخمرة ثغرك الدرى
 ومنك الجسفن قد سود
 على هاروت بالسحر
 أدر كـأس الطلا واغنم
 زمان الفوز بالرضوان

(دور)

ملك أوحـد العـصر
 وفى صادق الوعد
 بدا فى طلعة البدر
 وهيبة طلعة الأسد
 صديق العز والنصر
 حليف الجود والمجد
 لهذا ترجم الأعجم
 بمدح الكتبخدا رضوان

وقال فى نيرز عجم.

نظم الطلُّ عــــقــــودا
 حول أجساد الغصـــــون
 وتمايسُن قـــــــدودا
 فى حُــــلا زهر الغصـــــون
 واجتلى الوردُ خــــدودا
 نرجسٌ غَضُّ العــــيون
 وشدا الطير غــــريدا
 هاج بلبال الشجون (ص ٤٩٤)

(دور)

لبس الورد احـــــمـــــرارا
 فى حمى روض النعيم
 وعلى الأغـــــصـــــان دارا
 ساقى القطر العـــــمـــــم
 كلما مـــــالت سكارى
 عليها صرف النسيم
 عنانقت جيـــــدا وجيـــــدا
 واشتفت رمد الجفون

(دور)

كتبخدا رضوان ذخرى
 صاحب الوجه المنير
 وغنائى عند فقـــــرى
 جابرا قلبى الكـــــسير
 ما احتيالى غير شعرى
 وامتداحى للأـــــمـــــير

فى الورى أمسى فريدا
صاحب العز المتين

وقال فى رصد:

ريم فلا حين جلا لى كاس طلا شمس وبدر كمالا
كف ملا لى وملا سلسال عقد لآل بالحسن اكتسى حللا
خشف حلا غالى يجلى لى فاق على الشمس جلا

(دور)

بدر علا حين تلا لا واكتملا غصن تهادى ثملا
معتبلا فـيـه جـلا
يختال ذا الميال منه الغصن قد حجلا
زان حلا سالى عدالى بدر على الغصن علا.
(خانة أولى):

كم فتنا حسن سناه حين رنا كالبدر يعلو غصنا
لاح لنا قـانـى من أعـيـانـى
بالهجران مكحول الأجفان زادنى شجنا باللحظ الوسنان
غصن البان الفتان.

(خانة ثانية):

وردجنا عزجنه قد حسنا إذ حاز وجهها حسنا
زاد سنا قانى من أسباني بالعقيان فى الثغر المرجان
لوإلى دنا منه خمير الحان بالرضوان سعدى آن.

(دور المديح): (ص ٤٩٥)

متصلا مدح علا من زاد ولا طه إمام الفضلا والنبلا
خير ملا والآل ذى الإجلال فى فضل الكريم ولا منه إلى جالى

أهـو إـلى ألف سـلام وصـلا.

وقال في حُجاز:

يا قـوام البـان عنـك صـبرى بان
فـقت بالـفتن عـادل الأـغمـان
والـخـديد القـان كل حـسن فـان
ذاك. عن وسين سلـه لى يا فـان
(خانه)

دوسنا افتنا مذ رنا وانشى قامة الغصن وجنة النعمان
القنا للقنا ماثى عن سنا شكلك الحسن راجى الإحسان
(سلسلة)

أنت مسبى الوالدان والغزلان بالأجفان يا منصفان
هـات بـين الأـفـنـان
خـمر الحـان بالأـلـحـان فى البـسـان
(دولاب)

حسـنك الفـتـان مـفـرد فى الآـن
مـمـالـه مـن ثـان
بـدربـان أم إنـسـان
آن وصلى آن فـاترك الهـجـران
لـيـتـه مـا كـان
وارحم فـان بالأشـجـان

(خانه)

مـن عـنا مـنعنا راعنا وارعنا أن تعذبني فيك بالحرمان
فاتنا أفتنا هل دنا قربنا سائر الفتن لحظك الوسنان

(سلسلة)

فـاـشـف قلب النـولـهـاـن
 الـظـمـاـن من أدناـن الـندـمـاـن
 أنت عين الأعـيـاـن فى الأزـمـاـن
 رـغـم الشـاـن ياذا الشـاـن

(دولاب)

زر أخـاـشـجـنى فى هواك ضنى
 لا تـطـل هـجـراـنى قـاـنى
 غـاـيـة المـن أن تـزـر وـطـنى
 باـجـفـا انـسـاـنى قـاـنى

(خانه) (ص ٤٩٦)

مـا صـفـت أذنى من يعنفنى
 فـيـك أو يـلـحـاـنى جـاـنى
 عـنـك غـيـرـنى لا ولا أنـسـاـنى
 بـهـجـة الزمـن غـاـلى الثـمـن
 ثـفـرك المـرـجـاـنى حـاـنى
 لـسـت عـنـبـه غـنـى
 مـطـلب العـقـاـنى

(خانه)

ها أنا للـضـنى، كى أنال المـنى
 ناـحـل بـدنى فـاـقـد السـلـوان
 كـن لـنا مـحـسـنا فـاـلـهـنا قـنـد دنا
 حـبـى بـشـرـنى مـنـك بالـرـضـوان

ذو العطا الهـتـتـان والسلطان
فى الميـدان للشـجـعـان
حسبـه ذو التـبـيـان بالقرآن
والبرهان من عـدنان

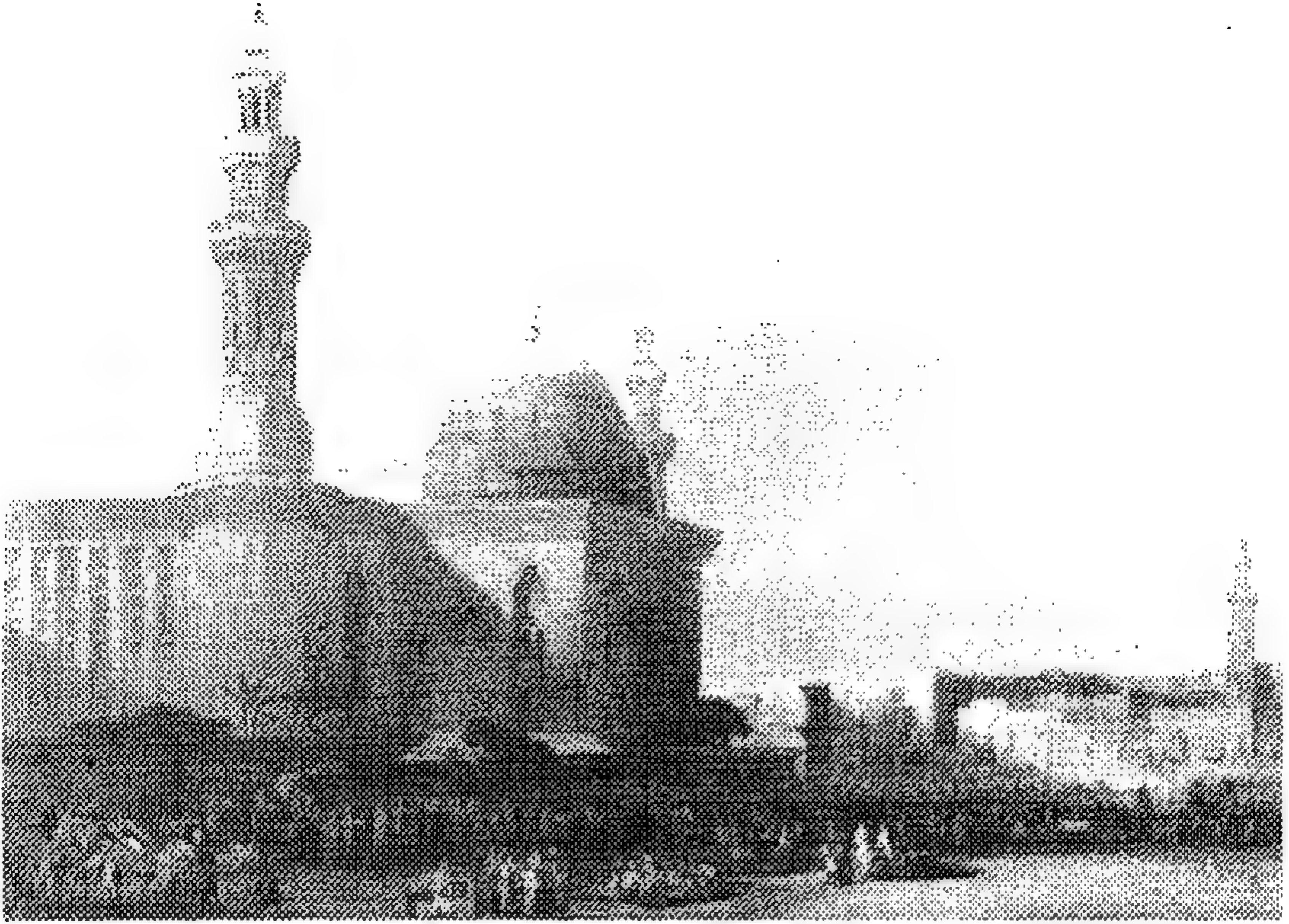
وغير ذلك كثير وستذكر بعضها في تراجمهم.

(عود وانعطاف)

ولم يزل رضوان كتخدا وقسيمه على إمارة مصر ورياستها حتى مات إبراهيم كتخدا كما تقدم فتداعى بموته ركن المترجم ورفعت النيام روسها، وتحركت حفايظها ونفوسها، وظهر شأن عبد الرحمن كتخدا القازدغلى وراج سوق نفاقه وأخذ يعضد ممالك إبراهيم كتخدا ويغريهم ويحرضهم على الجلفية لكونهم مواليه. فيخلص له بهم ملك مصر ويظن أنهم يراعون حق ولائه وسيادة جده، فكان الأمر عليه بخلاف ذلك كما ستراه، وهم كذلك يظهرون له الانقياد ويرجعون إلى رأيه ومشورته ليتم لهم به المراد، وكل من أمراء إبراهيم كتخدا متطلع للرياسة أيضا، وبالبلدة أيضا من الأكابر والاختيارية وأصحاب الوجاهة مثل حسن كتخدا أبى شنب وعلى كتخدا الخربطلى وحسن كتخدا الشعراوى قرا حسن كتخدا وإسماعيل كتخدا التبانة وعثمان أغا الوكيل وإبراهيم كتخدا مناو وعلى أغا توكللى وعمر أغا متفرقة وعمر أفندى محرم اختيار جاويشان وخليل جاويش حيضان مصلى وخليل جاويش القازدغلى وبيت الهياثم وإبراهيم أغا ابن (ص ٤٩٧) الساعى وبيت

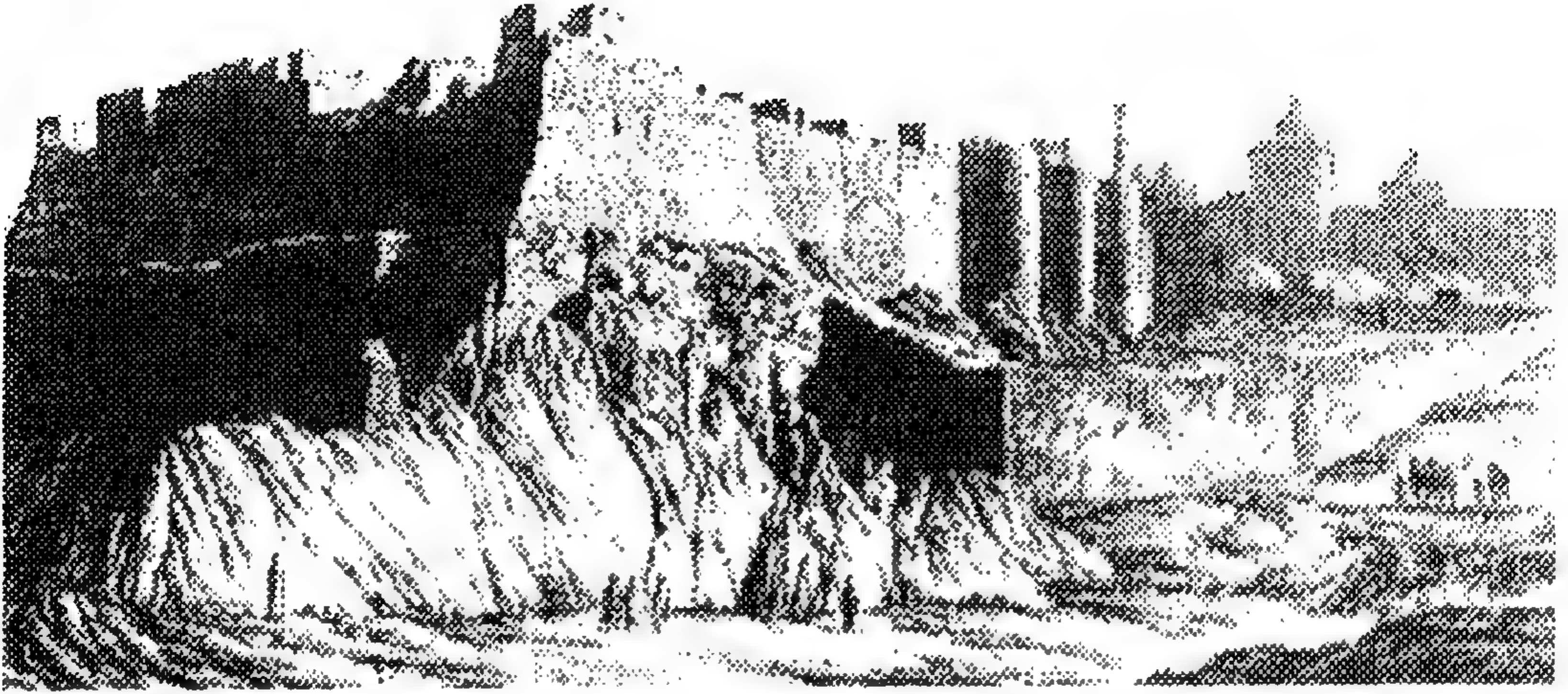
بعض أعلام الأكابر وقت رضوان كتخدا:

- عبد الرحمن كتخدا.
- حسن كتخدا أبو شنب.
- على كتخدا الخربطلى.
- حسن كتخدا الشعراوى.
- قرا حسن كتخدا.
- إسماعيل كتخدا التبانة.
- عثمان أغا الوكيل.
- إبراهيم كتخدا مناو.
- على أغا توكللى.
- عمر أغا متفرقة.
- عمر أفندى محرم.
- خليل جاويش حيضان مصلى.
- خليل جاويش القازدغلى.
- أعلام بيت الهياثم.
- إبراهيم أغا ابن الساعى.
- أعلام بيت درب الشمسى.
- عمر جاويش الداوديه.
- مصطفى أفندى الشريف.
- أعلام بيت بلفيه.
- أعلام بيت قضاة رضوان.
- أعلام بيت الفلاح.
- أحمد كتخدا.
- إسماعيل كتخدا.
- على كتخدا.
- ذو الفقار جاويش.
- إسماعيل جاويش.



* جامع السلطان حسن.

درب الشمسى وعمر جاويز الداودية ومططفى أفندى
الشرىف اختيار متفرقة وبيت بلفيه وبيت قصبة رضوان وبيت
الفلاح، وهم كثيرون اختيارية وأوده باشيه، ومنهم
أحمد كتحدا واسماعيل كتحدا وعلى كتحدا وذو الفقار
جاويز واسماعيل جاويز وغيرهم، فأخذ أتباع إبراهيم
كتحدا يدبرون فى اغتيال رضوان كتحدا وإزالته، وسعت
فيهم عقارب الفتن، فتنبه رضوان كتحدا لذلك، فاتفق مع
أغراضه [اتباعه] وملك القلعة والأبواب والحمودية وجامع
السلطان حسن، وجمع إليه جمع كثير من أمراه وغيرهم
ومن انضم إليهم وكاد يتم له الأمر، فسعى عبد الرحمن
كتحدا والاختيارية فى إجرا الصلح وطلع بعضهم إلى
رضوان كتحدا وقالوا له «هولا أولاد أخيك وقد مات



▲ قلعة القاهرة.

وتركهم في كنفك مثل الأيتام وانت أولى بهم من كل أحد وليس من المروءة والرأى أن تناظرهم أو تخصمهم فإنك صرت كبير القوم وهم في قبضتك أى وقت فلا تسمع كلام المنافقين، فلم يزالوا به حتى انخدع لكلامهم وصدقهم واعتقد نصحهم لأنه كان سليم الصدر، ففرق الجمع ونزل إلى بيته الذى بقوصون، فاغتموا عند ذلك الفرصة وبيتوا أمرهم ليلا وملكوا القلعة والأبواب والجهات والمترجم فى غفلته آمن فى بيته مطمئن من قبلهم ولا يدرى ما خبئ له. فلم يشعر إولا وهم يضربون عليه بالمدافع، وكان المزين يحلق له رأسه فسقطت على دأره الجلل* فأمر بالاستعداد وطلب من يركن إليهم فلم يجد أحداً ووجدهم قد أخذوا حوله الطرق (ص ٤٩٨) والنواحي، فحارب فيهم

* الجلل هى القنابل.

إلى قريب الظهر وخامر عليه أتباعه فضربه مملوكه صالح الصغير برصاصة من خلف الباب الموصل لبית الراحة فأصابته فى ساقه وهرب مملوكه إلى الأخصام وكانوا وعدوه بأمرية إن هو قتل سيده، فلما حضر إليهم وأخبرهم بما فعل أمر على بك بقتله وقال «هذا خاين وليس فيه خير» فشفعوا فيه وأمروا بنفيه.

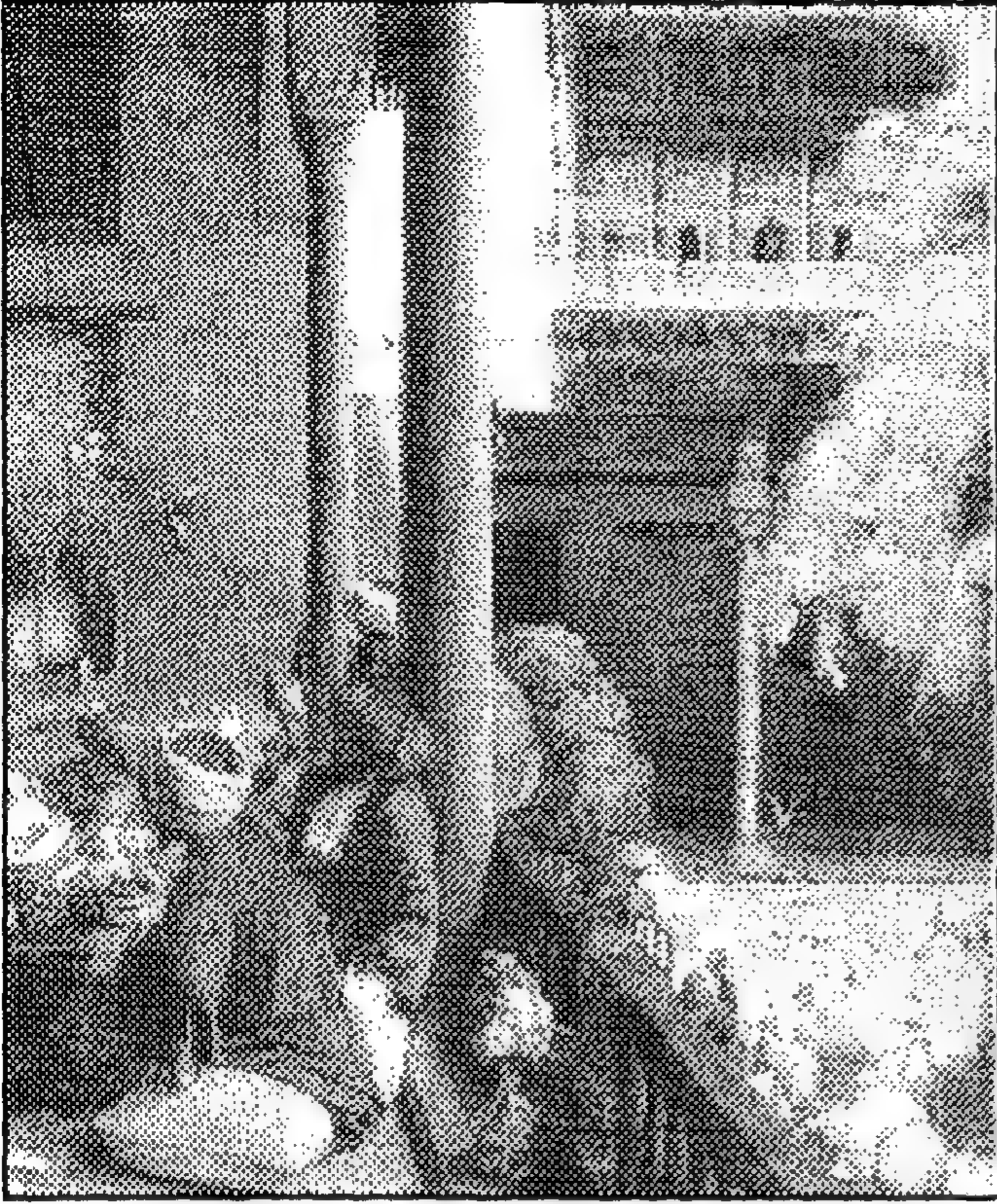
وعندما أصيب المترجم طلب الخيول وركب فى خاصته وخرج من نقب نقبه فى ظهر البيت وتألم من الضربة لأنها كسرت عظم ساقه، فسار إلى جهة البساتين وهو لا يصدق بالنجاة فلم يتبعه أحد ونهبوا داره، ثم ركب وسار إلى جهة الصعيد فمات بشرق أولاد يحيى ودفن هناك.

فكانت مدته بعد قسيمه قريبا من ستة أشهر، ولما مات تفرقت صناعقه وممالكه فى البلاد، وسافر بعضهم إلى الحجاز من ناحية القصير، ثم ذهبوا من الحجاز إلى بغداد واستوطنوها وتناسلوا وماتوا وانقضت دولتهما، فكانت مدتهما نحو سبع سنوات، ومصر فى تلك المدة هادية من الفتن والشور، والإقليم البحرى والقبلى أمن وأمان والأسعار رخيصة والأحوال مرضية، واللحم الضانى المجروم [المشقى] من عظمه رطله بنصفين، والجاموسى بنصف والسمن البقرى عشرته بأربعين نصف فضة واللين الحليب عشرته بأربعة أنصاف، والرطل الصابون بخمسة أنصاف، والسكر المنعاد كذلك، والمكرر قنطاره بألف نصف والعسل القطر قنطاره بمائة وعشرين نصفاً (ص ٤٩٩) وأقل، والرطل البن القهوة باثنى عشر نصفاً والتمر يجلب من الصعيد فى المراكب الكبار ويصب على ساحل بولاق مثل عرم الغلال ويباع بالكيل والأردب، والأرز إردبه بأربعمائة نصف، والعسل النحل قنطاره بخمسمائة نصف، وشمع العسل رطله

بخمسة وعشرين نصفاً، وشمع الدهن بأربعة أنصاف،
والفحم قنطاره بأربعين نصفاً، والبصل قنطاره بسبعة
أنصاف، وقس على ذلك

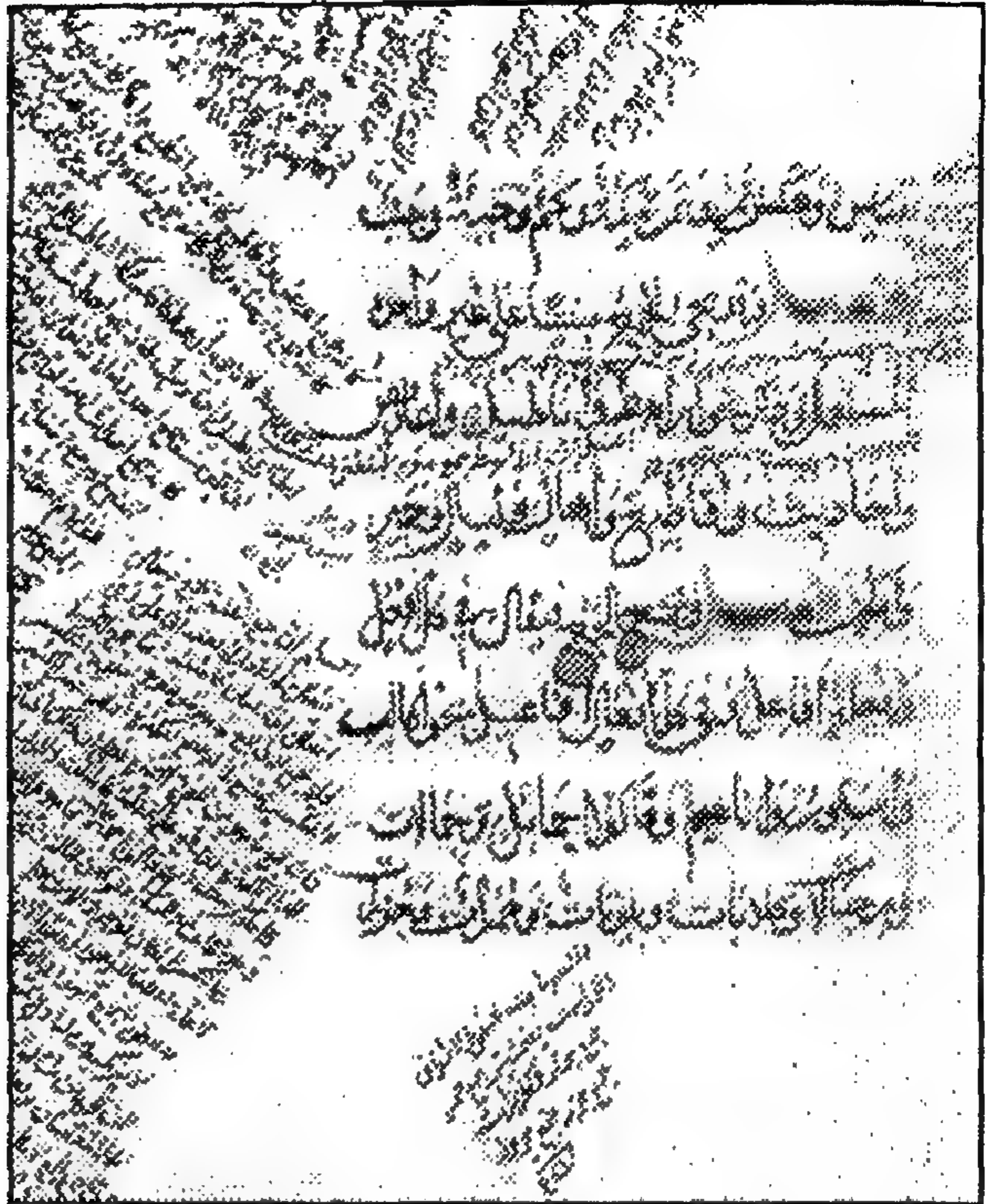
(يقول جامعة) إني أدركت بقايا تلك الأيام وذلك أن
مولدي* كان في سنة سبع وستين ومائة وألف ولما صرتُ
في سن التمييز رأيت الأشياء على ما ذكر إلا قليلاً، وكنت
أسمع الناس يقولون الشيء الفلاني زاد سعره عما كان في
سنة كذا، وذلك في مبادئ دولة إبراهيم كتنخدا وحدث
الاختلال في الأمور. وكانت مصر إذ ذاك محاسنها باهرة،
وفضائلها ظاهرة، ولأعداها قاهرة، يعيش رغداً بها الفقير،
وتتسع للجليل والحقير، وكان لأهل مصر سن وطريق في
مكارم الأخلاق لا توجد في غيرها، (منها) أن في كل بيت
من بيوت جميع الأعيان مطبخين أحدهما أسفل رجالي
والثاني في الحريم فيوضع في بيوت الأعيان السماط في
وقتي العشا والغدا مستطيلاً في المكان الخارج مبذولاً للناس
ويجلس بصدرة أمير المجلس وحول الضيفان، ومن دونهم
مماليكه وأتباعه ويقف الفراشون في وسطه يفرقون على
الجالسين ويقربون إليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات،
ولا يمنعون في وقت الطعام من يريد الدخول أصلاً ويرون
أن ذلك من المعاييب، حتى أن بعض (ص ٥٠٠) ذوى
الحاجات عند الأمراء إذا حجبهم الخدام انتظروا وقت الطعام
ودخلوا فلا يمنعهم الخدم في ذلك الوقت، فيدخل صاحب
الحاجة ويأكل وينال غرضه من مخاطبة الأمير لأنه إذا نظر
على سماطه شخصاً لم يكن رآه قبل ذلك ولم يذهب بعد
الطعام عرف أن له حاجة فيطلبه ويسأله عن حاجته
فيقضيها له، وإن كان محتاجاً وإسأه بشيء، ولهم عادات

* ١١٦٧ = ١٧٥٤ م.
تاريخ ميلاد الجبوتي.



وصدقات في أيام المواسم مثل أيام أول رجب والمعراج ونصف شعبان وليالي رمضان والأعياد وعاشورا والمولد الشريف، يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة* ويملئون من ذلك قصاعا كثيرة ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين، ويجتمع في كل بيت الكثير من الفقراء فيفرون عليهم الخبز ويأكلون حتى يشبعوا من ذلك اللبن والزردة، ويعطونهم بعد ذلك دراهم ولهم غير ذلك صدقات وصلات لمن يلوذ بهم ويعرفون منه الاحتياج، وذلك خلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجمية والشريك على المدافن والترب في الجمع والمواسم، وكذلك أهل القرى والأرياف فيهم من مكارم الأخلاق مالا يوجد في غيرهم من أهل قرى الأقاليم، فإن أقل ما فيهم إذا نزل به ضيف ولو لم يعرفه اجتهد وبادر بقراه في الحال، وبذل وسعه في إكرامه

الزردة: هي المهلبية.



وذبح له ذبيحة في العشاء، وذلك ما عدا مشايخ البلاد
والمشاهير من كبار العرب والمقدام، فإن لهم مضاف
واستعدادات للضيوف ومن ينزل عليهم من السفار
والأجناد، (ص ٥٠١) ولهم مساميح وأطيان في نظير ذلك
خلفا عن سلف، إلى غير ذلك مما يطول شرحه ويعسر
استقصاؤه.

وبموت رضوان كتحدا لم يبق لوجاق العزب صولة.

٢٤٠ الخواجا أحمد بن محمد الشرايبي

[ومات] الأجل المكرم والملاذ المفخم الخواجا الحاج/ أحمد
بن محمد الشرايبي، وكان من أعيان التجار المشتهرين
كأسلافه، وبيتهم المشهور بالأزبكية بيت الجند والفخر والعز
ومما ليكهم وأولاد مماليكهم من أعيان مصر جرجية وأمرا
ومنهم يوسف بك الشرايبي، وكانوا في غاية من الغنى



الصفحة الأولى من «كتاب الطبيب»
تزينه صور أطباء من مصر واليونان

والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق والإحسان للخاص والعام، ويتردد إلى منزلهم العلماء والفضلاء، ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة للاعارة والتغيير وانتفاع الطلبة، ولا يكتبون عليها وقفية ولا يدخلونها في مواريتهم، ويرغبون فيها ويشترونها بأغلى ثمن ويضعونها على الرفوف والخزائن والخورنقات وفي مجالسهم جميعاً، فكل من دخل إلى بيتهم من أهل العلم إلى أى مكان بقصد الإعارة أو المراجعة وجد بغيته ومطلوبه فى أى علم كان من العلوم ولو لم يكن الطالب معروفاً، ولا يمنعون من يأخذ الكتاب بتمامه، فإن رده فى مكانه رده وإن لم يرده واختص به أو باعه لا يسأل عنه، وربما بيع الكتاب عليهم واشتروه مراراً ويعتذرون عن الجانى بضرورة الاحتياج.

وخبرهم وطعاهم مشهورة بغاية الجودة والإتقان والكثرة،

وهو مبذول للقاصي والداني مع السعة والاستعداد،
 وجميعهم مالكيو المذهب على طريقة أسلافهم، وأخلاقهم
 جميلة وأوضاعهم منزهة عن (ص ٥٠٢) كل نقص ورذيلة،
 ومن أوضاعهم وطرايفهم أنهم لا يتزوجون إلا من بعضهم
 البعض، ولا تخرج من بيتهم امرأة إلا للمقبرة، فإذا عملوا
 عرساً ولموا الولائم وأطعموا الفقراء والقراء على نسق اعتادوه،
 وتنزل العروس من حريم أبيها إلى مكان زوجها بالنساء
 الخالص والمغانى والجنك تزفها ليلاً بالشموع وباب البيت
 مغلق عليهن، وذلك عندما يكون الرجال في صلاة العشاء
 بالمسجد الأزبكي المقابل لسكنهم، وبيتهم يشتمل على اثني
 عشر مسكناً كل مسكن بيت متسع على حدته، وكان
 الأمرا بمصر يترددون إليهم كثيراً من غير سبق دعوة، وكان
 رضوان كتحدا يتفصح عند المترجم في كثير من الأوقات
 مع الكمال والاحتشام، ولا يصحبه في ذلك المجلس إلا
 اللطفا من ندماء، وإذا قصده الشعرا بمدح لا يأتونه في
 الغالب إلا في مجلسه لينالوا فضيلتين ويحرزوا جائزتين.

وكان من سننهم أنهم يجعلون عليهم كبيراً منهم وتحت
 يده الكاتب والمستوفى والجابي، فيجمع لديه جميع الإيراد
 من الالتزام والعقار والجامكية، ويسدد الميرى ويصرف لكل
 إنسان راتبه على قدر حاله وقانون استحقاقه، وكذلك لوازم
 الكساوى للرجال والنساء في الشتاء والصيف ومصرف
 الجيب في كل شهر، وعند تمام السنة يعمل الحساب
 ويجمع ما فضل عنده من المال ويقسمه على كل فرد بقدر
 استحقاقه وطبقته، واستمروا على هذا الرسم والترتيب مدة
 مديدة، فلما مات كبارهم وقع (ص ٥٠٣) بينهم الاختلاف
 واقتسموا الإيراد واختص كل فرد منهم بنصيبه يفعل به ما

يشتهى، وتفرق الجمع وقلت البركة وانعزل المحبون وصار
كل حزب بما لديهم فرحون، وكان مسك ختامهم صديقا
واخا في الله اللوذعي الأريب، والنادرة المفرد النجيب،
سیدی إبراهيم بن محمد بن الدادة* الشرايبي الغزالي، كان
رحمه الله تعالى ملكي الصفات بسام العشيات، عذب
المورد، رحيب النادی، واسع الصدر للحاضر والبادي، قطعنا
معه أوقاتا كانت لعين الدهر قرة، وعلى مكتوب العمر
عنوان المسرة، وكان لسان حاله يقول:

* الدادة: معناها عطية الله، أو هبة الله. كما
تعني البقشيش والهبة.

إذا مـضى يوم ولم أصطنع يدا
ولم أقتبس علما فما ذاك من عمري

وما زال يشتري متاع الحياة بجوهر عمره النفيس، مواظبا
على مذاكرة العلم وحضور التدريس، حتى كدر الموت ورده،
وبدد الدهر الحسود بنوايه عقده، كما يأتي تمة ذلك في
سنة وفاته، وانمحت بموته من بيتهم المآثر، وتبدد بقية
عقدتهم المتناثر.

[ومات] أحمد جليبي ابن الأمير علي والأمير عثمان ولم يبق
منهم إلا كما قال القائل:

٢٤١ أحمد جليبي ابن الأمير علي.
ت / ١١٧١ هـ = ١٧٥٨ م.

* هذا البيت للبيد بن ربيعة وبعده:

ذهب الذين يُعـاش في أكناف
وبقيت في خلف كجلد الأجرب*

لا يفعون ولا يُرجح خيرهم
وعاب قائلهم وإن لم يشغب

وتزوج ممالك القازغلية نساءهم وسكنوا في بيتهم ومنهم
سليمان أغا صالح، وتقلد الزعامة وصار يبتهم الوالي،
ووقف ببابه الأعوان والزبانية، ويحبس به أرباب الجرائم
فيعذبون ويعاقبون، لا يسأل (ص ٥٠٤) عما يفعل، وكثيرا
ما أتذكر بذكرهم قول القائل:

ويشغب بسكون الثين أي وإن لم يهيج الشر
والفتنة والحصام بين الناس. أي يعاب قوله
وإن لم يكن مشاغبا.

سقى الله عيشاً في ظلال ربوعهم
 حلا ذكره في الذوق وهو مدام
 ليال لنا في مصر وصل كأنها
 على وجنه الدهر المنع شام
 يحين حمامى من حنينى ولوعتى
 إذا ناح فوق الأيكتين حمام

توفي المترجم في سنة إحدى وسبعين ومائة ألف.

[ومات] سلطان الزمان السلطان محمود خان العثماني،
 وكانت مدته نيفاً وعشرين سنة، وهو آخر بنى
 عثمان في حسن السيرة والشهامة والحرمة واستقامة
 الأحوال والمآثر الحسنة، توفي ثامن عشر صفر سنة ثمان
 وستين ومائة ألف.
 وتولى السلطان عثمان بن أحمد أصلح الله شأنه.

٢٤٢ السلطان محمود خان
 ت / ١١٦٨ هـ = ١٧٥٥ م.
 وهو آخر بنى عثمان في حسن السيرة
 والاستقامة.

[ومات] النبيه النبيل والفقير الجليل والسيد الأصيل السيد
 محمد المدعو حموده السديدي أحد ندماء الأمير رضوان
 كتخدا، ولد بالحنطة الكبرى وبها نشأ وحفظ القرآن، واشتغل
 بطلب العلم فحصل مأموله في الفقه والمعقول والمعاني
 والبيان والعروض، وعانى نظم الشعر وكان جيد القريحة
 حسن السليقة في النظم والنثر والإنشاء، وحضر إلى مصر
 وأخذ عن علمائها، واجتمع بالأمير رضوان كتخدا عزبان
 الجلفي المشار إليه وصار من خاصة ندمائه، وامتدحه بقصائد
 كثيرة طنانة وموشحات ومزدوجة بديعة، والمقامة التي دأب
 بها (ص ٥٠٥) الشيخ عمار القروي وأردفها بقصيدة رائية

٢٤٣ حمودة السديدي.
 ت / ١١٦٣ هـ = ١٧٥٠ م.

بليغة في هجو المذكور سامحهما الله، وكل ذلك مذكور في
الفوايح الجنانية لجامعة الشيخ عبد الله الإدكاوى، حج
رحمه الله ومات وهو آيب بأجرود سنة ثلاث وستين ومائة
وآلف، ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوى بقصيدة طويلة أولها:

من نصيرى على الفراق الأشق
أومن الدهر آخذ لى بحقى
وبيت تاريخها:

وله الحور بالدعاء تؤرخ
جود رحما ترب السديدى يسقى

[ومات] الأجل المكرم محمد جلبى بن إبراهيم جربجى
الصابونجى مقتولا، وخبره أنه لما توفى أبوه وأخذ بلاده
وبيتهم تجاه العتبة الزرقاء* على بركة الأزبكية، فتوفى أيضاً
عثمان جربجى الصابونجى بمنفلوط وذلك سنة سبع وأربعين
ومائة وآلف، ومات غيره كذلك من معائيقهم، وكان محمد
جربجى مثل والده بالباب، ويلتجى إلى يوسف كتحدا
البركاوى، فلما مات البركاوى خاف من على كتحدا
الجلفى فالتجأ إلى عبد الله كتحدا القازدغلى وعمل
ينكجى، فأراد أن يقلده أوده باشه ويلبسه الضلمة، فقصد
السفر إلى الوجه القبلى وذلك فى سنة أربع وخمسين،
فسافر واستولى على بلاد عثمان جربجى ومعائيقه وقام
هناك، وكان رذلاً* بخيلاً طماعاً شرهاً فى الدنيا، وكان
مماليكه يهربون منه، وكانت أخته زوجاً لعمر أغا خازندار أبيه
ولم (ص ٥٠٦) يفتقدها بشيء* .

واتفق أن رجلاً من كبار هواره بحرى توفى فأرسل المترجم
إلى وكيله أحمد أوده باشه فأخذ له بلاد المتوفى بالحلول
ودفع حلوانها إلى الباشا، فأرسل أولاد المتوفى إلى هواره

٢٤٤ محمد جلبى الصابونجى.

* العتبة الزرقاء: المراد بها العتبة الخضراء
الحالية.

* الرذل بفتح الراء وسكون الذال هو الدون
الخسيس.

* لم يفتقدها بشيء أى لم يتعرف أحوالها
حتى يساعدها إذا احتاجت إلى مساعدته
ومعونه.

قبلى عرفوهم أن بلاد أسلافهم أخذها ابن الصابونجى ونازل يتصرف فيها، وطلبوا منهم معونة حتى يرسلوا إلى إبراهيم كتحدا القازدغلى ويدفعوا الذى دفعه فى الحلوان ويخلص لهم بلادهم، فأرسلوا لهم هواره وعبيداً وسيمانية فحاربوه وغلبوه، فعمدى إلى البر الغربى فوقفوا فى مقابلته فخاف منهم أن يعدوا خلفه فنزل إلى المراكب وأخذ معه صندوق الأوراق والتقاسيط، وحضر إلى مصر ودخل إلى داره بالأزبكية، ثم إن هواره أرسلت إلى إبراهيم كتحدا فأحضره وتكلم معه وترجى عنده فلم يمتثل، واستمر على عناده فلم يزل ابن السكرى يلاطفه فلم يتحول عن ذلك، فأرسل إبراهيم كتحدا وأخذ فرماناً بنفيه إلى الحجاز، فأخذه إلى السويس، ومن شدة حرصه أخذ صحبته صندوق الأوراق والتقاسيط والحجج والتذاكر، فلما وصل إلى السويس أرسل خلفه إبراهيم كتحدا فرماناً صحبة جاويش بقتله، فقتلوه وأحضروا الصندوق إلى إبراهيم كتحدا. وترك ثلاث بنات زوج بنتاً منهن إلى خازنداره وسكن بها فى بيت بحارة الضبية عند سوق أمير الجيوش، وأخذ بيت الأزبكية إبراهيم كتحدا وزوج زوجته إلى خازنداره محمود أغا فأقام معها أياماً ومات، فزوجها إلى حسين أغا وولاية كشوفية المنصورة، وبعد تمام السنة عمله أمين الشئون وأعطاه رضوان كتحدا ولاية البحر وعمله كتحداه مدة أيام، ثم تقلد الإمارة والصنجدية بعد موت أستاذه وهو حسين بك المقتول الآتى ذكره.

فصل فى بيت القازدغلية

ولما مات إبراهيم كتخدا القازغلى ورضوان كتخدا الجلفى
 بدأ أمر أتباع إبراهيم كتخدا فى الظهور، وكان المتعين
 بالإمارة منهم عثمان بك (ص ٥٠٧) الجرجاوى وعلى بك
 الذى عرف بالغزاوى وحسين بك الذى عرف بكشكش،
 وهؤلاء الثلاثة تقلدوا الصنجدية والإمارة فى حياة أستاذهم،
 والذى تقلد الإمارة منهم بعد موته حسين بك الذى عرف
 بالصابونجى وعلى بك بلوط قبان [على بك الكبير] و خليل
 بك الكبير، وأما من تأمر منهم بعد قتل حسين بك
 الصابونجى فهم حسن بك جوجه وإسماعيل بك أبو مدفع،
 وأما من تأمر بعد ذلك بعناية على بك بلوط قبان عندما
 ظهر أمره فهو إسماعيل بك الأخير الذى تزوج بنت أستاذه
 وكان خازن داره، وعلى بك السروجى، فلما استقر أمرهم بعد
 خروج رضوان كتخدا وزوال دولة الجلفية، تعين بالرياسة
 منهم على أقرانه عثمان بك الجرجاوى، فسار سيرا عنيقا من
 غير تدبر، وناكد زوجة سيده بنت البارودى وصادرها فى
 بعض تعلقاتها، فشكت أمرها إلى كبار الاختيارية فخاطبوه
 فى شأنها، وكلمه حسن كتخدا أبو شنب فرد عليه ردا
 قبيحا، فتحزبوا عليه ونزعوه من الرياسة وقدموا حسين بك
 الصابونجى وجعلوه شيخ البلد، ولم يزل حتى حقد عليه
 خشداشينه وقتلوه.

وخبر موت حسين بك المذكور أنه لما مات إبراهيم كتخدا
 قلدوا المذكورة إمارة الحج وطلع سنة ١١٦٩ سنة ١١٧٠،
 ثم تعين بالرياسة، وصار هو كبير القوم والمشار إليه، وكان
 كريما جوادا وحيها، وكان يميل بطبعه إلى نصف حرام لأن
 أصله من مماليك الصابونجى، فهرب من بيته وهو صغير

٢٤٥ حين بك كشكش.
 قتل / ١١٧١ هـ = ١٧٥٨ م.

وذهب إلى إبراهيم جاويش فاشتراه من الصابونجي ورباه
ورقاه (ص ٥٠٨) ثم زوجه بـزوجة محمد جريجى بن
إبراهيم الصابونجي وسكن بيتهم وعمّره ووسعه وأنشأ فيه
قاعة عظيمة، فلذلك اشتهر بالصابونجي، ولما رجع من
الحجاز قلد عبد الرحمن أغا أغاوية مستحفظان، وهو عبد
الرحمن أغا المشهور فى شهر شعبان من السنة المذكورة
وهى سنة ١١٧٠، وطلع بالحج فى تلك السنة، محمد بك
ابن الدالى ورجع فى سنة إحدى وسبعين، ثم إن المترجم
أخرج خشداشه على بك [الكبير] المعروف ببلوط قبان
ونفاه إلى بلده النوسات، وأخرج خشداشه أيضاً عثمان بك
الجرجاوى منفياً إلى أسيوط، وأراد نفى على بك الغزاوى
وأخرجه إلى جهة العادلية، فسعى فيه الإختيارية بواسطة
نسيبه على كتخدا الخربطلى وحسن كتخدا أبى شنب،
فالزمه أن يقيم بمنزل صهره على كتخدا المذكور ببركة
الرطلى ولا يخرج من البيت ولا يحتك بأحد من أقرانه،
وأرسل إلى خشداشه حسين بك المعروف بكشكش فأحضره
من جرجا وكان حاكماً بالولاية، فأمره بالإقامة فى قصر
العينى ولا يدخل إلى المدينة، ثم أرسل إليه يأمره بالسفر إلى
جهة البحيرة، وأحضروا إليه المراكب التى يسافر فيها ويريد
بذلك تفرق خشداشيه فى الجهات، ثم يرسل إليهم
ويقتلهم لينفرد بالأمر والرياسة ويستقل بملك مصر ويظهر
دولة نصف حرام وهو غرضه الباطنى، وضم إليه جماعة من
خشداشيه وتوافقوا معه على مقصده ظاهراً، وهم حسن
كاشف جوجه وقاسم (ص ٥٠٩) كاشف وخليل كاشف
جريجى وعلى أغا المنجى وإسماعيل كاشف أبو مدفع وآخر
يسمى حسن كاشف وكانوا من أخصايه وملازميه، فاشتغل

* نفى على بك [الكبير] فيما بعد إلى
النوسات.

معهم حسين بك كشكش واستمالهم سرا واتفق معهم على اغتياله فحضرروا عنده فى يوم الجمعة على جرى عاداتهم، وركبوا صحبته إلى القافلة فزاروا ضريح الإمام الشافعى، ثم رجع صحبتهم إلى مصر القديمة فنزلوا بقصر الوكيل وباتوا صحبته فى أنس وضحك، وفى الصباح حضر إليهم الفطور فأكلوه وشربوا القهوة وخرج الممالك ليأكلوا الفطور مع بعضهم وبقي هو مع الجماعة وحده وكانوا طلبوا منه انعاما فكتب إلى كل واحد منهم وصولا بألف ريال وألف إردب قمح وغلل، ووضعوا الأوراق فى جيوبهم ثم سحبوا عليه السلاح وقتلوه وقطعوه قطعا ونزلوا من القصر وأغلقوه على الممالك والطايفة من خارج، وركب حسن كاشف جوجه ركوبة حسين بك وكان موعدهم مع حسين بك كشكش عند المجرة [مجرى العيون]، فإنه لما أحضروا له مراكب السفر تلكا فى النزول وكلما أرسل إليه حسين بك يستعجله بالسفر يحتج بسكون الريح أو ينزل بالمراكب ويعدى إلى البر الآخر ويوهم أنه مسافر، ثم يرجع ليلا ويتعلل بقضاء أشغاله، واستمر على ذلك الحال ثلاثة أيام حتى تم أغراضه وشغله مع الجماعة ووعدهم بالإمرات*، واتفق معهم انه ينتظرهم عند المجرة وهم يركبون مع حسين بك ويقتلونه فى الطريق إن لم يتمكنوا (ص ٥١٠) من قتله بالقصر، فقدر الله انهم قتلوه وركبوا حتى وصلوا إلى حسين بك كشكش فأخبروه بتمام الأمر، فركب معهم ودخلوا إلى مصر وذهب كشكش إلى بيت حسين بك بالداودية وملكه بما فيه وأرسل باحضار خشداشينه المنفيين، وعندما وصل الخبر إلى على بك الغزاوى ببركة الرطلى ركب فى الحال مع القاتلين وطلعوا إلى القلعة وأخذوا فى طريقهم أكابر الوجاقلية

* الإمرات: جمع إمرة وهى الإمارة.

* الإكلة بكسر الهمزة هي الحكمة وهي داء
في العضو يتأكل منه وهو المعروف بالجرب.

* تطيلس: أى ليس الطيلسان وهو كساء
يلبسه الخواص.

* الرويعى: من أحياء القاهرة جهة الجامع
الأحمر شرقى ميدان الحازندار.

ومنهم حسن كتحدا أبو شنب وهو من أغراض حسين بك
المقتول وكان مريضاً بالأكلة* فى قمه وقالوا لبعضهم إن
لم يركب معنا أو أنه اعترض على فعلنا قتلناه، فلما دخلوا
إليه وطلبوه نزل إليهم من الحريم، فأخبروه بقتلهم حسين
بك فلم يجبههم إلا بقوله «هو أخوكم وفيكم الخلف
والبركة» فطلبوه للركوب معهم فاعتذر بالمرض فلم يقبلوا
عذره، فتطيلس* وركب معهم إلى القلعة، وولوا على بك
الكبير البلد عوضاً عن حسين بك المقتول، وكان قتله فى
شهر صفر سنة إحدى وسبعين، ثم إن مماليكه وضعوا
أعضاءه فى خرج وحملوه على هجين ودخلوا به إلى المدينة
فادخلوه إلى بيت الشيخ الشبراوى بالرويعى* فغسلوه
وكفنوه ودفنوه بالقرافة، وسكن على بك المذكور بيت
حسين بك الصابونجى الذى بالأزبكية، وأحضروا على بك
من النوسات، وعثمان بك الجرجاوى من أسيوط، وقلدوا
خليل كاشف صنجقية وإسماعيل أبو مدفع كذلك، وقاسم
كاشف قلده الزعامة (ص ٥١١) ثم قلدوا بعد أشهر حسن
كاشف المعروف بجوجه صنجقية أيضاً، وكان ذلك فى
ولاية على باشا ابن الحكيم الثانية، فكان حال حسين بك
المقتول مع قاتليه كما قال الشاعر:

واخوان اتخذتهموه دروعاً

فكانوها ولكن للأعداى

وخلتهمو سهاماً صائبات

فكانوها ولكن فى فـؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوب

لقد صدقوا ولكن من ودادى

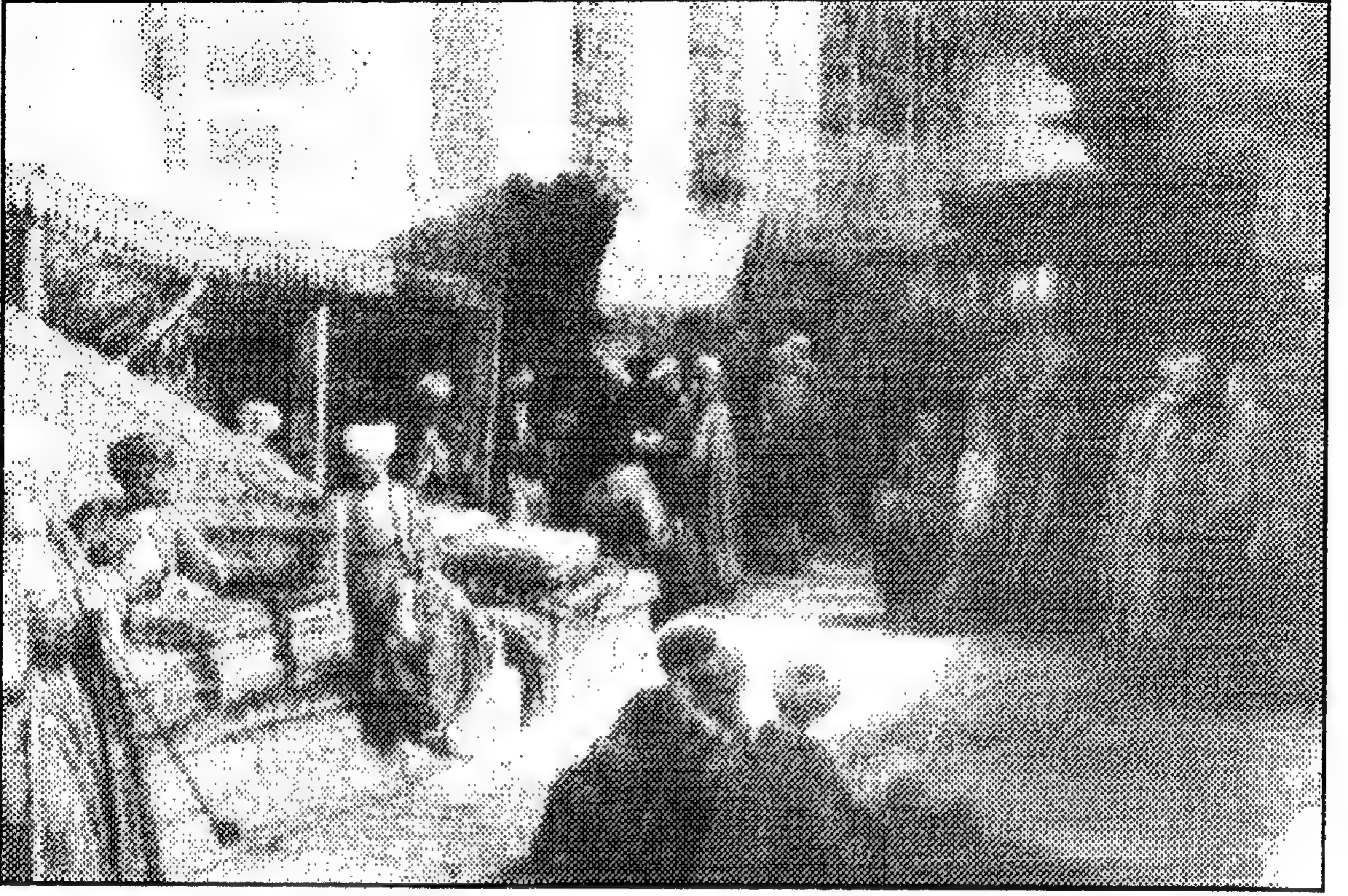
وقالوا قد سمعنا كل يوم
لقد صدقوا ولكن فى فسادى

ولأبى اسحق التلمسانى :

الغدر فى الناس شيمه سلفت
فد طال بين الورى تصرفها
ما كل من قد سرت له نعم
منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما أعقب الجزاء بها
مضرة عز عنك مصرفها
أما ترى الشمس كيف تعطف بالنور على البدر وهو يكسفها

٢٤٦ عبد الله الشبراوى
ت / ١١٧١ هـ = ١٧٥٨ م.

وأما من مات فى هذا التاريخ من الأعيان،
خلاف حسين بك المذكور فالشيخ الإمام الفقيه
المحدث الأصولى المتكلم الماهر الشاعر الأديب /
عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين
الشبراوى (ص ٥١٢) الشافعى، ولد تقريباً فى
سنة اثنتين وتسعين وألف، وهو من بيت العلم
والجلالة، فجده عامر بن شرف الدين ترجمه
الأمينى فى الخلاصة ووصفه بالحفظ والذكاء، فأول
من شملته إجازته سيدى محمد بن عبد الله
الخرشى وعمره إذ ذاك نحو ثمان سنوات،
وذلك فى سنة ألف ومائة، وتوفى الشيخ الخرشى المالكى فى
سابع عشرين الحجة سنة واحد ومائة وألف، وتولى بعده
مشيخة الأزهر الشيخ محمد النشرتى المالكى وتوفى فى
ثامن عشرين الحجة سنة عشرين ومائة وألف، ووقع بعد



موته فتنة بالجامع الأزهر بسبب المشيخة والتدريس
بالأقبغاوية* ، وافترق المجاورون فرقتين فرقة تريد الشيخ أحمد
النفراوى والأخرى تريد الشيخ عبد الباقي القليني، ولم يكن
حاضراً بمصر فتعصب له جماعة النشرتى وأرسلوا
يستعجلونه للحضور، فقبل حضوره تصدر الشيخ أحمد
النفراوى وحضر للتدريس بالأقبغاوية، فمنعه القاطنون بها
وحضر القليني فانضم إليه جماعة النشرتى وتعصبوا له،
فحضر جماعة النفراوى إلى الجامع ليلاً ومعهم بنادق
وأسلحة و ضربوا بالبنادق فى الجامع وأخرجوا جماعة
القليني وكسروا باب الأقبغاوية وأجلسوا النفراوى مكان
النشرتى، فاجتمعت جماعة القليني فى يومها بعد العصر
وكبسوا الجامع وقفلوا أبوابه وتضاربوا مع جماعة النفراوى

* الأقبغاوية: هى مدرسة تنسب إلى الأمير
أقبغا، بناها فى سنة ٧٤٠ هـ بالأزهر
الشريف.

فقتلوا منهم نحو العشرة أنصار وانجرح
 بينهم جرحى كثيرة، وانتهبت الخزائن
 وتكسرت القناديل، وحضر الوالى فخرج
 (ص ٥١٣) القتل وتفرق المجاورون ولم يبق
 بالجامع أحد، ولم يصل فيه ذلك اليوم، وفى
 ثانى يوم طلع الشيخ أحمد النفرأوى إلى
 الديوان ومعه حجة الكشف على المقتولين،
 فلم يلتفت الباشا إلى دعواه لعلمه بتعديده
 وأمره بلزوم بيته وأمر بنفى الشيخ محمد
 شنن إلى بلدة الجديدة وقبضوا على من كان
 بصحبته وحبسوهم فى العرقانة* وكانوا اثنى
 عشر رجلا. وتناول حسن أفندى نقيب
 الأشراف على الشيخ النفرأوى والشيخ شنن
 فى الديوان بحضرة الباشا ومن جملة ما
 قال له «جماعتك المفايد الذين هم عاملون
 طلبية علم يصعدون على المنارة ويقولون فى
 محل الأذان يا آل حرام ويضربون بالرصاص فى
 المسجد!!». واستقر القلبنى فى المشيخة والتدريس
 ولما مات تقلد بعده الشيخ محمد شنن،
 وكان النفرأوى قد مات، ولما مات الشيخ شنن
 تقلد المشيخة الشيخ إبراهيم بن موسى
 الفيومى المالكى.

* العرقانة: أحد سجون القاهرة فى ذلك
 الوقت.

ولما مات فى سنة سبع وثلاثين انتقلت
 المشيخة إلى الشافعية فتولاها الشيخ عبد
 الله الشبراوى المترجم المذكور فى حياة كبار
 العلماء، بعد أن تمكن وحضر الأشياخ

كالشيخ خليل بن إبراهيم اللقاني والشهاب الخليفى والشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني والشيخ أحمد النفراوى والشيخ منصور المنوفى والشيخ صالح الحنبلى والشيخ محمد المغربى الصغير والشيخ عيد التمرسى، وسمع الأولية وأويل الكتب من الشيخ عبد الله بن سالم البصرى أيام حجته، ولم يزل (ص ٥١٤) يترقى فى الأحوال والأطوار ويفيد ويملى ويدرس حتى صار أعظم الأعظم، ذا جاه ومنزلة عند رجال الدولة والأمراء ونفذت كلمته وقبلت شفاعته وصار لأهل العلم ما عندهم، وعمّر داراً عظيمة على بركة الأزيكية بالقرب من الرويعى وكذلك ولده سيدى عامر عمّر داراً تجاه دار أبيه وصرف عليها أموالاً جمّة، وكان يقتنى الظرايف والتحاييف من كل شيء، والكتب المكلفة النفيسة باخط الحسن، وكان راتب مطبخ ولده سيدى عامر فى كل يوم من اللحم الضانى رأسين من الغنم السمان يذبحان فى بيته، وكان طلبة العلم فى أيام مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوى فى غاية الأدب والاحترام، ومن آثاره كتاب مفايح الألفاف فى مدايح الأشراف، وشرح الصدر فى غزوة بدر، ألفها بإشارة على باشا ابن الحكيم، وذكر فى آخره نبذة

من التاريخ وولاية مصر إلى وقت صاحب
الإشارة، وله ديوان يحتوى على غزليات وأشعار ومقاطع
مشهور بأيدي الناس وغير ذلك كثير، وأوردت في هذا
المجموع كثيراً من كلامه بحسب المناسبات، توفي في
صبيحة يوم الخميس سادس ذى الحجة ختام سنة إحدى
وسبعين ومائة وألف وصلى عليه بالأزهر في مشهد حافل
عن ثمانين سنة تقريباً.

٢٤٧ حسن بن علي المنطأوى المدابغى.
ت / ١١٧٠ هـ = ١٧٥٧ م.

[ومات] الشيخ الإمام الأحق بالتقديم (ص ٥١٥)
الفقيه المحدث الورع الشيخ / حسن بن علي
بن أحمد بن عبد الله الشافعى الأزهرى
المنطأوى الشهير بالمدابغى، أخذ العلوم عن
الشيخ منصور المنوفى وعمر بن عبد السلام
التطاونى والشيخ عيد النمرسى والشيخ محمد بن أحمد
الوزازى ومحمد بن سعيد التبكتى وغيرهم،
خدم العلم ودرس بالجامع الأزهر وأفتى وألف
وأجاد، منها حاشيته على شرح الخطيب
على أبى شجاع نافعة للطلبة، وثلاثة شروح
على الأجرومية وشرح الصيغة الأحمدية
وشرح الدلائل وشرح على حزب البحر، وشرح حزب
النوى شرحاً لطيفاً واختصر شرح الحزب الكبير للبنانى
ورسالة فى القراءات العشر وأخرى فى فضائل ليلة القدر
وأخرى فى المولد الشريف، وحاشيته على جمع الجوامع
المشهورة، وحاشيته على شرح الأربعين لابن حجر، واختصر
سيرة ابن الميت وحاشية التحرير وحاشية على الأشمونى،
وشرح قصيدة المقرئ التى أولها سبحان من قسم الخطوط

وحاشية على الشيخ خالد وغير ذلك، ومن إملائه أو لبعض
مشايخه في أقسام الجملة الحالية:

ولزم الواو مضارعاً بقصد
وانفرد الضمير في سبع تُعد
مماض تلاً الا ومـتـلـو بـا
كذا مضارع بما أولاً نفوا
أو مثبت أو أكدت جملة أو
معطوفة والباقي مطلقاً رروا

(ص ٥١٦) توفي في عشرين شهر صفر سنة سبعين ومائة
وآلف، ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوي يقصيدتين، إحداهما
غنية مطلعها:

مضى عالم العصر الإمام لربه
حميد المساعي فاندبته وبالغ
وبيت تاريخها:

ولما قضى ذاك المهدبُ نحبَه
وآب برضوان من الله سابغ
دعوت أحبائي وقلت لهم قفوا
منعى عند ذا التاريخ نبكى المداغى
والثانية نونية مطلعها:

صبراً فذا الدهر من عاداته المحن
وفى تلونه قد حارت الفطن

وبيت تاريخها:

والجور جاءتك بالبشرى مؤرخة
حليت من حلل الأبرار يا حسن

[ومات] العلامة القدوة شمس الدين / محمد بن الطيب بن محمد الشرفي الفاسي، ولد بفاس سنة عشر ومائة وألف واستجاز له والده من أبي الأسرار حسن بن علي العجمي من مكة المشرفة وعمره إذ ذاك ثلاث سنوات فدخل في عموم إجازته وتوفي بالمدينة المنورة سنة سبعين ومائة وألف وتاريخه مغلق عن ستين عاماً، رحمه الله تعالى.

٢٤٨ محمد بن الطيب الفاسي.
ت / ١١٧٠ هـ = ١٧٥٦ م.

[ومات] الشيخ / داود بن سليمان بن أحمد بن محمد بن عمر بن عامر بن خضر الشرنوبى البرهاني المالكي الخربتاوى، ولد سنة ثمانين وألف وحضر (ص ٥١٧) على كبار أهل العصر كالشيخ محمد الزرقاني والخرشى وطبقتهم، وعاش حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وكان شيخاً معمرًا مسنداً له عناية بالحديث، توفي في جمادى الثانية سنة سبعين ومائة وألف.

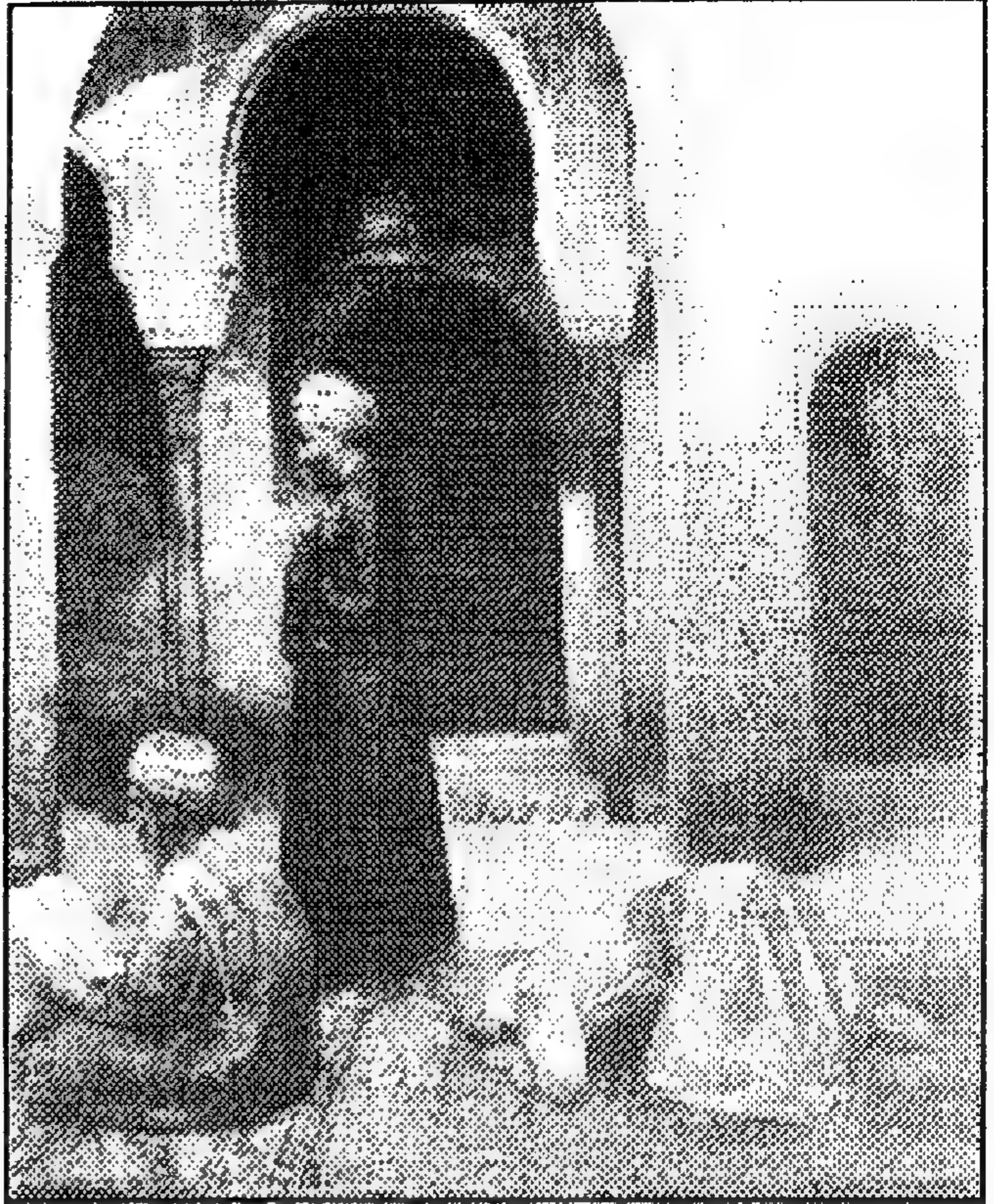
٢٤٩ داود بن سليمان الشرنوبى.
ت / ١١٧٠ هـ = ١٧٥٦ م.

[ومات] الشيخ القطب العارف الواصل الشيخ / محمد بن علي الجزائى القاسمية الشهير بكشك، ورد مصر صغيراً وبها نشأ وحج وأخذ الطريقة عن سيدى أحمد السوسى تلميذ سيدى قاسم، وجعله خليفة القاسمية بمصر، فلوحظ بالأنوار والأسرار، ثم دخل المغرب ليزور شيخه فوجده قد مات قبل وصوله بثلاثة أيام وأخبره تلامذة الشيخ أن الشيخ أخبر بوصول المترجم وأودع له أمانة فأخذها ورجع إلى مصر وجلس للإرشاد وأخذ العهد، ويقال إنه تولى القطبانية، توفي سنة سبعين ومائة وألف.

٢٥٠ محمد بن علي الجزائى.
ت / ١١٧٠ هـ = ١٧٥٦ م.

[ومات] الشيخ الفقيه الفاضل العلامة / محمد بن أحمد

٢٥١ محمد بن أحمد الحنفى الصامى.
ت / ١١٧٠ هـ = ١٧٥٦ م.



الحنفى الأزهرى الشهير بالصايم، تفقه على سيدى على
العقدى والشيخ سليمان المنصورى والسيد محمد أبى
السعود وغيرهم، وبرع فى معرفة فروع المذهب، ودرس
بالأزهر وبمشهد الحنفى ومسجد محرم فى أنواع الفنون،
ولازم الشيخ العفيفى كثيراً ثم اجتمع بالشيخ احمد العريان
وتجرد للذكر والسلوك وترك علايق الدنيا ولبس زى الفقراء،
ثم باع ما ملكت يده وتوجه إلى السويس فركب فى سفينة
فانكسرت فخرج مجرداً بسائر العورة، ومال إلى بعض خباء
الأعراب فأكرمه امرأة منهم وجلس عندها مدة يخدمها، ثم
وصل إلى ينبع على هيئة رثة وأوى إلى جامعها، واتفق له
أنه صعد ليلة من الليالى على المنارة وسبح على طريقة
المصريين* فسمعه الوزير إذ كان منزله قريباً من هناك، فلما
أصبح (ص ٥١٨) طلبه وسأله فلم يظهر حاله سوى أنه من

* التسبيح على طريقة المصريين.

الفقراء، فأنعم عليه ببعض ملابس وأمره أن يحضر إلى داره كل يوم للطعام، ومضت على ذلك برهة إلى أن اتفق موت بعض مشايخ العربان وتشاجر أولاده بسبب قسمة التركة فأتوا إلى الينبع يستفتون، فلم يكن هناك من يفك المشكل، فرأى الوزير أن يكتب السؤال ويرسله مع الهجان بأجرة معينة إلى مكة يستفتى العلماء، فاستقل الهجان الأجرة ونكص عن السفر ووقع التشاجر في دفع الزيادة للهجان، وامتنع أكثرهم ووقعوا في الحيرة، فلما رأى المترجم ذلك طلب الدواة والقلم وذهب إلى خلوة له بالمسجد فكتب الجواب مفصلاً بنصوص المذهب وختم عليها وناولها للوزير، فلما قرأه تعجب وقال له «لِمَ تُخَفِّفُ نَفْسَكَ وَأَنْتَ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؟» فاعتذر بأنه لو قال كذلك لم يصدق أحد لثأته حالة، فحينئذ أكرمه الوزير وأجله ورفع منزلته وعين له من المال والكسوة، وصار يقرأ دروس الفقه والحديث هناك حتى اشتهر أمره وأقبلت عليه الدنيا، فلما امتلأ كيسه، وانجلى بؤسه، وقرب ورود الركب المصري، رأى الوزير تفلته من يده فقيده عليه ثم لما لم يجد بداً عاهده على أنه يحج ويعود إليه، فوصل مع الركب إلى مكة وأكرم وعاد إلى مصر، ولم يزل على حالة مستقيمة حتى توفي عن فالج جلس فيه شهوراً في سنة سبعين ومائة وألف وهو منسوب إلى سبط الصايم إحدى قرى مصر من أعمال الفشن بالصعيد الأدنى، ولم يخلف في فضائله مثله، رحمه الله.

[ومات] الإمام الأديب الماهر المتفنن أعجوبة الزمان على بن تاج الدين محمد ابن عبد (ص ٥١٩) المحسن بن محمد بن سالم القلعي الحنفى المكي، ولد بمكة وتربى في حجر أبيه

٢٥٢ على بن تاج الدين محمد القلعي.
ت ١١٧٢ = ١٧٥٨ م.

فى غاية العز والسيادة والسعادة، وقرأ عليه وعلى غيره من فضلاء مكة، وأخذ عن الواردين إليها، ومال إلى فن الأدب وغاص فى بحره فاستخرج منه الألىء والجواهر، وطارح الأدبا فى المحاضر فبان فضله وبهر برهانه، ورحل إلى الشام فى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف واجتمع بالشيخ عبد الغنى النابلسى فأخذ عنه، وتوجه إلى الروم وعاد إلى مكة وقدم إلى مصر سنة ستين، ثم غاب عنها نحو عشر سنين، ثم ورد عليها وحينئذ كمل شرحه على بديعته وعلى بديعتين لشيخه الشيخ عبد الغنى وغيره ممن تقدم وهى عشر بديعيات، وشرحه على بديعته ثلاث مجلدات قرظ عليه غالب فضلاء مصر كالشبراوى والإدكاوى والمرحومى، ومن أهل الحجاز الشيخ إبراهيم المنوفى، وهذا تقرير الشبراوى نقلته من ديوانه:

أذاك تغرر تبسم

أم ذاك لطف تجسم

أم روضة قد تغنى

شحرورها* وتغنم

أم الصبا حين هبت

أزالت الهم والغم

أم برق نعممان لما

بدا من الغمور أوهم

أم ذاك بلبل فضل

عن المحاسن ترجم

أم ذاك عهد المصلى

نحو العذيب ويمم

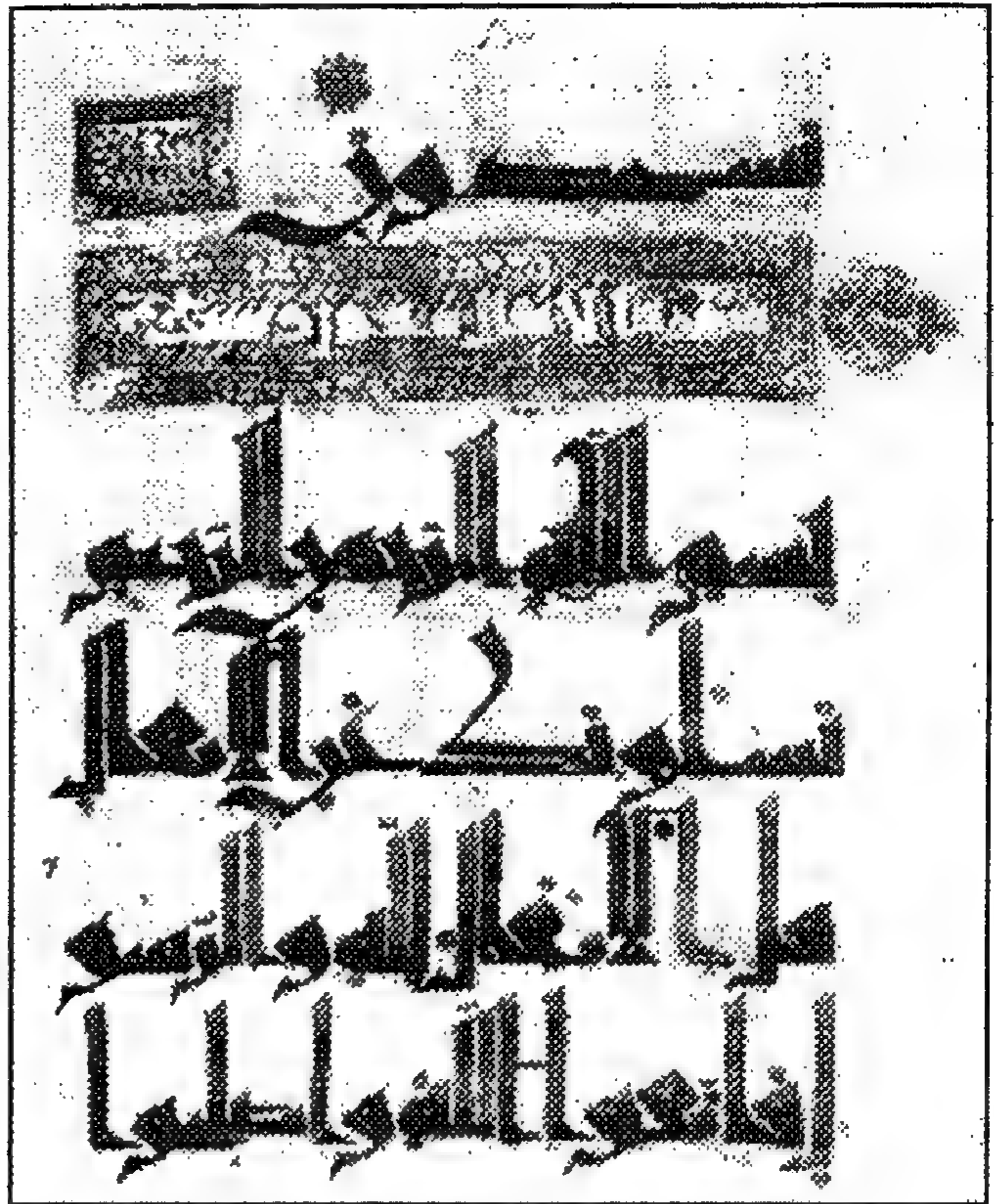
قد كنت أعنتب دهرى

وأحسب الدهر أعقم

شحرورها: الشخورة: بضم الشين وسكون
الخاء طائر أسود أكبر من العصفور حسن
الصوت جمعه شحارير.



وطالما سـاء ظنی
 وقلت یا دهر کم کم
 کم جاهل یتـالی
 وفـاضل یتـالم
 وکم طلبت علیـما
 فقـال لا وصـم
 وقلت یا دهر مـه مـه
 فصـد عنی و همـهم
 (ص ۵۲۰) فقلت دهری بخیل
 بالفـضل واللـه اکـرم
 وکـساد فکری ینادی
 ربّع المعـالی تهـدم



حتی رأیت عجیباً
 من فضلك الباهر الجم
 فقال لی مدح هذا
 فرض عليك محتم
 وفي امتداد سواه
 لزوم مـا ليس يلزم
 هذا هو الفضل هذا
 مقام من رام يغتم
 وعقيد در فرید
 نماه بیت محرم
 مـرباه بانات نجد
 وسرح ذاك الخـم

محاسن ليس تحصي
 وحدها ليس يعلم
 وإن ترد منتهاها
 أعيتك، والصمت أسلم
 يا واحد العصر لطفاً
 يا ابن المقام وزمزم
 أنت الهمم المفضي
 إن سلم الضد أو لم
 أنت الذي حزت مجداً
 يكفي الوري لو تقسم
 أنت الذي لو رآه
 بديع همذان سلم
 أو كان للسعد سعد
 لكان منك تعلم
 فيأرعى الله خطأ
 بالخط معناه قد عم
 أفديه خطأ ولفظاً
 أتى من اليأس والفم
 إن قلت خط عليّ
 فالحظ أعلى وأعظم
 أو قلت حفظ قروي
 فالفهم أقوى وأقوم
 أو قلت فرع زكي
 فالأصل تاج مكرم
 لا وأخر الله دهرا
 فيما مضى كان أجرم
 سامحت دهرى لما
 رأيته بك أنعم

وقد وجدتك تُبدى

لفظاً كـ____ منظم

لله درك حـ____ را

أعطيت فى الفضل ما لم *
فكل لفظك لطف

وكل معنك محكم (ص ٥٢١)

فإن تفه بـ____

فهو البديع المتم

وإن أتيت بـ____

أشحيث كل متين

وإن تكلمت نـ____ را

أعربتة وهو معجم

وكلماً قلت قـ____

فذاك قول مسلم

وإن أقمت دليلاً

فهو الدليل المقوم

مإذا أقول إذا ما

أردت أن أتكلم؟

أوصافك الغر فاقت

عمماً أحيط وأعلم

يا دهر أنعمت فاغفر

ما كان منى وأرحم

ويا لسانى تأخر

ويا بنائى تقم

فما له من نظير فى

الذات والكيف والكم

وكل وصف جـ____

لغيره فيه قد تم

* ما لم: أى ما لم يعطه غيرك.

وكيف أثنى عليه
وفضله أجم الفم
وغاية الأمر أن
عجزت والله أعلم

وكان للمترجم بالوزير المرحوم على باشا ابن الحكيم التتار
زايد لكونه له قوة يد ومعرفة في علم الرمل، وكان في أول
اجتماعه به في الروم أخبره بأمر فوقعت كما ذكر، فازداد
عنده مهابة وقبولاً، ولما تولى المذكور ثانياً توليته وهي سنة
سبعين، قدم إليه من مكة من طريق البحر، فأغدق عليه مالا
يوصف، ونزل في منزل بالقرب من جامع أربك بخط
الصلبية، وصار يركب في موكب حافل تقليداً للوزير، ورتب
في بيته كتخدًا وخازنًا والمصرف والحاجب على عادة
الأمراء، وكان فيه الكرم المفرط والحياء والمروة وسعة الصدر
في إجازة الوافدين مالا وشعرا، ومدحه شعراء عصره بمدائح
جليلة، منهم الشيخ عبد الله الإدكاوي له فيه عدة قصائد
وجوزى بجوايز سنية، ولما عزل (ص ٥٢٢) مخدومه توجه
معه إلى الروم، فلما ولي الختام* ثانياً زاد المترجم عنده أبهة
حتى صار في سدة السلطنة أحد الأعيان المشار إليهم،
واتخذ داراً واسعة فيها أربعون قصراً ووضع في كل قصر
جارية بلوازمها، ولما عزل الوزير ونفى إلى إحدى مدن الروم
سلب المترجم جميع ما كان بيده ونفى إلى سكندرية
فمكث هناك حتى مات في سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف
شهيداً غريباً، ولم يخلف بعده مثله، وله ديوان شعر ورسائل
منها «تكميل الفضل بعلم الرمل»، «ومتن البديعية»، سماء
«الفرج في مدح عالي الدرج»، اقترح فيها بأنواع منها
وسع الاطلاع والتطريز والثر والاعتراف والعود والتعجب

* ولي الختام: أي ولي الأمر للمرة الأخيرة.

* سدة السلطنة: بلاط السلطنة ويقصد به
الباب العالي.

والترهيب والتعريض، وأمثلة ذلك كله موضحة في شرحه
على البديعية، ومن مقاطيعه وفيه التذيل.

بوجـهـك الحـسـن زاه
وأنت بالحـسـن زاهر
ومن سـنـائـك وافٍ
وأنت يا بدر وافٍ
وإن طرفي سـاهـاه
وجـفـفـنـه منك سـاهـر
ومن صـدودك شـاك
ومن وصـالك شـاكـر

وله فيه الجنس المعنوي المضمرة:

كَلَامَ هَذَا الثَّغْرِ مِثْلَ الرَّقَى
يُذْهَبُ عَنِّي يَا حَبِيبِي الْكَلَامُ*
فَقُلْتُ مَا لَوْ قَالَ خَالِي عَلَى
لَامٍ عَنَّا قُلْتُ هَذَا لَمْ

* الكلام: بكسر الكاف الجروح والآلام
ومفردة ما كلم بفتح الكاف وسكون اللام

وله فيه الجنس اللفظي:

ضُنْتُ بِوَصْلِي وَظَنْتُ أَنْ سَلَوْتُ وَمَا (ص ٥٢٣)
ظَنَ الْعَمَلُ بِي لَمْ لَا ضَنْ بِالْمَالِ
غَاضَتْ عَلَيَّ وَمَا غَاضَتْ مَحَبَّتُهَا
وَعَاضَدَتْ غِيظُهَا مَعَ قَوْلِ عَدَالِي
وله فيه الجنس المطلق والتام المستوفى:

إِنَّ الظَّرِيفَ الَّذِي أَهْوَاهُ قَدْ ذَهَبَا
وَصَرْتُ فِي فَرْقٍ مِثْلَ فَرْقِ الذَّهَبَا
وَجَدْتُ بِالرُّوحِ كَيْ يَرْضَى بِهَا فَا بِي
وَقَالَ هَلْ هِيَ فِي مِلْكِ الَّذِي وَهَبَا؟

وله وفيه الجناس المفروق:

بوادى الصالحية بدر تم
فديتُ جماله من صالحى
إذا ما صال من واديه قَـوَم
وجالوا قال لى قد صال حى

(وله فى مدح أستاذه الشيخ عبد الغنى وفيه المدح بما
يشبه الدم)

ولا عيب فى عبد الغنى سوى غنى
العلوم وتقوى الله مع نصح خلقه
ومعرفة الدنيا جميعا لكشفه
فمن ذا يقم حقا بواجب حقه؟

(وقال) الشيخ عبد الله الإدكاوى فى مجموعته المسماة
(بضاعة الأريب من شعر الغريب) ما نصه «ولما كان عام
ثمان وخمسين ومائة وألف، قدم علينا محروسة القاهرة،
ذات المزايا الباهرة، المولى الفاضل الكامل، الأديب الأملئ،
والأريب اللوذعى، نور الدين على بن تاج الدين الحنفى
(ص ٥٢٤) المكى القلعى، عالم مكة ومفتيها كان تغمده
الله بالرحمة والرضوان، وأظهر من بدايعه الغريبة، وروايحه
المطرية العجيبة، بديعته الغراء، وفريدته العذراء، المسماة
الأنواع العجيبة الاختراع، وابتدع أنواعا لم يسبقه إليها
سابق، ولا لحقه فيها لاحق، منها نوع سماه وسع الاطلاع،
بديع الأوضاع، وقدر الله باجتماعى على ذلك الفاضل،
وأسمعى من بديع ألفاظه وألفاظ بديعه، ما غدا القلب به
والها أهلا، وشنف سمعى من نوع وسع الاطلاع بقصايد

هي للعقول مصايد، تطفلت حينئذ على فصاحته الناصعة،
وعزمت على السباحة في تلك اللجة الواسعة، فمدحته
بهذه القصيدة:

صَبَّ بوعَدك كم مطلَّتْه
هَاجَـرُته هَلا أَجـرُته!
سَهْرَانُ نام مَسَامِروه
هَجَّـعَا هَلا أُنْمِـتْه
كَمـمـد دواعي بَاسِـه
هَاجَت تحكـم مـسـا أثـرته
عَـان نواه كـرَاه هَلا
أُبْتَ تـكـريـمـا أرحـمـتـه
يَشْكـو ومن نـيـرَـانـه
هُوَ وَاوَد دَمـعَا أَسـلـتـه
أَضـحـى يـؤكـد داءه
هـيـمـانـه هَلا أزلتـه
يَا مـحـنة تُصـبـى يحل
لديك كم مـشـق قـتـلـتـه

(ص ٥٢٥) إلى آخرها، وهي طويلة، قال فحين قدمتها إليه،
وتشرفت بلم يديه، أجاز وتطول، ومدح وطول، وأوقفني مما
اقترحه على نوع ثان سماه (العود يعجز لب الفاضل عن
البدء فيه والعود) ورأيت أنه نظم منه بيتين أطرب من الثاني
والثالث، وقال في عبارة (لأعز عندي من عززهما بثالث،
فعملت له من هذا النوع قصيدة* مدحته بها وهي

* هذه القصيدة على وزن وقافية قصيدة أبي
عبد الله محمد بن زيد البوصيري المتوفى
سنة ٨٧١ هـ. وهي المشهورة بالبردة في
مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. وأولها:

امن تذكر جيران يدي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

عقيق دمعى غدا في الجذع كالديم
مـلـذبان سـكان بان الحى والعلم

* خشف: بثليث الخاء وسكون الشين الظبي الصغير. ودى سلم: موضع بين مكة والمدينة.

وانهل منسجماً من نار مضطرم
 ملآن وخدا إلى خشف* بدى سلم
 ظبي نفور أنيس ناعس يقظ
 بالليل متشع بالصبح ملتئم
 أحوى أغن رشيق أحور غنج
 نشوان صاح ظلوم عادل حكم
 إن أرض يغضب وإن أقرب ناي صلفا
 وإن أدل يتنه بالعز والشمم
 مهفهف ما بدت للغصن قامته
 إلا انثنى ذابل الأوراق ذا ضرم
 وإن تبسم ما برق بكازمة
 له وميض يجلى داجى الظلم
 ما فيه عيب سوى تفتير مقلته
 وفتكها فى فؤاد المدنف السقم
 حلا ابتساما جلا وجهها سبي قمرا
 لان انعطافا قسا قلبا على الأيم (ص ٥٢٦)
 ابن الطفيل يحييه الفؤاد فدع
 أبا معاذ سلامى وارع لى ذمى
 لست الرشيد ولا المأمون فى عذلى*
 عن العزيز المليك البارغ الفهم
 ثم أورد أبياتا فى العود كما تقدم ذكره فى ترجمته ثم قال:

* العذل: بفتح النال معنى الملامة.

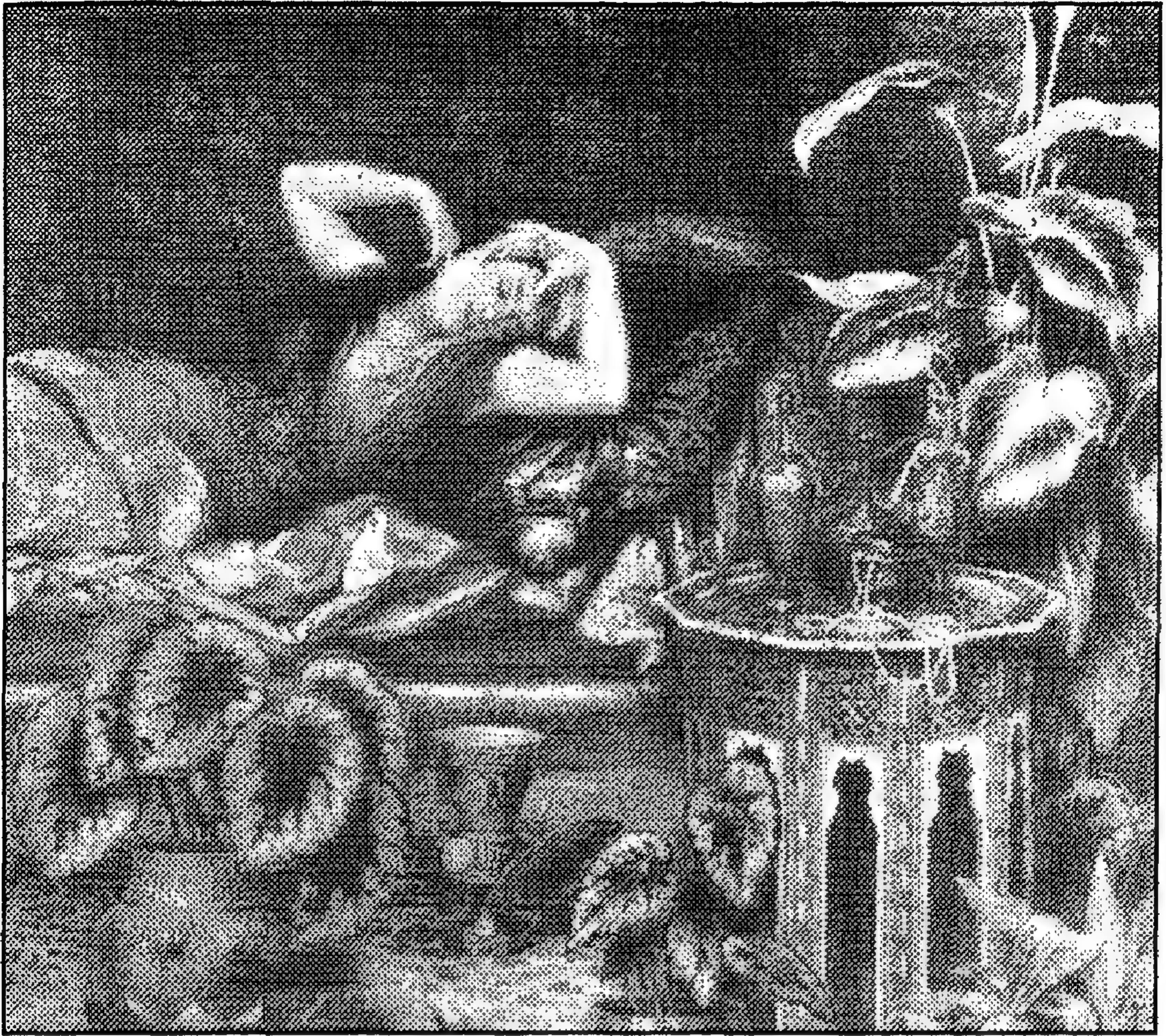
وعذ ولد واحترز بالمفرد العلم
 ابن المفرد العلم ابن المفرد العلم
 هو الهمام الذى أضحت فضايله
 بين الورى وهى كالأمثال فى الكلم



يمم حماء وباعد من سواه تنل
ندى يعمك، ذا فيض الحيا العمم

فالعلم والحلم والإفضال* والحسبُ الصميم فيه مع العلياء * الإفضال: بكر الهمزة الاحسان.
والهمم ثم قال:

أيا على بن تاج الدين يا علم الآداب
يا طاهر الأعراق والشيم
اسمع فراندُ در من محبك الأد
كأوى في قنـدرك الموصوف بالعظم
في سلكها نوع عود أنت سيدنا
حقاً أبو عُذرة إذ كان في القدم
نوع عجيب غريب في مهامه
يحرار كل فصيح في المقال كمي



من بحرك الرائق العذب اغترفت فلا
 بدع إذا فاق در العققد في القيم
 فامعن الفكر فيه هل به خلل ؟ (ص ٥٢٧)
 أم جاء وفق الذي أبدعت من حكم ؟
 واسلم ودم ما شذت ورقاء في فن
 وازدان طـرس* بتنميق من الكلم
 فلما وقف على هذه بعد الأولى قال «أنت بالتقريظ على
 بديعتي من كل أحد أولى، فقلت له «لست أهلا لذلك»
 فقال «بل أنت أقوى من كل أحد في سلوك هذه المسالك»
 فلما رأيت واهل إلحاحه، أوردت هاتل نجاحه، فافتتحت
 قايلا:

* الطرس بكسر الطاء وسكون الراء هو
 الصحيفة.

قف لدى ذا الروض وانتـشق
 عبقاً ناهيك من عبق
 روض آداب بدايعه
 نزهة الآذان والحـسق
 حفظ الرحمن منشئه
 ذا الكمـال الطيب الخلق
 العلى اسما ومنتسبـا
 من سـمما بالتـاج للأفـر

إلى أن قال:

دامــــــــــــــــولانا ينزهنا
 فى معانى حسنـها الأنـق
 ما شكا الأشـجان ذو شـجن
 أو شـدت ورقاء ورقاء فى الورق

ثم تم نشر التقرير بما هو مذكور فى مجموعته، لم أكتبه خوفاً من الملل، ثم قال «فلما أمعن النظر فيما رقمته، وتأمل ما قلته، قال «هذا من مثلك لا يكفى، ولا يطفى الغليل ولا يشفى، بل لابد من تقرير آخر (ص ٥٢٨) على نوع وسع الاطلاع من جنسه الأنيق، فقلت «اعفنى من الخوض فى هذا البحر العميق، فقال «لابد من القول، واستعن بلى الطول، فمددت القلم، واستعنت بارى النسم، وقلت يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، أبدعت نظام هذا العالم وعلم هذا النظام، إلى آخره، وفيه قصيدة عينية أولها:

بديعُ حَبَّانَا به ذا البديعُ
 بعبيد على غيره لا يطيع
 بديع لبس يد لديه بليد
 وليس بدان إليسه مطيع

وهي طويلة وفي آخرها التقريظ:

لئن كان ما أهديتُ نحوك سيدي
 غدا قاصراً عن قد در نظمته
 فعذراً فذا جَهْد المقل ووسع
 الاطلاع عزيز يا عزيز علمته
 فإن راق معناه فأثبتته فالذي
 وحباك به المداح قبلي رَقَمْتَه
 الا فدَعْنِي في الزوايا وقل هنا
 أقم وادعاً واكْتَمْتَه فيما كَتَمْتَه

وختمه بعد الدعاء بقصيدة لامية مطرزة،
 وبعدها جواب عن اعتراض ناقد فيه بعض
 المعاصرين، وقد نظم الجواب والنقل والدليل في سبعة
 عشر بيتاً.

[ومات] على بن جبريل المتطبب شيخ دار الشفاء
 بالمارستان المنصوري رئيس الرؤسا، والماهر الذي طود فضله
 رسا، أتقن في فن (ص ٥٢٩) الطب وشارك في غيره
 من الفنون.

(ومن كلامه يمدح مجلس السادات) وكان السيد عبد
 الرحمن العيدروس حاضراً فيه:

٢٥٣ على بن جبريل [طبيب].
 ١١٧٠ هـ = ١٧٥٦ م.

والله لم يحور هذا في الورى أحد
 ممن تقدم في عصر لنا سلفا
 إذا أبصرت مقلتي قطبين قد جمعا
 العييدروس وعبد الخالق بن وفا

وكان أحد جلسا الأمير رضوان كتحدا الجلفى ونديمه
 وأنيسه وحكيمه وعند ليب دوحته وهزار روضته، وكان
 أحد من منحت له يمين ذلك الأمير بالألوف، حتى أصبح
 بنعمته في جنات دانية القطوف، فمن بعض هباته الواصلة
 إليه، وصلاته الحاصلة لديه، أن وهب له بيتا على بركة
 الأزكية، رؤيته تسر النفوس الزكية، وصفه عجيب، ورونقه
 بديع غريب، زجاجى النواحي والأرجاء، من حيث التفت
 رائيهِ رأى منظرا بهجا، وقد مدحه أحبابه منهم الشيخ
 مصطفى أسعد اللقيمي، ومنهم الشيخ عبد الله الإدكاوى
 بما هو مذكور في (الفوايح الجنانية في المدايح الرضوانية)
 ومن شعر المترجم في ممدوحه المشار إليه:

يا شادنا دنا ومـــــر
 وراح يهـزـو بالقـــــمـر
 ومخجلا بان الربا
 ووالسمهـرى إن خـطـر
 يا بابلى اللحظ يا
 من للعقول قد سحر
 يا من بأشراك الهوى
 لعاشقين قد أسر
 (ص ٥٣٠) الليث أنت إن سطا
 أنت الغزال إن نفسـر

يتيسر في عشاقه
 تيسر الملوك بالظفر
 عذاره لما بدا
 سبى لربات الحجر
 رأينه اكبره
 وقلن ما هذا بشر
 وخده لما اختشى
 بأن يصاب بالنظر
 أرخى العذار ساترا
 فصار يخطف البصر
 لم يبق من حسن يرى
 لغيره ولم يذر
 حاز البديع حسنه
 وجامعا حسن الصور
 فشعره مطول
 واخصر منه مختصر
 في مصر أضحى مفردا
 مثل العزيز المعتبر
 غيث الندى رضوان من
 زماننا به افستخر
 لو رام جمع فر يكون
 مثله لما قدر
 يعطى النوال باسمها
 ولم يشبهه بالكدر
 فبالله واقبيه لما
 يخشاه من بأس وضر

وقد شطر هذه القصيدة الشيخ عبد الله الإكاري بما هو
مذكور في ديوانه (وله أيضا) تشطير أبيات صفوان بن
إدريس ويخلص منه إلى مخدومه وهي:

يا حسنَه والحسن بعض صفاته
رشاشاً يدير الراح من لحظاته
فاللين منحصر بقامة قدّه
والسحر مقصور على حركاته
بدر لو أن البدر قيل له اقترح
شيئاً يحاكي فيه بعض سماته
أو قيل ماذا أن تكون مؤملاً
أملاً لقال أكون من هالاته
(ص ٥٣١) وإذا هلال الشك قابل وجهه
بأقل ما يعطاه من درجاته
ولحظت صفحة خده بلطفه
أبصرته كالشكل في مرآته
والحال نقت في صفيحة خده
مسكاً على ورد زها بنباته
عجز ابن مقله أن يكون مصوراً
ما خط حبر الصُّدع من نوباته
ركب المآثم في انتهاب نفوسنا
لم يخش يوم العرض من عرصاته
وهو المعذب أنفوساً ذلت له
فالله يجعلهن من حسناته
مازلت أخطب للزمان وصاله
والمرء مجبول بحب حياته

وأبشه الشوق الذى وهن الحشا
 حتى دنا والبعد من عاداته
 ففشرت ذنب الدهر منه بليلة
 فطرت - مما أبدته - قلب وشاته
 نسخ البعاد بحكمها فهى التى
 غطت على ما كان من زلاته
 يتنا نشعشع والعفاف نديمنا
 وأريه من كنز التلقى آياته
 وغدا السرور يدير فيما بيننا
 خميرين من غزلى ومن كلماته
 ضاجعته والليل يذكى تحته (ص ٥٣٢)
 حراً توقد من مدى جفواته
 سامرته والقرب يشعل بيننا
 جمرين من ولهى ومن وجناته
 حتى إذا ولع الكرى بجفونه
 وأزال ما يبيديه من حركاته
 وغدا يرنح كالقضيبي قوامه
 وامتد فى عضدى طوع سناته
 أوثقته فى ساعدى لأنه
 شىء يعزز على وقت فواته
 أودعته شرك الشعور فإنه
 ظبي خشيت عليه من نفواته
 وضممته ضم البخيل لماله
 يخشى عليه الدهر من فلتاته
 مفترى به لا يستطيع فراقه
 يحنو عليه من جميع جهاته

عزم الغرام على في تقبيله
 فنهاه داعي النسك عن هياته
 وقضى اشتياقي فيه لثم أكفه
 فنفضت أيدي الطوع من عزماته
 وأبى عفا في أن يقبل ثغره
 أو أجتنى ما طاب من لذاته
 وأرى العنواذل عزة وتجلدا
 والقلب مجبول على حسراته
 فناعجب للتهب الجوانح غلة
 يقضى أسي والبرء في راحاته (ص ٥٣٣)
 أنفت خلانقه الإساعة حيثما
 يشكو الظمما والماء في لهواته
 لا يستطيع تخلصا مما به
 لا بمدح أخى العلاء وحياته
 رضوان أوحى من تفرد بالعطا
 فمنائح الأجواد بعض هياته
 المانع الإحسان كف نزيله
 والمانع اطمئنان قلب عداته
 فنداه كالبحر العباب تدفقا
 وصلاته تحكى لفرض صلاته
 والفارس المقدم في يوم الوغيا
 والمرهب الأسناد في وثباته
 لا زال بشر السفسد في أبوابه
 يهذى الهنا والعنز في ساحاته
 يمسي ويصبح والعيون قريرة
 منه بمن بهم حلى روضاته

أقمار عز في سماء سيادة
 أشبال ليث في ذرا غاباته
 أبقاهم رب العنبياد بعزة
 يبقاه في حال الزمان وآته
 مستنعمين بروض أنس ناضر
 يهدي الصفا لهم صبا لفحاته
 أهدى إليه قصيدة حسنا زهت
 مياسة كالبيان في عذباته
 لو اسمعوا صفوان حسن مديحه (ص ٥٣٤)
 وبديع ذى التشطير من أبياته
 ليقول من فطر السرور مؤرخاً
 حقاً به تزهو بحسن صفاته

وقال يمدحه بهذه الأبيات الثلاثة، التى معانى سحرها فى
 ذوى العقول نفائذة وهى:

وأبيك مـا رضىـوان إلا آية
 شهدت بذاك شهامة الأفعال
 يهب المواهب جملة بسماحة
 متفرغاً عن منة وملال
 حتى يصير المعدمون برفده
 متفرغين على ذوى الأموال

وقد شطرها جملة من أدباء العصر كما هو مذكور فى
 تراجمهم، وقال مهنتاً بشفاته ومؤرخاً:

وجه الزمان بك ابتـهـج
 وبدا بجـبـهـته البلج*

* البلج: بفتح الباء واللام بمعنى النور.

يا واحد العصور الذى
فيه لقد جاء الفرج
وبه الهننا أرخ لنا
صحت بصحته المهج

وله فى هذا المعنى مؤرخاً.

هل السرور فشفر الدهر مبتسم
وزال عن وجهه الإغضاء والغمم
وأقبل البشر يثنى عطفه مرحاً
وجيش عزك فى مَضناك يزدحم
وصامت الناس حتى كل ناظرهم
ومد ظهرت هلالاً عمهم نعم
أحييت بالبرء روح المكرمات كما (ص ٥٣٥)
أمت بالجود فقراً وجهه كظم
فأهنا ببرء لقد عاد السرور به
واستبشرت أم من بعدها أم
مدصح جسمك فالتاريخ ينشدنا
قد عوفى الجدد والإسداء والكرم

ولما تغيرت دولة مخدومه وتغير وجه الزمان، عاد روض أنسه
ذابل الأفنان، ذا أحزان وأشجان، لم يطب له المكان، ودخل
اسمُ عزه فى خبر كان، وتوفى فى نحو هذا التاريخ.

٢٥٤ عبد الوهاب الدلجى
ت ١١٧١ هـ = ١٧٥٧ م.

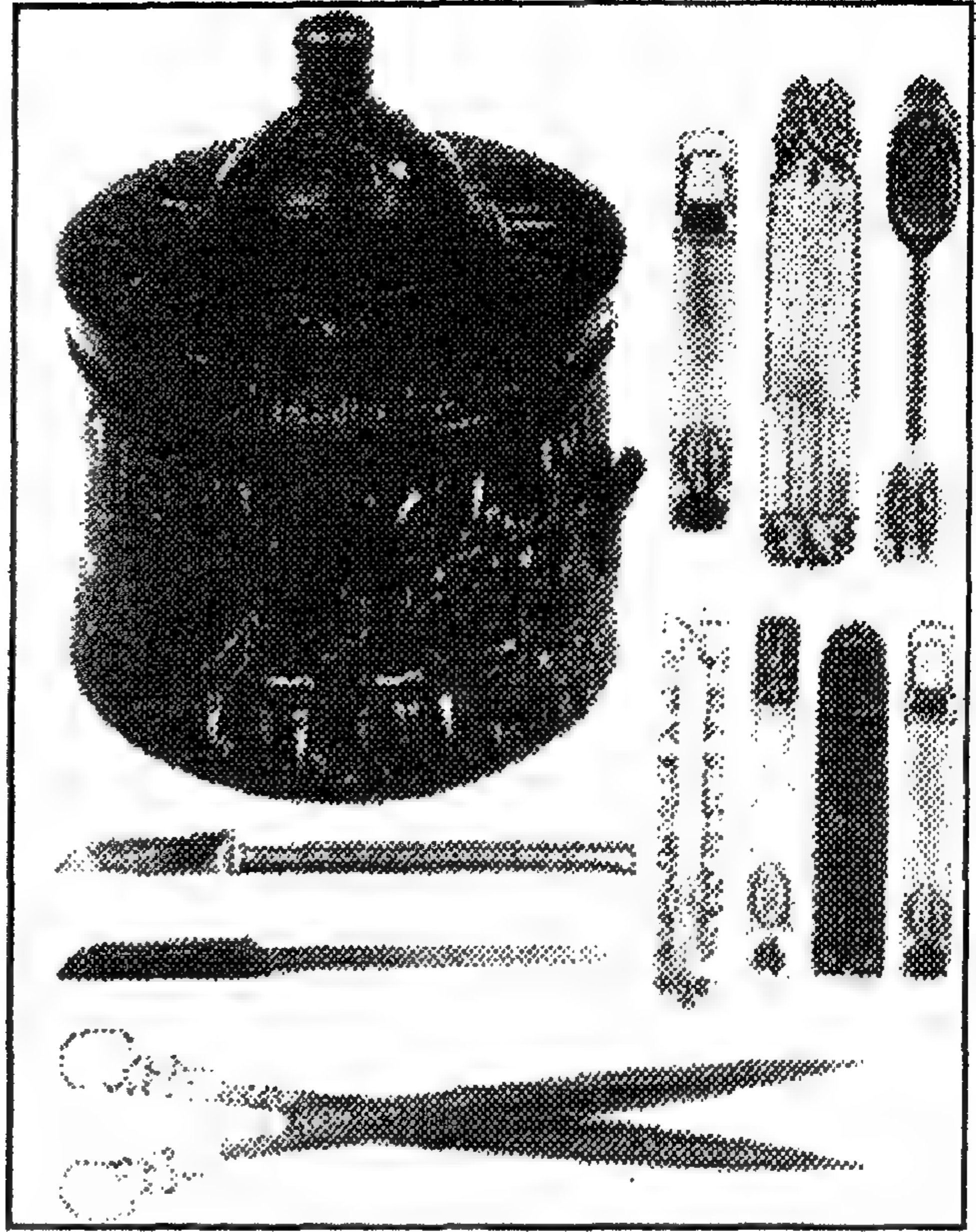
[ومات] العمدة الأجل النبيه الفصيح المفوه الشيخ / يوسف
بن عبد الوهاب الدلجى وهو أخو الشيخ محمد الدلجى،
كلاهما ابنا خال المرحوم الوالد، وكان إنساناً حسناً ذا ثروة



وحسن عشرة وكان من جملة جلساء الأمير عثمان بك ذى
الفقار، ولديه فضيلة ومناسبات، ويحفظ كثيرا من النوادر
والشواهد، وكان منزله المشرف على النيل ببولاق مأوى
للطفاء والظرفاء ويقتنى السرارى والجوارى، توفى سنة
إحدى وسبعين ومائة وألف. عن ولديه حسين وقاسم وابنة
اسمها فاطمة موجودة فى الأحياء إلى الآن.

[ومات] الشيخ النبیه الصالح / على بن خضر بن أحمد
العمرورى المالکى، أخذ عن السيد محمد السلمونى
والشهاب النفراوى والشيخ محمد الزرقانى، ودرس بالجامع
الأزهر وانتفع به الطلبة، واختصر المختصر الخليلی فى نحو
الربع ثم شرحه، وكان إنسانا حسنا منجمعا عن الناس مقبلا
على شأنه، توفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف.

٢٥٥ على بن خضر العمرورى
ت ١١٧٣ هـ = ١٧٥٩ م.



► أدوات الخطاطين

٢٥٦ محمد بن وفا.
ت/ ١١٧١ هـ = ١٧٥٧ م

* المشيخة: يقصد بها هنا مشيخة السادة
الوفائية من آل البيت.

[ومات] الأستاذ المجل ذو المناقب/ الحميدة، السيد شمس الدين/ محمد أبو الإشراق ابن وفا وهو ابن أخى الشيخ عبد الخالق، ولما توفي عمه فى سنة إحدى وستين ومائة وألف خلفه فى المشيخة* والتكلم، وكان ذا أبهة ووقار محتشما سليم الصدر كريم النفس بشوشاً، توفي سادس جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، وصلى عليه بالأزهر وحمل إلى الزاوية فدفن عند عمه، وقام بعده فى الخلافة الأستاذ مجد الدين محمد أبو هادى بن وفا رضى الله عنهم أجمعين.

٢٥٧ حسين الخلى.
ت/ ١١٧٠ هـ = ١٧٥٦ م.

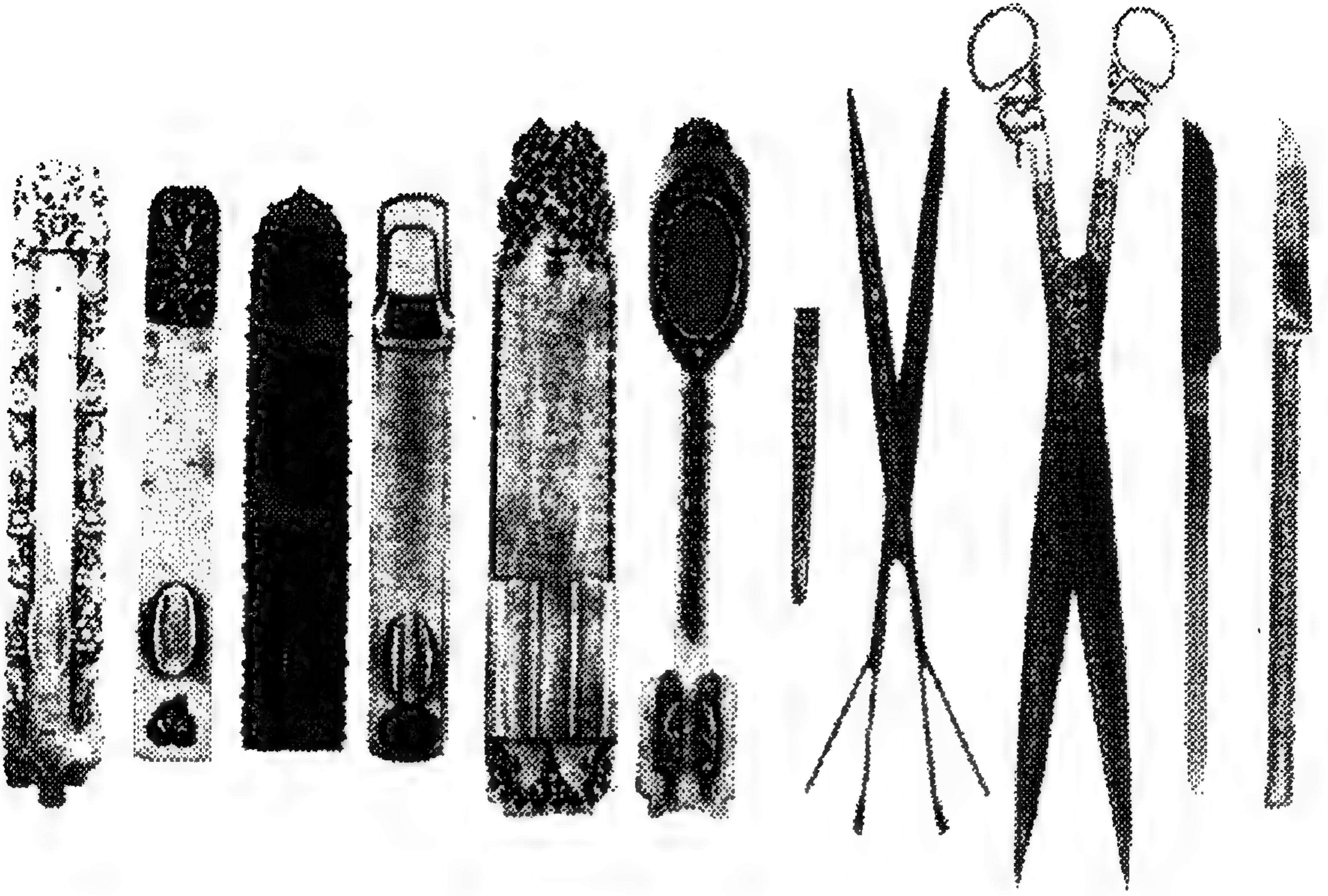
[ومات] الإمام العلامة الفريد الفقيه الفرضى الحيسوبى الشيخ/ حسين الخلى الشافعى، كان وحيد دهره وفريد



عصره فقهاً وأصولاً ومعقولاً، جيد الاستحضار والحفظ
للفروع الفقهية، وأما علم الحساب الهوائى والغبارى
والفرائض* وشباك ابن الهائم* والجبر والمقابلة والمساحة
وحل الأعداد فكان بحراً لا تشبهه البحار. ولا يدرك له قرار،
وله فى ذلك عدة تأليف ومنها شرح السخاوية وشرح
النزهة والقلصاوى، وكان يكتب تأليفه بخطه ويبيعها لمن
يرغب فيها، ويأخذ من الطالبين أجرة على تعليمهم، فإذا
جاء من يريد التعلم وطلب أن يقرأ عليه الكتاب الفلانى
تعزز عليه وتمنع ويساومه على ذلك بعد جهد عظيم،
ويقول «أنا لا أبذل العلم رخيصة» وكان له حانوت بجوار
باب الأزهر يتكسب فيه ببيع المناكيب* لمعرفة الأوقات
والكتب وتفسيرها*، وألف كتاباً حافلاً فى الفروع الفقهية
على مذهب الإمام الشافعى، وهو كتاب ضخمة فى مجلدين

* الفرائض: علم الميراث.
* شباك ابن الهائم: أى الجداول التى ابتكرها
ابن الهائم.

* المناكيب: أى التقاويم التى تعرف بها أوقات
الصلاة.
* تفسير الكتب: أى نسخها.



▲ أدوات لتفيد الكتب.

معتبر مشهور معتمد الأقوال في الإفتاء، وله غير ذلك كثير، وبالجملة فكان (ص ٥٣٧) طوداً راسخاً تلقى عنه كثير من أشياخ العصر، ومنهم شيخنا الشيخ محمد الشافعي الجناحي المالكي وغيره. توفي سنة سبعين ومائة وألف، رحمه الله.

٢٥٨ عبد الوهاب بن عبد السلام البرهاني.
ت/ ١١٧٢ هـ = ١٧٥٨ م.

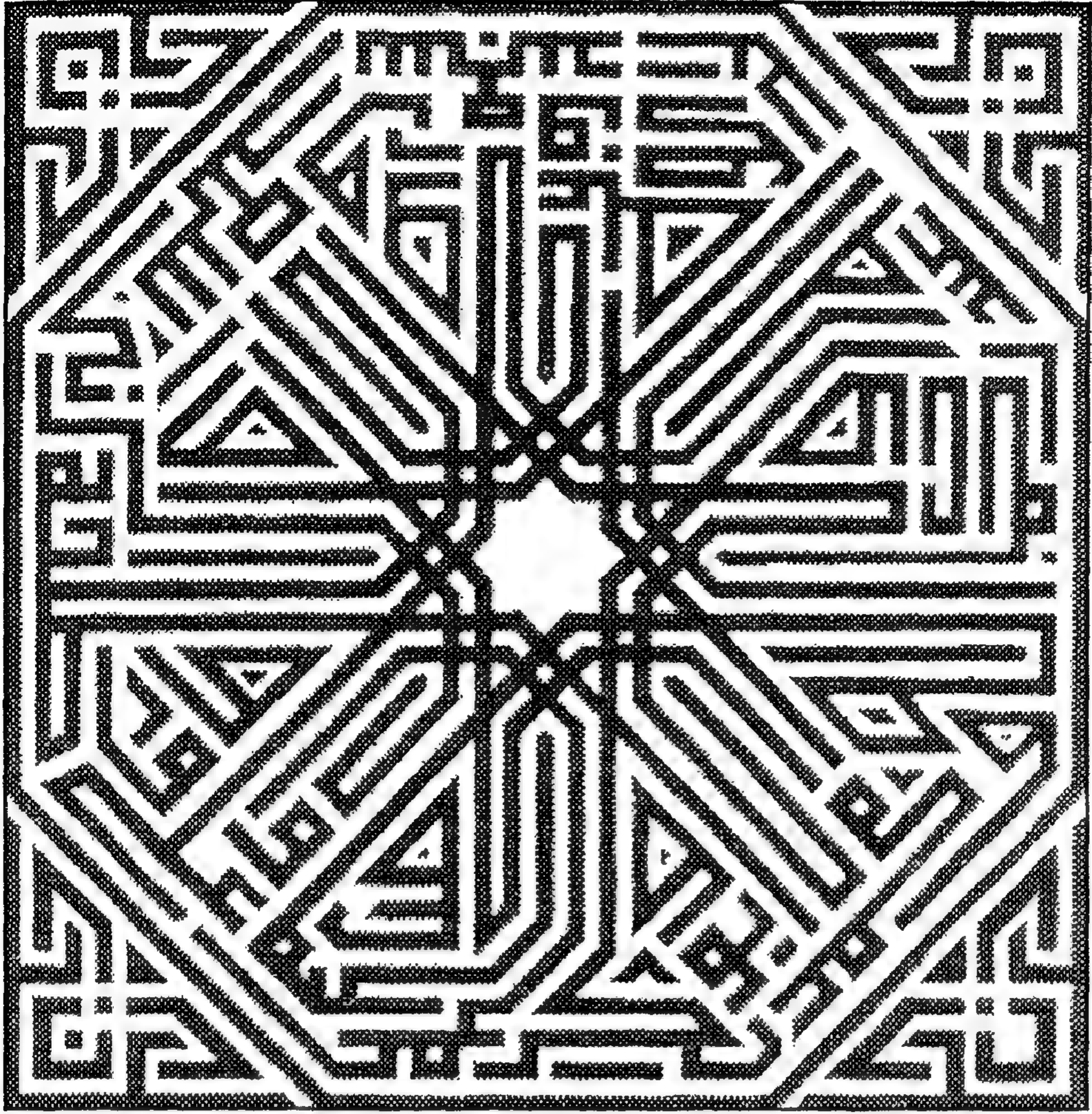
[ومات] الشيخ الإمام المعمر القطب أحد مشايخ الطريق صاحب الكرامات الظاهرة، والأنوار الساطعة الباهرة/ عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي بن عبد القادر بن أبي العباس بن عبد القادر بن أبي العباس بن شعيب بن محمد بن القطب سيدي عمر المرزوقي العفيفي المالكي البرهاني، يتصل نسبه إلى القطب الكبير سيدي مرزوق الكفافي المشهور، ولد المترجم بمنية عفيف إحدى قرى مصر

ونشأ بها على صلاح وعفة، ولما ترعرع قدم إلى مصر
فحضر على شيخ المالكية في عصره الشيخ سالم النفراوى
أياماً في مختصر الشيخ خليل، وأقبل على العبادة وقطن
بالقاعة بالقرب من الأزهر بجوار مدرسة السنانية وحج فلقي
بمكة الشيخ إدريس اليماني، فأجازه وعاد إلى مصر، وحضر
دروس الحديث على الإمام المحدث الشيخ أحمد بن مصطفى
الإسكندري الشهير بالصباغ ولازمه كثيراً حتى عرف به،
وأجازه مولاي أحمد التهامي حين ورد إلى مصر بطريقة
الأقطاب والأحزاب الشاذلية والسيد مصطفى البكري
بالخلوتية، ولما توفي شيخه الصباغ لازم السيد محمد
البليدي في دروسه، من ذلك تفسير البيضاوي بتمامه. وروى
عنه جملة من أفاضل عصره كالشيخ محمد الصبان والسيد
محمد مرتضى والشيخ محمد بن إسماعيل النفراوى،
وسمعوا عليه صحيح مسلم بالأشرفية، وكان كثير الزيارة
لمشاهد الأولياء متواضعاً لا يرى لنفسه مقاماً متحزراً في
ماكله وملبسه لا يأكل إلا ما يأتي إليه من زرعه من بلده
(ص ٥٣٨) من العيش اليابس مع الدقة، وكانت الأمرا
تأتي لزيارته ويشمئز منهم ويفر منهم في بعض الأحيان وكل
من دخل عنده يقدم له ما تيسر من الزاد من خبزه الذي
كان يأكل منه وانتفع به المريدون وكثروا في البلاد وأنجبوا،
ولم يزل يترقى في مدارج الوصول إلى الحق حتى تعلل أياماً
بمنزله الذي بقصر الشوك، وتوفي في ثاني عشر صفر سنة
اثنين وسبعين ومائة وألف ودفن بجوار سيدي عبد الله
المنوفى، ونزل سيل عظيم وذلك في سنة ثمان وسبعين ومائة
وألف فهدم القبور وعامت الأموات فانهدم قبره وامتلاً بالماء
فاجتمع أولاده ومريدوه وبنوا له قبراً في العلوة على يمين

تربة الشيخ المنوفى ونقلوه إليه قرياً من عمارة السلطان قايتباى، وبنوا على قبره قبة معقودة وعملوا له مقصورة ومقاماً من داخلها وعليه عمامة كبيرة وصيروه مزاراً عظيماً يقصد للزيارة ويختلط به الرجال والنساء، ثم أنشأوا بجانبه قصراً عالياً عمره محمد كتحدا أباطة، وسوروا له رحبة متسعة مثل الحوش لموقف الدواب من الخيل والحمير دثروا بها قبوراً كثيرة بها كثير من أكابر الأولياء والعلماء والمحدثين وغيرهم من المسلمين والمسلمات، ثم إنهم ابتدعوا له موسماً وعيداً فى كل سنة يدعون إليه الناس من البلاد القبلية والبحرية فينصبون خياماً كثيرة وصراوين ومطابخ وقهاوى، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم وفلاحى الأرياف وأرباب الملاهى والملاعب والغوازى والبغايا والقرادين والحواة فيملئون الصحراء والبستان فيطنون القبور ويوقدون عليها النيران، ويصبون عليها القاذورات ويولون ويتفوطون ويزنون ويلوطون، ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول (ص ٥٣٩) والزمور ليلاً ونهاراً، ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر ويجتمع لذلك أيضاً الفقهاء والعلماء وينصبون لهم خياماً أيضاً ويقتدى بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار بل ويعتقدون أن ذلك قرينة وعبادة، ولم لم يكن كذلك لأنكره العلماء فضلاً عن كونهم يفعلوه، فالله يتولى هدايتنا أجمعين.

٢٥٩ محمد بكري بن السرور.
شيخ السجادة البكرية.
ت/١١٧١ هـ = ١٧٥٧ م.

[ومات] الشيخ الأجل المعظم سيدى / محمد بكري بن أحمد بن عبد المنعم بن محمد بن أبى السرور محمد بن القطب أبى المكارم محمد أبيض الوجه ابن أبى الحسن محمد ابن الجلال عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن



▲ لوحة خط لأسماء العشرة
المبشرين بالجنة

أحمد بن محمد بن عوض بن محمد ابن عبد الخالق بن
عبد المنعم بن يحيى بن الحسن بن موسى بن يحيى بن
يعقوب ابن نجم بن عيسى بن شعبان بن عيسى بن داود بن
محد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن
أبى بكر الصديق، وكان يقال له سيدى أبو بكر البكرى
شيخ السجادة بمصر وكان نقش خاتمه:

«أبو بكر الصديق جدى وإنسى

لسبط رسول الله طه محمد»

ولاه أبوه الخلافة فى حياته لما تفرس فيه النجابة مع وجود
إخوته الذين هم أعمامه وهم أبو الذهب وعبد الخالق
ومحمد بن عبد المنعم فسار فى المشيخة أحسن سير، وكان
شيخاً مهيباً ذا كلمة نافذة وحشمة زائدة تسعى إليه الوزرا

والأعيان والأمراء، وكان الشيخ عبد الله الشبراوى يأتيه فى كل يوم قبل الشروق يجلس معه مقدار ساعة زمانية ثم يركب ويذهب إلى الأزهر، ولما مات خلف ولده الشيخ سيد أحمد، وكان المترجم متزوجاً بنت الشيخ الحنفى فأولدها سيدى خليلًا وهو الموجود الآن، تركه صغيراً فتربى فى كفالة ابن (ص ٥٤٠) عمه السيد محمد أفندى ابن على أفندى الذى انحصرت فيه المشيخة بعد وفاة ابن عمه الشيخ سيد أحمد مضافة إلى نقابة السادة الأشراف كما يأتى ذكر ذلك إن شاء الله، وكانت وفاة المترجم فى أواخر شهر صفر سنة إحدى وسبعين ومائة وألف.

٢٦٠ السلطان عثمان خان.
ت ١١٧١ هـ = ١٧٥٧ م.

[ومادة] أيضاً فى هذه السنة السلطان عثمان خان العثمانى، وولى السلطان مصطفى بن أحمد خان، وعزل على باشا ابن الحكيم وحضر إلى مصر محمد سعيد باشا فى أواخر رجب سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، واستمر فى ولاية مصر إلى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، وفى تلك السنة أعنى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف نزل مطر كثير سالت منه السيول.

٢٦١ مصطفى أسعد اللقىمى الدمياطى.
ت ١١٧٣ هـ = ١٧٥٩ م.

[ومات] أفضل النبلاء وأنبل الفضلاء، بلبل دوحة الفصاحة وغريدها، من انحازت له بدايعها طريفها وتليدها، الماجد الأكرم/ مصطفى أسعد اللقىمى الدمياطى، وهو أحد الإخوة الأربعة وهم عمر ومحمد وعثمان والمترجم أولاد المرحوم أحمد بن محمد بن أحمد بن صلاح الدين اللقىمى الدمياطى الشافعى سبط العنبوسى وكلهم شعراء بلغاء. ومن محاسن كلامه وبديع نظامه مدامته الأرجوانية* فى

* المدامة الأرجوانية فى المقامة الرضوانية،
لمصطفى اللقىمى فى مدح الأمير رضوان
كتختها عزبان الجلفى.

* كان الأمير رضوان قد استأثر بإمارة الحج المصري دعماً لنفوذه السياسي، وفي سياق هذا الدعم جمع حوله عدد من الشعراء ليمدحوه ويرفعوا من شأنه، كما طلب من أحد النسابة تأليف رسالة تربط جنوده بقريش فكتب له رسالة بإسم «قهر الوجوه العباسية في ذكر نسب الجراكسة إلى قریش» سبق ذكرها.

وقد جلب عليه ذلك سخط البيوت المملوكية المنافسة له وكذلك السلطنة العثمانية مما أدى في النهاية إلى اغتياله وبذلك توقف مشروعه للانفراد بحكم مصر.

المقامة الرضوانية التي مدح بها الأمير رضوان* كتحدا عزبان الجلفى، وهى مقامة بديعة بل روضة مريضة، وقد قال فى وصفها وبديع رصفها شعراً:

نسجت بمنوال البديع مقامة
وتزركششت بالحسن والإبداع
رقت حواشيها ووشت طرورها
بجواهر الترصيع والإبداع (ص ٥٤١)
وغدت بحلى مديح رضوان العلى
طوال المدى تجلى على الأسماع

وابتدأها بقوله.

بسم الله الرحمن الرحيم، حمداً لمن أنهج مناهج مباحج
الإسعاد، وسلك بنا سبل معارج مدارج الإرشاد، والصلاة
والسلام على صفوته من العباد، سيدنا ومولانا محمد ملجأ
الخلايق يوم المعاد، القایل وقوله الحق يهدى إلى طريق
الرشاد، اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه، فيانعم ما أنعم
به وأفاد، وعلى آله وأصحابه السادة الأمجاد، والتابعين لهم
والسالكين مسالك السداد، ما لبي الكريم دعوة الوفود
والقصائد، وأتحفهم ببلوغ المنى وحصول المراد.

(وبعد) فقد حكى البديع بشير بن سعيد، قال حدثنى الربيع
بن رشيد، قال هاجت لى دواعى الأشواق العذرية، وعاجت
بى لواعج الأتواق الفكرية، إلى ورود حمى مصر المعزية
البديعة، ذات المشاهد الحسنة والمعاهد الرفيعة، لأشرح بمتن
حديثها الحسن صدرى، وأروح بحواشى نيلها الجارى روحى
وسرى، وأقتبس نور مصباح الطرف من ظرفائها، وأقتطف
نور أدواح الظرف من لطفائها، وأستجلى عرايس بدائع

معانى العلوم، على منصات الفكر محلاة بالمنشور والمنظوم،
 وأستمد من حماتها السادة أسرار العناية، وأسترشد بسراتها
 القادة أنوار الهداية، وأمتع الطرف بغرر دولتها العلية، وأشنف
 السمع بدور سيرتها السنية، فنشر عرّف علاها (ص ٥٤٢)
 قد عطر الآفاق ولواء وصف حلاها فى الخافقين خفاق،
 فامتطيت طرف العزم، مسرجا بالحزم، وبغيت بعد السكون
 على الحركة مع الجزم، واتخذت حادى الجوى فى السير
 دليلى، وباعث الهوى سميرى فى مسرحى ومقيلى،
 وواصلت السرى بالغدو والرواح، وهجرت الكرى فى
 العشى والصباح، فأسعفتنى مع الرعاية فاتحة الألفاف،
 وأسعدتنى مع الوفاية خاتمة المطاف، بوصولى إلى حماها
 الزاهى المحروس، والخلول برباها الزاكي المانوس، فلما أذنت
 لى حماتها بالدخول من بابها، وأزهرت عن وجهها الأزهر
 برفع نقابها، فإذا هى مدينة جمعت متفرقات المحاسن، ذات
 رياض بهجة وماء غير آسن، غرة المدن بل عروسة البلدان،
 عليها تعقد الخناصر فما صنعاء وما عبّادان، لقد حلت من
 الحسن بمكان مكين، وتحلت بحلى الزينة بأحسن تزيين،
 غياضها تروح الأرواح القدسية وتسرى النفوس، ورياضها تنفح
 الأرواح المكينة ولا عطر بعد عروس، تنادى أفياء ظلها
 الظليل، هلمّوا إلى طيب مقال وحسن مقيل، تتيه على
 غيرها من الأمصار مائسة الأعطاف، بما تحويه من عيشها
 الهنى وثمارها الدانية القطاف، شعر:

إن يكن فى البلاد طيب نعيم
 أو رياض لها بها إعزاز
 فبمصر حقيقة عن يقين
 مستعار بغيرها ومجاز

فجعلت أطوف بخلال المسالك والشوارع، وأرْمُقْ
(ص ٥٤٣) أفلاك القصور التي هي للبدر مطالع، وتأملت
في زيج لامع سيرها القويم، وقومت طالع عزها بأحسن
تقويم، فأنج أن كوكب سعدا مشرق، وناظر مجدها له
السيادة تشرق، فهي بعزة أمرائها وقوة عساكرها قاهرة
لأضدادها، ظافرة على مناظرها، قد حَفَظَتْ بهم الشغور
والقرى والضياح، وأمنت السُرَّة في مسالكها فلا خوف ولا
ضياح، فهم الكماة في الحروب فوق متون الضواجر، وهم
الكفاة للضروب في الهيجاء وبدور العساكر، أنفوا الخضوع
للأعداء فعزّت منهم النفوس، وألفوا الولوع بعوالي الأسلحة
فاتخذوها وشاحا والدروع لبوس، فكم خفقت لهم في
الغزوات رايات نصر وفتح، وتليت في وصفهم بمجامع
العزمات آيات ثناء ومدح، شعر:

مصرّ زهت بين البلاد بمعشر
خفقت لهم بسما العلا رايات
فهم الأعزة طاب نشر حديثهم
وبمدحهم تُتلى لنا آيات

(ولما) حللت بواديها المشرق الباهر، ونزلت بناديها المورق
الزاهر، استوطنت في أعاليها شرفا، وتبوات من مغانيها
غُرُفا، وبسطت لي من الأنس والسرور نمارق، ونصبت على
من الإيناس والحبور سرادق، ووافتنى الأحبة الأذكيا إخوان
الصفاء، وصافتنى الأعزة الأتقياء أخدان الوفاء، مجمع
أفراحنا رياض الأدب واللطائف، ومربّع أرواحنا غياض
الطلب والمعارف، نحتسى كؤوس الهنا بحانات التهاني،
ونجتلى عرايس (ص ٥٤٤) المنى بنغمات المثلث والمثاني،

كوكب المسرة بأفق الإسعاد مزهر، وقمر المبرة بمطلع
الإسعاف مبدر، فبينما نحن على هذه الحالة التي وصفت،
ومشاريع مواردنا الحالية راقت وصفت، إذ نظر الدهر إلى
نظرة عابث، ورماني من كنانته بأعظم حادث، نصبت به
حياض معاشي، وذبلت منه رياض انتعاشي، حرمت منه
مفروض حقى الواجب، وصار حظي المنع وليس ثم حاجب،
فقيدت عن التصرف في وقفي المطلق، وأصبح باب
الوصول إليه دوني مغلق، فتكدرت عند ذلك صافيات
المشارب، وتنكرت بعد تعريفها واضحات المآرب، وحرمت
ما بين دائرتي الاشتباه والاختلاف، واعترائني مع العلل جميع
أنواع الزحاف، وعز التوصل للتوصل بحسن الخلاص،
والقضاء ينادى ولات حين مناص، مفرد:

عز الخلاص ولات حين تصبر
من حادث قد قل فيه المسعف

فبينما أنا حائر في فيافي الافتكار، تايه في متاهة الحيرة
الشاسعة القفار، إذ هتف بي هاتف من سما الانتباه، أزال ما
بقلبي من واردات الوهم والاشتباه، وقال أيها السابح في
لجج أحزانه، السايح بفجاج قلقه وأشجانه، إلى كم تحيد
عن طرق معالم التدبير، ولا تجيد الهمة في طلب المغيث ولا
النصير، أين أنت من المنجد عزيز الجار، أين أنت من المسعد
حامى الذمار؟ حرم الأمن والالتجاء، وكعبة القصد وركن
اليمن والنجا، وطيبة الوفد قدس المنتمى، ونزهة
(ص ٥٤٥) المستملح وطور سينا المحتمى وبغية المستمنح
مدينة الآمال، ومدن المآرب وعرينة الإقبال، وصنعاء
المطالب ذى المجد السامى مقامه على الفرقد، ومن كوكب

عزّه بمطلع السعد يتوقد. شعر:

أمير به عين المعالي قريرة
وكوكبه الزاهي يتيه على البدر
فلذ بحمائه تلقَ عزاً فإنه
غدا كعبة الآمال والأمن في مصر
له هممة تعلو على كل هممة
وهمته الصفري أجل من الدهر

فقلت «من هذا الأمير الحائز لهذه الأوصاف؟ فزدني من حديثك يا سعد عنه بلسان الإنصاف» فقال «هو في الكرم أسمح من حاتم، ومنتهى من تُنسب إليه مآثر المكارم، ففضل عطايه أنسى هبات الفضل وجعفر*، ومن ساواهما به، فعن كمال وصفه قصر، وفي الشجاعة أقدم من عنبرة المذهبور، وأثبت من قسورة الأسد الهصور، وأذكى من إياس في نباهته، وأبلغ من المأمون في فصاحته، وله في حسن التدبير كمال انتظام وجمال انتساق، وهو في حلبة السبق يوم الرهان حائز قصب السباق، ولله در الشاعر اللبيب في الوصف الجلي، حيث أشار إلى بديع هذا الوصف العلي:

وما خلقت كَفَّاه إلا لأربع

لعقائل* لم يخلق لهن ثوان
تقبيل أفواه وإعطاء نايل (ص ٥٤٦)
وتقليب هندی* وحبس عنان

(فقلت) أقسم بمن خصه بهذه الأوصاف السنية. وتوجه بتاج المواهب اللدنية، وبمن أسمى قدره الأسمى على كيوان*، لا تكون هذه المزايا المعدودة، والسجايا المحمودة، إلا

* الفضل وجعفر: هما ولدا يحيى بن خالد بن برمك.

* عقائل: أى صفات كريمة ومفردها عقيلة، وعقيلة كل شيء أكرمه.
* الهندی: السيف والمقصود أنه مقاتل شجاع.

* كيوان: اسم يُطلق على بطل من أبطال الأساطير الرومانية، جعلوه إلهاً في روما، واسمه ساترن [Saturnus] ويقابله في الأساطير الإغريقية كرونوس [Cronos] ويطلق على كوكب مياريسمي (زحل) والمراد هنا أن الكتخدا رضوان عالي المنزلة.

لأمير الندى وفريد الأوان، حضرة الكتخدا رضوان، فقال
لله درك من عارف بوصفه السنّي، وغارف من مشرع نعته
الحالي ومورده الهني، وها أنا اتخفك بمعنى فى اسمه
العزیز، فاستخرجه بضوء نار مصباح قلبك وميزه بأحسن
تمييز، وهو:

هو الإمام فى الندى
والالتججا فلذ به
فكم سما على العلا
وضياء نور قلبه

(فقلت) أحسنت فى لطف الإشارة، وأجدت فى ظرف
العبارة، ولقد أسمعنى فى وصف جنابه الكريم، مادحه المولى
اللبيب الجارى على أسلوب الحكيم، آياتاً مخترعة لنفسه
دقيقة المعانى، رقيقة الألفاظ حالية بدیعة المبانى، فشطرتها
أحسن تشطير، وها أنا ببعضها مشير، وهى:

وأبيك ما رضوان إلا آية
سمحت بها جوداً يد الإفضال
صدقت قضايا فضله وكماله
شهدت بذاك شهامة الأفعال

ثم أطلقت فى الحال عنان المسير، ممتثلاً أمر المشير وبالله
التيسير، ويممت الحمى مترجياً حصول النجاح، يخفق
بطريق الاجتماع راية الأفراح، فعندما وصلت لناديه الرحب
البهيح، وروض (ص ٥٤٧) واديه الخصب الأريج*، ولاح
ضياه بوارق أنوار رحابه، وقفت متيمناً مستبشراً
بفتح بابه، فقلت جدير بهذا الباب الأسعد، أن

* الأريج: الطيب الرائحة.

يسطرُ عليه بمداد اللّجّين والعسجد.

باب تلا الإسعادُ آيةً فتحة

وروى بشيرُ السعد مسند نُجّحه

وغدت حواشي الروح زاهية بما

وترويه نصا عن بدايع شرحه

والعز للرضوان قال مؤرخاً

سعدٌ بباب قد حُبِتْ بفتحه

ولما صدقت قضايا الوصول، وقامت براهين الإذن بالدخول،

سرُحتُ الناظرُ في مناهج بدايع مغانيه، وشرحتُ الخاطر

بمباهج صنيع معانيه، فرأيتُه منزلاً محكم البناء رفيع العماد،

محفوظاً بالممالك متحوّفاً بأبدع الخدم والأجناد، فما صُغد

سمرقند* وما شَغِبَ بَوّان*، وما الخورنق والسدير وذات

العماد والإيوان*، معاهده مشاهد جمال زاهية مشرقة،

ومشاهده معاهد كمال باهية مونقة.

أنعم بمنزلٍ عزّ طاب منظره

وفاق في صنعة الإتقان إيوانا

به بدائع حسن قط ما اجتمعت

في ملك قيصر أو كسرى ونعمانا

فالسعد والمجد في أرجاء دوحته

قد أرخوه حبي عزاً ورضوانا

قد زينت سماؤه بمصاييح نجوم من النقوش (ص ٥٤٨)

العسجدية، وكُست أرضه بديباج مرقوم من الفرش

الجوهرية، أحاطت به الرياض كالمناطق بالخصور، وزهت

مناظرها الباهرة بالمنظوم والمنثور، أئنع بها النرجس الغض

* صُغد بضم الصاد موضع سمرقند.
شعب بَوّان بفتح الباء وتشديد الواو بفارس
أحدى الجنان الأربع الدنيوية.
الإيوان: المكان المتسع من البيت يحيط به
ثلاث حيطان، وإيوان كسرى بمعنى
قصره، وهو المقصود هنا وجمعه إيوانات أو
أواوين. والخورنق والسدير قصران للنعمان
ابن امرئ القيس.

* الكباء: بكسر الكاف عود البخور وجمعه
(كبي) بضم الكاف.

والورد الجنى، وأزهر الشقيق القانى والسوسن السنى، يتبسم
فيها النسيم فرحاً لبكاء الغمام الهتان، ويتنفس بالبنفسج
ترحاً لضحك ثغور الأقحوان، تنفح كمايمها بعرف الكبا*
والطيب، وتصدح حمائمها بوصف الربا والحبيب،
فأغصانها بلطيف الصبا تتثنى، والعندليب كما قال الشاعر
بالإنشاد يتغنى:

روضه زينت بحسن زهور
عطر الكون نشـرـها
رقص بان لعندليب تغنى
وثنايا النسيم فيها ضواحك

قد ابتهجت به قاعة أنس عالية القباب، حالية بوشى النقوش
المديحة والتبر المذاب، مشيدة البنيان على أرفع وضع
غريب، جيدة الإتقان بأبدع صنع عجيب.

يا حبذا قاعة العز التى ابتهجت
أرجاؤها وزهت بالمنظر العجب
يروى لنا نقشها الزاهى حديث حلى
مسلسلاً بالضياء نصاً عن الذهب
نفائس البشر بالرضوان قد كملت
بحانها ودواعى الأنس والطرب
بها الأحبة تسرى كالكواكب فى (ص ٥٤٩)

أفلاكها وضياء البدر لم يغب
لو أم شيطان هم أفق دوحتهـا
رمته أفراحها نبلاً من الشهب
روض لآداب أرباب الكمال فلا
زال الهنا مزهراً فى روضها الغصب

بشرى لها حيث ناداها مؤرخها
يا قاعة تزدهى بالعز والأدب

فالظبا تسرح أنسة بربع مرابعه، والمها تمرح مائسة بسوح*
مراتعه، والغزلان آمنة فى سريه والآرام* ، والغزالة ترمقهم
بعين الغيرة من تحت سِجَف* الغمام، تشير إلى عيون ابن
الجهم* جفونها، وتثير حرب البسوس مع السلم عيونها،
يُخجل أعطاف الأغصان مِيلُ قدودها، ويفصح شقايق
النعمان صبغة خدودها، وتنسى بالخفر أخبار عزة وسعاد،
وتنشىء بالخور للمناسك صبوة وسهاد، كما قلت:

من كل ظبى رشيق القذ ذى هيف
يزرى سناه بدور التم فى السحب
حالى المرافف معسول الرضاب له
رلحظً يصول به فى معرض اللعب
قيق خصر كدين الصب رقتة
فعنه حدث فكم يحوى من العجب

وحين لحت ما سرنى وأبهجنى، ولحظت ما أبهنى* وهيجنى،
قضيت لما شاهدته العين طرباً، وكاد القلب أن يتخذ سبيله
فى بحر الهوى عجباً، لكنى غضضت (ص ٥٥٠) طرف
ناظرى حياء وأدبا، وأمسكت طرف خاطرى رهبا
ورعباً، وتقدمت إلى صدر ذلك المجلس الرفيع، الحاوى لكل
بديع حسن وحسن بديع، فرأيت إيواناً زاهياً النقوش تحار
العقول فى وصفه، وشممت أرجاء يروح النفوس بعرفه،
فأذكرنى روضات الربيع الزهية، ونفح كمام أزهارها
المسكية، فقلت:

* السوح: بضم السين جمع ساحة.
* الآرام: الظباء الخالصة البياض ومفردها
(ريم)

* السجف: بكسر السين هو الستر
* عيون ابن الجهم: هو على بن الجهم
الشاعر المشهور، ومن غرر قصائده:

عيونُ المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

ويقصد المؤلف بقوله (عيون ابن الجهم)
عيون المها فى هذا البيت.

* أبهى: بمعنى تبهى.

بادر إلى الأنس واستجمل المحاسن من

إيوان حسن زها في نقشه العجب

كأنه الروض إبان الربيع حلا

يبدو شذا عرفه كالمندل* الرطب

وساجعات الهنا أضحت بدوحتة

تشدو بطيب علا الرضوان في طرب

قد زخرفت بمذاب التبر قبته

ووشيت بنضار غير منسكب

فاسمع أحاديثها تروى مؤرخة

مسلسلا حليها زهوا عن الذهب

* المندل: عود طيب الرائحة ينسب إلى بلدة
بالهند تسمى المندل بفتح الميم والدال.

وشاهدت شمس الإسعاد مشرقة بأفق ذلك الإيوان،

وقد كسيت أرجاؤه بحلل الرضا والرضوان، وفي

صدره الصدر الأمير المنصور المؤيد، صاحب المجد

السامي والسعد النامي والعز المؤيد، أدام الله بهجة

مصر المعزية بدوام حضرته، ووالى تجديد أفراحها ببقاء

غرة نصرته، وجدير بمن يحظى بمشاهدة جنابه المجيد،

أن يترجم بما توجته وهو قول الشاعر المجيد:

حقيق لمصر أن تتيه تفاخراً (ص ٥٥١)

برضوانها إذ كان عين حلاها

هلال لياليها وإنسان عينها

وبدر دياجيتها وشمس ضحاها

مؤيدها منصورها وجوادها

وجامع شملى مجدها وعلاها

ورأيت بمجلسه جملة من خاصته، سمرأ مسيرته، وندماء

مسامرتة، ما بين أنيس أريب، ورئيس لبيب، وعليم أديب،
ونديم رقيق، وكاتب نسيق، فالأنيس الأريب يهدى الأنس
بحديثه المستطاب، جليس نجيب بيدى غرايب التحف مع
اللفظ والآداب، له من المعارف أكمل زينة وأجمل حلا،
وفي التقدم عند أعيان الأمراء حائز رتب العلا، والرئيس
اللبيب حاذق لطيف المزاج، خبير بأنواع الطبائع وأجناس
العلاج، قد جبلت طباعه السليمة على قانون الوفاء،
وجلبت ألفاظه لقلب من يخاطبه بهجة الشفاء، والأديب
العليم فصيح الإنشاء والإبداع، محلى المعاني باستخدام
التورية والإبداع، لا يجارى فى ميدان البراعة، ولا يبارى إذا
مد فى مضمار البلاغة يراعة، والنديم الحاذق رقيق المعانى
والأوصاف، يتوج هامات المجالس بجواهر درر الإخفاف،
معروف بنهاية النباهة وحلاوة المنادمة، له فى رتبة الآداب
مقاسمة ومساهمة، والكاتب الصادق ياقوتى الخط، حسن
الإتقان فى معرفة الشكل والضبط، بصير بإصلاح أرباب
(ص ٥٥٢) الأقلام، وكم رفعت له بين أهل النهى أعلام،
فكل فريد غدا نزهة الظرفاء بطيب المسامرة، وتحفة مجامع
اللطفاء بحسن المحاضرة، فقلت لعمرى هذا مجلس الخلفاء،
وروض آداب البلغاء والنظراء والحنفاء، وبالجملة فأوصاف
رونقه لا تحدد، وأصناف تأنقه لا تحصى ولا تعد، فهو فوق ما
حدثت عنه الركبان، وليس الخبر فى الحقيقة كالعيان،
فقلت:

وافيت مجلسه المعظم كى أرى
ما حدثت عن وصفه الركبان
فرايت حلما ما لأحنف مثله
وشهدت بأسا هابه الشجعان

يحمى الجوار بعزم صولته كما
يحمى شقایق دوحه النعمان
فله السعادة والسيادة والثنا
والمجد والإسعاد والرضوان
ما قام فى شرع المدايح مدّع
فقضى بصدق مقالہ البرهان

وعند مواجهتى ذلك الجناب العالى، ومشاهدتى سنا أنوار
وجهه المتلالى، اعترانى وارد هية وجلال، وصرت مندهشا
بين جمال وكمال شعر:

واجهته فملت منه مهابة
تدّع الفتى بمقامه مبهورنا

ثم أدركنى وارد الطمانينة، وتلا على قلبى آية السكينة، وقال
خفض عليك ودع نجعل الدهشة، (ص ٥٥٣) واصرف
عنك بالاستئناس وجّل الوحشة، فإن سيد هذا الحمى
والمقام، وإن كان ممن يحذر سطوته الضرغام، وتهابه أبطال
الأقبال والملوك الصيد، وتود لو كنت له من جملة
العييد، فهو ممن خطت معانى لطفه بنان الكتاب،
ونطق بمبانى ظرفه لسان الآداب، متبسم الثغر
طلق الخيا، يتلقى بالبشر من أم جنابه وحياء،
فتقدّمت مع الأدب والتعظيم، وحييته بتحية تليق بمقامه
الكریم، فتהל وقال مرحبا أهلا وسهلا، صادفت ملجأ
حصينا وروضا خصيبا فحببت أمانا وظلا،
فقدمت إليه قصيدة تترجم عن قصتى، وتشعر بثبوت
براهين حجتى، وهى:

نُجَحُّ المقاصد من عليك مأمول
 وما سواك لما أرجوه مقبول
 سَرَتْ لِحْيُكَ آمَالِي عَلَى نُجْبِ
 من الرجاء ومآلى عنك تحويل
 لما استقرت لباب العز أنشدها
 هذا حمى فيه للحاجات تحصيل
 هذا حمى تزدهى عزا مشاهدُه
 به لمن أمه المقصود والسؤل
 هذا حمى قد خَلَتْ شَهِدًا مِشَارِعُه
 وورده الكوثرى العذب منهول
 هذا حمى بحلى الرضوان فى شرف
 حامى ذراه على الإسعاف مجبول
 هذا حمى الملتجى نادت بشائره (ص ٥٥٤)
 يا من يروم النجا فى حيه قيلوا
 فأنزل به واشك ما تلقى فقلت لقد
 ضاق الخناق فعقد الصبر محلول
 كم ذا يحاربنى دهرى العنيد قلا
 والفكر فى ساعة الهيجاء معقول
 يجر بحر خميس فوق سايحة
 والسيف والسهم مشهور ومسلول
 وقصتي بوجيز اللفظ مجمل
 فى شرح حالى والتفصيل تطويل
 باح اللسان بما أخفى الجنان وقد
 عيل اصطبارى وأفنته التعاليل
 ينبيك حالى عن أخبار مصدره
 لا العطف يبدو ولا الإشفاق موصل

حرمت واجب حقى وهو مفترض
 كرها فهل ينسخ التحريم تحليل؟
 قضية سلبت بالنقض موجبة
 عكس القياس أما للحكم تبديل؟
 طالت مراجعتى فى حسن مخلصها
 بمن لهم بحلى التدبيح تعليل
 كل غدا ببلوغ القصص يطلنى
 وما مواعيدها إلا الأباطيل
 وصدق وعدك بالإسعاف منجزه
 له بفضلك تحقيق وتمجيل
 فانت أعظم من ترجى إغائته
 وذو المكارم مرجو ومسيل (ص ٥٥٥)
 وسيلتى نملك المسعود طالع
 على سعد له فى الجسد تأهيل
 ريحانة العصر فرع النيرين به
 طرف المعالى قرير العين مكحول
 لا زال فى حفظ مولاه العلى
 من الأسواء تحرسه طه وتنزيل
 فاسعف حبيت بما تهوى وقل كرماً
 بنا وصلت وما ترجوه مبدول
 دامت مآثرك العليا مسطرة
 وعنك تروى لها فى الذكر تنزيل
 ولا برحت عليك السعد فى رعد
 يزينه بدوام العز تكميل
 ونعمة تجتلى فيها شمس علا
 حيث الهنا لك مضمون ومكفول

فى دولة بحلى الإسعاد قد جليت
ومن علاك لهما تاج إكليل
ما مصطفى أسعد أم الحمى وله
فى سيب* عطفك يا ذا الشر تامل
له البشارة حيث الفكر أنشده
نجح المقاصد من عليك مأمول

* السيب: العطاء.

فنظر إليها بعين متأمل لبيب، وجال فيها بجودة فكره المتوقد
المصيب، ثم رمقنى مع البشاشة بطرفه، ولاحظنى بعين لطفه
وعطفه، وقال «أبشر بنجح القصد والإسعاد، فتظفر إن شاء
الله تعالى بحصول المراد» فدعوت له بدوام العز
(ص ٥٥٦) والسعد، ونجاح التدبير المتج ببلوغ القصد،
وانصرفت حامداً عاقبة أمرى، مادحاً علاه بلسان ثنائى
وشكرى، طيب القلب مستبشراً بوعدده الجميل، لعلمى أن
وعد الكريم واجب التحصيل. فقلت:

إن وعد الكريم قررت به العين
لما فيه من تحقق صدقه
فهنيئاً لأسعد بنجاح
حيث بشرته وفاء بحقه

وقد أحب أن أذكره بالحديث الحسن، الحادث على اصطناع
المعروف وتقليد المن، رويها بالسند العالى الإسناد، الخالى عن
العلل والانتقاد، أن رسول الله لما عرض عليه سبى هوازن
كان ممن عرض عليه بنت حاتم الطائى، فقالت «يا رسول
الله أنا بنت من كان يحمل الكل ويكسب المعدوم ويعين
على نوايب الزمان، أنا بنت حاتم الطائى» فقال رسول الله

«لو كان أبوك مسلماً لترحمتنا عليه» فمن عليها صلى الله عليه وسلم ورد لها ما لها وقال: «أكرموا عزيز قوم ذل، وغنى قوم افتقر» فقالت: «يا رسول الله وصويحباتي؟» فقال: «وصويحباتك، كريمة بنت كريم» فقالت: «يا رسول الله أتأذن لى أن أدعوك بدعوات؟» فأذن لها وقال لأصحابه «أنصتوا وعوا» فقالت: «أوقع الله برك مواقعه ولازالت عن ذى نعمة نعمةً إلا كنت سبباً فى ردها، الحديث... وحسبك هذا فى اصطناع (ص ٥٥٧) المعروف، وإعانة المنتمى وإغاثة الملهوف (ولما انتهى) حديث الربيع بن رشيد قال له صاحب البديع بشير بن سعيد «بشارك بشارك قد ظفرت بالنجح، فأطلق عنان يراعك فى ميدان المدح، فقال الربيع أحسنت بإرشادك، إلى فلك الفضل والمنة على، لكننى أعترف بقصور باعى، وأتحقق تقصير لسان يراعى، عن استيفاء أوصاف محاسنه العلية، وشيم مكارمه الجلية وأخلاقه السنية، شعر:

لو أنظم الزهر النجوم قلاندا
فى مدحه لم أقص حق صفاته
على أننى أنشد ما جادت به قريحة الفكر الكليل، وإن لم
أكن أهلاً لهذا المقام الجليل (فقلت):
روض السعادة قد طابت نوافحه
رهاتف العز بالرضوان صادحه
هو الأمين الذى أوصافه كملت
وزينت قلم المنشى مدايحه
فاق الورى فى العلا حتى استبان لهم
بدرأ يلوح على الأكوان لايحه



أعلت به شرفات السعد فانتظمت
 أحكامه وزهت أمنا مسارحه
 حصن المعالي به شيدت دعائمه
 فجيش تدبيره المنصور فاتحه
 وقد حلا بحلى الإسعاد وارده
 يلقي المسرة غاديه ورايحه
 فمن عرته من الأيام حادثة (ص ٥٥٨)
 وأمه فهو بالإسعاد مانحه
 حديثه في العلا إن رمت تحفظه
 فاسمع فإسناده راوية راجحه
 وخذه عني مرفوعا ومتصلا
 مسلسلا بصفات الحسن واضحه



تقاسمت وصفه الخمس الحواسُ حلى
 حيث استبان من التقسيم رائحه
 فعرفه عطر الأرجاء من أرج
 وشنف السمع ما يهديه مادحه
 وقررة العين في رؤيا محاسنه
 والسعد في راحة وافت تصافحه
 وذكره قد حلا ذوقا ومن يده
 فاض النوال كبحر عم طافحه
 وذاك مجمل قول في تصويره
 لسان حالي بالتصديق شارحه
 دامت معاليه ما غنى الهزار* وما
 روض السعادة قد طابت نوافحه

* الهزار: بفتح الهاء طائر مفرد.

وقصارى الأمر أن مادحه مقصر ولو أطرى، فالاعتراف
بالعجز عن إدراك ذلك أحق وأحرى، كيف وقد خلق أهلاً
للمعالى وكفو للعلا، واختص بإبداع أوصاف حميدة تُنشر
وتذكر بين الملا، شعر:

أيا مولاي قد أصبحت فرداً
ملكَ علا لك الخلق الحميد
فمدحك لا تحيط به القوافي (ص ٥٥٩)
ووصفك ليس يدركه محيد
خُلقتَ كما أرادتكَ المعالى
وكنتَ لمن رجاكَ كما يريد

ولما أنهى القلم بعض حق خدمته، وبيض بمداده وجه
صحيفته، وقف فى مقام الأدب والخضوع والاعتراف،
وطلب الإذن من مولاه بالرجوع والانصراف، داعياً له بتوالى
النعم المحمودة العواقب، وثبت الهمم الجليلة الذكر والمناقب،
لازال ملحوظاً بعين عناية حماية مولاه، محفوظاً بوقاية
كفاية (فسيكفيهم الله)، ما أبدع منشئ فى النشر والنظام،
وزها التاريخ بأحسن ختام.

تهدى إلى عالى الجناب مقامة
تزهو كبدر فى غياهب جنحه
لما سمت حسنا بدا تاريخها
لمقامة أبدت بدايع مدحه

وقال ينتجز وعده أدام الله سعده

عطفاً فباب الرجا بالنجح ما فتحا
ومتن قصدى بالإسعاد ما شرحا

وشمس فللك المنى فى الحجب ما طلعت
 وبرق أفق الهنا للعين مـالـحـا
 ففكرتى بفجـاج الوهم سائـحـة
 واللب فى لجج الأشجان قد سـبـحـا
 وراحتى فقـدت والأنس تابـعـها
 وناظرى بغيـوث الـدمـع قد سـفـحـا
 هل ذاك من سوء حظ قد خصصت به (ص ٥٦٠)
 وأن مولـاى للإغـضـاء قد جنـحـا؟
 مولـى سمـت بسـمـا العـلـيا عزائمه
 وعن مـبـاهـج عـز قـط ما برحـا
 سارت بسـيـرته الركبـان راوـية
 عنه أحاديث فضـل عـطـرها نفـحـا
 وفـيـم جـودك قد سـحـت مـوارده
 مـوجـه بـفـيـوض الفـضـل قد طـفـحـا
 وروض مـجـدك قد فـاحـت أزاهـره
 وهاتـف السـعد فى أدواحه صـدحـا
 فلاحظ المـنـتمـى عـطـفاً بعين رضا
 لا زلت فى نعمة بالعـز متشـحـا

وقال يمدحه ويهنئه بعيد الفطر:

عيد الهنا بالسـعد أقبل
 والوقت من بشـر تهلـل
 وافى على طرف أغـر
 بيـمن إعـزاز مـحـجل
 يروى حديث مـسـرة
 يسمو بإسعاد مـسـلـل

فستسأرجت منه الرُّبَا
وتعطرت مسسكا ومندل
فاسعد بعيد سيدي
عييلاً حلاً ورداً رمنهل
وأقم بروض سمسادة
بزهور إنعام تجمل
وابشر حُبَيْتَ بنصرة (ص ٥٦١)
عزاً ومن أقصيت يخلد
يثني عليك لسان حال
الدهر تفصيلاً ومجمل
تبقى كما تختار من
عمر قوم الغصن أعدل
ما آب شهر الصوم أو
عيد الهنا بالسعد أقبل

(وقال) يمدحه بهذه المزدوجة الفريدة، المزرية ببديعها كل
قصيدة، وكتب عليها قوله:
مزدوجة بالثناء طيبة العطر، مبتهجة بالتهنئة بعيد الفطر

* الرند: بفتح الراء وسكون النون شجر
طيب الرائحة من شعر البادية

يا سعاد عرج بالحمى والرند*
وطف بأكناف الرُّبَا من نجمد
وانزل بحى فسيه أهل ودَى
فهم منى عيني وجل قصدي
وحبهم أثار نار وجدى
واشرح لهم حالي وما ألقى
من لاعج الغرام والأشواق

وما جرى من دمعى المهرق
واذكر عليلاً بات فى احتراق
يشكو تباريح الجوى والسُّهد
حليف شوق جسمه نحيل
أليف توق شفه العليل
سُلوانه والصبر مستحيل
يقول هل لى فى اللقا سبيل
(ص ٥٦٢) لأستريح من عنا ووجد
قد هاج شوقاً فى دجى الأسحار
والصبح محجوب عن الأسفار
والبرق باد من خبا الأستار
وقد شجاه صادح الأطيّار
يشدو حنيناً فى الرُّبا بنجد
فيانسيما ساريا عن الربا
يعطر الأرجاء من نشر الكبا
روح فزادى بحديث أو نبا
عمن صبا الصب إليهم وصبا
فذكرهم سجيتى ووردى
بالعهد حدث عن حمى بهيج
يزهو حلى بروضه البهيج
مروّحاً بعرفه الأريج
لعل يطفى ذكره وهيـجى
كم طاب فيه مصدرى ووردى
حيث الشباب غصنه رطيب
حيث الزمان روضه خصيب

حيث الهنا داني الوفا مجيبُ
حيث الذي أهواه لي رقيب
في راحة من هجره والصدُ
ظبي أغن رائق الألفاظ
عذب الثنايا فاطر الأحاظ
باهي المحيّا فاتن الوعّاظ
مروكل للطرف بالإيقاظ
(ص ٥٦٣) يدعو إلى الهوى بسيف الحدّ

رخيم دل * قلده رشيق
وسيم شكل حسنه يشيق
في خده التفاح والشقيق *
في ثغره الأقاح * والرحيق
يفتر عن در وطعم الشهد
فشغره العذب الهني لا يرشف
وورد خده الجنى لا يُقطف
يحرسه عن مقلتيه مرهف
به العيون والعقول تخطف
إذا بدا مجرداً من غمد
يا حسنه لما وفي يختال
في حلة طرازها الدلال
وبهجة جمالها كمال
يهتز تيهها قلده العسال
يزرى الغصون ميلُ ذاك القيد
ذو غرّة لها الهلال يحكى
وطرة تبسدى سواد الحلك

* رخيم دل: الرخيم هو اللين السهل، والدل
أو الدلال بفتح الدال جرأة المرأة في تكسر
وتفنج، فقلده (رخيم دل) معناه أن دلالة
لين سهل.

* الشقيق: الحمرة التي تلوّ بياضاً.
* الأقاح: أقحوان وهو نبت طيب الريح.

وشامة تروى عن ابن مسك
 ومبسم قد ضاع فيه النسك
 وصار غيى فيه عين الرشد
 لله ما أحلى ظبا ذاك الحمى
 وما ألد الوصل من تلك الدما
 هيجت شوقى والنسيم عندما
 ذكرت فاسعف بالحديث مفرما
 (ص ٥٦٤) يشوقه تذكّار ذاك العهد
 وهات لى حديث الأزيكية
 وما حوت أدواحها الزكية
 حسنا زمت أرجاؤها السنية
 إذ لاح فى غرتها البهية
 قصور رضوان العلا والمجد
 يا حبذا معاهد حسان
 يغنيك عن وصفى لها العين
 قد حلّ فيها الحور والولدان
 حصباؤها الياقوت والمرجان
 فانظر تراها جنة كالخلد
 فكم بها من دوحة أنيقه
 وروضة أغصانها وريقه
 وربوة أنهارها غديقه
 ومرجة أزهارها عبيقه
 من نرجس وسوسن وورد
 تزهر بها حدائق الأزهار
 يجرى بها مسلسل الأنهار

تبدو بها لطائف الأسرار

عن طيب نفخ عرفها المعطار

تعيد طي نشرها وتبدي

حي الصبا حمى سما إتقانا

وفاق في إبداعه الإيوانا

جر المتى في دوحه أردانا*

* الأردان جمع مفردة (رُدن) بضم لاء ومعنه الكم.

عز الهنا في روضه أفنانا

(ص ٥٦٥) غنت عليها صادحات السعد

معاهد قد أشرقت جمالا

وأعجبت في حسنها دلالا

إذ حل فيها كوكب تلالا

بأوج عز وازدهى كمالا

فطاب ذكر مدحه والحمد

ملك سعد قد سما في عصره

مؤيد معظّم في مصره

معزز كيوسف في قصره

عليه منشور لواء نصره

بموكب العز السنى والجد

أعظم به من ماجد وشهم

مولى شديد البأس وفى الحلم

فى الحسب نار جنة بسلم

معنف من غاب يوم الغنم

وعاذر من غاب يوم الطرد

صلاته قبل الرجاء سابقه

نصاله للمبغضين لاحقه

همته إلى المعالي رامية*

* رامية: أى ناطرة.

آراؤه فيمما يروم صادقته
 كم نجحت في حلها والعقد
 كريم صدق وعده لا يخلف
 رفيع جاه بالسمو يعرف
 حامى الذمار بالوفاء يؤلف
 عزيز جاه فى الخطوب مسعف
 (ص ٥٦٦) راجيه لم يخطئ بلوغ قصد
 فكم له فى منهج الأمجاد
 حديث وصف عالى الإسناد
 يرويه كل حاضـر وبادى
 من ساكن الأغوار والأنجاد
 صحيح نقل ما به من نقد
 فلى رجاء فى جميل صفحه
 لأننى مقصـر فى مدحه
 ولا أطيق بعض وصف شرحه
 حباه ذو العلا جزيل منحه
 فى دولة سعيدة وجند
 بشراه قد وافاه عيد الفطر
 ممبتطياً طرف الهنا والبشر
 يختال تيهـا فى رداء الفخر
 يعطر الأرجـا بطيب النشـر
 مهنتا بطيب عيش رغد
 مبشراً بالنصر والتأييد
 وطول عمر نجله السعيد

على قسدرِ ناجبٍ فـريدٍ
 عـودتهُ بربه المجيد
 يقيه كلَّ حاسدٍ وضدَّ
 تُهدى له لطائفُ الأنعام
 تحملها نجائبُ الأكرام
 محفوفةً بالعز والإعظام
 محفوفةً من حادث الأيام
 (ص ٥٦٧) يديها فضل الكريم الفرد
 وعزة أحكامها لا تُنسخ
 ورفعته عهودها لا تفسخ
 ومتعة على الدوام ترسخ
 يُهدى الهنا فـعيدُهُ المؤرخ
 عيدٌ به بدت شمسُ السعد

وقال يمدحه بهذه القصيدة

زَهَتْ مِنْ رِبا رَوْضِ السُرورِ معاهده
 وأشرق ناديه وراقت موارده
 وفاحت بأدواح التهاني أزاهرُ
 وغرد قُمْرى* السعود وناشده
 وأضحت مغانيه الحسان نواضراً
 أبرضوان هذا العصر دامت محامده
 ميرزها بالعز كوكب سعدة
 له طارف المجـد الأثـيل وتالده
 محامده تشفى الصدور ومدحه
 يحلـى به جيد الزمان وساعده

* قُمْرى: بضم القاف وسكون الميم منسوب
 إلى (قُمْر) جمع (أقمر) وهو الحمام
 الأبيض والأنثى قُمْرية.

ملاذ لراجيه وكهف محتم
 يروح ويغدو بالمسرة واقده
 لجأت إليه عندما الدهر راعني
 فامنني إسعافه وعوايده
 ولاحظني عطفاً فانتج مطلبى
 ووقد كان في أقصى المرام مراصده
 بلغ آمالي المنى بعد ياسها
 فوافي الهنا بالبشر والنجح قايدة
 (ص ٥٦٨) وقلد جيدي مسعفا عقد نعمة
 تسامت على درّ العقود فوايده
 وأسعف بالإقبال أسعد مدحه
 فسرّ محبيه وغيظت حواسده
 فأكرم بمولى يُخجل الغيث رفده
 وأعظم بشهم يبلغ السؤل قاصده
 فياليت أنى بالبدايع شاكر
 ومثن عليه ما حيت رحامده
 فيا سيداً حاز الشجاعة والندی
 فشيدت معاليه وعمت فوايده
 نهجت سبيلاً ما سُبقت بمثله
 سبيل غياث أنت بالفضل شايدة
 وكم مشرع للفضل عذبٍ مسلسل
 وأنت على طرف السيادة وارده
 تفردت مجداً حيث أنك جامع
 كما علا تقضى بذاك شوايده
 وألبست هذا العصر ثوب مفاخر
 وتوجيته عزا فطابت مشاهده

فالبحكم والجدوى ملكت نهاية
وبالسطوة انقادت إليك أساوده
لكل زمان واحد يقتدى به
وهذا زمان أنت لاشك واحده
قدم في علا أوج السيادة راقياً
يروقك من روض السرور معاهده

وقال مشطراً هذين البيتين: (ص ٥٦٩)

(يا غارسا لي رياض مجد)
أشجاره الزهر من نوالك
زهت وطاب الرياض لما
(سقيتها العذب من زلالك)
(أخفاف من زهرها ذبولا)
إن فاتها الفء من ظلالك
أو أن يرى نبتها هشوما
(ما لم يكن سقيها يبالك)

وقال يمدحه وفيها بيتان مضمنان:

روح النسيم يروح الأنفاسا
ويُمِيند غصنا بالهوى مياسا
ويهنج نيران الغرام بمهجة
فقدت لفرط شجونها الإيناسا
ويذيع أسرار الغرام بمغرم
قد كابد الوجد الشديد وقاسي
صب له كبد يذوب صبابة
وصبيب جفن لا يذوق نعاسا

كم هام في عصر التصابي واحتسى

في حان ربحان المحبة كاسا

وجرى بميدان الهيام مسابقاً

حيث امتطى من لهوه أفراسا

ليست جلايب الولوع جموحة

لم يستطع لعنانها إحباسا

واهاً لأيام الشبيبة إنها

تكسو النهاية بغيتها الباسا

ومهفهم حلو الدلال علقته

* كاسا: الكناس بكسر الكاف: ماوى فى الشجر يارى إليه الظبي ليستتر.

ظبياً قد اتخذ القلوب كناساً*

أنواع كل الحسن فيه تجمعت

فتقسمت عشاقه أجناسا

ما جال طرفى فى رياض خدوده

إلا اجتنى ورداً وشاهد آسا

فبجمر وجنته وخمر رضابه

يحوى من الحسن البديع جنسا

ما الصعدة السمر وما غصن النقا

* عامل: جمعها عوامل، وهى القوائم أى الأرجل.

إن هزّ عامل* قده أو ماسا

قمر إذا ما افتر بارق ثغيره

أبكى العيون ونور الأغلاسا

كم بت أضرب فى انتظار وعوده

بالوصل فى أسداسى الأخماسا

وأبيت وسان اللواظ لا هيباً

عن ذى سقام بالشجون مؤاسا

رشاً أضعت العمر فيه صباة

وعدمت من أسفى عليه حواسا

يزداد وجدى عند فقد تصبرى
وأطيل من شغفى به وسواسا
فكان بالألباب من الفساضه
سكراً ومن سحر العيون مساسا
ولعت به ولوعها بمديح من
ملك العلين الندى والباساسا
إنسان عين الدهر رضوان العلا (ص ٥٧١)
فرد الأوان لطافة وحماسا
شهم تدين له الأسود مهابة
وتفاخر العليا به الأكياسا
عزت به أمراء ذولة عصره
إذ كان للرؤساء منهم راسا
أفديه من فطن تكامل حزمه
ومدبر عرف الأمور وساسا
لم يرم عن قوس الفراسة سهمه
إلا أصاب برأيه القسوطاسا
إن أذكر الليث الهصور فحلمه
وذكاه أنسى أحفاه وإياسا
فالدريش بانتظام مقاله
وذو البلاغة يطرقون الراسا
لم يشنه فى الجسود لومة لائم
كالبحر جاوز فيضه المقياسا
حفظت صنایعه وأبوع روضها
بالإحتكام إشادة وغراسا
ورثت خلائقه أجل مكارم
عن خيرة الدهر الكريم أناسا

قوم إذا غرسوا سقوا وإذا بنوا
لا يهدمون لما بنوه أساساً
وإذا هم صنعوا الصنایع فى البرى
جعلوا لها طول البقاء لباساً
لهج الزمان بذكرهم حتى بدا
هذا الأمير إلى العيان تناسى
(ص ٥٧٢) فغدت به غرر الزمان مواسماً
وبعز دولة مجده أعراساً
روح فؤاد المستهام بذكره
وانعش بطيب حديثها الجلّاساً
فحديثه يروى الغليل كأنه
روح النسيم يروح الأنفاساً
وقال يمدحه:

أبيات نظمى بها جمال
ومن امتداحى على جنابك
افت تجر الذبول فخراً
تهيم شوقاً إلى رحابك
لعل أن تحتظى قبولا

* السناء: الرفعة.

وتبلغ العجز والسنايك*
مولاي طال انتظار عبيد
له وثوق بعجز بابك
فادرك فتى كاد فى انتظار

* السنايك: جمع سُنْكَ وهى أطراف حوافر
الغيل.

يطير وجداً على السنايك*

(وقال مادحاً له بهذه المقامة) مهنياً له بالبرء والسلامة
(وسمّاها) نشر نفحة الصفا، بيشر الصحة والشفاء، وفيها

لزوم مالا يلزم يظهر لمن أمعن نظره فيها وأنعم، وهى:

حكى أبو النجاشي بشر بن حبيب، قال: حدثني ابن الصلاح
نصر الطبيب، عن أبي الطيب الطيبي الماهر الأريب، حديثاً
بقانون الشفاء محرر ومسطور: أن مما أنتجته قضايا البراهين،
وشهدت التجربة به عن يقين، وقضت بصحته أحكام
القوانين، فى علاج الأمزجة اللطيفة وشرح الصدور، حمية
الغاطر عن شواهد المكدرات، وتحلية الروح بأطياب
المنعشات، وترويح النفس بعجائب المطربات، فى اغتياق
الأصايل واعتناق البكور وتسريح العيون وإطلاق النواظر فى
حدائق (ص ٥٧٣) الربا والريضا النواضر، واستجلاء عرايس
أدواحها الزواهر، واستنشاق شذى معطرات الزهور والإصغاء
لنغمات ساجعات الحمايم، والاسترواح لنفحات ذاكيات
النسائم، والاستنشاق لنسمات يانعات الكمائم، بالمغاني
الزاهية على شاطئ النهور ومفاكهة الأحبا الأدبا الظرفا،
ومنادمة الألبا النجبا اللطفا، ومحادثة الفصحى البلغا الخنفا،
على سرر التهاني وبسط الزهور، واستماع ألحان المثانى
ورنات الأوتار مع مطرب يشدو بيداع الأشعار، ومجامر الند
نافحة بعرفها المعطار، بمجلس الأنس ونادى الهنا والحبور،
فإذا توفر هذا التدبير نجح العلاج، وتراجعت القوى ودام
الابتهاج، واعتدلت الطبايع وصح المزاج، ورقمت بشاير
الشفاء برق منشور، فأقسم يمينا صدقا أبو النجاشي، أن هذا
هو فى الحقيقة منعش الأرواح، وطارد الهموم وجالب
الأفراح، وتقوى الأبدان الإنسانية سقنقور* فوصفه لمولى عز
قدراً وسماً، ووضع على ألطف قانون وسماً، فصح مزاجه

* السقنقور: دابة تشا بشاطئ النيل لحمها
جيد.

اللطيف بعد ما كان صدر الزمان بشكايته مصدور، وزال عن
 الدهر الترح والعناء، وليس ملبس الأمن والمنى، وسكن
 روعه بوفود البشر والهنا، وأصبح بصحة الرضوان مستبشرا
 ومسرور وتلا آيات الشفا بالواح التهاني، وروى أحاديث
 الصفا بمسند الأمانى، ونشر ألوية الدعا مفتتحاً بالسبع
 المثاني، لجناب سيدٍ عليه لواء السعد (ص ٥٧٤) منشور،
 سيد لا يحاط بأوصاف قدره، عين المجد وغرة أعيان مصره،
 ودرة التاج وواسطة العقد بعصره، المتحلى ببدايع مدحه
 المنظوم والمنثور لازالت ثغور المسرة بواديه بواسم، ورياض
 المبرة بناديه العاطر بواسم، ولياليه وأيامه الزاهرة أعياد
 ومواسم، تختال تيهاً وفخراً على سالفات الدهور، قد أظلك
 سيدى هذا العام الجديد مبشراً بتوارد وافر النعم والعيش
 الرغيد، فلك البشرى بهذا الفأل الحسن الحميد،
 إذ يؤرخ بحصول الشفاء به عام السرور (وختمها
 بقوله):

روض التهاني أينعت أزهاره
 وبدوحه نهر المسرة قد صفا
 والدهر أهدى من علاه بشايراً
 ويعهد إسعادٍ وإيناسٍ وفا
 والمجد قد عوفى وصح مزاجه
 حيث القوى اعتدلت بقانون الشفا
 وتلا الهنا آى السرور بصحة
 قد سطرت منا بالواح الصفا
 والعام أقبل بالسرور مهنئاً
 ومؤرخاً يروى حديثاً بالشفا

وقال في سفينة أنشأها ذلك الأمير:

فُلك السعادة بالأفراح جارية
 ببحر عز وجود طاب مسراها
 وراية السعد في أعلى الشراع زهت
 بمجد رضوان سر العين مرآها
 (ص ٥٧٥) ومطرب الأنس بالألحان أرخها
 سفينة بنسيم اللطف مجراها

وقال والمعنى يظهر في الأبيات:

يا سيِّدا حاز الثنا
 وله المعالي تصطفى
 انجزت وعهدك منعمًا
 وقضيت لى بتصرف
 ووكلتنى لمباشرة
 كم ذا أراه موفى
 فـانعم بالزام له
 يقضى بغير توقف
 لازلت تسعف راجيًّا
 وتجود بالوعد الوفى

(وقال) يصف قصرًا نمقه بالنقوش الزهية وهو
 المعروف بالحلى وذلك لقُدوم الصدر الكبير وزير
 مصر أحمد باشا:

قصر له بديع الحكم إتقان

قد قام منه على الإبداع برهان

قصر تقاصر عنه قصر ذى يزن
 فما السدير وما أنشأه نعمان
 قصر حكى لقصور الخلد طاب حلى
 يقضى له بحلى التشبيه عنوان
 قصر زها تحتها الأنهار جارية
 يمس فى مسرحه الزاهى ولدان
 قصر على النيل قد أبدى الفخار به (ص ٧٥٦)
 على الفرات وما يحويه سيجان
 قصر به نفحت روح الهنا وشدت
 ورق لها بفنون الأنس الحان
 قصر به السعد إذ حل الوزير به
 فهو العزيز وهذا القصر إيوان
 قصر بهمة مزهيه شواهد
 قامت وحسبك هذا الحكم بيان
 قصر تسامى فإن شاهدت منظره
 فأرخته حلا مزهيه رضوان

وقال يمدحه ويهنئه بمولود جديد، مقدما أمام نظمه منشورا
 يزرى بنظم الدر النضيد، وهو قوله:

«بشرى لنا بالتهانى بشرى، فمن أفق السعادة
 شهدنا بدراً، قدم اليمن والسعد بوروده، ووافى السرور
 والأنس بوجوده، فقرت النواظر بحديثه الحسن، وقرنت
 بمصاحف النعم آيات المن، فياله مولوداً روح الأرواح، وأقام
 بمولده مواسم الأفراح، فلنا بعواطف الرضوان موانح،
 ومن لطايف الامتنان أعطر نوافح، فبالله يقر عين السيد
 بحياته، ويحوطه واخوته الأمجاد بعظيم آياته، وبطيل عمر

حياته ويحييه، حتى يرى ولدَ ولدَ ولده يحييه،

أمين أمين لا أرضى بواحدة

حتى أقول لديها ألف آمينا

والنظم هو قوله:

لاحت لنا شمس السرور عيانا

فغدا الحجا بشهودها نشوانا

(ص ٥٧٧) شمس لها فلك التهاني مطلع

بوفود من يسمو على كيوانا

يا حبذا يوم السعود بمولد

أضحى لأعياد الهنا عنوانا

وغدا ينادى والزمان مهننا

داعى الصفا ببشارة إعلانا

بشرى لقد جاد الزمان بمنحة

أرخ حبا بمحمد رضوانا

وقال يمدحه ويهنه بمولد جديد

بشرى بها ورق السعود تغرد

وهنا به شادى المسرة يُنشد

والسعد بالعليا أقام مواسما

بشهودها عيد المنى يتجدد

وبدا صباح الحظ يزهر مسفرا

يروى أحاديث الصفا ويسند

وأضاء من أفق الحبور مطالع

إذ لاح من فلك المعالي فرقد

وتهللت غرر الزمان بمولد
 وزهت بمولود علاه أو حد
 لاحت بفرقه البهية بهجة
 بشرى السعادة من حلاها تشهد
 مولى سعيد بالذكاء موشح
 ويجيده عقد السعد منضد
 زاكى الموارد للمحامد جامع
 زاهى المشاهد فى المحاسن مفرد
 (ص ٥٧٨) بشراه فالسر المصون يحوطه
 وله على درج المعالى مصعد
 يربى عزيزا فى حجور كواعب
 بمهود إسعاد سناها أسعد
 وله من المجد المؤئل رفعة
 تبمر غلا ومن المآثر سودد
 صدقت فراسة ذى الحجا بنجاة
 فعلى نجابته الغناصر تعقد
 أنعم بمولود لرضوان العسلا
 سامى العلاء فسعده يتوقد
 يهدى له العمر المديد بصحة
 يحلو بها العيش الهنى الأرغد
 حيث التهاني مقسم ومورخ
 بسما الهنا هذا السعيد محمد

وقال مادحا ومهننا بعيد وشفاء

لك البشر يا عيد السرور بسيد

سما وعلا فى سعده فوق كيوان

فهناك منادى العز في باب مجده

ينادى بتاريخ زهى عيد روضوان

* رسائل أدبية من عصر الجبرتي.

وقال مهنتا بشفاه

مقدماً أمام شعره الرايق، نبذة من نشره الفائق، قوله: لقد
أسمعتني سعدٌ حديث الشفا، بمحضر الأنس ومجمع إخوان
الصفاء، فشنتُ الأسماع بدرره ورنح الأعطاف، إذ أرشفتني
من كثوس المسرة أطيب سلاف، فطفقت من فرط السرور
(ص ٥٧٩) الذي جل عن الحمد أنادى فديتك زدني من
حديثك يا سعد فهناك نفحت نوافح الأفراح، فعطرت
الأرجاء وأنعشت الأرواح، وأزهر روض التهاني بزهور
الامتنان فنعمنا منه بروح وريحان وروضوان، وجعلنا في
دوحه الزاهي البهيج رواء، وتغنينا بدوحه الذاكي الأريج رياء،
وجلسنا على بسط البسط وسر السرور، والتحفنا بمطارف*
الطرف وحبر الحبور، وتفكهنا من جنى جناه بفواكه الإيناس،
وشربنا من رحيق سلساله المروّح الأنفاس، وأطربتنا ورقه
الصادحة بنغمات المثاني، فوق أغصان المسرة فما مطربات
المثالث والمثاني، وعطفت علينا عواطف العطف بالصفاء،
وروحتنا مراوح الراحة بنسيم الشفا، فانشرح الصدر طرباً
وقرت العيون، وزال عن القلب ما به من ران الغبون*،
فالله الحمد على نعمة النجاب بها سحاب الغموم، وهزم
بشيرها بوفود أعلامه جيش الهموم، فأعظم بها منحة عمّت
جميع الناس ببشرها، وأذهبت عنهم البأس والعنا بلطائف
سرّها، وأعادت أعياد التهاني تختال مرحاً، وثغر الزمان
يبتسم سروراً وفرحاً، فحق لهذا المحب أن يرفع أكف
الابتهاال إلى سما الإجابة تجاه قبلة الإقبال، أن يديم الله

* المطارف: أردية من خز ومفردها مطرف
بضم المهم وكسرها مع سكون القاء وفتح
الراء.

* الغبن: هو الحزن.

* إطناب: بفتح الهمزة وسكون الطاء مفردة
طنب بضمين وهو جبل الغباء أو الخيمة.

لجناب المولى الصحة والعافية، وأن يورده من مناهلها الموارد
الصافية، لابساً من المجد الحلل المعلمة الطراز، متوجاً بتاج
السعادة والإعزاز، وأن يمد له من سرادق العليا الإطناب*
ويرفع له في أعلاها الأعلام والقباب، ما أهدت الطروس
من طي طيها نشراً، (ص ٥٨٠) وما وافى البشير مؤرخاً حباه
صدق الشفاء بأطبها بشراً، وشعره المشار إليه هو قوله:

وافى السرور فسأذهب الأتراحا
وأقام في نادى المنى الأفراحا
وأعاد أعياد التهاني عندما
بدر العلاء بعد التحجب لاحا
فُتحت له أبواب أنس أغلقت
وغدا حماها روضه فياحا
نشرت بآفاق البلاد بشاير
نشر المنى من طيبها قد فاحا
بشرى روى عنها أحاديث الشفا
وتلا لها من آيها ألواحا
والعيد وافى بالشفاء مبشراً
قد البسته يدُ الجمال وشاحا
يزهر برضوان العلاء متهللاً
إذ حاز من لطف العلاج نجاحا
صحت بصحته النفوس وأوضحت
شرح الصدور بمتنها إيضاحا
وتألفت أرجاء مصر وأزهرت
أدواحيها بمسرة أفراحا
أنعم به مولى تسامى قدره
عمت مدايحه رباً وبطاحا

ذو مظهر بالعز أشرق عصره
 يحكى سناه كوكباً وضاحاً
 دامت معاليه ودام سروره (ص ٥٨١)
 وحوى بمسعاة الجميل فلاحاً
 ونوافح الأنس الذكى شميمه*
 تغشى حماه عشيتة وصباحاً
 فله الهنا ولنا السرور بصحة
 أهدت إلى روح العلاء صلاحاً
 والحق مانح والسعود مؤرخ
 بسنا شفاه أنعش الأرواحاً

* شميم: أى مشمومة.

(واستنسخ) الأمير الممدوح كتاب روض الآداب، لكاتبه
 إبراهيم البليسى الذى هو عمدة لفنون هذا الباب، فعند
 إتمامه واختتام نظامه، طلب من مولانا صاحب الترجمة أن
 ينشئ له مقامة، تكون للكتاب ومحاسنه تيممة ومتممة،
 فأنشأ هذه المقامة وسمّاها «سحّ سحّب الأدب البديع
 المعانى، بسوح روض الآداب البديع الرضوانى، مبتدئاً فيها
 بقوله هذه الأبيات:

بشرى حببيت بروض آداب
 باهى الرياض بنشره ونظامه
 يختال فخراً إذ تملك رقه
 رضوان عزّ عزّ فى أحكامه
 وحلا لابراهيم نسخا أرخوا
 فزهت مباديه وحسن تمامه
 حبذا روض الآداب الحسن البديع، المثمر بالبلاغة والمزهر

بأنواع البديع، جرت مياه البراعة خلال سطورهم، وتفيضات
البراعة تحت ظلال مسطورهم، وتفتح زهر الفصاحة من
كمايم مبانهم، ونفح أرج (ص ٥٨٢) البيان من نسائم معانيهم،
روض ابتهج بالآلى المنظوم والمنثور، وتدبج بأحمر الشقيق
وأصفر المنثور* فهو بحالى الترصيع والتوشيع بهيج،
وبغالى الترشيح والتوشيح أريج، فله در سحائب قرايح
أظهرت نوره، وأضحكت من أقاح أدواحه الزاهية ثغوره،
روض قامت على أغصان ألفاته*. خطباء الأقلام،
وصدحت على أفنان همزاته حمايم الأفهام، فغدا نزهة
الناظر وفاكهة الخلفاء، ومرح الخاطر ومفاكهة الأدبا والظرفاء،
فمن ظفر بهذا الروض وحل حماه، حبي طرف السرور من
مغانهم ورباه، (روض) من ارتقى على أرائكه السنية الرفيعة،
وتأمل فى أوصاف محاسنه البهية البديعة، رأى بيوتاً سمت
بالخل الأرفع، وشرفت حيث أذن الله لها أن ترفع، ووجد
فى كل دوحة ثماراً يانعة مختلفة الأنواع، وأزهاراً شذى
نوافحها مختلفة الأضواء (روض) حوى فى زوايا خباياه
كنوز ذخائره دراً منشوراً ولؤلؤاً منظوماً، ياقوتاً وجواهر وبه
مسارح آرام ومراتع غزلان ومعاهد أنس وشُحَّت بحسن
واحسان، وفيه صادحات أطيّار بألحان الهنا تترنم، تذكر أيام
الصبا وتهيج أشجان الصبب المغرم (روض) رويت أحاديث
جماله بمحاضر السرور، وتليت آيات كماله بمجامع الجور،
فهو لعمرى مفرد جمع لجميع الفنون، فيه تنافست ذوو
الحجا وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، فروح الروح فى
بهجة حواشيه، ووجه وجه الشاء لمالكه (ص ٥٨٣) وحايه
(روض) الرياض الزاهية المشمرة الوريقة، ومنبع الغياض
الذاكية المزهرة الانيقة، من تنسم أرواح الصبا طيباً بربع

* المنثورة: نبات ذو زهر ذكى الرائحة الواحدة
منثورة.

* الألفات: بكسر اللام جمع الألف وهو أول
حروف الهجاء.

علاه، وتبسم ثغور الحدايق إذا جرى حديث حلاه، حضرة
الأمير الكبير رضوان كتحدا، لازال بالسبع المثاني محفوظاً
من العدا (روض) أمر جناب حضرته العلية باستكتابه،
فنسخت له هذه النسخة الجليلة وزفت إلى بابه، تحرى
الناسخ فى نسخها ونمق أى تنميق، فجاءت مبدعة على
وجه حسن أنيق، تروّح الروح بنشرها وتجلي الناظر، وتشرح
الصدر ببنشرها وتجلي الخاطر، (روض) تحلى عقود الانتهاء
حالية الانتظام، وتطيب من نوافح طيب مسك الختام، فى
ابتداء غرة ربيع الأول المستطاب، عام تاريخه يزهر بكمال
روض الآداب، فما أبدع هذا الاتفاق الحسن البديع، حيث
جلى الروض علينا فى ربيع، (روض) أذكرنى بهذه المناسبة
النفيسة، زمان الربيع وموارده المنعشة الأنيسة، إذ فيه تنفح
الزهور، وتصدح الحمايم وتسلسل النهور، وتضحك الكمايم
بطيب الوقت وتعادل القوى، وتبسط نفوس أهل الصباة
والهوى، شعر:

زمان الربيع زمان السرور
زمان التهاني وشرح الصدر
مهيج النفوس بنفح الزهور
وصدح الطيور وجرى النهور

(روض) حق له أن يفوح بطيب عرفه، ويفتخر (ص ٥٨٤)
بيديع جماله وكمال وصفه، حيث كان اسمه مجتئى من
اسم الرضوان، فله مع التشريف والعزة روح وريحان، وكم
اشتمل على نكات ظريفة، يفهمها أهل الذكاء والقرايح
اللطيفة، (روض) تشرف الناسخ بتحريره، ممتثلاً أمر سيده
حيث أمر بتسطيره، داعياً له بدوام عزه وعلو مجده وتلاؤ

كواكب علاه بمشرق سعدة، مصليا على من أوتى الكتاب
الحكم، وآله وأصحابه الذين طراز كمالاتهم بالفصاحة
معلم، شعر:

(روض) زها أبدى البديع بهيج
وحمماه من طيب القريض أريج
(روض) به روح البراعة قد سرى
بلطيف سر بالسرور نسيج
(روض) به ورق الفصاحة غردت
بلحسون نظم زانهما التهريج
(روض) حلى الآداب وشى طرازه
ببدايع منها لها تضريج
(روض) حلا وتفتحت أكمامه
عن زهر إبداع به تبهيج
(روض) زها بالإفتتان تلونا
فحلاه من تلوينه تدبيج
(روض) بأنواع الفنون مفرق
وله بتوشيح الحلى تبريج
(روض) به لذوى الغرام تروح
لكنه نار للغرام يهيج
(ص ٥٨٥) (روض) حديث الحسن عنه مسلسل
وله بمسند ذى الهوى تخريج
(روض) حوى أوصاف حسن قد سمت حالى الموارد بالبيان مريج
(روض) الرياض حوى بعز رفعة
فسمما فما لعلاه قط نسيج
(روض) سماء أن قد تفيأ ظله
رضوان عز من سناه بليج

(روض) الشجاعة والسماحة والندى
 منه لتيجان العلا تتويج
 (روض) تروحت النفوس بطيب عطر مديحه ولسوقه ترويح
 (روض) نضير والنضار ثماره
 فيه يرى التفريح والتفريح
 (روض) نعمنا باجستناء زهوره
 وبظله الضعافي يزول وهيج
 (روض) له بالمدح أسعد بلبل
 دوما له حسن الشناء هزيج
 (روض) ندى مهّد له تاريخه
 روض زها أبدا البديع بهيج

متع الله جنابه بروض العز والتهانى، مقتطفاً منه ثمار الأنس
 وأزهار الأمانى يروحه فيه الصفا بنسائم الارتياح، ويشرحه
 البشر منه بصدق حمائم الأفراح، ممتداً عليه من الصحة
 سرادق، منشورا له فى آفاق العلا ألوية بالثنا خوافق،
 (ص ٥٨٦) بجاه من اختاره المولى وله مصطفى، سيد الأولين
 والآخرين طه المصطفى، صلى الله عليه صلاة تليق بمقامه
 الأسنى، وعلى آله وأصحابه الناهجين مناهجه الحسنى، مع
 سلام موشى ببدايع النثر والنظام، مازهت المطالع بأحسن
 ابتداء مؤرخة فطاب الختام.

انتهت المقامة وما يليها وفيهما تواريخ خمس، كل منهما
 يشرح الصدر ويسر النفس، وقال مؤرخاً بناءً باب العزب الذى
 جدّه الأمير المشار إليه وضمنه بيتاً من كلام السموأل.

لقد أشرقت شمس السعود بياينا
 فلا يعترىها بعد ذاك أفول

لنا المجد إرثنا والسيادة منصبا

ودولتنا العلياء ليس تزول

(إذا سيد منا خلا قام سيد

قؤول لما قال الكرام فعول) (*)

وسيد أهل العصر رضوان كتخدا

أشاد علاء ما إليه وصول

فلذ بالحمى مذ أرخوا وببابه

فهذا حمانا ملجأ ومَقِيلُ

إلى أن قال:

* هنا البيت للسموأل بن عاديا الذي ضرب
به المثل في الوفاء، فيقال: أوفى من
السموأل. وهو من قصيدة أولها:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

ونكر إن شئنا على الناس قولهم
ولا ينكرون القول حين نقول
إذا سيد منا خلا قام سيد
قؤول لما قال الكرام فعول
وما أعمدت نار لنا دون طارق
ولاذما في التازلين نزيل

وقال يمدحه بهذه القصيدة الربيعية، بل الدوحة المثمرة
الشهية، وسماها نشر نوافح البديع ببشرى مقدم
الربيع:

ببشرى الربيع الزهى وافت بشايرة

وعن حلاه البهى نمت سريره

ونشر روح الصبا أهدى لنا خبرا (ص ٥٨٧)

من طيبه فساح فى الآفاق عاطره

ومالت القضب والأطيار قد صدحت

وقد تبسم من عجب أزاهره

وجاء فى حلة الابداع مبتهجا

يختال تيهها به حفت عساكره

قسر مقدمه الحالى أخا شجن

يهيجه من معانى الدوح ناضره

وروحه بمعانى الحسن قد علقت

وفى صفاه فكم تسعى خواطره

وروضة لنجوم الزهر جامعة

وزهرها مسفرد فى الحسن سايره

قامت بها أمراء الدوح خاطبة
 مقام عز تسامى منه فآخره
 رام الخلافة كل إذ علا وسما
 من فوق منبره الزاهى منابره
 فالورد قام بدعواها فشوكته
 قوية حيثما سلّت خناجره
 والبان وافى بتاج الملك منتصبها
 وقال من رامي حكمة أناظره
 والأقحوان بدا يزهو بهجته
 وحوله زمرة قامت تناظره
 والترجس الغض يرنو نحوها شزراً
 لأنه طالب للملك ناظره
 قال الشقيق حوت الفخر أجمعه
 والملك حق الذي تسمو مفاخره
 (ص ٥٨٨) وطال بينهما دعوى الخلاف إلى
 أن قام سنبلها الزاكي عواطره
 وقال سلطاننا الورد السني وله
 دعوى الخلافة* لا تعصى أوامره
 فكم له طيب نشر عم عابقه
 بمجلس الأنس إذ فسحت مجامره
 وكم رويها أحاديثاً مسلسلة
 في مدحه وبه طابت مخابره
 فعندها سلموا للحق واعترفوا
 بملكه المرتضى والله ناصره
 فاعلنت ورقها بالبشر قائلة
 سقى ربك من الوسمى باكره

* لعل الشاعر يشير هنا إلى اطماع الأمير
 رضوان في حكم مصر بالشكل الذي
 كانت عليه في ظل حكم المماليك
 باعتبارها مسكن الخليفة.

والدوح قد بُسِطت فيه مطارفه
والروض قد رنحت حسنا قياصره
الزهر من فرح أهدى النشار بها
لما سما الورْد واستعلت مظاهره
حكى بمنظره الحالى ومخبره
صفات رضواننا السامى زواهره
أمير مجد لنا تتلى مدايحه
مدى الزمان كما تروى مآثره
شهم وما غيرُ آسادِ فريسته
من فرَّ يومَ لقاءه فهو عاذره
تخاله الليث والمريخ فى يده
إذا بدا جانلا والسيف شاهره
تعطل الجود من أزمان قد سلفت (ص ٥٨٩)
والآن حقاً به قامت شعائره
روض نضير ولكن مثمر أبداً
غيث ولكن ندى عمت مواطنه
وكم له من علا كالشمس مشرقة
لها يشاهد بادية وحاضره
فكل ذى أدب أقلامه عجزت
عن مدحه بل وما وقت محابره
يا سيذا قد علت بالمجد رتبته
عزا فما أحد فيها يناظره
أنعم بأن ربيع حسان مـورده
تسعى إلى بابك السامى بشايره
واجلس حبيت بمغنى الحظ متشققا
طيب الصفا فصبا الإسعاد ناشره

وسرح الطرف في ميدان فضرتة
 ترى من الحسن ما يبهيك ناظره
 واسمع حمام أفرح به صدحت
 عن لحنها الموصلي كلت مزامره
 واشهد لرناته السبع التي اشتهرت
 من يجتليها بها تزهر محاضره
 وأغنم زمان ربيع بالسرور أتي
 صاف مسواره حال مصادره
 ولا تضع فرصة مهما ظفرت بها
 واصغى لمن قال والممدوح ناصره
 خذ من زمانك ما أغناك مغتما
 وأنت تاه لهذا الدهر آمـره
 (٥٩٠) ودم بروض العلا والعز منبسطاً
 بمطربات الهنا يشـدوك طائره
 تجنى به ثمرات الأنس يانعـة
 مع السرور ومن تهوى تسامره
 منعما ببقا نجليك من بهما
 هذا الزمان لقد قـرت نواظره
 فذو المعالي على مصطفى حـفظا
 يهدي لكل من الأعمار وأبـره
 لا زال كل باوج المجد مرتقيـاً
 بطالع العز والإسعاد ناظره
 واهنا بعام سرور إذ تؤرخـه
 ريسعه المزهى فاحت عواطره

(وهذا) آخر ما انتقيته من كلامه ونقلته من المدايح

الرضوانية، ومن مؤلفات المترجم ورحلته المسماة بموانح
الأنس برحلتى لوادى القدس. توفي المترجم سنة ثلاث
وسبعين ومائة وألف .

٢٦٢ محمد سعيد بن محمد الحنفى
السمان.
ت/ ١١٧٣ هـ / ١٧٥٩ م.

[ومات] أديب الزمان، وشاعر العصر والأوان العلامة
الفاضل شمس الدين الشيخ/ محمد سعيد بن محمد
الحنفى الدمشقى الشهير بالسمان، ورد إلى مصر فى سنة
أربع وأربعين ومائة وألف فطرح الأدبا، وزاحم بمناكبه
الفضلا، ثم عاد إلى وطنه، وورد إلى مصر أيضاً فى سنة
اثنين وسبعين ومائة وألف، وكان ذا حافظة وبراعة وحسن
عشرة، وصار بينه وبين الشيخ عبد الله الإدكاوى محاضرات
ومطارحات، وذكره فى مجموعته وأثنى عليه وأورد
له من شعره (ص ٥٩١) كثيراً، ومما انتقيته من مختار
أقواله قوله:

وليل نامت الرقباء فيه

وقد آمنوا الوصالَ لطول هجرى

وزار معذبى من دون وعد

ولم يك وصله منى بفكر

فقلت للعب الهميان* أخطو

لأهضر غصنه من دون صبر

فلم تر مقلتي إلا وشاحاً

تراءى حائلًا من دون خصر

وله أيضاً:

وما أنا بالناسى وقد خيم الدجى

ووافى الذى أهوى ولم يثنه دعر

* الهميان: كسر الهاء وسكون الميم حزام
يشد على الوسط توضع فيه الدراهم أو هو
ما يشد به السروال، وقول الشاعر (ملعب
الهميان) يقصد به الخصر الذى يتحرك
حوله الحزام أو الشداد.

وبتنا بحال لم يرُغنا مؤنبٌ
 وراح يعاطيني وما ابتسم الفجر
 سلافة الفاذٍ وجريال* مَبْسِم
 وخمرة الحاظٍ لذا التبس الأمر
 فلم أدر أرى أسكر العقل رشفا
 ولم أدر أرى غاب عني بها الفكرُ

لريال والسلافة معناهما الخمر.

وله هذا المعنى الذى لم يسبق إليه:
 يقولون لى لما بدا العارض الذى
 به غيض ماء الحسن من وردة الخد
 نراك أطلت الصمتَ فينا ولم تكن
 معانيك إلا الدر يرفض* من عقد
 أما علموا أن العنادل* فى الربا
 سكوت إذا ما فاتهم زمن الورد

فض: بتشديد الضاد أى يفرق وينتثر.

تادل جمع العناديب وهو طائر حسن
 نرهد.

(ص ٥٩٢) وله أيضاً:

ألا ربَّ ليلٍ على غـفـلةٍ
 من الدهر جسادت برغم الخلى
 فتاة سبتنى بحكم الهوى
 بجفن عن الفتك لم يغفل
 إلى أن بدا الفجر من شرقه
 يلوح لدى الأفق كـالمنصل*
 فأرخت أثيثاً* على بانه
 أعـاد لى ليلى من الأول

تصل: بضم الميم وسكون النون وضم
 صاد أو فتحها السيف.
 أثيث الشعر الملتف الكثيف، والبانه القد
 لويل المياس والمعنى (أسدلت شعرها
 على قدها).

وله أيضاً:

وليل تعاطينا به أكسوس اللقا

ومد على ما بيننا حلل الستر

يلاصق منا الكشح كشحا* منعما

* الكشح: ما بين السرة ووسط الظهر من الجالين.

ونقرع من فرط الهوى الشجر بالشجر

وما راعنا فيه حديث وشاتنا

وما نظرت شزرا* سوى أعين الزهر

* شزرا: بفتح الشين وسكون الزاى، هو نظر الغضبان بمنزعر عنه.

فأفنيته ضمنا ولنمنا ولم نزل

يداي بما أبغى نطاقا على الخصر

إلى أن بدت من مفرق الشرق غرة

أطارت غراب الليل عن ذلك الوكر

فكف يدي عن خيثرانة قدره

وولى وفى أعطافه نشوة السكر

وقال وقد أتبعته نظرة الأسى

أوالقيت كفا للوداع على الصدر

لا لا بدا صبح يربع متيما

ولا انجباب ليل فى الورى كاتم السر

فلست أرى كالليل أستر للهوى

ولست أدري شيئا أنم من الفجر

وله مضمنا: (٥٩٣)

كم قلت للبدر والأجفان تلعب بى

أهلك بالفتك كم يسطو على المهج

فقال والدر يبدو من مباسمه

هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وله من قصيدة:

أشكوك الغرامَ وما أقاسى
 وقلبك يا مديقي الهجرَ قاسى
 وفي طى الجوانح جمر وجدٍ
 يؤججه التذكر والتناسى
 أبانات اللوى عن سحِب عيني
 سقاك الرى من دون احتباسى
 فكم لى فى ظلالك من مقليل
 تفدى أهله منى حواسى
 أقمت به وشاطى واديه
 ملاعب جرؤدر وظبا كناسى
 فمما للعين لم تنظر طلولا
 ولا رسما يدل على أساس
 أما هذى الديار ديار سعادى؟
 أما هذى المعالم والرواسى؟
 أحلام أرى أم عن حقيق
 تقوضت الخيام بلا التباس؟
 نعم هذى المعاهد والمغانى
 فـايـن بدور هاتيك الأناس؟
 فإن أقوت* فهل لى من سبيل
 إلى صبر يعلى ما أقاسى
 (ص ٥٩٤) وإن عهدى على اللاؤا تناسوا
 لعمري لست عهدهم بناسى
 أبكى أم أجـاوب فى انينى
 حمام فى الدياجى لى تؤاسى
 أساجلها فتعرب عن شجون
 وتبريح على غير القياس

أقوت: أبى غلت.

أتعجب أن قضيتُ هوى ووجدًا

وجانبت الموانس والمواسي؟

وأنى فزت بالقُدْحِ المَعْلَى

وبُلَّغتِ المنى من بعد ياسي؟

وقال يمدح السيد علي افندي المرادي مفتي الشام:

برح الخفاء فلا الغيور يقيك

كلا ولا بيض الحمى يحمميك

إلا الذي من سقم جفئك ينتضي

وتراه يُغمد في حشا داعيك

أيس الهوى من أن يجن بخاطري

ذكر السلوفعاد بي يغريك

فتحكمي في مهجتي وتهكمي

فيمن غدا بعيونه يفديك

إن كنت عالة بما فعل النوى

عند الوداع به فذا يكفـيك

دنف إذا ضرب الدجى أطنابه

وصل الأئين برنة تشجـيك

وإذا انقضى برق العقيق حسامه (ص ٥٩٥)

هاجت لواعجه لمبسم فيك

وإذا الهديل تجاوبت أصداؤه

جزعا على ما ناله يبكيك

لبس الجوى بردا فأخلقه جوى

حتى رثى لسقامه واشيك

فإلام يكتم لوعة في ضمناها

جمر يشب بدمعه المسفوك

ويرى ركوب الصعب في نهج الهوى
 هينا ولا التمسويه عن ناديك
 فسلى جوانحه التي قد صيرت
 مثواك هل في ذاك من تشكيك؟
 كم وقفة دون الكتيب رمى بها
 نظرا أطل به التفكير فيك
 حيران من أسف يعض بنانه
 حذرا عليك مواقف المافوك
 لم يثنه عن رشف ذياك اللمى
 إلا اجتناب الظن من أهليك
 حجبوك لا بالرغم عنه ولو دروا
 أن الحشا ماواك ما حجبوك
 أوقات وصلك لو بأيام الصبا
 والروح تشرى ما أبى وأبيك؟
 إيان من طرب يصون مسامعا
 عن غير حُرُس الحى من هاديك
 والبيض من فوق الحدود طوالع
 والحى مآهول الحمى يذويك
 (ص ٥٩٦) مرّت فمرت بعدهن حياته
 بل شمسها قد آذنت لدنوك
 يا سالما مما يكابد في الهوى
 لا تسألن عن خبيرة المهلوك
 وصلوا ومن خلف المطى فؤاده
 تستن قصد سبيلها المسلوك
 فبكل وادٍ من نوافح طيبهم
 أرج وكل قرارة وسمموك

* المرادى: اسم المملوح.

فكانهم بثنا المرادى* قد غدوا
يتضرعون إليه بالتبريك

إلى آخر ما قال، وله من قصيدة

سلوا طيفها أين استقلت نواحيها
غداة النوى لما ترئم حاديها
وحيل داعى البين خلف ركابها
وباتت بنات الشوق تحمى مآقيها
وأعرض بشر دوننا وهضابه
وأوغر صدر الصب جمر تنائيه

* البثنة: الأرض السهلة اللينة، وبها سميت
المرأة بثنة، وتصغيرها سميت بثينة. والبثنة
بلاد بالشام كذلك.

فلا تُنكرى يا بثن* موقف ذلتى
بدار عفت أطلالها ومغانيه
على مثلها المفسود من حرق النوى
يذيل مصونات الدموع بواديها
تنكر بعد الطاعنين نسيمة

* السواجع: مفردا ساجعة وهي الحمامة إذا
رددت صوتها.

وأقفر من ذكر السواجع* ناديها
فلم يبق إلا رسمها فكانه
سطور عن الأفهام رقت معانيها

* مَغْنَى عناق: أى المكان الذى كان أهلاً
يسعد أهله باللقاء والعناق أصبح هامداً قفراً
دارساً لا حياة فيه.

(٥٩٧) ومغنى عناق* فى همود دوارس
وشسع* غدا قلب المتيم يحكيها
فحييت داراً بالأوايد آنست

* شسع: الشسع أصلها ما يشد به زمام
التعل، والمقصود أن قلب الغيب أصبح ممزقاً
مثل هذه الشسع.

من الآنسات الغيد زهر روايبها
تكاد على الإقواء* تزداد بهجة

* الإقواء: بمعنى الإفقار.

لزائرها لولا ترحل أهليها
لئن أنهجت آثارها راحة البلى
فمن مهجتي لم يمح كنه معانيها

وليلةً أعملتُ الرواسم للسرى

كأنى سماها والنواحي دراريها

أخوض الدجى والدجن* يطغر عبايه

فيرقم أطراف السباسب* هاميه

إلى أن رمت أحداج حزوى بنظرة

ولاحت لها أطلالها ومغانيه

طرحت خباء الحى والقوم شرعت

مخافة إلمامى صدور عواليها

ولست بمدعور الجنان من القنا

ولم أخش آساد الشرى وضواريها

سوى لحظات الغيد يحتمل الفتى

وليس يدود الصبر غير تجنيها

ولولا مقال الكاشحين يربينا

محوت اللمى الممنوع باللثم من فيها

وما راعنى إلا الوداع وقولها

أعتاض عن ذكر الظبا بتناسيها؟

أما بابتة الطائي وموقف ساعة (ص ٥٩٨)

بمنعرج الجرعاء مازلت أبكيها

سأذكرها حتى الممات إن أمت

فعظمى فى الاجداث يندب هاميه

فمن مبلغ قومي وجيران أسرتى

إذا هدأت ليلاً عيون أعاديها

بأنى بحمد الله فى ذروة العلا

بكف المنى أجنى زهور تهانيها

(وله من أخرى) يمدح بها بعض الأعيان وهو

تَجَنُّ: المطر الكثير. ويطغر بمعنى يجاوز
سبب: المفازة أو الأرض المستوية البعيدة
لجمع سباسب.

لمن فى سراها أنحلتها* الدكادك*

* أنحلتها: أى أنهكتها.
* الدكادك: جمع مفرد ما دكدك بفتح الدالين
أو كسرهما ومعناها الأرض الرملية المستوية.

يحن اشتياقى والنجوم شوابك

إذا أدجت قاد الهوى بزمَامِها

وإن صوّبت هانت لديها المسالك

وإن أنجذت طارت بغير قوادم*

* قوادم الطير: أى أجنحته ومفرد ما قادمة، أما
قوله أنجذت الريح فمعناه صعدت إلى
مكان مرتفع وعكسها أنهمت الريح أى
انخفضت.

وإن أنهمت فهى الرياح السوابك

فماذا على تلك الحداة لو أنهم

أناخوا بها حيث السيوف البوانك؟*

* البوانك: القواطع.

وحيث الحمى يحمون بيضة خدره

أسود بايديها تهزُ النيازك*

* النيازك: جمع نيزك بفتح النون وهو الرمح
القصير وهى فارسية.

وكل كمي لا يرى العمر مغنما

وكل أبى لم ترعه المهالك

يغوض مشار النقع والعزم عابس

ويطعن ما بين الكلى وهو ضاحك

ويغدو عليه من دم القوم حلة

لها السمهرات الدقاق خوابك

(ص ٥٩٩) ولكن فيه من ظبا ذلك الحمى

ظبا جردتهن الجفون السوافك

* الرؤد: الشابة الحسنه.

فمن كل رؤد* لو بدت فى نقابها

لأبته ذو رشد وأفتن ناسك

تلاعب فى أعطافها نشوة الصبا

* ركانك: أى رقيقة ضعيفة.

كما لاعبت غصنا رياح ركانك*

* أثيث: الكثير الملتهب والمقصود به شعرها
الأسود حول وجهها المضي.

وتبدي محيا فى أثيث* مجعد

كما البدر أبدته الليالى الحوالك

فتفتك منها فى الحدود عيوننا
 وفى قلبنا الحافظها الفبواتك
 على أنها لورام طيف خيالها
 أخو وهم عزت عليه المدارك
 من اللاء لولا قُرطها ووشاحها
 لقلت مهابة إذ عَرَّتْها السنايك
 تملكن حَيَّات القلوب كسأنا
 على لها بين البرية مالك
 أغر غدا يغنيك لألاء وجهه
 عن الشمس حتى تنشى وهى دالك
 ذنوب كان المجد ذات وروحه
 معاليه والصيد الكرام حوارك

وقال يمدح الأستاذ محمد بن سالم الحفنى قدس الله سره
 عَجَبُها على تلك الربع الهمد
 واسأل معالمها لعلك تهتدى
 وقف الرواسم بالرسوم معللا (ص ٦٠٠)
 قلبا لواعج شوقه لم تبرد
 وانشر لآلى أدمع ضنت بها
 عيناك إلا للخليط* المنجد
 فالطالما فيه أطعت صبابتي
 ونبذت ظهريا مقال الحسد
 طلل وقفت على صوى* أرباضه
 أيدى الحنين إلى ظباه الشرذ
 وأدرت طرفي وامق لعسبت به
 برح البعاد إلى أسى لم يُعهد

* الخليط: هو الخالط للشخص أى جليسه
 ولنديمه وصديقه.

* صوى: جمع صوة وهى الحجر المرتفع
 الذى يكون دليلا وعلماً فى الطريق.

وبكيت من حزن بمقلة حائر

أسفر إلى أحبابه لم يرشد

ولثمت آثار الظمائن ريشما

أطفأت بعض غليلي المتوقد

وظفقت اختبط الدجنة والهوى

يقتادني نحر المقيم المقعد

لا صبر لي عنهم يقيني حسرة

أخفيت بها خوف اطلاق مفند

ناشدتكم يا زاجريها أنتم

سرتم بهاتيك الظباء الخرد* * الخرد: جمع خرقة وهي البكر.

كيف استطعتم أن تروا مثلي على

ما تعهدون وتذهبوا في الفدقد* * الفدقد: الفلاة.

وتضيعوا ودا عليه عسقدتم

عقد الخناصر إنه لم يجدد

هلا رثيتم واصطنعتم عنده

قبل الرحيل يدي شفيق مسعد

(ص ٦٠١) رأيتم أين استقروا بعد ما

سلكوا خروق مواقف لم تسدد

ضربوا الخيام على ثنية ضارج

ورضوا بجرعائها وذاك المعهد

حتى استطاب ترابها فتخذته

لجفونا كحلا مكان الإثم* * الإثم: بكسر الهمزة حجر يكتحل به.

ومن العجايب أن أرى مستخبراً

عمن ثوى بصميم قلبي المكمد

وإذا أرادوا يكتمون مسيرهم

نمت نوافحهم ولم أسترشد

يا مودعا بلامه جمر الغضا
 بجوانحي فاقصر ملامك أو زد
 أنا من علمت ومن إذا ذكر الهوى
 فأربط يديك على ولاه وأشد
 سل عن فرّادى أعين العين التي
 أسيافنهن بغيره لم تغمد
 ملسار خلف ركابهم يوم النوى
 وبقيت مبهورتا وأسقط في يدي
 كيف التصبر والحياة لمدنف
 لم يبق غير ذمائه* المتردد
 ما كنت يا ذات الجناح بعالم
 أن الوداع للوعتي وتسهدى
 وأراك تبكى في الفصون وتشتكى
 ألم النوى إن كنت مثلى فاسعد
 افتندبى شجناً والفق حاضر
 فلقد أسأت وإن أسأت فعدد
 (ص ٦٠٢) ما أنت ممن قد أطار فرّاده
 داعى النوى وجفاه طيب المرقد
 أين النحول وأين أحمر أدمع
 تجرى وجمرة مهجة لم تخمد
 دعنى فإنى لست أول عاشق
 قتل الغرام ولا قتيل لم يد
 حزنى عليك يزدنى قلقا على
 ما أودع التبريح فى القلب الصدى
 حتى الجناح فانت خير طليقة
 وأنا الذى بالوجد خير منقيد

* الدماء: بفتح الدال بقية الروح.

ودعى الصبابة جانباً وترنمى
بحديث من أهوى ومدح محمد
العالم اللسان الذى أوصافه
بغبيرها تغنى عن الروض الندى
ومن ارتدى برد الخيامد يافعا
وتلفع الحسنى بازكى محتد
وسرى على النهج القويم ولم يزغ
حتى ارتوى عن عذب ذاك المورد
وصفت مواقع ذكره فتقاصرت
عنها النهى من كل نذب أحييد
وحوى خصائل نافست زهر العلا
حتى علت نجم السها والفرقد
وسما على الأعلام من أهل الهدى
بمآثر غرراً وحسن تودد
(٦٠٣) كم مشكل قد فك ربة عسره
ببداهة تزرى بحمد مهند
ولكم دقيقة معضل وافى بها
شفا لاذن السامع المسترشد
ولكم له فى كل علم غامض
سفر تناهى فى الكمال المفرد
أدب على النقاد در حديثه
متناسقا كاللؤلؤ المتنضد
ومباحث ما السعد فى اتقانها
ومنقاصد تزرى بقول السيد
فإذا علينا قد أدار مُدامه

* صرخد: موضع نسب إليه الشراب.

نغنى عن البكر الشمول الصرخد*

خلع الدنا* متمسكا بعرا التقى
 وبكل أمر بالشرعية مقتدى
 وسرى على سبل الهداية مرشداً
 من أمه بوسائل لم تبعد
 فبوجهه يغنيك عن شمس الضحى
 وعن الغيوث ببحر كف مزيد
 فالفضل منحصر به أما السوى
 فمقلد لعلاه فاسمع تسعد
 والجود من جدواه يعرف كنهه
 والدين والتقوى بدون تردد
 فانظر إلى رجل تجسم من علا
 ورفيع مجد فى الأنام وسودد
 يا مالكا منا الأنام بلطفه (ص ٦٠٤)
 وبحسن ما يروى وأنضر مشهد
 لك ما تروم من الزمان وبره
 فوق المراد وكل عيش أرغد
 ما فيك إلا ما يقر قلوبنا
 وعيوننا ويسر كل مسود
 واليكها من غدت أفكاره
 نهب الثنائى والزمان الأنكد
 جاءتك تعثر فى ذيل خجالة
 وتدير طرف الحائر المستنجد
 فلئن رأت منك القبول فحسبها
 فخراً وطيب تودد وتعهد
 حوشيت أن تفضض وشيمتك التى
 غير الكمال الصرف لم تتعود

وأبيك لو وزنوك عندي في الوري
لوزنتهم وإذا شككت تعمداً

ومن كلامه:

لا أريد الوصال بالمنّ ممن
أنحل الجسم بالجفا والدلال
إنما دائماً له أتمنى
فتمنى اللقاء نصف الوصال

وله:

لا تكرر لحظة إذا خلت وجهها
ذا جمال وبهجة وبهاء
واغضض الطرف مثل ما أمر الله
فتكرير اللحظ نصف الزناء

(ص ٦٠٥) ثم توجه إلى الشام وبها وافاه الحمام، ودفن
بالصالحية سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف.

[ومات] الشيخ الصالح الشاعر الليبي الناظم الناصر الشيخ /
عامر الأنبوطي الشافعي، شاعر مفلق هجاء لهيب شرارة
محرق، كان يأتي من بلده يزور العلماء والأعيان وكلما رأى
لشاعر قصيدة سايرة قلبها وزنا وقافية إلى الهزل والطبيخ،
فكانوا يتحامون عن ذلك، وكان الشيخ الشبراوي يكرمه
ويكسيه ويقول له يا شيخ عامر لا تزفر قصيدتي الفلانية
وهذه جائزتك، ومن بعده الشيخ الحفني كان يكرمه
ويغدق عليه ويستأنس لكلامه، وكان شيخاً مسناً صالحاً

٢٦٣ عامر الأنبوطي.

مكحل العينين دائماً عجيباً في هيئته، ومن نظمه ألفية
الطعام على وزن ألفية ابن مالك وأولها

يقول عامر هو الأنبوطي

أحمد ربي لست بالقنوط

ويقول:

وأستعين الله في ألفيه

مقاصد الأكل بها محويه

فيها صنوف الأكل والمطاعم

لذت لكل جـايـع وهـام

إلى أن يقول:

طعامنا الضاني لذيذ للنهم

لحماً وسمناً ثم خبزاً فالتقم

فإنها نفيسة والأكل عم

مطاعمنا إلى سناها القلب أم

ومنها:

والأصل في الأخبار أن تقمرا (ص ٦٠٦)

وجوزوا التقديد إذ لا ضرراً

فأمنه حين يستوى الخرفان

(ومن) كلامه قصيدة أيضاً على وزن لامية العجم منها:

أناجر الضان ترياق من العلل

وأصحن الرز فيها منتهى أملى

أكلى غدا وأكلى في العشا على

حدٍ سوى إذا اللحم السمين قلى

١١٧١ هـ.

١٤٧٤ ق.

١٧٥٧ م.

غاية الفيضان: ١٢ قيراط / ٢٢ ذراع

□ في ١٦ محرم / ١ أكتوبر، كانت وفاة

السلطان عثمان خان الثالث ابن

السلطان مصطفى الثاني، وله من العمر

٦٠ سنة، حكم منها ٣ سنين و ١١

شهرًا، ثم تسلطن بعده، في يومها،

السلطان مصطفى خان الثالث ابن

السلطان أحمد الثالث.

□ ١ يناير ١٧٥٨ = ٢٥ كيهك ١٤٧٤ =

الأحد ٢٠ ربيع الثاني ١١٧١.

□ فيها ضرب ميدى وزله يقرب من عشر

درهم وعياره النصف فضة تقريباً، وقيمته

٣, ١ سنتيم.

□ فيها عزل على باشا حكيم أوغلى، بعد أن

حكم مصر سنتين، وتولى بعده محمد

سعيد باشا.

□ فيها نقص وزن الزر محبوب، فنصار كل

مائة محبوب ٨٤ درهما.

فيم الإقامة بالأرياف لا شيعي
 فيها ولا نزهتي فيها ولا جذلي
 ناء عن الأهل خالي الجوف منقبض
 كمعدم مات من جوع ومن قشل
 فلا خليل بدفع الجوع يرحمني
 ولا كريم بلحم الضان يسمح لي
 طال التلهف للمطعم واشتعلت
 أحشاشتي بحمام البيت حين قلى
 أريد أكلا نفيسا أستعين به
 على العبادات والمطلوب من عملي
 والدهر يفجع قلبي من مطاعمه
 بالعدس والكشك والبيسار والبصل
 ناديت هيا ولا تبطي بفرفك لي
 فإنه خلق الإنسان من عجلى

إلى آخرها (وله) على وزن لامية ابن الوردى (ومنها):

اجتنب مطعم عدس وبصل (ص ٦٠٧)
 فى عشاء فهو للعقل خبل
 وعن البيسار لا تعن به
 تمس فى صحة جسم من علل
 واحتفل بالضان إن كنت فتى
 زاكى العقل ودع عنك الكسل
 من كباب وضلوع قد زكت
 أكلها ينفى عن القلب الوجلى

إلى آخرها.

ومن كلامه على وزن كلام ابن عروس:

أكلك من الضئـان رطلين
يزيد قلبك نفساً سهـه
وابعد عن الكشك يا زين
ذا الأكل منه تعاسهـه

وأيضاً:

أكل المطبق مع الفـجر
بالشهد والسمن سايح
إلى يجيبه له أـجر
فى جنة الخلد رايح

وأيضاً:

يا طابخ الضئـان إشتد
واغرف أوانى وسيعه
عامراتى لك وله يد
فى الأكل ديمـا سـريعـه

وأيضاً:

العـدس والكشك والفـول
الأكل منهم شـمـمـاته
يصبحوا الشب مخبول
قُطعوا الجـمـيع التـلاتـه

وأيضاً:

أوصيك لا تاكل الفـول
يورث لقلبك قـسـاوه

تقطع نهارك كما الفول
تايه وعندك غششاه

وأيضاً: (ص ٦٠٨)

خشاف مشمش وعناب
الششرب منهم دوايه
من بعد ما كل كباب
يا رب حقق رجايه

٢٦٤ عمر بك رضوان
ت / ١١٧١ هـ = ١٧٥٧ م.

[ومات] الأمير الكبير / عمر بك ابن حسن بك
رضوان وذلك أنه لما قلد إبراهيم كتحدا تابعه على
بك الكبير إمارة الحج وطلع بالحجاج ورجع في سنة
سبع وستين ومائة وألف، ونزل عليهم السيل العظيم
بظهر حمار، وألقى الحجاج أحمالهم إلى البحر ولم
يرجع منهم إلا القليل، تشاوروا فيمن يقلدونه إمارة
الحج فاقتضى رأى إبراهيم كتحدا تولية المترجم وقد
صار مسناً هراً فاستعفى من ذلك فقال له إبراهيم
كتحدا «إما أن تطلع بالحج أو تدفع مائتى كيس
مسعدة» فحضر عند إبراهيم كتحدا فرأى منه الجحد
فقال «إذا كان ولا بد فإنى أصرفها وأحج ولو أنى أصرف
ألف كيس» ثم توجه إلى القبلة وقال «اللهم لا ترنى
وجه إبراهيم هذا بعد هذا اليوم إما أنى أموت أو هو
يموت» فاستجاب الله دعوته ومات إبراهيم كتحدا
في صفر قبل دخول الحجاج إلى مصر بخمسة
أيام وتوفى عمر بك المذكور سنة إحدى وسبعين
ومائة وألف.

٢٦٥ إبراهيم الأوسطى السكاكيني صانع السيوف.

ت / ١١٧١ هـ = ١٧٥٧ م.

١١٧٢ هـ.

١٤٧٥ ق.

١٧٥٨ م.

غاية الفيضان: ١٩ قيراط / ٢١ ذراع

□ ١ توت ١٤٧٥ = ٩ سبتمبر ١٧٥٨ =

السبت ٦ محرم سنة ١١٧٢.

□ فيها اخترع دولاند النظارات الاكرومانية،
أى التى ترى الصور بدون ألوان أجنبية.

□ ١ يناير ١٧٥٩ = ٢٥ كيهك ١٤٧٥ =

الاثنين ٢ جماد أول ١١٧٢.

□ فيها كان طرد الجزويت من البورتغال.

□ فيها أنشأ الأمير عبد الرحمن كتحدا

جامع الحفنى، بقنطرة الموسكى.

□ فيها كان استيلاء الانكليز على كوبيك.

□ فيها كان انتصار الروسيين على

البروسيايين فى كوتر سدروق.

[ومات] الرجل الفاضل النبیه الذكى المتقن الفريد الأوسطى / إبراهيم السكاكيني، كان إنساناً حسناً عطاردياً يصنع السيوف والسكاكين ويجيد سقيها وجلاءها ويصنع قراباتها ويسقطها بالذهب والفضة، ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة والسقى والتطعيم والبركارات للصنعة وأقلام الجدول الدقيقة الصنعة الخزرة وغير ذلك، وكان يكتب (ص ٦٠٩) الخط الحسن الدقيق بطريقة متسقة معروفة من دون الخطوط لا تخفى، وكتب بخطه ذلك كثيراً مثل مقامات الجريرى وكتب أدبية ورسائل كثيرة فى الرياضيات والرسميات وغير ذلك، وبالجملة فقد كان فريداً فى ذاته وصفاته وصناعته، لم يخلف بعده مثله توفى فى حدود هذا التاريخ، وكان حانوته تجاه جامع المردانى بالقرب من درب الصباغ.



- هوامش -

- (١) بيت دى عرجان: وردت فى نسخة المطابع الأميرية (بيت دى عرجان) وهى خطأ والمقصود أنه بيت له عمدان ملوية.
- (٢) المظفر: المقصود هنا زاوية المظفر بشارع السيوفية تجاه الطريق المؤدية إلى جامع السلطان حسن.
- (٣) علم العيار: هو علم المكاييل والموازين.
- (٤) العذارى: مواكب اغياله، وهى من شارات المناصب الكبيرة.

* تاجر السيوف.

سياسة السلطنة العثمانية تجاه المصريين من أهل الذمة

(١) الجزية:

تعتبر الجزية أحد الشروط الواردة في الشريعة الإسلامية لصحة عقد الذمة، وقد التزمت السلطنة العثمانية بتطبيق ذلك الشرط شأنها في ذلك شأن الممالك الإسلامية الدول السابقة التي غزت مصر، وقد أخذت السلطنة في التطبيق بالتفسير الحنفى حيث ورد بشأن الجزية أنه «إذا وضعت بتراض أو صلح لا تغير، وإن فتحت بلدة عنوة وأقر أهلها عليها توضع على الظاهر الغنى في السنة ثمانية وأربعون درهما، وعلى المتوسط نصفها، وعلى الفقير القادر على الكسب ربعها، وتوضع على كتابي ومجوسى وورثنى عجمى لا عربى ولا على مرتد فلا يقبل منهما إلا الإسلام أو السيف وتشرق أنشاهما وطفلهم، ولا جزية على صبي وامرأة ومملوك ومكاتب وشيخ كبير وذمى أعمى ومقعده وفقير لا يكسب وراهب لا يخالط.

وهكذا طبقت السلطنة العثمانية على مصر جزية الفتح عنوة.

أما عن أوجه اتفاق (الجزية) فلقد حددها تفسير الحنفية «في مصالح المسلمين كسد الثغور وبناء القناطر والجسور وكفاية العلماء والمدرسين والقضاة والعمال والمقاتلة وذرايعهم، ومن مات في نصف السنة حرم من العطاء.

أخذت السلطنة العثمانية - منذ بداية احتلالها لمصر - بالنظام الذى كان متبعاً في سلطنة المماليك فيما يختص بتحصيل واتفاق ضريبة الجزية التى كانت تعرف وقتذاك باسم «الجوالى». وقد ظل هذا

النظام قائماً حتى أوائل عام ١٥٢٥ م عندما وصل الصدر الأعظم إبراهيم باشا الشهير بالاسكندرلى، عندئذ أصبحت ضريبة الجوالى مقاطعة قائمة بذاتها أطلق عليها «مقاطعة الجوالى»، وكان المتولى أمر تحصيلها واتفاقها يعرف باسم «أمين الجوالى».

وكان الاعتبار الذى أخذت به السلطنة العثمانية - كما ورد في الشريعة الإسلامية - بالنسبة لأولئك الذين وقع عليهم عبء ضريبة الجوالى، ألا ينظر فقط الى قدرتهم على الدفع بل أيضاً ينظر الى القدر الذى يمكن أن يساهم به الفرد في هذا الشأن، ولهذا فقد قسموا الى فئات ثلاث: غنى، متوسط، وفقير. وعلى حساب ما جرى عليه العرف كان أصحاب الممتلكات والصرافون وكافة التجار من الفئة الغنية، وأصحاب الحرف الصناعية كالاسكافى مثلاً من الفئة الفقيرة، وما عدا ذلك من الفئة المتوسطة. كذلك تقرر المعايير التى يدفعها أفراد كل فئة طبقاً لما حددته الشريعة، فالغنى عليه أن يدفع ٤٨ درهما فضة والمتوسط ٢٤ درهما فضة والفقير ١٢ درهما فضة.

وقد روى تغيير قيمة العملة لذلك تقرر أن تدفع الفئات الثلاث على التوالى ١، ٢، ٤، جنيه ذهبى (نقد) يعرف بالشريفى - الذى كان يساوى في بداية العصر العثماني ١٢ نصف فضة. كما حددت أوجه صرف الجزية على العلماء والفقراء والايام والأرامل.

ولقد ذكر ستانفورد شو - أن الصدر الأعظم إبراهيم باشا منذ وصوله مصر، وضع جدولاً منفصلاً للنظام الذى يجب أن يتبع في إيراد واتفاق أموال الجزية ومن الشروط الواجبة في ذلك النظام ألا يستخدم دخل الجزية في نفقات كنسية ومنها

ودمياط والسويس كانت من اختصاص قائم مقام القبطان العثماني في تلك الموالي.

ويستفاد من سجلات المحكمة الشرعية - المودعة في دار الوثائق القومية بالقلعة أنه كانت هناك ادارة مالية تابعة للخزانة السلطانية خاصة بالأموال التي تدفع بواسطة أمين الجوالي ، وهذه الادارة تحتفظ بسجلات الجزية المفروضة على الدمين - وكان يطلق عليها «دفاتر بيان أوراق الجزية» ويتم تسجيل الايرادات والمصروفات بمعرفة كتبه يعرف الواحد منهم باسم «جوالى افندى».

ولقد أوضح أحمد شلبي في كتابه «أوضح الاشارات فيمن تولى مصر من أنه في الربع الأخير من القرن السابع عشر كان مفروضا على الدمين جميعا دفع جزية موحدة مقدارها ١٢٠ بارة كان يتولى جبايتها جباة يعرفون باسم «الحشار» وكان هؤلاء يتركون للممول بعد سداد الضريبة - تذكرة من الورق الملون حاملة خاتم رئيسهم وحاوية اسم الدمى وبلدته ومديريته وسكنه وسنه وتاريخ اليوم والشهر والسنة التي سدد ضريبتها، وكان على الدمين حمل تلك الورقة بصفة دائمة ليقدموها الى رجال الالتزام وقت المطالبة لأنها كانت تقوم مقام ايصال السداد.

وفي عام ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م وضع الصدر الأعظم محمد زاد باشا نظاما جديدا لجباية الجزية في الدولة العثمانية، ويقضى ذلك النظام بأن ترفع يد الملتزمين من المقاطعات المختصة بتحصيل ضريبة الجزية ومنحها لأولئك المعنيين من قبل الادارة المركزية لديوان الجزية في مدينة ادرنه، وعلى هذا النحو تصبح الجبايات في الدولة تجبى عن طريق متخصصين يعرف الواحد منهم باسم «ملتزم

أيضا أنه في السنة التي تحقق زيادة في الايراد لا تضاف تلك الزيادة الى الخزانة بل تترك جانبا لاستخدامها في النفقات والمصاريف في السنوات التي تقل فيها متحصلات الجزية عن المعتاد.

وفي دراسة أعدها شو في هذا الشأن أوضح من خلالها أنه حدث بالفعل أن المتحصلات خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر كانت تقل عن المعدل المعتاد لنفقات تحصيل الجوالي وأن العجز في الايراد كان يعوض من الخزينة السلطانية، كما أوضح أن العجز في سنة ٩٦٤هـ - ١٥٥٦ - ١٥٥٧ م بلغ ١٩٤,٥٢٢ بارة بينما بلغ العجز عام ٩٧٨هـ / ١٥٧٠ - ١٥٧١ م حوالى ٣٣٦,٠٠٠ بارة.

وفي خلال القرن السابع عشر أصبحت مقاطعة الجوالي في حيازة التزام أمراء مصر المماليك - كما هو متبع في معظم المقاطعات المدنية والريفية الأخرى - ولقد أدى هذا النظام الى فقدان السلطات الدينية القبطية جزءا من ادارتها اذ كانت عملية الجباية في بادئ الأمر من اختصاصها . فقد ورد في احدى وثائق المحكمة الشرعية ما يفيد أن البطريك القبطى يؤانس الرابع (١٥٧١ - ١٥٨٦م) كان ملزما بجزية النصارى الأقباط كذلك كان أمين الجوالي الذى أصبح فى الحقيقة هو الملتزم بدفع مبلغ ثابت سنويا الى «مال الجوالى» والى «مال كشوفية كبير» و«كشوفية صغير» وكان يستبقى الفائض من الجباية لصالحه اذا ما بلغت الحد الأعلى من المقرر لها، وكان المتبع أن يسند أمين الجوالى مهمة الجباية فى المناطق الريفية الى حكامها على أن يلتزموا بتسليمه مبلغا ثابتا كل سنة، وفى نفس الوقت يحتفظون لأنفسهم بما يعود عليهم بالنفع والفائدة وحيث ان أمين الجوالى يدير جاية الجزية مباشرة فى المدن الا أنه فى الاسكندرية

الجوالى» أو «جزية دار / مأمور تحصيل». وهؤلاء يرسلون إلى الولايات بالدولة عن طريق «ديوان الجزية» كأمناء مكلفين بأن يسلموا إليه ما تحصل من الجزية كاملة بعد عودتهم نظير مرتب ثابت.

ولقد قسم أهل الذمة - طبقا لهذا النظام - إلى ثلاث فئات عند دفعهم ضريبة الجزية تبعا لمقدرتهم على الدفع، فأولئك الذين يعتبرون أغنياء كانوا في الفئة العليا (عالي) وعلى كل فرد من تلك الفئة دفع أربع قطع ذهبية كل سنة، وأولئك الذين يعتبرون متوسطى الحال كانوا في الفئة الوسطى (أوسط) بدفع الواحد منهم قطعتين ذهبا سنويا، والباقي كانوا في الفئة الدنيا (أدنى) وعلى الفرد منها دفع قطعة ذهبية واحدة كل سنة.

ويقضى هذا النظام بإجراء مسح شامل لجميع الدمين في كل إقليم، وتحديد عدد أشخاص كل فئة سنويا، وعلى الرغم من تحديد أعداد كل فئة إلا أن ذلك كان عرضة لأنى يتغير في السنة التالية كما يقضى هذا النظام أيضا بأن يقوم ديوان الجزية بإصدار أوراق الجزية «تذاكر أو بطاقات» كل سنة هجرية بحيث يطابق أعداد كل فئة من الفئات الثلاث، وترسل الأوراق في صورة إلى جميع قضاة الأقاليم في ولايات الدولة التى تخضع لضريبة الجزية، وتقضى التعليمات ألا تفض هذه الصور إلا في أول أيام السنة الجديدة في شهر الحرم في المحاكم الشرعية بتلك الأقاليم. ومن الأمور التى تتميز بها أوراق الجزية أنه مؤشر عليها بالأحرف الأولى ومسجلة ومدموغة فى الإدارة المالية بالقسم الثامن بخزانة الحكومة المعروفة باسم «جزية محاسبة سى» أو محاسبو الجزية. ويوجد على كل ورقة السنة واسم الدفتر دار واسم الجزية دار وختمه وختم اثنين من الشهود اللذين يصحبهانه

كمساعدين له واسم المقاطعة وبيان الفئة وكانت ألوان الأوراق كالتى: حمراء للفئة العليا، وبيضاء للفئة الوسطى وصفراء للفئة الدنيا. وكان على الجزية دار طبقا لذلك النظام أن يقوم بتسليم تلك الأوراق إلى الممولين بعد أن يسجل أسماءهم وبياناتهم إذ أن تلك الأوراق تشكل بالنسبة لهم نوعا من الحماية. فلم يكن لهم أى حق فى حماية السلطان إذا أهملوا الاحتفاظ بها.

وقد روعى فى ذلك النظام ألا يتحرك ذمى بدون أعداد ورقية سداد له فى أى مكان وتقضى التعليمات بمنع الأشخاص القادرين على دفع الجزية من مغادرة بيوتهم خشية فرارهم وذلك قبل بدء عملية التحصيل كما يوقف أى ذمى فى الطريق ويطلب منه إبراز الورقة الدالة على سداد ضريبة الجزية.

وكان أول تطبيق لذلك النظام فى الأناضول وروم ايللى فى عام ١١٠٧ هـ / ١٦٩٦ م - ١٦٩٦ م، وفى السنة التالية أجرى تطبيقه فى سوريا ومعظم اجزاء من العراق ولقد كان لوفاء الصدر الأعظم محمد زاد باشا وكثرة المشاكل الداخلية وإخارجية التى تعرضت لها السلطنة العثمانية وقتذاك أن تأجل تطبيق ذلك النظام فى مصر إلى عهد السلطان محمد الأول (١٧٣٠ - ١٧٥٤). ففقد أصدر الباب العالي فى ربيع أول سنة ١١٤٧ هـ / أغسطس ١٧٣٤ م ثلاث فرمانات إلى السلطة الحاكمة فى مصر بخصوص تنظيم ضريبة الجوالى. يقضى فرمان الأول بأن يؤخذ التزام الجوالى من الملتزمين المالك يعطى فى أمانة الباشا العثمانى وأن تتولى الجوالى أو الجزية دار من سيأتى سنويا من قبل ديوان الجزية فى أدلة لترتيب وتسوية المتحصلات الفعلية للجزية. ويقضى فرمان الثانى

النظام الجديد لسداد ضريبة الجزية قد الحق. الضرر بفئات أهل الدمة. فقد روى [أن النصارى أجمعوا أمرهم بأن يطلعوا الى الديوان يراجعون فى هذا الأمر وكانوا نحو ألف نصرانى، فهم فى الرملة واذا بالعسكر قامت عليهم فضربوهم ومات منهم اثنان ورجعوا معاكيس].

كما روى أيضا [أن الدمين قد أخذ منهم الحشار نحو نصف الجوالى واعطاهم الوصلات (الاوصلات) على الحساب القديم، مائة وعشرون [كيسا] نصف فضة كل ذمى بالغ وغير بالغ من ستين الى ثلاثين فابت خدمة الجوالى أن يقعدوا (يردوا) بشيء مما أخذوه منهم فرجع النصارى على حسين كتحدا الدمياطى فصار يأخذ منهم الوصول (الاوصلات) ويدفع لهم أربعة ارباع ريال تعجز فى الوزن عجزا فاحشا، فصار النصرانى الفقير يأخذ وغير الفقير يتعفف عن الخمسين لصفاء].

ومما لا شك فيه أن النظام الجديد لجباية الجزية الذى بدأ تطبيقه فى مصر منذ عام ١٧٣٤ كان نتيجة جهود الباب العالى من أجل ضبط وأحكام نظام الجباية من أجل أن يحصل لنفسه على عائد من الجزية كان يذهب الى الملتزمين، فقد ذكر أحمد شلبي أن الجباة «قبضوا تلك العام (١٧٣٤م) ثمانمائة كيس ديوانى وشيء وقد كانوا يأخذوها الملتزمون بالجوالى من الوزير بشمالين كيسا ويأخذون من النصارى واليهود مائة وعشرين».

ومنذ أصدر الباب العالى الفرمانات الثلاثة فى عام ١٧٣٤م صارت الجوالى خارجة عن التزام مصر، وقد بدأ منذ ذلك العام اعداد حصر شامل لجميع الدمين المكلفين بدفع الجزية. ويذكر الجبرتي أن أمراء المماليك «تشاوروا فيمن ينزل بصحبة الاغا (على افندى) والكاتب من الأمراء

بتقسيم النصارى واليهود الى ثلاث فئات يدفع الشخص من الفئة العليا. (عالى) ٤٠٠ بارة ومن الفئة الوسطى (اوسط) ٢٠٠ بارة ومن الفئة الدنيا (ادلى) ١٠٠ بارة. أما الفرمان الثالث فيقضى بأن يتولى الجزية دار بعد أن يتم تسوية حسابات الجزية بعد الجباية تنظيم حساباته مع ديوان الروزنامة.

ويستفاد مما أورده أحمد شلبي أن النظام الجديد لتنظيم ضريبة الجزية فى مصر بدأ فى تنفيذه فى غرة جماد آخر سنة ١١٤٧هـ / ٢٩ أكتوبر ١٧٣٤م، فقد ذكر [وفى يوم الخميس خامس جماد آخر ورد رجل يقال له على أغا وكان دفتر دار القسطنطينية وصحبته سبعة خطوط شريفة قرئت بالديوان بحضرة العلما وأرباب السجاجيد وشيخ الاسلام وقاضى مصر عبد الله افندى ونقيب الاشراف والصناعى والأغوات والعساكر واختيارهم ثلاث خطوط بسبب الجوالى، جوالى اليهود والنصارى بآيات قرآنية واحاديث نبوية وأن على أغا هذا يكون قائما بخدمتنا وقبضة من غرة جماد آخر سنة ١١٤٧ (٢٩ أكتوبر ١٧٣٤) وأن يقبض من الأعلى أربعماية والأوسط مائتين والأدنى مائة ديوانى (بارة) فأجابوا بالسمع والطاعة واخذوا الدفاتر من حسين كتحدا الدمياطى واسلموها الى على افندى.

.. ثم إن القباض قبضوا من غرة جماد آخر سنة ١١٤٧ وكل من قبضوا منه يعطونه ورقة مختومة بأربعة ختم، ختم التاريخ وختم باسم ابراهيم اغا دفتر دار اسلامبول وختم بالأعلى والأوسط والأدنى، وختم فى ظهر الورقة وصاروا يكتبون شكل الذمى وملبوسه فى الورقة].

ويدور واضحا مما رواه أحمد شلبي أن تطبيق

الصناجق لتحرير بلاد قبلى فقال حسين بيك اخشاب: أنا مسافر بمنصب جرجا وينزل بصحبتى الأغا المعين وانظروا من يذهب الى بحرى. فقال محمد بيك قطامش: كل اقليم يتقيد بتحريره الكاشف المتولى عليه ومعه الأغا والكاتب. فاتفق الراى على ذلك».

وقد أعد تقرير فى عام ١١٤٩هـ / ١٧٣٧م يتضمن وجود ١٢٠,٠٠٠ ذمى فى مصر يمكن أن يدفعوا ضريبة الجزية، منهم ١٢,٠٠٠ فى الفئة العليا، ٢٤,٠٠٠ فى الفئة الوسطى، ٨٤,٠٠٠ فى الفئة الدنيا. وعلى أساس هذا التقرير قرر الباب العالى فى نفس هذا العام ان من بين كل مائة ممل يدفع عشرة أشخاص من الفئة العليا لكل واحد ٤٠٠ بارة، وعشرون من الفئة الوسطى يدفع الواحد ٢٠٠ بارة، وسبعون من الفئة الدنيا يدفع الواحد ١٠٠ بارة، وعلى هذا النحو فقد قدرت الضريبة التى سوف يدفعها ١٢٠,٠٠٠ ذمى بنحو ١٨,٠٠٠,٠٠٠ (ثمانية عشر مليون بارة) على ان يستقطع من تلك الحصيلة الاجمالية مبلغ ٦٧٩,٧١٠ بارة لحساب كاشفيه صغير ومرتبات تدفع للبasha العثمانى ولآخرين فى مصر حسبما تقرر فى النظام الجديد. والى جانب ذلك يدفع الجزية دار مالا ميريا للخزانة السلطانية قدر بمبلغ ١,٩١٦,٠٠٠ بارة كما يدفع مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ بارة بمثابة كاشفيه كبير وما تبقى بعد ذلك وقدره ١٥,٠٠٧,٢٩٠ بارة ترسل الى الباب العالى.

وبالاضافة الى ذلك كانت هناك رسوم اضافية تقدر بثلاثين بارة عن كل ذمى فى الفئة العليا، وعشر بارات عن كل ذمى فى الفئة الوسطى، وسبع بارات عن كل ذمى فى الفئة الدنيا، وكانت تجمع لتسديد مبلغ ٩٨٤,٠٠٠ بارة قيمة نفقات السفر

والاقامة لأولئك الذين يتولون عملية الجباية. وعلى أية حال فإنه على الرغم من تطبيق النظام الجديد لجباية الجزية فى مصر فإن أولئك الذين استفادوا فى الماضى من حق الجباية ظلوا فى حقيقة الأمر قادرين على الاحتفاظ بمعظم الفوائد التى كانت تعود عليهم. بينما أصبحت الخزنة السلطانية فى ظل النظام الجديد تحصل من المال على الأقل مما كانت تحصل عليه فى ظل النظام القديم. فلقد بدا واضحا أن نظام الجباية الجديد قد تعمد أن يحرم الحكام المحليين والمتزمين من حقهم فى جمع الجزية بينما جعل من نظام المسح الشامل للذمين أساسا للجباية الا أنه فى الحقيقة مضطر الى أن يعتمد على أولئك الذين فى يدهم السلطة الفعلية فى القرى والنواحي .. أى المتزمين - فعند اعداد بيان الحصر كان المتزمون يخفون وجود أعداد كبيرة من الذمين فى النواحي التابعة لهم لكى يستمروا هم فى جمع ضريبة الجزية من هؤلاء لمصلحتهم. وكان يحدث عند الجباية من تلك الاعداد المدونة فى بيان الحصر أن يقوم الجزية دار بتسليم ما يماثل تلك الاعداد من أوراق الجزية الى المتزمين لجبايتها وكثيرا ما كان المتزمون يجمعون الجزية لمصلحتهم ويردون الأوراق مدعين أن بعض الذمين الذين اشتمل عليهم بيان الحصر أما هربوا أو ماتوا وفى بعض الأحيان يقومون بجمع الضريبة المستحقة من رجال الفئة العليا ويعطونه أوراق الفئة الوسطى ويردون أوراق الفئة العليا على أنها لم تحصل محتفظين بالفرق لأنفسهم.

وعلى هذا النحو فإنه يمكن القول بأن الباب العالى لم يكن فى مقدوره - بالرغم من تطبيق النظام الجديد - ان يجمع من ضريبة الجزية أكثر مما

يسمح به الملتزمون الذين كانوا يتحكمون في قيمة الفائض الذى كان يرسل اليه فلقد اثبتت الاحصاءات على مدى حوالى ربع قرن من عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٧ م هـ إلى عام ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م - ان عدد الذميين الممولين وأموال الجباية التى جمعت والفائض المخصص للباب العالى كانت جميعا أقل بكثير مما قدر لها فى المراسيم السلطانية كما أثبتت تلك الاحصاءات مدى عجز الباب العالى فى الحصول على نصيبه من التزام جوالى مصر. وسوف نوضح ذلك على النحو التالى:

١ - فى عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٧ م قدر الباب العالى ان هناك ٣٠٠,٠٠٠ ذمى ارسلت لهم ٢٤٠,٠٠٠ ورقة جزية لجبايتها ولم يستطع على أفندى الجزية دار أن يكشف الا عن ١٢٠,٠٠٠ ذمى من الممولين وبمهارة على أفندى الادارية وبأمانته وزعت ١٠٧,٨٠٠ ورقة جزية وتم جمع مبلغ عشرة ملايين بارة.

٢ - فى الفترة م عام ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م الى عام ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م امكن توزيع ٣٥,٠٠٠ ورقة جمعت متحصلات قيمتها أربعة ملايين بارة فى كل سنة وقد جمعت تلك المتحصلات على وجه التحديد من أشخاص الفئة الوسطى.

٣ - فى مطلع عام ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م ارسل الباب العالى خليل أفندى - رئيس الكتاب بالباب العالى - ملتزما جديدا للجوالى فى مصر. وقد قام باعداد احصاء شامل اسفر عن وجود ٧٠,٠٠٠ ذمى من الممولين، وازاء هذا الاحصاء الذى قورن بمتحصلات

الجزية خلال السنوات الأربع الماضية، اصدر الباب العالى اوامره بأن ضرائب الجزية لعام ١٥٥٤ هـ / ١٧٤٢ م وما بعد ذلك تدبر على أساس أن يتحمل معظم الضرائب اشخاص الفئة الوسطى وانه بالامكان جمع مبلغ ١٣,٢٥٠,٠٠٠ بارة ومن هذا المبلغ يدفع ٢,٣١٦,٠٠٠ بارة الى الخزينة السلطانية ويدفع مبلغ ٦٧٩,٧١٠ الى الباشا والآخريين والباقي وقدره ٢٩٠,٢٥٤; ١٠, بارة ترسل الى الباب العالى.

٤ - فى عام ١١٥٤ هـ / ١٧٤١ م أرسل الباب العالى - طبقا لما قدره فى العام الماضى - ٧٠,٠٠٠ ورقة - ومما هو جدير بالذكر أن الملتزمين لم يصرفوا منها سوى نصفها فقط ، وقد تمت جباية مبلغ ٦,٢٢٥,٠٠٠ بارة فى كل سنة . وقد أرسل الى الباب العالى مبلغ ٣,٢٢٩,٢٩٠ بارة بعد أن دفع الجزية دار مستحقات الخزانة السلطانية والجوالى والآخريين.

٥ - فى عام ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢ م هبط عدد الذميين الممولين الى ٣٥,٠٠٠ ذمى مما جعل الباب العالى يصدر أوامره بزيادة الضريبة المفروضة على كل فئة من الفئات الثلاث ، وأصبحت الفئة العليا يدفع الواحد منها ٤٢٠ بارة والوسطى ٢١٠ بارة والدنيا ١٠٥ بارة وعلى هذا النحو يكون مجموع الجزية المستحقة ٧,٤٥٥,٠٠٠ بارة وقد زاد تبعا لذلك الميرى الى

وقدوره ٦٨٩,٧١٠ بارة فظلت مستحقتهما
كما هي دون تعديل وعلى هذا فان الفائض
المخصص للباب العالى قد زيد تبعا لذلك الى
مبلغ ٥,٣٢٦,٦٢٠ بارة منذ تلك السنة.

وفى حقيقة الأمر كان معدل المطلوب من
متحصلات الجزية للخزانة مبلغ ١١,٠٥٠,٠٠٠
بارة سنويا بينما المبالغ الفعلية التى سددت خلال
تلك المدة كان بمعدل ٦,٢٢٥,٠٠٠ بارة فقط أى
بنسبة ٥٢٪ فقط من مجموع المبلغ المطلوب وهذا
يعنى أن الملتزمين صرفوا ما مقداره نصف أوراق
الجزية التى أرسلت فى الوقت الذى كان يأمل فيه
الباب العالى - كما أشارت بذلك الفرمانات
الصادرة خلال تلك المدة - أن يحصل على ثلاثة
ملايين بارة سنويا على الأقل.

ومهما يكن من أمر - فعلى حد قول شو -
كانت معظم متحصلات الجزية تجدد طريقها
باستمرار الى الأمراء المماليك، وكان على الذميين
الممولين تبعا لتلك السياسة المالية أن يتحملوا تلك
الزيادات التى كانت تتقرر فى سنة بعد أخرى وهذا
كان - بطبيعة الحال - يمثل عبئا باهظا كما كان
أحد العوامل الرئيسية فى زيادة ضيقهم وبؤسهم.
ولقد بذلت مجهودات من جانب الباب العالى
عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م لإعادة ترتيب نظام الجزية
فى مصر على أساس إعادة النظر فى نظام عام
١١٤٧هـ / ١٧٣٤م بما يحقق لها عائدا أكبر وقد
رؤى أن تسترد جزية المقاطعات من الأمراء المماليك
مرة أخرى وأن تسند إلى أمانة الباشا العثمانى الذى
كان يدير أمرها من قبل ، وذلك من خلال مدير
ادارة الضرب فى مصر، وبهذا تحولت عملية ضبط
وادارة الجزية مرة أخرى إلى الباب العالى ومندوبيه.

١,٩٣٦,٦٠٠ بارة وكشوفية كبير الى
٤٥٠,٠٠٠ وكشوفية صغير والمرتبات الى
٦٨١,٠٠٠ بارة وما تبقى بعد ذلك وقدره
٤,٣٨٧,٤٠٠ بارة كان المفروض أن يرسل
الى الباب العالى سنويا.

٦ - وفى عام ١١٦٣هـ / ١٧٤٩ - ١٧٥٠م
حاول الباب العالى زيادة أعداد الذميين
الممولين الى ٤٠,٠٠٠ ذمى مما يمكنه من
جمع مبلغ يصل الى ٨,٠٨٥,٠٠٠ بارة
كل سنة وفى نفس الوقت تظل مستحقات
الخزانة السلطانية والوالى والآخرين كما هي
دون تغيير، وعلى هذا تضاف الزيادة فى
حصيلة الضرائب وقدرها ٦٣٠,٠٠٠ بارة
بكاملها الى المبلغ المرسل الى الباب العالى
ونتيجة لذلك يصبح ما يخص الباب العالى
مبلغ ٥,٠١٧,٤٠٠ بارة.

٧ - استمرت ضرائب الجزية خلال السنوات -
من ١١٧١هـ / ١٧٥٦م الى ١١٧٣هـ /
١٧٥٩ - ١٧٦٠ تجتمع بالكامل الا أن
البكوات المماليك أرادوا أن يخولوا لأنفسهم
الحق فى متحصلات الجزية، ولكن تهديدا
عثمانيا أثارهم بغزو البلاد أرغمهم على قبول
زيادة ضرائب الجزية ، وقد صدر فرمان تلك
الزيادة فى عام ١١٧٤هـ / ١٧٦٠م يقضى
بأن يدفع الذمى فى الفئة العليا ٤٤٠ بارة،
٢٢٠ بارة للوسطى، ١١٠ بارة للفئة الدنيا.
وهذا يجعل دخل الجزية السنوى يصل الى
٨,٤٧٠,٠٠٠ بارة كما تقرر زيادة الميرى
الذى يدفع الى الخزانة السلطانية الى
٢,٠٠٣,٦٦٤ بارة أما كشوفية كبير وقدره
٤٥٠,٠٠٠ بارة وكشوفية صغير ومرتبات

وفى ذلك العام حضر الى مصر أحمد أغا يحمل فرمانا من الباب العالى للاشراف على تطبيق النظام الجديد وتوزيع أوراق الجزية على الممولين.

ولقد حدث فى عام ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م أن أجرى مسح شامل للذمين فى مصر أسفر عن وجود ٩٠,٠٠٠ ذمى ملزمين بدفع ضريبة الجزية، ولكن ظهور على بك الكبير فى السنة التالية - والذى جعل من نفسه حاكما مستقلا بمصر - أرجأ العمل بالنظام الجديد مدة خمس سنين.

وعندما استعيدت السلطة العثمانية على مصر عام ١١٨٨ هـ / ١٧٧٥ م أرسل درويش عبد الرحيم أفندى - رئيس الكتاب بالباب العالى - كجزية دار ولكى يتم اصلاح نظام الجزية الذى كان قد بدأ قبل حركة على بك الكبير وأصبحت جزية المقاطعات تبعا لذلك النظام فى التزام الباشا العثمانى كما أسندت ادارتها الى مدير ادارة الضرب كأمين للجوالى.

ويسدو أن أعداد الجباة - الذين كانوا يرسلون الى النواحي لتحصيل ضريبة الجزية - كانت كبيرة للغاية مما كان يكبد الممولين أموالا باهظة نظير نفقات سفر هؤلاء الجباة واقامتهم. ولهذا فقد أصدر الباشا العثمانى خليل باشا فرمانا بتاريخ ١٥ ذى القعدة ١١٨٨ هـ / ١٧ يناير ١٧٧٥ م يقضى بالألا يزيد عدد الجباة المكلفين بجمع الجزية فى أى مقاطعة على خمسة أشخاص هم الجزية دار والكاتب - وهذان يمثلان أمانة الباشا العثمانى ، وفرد واحد من فرقة الجاوشان أو المتفرقة وفرد واحد يمثل أمراء المماليك . وجندى واحد يرسل عن طريق شيخ البلد. كذلك يقضى فرمانا بالألا يجمع

هؤلاء من أجل مصاريف اقامتهم - أكثر من ١٣ بارة من كل ذمى فى الفئة العليا ، و ١٠ بارات من الفئة الوسطى ، و ٧ بارات من الفئة الدنيا .

ولقد ذكر شوان هناك زيادة تقررت على الفئات الثلاث فى عام ١٧٧٥ بحيث صارت الضريبة المفروضة على أشخاص الفئة العليا ٤٥٣ بارة والفئة الوسطى ٢٣٠ بارة والفئة الدنيا ١١٧ بارة. وقد يعنى هذا أن الرسوم الاضافية التى تقررت للجباة طبقا للفرمان - فرمان خليل باشا السابق ذكره - لم تكن تجمع مباشرة من الذمين وانما كانت تضاف الى الخزينة نفسها وقد ذكر شوان أيضا أن المبلغ الاجمالى لحصيلة الضرائب ارتفع طبقا لتلك الزيادة التى تقررت - حيث أشار الى أن هناك ٩٠,٠٠٠ ذمى ممول - ارتفع الى ٢٠,٤٥٠,٠٠٠ بارة.

كما أثبتت الوثائق الرسمية أنه فى خلال السنوات الأربع من ١١٩٧ هـ / ١٧٨٣ م الى ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦ م قام ابراهيم بك ومراد بك - اللذان جعلوا من نفسيهما حاكمين مستقلين على مصر - بتحويل معدل سنويا قدره ١,٥٠٠,٠٠٠ بارة فقط الى الخزانة السلطانية . أما الباقي فقد احتفظ به الأمراء المماليك لمصلحتهم وأثبتت الوثائق الرسمية أيضا بأن ابراهيم بك ومراد بك حينما استعادا سلطانهما فى مصر عام ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م - بعد رحيل القبطان حسن باشا الجزائلى - لم يحولا شيئا الى الباب العالى وأن جميع متحصلات الجزية التى بلغت فى ذلك العام مليون بارة خصصت للخزانة السلطانية علما بأن الجباة زادوا أعباء الجباية لمواجهة متطلبات الإقامة والسفر الى ١١٣ بارة عن كل ذمى فى الفئة العليا ، ٦٣ بارة عن كل ذمى فى الفئة الوسطى و ٣٣ بارة للفئة الدنيا .

ولقد أوضح فرمان صادر من الباب العالي فى عام ١٢٠٩هـ / ١٧٩٤ م يتضمن المطلوب من الباشا العثمانى تحصيله من ضرائب الجزية وبعد دفع المستحقات المقررة يرسل الفائض الى الباب العالي. وقد جاء فى هذا فرمان «المطلوب طرف حضرت وزير روى ضمير الحاج صالح باشا محافظ محروسة مصر دامه الله ملتزم مقاطعة جوالى راي ديوان عاليشان بر موجب معتاد قديم وكشوفية صغير وذرارى عظام وعويدات ومرتببات سايرة بموجب مفردات دفتر حكم محاسبة ديوان مصر واجب سنة ١٢٠٩هـ والتعليمات برأى ديوان مصر وكشوفية صغير حضرت وزير عويدات ومرتببات ووظائف سايرة واجب سنة ١٢٠٩هـ عن معتاد المتحصلات ونفقات كشوفية صغير والعوايد والمرتبات والوظائف الجارية للجباة وطبقا لما هو مدون لسنة ١٢٠٩هـ فى دفاتر المحاسبة بديوان مصر حسب التعليمات بخصوص نفقات كشوفية صغير والوزير (الباشا العثمانى) والعوايد والمرتبات والوظائف الجارية للجباة .

«ولقد جاء فى هذا فرمان أيضا المبلغ المطلوب للخزانة السلطانية من مال الجوالى وقدره ٢,٥٩,٠٨٠ بارة وللعوائد مبلغ قدره ١,١٢٢,٠٣٤ بارة وما تبقى وقدره ١٥,٩٤٨,٨٨٥ بارة فيرسل الى الباب العالي .

كذلك صدر فرمان آخر من الباب العالي آخر عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥ م يحمل نفس عبارات تقديم فرمان السابق الا أنه أضاف مستحقات كشوفية صغير ومرتببات وعوايد سايرة - لمواجهة نفقات جباية الضرائب - فأصبحت ١,٢٥١,١١٩ بارة أما بقية المستحقات فظلت كما هى دون تعديل. أما المبلغ المتبقى بعد ذلك وقدره

١٥,٣١٩,٨٠٠ بارة فيرسل الى الباب العالي . ويتضح من خلال البيانات السابقة مدى مساهمة ضرائب الجزية فى المال الميرى كمصدر هام فى إيرادات الخزانة السلطانية فى مصر .

وقد أفاضت بعض المصادر التاريخية فى الحديث عما كان الذميون يعانون من ضيق بسبب أداء ضريبة الجوالى ، وما كان يصاحب عملية الجباة من أساليب العنف والقسوة والبطش من جانب الجباة والعسكر مادفع البعض منهم الى الهرب والاختفاء فى الجبال، فضلا عما ذاقه فقراء النصارى المصريين من مرارة ومهانة كانت تصل الى حد الحبس لغير القادرين على الدفع بل وحجز أولادهم للخدمة فى البيوت [انظر قصة الشيخ المهدي]، وفى العادة كان يقوم أثرياء الأقباط من الأراخنة أمثال : المعلم نيروز والمعلم رزق الله شكر الله والمعلم ابراهيم جوهرى - الذين قيل عنهم فى المخطوطات القبطية أنهم «كانوا يشترون الفقراء شرارى من حبس الجوالى ويخلصونهم» وقد قام بعض أولئك الأراخنة الأقباط بأحداث وقف يخصص لسداد المقرر على الأقباط المحبوسين غير القادرين على الدفع بسبب الجوالى أطلق عليه «وقف حبس الجوالى» .

بالإضافة إلى تلك السياسة التى خلت من وازع الضمير الدينى أو الانسانى أى اعتبار لما قد يترتب عليها من إثارة الحقد والتعصب بين أبناء المجتمع الواحد.

(٢) المغارم والالتزامات المالية:

تعرض أهل الذمة فى مصر ابان الحكم العثمانى لمغارم وأعباء مالية أخرى غير ضريبة الجوالى كانت تفرض لتغطية نفقات الحملات العسكرية حينما

تكون السلطنة العثمانية في حال حرب مع أعدائها خارج البلاد سواء من المسلمين أو غيرهم، من ذلك ما حدث في عام ١٥٦٦ - في عهد السلطان سليمان المشرع - عندما احتاج السلطان الى مبالغ من المال لنفقات سفر الجيش العثماني بقيادة سنان باشا - لفتح بلاد اليمن فأصدر السلطان أوامره أن يجمع ذلك المبلغ من أقباط مصر وفرض على جميع التجار والافرنج واليهود ومن جملتهم النصارى ألفى دينار.

وكان هناك بعض رؤساء الطوائف الذمية يتعرضون لمغارم شخصية من جانب بعض الحكام العثمانيين فقد أشار مصدر قبطي معاصر الى أن خليل باشا أرسل في عام ١٠٤١ هـ - ١٣٤٨ ق / ١٦٣١ م، رسولا يستدعى عن البابا متاوس الثالث (البطريك رقم ١٠٠) بسبب عدم قيامه بدفع الرسوم المعتادة بعد أن صار بطريكاً ويذكر المصدر أن ذلك بسبب وشاية قام بها بعض الحاقدين على البابا وأنهم طلعوا الى خليل باشا وأخبروه أن الذى يصير بطريكاً يقوم بدفع رسم كبير المقدار للمتولى على حكم مصر، فلما علم جماعة الأراخنة بتلك المؤامرة الخبيثة طلعوا الى القلعة وقابلوا خليل باشا الذى تكلم معهم فى شأن الرسوم وألزمهم بالقيام بدفع غرامة قدرها أربعة آلاف قرش، فنزل الأراخنة من عند البابا ممتلئين غمًا. وتذكر المصدر أيضا أن أحد اليهود دفع المبلغ المذكور من عنده الى البابا، وألزم جماعة الأراخنة أنفسهم بجمع هذا المبلغ ودفعه لليهودى.

كذلك كان الذميون المصريون يتعرضون لأعباء مالية أخرى أحيانا إلا أن كان يحدث وسط اجراءات مالية عامة تشمل جميع فئات الشعب

المختلفة. فقد حدث فى ختام عام ١٠٤٢ هـ / يونيو ١٦٣٥ م فى عهد السلطان مراد الرابع وأثناء ولاية أحمد باشا الكورجى أن تقرر سك العملة من النحاس ويجمع بدلها العملة الذهبية فى البلاد لتغطية نفقات الحروب الخارجية للدولة فى لبنان وفارس فكان لهذا الاجراء عواقب وخيمة على حالة البلاد الاقتصادية فعمت بسببه كوارث اقتصادية شملت كل المصريين الغنى والفقير والتاجر والصانع بلا تفرقة أو تمييز.

ويصف الرحالة فانسليب - واقعة اضطهاد طائفة من الاقباط فى حى الأريكية فى شهر سبتمبر من سنة ١٦٧٢ وذلك بقصد اجبارهم على دفع غرامة مالية لسلطات الحكم فيذكر أن الأقباط قاسوا اضطهادا عظيما لأن بعض الجند العثمانية قاموا بذبح امرأة خليعة وألقوا جثتها بعيدا عند بركة الأريكية فقام والى القاهرة ظلما وعدوانا بغلق كل بيوت النصارى المتاخمة لتلك المنطقة وأجبرهم على دفع غرامة مالية قدرها ألفا قرشا دية لهذا الدم المهدور اذا ارادوا أن يفتحوا بيوتهم ويسعوا الى معاشهم.

وكانت المغارم والأعباء المالية تحدث نتيجة الاضطرابات التى تعم البلاد بسبب الفتن الداخلية وأثناء الصراع الذى كان يدور بين العناصر الحاكمة للاستئثار بالسلطة، فلقد حدث فى السنة التالية للرسامة البابا بطرس السادس - البطريك (١٠٤) - فى عام ١٧١٩ م أن قامت فتنة بسبب الصراع على السلطة بين الصنjqق اسسما عيل بك ابن ايواز والصنjqق محمد بك شركس، ولقد بلغت الفتنة من شدتها أنها كانت أشبه بالحرب الأهلية وانتهاز الرعاع الفتنة فقاموا بأعمال السلب والنهب

وقد لجأ بعض الحكام من البكوات المماليك الى ابتزاز الأموال وفرض المغارم على كافة طوائف الشعب المصرى وذلك حتى يمكنهم الاتفاق على القوات المرتزقة وعلى أعمال التسليح.

بعد وفاة على بك الكبير استمر الصراع بين البيوتات المملوكية وأمرائها من أجل الوثوب الى السلطة وكان الامراء المماليك فى صراعهم هذا يطوفون بالبلاد يسلبون وينهبون ويفرضون الاتاوات على الأهلى من الأقباط المصريين مما كان يدفع بعضهم الى الهرب تجنباً لما كان قد يصيبهم من ضرب واهالة وقتل. ولقد ذكر الجبرتى فى حوادث ربيع الأولى عام ١٢٠٠هـ / يناير ١٧٨٦م أن مراد بك - وكان على رأس السلطة آنذاك - شرع فى السفر الى الوجه البحرى فى جماعة من كشافه ومماليكه، وطاف ببعض المدن والقرى مطالباً أهليها بالأموال المقررة مضافاً إليها حق الطريق، فإن تأخرت قرية أو بلدة فى أداء ما قرر عليها كان مصيرها الخراب والنهب والدمار. ولقد عين على الاسكندرية أحد كشافه يدعى صالح أغا - كتحدا الجاوشية سابقاً - الذى قرر لنفسه حق طريق مقداره خمسة آلاف ريال، كما قرر على أهلها مائة ألف ريال وأمر بهدم الكنائس فى حالة عدم دفع ما قرره.

وفى ظل حملة القبطان حسن باشا الجزائرى (١٧٨٦ - ١٧٨٧م) ضد ابراهيم بك ومراد بك أرسل يطلب من قاضى القضاة احصاء لما أوقفه المعلم ابراهيم جوهري يومئذ على الكنائس والديارات من أطيان ورزق وأملاك وغير ذلك. كما قبض العسكر على امرأته وفتحوا بيته عنوة واستولوا على كل ما فيه وكان شيئاً كثيراً وقدموه

واشعال الخرائق. ويعلق أحد المؤرخين الأوروبيين على تلك الفتنة بقوله أنها كانت بداية لسلسلة من القلاقل والمنازعات استمرت الى مجيء الحملة الفرنسية فلم تعد الخصومة قائمة بين حزب الوالى وحزب المماليك فحسب بل امتدت الخصومة بين أفراد الحزب الواحد للوصول الى الرياسة وبطبيعة الحال كان لهذه الفتن والقلاقل أوخم العواقب على أحوال البلاد الاقتصادية وكذلك على المسلمين وغير المسلمين وخاصة النصارى منهم.

كما ذكرت المصادر أن تلك الفتن كانت تستهدف الأقباط المصريين - وخاصة فى الصعيد - حتى اشتد الكرب عليهم اذ ضربت عليهم فى مطلع القرن الثامن عشر غرامة فادحة لم يعف منها أحد، وبيعت بسبب تلك الغرامة الجواهر الكريمة بأبخس الأثمان وألزم بهذه الغرامة القساوسة والرهبان والصبيان والفقراء وأرغم بطريرك الأقباط بدفعها عن القساوسة وخدام الدين.

وكانت المغارم تفرض وسط اجراءات سياسية صادرة من الباب العالى فقد حدث نتيجة ازدياد طائفة الكاثوليك وكثرة أعدادها وتوغلها فى كل أنحاء البلاد ورغبة الباب العالى فى الحد من ذلك النفوذ المتصاعد أن أصدر مرسوما عام ١٧٥٣م حملة بطريرك طائفة الملكية اليونانية الى السلطات الحاكمة فى مصر وذلك بمنع أبناء طائفة النصارى الشوام من دخول كنائس الكاثوليك الا فرنج فان دخولوا يدفعون للدولة ألف كيس، وقد سير ابراهيم كتحدا فى طلب أربعة من القساوسة من دير الكاثوليك فجاءوا بهم فحبسهم وأخذ منهم مبلغاً عظيماً من المال.

الى حسن باشا الذى باعه فى المزاد الذى استمر عدة أيام متتالية . كذلك قرر حسن باشا على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة ابراهيم بك ومراد بك الى الصعيد مبلغا كبيرا من المال قدر بخمسة وسبعين ألف ريال ، كما أمر باحصاء بيوت جميع النصارى ودورهم وما هو فى ملكهم وأن يكتب جميع ذلك فى قوائم وقرر عليها أجره مثلها فى العام، وأن يكشف فى السجل على ما هو جار فى أملاكهم، ثم قرر عليهم أيضا خمسمائة كيس فوزعوها على أفرادهم وقيل أنهم حسبوا الجوارى المأخوذة منهم من أصل هذا المبلغ على كل رأس أربعون ريالا ، كما قرر أيضا على كل شخص - سواء كان فى الفئة العليا أو الدنيا دينارا جزية، وذلك خارج عن الجزية الديوانية المقررة.

وتوالى موجات الابتزاز ، وتعدد صور المغارم والمصادرات فقد ذكر الجبرتى فى حوادث شهر ذى القعدة ١٢٠٠هـ / سبتمبر ١٧٨٦م «وفيه : قبض القبطان على راهب من رهبان النصارى واستخلص منه صندوقا من ودائع النصارى». كذلك ذكر الجبرتى فى حوادث هذا الشهر «قبض القبطان على المعلم واصف وحبسه وضربه وطالبه بالأموال». وواصل هذا أحد الكتاب المباشرين المشهورين ويعرف الايراد والمصاريف وعنده نسخ من دفتر الروزنامة ويحفظ الكليات والجزيات ولا يخفى عن ذهنه شئ من ذلك ويعرف التركى».

وقد ترك القبطان حسن باشا الجزائرلى البلاد فى يد اسماعيل بك بعد رحيله فى عام ١٧٨٧ - بدون منازع له بعد ابعاد منافسيه ابراهيم بك ومراد بك الى الصعيد، كما ترك أيضا عابدى باشا - قائد الجيوش العثمانية فى مصر لدعم سيادة الدولة

عليها. ولقد أحدث عابدى باشا غرامة مالية كبيرة على النصارى ، يروى الجبرتى أسبابها - فى حوادث شهر ربيع الأولى ١٢٠٢ / ديسمبر ١٧٨٧م - قائلا حضر عابدى باشا واسماعيل بك الى بيت الشيخ البكرى باستدعاء بسبب المولد النبوى فلما استقر بهم الجلوس ، التفت الباشا الى جهة حارة النصارى وسأل عنها فقال له انها بيوت النصارى فأمر بهدمها والمناداة عليهم من ركوب الحمير فسعروا فى المصالحة وتمت على خمسة وثلاثين ألف ريال منها على الشوام سبعة عشر ألف وباقيها على الكتبة».

ولم يكف مراد بك - عندما استعاد سلطته فى مصر مع ابراهيم بك بعد رحيل حسن باشا - عن فرض المغارم على الدمين ، فقد ذكر مارسيل - أحد علماء الحملة الفرنسية - أن مراد بك أظهر يوما أنه عازم على تجديد الملابس والأمتعة العسكرية وطلب ما يقوم بنفقاتها، ففرض على اليهود مبلغا كبيرا من المال اعانة لهذا المشروع، فاجتمع رؤساء اليهود وتناقشوا ماذا يصنعون لينجوا من تلك الغرامة الفادحة فاستقر رأيهم على أن يرسلوا الى مراد بك كبرى أحبارهم يسيان فيما ينجيهم من تلك الغرامة، فسارا اليه ولما مثلا بين يديه قالا : «أيها الأمير انا فقراء، ولو بعنا ممتلكاتنا وأولادنا وأنفسنا لا تجمع عشر ما تطلبه منا، فاذا أعفيتنا من هذه الضريبة التى يستحيل علينا دفعها نطلعك على كنز عظيم يكفيك مؤنة هذه المطالب، وهذا الكنز لا يعلم به أحد سوانا وقد تنقل هذا السر فى طائفتنا حتى وصل إلينا ونحن نوصله لأولادنا عندما تحضرنا الوفاة».

ولقد ذكر مارسيل فى روايته أن الحبرين اليهوديين أخبرا مراد بك بأن هذا الكنز مدفون فى جامع عمرو بن العاص فى مصر القديمة وأن مراد بك تحايل بدكاء من أجل الوصول الى هذا الكنز

يدفعوا الجزية.

قيود الدولة على أهل الذمة:

كانت السلطنة العثمانية وسلطات الحكم في مصر تصدر بين الحين والآخر أوامرها بأن يلتزم أهل الذمة بتلك القيود التي فرضت عليهم منذ الغزو العربي والتي ورد ذكرها في كتب الحنفية، حيث جاء «ويميز الذمي في زيه ومركبه وسرجه، ولا يركب خيلا ولا يحمل سلاح ولا أن يترك يركب الا لضرورة ولا يرحب بهم في الجامع ولا يلبس ما يخص أهل العلم والزهة والشرف، وتميز أنشاه في الطريق والحمام، ويجعل على داره علامة لكيلا يستغفر له، ولا يبدأ بسلام ويضيق عليه الطريق».

ويتضح مما سبق أنه كان على أهل الذمة الالتزام ببعض القيود في الملابس ومظاهر حياتهم اليومية، ولقد تمثلت قيود الملابس في إلزامهم الغيار، فكان على النصارى لبس الاسود أو الأزرق، وشدة الزنار حول أوساطهم فوق الثياب بينما تعين على اليهود اللون الأصفر. وتحدد اللون الأحمر لفرقة السامرة، أما نساء أهل الذمة فقد ألزمن بقيود الألوان في ملابسهن، وفرض على المرأة المسيحية أن تشد الزنار فوق ثيابها ومن تحت الأزار كما فرض على المرأة الذمية أن تتعل خفين من لونين متباينين لتمييزها عن المرأة المسلمة وتكون مسخة للناظرين.

ويستفاد مما أوردته بعض المصادر المعاصرة أن أهل الذمة حرم عليها دخول الحمامات العامة دون أن يميزوا أنفسهم بصليب من الحديد أو الرصاص أو النحاس في رقابهم لتمييزهم عن المسلمين، كما حرم عليهم ركوب الخيل الا أنه أجاز لهم ركوب البغال والحمير بالأكف عرضا - أي من ناحية

دون ما أثاره لأحد حوله وعند لحظة استخراج الكنز كان مراد بك والخبران اليهوديان يشهدون هذا الحدث الهام فاذا هو صندوق من حديد نصفه أحمر من الصدأ، ولما كسر الصندوق وجد فيه بعض أوراق الرق مكتوب عليها آيات قرآنية بخط كوفي - ويقول مارسيل أن الخبرين اليهوديين عندما رأيا ذلك فرا من بين الناس، وهربا قبل أن يظفر بهما مراد بك الذي استشاط غضبا، ولما عاد الى القاهرة ضاعف الغرامة المالية على اليهود وأصر على أن يدفعوها حالا، وكما يقول «مارسيل» ان مراد بك استعمل الكرياج لختهم على ذلك.

وتشير الوثائق الرسمية والمصادر القبطية الى أن الرهبان استمروا يتمتعون بالاعفاء من الجزية حتى عام ١١٤٧ هـ / ١٤٥٠ ش / ١٧٣٤ م، حينما تقرر أن يصبح الرهبان الممولين للجزية شأهم في ذلك شأن جميع الفئات الذمية وذلك خروجا على التقاليد السابقة. ولعل من الأسباب التي دعت الدولة الى اتخاذ هذا الاجراء ما جرى عليه العرف الاسلامي من اعفاء أملاك الكنائس والأديرة والمعابد من الضرائب، وعلى هذا أصبحت هناك طبقة مميزة من المصريين الأقباط لا تقع تحت طائل الأعباء المالية مما دعا كثيرا من النصارى الى اللجوء لوقف أملاكهم على الكنائس والأديرة كي يتخلصوا من أعباء الضرائب، ومن تسلط البكوات المماليك عليهم، وبدأت السلطنة العثمانية تفتن إلى ذلك فسعت إلى تجريد الأقباط المصريين من أي تراكم لأموالهم حتى لا تكون لهم مدخرات خاصة بهم تساندهم اقتصاديا وتسمح لهم بقدر ولو ضئيل من الحرية. فشمل الاحصاء الذي أجراه على أفندى - ملتزم الجوالي - عام ١٧٣٤ م كافة الرهبان لكي

النصارى بملابس بيضاء، وتكون ملابس النصارى عموما سوداء، ولعل هذا هو السبب فى أن معظم نساء مصر حتى اليوم يلبسون السواد.

ويروى أحمد شلبى طرفا من القيود التى فرضت على أهل الذمة فى أوائل القرن الثامن عشر فيما يتعلق بدخولهم الحمامات لتمييزهم عن سائر المسلمين، فيقول: «وفى خامس محرم سنة ١١٣٦هـ (٥ أكتوبر ١٧٢٣م) نزل أغا مستحفظان الى القاهرة وأشهر فيها النداء لجميع الطوائف اليهود والنصارى أن كل من دخل الحمام فلا يدخل الا وفى عنقه جلجل ليعرف الكافر من المؤمن». وكان من نتيجة ذلك أن «نادى بأن خدمة الحمام لا يخدمون داخل الحرارة أولادا مرداء، وكذلك طائفة المؤمنين لا يخدمون أولادا مرداء» ويعلق أحمد شلبى بعد ذلك على تلك الواقعة بقوله: ولم تمكث الا مدة يسيرة وعاد كل شيء الى أصله.

ويبدو أن تلك القرارات قد أثارت أصحاب الحمامات الذين عقدوا اجتماعا فيما بينهم للتشاور فى أمر ذلك الفرمان الذى سوف يسبب لهم خسائر فادحة خاصة وأن معظم المترددين على الحمامات من أهل الذمة، وأن استعمالهم للحمامات مصدر رزق لهم، وقد قرروا فى اجتماعهم أن يجمع منهم مبلغ كبير من المال يقدمونه رشوة الى الأغا لإلغاء ما جاء بالفرمان ويقول أحمد شلبى فى ذلك الصدد: «... ثم أن الحمامية اجتمعوا مع بعضهم البعض وقالوا الأمر خمار علينا وإن حمام من غير أمر لا يمكن، ثم اقتضى رأيهم أنهم جمعوا من بعضهم البعض ثمانية آلاف فضة وأوردوها الى الأغا على عدم المعارضة من دخول أهل الذمة الى الحمامين من غير جلاجل فى أعناقهم، فقطع لهم الأغا تذكرة بما أرادوا، ونزل شيخ الحمامين فرقها

واحدة - كذلك حرم عليهم حمل السلاح والتقلد بالسيوف. ولم يكن يسمح للذميين باتخاذ خدم من المسلمين اذ يعتبر ذلك اهانة للإسلام وأهله.

ولقد ذكر أحمد شلبى، وابن الراهب، أن الدولة أصدرت مرسوما فى عام ٩٨٨هـ / ١٢٩٦ق/ ١٥٨٠م أبان ولاية حسن باشا الخادم - قررت فيه أن يلبس اليهود الطرايطر الحمر، وأن يلبس النصارى البرانيط السود. كذلك ذكرت احدى المصادر القبطية أنه نودى فى البلاد فى ٢١ طوبة ١٣٦٥ق / ٢٦ يناير ١٦٤٩م «أن لا يركب النصارى خيولا، ولا يلبسون شدودا حمراء ولا طواقى جوخ حمراء ولا مراكيب، وإنما يلبسون شدودا زرقاء طول الواحد عشرون ذراعا».

ومن القيود التى فرضت على أهل الذمة أيضا فى ظل الاحتلال العثمانى، أنه لم يكن يسمح للأقباط بالسير فى الجنازات ودفن موتاهم الا بعد الحصول على إذن من الباشا العثمانى. ويذكر أحد المؤرخين الأقباط أنه عند وفاة البابا متاوس الرابع - البطريك (١٠٢) فى عام ١٦٧٥م، اجتمع سائر الكهنة الأقباط فى يوم جنازته ليطلبوا الاذن من الباشا بدفنه فسمح لهم بعد أن أخذ منهم أموالا كثيرة.

وقد عادت السلطات الحاكمة فى عام ١٣٩٤ق / ١٦٧٨م وزادت من التشديد على أهل الذمة بالالتزام بالقيود المفروضة عليهم فقد ذكرت احدى المصادر القبطية أنه نودى فى ذلك العام بأن يعلق النصارى فى رقبتهم جلجل، وفى رقبة اليهود جلاجلين واحد عند ولوجهم الحمامات، وأن يصبغ كل من اليهود والنصارى عمائمهم وألا يلبسوا أثوابا من الجوخ أو الصوف، ولا تأنزر نساء

لم يكن ضربه. يقول أحمد شلبي : «فى يوم الجمعة واحد وعشرين محرم سنة ١١٤٩ هـ (أول يونيو ١٧٣٦م) طلع عثمان كتخدا القردغلى الى القرافة ففى حال رجوعه عند رأس الجودية واذا ببتريك (بطريك) الأورام (الملكانيين) مقابله فقال له القواص : انزل يا بترك فأمر عثمان كتخدا بضربه فأنزلوه من فوق حماره وضربوه بالنبايت فصارت الرهبان الذين صحبته يتلقون الضرب عنه، ثم انهم شالوه وهو مرضوض من النبايت».

كما يذكر «شابرول» أيضا ، أن من الأمور التي كان تحرم على أهل الدمة قبول شهادتهم أو شهادة أى رجل ليس دينه الاسلام أمام المحاكم الاسلامية ضد المسلمين لذا لا يستدعى أهل الدمة مطلقا عند الفصل فى الأمور المدنية أو الجنائية عند العثمانيين. ومع ذلك فيمكن لقائد الشرطة أن يستعلم من أى ذمى عن أمور تدخل فى نطاق اختصاصه.

أما عن موقف الدولة من عمارة وترميم دور عبادة أهل الدمة فمن المعروف أن من الشروط التي وضعها الفقهاء المسلمون وألزموا أهل الدمة بوجوب اتباعها : «أنه لا يجوز أن يحدثوا بيعة ولا كنيسة ولا صومعة ولا بيت نار فى دار الاسلام، ويعاد المنهدم من غير زيادة على البناء الأول ولا يعدل عن النقص الأول أن كفى». فقد روت المصادر القبطية عن واقعة اضطهاد حدثت للأقباط اليعاقبة فى شهر أيب ١٤١٧ ق يوليو ١٧٠١ م ، ابان ولاية أحمد قره محمد باشا، بسبب شكوى رفعت اليه من بعض المسلمين بأن طائفة النصارى الأقباط أحدثت بنيان جديدا فى كنائسها، فعين الباشا أغا واشرك معه بعض المعمارين وقضاة الشرع وكلفهم بالكشف عن أبنية النصارى، فنزلوا وكشفوا وأثبتوا

على كل حمام مايتى نصف فضة لأن جملة حمامين القاهرة ثلاثة وسبعون حماما...».

ولقد حدثت واقعة طريفة - فى أعقاب ما جرى ذكره - رواها أحمد شلبي قائلا : «ومن جملة ما اتفق أن رجلا دخل الى حمام السكرية ، واذا برجل [مصرى] ذمى دخل الى الحمام وقلع حوائجه فإذا بالناطور قدم له الفوطة وقدم له جلجلا، فقال له الذمى : ما هذا ؟ فقال له الناطور: كما أمرنا الأغا، فأسبى الذمى أن يضع الجلجل فى عنقه ولبس حوائجه ولم يدخل وطلع يربى...».

كذلك حدث فى عام ١١٣٨ هـ / ١٧٢٦ م - ابان ولاية على باشا - أن عاد وفرض على أهل الدمة بعض القيود على غطاء الرأس امعانا فى إذلهم والتمييز بينهم وبين المسلمين، فيذكر أحمد شلبي أنه «فى رابع عشر جماد أول سنة ١١٣٨ هـ، أعطى الباشا فرمانا إلى أحمد أغا لهلوبة ينادى به فى شوارع القاهرة لطائفة اليهود بأن يلبسوا الطراير والطواقى الزرق، والنصرانى يلبس القلايق، والافرنج قلايق وبرايطة، ولا يلبسون جوخا أحمر ولا بوايج صفر ولا مزوز ولا شخاشين، وكل من خالف ولبس فللرعايا أخذه منه وللحكام أن يخرجوا من حقه ولجميع الغرباء كل من قعد بعد ثلاثة أيام يقتل ويكون دمه هدرا».

ولقد روى أحمد شلبي تلك الواقعة التي تمثل حلقة من حلقات القيود التي فرضت على أهل الدمة فيما يتعلق بالزام الذمى الترجل من على دابته عند مقابلة المسلمين وخاصة اذا كانوا من الحكام والسادة الكبار مهما كانت مكانة الراكب فى طائفته ، اذ كان عدم ترجله يؤدى الى الحاق الاهانة به ان

العالى اهانة» وقد اشترط السلطان فى ذلك الفرمان.. ان المعينين لهذه المهمة يكونون من أهل الديانة لأجل الكشف عن ذلك وهدم ما أحدثوه من البناء واخراج ما أدخلوه من تربة أموات المسلمين وإبقاء أديرتهم على رسومها القديمة على وجه الحق من غير غرض فى ذلك».

ولقد تعين لتلك المهمة عبد الرحيم عزى كشاف الاوقاف، ومصطفى أفندى كتحدا وشيخ الاسلام، والسيد الشريف يونس أفندى قاضى الديوان، والشيخ على كاتب الكشف ورفيقه الشيخ حسن، حيث توجهوا الى مصر القديمة وبصحبتهم الأمير يوسف أغا معمر باشى، من أمراء المتفرقة، والسيد الشريف عاشور - رئيس المهندسين - والحاج عيى - المهندس - والحاج عبد الهادى ابن ابراهيم - المهندس - وذلك للكشف على دير مارمينا الكائن بالقرب من فم الخليج بمصر القديمة، ودير الملاك القبلى الكائن بدير الطين، ودير قصر الريحان والكنيسة الكبرى، ودير منقريوس ودير النحلة والكنائس المعدة للنصارى القبط والنصارى الأورام التى بمصر القديمة. ولقد جاء فى الفتوى التى صدرت فى هذا الشأن بأن «أولئك المعينين لتلك المهمة وجدوا ان تلك الابنية على حالتها القديمة من غير أحداث حادثة ولا ضرر بجار ولا مار، ولا زيادة على ما كانت عليه من قديم الزمان، ولا بداخلها من ترب أموات المسلمين وإنما بها مرمات وعمارات متفرقة جزئية من العلو والسفل على الصنعة التى كانت عليها قديما، ولم تكن خارجة عن أصلها ولا بها بناء بارز عن أس جدرهم ولا علو عن قديم أصلها وأنها جميعا الآن على صفتها التى كانت عليه من قديم الزمان». وبناء على ذلك فقد أصدر القاضى - قاضى القضاة - تقريراً فى هذا الشأن.

أن الكنائس تحوى البناء المحدث الجديد، ولكن جماعة من أمراء الممالك تدخلوا وتشفعوا لدى الباشا، ففرض على الأقباط غرامة مالية كبيرة. واجتمع البابا يؤانس السادس عشر - البطريك - بكبار الأراخنة الأقباط، واتفق الرأى بينهم على أن يطوف البطريك بحارات النصارى ويدخل البيوت ويجمع منها ما تيسر الى أن يتم الحصول على الغرامة المفروضة بأكملها ولعلها كانت خطة للابتزاز.

وحدث فى عام ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م - أبان عهد السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠) أن رفع اليه بعض المسلمين شكوى جاء فيها أنه اشيع بين الناس خبر ضم والحق شىء من مقابر المسلمين لكنيسة النصارى الكائنة بمصر العتيقة الجارى تعميرها بموضعها القديم، ولرجو ولسترحم صاحب الدولة السلطان أفنديا باصداره أمره الكريم لصاحب العزة قاضى عسكر أفندى حتى يصير الكشف عن الأمر المذكور بمباشرة أحد من قبل الشرع».

هذا وقد بعث السلطان العثمانى - ردا على تلك الشكوى - بفرمان فى نفس العام جاء فيه : (... أنه بمصر القديمة دير مارى مينا الكائن بالقرب من فم الخليج بجوار تربة الأرمن ودير الملاك القبلى الكائن بدير الطين من الآثار الشريفة ودير منقريوس ودير قصر الشمع ودير النحلة المعدة للنصارى القبط والأورام وان فى بعض من الأديرة المذكورة أدخلوا من تراب أموات المسلمين فى الأديرة المذكورة وبعضهم بنوا وجددوا بناء عاليا عن رسومها القديمة وأحدثوا فيها بدائع. ومن علو البناء صار يكشف على بيوت أمة محمد وأن فى ادخالهم القطعة من تربة أموات المسلمين وفى تجديدهم البناء

على الكنائس والأديرة كما يعد تقرير شامل ومفصل يحتوى على كافة البيانات والمعلومات عن صحتها ، وعن جباية كافة رسومها وعوائلها القديمة.

ثبت بالبابوات المصريين الأقباط

وفترة ولا يتهم للكرسى البابوي بالعصر العثمانى

الرقم الترتيب	الاسم	الرقم الترتيب	الرقم الترتيب	الرقم الترتيب
٩٤	يوحنا (يوانس)	١٣	١٤٨٤	١٥٢٤
٩٥	غبريال	٧	١٥٢٥	١٥٦٨
٩٦	يوحنا (يوانس)	١٤	١٥٧١	١٥٨٦
٩٧	غبريال	٨	١٥٨٧	١٦٠٣
٩٨	مرقس	٥	١٦٠٣	١٦١٩
٩٩	يوحنا (يوانس)	١٥	١٦١٩	١٦٢٩
١٠٠	متاوس (متى)	٣	١٦٣١	١٦٤٦
١٠١	مرقس	٦	١٦٤٦	١٦٥٦
١٠٢	متاوس (متى)	٤	١٦٦٠	١٦٧٥
١٠٣	يوحنا (يوانس)	١٦	١٦٧٦	١٧١٨
١٠٤	بطرس	٦	١٧١٨	١٧٢٦
١٠٥	يوحنا (يوانس)	١٧	١٧٢٧	١٧٤٥
١٠٦	مرقس	٧	١٧٤٥	١٧٦٩
١٠٧	يوحنا (يوانس)	١٨	١٧٧٠	١٧٩٦
١٠٨	مرقس	٨	١٧٩٧	١٨١٠

- ويلاحظ اننا نذكر دائما اسم البابا وترتيبه فى قائمة البابوات.

* انظر صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية، د. موسى موسى نصر.
الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٠.

أورد فيه أنه ولم يكن هناك مقتضى شرعى لهدم الديورة المذكورة كما أن المهندسين المذكورين أخبروا بأن البناء المذكور ليس مضرا على الجار والمار ولم يكن بارزا عن اس جدره وأن ما قيل عن ذلك هو بخلاف الحقيقة كما أن الكنيسة صار تعميرها بموضعها القديم وعليه لا لزوم للتعرض للكنيسة المذكورة بعد أن تبين عدم الحاق ولا ضم شيء من مقابر المسلمين.

ولقد حدث فى عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٢م أن أمر بالكشف على الزاوية الكائنة بين كنيسة ابنى سيفين وألأ شنودة لا دعاء بعض المسلمين فى مصر القديمة أن النصارى احتلوا أجزاء من الزاوية المذكورة وأدخلوها بكنيسة أبا شنودة ومرقوريوس، وتعين لتحقيق تلك الشكوى قاضى أوقاف مصر والمهندسين، والنظر أيضا فى الترميم اللازم، وقد وجدوا بخلاف ما ادعوا به. وتصرح بأجراء العمارة اللازمة لهذه الكنائس.

كذلك حدث فى عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م أن تم تعيين من يلزم للكشف على أديرة النصارى ومن جملةتها دير أبى رويس، وذلك بناء على شكوى بعض المسلمين من أن كنيسة أبى رويس القائمة بالقرب من مقام الشيخ الدمرداش قد تعدت حدود ترميمها باستحداث رسوم جديدة لها. وقد أسفر الكشف عن أن الكنيسة المذكورة على ما هى عليه من قديم الزمان بخلاف المدعى به.

ويتضح - مما أوردناه من وثائق - أن العادات المتبعة خلال الاحتلال العثمانى أن يجرى كشف دورى كل عام على دور عبادة أهل الذمة الكائنة فى الديار المصرية بناء على فرمان يصدره السلطان العثمانى، وبمجرد وصول فرمان يصير الكشف

فتوى شرعية لصالح الأقباط

محكمة الدقهلية س ٥ ص ١٧٦ م ٤٦٨

صورة أمر شريف أحضره جماعة النصارى الشاكين بالمنصورة اللغة التركية هم يذكرون أنهم يسددون للإدارة مال الميرى ومال الجزية ويشتكون من الأشياء التى سترد بعد ذلك.

م ٤٦٩ صورة الفتوى التى بأيديهم فى خصوص ذلك

ماذا يقول السادة العلماء رضى الله تعالى عنهم فى طائفة من النصارى ساكنين بمدينة المنصورة بأملأهم عن آبائهم وأجدادهم ، وبجوارهم زاوية بابها للشارع السلوك وأصلها كانت ملكا لدمى ، وفى كل قليل يتعرض لهم جماعة بالأذية والاضرار ويعينون عليهم معينا من الديوان بالتساويف الباطلة، ويتعللون عليهم بأنهم يعلنون بنائهم (بنائهم) على المسلمين. وانما يقصدون بذلك ظلمهم وغرامهم بغير وجه شرعى. فهل والحالة هذه يجوز للجماعة المذكورين أذية طائفة النصارى المذكورين بالتساويف الباطلة عليهم والتعللات الواهنة. ويحرم عليهم ذلك لكون الدمين المذكورين (معصومون) خصوصا وقد أوصى عليهم سيد الأنام ومصباح الظلام لقوله عليه الصلاة والسلام من آذى ذميا أو انتقص ماله كنت حججه يوم القيامة. وإن استحلوا ظلمهم بذلك هل يكفرون بذلك وتبين زوجاتهم بذلك. وهل يثاب ولى الأمر نصره الله تعالى على الأخذ (...) وعلى منع كل من يتعرض بظلامة أو غرامة أو غير ذلك أفيدوا الجواب؟

(الرد)

مادة ٤٧٠

لا تجوز للجماعة المذكورين أذية طائفة النصارى المذكورين بالتساويف الباطلة عليهم والتعللات الواهنة ويحرم عليهم ذلك ويثاب ولى الأمر على منع من يتعرض لهم بغير وجه شرعى والله تعالى أعلم وكتبه عبد المنعم البشبيشى الحنفى.

مادة ٤٧١

يحرم على من سوف يعتدى على جماعة النصارى أو سعى فى أذيتهم أو ظلمهم أو تغريمهم شيئا لقول الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام من آذى ذميا أو أنقص ماله كنت حججه يوم القيامة الى غير ذلك مما روى فى هذا المعنى. وللنصارى المذكورين التصرف فى بنائهم وإن عرف من تسبب فى غرامهم كان لهم عليه الرجوع بجميع ما غرموه عليه لتسببه فى ذلك ، وبيان من له ولاية الأمر فى ذلك على كفى القهر عن الرعية المذكورين، وإن كانوا نصارى هم من جماعة الرعية وكل راع مسئول عن رعيته. والله الموفق وكتب أفقر العباد الى عفوره الجواد محمد بن قمر الباب الأزهرى المالكى عفى ربه عنه.

مادة ٤٧٢

نعم لا يجوز للجماعة المذكورين أذية طائفة النصارى المذكورين ولا اضرارهم ولا ظلمهم ولا التسبب فى تغريمهم بالتساويف الباطلة عليهم ولا التعلل عليهم بالأوهام الباطلة الواهنة، بل يحرم على الجماعة المذكورين ذلك، ويلزمهم التعدير الشديد اللائق بحالهم الزاجر لهم ولأمثالهم عن قبيح أفعالهم بما يراه الحاكم باجتهاده من حبس أو ضرب أو نفي أو غير ذلك باجتهاد الحاكم. بل كل من استحل ظلمهم كفر وخرج عن الإسلام وجرت

لا يركبوا النصارى (النصارى) خيول ولا يلبسوا
شدود زرق، وطول الشدة عشرة أذرع من غير زيادة ،
والله تعالى يحسن العاقبة والحمد لله وحده .
بطريركية ، ٥٠ مقدسة ورقة ١٣٤ ب

ملحق رقم (٢)

الأوامر الصادرة من المحتسب
بفرض بعض القيود على الأقباط
واليهود والمسلمين

ونادى (المحتسب) ان النصارى (النصارى) ما
يدخلوا الحمام (الا) كل واحد بجلجل فى رقبته
واليهود بجلجين، وبعد قليل نادى النصارى واليهود
يصبغوا عمايمهم (عمائمهم) . وبعد قليل نادى
انهم لا يلبسون جوخ ولا أصواف (الجوهرى) ولا
هنادى ولا بروجيات ، وبعد قليل نادى للمسلمين
أن لا أحد يمشى حافى ولا يدخلوا حمام الا
بقبقاب، وكل من (كل من) سمع الاذان ولا يدخل
يصلى يطره (يضره) ويجرسه. ونادى أن لا أحد
من النسوان (النساء) يركب برقع وان نسوان
النصارى ما يلبسوا يزر (ازار) بيض، ونادى أن
النصارى لا يلبسوا ثياب بيض ولا بفت بيض ولا
أحزمة بيض ولا لباسات بيض الا كل شىء ان
لبسوه يكون اسود، وهذا ما حصل ، ونسأل من
صاحب كنوز الرحمة أن يصلح أحوال شعبه ، فان
جميع هذه من كثرة (كثرة) خطايانا وقلت (قلة)
الحبة وكثر الحسد والسلام.

١٣٩٤ للشهداء / ٧٧، ١٦٧٨ م

المتحف القبطى، ٩٤ مقدسة الورقة الثانية

عليه أحكام المرتدين لأنهم (معصومون) فلا يحل
لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يظلمهم لأمر سيد
المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم بالوصية بهم
فى أحاديث كثيرة. ويثاب ولى الأمر نصره الله
تعالى على الأخذ بيدهم وعلى منع كل من يتعرض
لهم بظلم أو غرم وغير ذلك والله أعلم وكتبه
محمد المرحومى الشافعى.

مادة ٤٧٣ - الحمد لله

لا يجوز للجماعة المذكورين أذية طائفة
النصارى المذكورين بالتساويف الباطلة عليهم
ويحرم عليهم ذلك لكون الذميين المذكورين
(معصومون) ولا يجوز لأحد أذيتهم بغير وجه
شرعى والله أعلم كتبه حمدان المقدسى الحبلى.

ص ١٨١ م ٤٩١

صورة بيورلدى شريف بسبب رفع ببيان
النصارى واليهود ومنعهم من علو البيان المشرف
على أمة محمد (أى منعهم من تعلية منازلهم عن
منازل المسلمين) الى حكام وقضاة ولايات القليوية
والشرقية والمنصورة والغربية والمنوفية ودمياط
والبحيرة والجيزة.

فى ١٠ م ١٠٨٢ هـ

ملحق رقم (١)

الأوامر الصادرة من أمير اللواء السلطانى الى
ناحية ملوى بالمليا بفرض بعض القيود على الأقباط
(١٣٦٥ للشهداء / ١٦٤٩ م) ولما كان تاريخ يوم
الثلاثاء ٢١ طوبة ١٣٦٥ للشهداء حضر الى ناحية
ميلوى (ملوى) حضرة مولانا أمر (أمير) اللواء
الشريف السلطانى الأمر على سبيل أمر اللواء وأخذ
العبيد والجوارى (جوارى الأقباط) ونادى منادى أن

ملحق رقم (٣)

مشاكل تجاور المساجد والكنائس

حجة الكشف على المساجد

والكنائس الكائنين بقصر الجمعة

وبحارة شنودة بمصر القديمة

بعد الاذن الكريم العالى من حضرة سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام ملك العلماء الاعلام قاضى النقض والابرار محرر القضايا والاحكام مرجع عامة الفضلا الفخام مؤسس قواعد الشرع على أتم نظام رحمة الله الشاملة للخاص والعام مؤيد شريعة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام الناظر فى الاحكام الشرعية والأمور الدينية بمدينة مصر المحمية دامت له الرتب العلية بخدمة سيدنا محمد خير البرية. أمين بنظر القضية بطرة المرفوعة لديه من قبل الشيخ شمس الدين محمد الشعرانى مضمونها ان بمصر القديمة بحارة النصارى المعروفة بقصر الجمع كنائس مجاورة لمساجد المسلمين وبنائها شاهق فى العلو على المساجد وان النظار على الكنائس اخربوا المساجد وأخذوا غالب طوبهم وأحجارهم وعمروا بها كنائسهم والمستول من الصدقات العلية أمرهم الشريف لنايكم بمصر القديمة بان يكشف على ذلك ويكتب بذلك حجة ويعرضها على حضرتكم لترتبوا على كل أمر مقتضاه ولكم الدعا فبرز أمره الشريف لنظر القصة المذكورة بالكشف، امثل ذلك مولانا الحاكم المشار اليه أعلاه الى قصر الجمعة

المذكور وكشفوا جميعا على الكنائس المذكورين أعلاه فوجدوا مسجدا بين كنيسةين احدهما تعرف بكنيسة بربارة متعلقة بالنصارى والثانية تعرف بكنيسة (اليهود) ووجدوا حائط الكنيسةين المذكورين شاهقتا فى العلو على حائط المسجد المذكور، وجعلوا حائط كنيسة النصارى من المسجد المذكور وهو خراب مستهدم بينهما وكشفوا أيضا على كنيسة تعرف بالمعلقة فوجدوا بجوارها مسجدا خرابا مستهدما موضوع به بعض طوب وأتربة والكنيسة المذكورة عامرة متقنة البنا بجواره وكشف على كنيسة تعرف بأبو سرجة فوجدوا بجوارها مسجدا يعرف بوقف المرحوم ابراهيم النعمانى وعلوه آيل الى السقوط من الداخل وحائط الكنيسة شاهق عليه، وكشف على كنيسة تعرف بالسيدة فوجدوا بالقرب منها مسجدا (وأتربة) لم يظهر الآن منه غير معالم الخراب والمنار. ثم كشف أيضا على حارة شنودة فوجدوا بها كنيسةين احدهما تعرف بمنقربوس والثانية تعرف بالقلاية لم يوجد بجوارها مسجدا ووجدوا أبواب الكنائس المذكورين جميعهم مغلقين، فعند ذلك أمر مولانا الحاكم المشار اليه أعلاه بتسمير الكنائس المذكورين جميعهم فسمروا جميعا بأمر منه. هذا ما تحرر من الكشف المذكور أعلاه وكتب ذلك ضبطا لما هو الواقع ليعرض على من له ولاية الأمر فى ذلك وغيره ليرتب على كل أمر مقتضاه تحريرا فى تاريخه.

مصر القديمة من ١٠١ ص ٧٠ م ١٨٩

٢٦ ذى القعدة ١٠٥٧ هـ - ١٢ / ٢ ١٦٤٧ م



(وصل)

وفي تلك السنة أعنى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف نزل بقارب شيحة*، الذى أخذ المليح والمليحة، مات به الكثير من الناس المعروفين وغيرهم مالا يحصى، ثم خف وأخذ ينقر فى سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف، وكان قوة عمله فى رجب وشعبان، وولد للسلطان مصطفى مولود فى تلك السنة، وورد الأمر بالزينة فى تلك الأيام فكانت أبرد من يخ، وهذا المولود هو السلطان سليم المتولى الآن، ولما قتل حسين بك القازدغلى المعروف بالصابونجى وتعين فى الرئاسة بعده على بك الكبير وأحضر خشداشينه المنفيين واستقر أمرهم، وتقلد إمارة الحج سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، فبيت مع سليمان بك الشابورى وحسن كتحدا الشعراوى وخليل

* طاعون قارب شيحة.
فى ١١٧١ = ١٧٥٧ م.

* مولد السلطان سليم الثالث



جاويش حيضان مصلى وأحمد جاويش المجنون، واتفق معهم على قتل عبد الرحمن كتخدا فى غييته، وأقام عوضه فى مشيخة البلد خليل بك الدفتردار، فلما سافر استشعر عبد الرحمن كتخدا بذلك فشرع فى نفى الجماعة المذكورين، فأغرى بهم على بك بلوط قن فنفى خليل (٦١٠) جاويش حيضان مصلى وأحمد جاويش إلى الحجاز من طريق السويس على البحر، ونفى حسن كتخدا الشعراوى وسليمان بك الشابورى مملوك خشداشه إلى فارسكور، فلما وصل على بك وهو راجع بالحج إلى العقبة وصل إليه الخبر فكتم ذلك، وأمر بعمل شنك يوهم من معه بأن الهجان أتاه بخبر سار، ولم يزل سايرا إلى أن وصل إلى قلعة نخل، فأنحاز إلى القلعة وجمع الدويدار وكتخدا الحج والسدادرة وسلمهم الحجاج والحمل وركب فى خاصته وسار إلى غزة وسار الحجاج من غير أمير إلى أن وصلوا إلى أجروود، فأقبل عليهم حسين بك كشكش^(١) ومن معه يريد قتل على بك فلم يجده، فحضر بالحجاج ودخل بالحمل إلى مصر، واستمر على بك بغزة نحو ثلاثة أشهر وأكثر، وكاتب الدولة بواسطة باشة الشام فأرسلوا إليه واحد أغا ووعدوه ومنوه وتحيلوا عليه حتى استصفوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك، ثم حضر إلى مصر بسعاية نسيبه على كتخدا الخربطلى وأغراضه، ومات بعد وصوله إلى مصر بشمانية أيام، يقال إن بعض خشداشيه شغله بالسم حين كان يطوف عليهم للسلام.

وفى تلك السنة حضر مصطفى باشا واليا على مصر واستمر إلى أواخر سنة أربع وسبعين ومائة وألف، ونزل إلى القبة متوجها إلى جده فأقام هناك، وحضر أحمد باشا كامل*

١١٧٣ هـ.

١٤٧٦ ق.

١٧٥٩ م.

غاية الفيضان: ١٧ قيراط / ٢٢ ذراع

□ ١ توت سنة ١٤٧٦ = ١٠ سبتمبر

١٧٥٩ = الاثنين ١٧ محرم سنة

١١٧٣.

□ فيها كان انهدام بعلبك وطرابلس بسبب زلازل عظيمة حصلت فى ١٤ ربيع ثانى.

□ فيها عزل محمد سعيد باشا، بعد أن حكم مصر سنتين، وتولى بعده مصطفى باشا.

□ ١ يناير ١٧٦٠ = ٢٤ كيهك ١٤٧٦ = الثلاث ١٢ جماد أول ١١٧٣.

□ فيها جدد الأمير عبد الرحمن كتخدا رحاب السيدة زينب، رضى الله عنها، ووسعه، وبني بجوارها رحاب سيدى محمد العتريس، أخى سيدى إبراهيم الدسوقي، وفيها جدد المذكور جامع السيدة سكيته، بشارع الخليفة.

□ فيها اخترع جورج بتراج، الفرنساوى، آلة التلفراف.

□ فيها حاصرت البروسيانون درسه بدون قائدة ولا طائل.

□ فيها كان أو استعمال مائة الصواعق التى اكتشفها فرنكلين سنة ١٧٥٢.

مصطفى باشا.

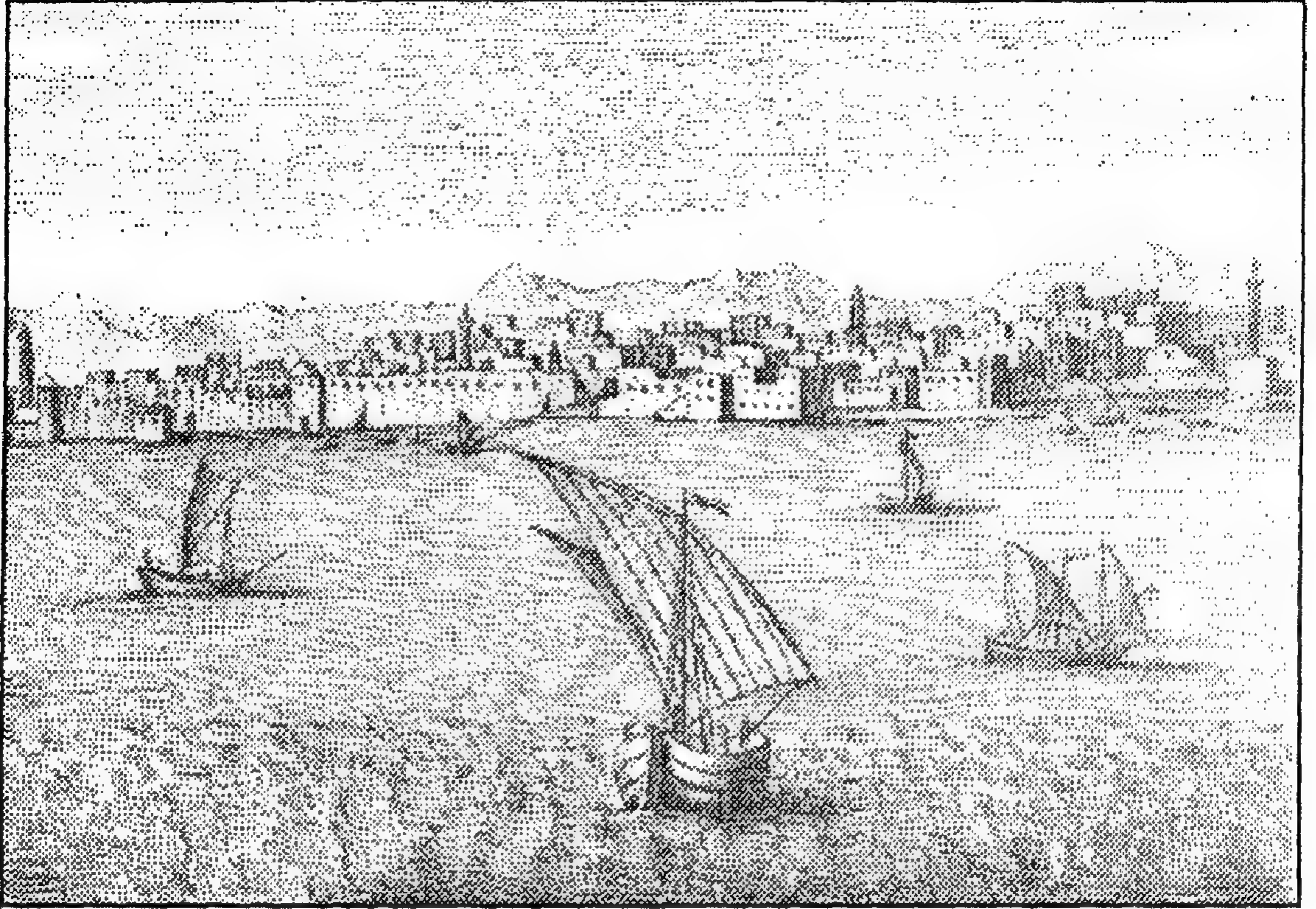
١٠٧

١١٧١ = ١٧٥٧ م.

أحمد باشا كامل.

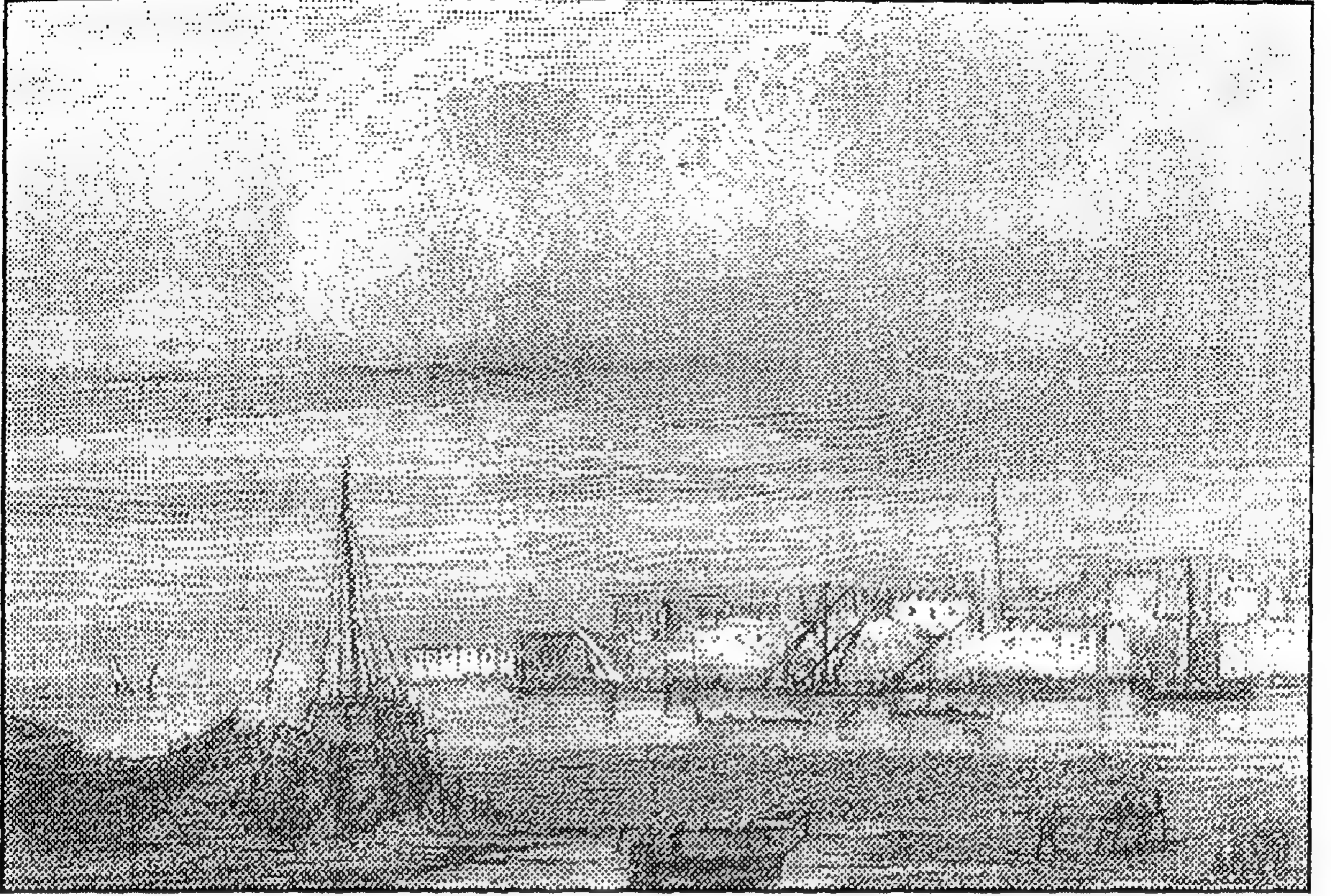
١٠٨

١١٧٤ = ١٧٦٠ م.



* ميناء جدة

المعروف بصبطلان في أواخر سنة أربع وسبعين ومائة وألف
 [١٧٦٠م]، وكان ذا شهامة وقوة مراس، فدقق في الأحكام
 وصار يركب وينزل ويكشف على الأنبار والغلال،
 فتعصبت عليه الأمرا وعزلوه وأصعدوا مصطفى باشا
 المعزول وعرضوا (ص ٦١١) في شأنه إلى الدولة، وسافر
 بالعرض الشيخ عبد الباسط السنديوني، ووجه مصطفى
 باشا خازن داره إلى جدة وكيلا عنه، ولما وصل العرض إلى
 الدولة وكان الوزير إذ ذاك محمد باشا راغب فوجهوا
 أحمد باشا المنفصل إلى ولاية قندية^(٧)، ومصطفى باشا
 إلى حلب، ووجهوا باكير باشا* إلى حلب إلى مصر،
 فحضر وطلع إلى القلعة وأقام نحو شهرين ومات ودفن
 بالقرافة سنة خمس وسبعين ومائة وألف، وحضر



* ميناء السويس.

١١٠ حسن باشا.

حسن باشا في أواخر سنة ست وسبعين ثم عزل،
وحضر حمزة باشا في سنة تسع وسبعين ومائة وألف
[١٧٦٥ م] وسيأتي تنمة ذلك.

١١٧٤ هـ.

١٤٧٧ ق.

١٧٦٠ م.

غاية الفيضان: ١ قيراط / ٢٤ ذراع

□ ١ توت سنة ١٤٧٧ = ٩ سبتمبر ١٧٦٠

= الثلاثاء ٢٨ محرم سنة ١١٧٤.

□ فيها استولت النمساويون على غلاتز،

والروسيون على برلين □ فيها افتتحت

الانكليز كندا.

□ فيها كانت وفاة جورجى الثانى، وسلطنة

جورجى الثالث على انكلترة.

□ ١ يناير ١٧٦١ = ٢٥ كيهك ١٤٧٧

= الخميس ٢٤ جماد أول ١١٧٤.

□ فيها عزل مصطفى باشا، بعد أن

حكم مصر سنة واحدة، وتولاها بعده

أحمد كامل باشا.

□ فيها انهزمت فرنساوية انهزاما بحريا

في الهندستان.

□ فيها استولت الانجليز على بوندشيرى.

واستقر الحال وتقلد في إمارة الحج حسين بك كشكش
وطلع سنة أربع وسبعين ومائة وألف [بالحج]، ووقف له
العرب في مضيق وحضر إليه كبارهم وطلبوا مطالبهم
وعوائدهم، فأحضر كاتبه الشيخ خليل كاتب الصرة وأمرهم
بدفع مطلوبات العرب، فذهبوا معه إلى خيمته وأحضر المال
وشرع الصراف يعد لهم الدراهم، فضرب عند ذلك مدفع
الشيل فقال لهم «حينئذ لا يمكن فى هذا الوقت فاصبروا
حتى ينزل الحج فى المحطة يحصل المطلوب» وسار الحج
حتى خرج من ذلك المضيق إلى الوسع، ورتب مماليكه
وطوايفه وحضر العرب وفيهم كبيرهم هزاع، فأمر بقتلهم

فنزّلوا عليهم بالسيوف فقتلوه عن آخرهم، وفيهم نيف وعشرون كبيراً من مشايخ العربان المشهورين خلاف هزاع المذكور، وأمر بالرحيل وضربوا المدفع وسار الحج وتفرقت قبائل العرب ونساؤهم يصرخون بطلب الثار، فتجمعت القبائل من كل جهة ووقفوا بطريق الحجاج وفي المضايق وهو يسوق عليهم (ص ٦١٢) من أمام الحج وخلفه ويحاربهم ويقاتلهم بمماليكه وطوائفه، حتى وصل إلى مصر بالحج سالماً ومعه روس العربان محملة على الجمال، ودخل المدينة بالحمل والحجاج منصوراً مؤيداً، فاجتمع عليه الأمرا من خشداشينه وغيرهم وقال له على بك بلوط قين «إنك أفسدت علينا العرب وأخربت طريق الحج، ومن يطلع بالحج في العام القابل بعد هذه الفعلة التي فعلتها؟» فقال «أنا الذي أسافر بالحج في العام القابل ومنى للعرب أصطقل!!» فطلع أيضاً في السنة الثانية وتجمع عليه العرب ووقفوا في كل طريق ومضيق وعلى روس الجبال، واستعدوا له بما استطاعوا من الكثرة من كل جهة فصادمهم وقاتلهم وحاربهم وصار يكر ويفر ويخلق عليهم من أمام الحج ومن خلفه حتى شردهم وأخافهم وقتل منهم الكثير، ولم يبال بكثرتهم مع ما هو فيه من القلة فإنه لم يكن معه إلا نحو الثلثماية مملوك خلاف الطوائف والأجناد وعسكر المغاربة، وكان يبرز لحربهم حاسراً رأسه مشهوراً حسامه فيشتت شملهم ويفرق جمعهم، فهابوه وانكمشوا عن ملاقاته وانكفوا عن الحج، فلم تقم للعرب معه بعد ذلك قائمة، فحج أربع مرات أميراً

١١٧٥ هـ.

١٤٧٧ ق.

١٧٦١ م.

غاية الفيضان: ٥ قيراط / ٢٢ ذراع

□ ١ توت ١٤٧٨ = ٩ سبتمبر ١٧٦١ =

الأربع ٩ صفر سنة ١١٧٥.

□ فيها الأمير عبد الرحمن كتحدا أجرى

عمارة عظيمة في جامع سيدنا الحسين

وزاد في تحسينه وروثقه، كذا في جامع

السيدة عائشة النبوية، بقرب ميدان محمد

على.

□ في ١٢ ربيع الثاني حصلت زلازل عظيمة

في سوريا.

□ ١ يناير سنة ١٧٦٢ = ٢٥ كيهك سنة

١٤٧٨ = الجمعة ٥ جماد الثاني ١١٧٥.

□ فيها كانت ولادة السلطان الغازي سليم

خان الثالث.

□ فيها عزل العسكر أحمد كامل باشا، بعد

أن حكم سنة، وأرجعوا مصطفى باشا،

الذي كان قبله، وعرضوا ذلك للدولة قلم

تقبل، وأمرت أن أحمد باشا يكون والياً

في قونية ومصطفى باشا في حلب،

وباكير باشا في مصر، فتولاها شهرين ثم

توفي.

□ فيها فقدت الفرنساويون والاسبانيوليون

مستعمراتهم.

١١٧٦ هـ.

١٧٤٨ ق.

١٧٦٢ م.

غاية الفيضان: ١٣ قيراط / ٢١ ذراع

□ فيها كانت نهاية المحاربات بين البروسيا وبين

أسرج.

□ ١ توت ١٤٧٩ = ٩ سبتمبر سنة ١٧٦٢

= الخميس ١٩ صفر سنة ١١٧٦.

□ فيها تولى مصر حسن باشا بعد وفاة باكير

باشا.

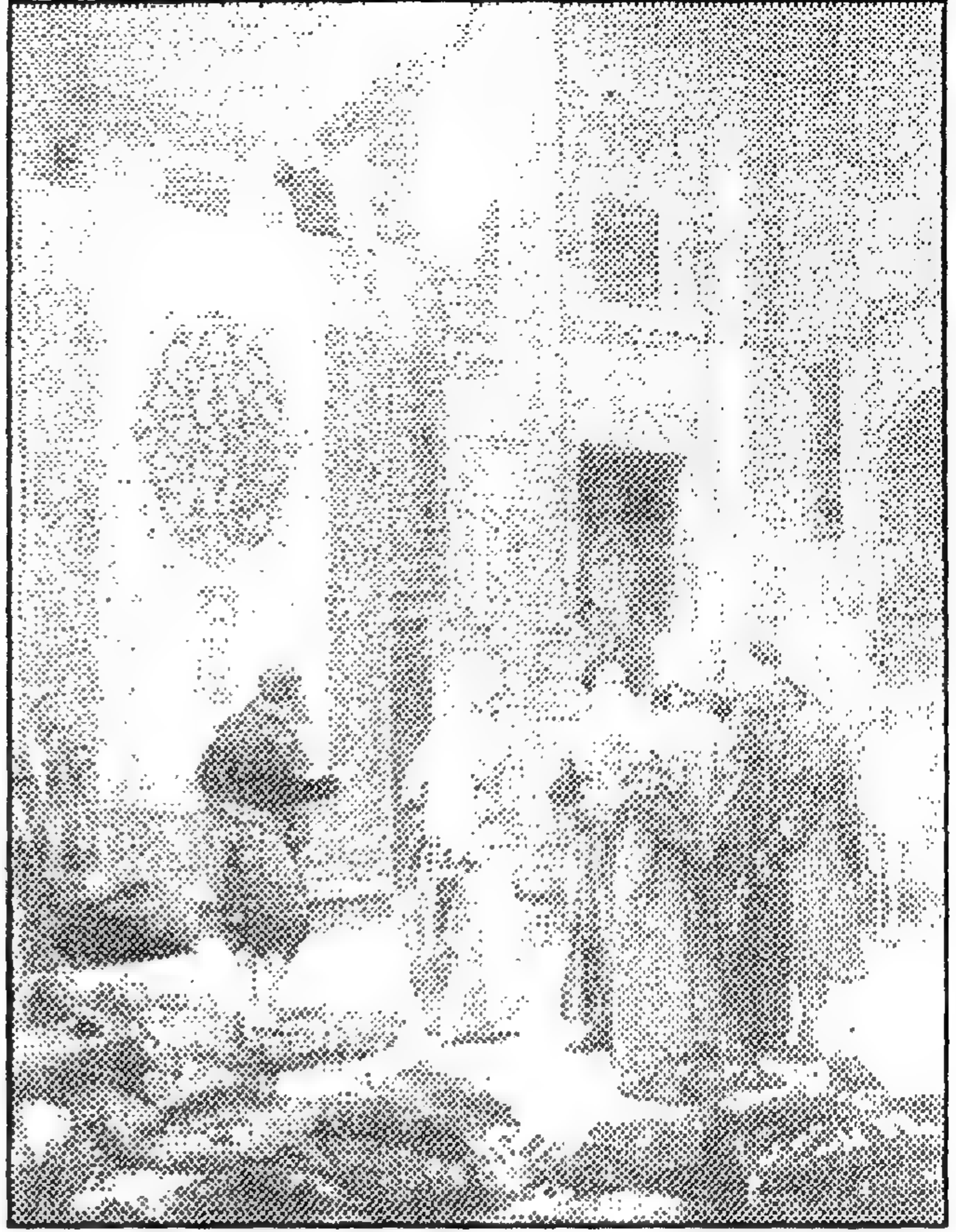
□ فيها عزل بطرس الثالث القيصر الروسي

وسجن ثم قتل.

بالحج آخرها سنة ست وسبعين ومائة وألف، ورجع سنة سبع وسبعين ومائة وألف [١٧٦٣م]، ولم يتعرض له أحد من العرب ذهاباً وإياباً بعد ذلك، وكذلك أخاف العربان الكاينين حوالى مصر ويقطعون الطريق على المسافرين والفلاحين ويسلبون الناس، فكان يخرج إليهم على حين غفلة فيقتلهم وينهب مواشيهم (ص ٦١٣) ويرجع بغنائمهم وروسهم فى أشناف [مقاطف] على الجمال، فارتدعوا وانكفوا على أفاعيلهم وأمنت السبل وشاع ذكره بذلك، وفى هذه المدة ظهر شأن* على بك بلوط قبن واستفحل أمره وقلد إسماعيل بك الصنجدية وجعله اشراقه وزوجه هانم بنت سيده، وعمل له مهماً عظيماً احتفل به للغاية ببركة الفيل، وكان ذلك فى أيام النيل سنة أربع وسبعين ومائة وألف، فعملوا على معظم البركة أخشاباً مركبة على وجه الماء يمشى عليها الناس للفرجة، واجتمع بها أرباب الملاهى والملاعب وبهلوان الحبل وغيره من ساير الأصناف والفرج والمتفرجون والبياعون من ساير الأصناف والأنواع، وعلقوا القناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة، وغالبها سكن الأمراء والأعيان أكثرهم خشداشين بعضهم البعض وممالك إبراهيم كتحدا أبى العروس، وفى كل بيت منهم ولايم وعزائم وضيافات وسماعات وآلات وجمعيات، واستمر هذا الفرع والمهم مدة شهر كامل، والبلد مفتحة والناس تغدو وتروح ليلاً ونهاراً للحظ والفرجة من جميع النواحي، ووردت على على بك الهدايا والصلوات من إخوانه الأمراء والأعيان

- ١ يناير ١٧٦٣ = ٢٥ كيهك ١٤٧٩ = السبت ١٥ جماد الثانى سنة ١١٧٦.
- فى ٢٦ رجب/ يناير ١٧٦٣ عقدت معاهدة الصلح النهائى بين المجلتروا وفرنسا واسبانيا والبرتغال، وذلك فى باريس.
- فيها كان انتهاء حرب السبع سنين ومعاهدة باريس.
- فيها جدد الأمير عبد الرحمن كتحدا جامع الامام الشافعى بالقرافة الصغيرى.

* ظهر شأن عل بك الكبير.



١١٧٧ هـ.

١٤٧٩ ق.

١٧٦٣ م.

- غاية الفيضان: ٤ قيراط / ٢٤ ذراع
- فيها كان طرد الجزويت من فرانسا وإقامة الحجة من طرف البابا.
- ١ توت ١٤٨٠ = ١٠ سبتمبر ١٧٦٣ = السبت ٢ ربيع أول سنة ١١٧٧.
- فيها كان تأسيس مدرسة السوارى بسومور، من فرانسا.
- ١ يناير ١٧٦٤ = ٢٤ كيهك ١٤٨٠ = الأحد ٢٦ جماد الثاني ١١٧٧.
- فيها كان إنشاء مدرسة البيطرية فى التور، من فرانسا.
- فيها كان شعر الريال الألبى طاقة ٨٥ نصف فضة، وإن الريال المشط يعدل ٨٥ نصف فضة، وعليه فكلاهما واحد.

١١٧٨ هـ.

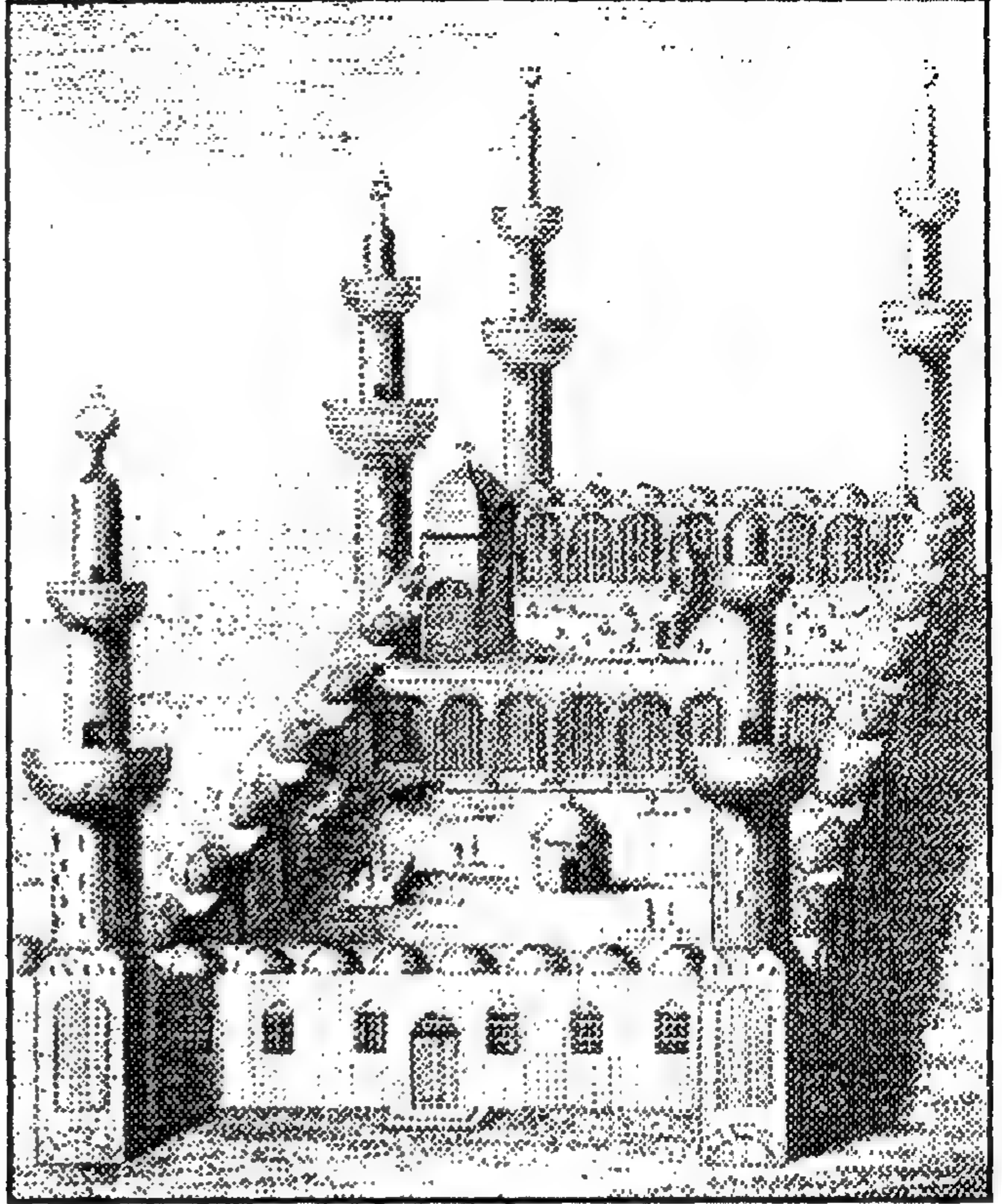
١٤٨٠ ق.

١٧٦٤ م.

- غاية الفيضان: ٦ قيراط / ٢٣ ذراع
- ١ توت ١٤٨١ = ٩ سبتمبر ١٧٦٤ = الأحد ١٢ ربيع أول سنة ١١٧٨.
- فيها عزل حسن باشا، بعد أن حكم مصر ستين.
- فيها عقدت معاهدة بين السلطان مصطفى وفريدريك الثاني ملك بروسيا.
- ١ يناير ١٧٦٥ = ٢٥ كيهك ١٤٨١ = الثلاث ٨ رجب سنة ١١٧٨.
- فيها المهندس وات حسن الألة البخارية.
- فيها صار إنشاء مدرسة فن الرسم المجالية بباريس.

والاختيارية والوجاقلية والتجار والمباشرين والأقباط والإفرنج والأروام واليهود، والمدينة عامرة بالخير، والناس مطمئنة، والمكاسب كثيرة والأسعار رخيصة والقرى عامرة، وحضرت مشايخ البلدان وأكابر العربان ومقدام الأقاليم والبنادر بالهدايا والأغنام (ص ٦١٤) والجواميس والسمن والعسل، وكل من الأمرا الإبراهيمية كأنه صاحب الفرخ والمشار إليه من بينهم صاحب الفرخ على بك، وبعد تمام الشهر زفت العروس فى موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بأنواع الملاعب والبهلوانات والجنك والطبول ومعظم الأعيان والجاويفية والملازمين والسعاة والأغوات أمام الحريمات وعليهم الخلع والتخاليق المثمينة، وكذلك المهاترة والطبالون وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويفية والركبدارية، والعروس فى عربة، وكان الخازندار لعلى بك فى ذلك

الوقت محمد بك أبو الذهب* ماشى بجانب العربية
وفى يده عكاز ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ملبسين
بالزرد والخود واللثامات الكشميرى مقلدين بالقسى
والنشاب وبأيديهم المزاريق الطوال، وخلف الجميع النوبة
التركية والنفيرات (فمن) ذلك الوقت اشتهر أمر على بك
وشاع ذكره ونمى صيته، وقلد أيضاً مملوكه على بك
المعروف بالسروجية، ولما كان عبد الرحمن كتحدا ابن
سيدهم ومركز دائرة دولتهم انضوى إلى محالاته ومال هو
الآخر إلى صداقته ليقوى به على أرباب الرياسة من اختيارية
الوجاقات، وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه حتى أن
عبد الرحمن كتحدا لما أراد نفى الجماعة المتقدم
ذكرهم بيت مع بعض المتكلمين وصوروا على أحمد
جاویش الجنون ما يقتضى نفى، ثم عرضوا ذلك على
عبد الرحمان كتحدا فمانع فى ذلك وأظهر الغيظ
وأصبح فى ثانى يوم اجتمع عنده الاختيارية والصناجق
على عاداتهم، فلما تكامل (ص ٦١٥) حضور الجميع
تكلم عبد الرحمن كتحدا فقال «إن على بك سافر
إلى الحجاز ولا بد من كبير تجتمع فيه الكلمة» فقال له
«الرأى ما تراه» فقال على بك «هذا يكون شيخ البلد
وكبيرها، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصاه» فقالوا
«سمعنا وأطعنا ونحن كذلك» وأصبح عبد الرحمن
كتحدا غادياً إلى بيت على بك وكذلك باقى الأمراء
والاختيارية، وصار الجميع والديوان فى بيته من ذلك
اليوم، ولبس الخلعة من الباشا على ذلك، ثم إنهم
طلعوا أيضاً فى ثانى يوم إلى الديوان واجتمعوا بباب
الينكجerie وكتبوا عرضحال بنفى أحمد جاویش وخليل



* الحرم المدني بالمدينة المنورة.

جاويز وسليمان بك الشابوري فقال عبد الرحمن كتخدا «واكتبوا معهم حسن كتخدا الشعراوى أيضاً» فكتبوه وأخرجوا فرماناً بذلك ونفوههم كما ذكر، واستمروا فى نفيتهم، وعمل أحمد جاويز وقاداً بالحرم المدني وخليل جاويز أقام أيضاً بالمدينة والشابوري وحسن كتخدا جهة فارسكور والسرو ورأس الخليج، وأخذ على بك يمهد لنفسه واستكثر من شراء الممالك وشرع فى مصادرة الناس ويتحيل على أخذ الأموال من أرباب البيوت المدخرة والأعيان المستورين مع الملاطفة وإدخال الوهم على البعض بمثل النفي والتعرض إلى الفايط ببعض المقتضيات ونحو ذلك.

* عاصفة بحرية على الاسكندرية تفرق عدد من السفن.

ومن الحوادث السماوية أن فى يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى هبت ريح عظيمة شديدة نكباء

* كان في ميناء الاسكندرية مرسى لسفن السلطنة ومرسى للسفن الاجنبية.

غربية، غرق منها بالإسكندرية ثلاثة وثلاثون مركباً في مرسى المسلمين، وثلاثة مراكب في مرسى النصارى، وضجت (ص ٦١٦) الناس وهاج البحر شديداً وتلف بالنيل بعض مراكب، وسقطت عدة أشجار.

وطلع على بك أميراً بالحج في سنة سبع وسبعين ومائة وألف، ورجع في أوائل سنة ثمان وسبعين ومائة وألف في أبهة عظيمة، وأرخص مملوكه محمد الخازندار لحيته^(٣) على زمزم، فلما رجع قلده الصنجدية، وهو الذى عرف بابى الذهب، ثم قلده مملوكه أيوب أغا ورضوان قرأته وإبراهيم شلاق بلفيه وذا الفقار وعلى بك الحبشى صناجق أيضاً، وانقضت تلك السنة وأمر على بك يتزايد وشهلوأ أمور الحج على العادة، وقبضوا الميرى وصرفوا العلوفات والجامكية والصرة وغلال الحرمين والأنبار، وخرج الحمل على القانون المعتاد وأميره حسن بك رضوان، ولما رجعوا من البركة بعد ارتحال الحج طلع على بك وخشداشينه وأغراضه وملكوا أبواب القلعة، وكتبوا فرماناً وأخرجوا عبد الرحمن كتبخدا^(٤) وعلى كتبخدا الخربطلى وعمر وجاويش الداودية ورضوان جرجى الرزاز وغيرهم منفيين، فأما عبد الرحمن كتبخدا فأرسلوه إلى السويس ليذهب إلى الحجاز وعينوا للذهاب معه صالح بك ليوصله إلى السويس، ونفوا باقى الجماعة إلى جهة بحرى، وارتجت مصر فى ذلك اليوم وخصوصاً لخروج عبد الرحمن كتبخدا، فإنه كان أعظم الجميع وكبيرهم وابن سيدهم، وله

* نفى عبد الرحمن كتبخدا إلى الحجاز

الصولة والكلمة والشهرة، وبه ارتفع قدر الينكجارية [الممالك] على العزب [العثمانلية]، وكان له عزوة كبيرة وممالك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة في (ص ٦١٧) ذلك اليوم، فلم يحصل شيء من ذلك سوى ما نزل بالناس من البهتة والتعجب، ثم أرسل إلى صالح بك فرماناً بتنفيه إلى غزة فوصل إليه الجاويش في اليوم الذي نزل فيه عبد الرحمن كتحدا في المركب، وسافر وذهب صالح بك إلى غزة فأقام بها مدة قليلة. ثم أرسلوا له جماعة ونقلوه من غزة وحضروا به إلى ناحية بحرى وأجلسوه برشيد، ورتب له على بك ما يصرفه ويجعل له فايقلاً في كل سنة عشرة أكياس، فأقام برشيد مدة،

١١١ حمزة باشا:

فحضرت أخبار وصول الباشا الجديد وهو حمزة باشا إلى ثغر سكندرية، فأرسلوا إلى صالح بك جماعة يغيبونه من رشيد ويذهبون به إلى دمياط يقيم بها، وذلك لئلا يجتمع بالباشا، فلما وصلت إليه الأخبار بذلك ركب بجماعته ليلاً وسار إلى جهة البحيرة، وذهب من خلف جبل الفيوم إلى جهة قبلى، فوصل إلى منية ابن خصيب، فأقام بها، واجتمع عليه أناس كثيرة من الدين شردهم على بك ونفاهم في البلاد، وبنى له أبنية ومتاريس، وكان له معرفة وصداقة مع شيخ العرب همام، وأكابر الهوارة* وأكثر البلاد الجارية في التزامه جهة قبلى، واجتمع عليه الكثير منهم وقدموا له التقادم والذخيرة وما يحتاج إليه.

* الهوارة: حفل تاريخ مصر في ظل لاحتلال العثماني ومن قبله بغارات البدو العرب على الأراضي الزراعية في الوادى والدلتا من أجل السلب والنهب. ولكن بعض هؤلاء البدو تمكنوا من الاستقرار في عدة مناطق وفرضوا سيطرة مستمرة على أجزاء من الوادى مثلما فعل الهوارة، عكس القبائل البدوية الأخرى التي استمرت في الترحل.

ووصل المولى حفيد أفندى القاضى، وكان من العلماء الأفاضل، ويعرف بطرون أفندى، وكان مسناً هرماء، فجلس

ولقد استعانت مراكز الصراع على السلطة في مصر بهؤلاء البدو في صراعاتها ضد بعضها، كما أوقعت الفتنة بين هذه القبائل حتى وصل الأمر إلى حد الإستعانة بهوارة بحرى ضد هوارة قبلى والعكس.

١١٧٩هـ.

١٤٨١ق.

١٧٦٥م.

غاية الفيضان: ١٨ قيراط / ١٩ ذراع

□ فيها تولى مصر حمزة باشا، بعد حسن باشا، المعزول في سنة ١١٧٨.

□ ١ ثوت سنة ١٤٨٢ = ٩ سبتمبر ١٧٦٥

= الاثنين ٢٣ ربيع اول ١١٧٩.

□ ١ يناير ١٧٦٦ = ٢٥ كيهك سنة ١٤٨٢

= الاربع ١٩ رجب سنة ١١٧٩.

□ فيها نفى على بك الى الشام لعدم وجود

من يستنده في الأستانة بعد وفاة راغب

باشا، الذى كان واليا على مصر، وتولى

الصدارة العظمى بالأستانة.

□ فيها اخترع بيروبرواى الزبلنك الحلزونى

المتساوى الرجات.

* داقم الباشا: أى اتباعه.

* مهما: احتفالاً.

على الكرسي بجامع المشهد الحسينى ليملى درساً، فاجتمع عليه الفقهاء الأزهرية وخلطوا عليه، وكان المتصدى (ص ٦١٨) لذلك الشيخ أحمد بن يونس، والشيخ عبد الرحمن البرادعى، فصار يقول لهم: «كلمونى بآداب البحث، أما قرأتم آداب البحث؟» فزادوا فى المغالطة، فما وسعه إلا القيام، فانصرفوا عنه وهم يقولون: «عكسنة».

وفى شعبان من السنة المذكورة شرع القاضى المذكور فى عمل فرح ختتان ولده، فأرسل إليه على بك هدية حافلة، وكذلك باقى الأمراء والاختيارية والتجار والعلماء حتى امتلأت حواصل المحكمة بالأرز والسمن والعسل والسكر، وكذلك امتلا المقعد بفروق البن ووسط الحوش بالخطب الرومى، واجتمع بالمحكمة أرباب الملاعب والملاهى والبهلوانات وغيرهم، واستمر ذلك عدة أيام والناس تغدو وتروح للفرجة، وسعت العلما والأمرا والأعيان والتجار لدعوته، وفى يوم الزفة أرسل إليه على بك ركوبته وجميع اللوازم من الخيول والمماليك وشجر الدر والزرديات، وكذلك داقم الباشا(*) من الأغوات والسعاة والجاويشية والنوبة التركية، وأركبوا الغلام بالزفة إلى بيت على بك، فألبسه فروة سمور ورجع إلى المحكمة بالموكب وختن معه عدة غلمان، وكان مهماً(*) مشهوداً، واتحد هذا القاضى بالشيخ الوالد، وتردد كل منهما على الآخر كثيراً، وحضر مرة فى غير وقت ولا موعد فى يوم شديد الحر، فلما صعد إلى أعلى الدرج، وكان كثيراً، فاستلقى من التعب على ظهره لهرمه، فلما تروّح وارتاح فى نفسه قال له الشيخ:

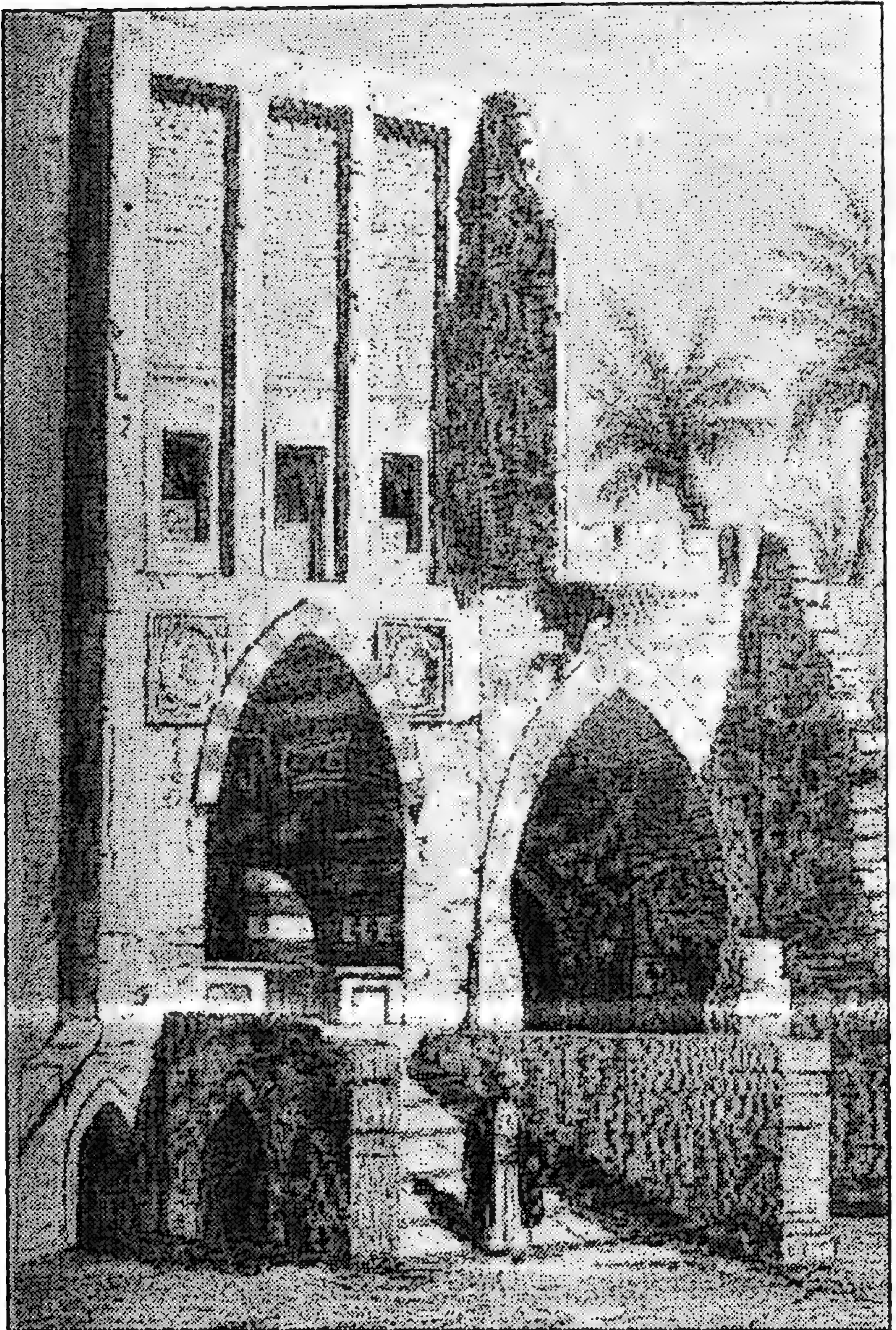
« يا أفندى لأى شىء تتعب نفسك؟ أنا آتيك متى شئت » فقال: « أنا أعرف قدرك وأنت تعرف قدرى » وكان ناييه من الأذكىاء أيضاً.

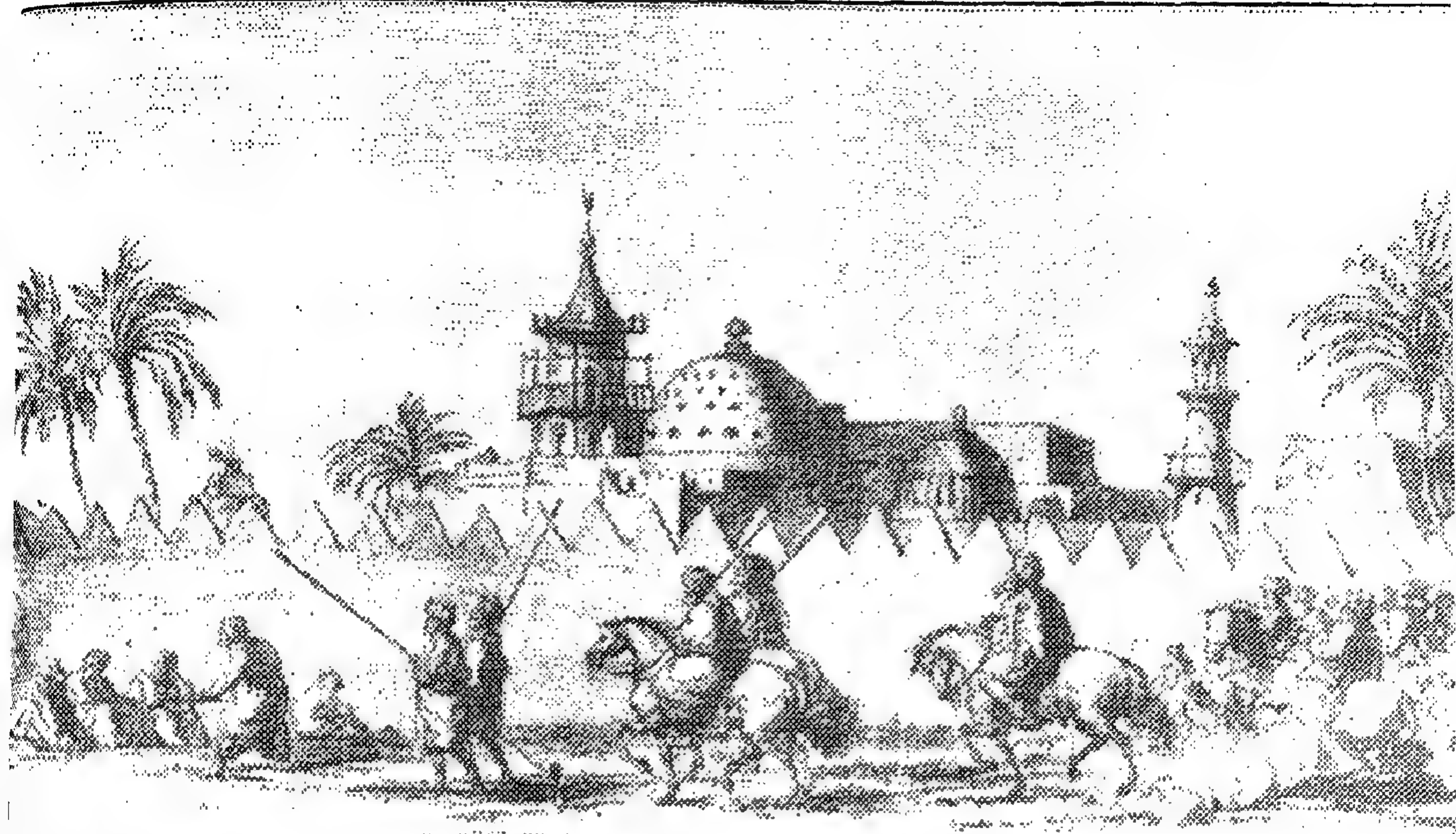
ولما حضر حمزة باشا سنة تسع وسبعين ومائة وألف المذكورة والياً على مصر وطلع إلى القلعة، فعرضوا له أمر صالح بك وأنه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى، (ص ٦١٩) وأخذوا فرماناً بالتجريد عليه، وتقلد حسين بك كشكش حاكم جرجا أمير التجريدة، وشرعوا فى التشهيل واخرجوا فسادر حسين بك كشكش وصحبته محمد بك أبو الذهب وحسن بك الأزيكاوى، فالتطمروا مع صالح بك لظمة صغيرة، ثم توجه وعدى إلى شرق أولاد يحيى، وكان حسين بك شبكة مملوك حسين بك كشكش نفاه على بك إلى قبلى، فلما ذهب صالح بك إلى قبلى انضم إليه وركب معه، فلما توجه حسين بك بالتجريدة وعدى صالح بك شرق أولاد يحيى انفصل عنه وحضر إلى سيده حسين بك وانضم إليه كما كان، ورجع محمد بك وحسن بك إلى مصر وتخلف حسين بك عن الحضور يريد الذهاب إلى منصبه بجرجا، وأقام فى المنية فأرسل إليه على بك فرماناً بنفيه إلى جهة عينها له فلم يمثل لذلك، وركب فى مماليكه وأتباعه وأمرايه وحضر إلى مصر ليلاً فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقاً فطرقه فلم يفتحوه، فكسره ودخل وذهب إلى بيته وبقي الأمر بينهم على المسألة أياماً فأراد على بك أن يشغله بالسم بيد عبد الله الحكيم، وقد كان طلب منه معجوناً للبراءة فوضع له السم فى المعجون وأحضره له فأمره أن يأكل منه أولاً فتلكأ واعتذر فأمر بقتله، وكان عبد الله الحكيم هذا نصرانياً رومياً يلبس على رأسه

قلب سمور، وكان وجيهاً الصورة فصيحاً متكلماً يعرف التركية والعربية والرومية والطلليانية، وعلم حسين بك أنها من عزيمة على بك، فتأكدت بينهما الوحشة، وأضمر كل منهما لصاحبه سوء، وتوافق على بك مع جماعته على غدر حسين بك وإخراجه فوافقوه ظاهراً، واشتغل حسين بك على إخراج على بك وعصّب خشداشينه وغيرهم (ص ٦٢٠) وركبوا عليه المدافع، فكرنك في بيته وانتظر حضور المتوافقين معه فلم يأتهم أحد وتحقق نفاقهم عليه، فعند ذلك أرسل إليهم يسألهم عن مرادهم، فحضر إليه منهم من يأمره بالركوب والسفر، فركب وأخرجوه منفياً* إلى الشام ومعه مماليكه وأتباعه، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة وألف [١٧٦٥م]، وأقام بالعادية ثلاثة أيام حتى عملوا حسابه وحساب أتباعه وهم محيطون بهم من كل جهة بالعسكر والمدافع حتى فرغوا من الحساب واستخلصوا ما بقى على طرفهم. ثم سافروا إلى جهة غزة، وكانت العادة فيمن ينفي من أمراء مصر أنه إذا خرج إلى خارج فعلوا معه ذلك، ولا يذهب حتى يوفى جميع ما يتأخر بدمته من ميرى وخلافه، وإن لم يكن معه مايوفى ذلك باع أثاث داره ومتاعه وخيوله ولا يذهب إلا خالص الذمة.

* نفى على بك الكبير بعد فشل مؤامره ضد حسين بك إلى الشام.

وسافر صحبة على بك أمراؤه وهم محمد بك وأيوب بك ورضوان بك وذو الفقار بك وعبد الله أغا الوالى وأحمد جاويش وسليمان جاويش وغيطاس كتحدا وباقي أتباعه، واستقر خليل بك كبير البلد مع قسيمه حسين بك كشكش وباقي جماعتهم وحسن بك جوجو^(٥)، وعزلوا عبد الرحمن أغا وقلدوا قاسم أغا الوالى أغات مستحفظان،



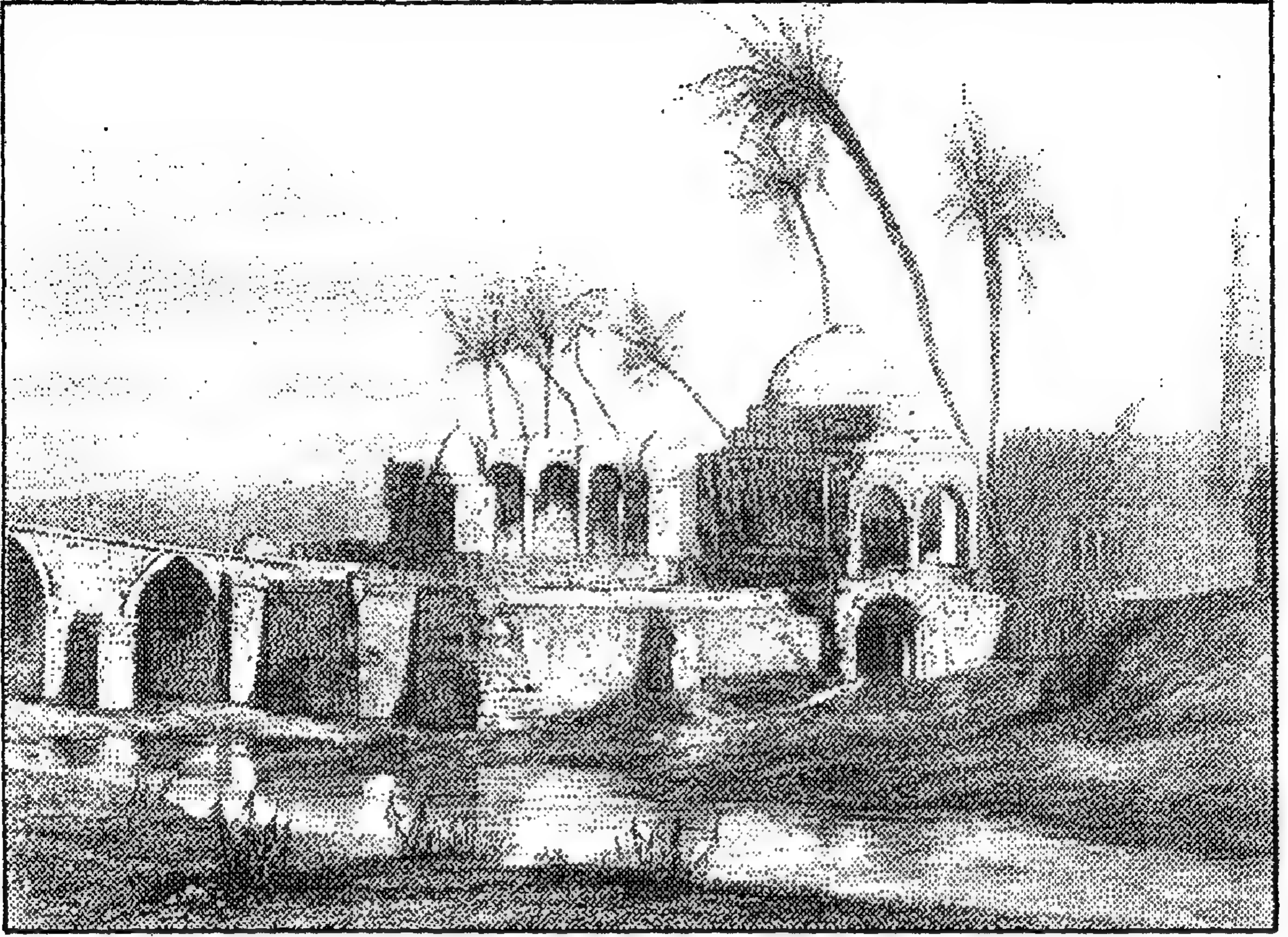


▲ موكب حاكم جرجا

* عودة على بك سرا إلى القاهرة.

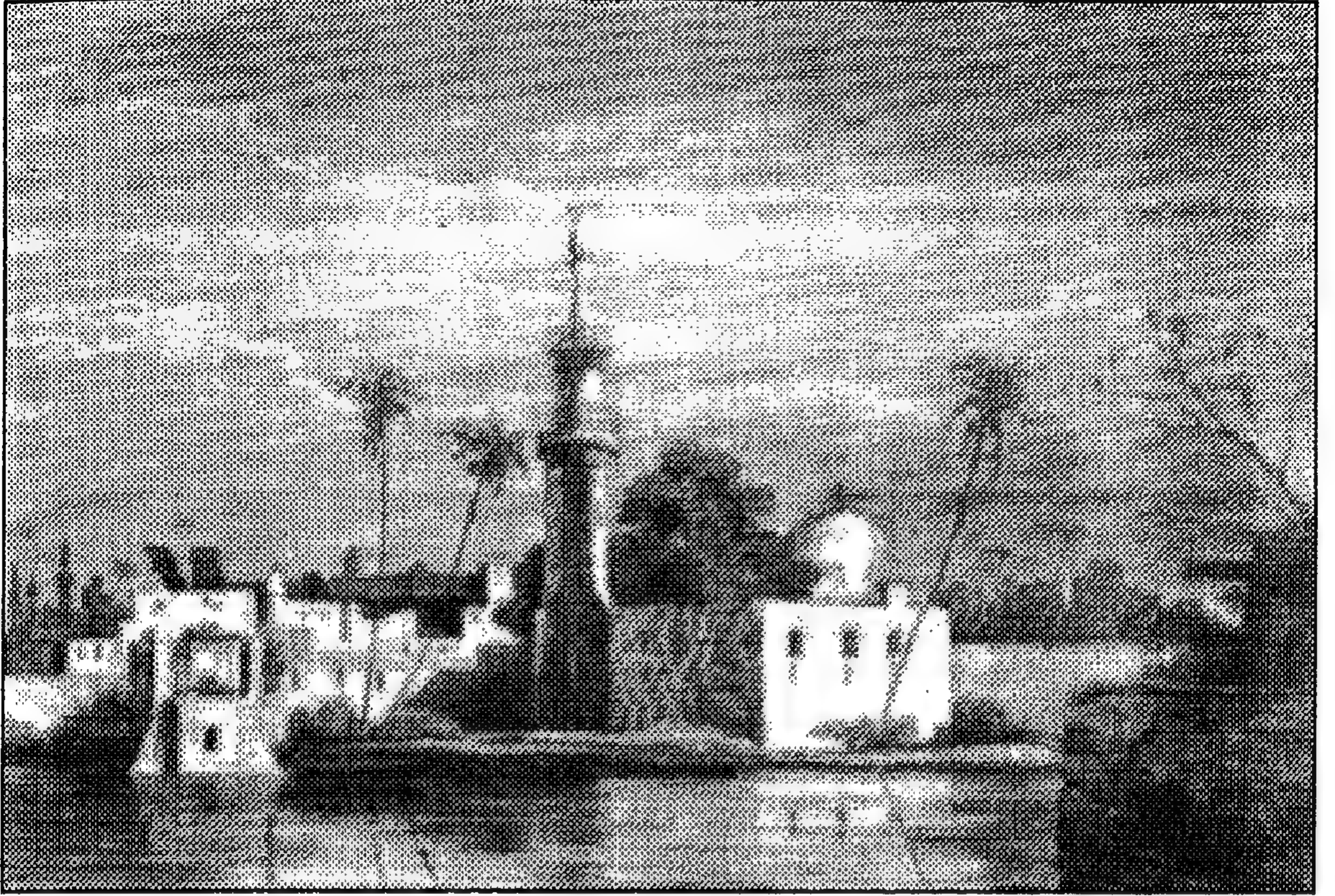
* الآثار: المقصود بها منطقة آثار النسي عند دار السلام حاليا جنوب القاهرة.

ورد الخبر من الجهة القبلية بأن صالح بك رجع من شرق أولاد يحيى إلى المنية واستقر فيها وحصنها، فعند ذلك شرعوا في تشهيل تجريدة وبرزوا إلى جهة البساتين، وفي تلك الأيام رجع على بك ومن معه على حين غفلة ودخل إلى مصر فنزل بيت حسين بك كشكش ومحمد بك نزل عند عثمان بك الجرجاوى وأيوب بك دخل منزل إبراهيم أغا (ص ٦٢١) الساعى، فاجتمع الأمراء بالآثار^(*) وعملوا مشورة في ذلك، فاقضى رأى بأن يرسلوه إلى جدة، وقال بعضهم «اسمعوا نصحى واقتلوه وارتاحوا منه فإنه إن دام حيا أتعبكم ولا يبقى منكم أحدا» فقالوا «لا يصح، إنه أخونا ودخل إلى بيوتنا» فأرسلوا له بذلك وقال لا أخرج من بيت سيدى إلا أن يكون جهة بحرى» فاجتمع رأى بأن يعطوه النوسات^(٦) ويذهب إليها، فرضى بذلك وذهب إلى النوسات



وأقام بها، وأرسلوا محمد بك وأيوب بك ورضوان بك إلى قبلى بناحية أسيوط وجهاتها، وكان هناك خليل بك الأسيوطى، فانضموا إليه وصادقوه وسفروا التجريدة إلى صالح بك فهزمت، فأرسلوا له تجريدة أخرى وأميرها حسن بك جوجو وكان منافقا فلم يقع بينهم إلا بعض مناوشات ورجعوا أيضاً كأنهم مهزومون، وأرسلوا له ثالث ركة فكانت الحرب بينهم سجالا، ورجعوا كذلك بعد أن اصطلحوا مع صالح بك أن يذهب إلى جرجا ويأخذ ما يكفيه هو ومن معه ويمكث بها ويقوم بدفع المال والغلال، وكان ذلك فى شهر جمادى الأولى سنة ثمانين ومائة وألف [١٧٦٦م].

وفى ثانى شعبان منها اتهموا حسن بك الأزيكاوى أنه يرأسلى على بك وعلى بك يرأسله فقتلوه فى ذلك اليوم بقصر



▲ مصر القديمة

العيني ورسموا بنفى خشداشينه وهم حسن بك أبو كرش
ومحمد بك الماوردى وسليمان أغا كتخدا الجاويشية سيد
الثلاثة وهو زوج أم عبد الرحمن كتخدا وكان مقيما بمصر
القديمة وقد صار مسنا فسفروهم إلى جهة بحرى، وتخللوا
من إقامة على بك بالنوسات فأرسلوا له خليل بك السكران
فأخذه وذهب به إلى السويس ليسافر إلى جدة من القلزم،
وأخضر له المركب لينزل فيها.

وفى ثانى شهر شوال من السنة (٦٢٢) ركب الأمراء
إلى قراميندان ليهنوا الباشا بالعيد، وكان معتاد الرسوم
القديمة، أن كبار الأمراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد
وكذلك أرباب العكاكيز^(٧) فيطلعون إلى القلعة ويمشون
أمام الباشا من باب السراية إلى جامع الناصر بن قلاوون،
فيصلون صلاة العيد ويرجعون كذلك ثم يقبلون أتكه*

* مظاهر الاحتفال الرسمي بعيد الفطر.

* أتكه: أى ذيل ردائه وهذا الثقيل دليل
الولاء.

* التطلى: كلمة تركية كانت تكتب (طاطلى) أو (طاتلر) ومعناها الحلوى.

ويهنونه وينزلون إلى بيوتهم فيهنى بعضهم بعضاً على رسمهم واصطلاحهم، وينزل الباشا فى ثانى يوم إلى الكشك بقراميدان وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستور واستعد فراشو الباشا بالتطلى* والقهوة والشربات والقماقم والمباخر ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل، واصطفت الخدم والجاوشية والسعاة والملازمون وجلس الباشا بذلك الكشك وحضرت أرباب العكاكيز والخدم قبل كل أحد، ثم يأتى الدفتردار وأمير الحاج والأمراء الصناجق والاختيارية وكتخدا الينكجيرية والعزب أصحاب الوقت، والمقادم والأوده باشية واليمقات والجرجية فيهنون الباشا ويعيدون عليه على قدر مراتبهم بالقانون والترتيب ثم ينصرفون، فلما حضروا فى ذلك اليوم المذكور وهنا الأمراء الصناجق الباشا وخرجوا إلى دهليز القصر يريدون النزول وقف لهم جماعة وسحبوا السلاح عليهم وضربوا عليهم بنادق، فأصيب عثمان بك الجرجاوى بسيف فى وجهه وحسين بك كشكش أصيب برصاصة نفذت من شقه، وسحب الآخرون سلاحهم وسيوفهم واحتاط بهم مماليكهم ونط أكثرهم من حايط البستان ونفذوا من الجهة الأخرى وركبوا خيولهم وهم لا يصدقون بالنجاة، وأركبوا عثمان بك حصانه وهو يقول «باب العزب، باب العزب» (ص ٦٢٣) وقد قطع السيف وجهه وحنكه، وذهبوا به إلى باب العزب وأنزلوه فمكث هنيهة ومات، فشالوه إلى بيته وغسلوه وكفّوه وخرجوا بجنازته ودفنوه، وانجرح أيضاً إسماعيل بك أبو مدفع ومحمود بك وقاسم أغا، ولكن لم يمت منهم إلا عثمان بك، وباتوا على ذلك فلما أصبحوا اجتمعوا وطلعوا إلى الأبواب وأرسلوا إلى الباشا يأمرونه

١١٨٠ هـ.

١٤٨٢ ق.

١٧٦٦ م.

غاية الفيضان: ١٧ قيراط / ١٨ ذراع

□ فيها كانت سياحة بولجيفيل حول الدنيا.

□ فيها كانت زلازل عظيمة بالاستانة.

□ فيها حصلت ثورة فى الكلترة لعلو اسعار الحبوب.

□ ١ توت ١٤٨٣ = ٩ سبتمبر ١٧٦٦ =

الثلاث ٤ ربيع الثانى ١١٨٠.

□ فيها كان طرد الجزويت من بوهيميا والدانيماركة.

□ فيها حصل انقلاب فى مدريد بسبب ترتيب ضرائب جديدة.

□ ١ يناير سنة ١٧٦٧ = ٢٥ كيهك ١٤٨٣ =

الخميس ٣٠ رجب ١١٨٠.

□ فيها عاد على بك إلى القاهرة واسترجع منصبه بمساعدة احزابه وأربعة من دعاة

ابراهيم الشركسى.

□ فيها انشا محمد بك أبو الذهب جامع محمد بك أبى الذهب، بجوار الجامع الأزهر.

□ فيها اخترع مايير دائرة الانعكاس.

بالنزول فنزل إلى بيت أحمد بك كشك بقوصون، وعند نزوله ومروره بباب العزب وقف له حسين بك كشكش وأسمعه كلاماً قبيحاً، ثم إنهم جعلوا خليل بك بلفيه قايماً وقلدوا عبد الرحمن أغا مملوك عثمان بك سنجقاً عوضاً عن سيده ونسبت هذه النكتة* إلى حمزة باشا وقيل إنها من على بك الذى بالنوسات ومراسلاته إلى حسن بك جوجو، فبيت مع أنفار من الجلفية وأخفاهم عنده مدة أيام وتواعدوا على ذلك اليوم وذهبوا إلى الكشك بقراميدان وكانوا نحو الأربعين، فاختلفوا واتفقوا على ثانی يوم بدھليز بيت القاضى وتفرقوا إلا أربعة منهم ثبتوا على ذلك الاتفاق وفعلوا هذه الفعلة، وبطل أمر العيد من قراميدان من ذلك اليوم، وتهدم القصر وخرب وكذلك الجنية ماتت أشجارها وذهبت نضارتها.

* النكتة: بفتح النون وسكون الكاف، يقال نكته أى طعنه وألقاه على رأسه، والمقصود بها هنا المؤامرة.

ولما حصلت هذه الحادثة أرسلوا حمزة بك إلى على بك فوجده فى المركب بالغا طس ينتظر اعتدال الريح للسفر، فردّه إلى البر وأركبه بمماليكه وأتباعه، ورجع إلى جهة مصر ومر من الجبل وذهب إلى جهة شرق إطفيح ثم إلى أسيوط بقبلى، ورجع حمزة بك إلى مصر، ثم إن على بك اجتمعت عليه المنافى وهواره وخلافهم وأراد الانضمام (ص ٦٢٤) إلى صالح بك فنفر منه، فلم يزل يخادعه وكان على كتحدا الخربطلى هناك منفياً من قبله وجعله سفيراً فيما بينه وبين صالح بك هو و خليل بك الأسيوطى وعثمان كتحدا الصابونجى، فأرسلهم فلم يزالوا به حتى جنح لقولهم، فعند ذلك أرسل إليه محمد بك أبو الذهب فلم يزل به حتى انخدع له واجتمع عليه بكفالة شيخ العرب همام، وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف، وكتبوا بذلك حجة



* بدوى مسلح

واتفق مع على بك أنه إذا تم لهم الأمر أعطى لصالح بك
جهة قبلى حياة، واتفقوا على ذلك بالمواثيق الأكيدة وأرسلوا
بذلك إلى شيخ العرب همام فانسر بذلك ورضى به مراعاة
لصالح بك، وأمدهم عند ذلك همام بالعطايا والمال
والرجال، واجتمع عليهم المتفرقون والمشردون من الغز
والأجناد والهواره والشجعان ولما جموعاً كثيرة وحضروا
إلى المنية وكان بها خليل بك السكران، فلما بلغه قدومهم
ارتحل منها وحضر إلى مصر هارباً.

واستقر على بك وصالح بك وجماعتهم بالمنية، ونوا حولها
أسواراً وأبراجاً وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطريق على
المسافرين البحريين والمقبلين، وأرسل على بك إلى ذى الفقار
بك وكان بالمنصورة وصحبته جماعة كشاف، فارتحلوا ليلاً
وذهبوا إلى المنية فعمل الأمراء جمعية وعزموا على تشهيل

تجريدة وتكلموا وتشاوروا في ذلك، فتكلم الشيخ الحفناوى في ذلك المجلس وأفحمهم بالكلام ومانع في ذلك وقال «أخريتم الأقاليم والبلاد، في أى شيء هذا الحال وكل ساعة خصام ونزاع وتجازيد؟ على بك هذا رجل أخوكم وخشداشكم، أى شيء يحصل إذا أتى وقعد في بيته (ص ٦٢٥) واصطلحتم مع بعضكم وأرحتم أنفسكم والناس؟» وحلف أنه لا يسافر أحد بتجريده مطلقاً، وإن فعلوا ذلك لا يحصل لهم خير أبداً، فقالوا «إنه هو الذى يحرك الشر ويريد الانفراد بنفسه ومماليكه وإن لم نذهب إليه أتى هو إلينا وفعل مراده فينا، فقال لهم الشيخ «أنا أرسل إليه مكاتبة فلا تتحركوا بشيء حتى يأتى رد الجواب» فلم يسعهم إلا الامتثال، فكتب له الشيخ مكتوباً ووبخه فيه وزجره ونصحه ووعظه وأرسلوه إليه، فلم يلبث الشيخ بعد هذا المجلس إلا أياماً ومرض ورمى بالدم وتوفى إلى رحمة الله تعالى، فيقال إنهم أشغلوه وسموه ليتمكنوا من أغراضهم.

وفي أثناء ورد الخبر بوصول محمد باشا راقم* إلى سكندرية فأرسلوا له الملاقاة وحضر إلى مصر وطلع القلعة في غرة ربيع الثانى سنة إحدى وثمانين ومائة ألف. [١٧٦٧م]

وفي حادى عشر جمادى الأولى اجتمعوا بالديوان وقلدوا حسن بك رضوان دفتر دار مصر.

وفي خامس عشرة قلدوا خليل بك بلفيه أمير الحاج وقاسم أغا صنجقا وكتبوا فرمانا بطلوع التجريدة إلى قبلى ولبس سارى عسكريا حسين بك كشكش وشرعوا فى التشهيل واضطروهم الحال إلى مصادرة التجار، وأحضر خليل بك النواخيد وهم ملا مصطفى وأحمد أغا الملطيلى وقرا إبراهيم وكاتب البهار، وطلب منهم مال البهار معجلاً، فاعتذروا

١١٢ محمد باشا راقم.

١١٨١ هـ.

١٤٨٣ ق.

١٧٦٧ م.

غاية الفيضان: ٨ قيراط / ٢٣ ذراع

□ فيها كان طرد الجزويت من أسبانيا وفينيسيا وجنوة وناپولى.

□ ١ توت ١٤٨٤ = ١٠ سبتمبر ١٧٦٧ =

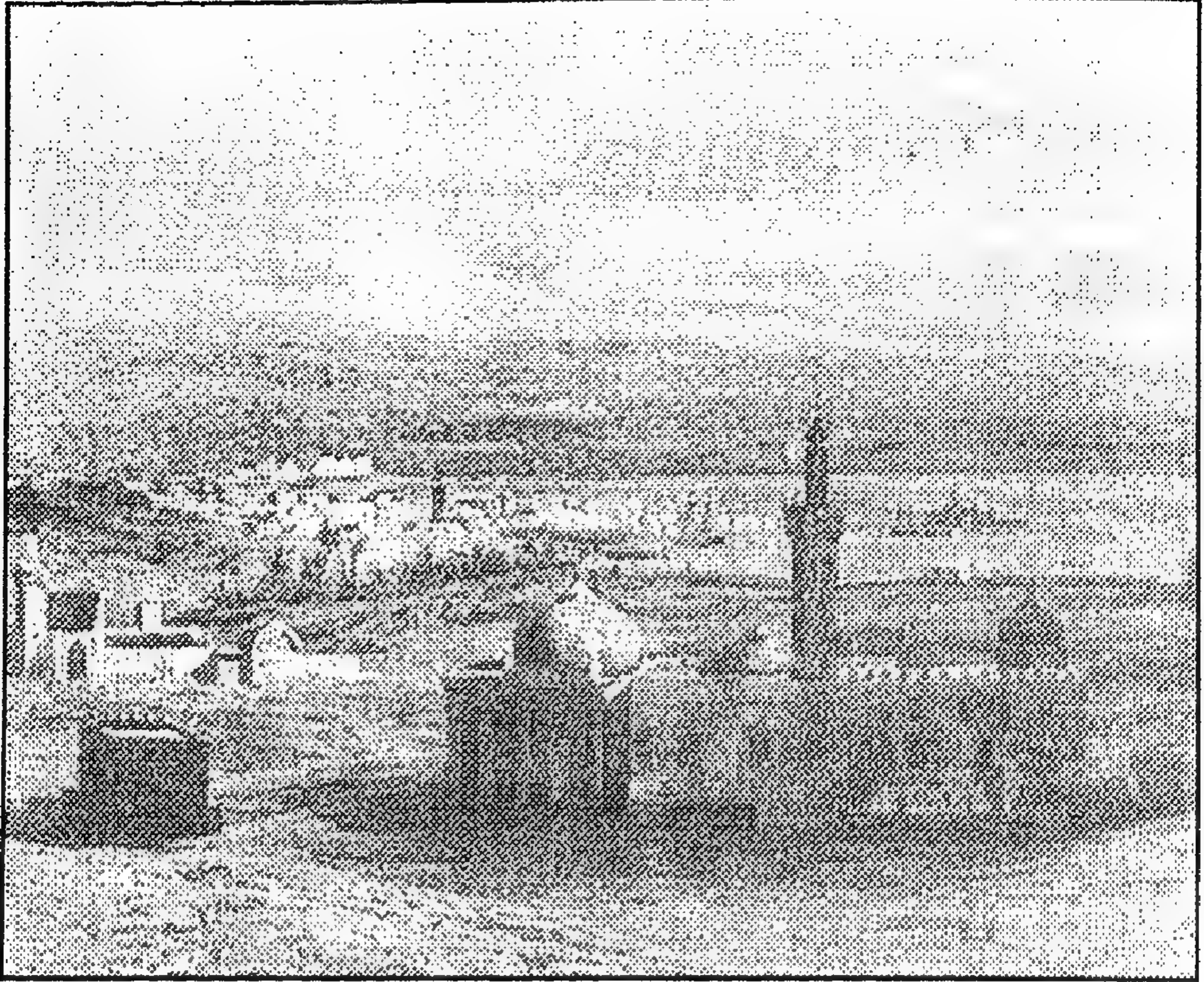
الخميس ١٥ ربيع الثانى سنة ١١٨١.

□ فيها عزل حمزة باشا، بعد أن حكم مصر سنتين، وتولى بعده محمد راقم باشا.

□ ١ يناير سنة ١٧٦٨ = ٢٤ كيهك

١٤٨٤ = الجمعة ١٠ شعبان ١١٨١.

□ فيها سجن العثمانيون سفير روسيا وأعلنوا الحرب عليها.



▲ مدينة الاسكندرية

فصرخ عليهم وسبهم فخرجوا من بين يديه وأخذوا في تشهيل المطلوب وجمع المال من التجار، وبرز حسين بك خيامه للسفر في منتصف جمادى الأولى وخرج صحبته ستة من الصناجق وهم حسن بك جوجو و خليل بك السكران وحسن بك شبكة واسماعيل بك أبو (ص ٦٢٦) مدفع وحمزة بك وقاسم بك وأسرعوا في الارتحال.

وفي عشرينه أخرج خلفهم أيضا خليل بك تجريدة أخرى وفيها ثلاثة صناجق ووجاقلية وعسكر مغاربة وسافروا أيضا في يومها، وبعد ثلاثة أيام ورد الخبر بوقوع الحرب بينهم ببياضة تجاه بنى سويف، فكانت الهزيمة على حسين بك ومن معه وقتل على أغا المليجي وخلافه، وقتل من ذلك الطرف ذو الفقار بك ورجع المهزومون في ذلك ثانی يوم الكسرة وهو يوم السبت رابع عشرينه وهم في أسوأ حال،

وأصبحوا يوم الأحد طلّعوا إلى أبواب القلعة وطلبوا من الباشا فرمانا بالتجريدة على على بك وصالح بك ومن معهم وطلبوا مائتي كيس من الميرى يصرفونها في اللوازم، فامتنع الباشا عن ذلك وحضر الخبر يوم الاثنين بوصول القادمين إلى غمازة(*)، وكان الوجاقلية وحسن بك جوجو ناصيين خيامهم جهة البساتين فارتحلوا ليلاً وهربوا، وتخبّل غزل خليل بك وحسين بك ومن معهما وتحيروا في أمرهم وتحققوا الإدبار والزوال، وأرسل الباشا إلى الوجاقلية يقول لهم كل وجاق يلزم بابه.

* غمازة: من أعمال الصف مديرية الجيزة.

وفي سابع عشرينه حضر على بك وصالح بك ومن معهم إلى البساتين فازداد تحيرهم وطلّعوا إلى الأبواب فوجدوها مغلقة فرجعوا إلى قراميدان وجلسوا هناك ثم رجعوا، وتسحب تلك الليلة كثير من الأمراء والأجناد وخرجوا إلى جهة على بك، وكان حسن بك المعروف بجوجو يوافق الطرفين ويراسل على بك وصالح بك سرّاً ويكاتبهما، وضم إليه بعض الأمراء مثل قاسم بك خشداشه وإسماعيل بك زوج هانم بنت سيدهم وعلى بك السروجي وجن على وهو خشداش إبراهيم بك بلفيه وكثير (ص ٦٢٧) من أعيان الوجاقلية ويرسلون لهم الأوراق في داخل الأقصاب التي يشربون فيها الدخان ونحو ذلك.

* انضمّام الأمراء المماليك إلى رئاسة على بك الكبير.

وفي ليلة الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى هرب الأمراء الذين بمصر وهم خليل بك شيخ البلد وأتباعه وحسين بك كشكش وأتباعه وهم نحو عشرة صناجق وصحبته مماليكهم وأجنادهم عدة كثيرة، وأصبح يوم الخميس فخرج الأعيان وغيرهم، لملاقاة القادمين ودخل في ذلك اليوم على بك وصالح بك وصناجقهم ومماليكهم وأتباعهم وجميع من

كان منفياً بالصعيد قبل ذلك من أمرا ووجاقلية وغيرهم وحضر صحبتهم على كتحدا الخربطلى وخليل بك الأسوطى وقلده على بك الصنجقية مجدداً، وضربت النوبة فى بيته، ثم أعطاه كشوفية الشرقية وسافر إليها.

* صمود على بك للديوان وقلده مشيخة البلد.

وفى يوم الأحد ثانى شهر جمادى الثانية طلع على بك وصالح بك وباقى الأمرا القادمين والذين تخلفوا عن الداهيين مثل حسن بك جوجو وإسماعيل بك زوج هانم وجن على وعلى بك السروجى وقاسم بك والاختيارية والوجاقلية وغيرهم إلى الديوان بالقلعة، فخلع الباشا على على بك واستقر فى مشيخة البلد كما كان، وخلع على صناعقه خلع الاستمرار أيضا فى إماراتهم كما كانوا، ونزلوا إلى بيوتهم وثبت قدم على بك فى إمارة مصر ورياستها فى هذه المرة، وظهر بعد ذلك الظهور التام وملك الديار المصرية والأقطار الحجازية والبلاد الشامية، وقتل المتمردين وقطع المعاندين وشتت شمل المنافقين وخرق القواعد، وخرم العوايد، وأخرب البيوت القديمة، وأبطل الطرائق التى كانت مستقيمة، ثم (ص ٦٢٨) إنه حضر سليمان أغا كتحدا الجاوشية وصناعقه إلى مصر وعزم على نفى بعض الأعيان وإخراجهم من مصر فعلم أنه لا يتمكن من أغراضه مع وجود حسن بك جوجو وأنه ما دام حيا لا يصفوا له الحال، فأخذ يدبر على قتله فبيت مع أتباعه على قتله، فحضر حسن بك جوجو وعلى بك جن على عند على بك وجلسوا معه حصّة من الليل وقام ليذهب إلى بيته فركب وركب معه جن على ومحمد بك أبو الذهب وأيوب بك ليذهبا أيضا إلى بيوتهما لاتحاد الطريق، فلما صاروا فى الطريق التى عند بيت الشابورى خلف جامع قوصون

* قتل حسن بك جوجر على يد اتباع على بك الكبير في رجب ١١٨١ = ١٧٦٧ م.

سحبوا سيوفهم وضربوا حسن بك وقتلوه وقتلوا معه أيضاً جن على، ورجعوا وأخبروا سيدهم على بك وذلك ليلة الثلاثاء من شهر رجب من سنة إحدى وثمانين ومائة وألف [١٧٦٧ م]، وأصبح على بك مالكا للأبواب ورسم بنفى قاسم بك وإسماعيل بك أبي مدفع وعبد الرحمن بك وإسماعيل كتخدا عزبان ومحمد كتخدا زنور ومصطفى جاويش تابع مصطفى جاويش الكبير مملوك إبراهيم كتخدا وخليل جاويش درب الحجر.

* نفى أمراء بيت الفلاح.

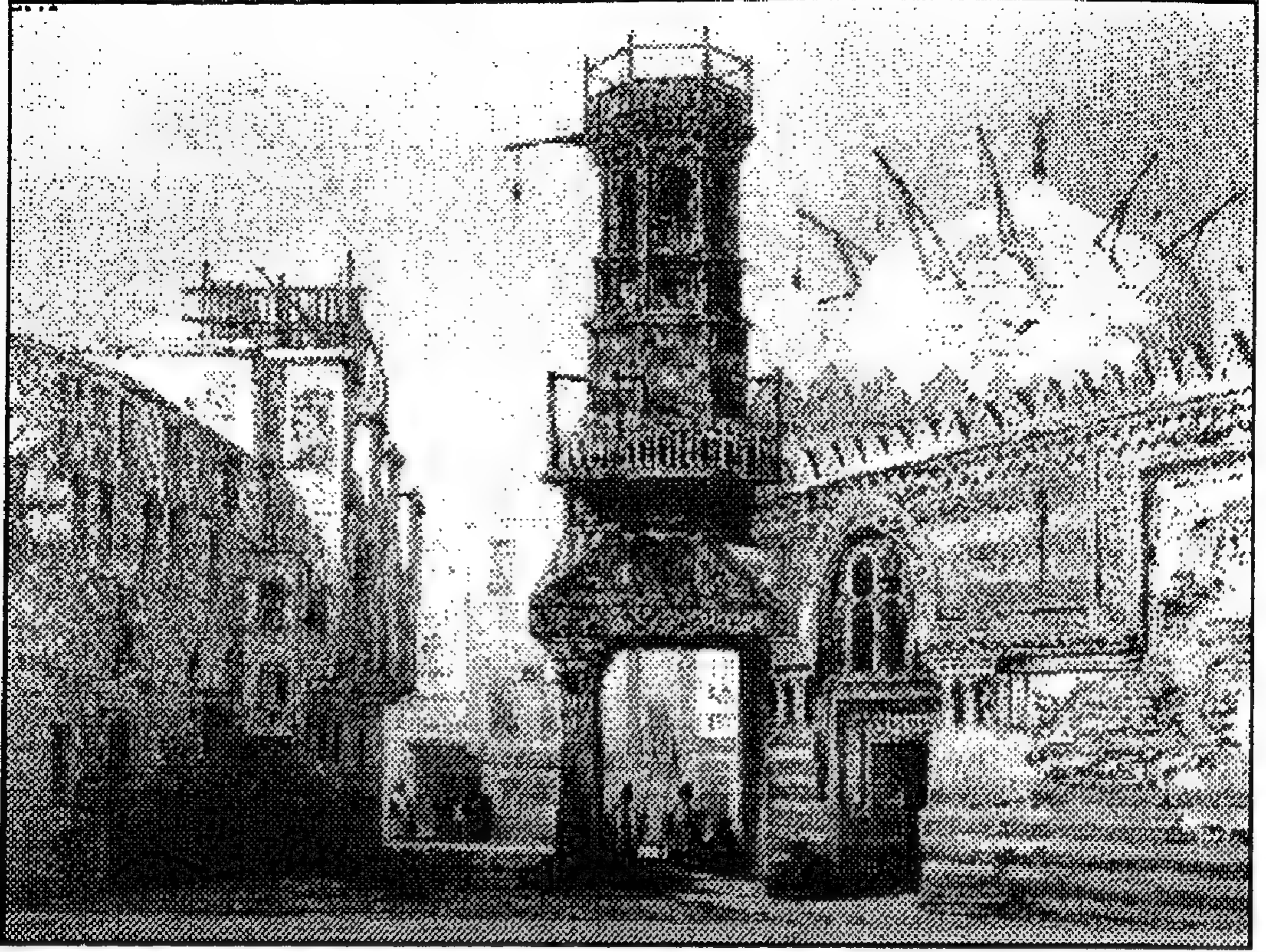
وفي حادى عشر شهر شوال أخرج أيضاً نحو الثلاثين شخصا من الأعيان ونفاهم فى البلاد وفيهم ثمانية عشر أميراً من جماعة الفلاح^(٨)، وفيهم على كتخدا وأحمد كتخدا الفلاح وإبراهيم كتخدا منار وسليمان أغا كتخدا جاوشان الكبير وصناجقه حسن بك أبو كرش ومحمد بك الماوردى وخلافهم مقدم وأوده باشية، فنفى الجميع إلى جهة قبلى وأرسل سليمان أغا كتخدا الجاويشية إلى السويس ليذهب إلى الحجاز من القلزم واستمر هناك إلى أن مات.

* جناح: من أعمال مركز دسوق/ كفر الشيخ.

وفيه قبض على بك على الشيخ يوسف بن وحيش وضربه (ص ٦٢٩) علاقة قوية ونفاه إلى بلده جناح^(*)، فلم يزل بها إلى أن مات، وكان من دهاة العالم وكان كاتباً عند عبد الرحمن كتخدا القازدغلى وله شهرة وسمعة فى السعى وقضاء الدعاوى والشكاوى والتحيلات والمداهنات والتليسات وغير ذلك.

* معارك حسين بك كشكش وعلى بك الكبير.

وفى شهر الحجة وصلت أخبار عن حسين بك كشكش وخليل بك أنهم لما وصلوا إلى غزة جمعوا جموعاً وأنهم قادمون إلى مصر فشرع على بك فى تشهيل تجريدة عظيمة، وبرزوا وسافروا.



▲ مسجد دميّاط

ثم ورد الخبر بعد ثلاثة أيام أنهم عرجوا إلى جهة دميّاط ونهبوا منها شيئاً كثيراً ثم حضروا إلى المنصورة ونهبوا منها كذلك، فأرسل على بك يأمر التجريدة بالذهاب إليهم، وأرسل لهم أيضاً عسكرياً من البحر [النيل] فتلاقوا معهم عند الديرس والجراح (*) من أعمال المنصورة عند سمند، فوقع بينهم وقعة عظيمة وانهزمت التجريدة وولوا راجعين، وقتل في هذه المعركة سليمان جرجي باش اختيار جمليان وأحمد جرجي طنان جراكسه وعمر أغا جاووشان أمين الشون وكانوا صدور الوجاقات، ولم يزلوا في هزيمتهم إلى دجوة.

فلما وصل الخبر بذلك إلى على بك اهتم لذلك ونزل الباشا وخرج إلى قبة باب النصر خارج القاهرة وجمع الوجاقلية والعلماء وأرباب السجاجيد وأمر الباشا بأن كل من كان وجاقلية أو عليه عتامة* يشهل نفسه ويطلع إلى التجريدة أو

* عليه عتامة: أى متمتع بحق الحصول على قطعة نقدية محددة. وقد استخدم هذا المصطلح في مصر كوحدة حسابية لبيان كمية (الجرّاية والعليق) التى كان يتلقاها

موظفى الديوان الحانزين لرتبة (بك) وما فوقها من الشون الأميرية لأنفسهم ورجالهم وحيواناتهم. وكانت مائة عتامة تعتبر (وحدة) للحصول على طعام كاف للحاجة اليومية لرجل واحد وحصانه. والمصطلح هنا يقصد به أنه مع وصول أنباء هزيمة التجريدة الموجهة ضد حسين بك كشكش النزاع على بك والباشا الذى أمر بجمع القوات عند قبة النصر، وجمع أعضاء الأوجاقان العسكرية (الفرق العسكرية السبعة) والعلماء وأرباب السجاجيد (أى السادة البكرية والوفائية والعمرية والخضرية، وهم رؤساء الطرق الصوفية فى مصر)، وأمر الباشا بأن ينضم للقوات كل من كان من الأوجاقات أو كان يتقاضى راتباً نقدياً أو عينيّاً من الخزينة (عليه عتامة)، فإذا لم يستطع فعله أن يقدم بديلاً عنه للاشتراك فى التجريدة.

يُخرجُ عنه بدلاً، واجتهد على بك فى تشهيل تجريدة عظيمة أخرى وكبيرها محمد بك أبو الذهب، وسافروا فى أوائل المحرم واجتمعوا بالتجريدة الأولى وسار الجميع خلف حسين بك وخليل بك ومن معهم وكانوا عدواً إلى بر الغريبة بعد أن هزموا التجريدة، فلو قدر الله أنهم لما كسروا (ص ٦٣٠) التجريدة ساقوا خلفهم كما فعل على بك وصالح بك لدخلوا إلى مصر من غير مانع، ولكن لم يرد الله تعالى لهم ذلك. وانقضت هذه السنين وما وقع بها على سبيل الإجمال إذ التفصيل متعذر وجمع الشوارد فى الظلام متعسر، وذلك بحسب الإمكان وما وعاه الفكر والذهن خوآن.

ذكر من مات فى هذه الأعوام من أكابر العلماء وأعاظم الأمراء

[مات] الشيخ الإمام الفقيه المحدث الشريف السيد/ محمد بن محمد البليدى المالكى الأشعرى الأندلسى [المغربى]، حضر دروس الشيخ شمس الدين محمد بن قاسم البقرى المقرئ الشافعى فى سنة عشر ومائة وألف، ثم على أشياخ الوقت كالشيخ العزيزى والملوى والنفراوى، وتمهر ثم لازم الفقه والحديث بالمشهد الحسينى، فراج أمره واشتهر ذكره وعظمت حلقاته وحسن اعتقاد الناس فيه وانكبوا على تقبيل يده وزيارته وخصوصاً تجار المغاربة لعله الجنسية، فهادوه وواسوه واشتروا له بيتاً بالعطفة المعروفة بدرب الشيشينى، وقسطوا ثمنه على أنفسهم ودفعوه من مالهم، فلم يزل مقبلاً على شأنه ملازماً على طريقته مواظباً على إملاء الحديث كصحیح البخارى ومسلم والموطأ والشفاء والشمائل، حتى توفى ليلة التاسع والعشرين من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وألف.

٢٦٦ محمد بن محمد البليدى.
ت ١١٧٦ هـ = ١٧٦٢ م.

٢٦٧ محمد أبو هادي بنى وفا.
ت/ ١١٧٦ هـ = ١٧٦٢ م.

[ومات] الأستاذ المعظم ذو المناقب العلية والسجايا المرضية بقية السلف السيد مجد الدين / محمد أبو هادي بن وفا، ولد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، ومات والده وهو طفل فنشأ يتيماً وخلف عمه في المشيخة والتكلم، وأقبل على العلم والمطالعة والأذكار والأوراد، وولى نقابة الأشراف (ص ٦٣١) بمصر في هذه الأثناء فساس فيها أحسن سياسة، وجمع له بين طرفي الرئاسة، وكان أبيض وسيماً ذا مهابة لا يهاب في الله، أماراً بالمعروف فاعلاً للخير، توفي يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة ست وسبعين وصلى عليه بالأزهر في مشهد عظيم حضره الأكابر والأصاغر، وحمل على الأعناق ودفن بزاويتهم بالقرب من عمه رضى الله عنه وتخلّف* بعده السيد شهاب الدين أحمد أبو الأمداد.

* تخلّف: أى صار خليفة نقابة الأشراف الرفائية.

٢٦٨ محمد باشا راغب الصدر الأعظم.
ت/ ١١٧٦ هـ = ١٧٦٢ م.

[ومات] أيضاً في هذا الشهر والسنة الصدر الأعظم المغفور له محمد باشا المعروف يراغب، وكان معدوداً من أفاضل العلماء وأكابر الحكماء جامعاً للرياستين، حاوياً للفضيلتين، وله تأليف وأبحاث في المعقول والمنقول، والفروع والأصول، وهو الذى حضر إلى مصر والياً في سنة تسع وخمسين ومائة وألف، ووقع له ما وقع مع الخشاب والدمايطة كما تقدم، ورجع إلى الديار الرومية وتولى الصدارة، ثم توفي إلى رحمة الله تعالى في رابع عشرين شهر رمضان سنة ست وسبعين ومائة وألف، وكان نقش خاتمه هذا البيت:

بمخمسٍ يرجو الأمان محمد

مما يخيف وفى نوالك راغب



وَأَلَفَ رِسَالَةً فِي الْعُرُوضِ غَرِيبَةٍ شَرَحَهَا الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ
الْقَلْعِيُّ الْمَغْرِبِيُّ، وَلَهُ ثَلَاثَةُ دَوَاوِينٍ تَرْكِيٍّ وَفَارَسِيٍّ وَعَرَبِيٍّ،
وَكَانَ لَهُ ذُوقٌ صَحِيحٌ وَفَهْمٌ رَجِيحٌ يَكْرُمُ الْعُلَمَاءَ
وَالْوَافِدِينَ وَيَسَاحِثُ أَهْلَ الْعِلْمِ بِمَبْتَكِرَاتِهِ، وَمِنْ كَلَامِهِ
فِي مُوَاجِبٍ * مِصْر:

* المُوَاجِبُ: وَمُفْرَدُهَا مُوَجِبَةٌ بِضَمِّ الْمِيمِ تَعْنِي
الْمُعْجِبَةُ وَالْكَارِثَةُ.

مُوَاجِبٌ نَزَلَتْ مِنْ بَعْدِ تَطْوِيلِ
كَضَرْطَةٍ رِبَطَتْ فِي طَرَفِ مِنْدِيلِ
أَوْ صَوْتِ ضَفْدَعَةٍ فِي بَرَكَةِ الْفِيلِ

(ص ٦٣٢) وَلَهُ فِي أَحَدِ مَمَالِيكَ أُمَرَاءِ مِصْرَ، وَأَجَادَ:

حَكَى ذَا الرِّشَاءِ الْمَمْلُوكُ فِي الْحَسَنِ يَوْسُفَا
وَفِيمَا أَدْعِيهِ يَشْهَدُ الْعَيْنُ وَالْقَلْبُ

خلا أن ذاك اغتاله الذئب فريّة
وهذا حقيقاً قد تملكه كلب

وسفينة الراغب المشهورة وما جمع فيها من المسائل
والأبحاث والإيرادات الغريبة كبحث الاسم والمسمى
والمقولات العشرة والعقول العشرة والحضرات الخمس
والمعابد الجسماني وجابرقا وجابرصا وغير ذلك.

٢٦٩ علي الهواري مروض الخيل.
قتل / ١١٧٦ هـ = ١٧٦٢ م.

[ومات] الشيخ المجذوب / علي الهواري، كان من أرباب
الأحوال الصادقين، والأولياء المستغرقين، وأصله من الصعيد
وكان يركب الخيول ويروضها ويجيد ركوبها ولذلك لقب
بالهواري، ثم أقلع من ذلك وانجذب مرة واحدة، وكان للناس
فيه اعتقاد حسن، وحكى عنه الكشف غير واحد، ويدور في
الأسواق والناس يتبركون به، مات شهيداً بالرماية، أصابته
رصاصة من يد رومي فلتة في سنة ست وسبعين ومائة وألف،
وصلوا عليه بالأزهر وازدحم الناس على جنازته رحمه الله.

٢٧٠ عمر بن أحمد بن عقيل السقاف.
ت / ١١٧٤ هـ = ١٧٦٠ م

[ومات] الشيخ المسند / عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني
المكي الشافعي الشهير بالسقاف ابن أخت حافظ الحجاز
عبد الله بن سالم البصري، والسقاف لقب جده الأكبر عبد
الرحمن من آل باعلوي، ولد بمكة سنة اثنتين ومائة وألف،
وروى عن خاله المذكور وعن الشيخين العجمي والنخلي
والشيخ تاج الدين المفتي وحسين ابن عبد الرحمن الخطيب
ومحمد عقيلة وإدريس بن أحمد اليماني والشيخ عيد وعبد
الوهاب الطنتدائي (ص ٦٣٣) ومصطفى بن فتح الله
الحنفي، وسمع الأولية عالياً عن الشهاب أحمد البناء بعناية

خاله سنة عشر ومائة وألف، ومهر وأنجب واشتهر صيته وسمع منه كبار الشيوخ وأجازهم كالشيخ الوالد والشيخ أحمد الجوهري، وعندى إجازته للوالد بخطه، وكذلك أجاز عبد الله بن سالم البصري والشيخ محمد عقيلة ومحمد عقيلة ومحمد حياة السندی وذلك بمكة سنة ثلاث وخمسين، وبه تخرج شيخنا السيد محمد مرتضى في غالب مروياته، وسمعت منه أنه اجتمع به بالمدينة المنورة عند باب الرحمة أحد أبواب الحرم الشريف، وسمع منه وأجازه إجازة عامة، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة وألف، ولازمه بمكة سنة أربع وستين ومائة وألف، وسمع منه أوائل الكتب الستة وأباح له كتب خاله يراجع فيها ما يحتاج إليه، وسمع من لفظه المسلسل بالعيد بالحرم المكي في صحبة سلاله الصالحين الشيخ عبد الرحمن المشرع وأجازهما، توفي في سنة أربع وسبعين ومائة وألف.

[ومات] العمدة العلامة المفوه النبيه الفقيه الشيخ/ محمد العدوي الحنفي، تفقه على كل من الإسقاطي والسيد علي الضرير والشيخ الزيادي وغيرهم، وحضر في المعقول على أشياخ الوقت كالمملوي والعماري وتصدر للإفادة والإقراء، وكان ذا شكيمة وشجاعة نفس وقوة جنان ومكارم أخلاق، توفي في ثالث الحجة سنة خمس وسبعين ومائة وألف.

٢٧١ محمد العدوي.
ت/ ١١٧٥ هـ = ١٧٦٣ م.

[ومات] الإمام العلامة الفقيه المتقن الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب الدجلى الحنفي، وهو ابن خال الوالد، اشتغل بالعلوم والفقه على أشياخ الوقت ودرس وأفتى واقتنى كتباً نفيسة في الفقه وجميعها بخط حسن، وقابلها وصححها وكتب

٢٧٢ محمد بن عبد الوهاب الدجلى.
ت/ ١١٧٧ هـ = ١٧٦٣ م.
وهو ابن خال والد الجبرتي.

عليها بخطه الحسن، وكانت جميع كتبه الفقهية وغيرها في غاية (ص ٦٣٤) الجودة والصحة ويضرب بها المثل ويعتمد عليها إلى الآن، وكان ملازماً للإفادة والإفتاء والتدريس والنفع على حالة حسنة ودمائة أخلاق وحسن عشرة، ولم يزل حتى توفي في شهر رجب سنة سبع وسبعين ومائة وألف.

٢٧٣ حسن بن سلامة الطيبي.
ت/ ١١٧٦ هـ = ١٧٦٢ م.

[ومات] الفقيه الصالح الخير الدين / حسن بن سلامة الطيبي المالكي نزيل ثغر رشيد، تفقه على شيخه محمد بن عبد الله الزهيري وبه تخرج، وأجازه محمد ابن عثمان الصافي البرلسي في طريقة البراهمة^(٩)، وسيدى أحمد بن قاسم البوني حين ورد ثغر رشيد في الحديث، ودرس بجامع زغلول وأفتى، ودرسه أكبر الدروس، وكان لديه فوايد كثيرة، توفي سنة ست وسبعين ومائة وألف.

٢٧٤ حسن بن علي بن دياب.
ت/ ١١٧٦ هـ = ١٧٦٢ م.

[ومات] المفتي الفاضل النبيه زين الدين أبو المعالي / حسن بن علي بن علي بن منصور ابن عامر بن ذياب شمه الفوى الأصل المكي، ينتهى نسبه إلى الولي الكامل سيدى محمد بن زين النحراوى، ومن أمه إلى سيدى إبراهيم البسيونى، ولد بمكة سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف، وبها نشأ وأخذ العلم عن الشيخ عطا بن أحمد المصرى والشيخ أحمد الأشبولي وغيرهما من الواردين بالحرمين، وأتى إلى مصر فحضر دروس الشيخ الحفنى وله انتسب، وأجازه في الطريقة البرهامية بلدية الشيخ منصور هدية، وألف وأجاد وكان فصيحاً بليغاً ذكياً حاد الذهن جيد القريحة له سعة اطلاع في العلوم الغريبة، ونظم رائق مع سرعة الارتجال، وقد جمع كلامه في ديوان، هو على فضله عنوان، ومن مؤلفاته شرح

صيغة القطب سيدى إبراهيم الدسوقي، جمع فيه شيئاً كثيراً من الفوائد (ص ٦٣٥)، وارتحل إلى الروم ثم عاد إلى مصر وألف كتاباً في مناقب أستاذه الحفنى، وله حاشية على شرح شيخ الإسلام على البردة، وحاشية على شرحه على الجزرية، ورسالة في خصوص رواية السوسى عن يحيى اليزيدى عن أبى عمرو ثم نظمها وكتبها، وكتاب الحقايق والإشارات إلى ترقى المقامات، والحلل السندسية على أسرار الدائرة الشاذلية وكشف الرموز الخفية بشرح الهمزية، ووسع الاطلاع على مختصر أبى شجاع، وهو كتاب حافل يبلغ أربع مجلدات، ومسرة العينين بشرح حزب أبى العينين، وقصة المولد النبوى، ونظم الأزهرية فى النحو، وعمل منظومة فى تاريخ مصر سماها بالحجج القاهرة، وغير ذلك رسائل ومنظومات كثيرة ومناسك الحج كبيرة، وسكن فى الآخر بولاق وبها توفى ليلة الجمعة رابع عشرين رمضان سنة ست وسبعين ومائة وألف.

[ومات] الشيخ الإمام الفقيه المحقق الشيخ/ خليل بن محمد المغربى الأصل المالكى المصرى، أتى والده من المغرب فتدبر* مصر وولد المترجم بها، نشأ على عفة وصلاح وأقبل على تحصيل المعارف والعلوم، فأدرك منها المروم، وحضر دروس الشيخ الملوى والسيد البليدى وغيرهما من فضلاء الوقت إلى أن استكمل هلال معارفه وأبدر* وفاق أقرانه فى التحقيقات واشتهر، وكان حسن الإلقاء للعلوم حسن التقرير والتحرير حاد القريحة جيد الذهن إماماً فى المعقولات وحالاً للمشكلات، وولى خزانة كتب المؤيد مدة فأصلح ما فسد منها ورم ما تشعث، وانتفع به جماعة كثيرون من أهل عصرنا، وله مؤلفات منها شرح (ص ٦٣٦) المقولات العشر

٢٧٥ خليل بن محمد المغربى.
ت/ ١١٧٧ هـ = ١٧٦٣ م.
* تدبر مصر: أى اتخذ مصر داراً له.

* أبدر أى صار بداراً.

مفيد جداً، توفي يوم الخميس خامس عشرين المحرم سنة سبع وسبعين ومائة وألف بالرى وهو منصرف من الحج.

٢٧٦ عمر بن على الفتوشى (ابن الوكيل).
ت/ ١١٧٥ هـ = ١٧٦١ م.

[ومات] السيد الأديب الشاعر المفضل / عمر بن على الفتوشى التونسى ويعرف بابن الوكيل، ورد مصر فى سنة أربع وخمسين فسمع الصحيح على الشيخ الحفنى وأجازه فى ثانى المحرم منها، ثم توجه إلى الإسكندرية وتديرها مدة، ثم ورد فى أثناء أربع وسبعين، وكان ينشد كثيراً من المقاطيع لنفسه ولغيره، وألف رسالة فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، مزج صيغها بالورد* الأعلى للشيخ الأكبر، وتولى نيابة القضاء بالكاملية، وكان إنساناً حسناً لطيف المحاورة كثير التودد والمراعاة، بشوش الملتقى مقبلاً على شأنه، توفي فى ثانى ذى الحجة سنة خمس وسبعين ومائة وألف.

* الورد: أدعية دينية يواظب الصالحون على تلاوتها.

٢٧٧ محفوظ الفوى.
ت/ ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م.

[ومات] الأستاذ الذاكر الشيخ / محفوظ الفوى تلميذ سيدى محمد بن يوسف عن ورم فى رجليه فى غرة جمادى الثانية سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، ودفن يومه قريباً من مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها.

٢٧٨ محمد بن يوسف الدنجيهى.
ت/ ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م.

[ومات] العالم الفقيه المحدث الأصولى الشيخ / محمد بن يوسف بن عيسى الدنجيهى الشافعى بدمياط فى سادس شعبان سنة ثمان وسبعين ومائة وألف.

٢٧٩ عبد الرحمن أغا.
ت/ ١١٧٩ هـ = ١٧٦٣ م.

[ومات] الجناب المكرم الصالح المنفصل عن مشيخة الحرم النبوى / عبد الرحمن أغا فى ثامن شوال سنة تسع وسبعين ومائة وألف، ودفن بجوار المشهد النفيسى.

٢٨٠ إبراهيم أوده باشه
ت/ ١١٧٧ هـ = ١٧٦٣ م.

[ومات] الجناب المكرم محب الفقراء والمساكين الأمير
إبراهيم أوده باشه غانم (ص ٦٣٧) فجأة في ثامن جمادى
الأولى سنة سبع وسبعين ومائة وألف، ودفن بمقبرتهم عند
السادة المالكية.

٢٨١ عبد الفتاح المرحوم.
ت/ ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م.

[ومات] أيضا العمدة الشيخ/ عبد الفتاح المرحوم
بالأزكية في تاسع شوال سنة ثمان وسبعين ومائة وألف.

٣٨٢ حسن النابلسي.
ت/ ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م.

[ومات] الأجل المكرم الحاج/ حسن فخر الدين النابلسي
عن سن عالية، وكان من أرباب الأموال رابع عشرين
جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف.

٢٨٣ علي بن عبد الله.
ت/ ١١٧٦ هـ = ١٧٦٢ م.

[ومات] الأمير الأجل المحترم صاحب الخيرات والمحبيب إلى
الصالحات/ علي بن عبد الله مولى بشير أغا دار السعادة،
ولى وكالة دار السعادة فباشر فيها بحشمة وافرة وشهامة
باهرة، وفيه يقول الشيخ عبد الله الإدكاوي (١٠).

أقبل الحظ والهناء السني

ولنا أحسن الزمان المسي

وأنت دولة السرور فأهلاً

بك من دولة حبها العلي

لعلّى المقام والفعل والاسم ومن جل فكره الألعى

والهمام الغمام بأساً وجوداً

والذى شاع ذكره المرضى

فابشر ابشر بدولة لك فيها

منابه يا رئيس يهنى الولي

بحلاها حلاك سلطاننا الأعظم عثمان الأمجد الأفضلى



دمتَ فيها مهناً بال مأمور
نَا لك الله حافظ والنبى
لك تاريخها حلا يا همام
أنت نعم الوكيل فاسعد على

وكان منزله مورد الوافدين من الآفاق، مظهر التجليات
(ص ٦٣٨) الأشراف، مع ميله إلى الفنون الغريبة، وكماله
فى البدايع العجيبة، من حسن الخط وجودة الرمى وإتقان
الفروسية، ومدحته الشعراء وأحبته العلماء، وألقت إليه
الرياسة قيادها، فأصلح ما وهن من أركانها وأزال فسادها،
ولقد عزل عن منصبه ولم يأفل بدر كماله، واستمر ناموس
حشمته باقيا على حاله، واقتنى كتباً نفيسة وكان سموها
بإعارتها، وكان عنده من جملتها البرهان القاطع للتبريزى



في اللغة الفارسية على هيئة القاموس، وسفينة الراغب
وهي مجموعة جامعة للفوائد الغريبة، ومنها كشف الظنون
في أسماء الكتب والفنون لمصطفى خليفة وهو كتاب
عجيب، توفي يوم الاثنين ثامن عشر شهر صفر سنة ستة
وسبعين ومائة وألف، وصلى عليه بسبيل المؤمنين ودفن بالقرافة
بالقرب من الإمام الشافعي، ولم يخلف بعده مثله في المروءة
والكرم رحمه الله تعالى، وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة.

[ومات] الإمام العلامة والمدقق الفهامة الشيخ يوسف شقيق
الأستاذ شمس الدين الحفني، أخذ العلم عن مشايخ عصره
مشاركاً لأخيه، وتلقى عن أخيه ولازمه ودرس وأفاد وأفتى
وألف ونظم الشعر الفائق الراق، وله ديوان شعر مشهور،
وكتب حاشية عظيمة على الأشموني وهي مشهورة يتنافس

٢٨ يوسف الحفني.
ت ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م.

فيها الفضلاء، وحاشية على مختصر السعد وعلى شرح
الخزرجية لشيخ الإسلام، وحاشية على جمع الجوامع لم
تكمل، وحاشية على الناصر وابن قاسم، وشرح شرح
الأزهرية لمؤلفها، وشرح على شرح السعد لعقايد النسفي،
وحاشية الخيالي عليه وعلى ملا حنفي في آداب البحث
وغير ذلك، وله مقامتان وقصايد طنانة مذكورة في المدايح
الرضوانية وغيرها، توفي في شهر صفر سنة ثمان وسبعين
ومائة وألف.

٢٨٥ على بن ابن الخير المرحوم.
ت ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م.

[ومات] الإمام الفصيح المفرد الأديب الماهر الناظم النائر
الشيخ على بن أبي الخير بن على المرحوم الشافعي خطيب
جامع الحبشلي^(١١)، ومن آثاره تشطير الآيات الثلاثة
للشيخ على جبريل في مدح الأمير رضوان كتخدا الجلفي
وهي:

(وأبيك ما رضوان إلا آية)
مَنْ أَمَّه نال المنى في الحال
ملك الأنام بعزه وبحوده
(شهدت بذاك شهامة الأفعال)
(يهب المواهب جملة بسماحة)
من غير تعريض له بسؤال
وتراه يغنى بالعطاء مؤملاً
(مترافعاً عن منة وملال)
(حتى يصير المعدمون برفده)
يسعى لثروتهم مريد نوال
ويراهم زادوا افتخاراً إذ غدوا
(مترفعين على ذوى الأموال)

وهو ممن كتب على بديعية على بن تاج القلعي، ومن كلامه
يخاطب به الشيخ العيدروس.

ما يقول البليغ إن رام مدحاً
في زكي مقدس عيـدروسـي
نسل طه ونجل بنت عتيق
فهو والله تاج رأس الرؤوس
(ص ٦٤٠) توفي ليلة الجمعة سادس ذي القعدة سنة ثمان
وسبعين ومائة وألف.

[ومات] الإمام العلامة السيد/ إبراهيم بن محمد أبي
السعود بن علي بن علي الحسيني الحنفي، ولد بمصر وقرأ
الكثير على والده وبه تخرج في الفنون ومهر في الفقه
وأفجج، وغاص في معرفة فروع المذهب، وكانت فتاويه في
حياة والده مسددة معروفة، وبده الطولي في حل الإشكالات
العقيمة مذكورة موصوفة، رحل في صحبة والده إلى
المنصورة فمدحهما القاضي عبد الله بن مرعي المكي، وأثنى
عليهما بما هو مثبت في ترجمته، ولو عاش المترجم لثم به
جمال المذهب. توفي يوم الأحد سابع عشر جمادى الآخرة
سنة تسع وسبعين ومائة وألف.

٢٨٦ إبراهيم بن محمد الحسيني.
ت/ ١١٧٩ هـ = ١٧٦٥ م.

[ومات] الفقيه الزاهد الورع العالم المسلك* الشيخ/ محمد
بن عيسى بن يوسف الدمياطي الشافعي، أخذ المعقول عن
السيد علي الضرير والشيخ العزيز والشيخ إبراهيم
القيومي، والفقه أيضاً عن الشيخ العياشي والشيخ
الملوي والحنفي وطبقتهم، واجتمع بالسيد مصطفى البكري

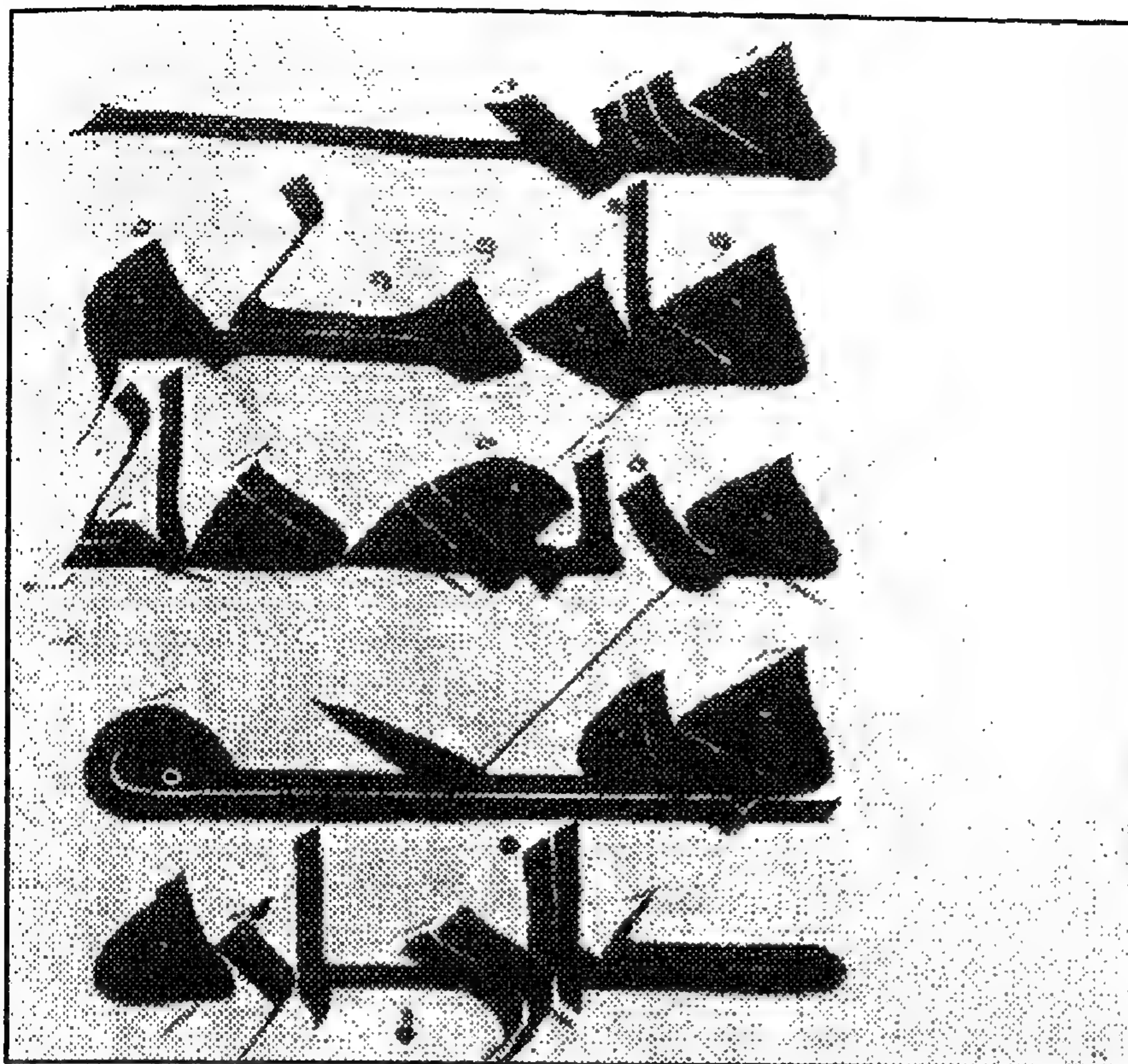
٢٨٧ محمد بن عيسى الدمياطي.
ت/ ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م.
* المسلك: من شيوخ الطرق الصوفية هو
الذي يسلك المريدين ويجيزهم في طريقته.

وأخذ عنه طريقة الخلوتية ولقنه الأسماء بشروطها، وألف حاشية على المنهج ونسبها لشيخه السيد مصطفى العزيزي، وله حاشية على الأخضري في المنطق وحاشية على السنوسية وغير ذلك. توفي في ثامن رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، وكانت جنازته حافلة وصلى عليه بالأزهر ودفن ببستان المجاورين وبنوا على قبره سقيفة يجتمع تحتها تلامذته في صبح يوم الجمعة يقرءون عنده القرآن ويذكرون واستمروا على ذلك مدة سنين.

٢٨٨ أحمد بن محمد السحيمي.
ت/ ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م.

* جامع سيدى ساريه: هو جامع بقلعة الجبل.

[ومات] الإمام العلامة الناسك الشيخ/ أحمد بن محمد السحيمي الشافعي نزيل قلعة الجبل، حضر (ص ٦٤١) دروس الأشياخ ولازم الشيخ عيسى البراوى وبه انتفع، وتصدر للتدريس بجامع سيدى ساريه* وأحيا الله به تلك البقعة وانتفع به الناس جيلا بعد جيل وعمر بالقرب من منزله زاوية وحفر ساقية بذل عليها بعض الأمراء بإشارته مالا حفيلا فنبع الماء وعُدَّ ذلك من كراماته، فإنهم كانوا قبل ذلك يتعبون من قلة الماء كثيرا، وشغل الناس بالذكر والعلم والمراقبة، وصنّف التصانيف المفيدة في علم التوحيد والفقه مقبولة بين أيدي الناس، منها حاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة وجعله متنا وشرحه مزجا وهى غاية فى بابها، وله حال مع الله وتؤثر عنه كرامات اعتنى بعض أصحابه بجمعها، واشتهر بينهم أنه كان يعرف الاسم الأعظم، وبالجمل فلم يكن فى عصره من يدانيه فى الصلاح والخير وحسن السلوك على قدم السلف، توفي فى ثامن شعبان سنة ثمان وسبعين ومائة وألف ودفن بباب الوزير.



٢٨٩ محمد بن أحمد ابن صالح ابن السعود
الجارحي.
ت/ ١١٧٩ هـ = ١٧٦٥ م.

[ومات] الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله / محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن علي بن الأستاذ أبي السعود الجارحي الشافعي، ويقال له السعودي نسبة إلى جده المذكور، حضر دروس الشيخ مصطفى العريزي وغيره من فضلاء الوقت. وكان إماماً محققاً له باع في العلوم، وكان مسكنه في باب الحديد أحد أبواب مصر، وحضر السيد البليدي في تفسير البيضاوي، وكان الشيخ يعتمد عليه في أكثر ما يقول ويعترف بفضله ويحسن الثناء عليه، توفي في شعبان سنة تسع وسبعين ومائة وألف.

٢٩٠ محمد بن حسين الحسيني العادلي
الدمرداشي.
ت/ ١١٧٨ هـ = ١٧٦٤ م.

[ومات] السيد الأجل المحترم فخر أعيان الأشراف
(ص ٦٤٢) الاعتبارين السيد/ محمد بن حسين الحسيني
العادلي الدمرداشي، ولد بمصر قبل القرن بقليل وأدرك

الشيوخ وتمول وأثرى وصار له صيت وجاه، وكان بيته بالأزبكية ويرد عليه العلماء والفضلاء، وكان وحيداً في شأنه وكلمته مقبولة عند الأمراء والأكابر، ولما تولى الشيخ أبو هادي الوفائي رحمه الله تعالى كان يتردد إلى مجلسه كثيراً. توفي سنة ثمان وسبعين ومائة ألف.

٢٩١ سليمان بن عبد الله الغطاط.
ت/١١٧٩ هـ = ١٧٦٥ م.

* مدرسة السليمانية: بشارع السروجية عن شمال الداهب إلى الصليبة عمرها الأمير سليمان باشا في سنة ٩٢٠ هـ ثم صارت تكية فيما بعد.

[ومات] الشيخ الفاضل الناسك الكاتب الماهر البليغ/ سليمان بن عبد الله الرومي الأصل المصري، مولى المرحوم علي بك الدمياطي، جود الخط على حسن أفندي الضيائي وأنجب وتميز فيه وأجيز، وكتب بخطه الفائق كثيراً من الرسائل والأحزاب والأوراد، وكانت له خلوة بالمدرسة السليمانية* لاجتماع الأحباب، وكان حسن المذاكرة لطيف الشمايل حلل المفاكهة يحفظ كثيراً من الأناشيد والمناسبات، توفي سنة تسع وسبعين ومائة ألف.

٢٩٢ محمد بن رضوان السيوطي الشهير بابن الصلاح.
ت/١١٨٠ هـ = ١٧٦٦ م.

* نص اجازة الشيخ الحفني للمترجم.

[ومات] السيد العالم الأديب الماهر الناظم النائر/ محمد بن رضوان السيوطي الشهير بابن الصلاح، ولد بأسوط على رأس الأربعين ونشأ هناك وأمه شريفة من بيت شهير هناك، ولما ترعرع ورد مصر وحصل العلوم وحضر دروس الشيخ محمد الحفني ولازمه وانتسب إليه فلاحظته أنواره ولبسته أسرار، ومال إلى فن الأدب فأخذ منه بالخط الأوفر، وخطه في غاية الجودة والصحة، وكتب نسخة من القاموس وهي في غاية الحسن والإتقان والضبط، وله شعر عذب يفوض فيه على غرائب المعاني، وربما يستكر (ص ٦٤٣) ما لم يسبق إليه، وقد أجازته* الشيخ الحفني بما نصه: «نحمدك يا عليم يا فتاح، يا ذا المن بالعلم والصلاح، ونصلي ونسلم

على أقوى سند، وعلى آله وصحبه معادن الفضل والمدد، أما بعد فإن المولى العلامة الرحلة الفهامة الحاذق الأديب، واللودعى الأريب، مولانا الشيخ محمد الصلاحى السيوطى قد حاز من التحلى بقرايد المسائل العلية أوفر نصيب، بفهم ثاقب وإدراك مصيب، فكان أهلاً للانتظام فى سلك الأعلام، بأجازته كما هو سنن أئمة الإسلام، فأجزته بما تضمنته هذه الوريقات من العلوم العقلية والنقلية المتلقاة عن الأثبات، وبسائر ما تجوز لى روايته، أو تثبت لدى درايته، موصياً له بتقوى الله التى هى أقوى سبيل النجاة، وألا ينسأنى من صالح دعواته، فى أوقات توجهاته، نفعه الله ونفع به، ونظمه فى عقد أهل قربه، وأفضل الصلاة والسلام، على أكمل رسل السلام، وعلى آله أئمة الهدى، وصحبه نجوم الاقتداء. كتبه محمد بن سالم الحفناوى الشافعى ثامن جمادى الثانية سنة ثمان وسبعين ومائة وألف. وللمترجم مقامة بديعة متضمنة مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذيلها بقصيدة سماها الدرة البحرية، والقلادة النحرية، وهى طويلة تزيد على الثمانين بيتاً ومن غرر أشعاره قوله:

هات لى قهوة الشفا من شفاهك
 واسقنيها على فخامة جاهك
 (ص ٦٤٤) عاطنيها يا أوحده العصر لطفا
 وبديع المثال فى أشباهك
 يا غزالاً لو صوّر البدر شخصاً
 ليضاهيك فى البها لم يضاهك
 عاطنيها ولم تدع لم حراكا
 لست أقوى على كمال انتباهك
 هاتها والرخاخ* فى غفلات
 لا تدعهم فيفتكمروا فى شياهم

* الرخاخ: بكسر الراء جمع رخ بضم الراء وهو طائر كبير خرافى.

وقد شطرها الشيخ قاسم الأديب بما هو في ترجمته.
وله أيضاً:

حثّ نجب الكئوس قبل الصباح
واسقني من يدك صرف الراح
واحداً لي حادى المطى إليها
فى غـدو مـبـادراً أو رواح
لا تدعنى بدون شربى فهـمى
منك فى الاغتـبـاق والإصطباح
خمرة تجعل الخلى شجياً
فهى مثل الفداء للأرواح
عاطنيها من بين آس وبان
وشقيق ورجس وأقـاح*
عاطنيها من بين إخوان صدق
قد تواصلوا على التقى والصلاح
عاطيها من كف بدر يطيع الكاس (ص ٦٤٥)
فى أمرها أو يعصى اللواحي
ذى طباع كريمة بين أعطا
ف بما تشتهى النفوس شحاح
كلما اهتزت الشمول بعطفه
أغار الهوى على الأرواح
صاح خل الصُحاة حقاً وصح لى
لحمى الدنّ إننى غيـر صـاح
وادعنى دعوة المشوق فإنى
قد دعانى من قبل داعى الفلاح
قد دعانى لمولد السيد الكا
مل غـسـوث الـورى أبى الأفسراح

* أقاح: بفتح الهمزة جمع مفردة أقحوان
بضم الهمزة وهو نبات على سنى البابونج
بفتح النون.

قد دعاني لموسم الجود والفضل
 وعرس الندى وعيد السماح
 مولد السيد الذي تنهض الناس
 إليه بل للمنى والنجاح
 عين آل النبي كنز الأماني
 وأنسدي الأنعام أبطن راح
 قد دعاني فقلت أهلا ولو أسمى
 على العين أو مستون الرماح
 ما دعاني إلا وكلى مجيب
 لدعاه على اختلاف رياح
 قلت لكن علينه عادة بر
 ليس لي إن تأخرت من براح
 يقتضى الشوق أن أطيّر إليه
 وبسوء الأحوال قص جناحي
 (ص ٦٤٦) لا قلوب تقل رجلى وأفرا
 س اشتياقي قد أصبحت فى جماع
 قال فاقصد حمى خليفته الحفنى
 وانزل به بغية ر جناح
 قلت أنصفتنى وهل لى فى غير
 حمى من راحة واطراح
 من حمى يسهل العسير لديه
 ومقام سهل النوال مباح
 كم أباد من جوده وصلتنى
 جوهريات فانقات صحاح
 ما قصدت الحمى وأشفقت أنى
 خارج بالسؤال للإلحاح

فعطاياه كالكنوس فلا يحتاج
 في نيلها إلى الإفصاح
 أرتجى أنه إذا قصد السير
 لذاك الحسمى وتلك النواحي
 ولديه أتباعه الكل أن يذ
 كر فيهم محمد بن الصلاحى
 سيدى هذه العلاقة فاعذر
 نهب شروق أحشاؤه فى جراح
 أنت حكمت فى كاسك فاحكم
 بتفاض عن سوء فرط اقتراحى
 دمت فى نعمة الرضا ماتوالت
 مدة الدهر بالمسا والصباح

(ص ٦٤٧) قلت: ومطلع هذه القصيدة مأخوذ من مطلع
 قصيدة خمرة للشريف أحمد بن مسعود الحسنى أحد
 أشراف مكة وهى:
 «حت قبل الصباح نجب الكنوس» إلا أنه قدم وآخر.
 ومن غرر قصائده قوله:

نقلوا أكاذيب السلو لهاجرى
 سفهاً وما خطر السلو بخاطرى
 يا ليتهم علموا بأسرارى التى
 أودعتها يوم النوى بسرارى
 لله وقفنا بجرعاء الحسمى
 والنجم مرصود لسهد الساهر
 نملى أحاديث الغرام فنجتلى
 منها سرور مسامع وخواطى

وندير كاسات الوداع مديدة
 في شق أطواق وشق مـــــرائر
 وسوابق العبرات من دمعى ومن
 شعري كعقد لآلىء وجواهر
 أدعو سراة الظاعنين كأنما
 أرجو الوصال من الغزال النافر
 من كل بدر دجى وغصن أراكمة
 فى عز آساد وذل جـــــآدر
 يعطى طلا الفـاظه ولحـاظه
 فى كأس مخمور وكأس مسامر
 لله أيام سلفن بوصله
 والدهر ممثـل لأمر الآمر
 إن فاتنى طيب الزمان به فلى (ص ٦٤٨)
 عوض بطيب حديث عبد القادر
 مولى نراه نتقيه مهابة
 من حسن آثار وطيب مـــــآثر
 يرضيك من أخلاقه وخلـاقه
 برياض آداب وكنز مـــــفاخر
 وفضائل زينت بحسن فواضل
 ومسححـــــاسن راقـت لعين الناظر
 أله اكبر إن أية فخره
 كبرى زائدة كابر عن كابر
 مولاي لم أخطر مديحك خاطراً
 إلا لأنك ثابت فى الخـــــاطر
 فاقبل هـديت هـدية من شاعر
 إن اقتراح الشعر منع الشاعر

ما قصر العبد الصلاحى وزنها
إلا لفهم عن جنابك قاصر

وله أيضاً:

اسقنا من يدك قهوة بن
وأدرها ممزوجة برضابك
لا تحكم سوى كنوسك فينا
أنت كفاء ونحن من خطابك

وله أيضاً:

اتخذ ساقياً وإن تعدم الرا
ح فمن ريقه الشهى أدرها
وإذا لم تجد لساق سبيلاً
فاطرحها هملاً لا تعصرها

(ص ٦٤٩) وله أيضاً:

بالأشرفية شاذن
ظبى الكناس له الفسدى
يهدى السراة جنبينه
فجنبينه صبح الهدى
فى عطفه هيف الصببا
وبلحظه سسبل الردى
لولا الحياء وما أرا
قب من مراقبة العدا
لتساقطت بخدوده
قُبلى مساقطة الندى

وله أيضاً:

جاء داعي الحبيب يدعوا لوصلي
في محل شدت على الماء ورقه
فتعشرت من سروري وما وا
فيت حتى مضى وأومض برقه

وله أيضاً:

ربيع هذا الروض قد شاقنا
بمنظر زاه وعرف ندى
لما كسته الشمس حاكي لنا
زمرداً* مؤه بالعسجد*

* زمرداً: بالذال لغة في الزمرد بالذال، وهو حجر كريم شديد الخضرة، وأشدّه خضرة أجوده وأصفاه جوهراً، وأحدثه زمردة. * العسجد: هو الذهب.

وله يخاطب بعض إخوانه:

ما غاض هذا الروض من مائه
وصار للأنداء مستمطرا
إلا وقد أنبت إحسانكم
فيه ريعاً بالندى مثمرا

وله أيضاً:

أفدى بروحي ذلك الغالي الذي
وافي فأحيا رسم جسمي البالي
عانقته فشممت غالية الشدا*
(ص ٦٥٠) منه فيا لله شم الغالي

* غالية الشدا: الغالية نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن، والشدا قوة ذكاء الرائحة، والمعنى المقصود بهما (الطيب الشديد الرائحة).

وله أيضاً:

سرينا وأعطاف النسيم تهزنا
تدير من الصهبا حديث شجون

فخفنا عيون الحاسدين لأننا
سرينا من الأزهار فوق عيون

ووجدت بخطه ما نصه وقلت اختراعاً لهذا المعنى ولا أعلم
أنى سُبقت إليه:

جزى الله أنفاس النسيم فإنها
لتعلم سرّاً في النفوس لطيفاً
أسرت إلى الأغصان عند قدومنا
حديثاً فمدت للسلام كفوفاً
وهزت سروراً بالتداني معاطفاً
وأهدت لنا منها شذاً وقطوفاً

وله أيضاً في الاكتفاء وقد أحسن:

بالله سلا عن حال قلبي وسلا
* وسلا: أي وسلاماً.
إن كان صبا إلى سراكم وسلا
والبعد كوى الحشا بنار وسلا
يا نار كوني اليوم برداً وسلا*
وله أيضاً:

الليل إما يطلع ليل صباحاً
والصبح إما يطلب صبح صلحاً
إن كان مع الصبح يأتي فرج
يا عين تسهدي ويأتي فرحاً

(ص ٦٥١) وله أيضاً:

ألقاك وفي حشاشتي الأشواق
بدرًا شخّصتْ لحسنه الأحداق

لا يسمعني إليك إلا كتبني
يا غصن أما تروك الأوراق؟

وله أيضاً:

خدي غيول أدعي ميدان
والشوق رجال عزمه فرسان
يا من وقصدت لحربهم نيران
مههلاً فلکم بفكرتي ديوان

وكتب إلى بعض الإخوان وقد أهدى إليه منديلاً:

يا كاملاً أحيت مكارمه الندي
فغدا لأمرض القلوب طبيباً
وردت هديتك التي كانت لنا
كقميص يوسف إذ أتى يعقوباً
منديل سرك حين جاء مبشراً
بالود سرّ خاطراً وقلوباً
كانت دموعي للنوى مسفوحة
فحفظت فيه مدمعاً مسكوباً
أودعته دراً وعنه مسامعي
منكم وصون الدر ليس عجيباً
لكن تعلمت الندي فوهبت بعض
أحببتي مما وهبت نصيباً
لازال ربك بالملكاهم أهلاً
وربيع كسفك بالنوال خصيباً

وله أيضاً: (ص ٦٥٢)

رب شخص يظن فينا قبيحا
لو تروى رأى القبيح شعاره
قيل لى ماله سوى الرجم بالغيب
سبيل فقلت بل بالحجاره

وله أيضا:

لقد حركت نفسى إلى ذلك الحمى
منازل تمت لى بهن مناره
انفسى مهلا ليس بالسعى يتغى
مكارم اخلاق بهن مكاره

وله مطرزا باسم أحمد:

أمانا قد أضر بنا الجفاء
فقد فعلت لحاظك ما تشاء
حلا فيك الغرام لكل صب
وحبك ما لأوله انتهاء
ملوك العاشقين لديك جند
وانت لشمس دولتهم ضياء
دموعهم قد نسكيت لى ما
تظلك من سحابها سماء

وله أيضا فى الشغ:

والشغ حلو الشغ من بقيلة
فنمت به أصداغه وهى واوات
فقلت أما للحرب عندك غاية
فقال ذواباتى لحربك غايات

وله أيضا:

مذ أتى منكم بشير يحاكي
 بلبل الروض معرباً الحانه
 هزنا الشوق للصبح صباحاً
 فسبقناكم لباب الحانة*

* الحانة: حانوت الخمار وهو الموضع الذي
 تباع فيه الخمر.

وله أيضاً: (ص ٦٥٣)

بنفسي نحوياً سيوف لحاظه
 غدت عمدتي في الفعل وهي ضعاف
 يضاف إليه كل معني وأنه
 على عزة الإدلال ليس يضاف

وله أيضاً:

مذ لاح في المرأة فائن شكله
 وجلاً بوجهيه لنا قمرين
 صح افتنان العاشقين فإنه
 حاز الوجاهة وهو ذو وجهين

وله أيضاً هذه القصيدة الغراء:

بثنا عن النائي الغريب
 جُملاً من الخبر العجيب
 واستوقف الركبان ما
 بين الأراكسة والكشيب
 واستنشد القلب الذي
 قد ضاع من بين القلوب
 سلبته يوم الدوحتين طليعة لرشا الربيب



وسرت به نحو الخيام
يد الصبّا ويد الجنوب
ترنو الهوادج عن صفا
شمس تميل إلى الغروب
والبدر يظهر من خلال
السجف* في مرأى عجب
والرق يخفق والأزاهر (ص ٦٥٤)
مثل قلبي في وجيب
يا حادى العيس التى
سارت على قلبي الجنب
علل عليل هوى فعهذك ما تقادم بالطبيب
أنفاسه الحراء لا
تهدى بمدى السكوب

كاغزال يرتع في النعيم ويشتكى حرَّ اللهب
يصبر لمعتل النسيم ويستريح إلى الهبوب
إنسى وإن شطَّ النوى

وقف على حب الحبيب
كابدت ما كابدت من

شقَّ المرائر والجيوب
وعلمت كيف تقوم أسواق المعارك والحروب
ولقيت دون البيض وقع السمر بالصدر الرحيب
من كل ريم جائل

في برد جردته النشيب
يحكى الغزالة في الترفع والغزالة في الوثوب
الحاظه ترويك ديوان الحماسة عن حبيب
وقعات أسهمه تركن جميع جسمي في ندوب
وقف السقام على النوى

ولهجتي أوفى نصيب
لو أغرق الشعراء فيه لأخروا وزن النسيب
أسفى على عنفٍ عُمُر

مر في عيش حديث أسرار الغيوب
حيث المسرة في دنو

والمساةة في هروب
حيث الشبيبة لم تشب

بتراب تغيير المشيب
عممر وفي دهرى به

فعمجت من صدق الكذب
كم ليلة عانقت فيها

قامة الغصن الرطيب

في معهد ما فض عنه الأنس إلا ختم طيب
والزهر يضحك من بكاء

الطلّ بالثغفر الشنيب
(ص ٦٥٥) والريح تكتب في الغدير حديث أسرار الغيوب
والطير تقرا والغصون

تهز أعطاف الطروب
والورق تصدح في الغصون

بصوت محزون كئيب
في رنة الشادى وهينمة القطا والعندليب
عجماء تعرب في السوال

وتستجيب بلا مجيب
والليل أرسل ذيله

رصدا على أعلى القضيبي
يحكى الثمور كانه

يروى الفروع عن الخطيب
فجعلت وردى ورد خمد

وافر منه نصيبى
أدنو وأحشاني من الحدثان في شك مريب

لولا الرقيب ظفرت من
لقياه بالفرج القريب

وكشفت من صلى به
مما قد ألم من الكروب

بعد الحبيب أخف عندي
من مواقيت الرقيب

دار يكون بها عدوى
لا أحب بها حبيبى

إن الشواء* على النوى
 من بعض حرممان الأديب
 من يخطب العلياء هان
 عليه ترويع الخطوب
 يا دهر ويحك كيف قابلت
 المناقب بالسلب
 ورفعت كل مؤخر
 وخففت مقدار الحبيب
 حسبى الفضائل والعلل
 والفضيل ليس من العيوب
 حسنات مثلى من حلاك
 وليس ذنبك من ذنوبى
 ما حلت الآذان إلا
 حليّة الفطن اللبيب
 لو أنصف الرامى لبسان
 العذر فى خطا المصيب
 إن كان جهده الدهر صرف
 نقود عمرى فى المغيب
 فابن الصلاحى غريب
 لا سلام على الغريب

وله أيضا:

حدثنا عن حديث شوق قديم (ص ٦٥٦)
 يا زمان الحمى وربيع سيوط
 كلما قلت ربيع أسبوط يدنو
 صك وجه الرجاء بكف قنوط

وله

يَهْوَاهُ قَلْبِي وَلَكِنْ
لِلنَّفْسِ عَنْهُ أَكْفُ
وَقَدْ يُغْصِ بِمَا
تَنَازَعْتَهُ الْأَكْفُ

وله

وكان لي الشكر في طاعة
فلما عجزت عصمتي القوافي
فهل لي بهذا الجفا سيدي
توافي لعل القوافي تُوافي

وله

اللشعر سحر فاستامه*
* فاستامه: ای فاشتره.

واقرض للدهر منه قريضا
وليس قـصـارای لکنی

لأجل الخليل* عشقت العروضا * الخليل: هو الخليل بن أحمد واضع علم
العروض.

وله أيضاً وقد أبدع:

لم أشرب الخمر على ريبة
وانما دمنعى لها يحكى
ذاب الحشا حتى جرى من فمى
فها أنا أشرب ما أبكى

وله أيضا:

لا منى فى هواه من لورآه
كان يفدى بالعين ذاك اخليلا .

* الخلى: الخالى من الهم وهو ضد الشجى.

ربُّ متَّع به عيان عيوني
وأدمعه فى صحة والخلى* لا
وله:

ولم أنس لما ودعتنى ودمعها
يترجم عن مكنون ما فى فؤادها
فقلت لها هل فىك بلغة راحل
فأنت منى نفسى وفىك مرادها
(ص ٦٥٧) فكادت وحق الله لولا رقيبها
تزودنى من عينها بسوادها
وله:

عادنى من أحب ليلاً وأهدى
لى من الزهر وردة صفراء
قلت أهديت لى سقى فلو أهديت
ورد الشفاء كان شفاء
وله:

الحسن مال والوصال زكاته
من جاد بالمزكاة أثمر ماله
فأنعم بوصل منك يا بدر الدجى
فالحسن أقرب ما يكون زواله
إن كان معروف فهذا وقته
حاشا الكرم أن يرد مقاله
وله:

يا للوجال لألحاظٍ قد اتخذت
من سحر بابل أحداقاً وأهدابا

وما كفى عينها النجلاء من كحل
 حتى رمت بسهام الكحل البابا
 يرنو بها رشاً يخال عن مِيل
 فكلما فتكت يزداد إعجابا
 من يستطيع مقيلاً عن مصارعها
 وطرفها قد غدا للقلب جذابا
 (ص ٦٥٨) تلك الشهادة فاشهد في حيازتها
 ولا تطع عاذلاً لا زال كذابا

وله أيضاً وقد أحسن فيه:
 ذَكَرَ الغضى فحنت عليه ضلوعه
 صب سقت وادى العقيق دموعه
 لولا الهوى والنأى يصدع شمله
 ما كان ريب الحادثات يروعه
 يكي الفريق وما استحق فراقهم
 من داء طرف بان عنه هجوعه
 وحشا تقسمة الغرام فحزنه
 عندي وفي تلك الركاب جميعه
 قلب يقلبه الأسى فكانه
 بيت العروض اعتاده تقطيعه
 واما لهذاك الزمان ومن له
 من مسمع ومن البعيد رجوعه
 زمن يود الصب أن لو يشتري
 ما بان منه بغمره ويبيعه
 حيث الأمانى ملكه والدهر لا
 يعصيه والأصل الأبي يطيعه
 لو كان ينجح سيل أدمعه على
 أيامه سالت وسال لجميعه

حيا ألحيا ذاك الحمى من مربع
 أربى رياه ومشتهاى ربوعه
 مع شادن لولا مسارقة المها
 لحظية فاق على الغزال صنيعه
 (ص ٦٥٩) فتان معسول الرضاب فديته
 لو كان يرقى فى الهوى ملسوعه
 قاس يرى ذلى لعز مكانه
 ومن العجايب أن تعز منوعه
 فقضيت منه لبانة الشوق الذى
 وقف الفؤاد على الشجون ولوعه
 فمضت وأومض برق خلبها وهل
 يبقى المنا والنائبات تضيعه؟
 واليسوم أقنع باذكار حديثه
 إن كان يغنى المستهام قنوعه
 وبحب آل البيت أضل مكارم
 الأخلاق أفضل من سما ينبوعه
 يحلو التفزل والصبابة والهوى
 والحب ما بالقرب فاح مضيعه
 لى منهم الغصن الذى طابت أصول
 كماله فسمت عليه فروعه
 حسن ألحيا من يؤمل مجده
 قد تم فى ذاك الجمال طلوعه
 من قام ينصب نفسه فإذا به
 نحو الكمال قد انتهى مرفوعه
 السيد الحسن العللى بن العللى
 من لم يفتنه من العلا مجموعه

يا ابن النبی إلیک شرح صبابتی
یحلو بذكرک سیدی توقیعہ
شکوی أسیر هوی ومطلق عبرة (ص ٦٦٠)
ذل الخضوع إلیک منه شفیعہ
مناضره وهواک من محموله
إن کان یُرفع فی الهوی موضوعه
فبحق جدک خل عن حد الهوی
إن کان ینفع فی هواک خضوعه
وانظر إلی قلب صریع نکایة
من غیر طرفک لا یفیک صریعه
وحشاً تصدع من مکابدة الأسی
لولا الهنا ما ناله تصدیعه
واعطف علیه فقد تمزق قلبه
أیدی سبا فنعسی یرم خلیعه
وأدر علی الأوقات صهباء الصفا
فالدهر أینع زهره وربیعہ
ما شان عصر أنت واحد حسنه
أن لا یتیه علی الزمان ربیعہ
والیکها من مدنف * ملک الغرام
جمیعہ مذبان عنه جموعه
حاك الصلاحی وشيها فطرازها
تکمیله قد زانه ترصیعہ
ضمنت معانیها البیان فکلها
بیت تلاعب بالعقول بدیعہ
فاقبل وما ضاق الفضا إلا ومن
نفثات سحرک یستمد وسیعه

* مدنف: أدنفه المرض أى ثقل علیه فهو
مدنف بفتح النون وكسرهما.

لا زال يخدم باب سُدَّتْكَ التي
حلت من المجد العزيز رفيعه

(ص ٦٦١) ومن غرر قصائده ما مدح به شيخه الشمس
الحفنى قُتْس سره وقد أجاد:

لهذا المحيا طلعة الشمس تسجد
ومن ذكـره دَوَّح الثنا يتأود*
والسنة الأكوان كالورق كلها
بذكره بين الخافقين تغرد
محيا عليه للقبول طلاقة
يزين حلالها حلى مجد وسود
محيا إمام بيض الله وجهه
فوجه مشايه من الخزي أسود
إمام الهدى الراقى إلى ذروة العلا
إلى رتبة عنها الثوابت تقعد
إمام له فى المجد فخر مؤثـل
وفى رتبة العلياء عز مؤيد
إمام حماء الله من كف لأمس
كذاك الشريا ليس تدركها اليد
أمعراجـه السامى ينال فيرتقى
وليس سواء سيد ومسود
فما شئت قل فيه فأنت مصدق
مزاياه تقضى والمحاسن تشهد
مزايا يهز الغصن أعطافه لها
ويثنى عليه الكون طراً ويحمد
وأيد يبارى الريح وكف* أكرمها
عليها ازدحام فهى للناس مورد

* يتأود: بمعنى يتمايل.

* وكف الأكف أى لدى الأهدى والمراد به الجود.

(ص ٦٦٢) وفضل أقر الناس - وهو شهادة

له - أنه في حلبة الفضل أرحد

فيها لدروس كم بهما حي دارس

من الدين يجيبه بها ويجدد

دروس يرى فيها ابن ادريس* راحة

ويصفّر منها من يغار ويحسد

فليس لأم الشافعي قرابة

سواء ولا صنو له بعد يولد

فيا فاتحاً عين العمى ليرى بها

معاييب غص الطرف إنك أرمد

ويا منكراً سعى الإمام ووقته

أبعد وقد قال المؤذن أشهد؟

أبعد ثناء الكون والكون ناطق

يوافيه من عز المناقب تجحد؟

ويا من يسوم الأسد بالسوء خلّ عن

مجالك هذا اليوم حتفك أوغد

أخا العزم كم ذا أنت تتهم* في السرى

إلى غيره تبغى النجاح وتنجد

وفي بابه العافون من كل وجهة

يطوفون في أرجائه فهو مسجد

ونجم الثريا ثابت في رحابه

ومن دونه في مقعد الصدق فرقد

وبشر روى عن وجهه البشر والرضا

وعن رأيه الحمود يروى مسدد

(ص ٦٦٣) نصحتك لا تنزل بغير مقامه

فليس سواه في الحوادث يقصد

* ابن ادريس يقصد به الإمام الشافعي رضي الله عنه. ينسب له كتاب الأم في المذهب الشافعي.

* تتهم: أي يسير في الأرض المخفضة وينجد أي يسير في الأرض المرتفعة.

فيا ناصر الدين الحنيفي ظاهراً
 بباطن سر سر فأنت المؤيد
 وقم سيدي بالعزم في نصر ديننا
 وجد لي بحسن الرأي فالسعي أحمد
 ألا إن بيتاً أنت عامر ربه
 وأنت إمام الكون فهو المشيد
 أمولاي إن الناس إما مبغض
 إليك فيشقى أو محب فيسعد
 وهل يتغنى الإسلام والدين والتقى
 وبغضك يامولاي قلب موحّد؟
 أمولاي شكوى من زمان عهده
 تغير من حال له كنت أعهد
 فما بال ربع العلم أصبح دارساً
 وما بال شمس الأنس وهو مبدّد؟
 وما لي أرى غيم الجهلة مطبقاً
 فيبرقنا من غير قطر ويرعد؟
 أينهر سحبان البلاغة بأقل
 ويصبح بالاعياء قس يهدّد؟
 فيها لهف نفسي من عناء وحسرة
 ويا نارهم بين جنبى توقّد
 ويا زفرة قد أولعت بحشاشتي
 فتكمن في جسمي الهموم وتصد
 من أجلك يومى مثل ليلي في الأسى
 فيدهرى وطرفى أسود ومسهد
 (ص ٦٦٤) وليس أخو مجد طريف وتالد

كمن في ذراعيه سقاء* ومزود

* سقاء، بكسر السين أى وعاء للشرب ومزود
بكسر الميم أى وعاء للتمر.

أمولاي هذى سنة الله لم تنزل
 على ألسن الأعلام تُروى وتُسند
 ولو كان للإنصاف والحق مهيع*
 * المهيع: الطريق.
 يرام فيحى أو طريقاً فيقصد
 لكان لدى القلب المصان تبصر
 فيبلو به صرف الصروف وينقد
 ولكنها الأقدار تأتي بضد ما
 يحاول فهو الخطي المتعمد
 أمولى يهنك الرقى إلى العلا
 برغم المساوى والفخار المؤبد
 ويا قلم السعد الذى هو لم يزل
 يوقع فى إسمعادكم ويجوّد
 أمولاي ما بال الرعاع تفرقوا
 وكانوا بأطواق الولاء تقلدوا
 لئن غضبوا فالله راض ولم يزل
 يعينك بالنصر المبين ويمدد
 لقد كشف الخذلان مكتوم سرهم
 وأخطأهم منك الولا والتودد
 وما شئت إلا الحق فى السخط والرضا
 وذكرك فى الحالين إياك نعبد
 فإن كنت لم تغضب فله غيرة
 عليك وحرب نارها ليس تخمد
 لقد رَغِمَتْ آنافهم وتصدعت (ص ٦٦٥)
 قلوب من الشحاء منهم واكْبُدْ
 ولو أنصفوا كانت لهم من نفوسهم
 زواجر تهدى للصواب وترشد

فتَرْضِيكَ منا أنْفُسُ نَشَاتِ عَلَى
 رَضَاكَ وَلَا يَثْنِي هَوَاهَا الْمَعْقَدُ
 وَحُبُّكَ نَفْسِيهِ بِكُلِّ عِلَاقَةٍ
 وَبِالنَّفْسِ بَلْ بِالْعَيْنِ فَهُوَ مُؤَكَّدُ
 وَأَصْحَابُكَ الْغَرَّ السَّرَاةُ هُمْ هُمْ
 فَكُلُّهُمْ مَوْلَى كَرِيمٍ مُجَدِّدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ إِنَّكَ سَيِّدِي
 بِأَثَارِكَ الْحُسْنَاءُ فِينَا مَخْلُودُ
 وَدُونُكَ بِكَرَامٍ بِنْتَ فِكْرٍ أَجَادَهَا
 يَرْجِي نَدَاكَ ابْنَ الصَّلَاحِي مُحَمَّدُ
 أَجَبْتَ بِهَا دَاعِيَ الْقَوَافِي وَمَهْرَهَا
 قَبُولِي وَلِي مِنْ رَاحَتِيكَ تَعُودُ
 فَدَعْ سَيِّدِي حَسَانَ* مَدْحِكَ بِالَّذِي
 يَحْتَاوِلُ مِنْ مَدْحٍ وَذِمٍّ يَعْرِبِدُ
 فَكُلْنِي إِلَيَّ مَا شِئْتَهُ مِنْ بَدِيهَةٍ
 فَإِنِّي بِمَا أَرْضِيكَ أَنْشِي وَأَنْشِدُ
 وَهَبْنِي زُرُورًا* مِنْ نَدَاكَ فَإِنِّي
 لِأَرْمِدُ مِنْ دَاءِ الْأَسَى وَهِيَ إِثْمِدُ*
 بِجَدِّكَ طَهْ مِنْ شَرَفَتْ بِحُبِّهِ
 وَطَابَ لَهُ مِنْ جَاهِهِ لَكَ مُحْتَدُ
 عَلَيْهِ مِنَ الْأَلِّ الْكَرَامِ تَحْيِيَّةُ
 تَنَالِكَ مِنْهَا رَحْمَةٌ لَيْسَ تَنْفَدُ
 مَدَى الدَّهْرِ مَا قَالَ الصَّلَاحِي مُؤَرِّخًا
 هُوَ الْعَزُّ هَا مِنْ أَجَلِهِ دَحْضُ الْعَدُوِّ
 (ص ٦٦٦) (وله أيضا):

* حَسَانُ: الشاعر هنا يشير إلى حَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ شاعر النبي صلى الله عليه وسلم.

* الدَّرُورُ: بفتح الدال ما يُدْرَى ويفرق والمراد هنا هبني لفحة من جودك.
* الأثْمِدُ: بكسر الهمزة وسكون التاء حجر يكتحل به.

أَحْنُ لَأَيَّامِ الْهَوَى وَعَذَابُهَا
 أَلِيمٌ وَمَا عَهْدِي لَهَا بِقَدِيمِ

وإن كان شعري ضاع فيه فإن لي
بقايا ومعنى الفكر غير عقيم

(وله أيضا):

هواكم قد تحكم في فؤادي
وحملني الصبابة والسقاما
ومما زرت ولا هبت رياح
عسى يشفى تشققها الزكاما

(وله أيضا):

إن رمت تصحب شخصا
وليس من أقـرـانك
فانظر له واختبره
وزنه في مـيـزانك
فنقص من لك يعـزـي
لمقتضى نقصانك

(وله أيضا):

يا حسنا قد غدت بضاعتك
حلية أهل الكمال والفضل
بابوكم * مـعـجـب لناظره
لكنه ضيق عن الرجل
فأبدلوا ضيقه لنا سعة
وعاملونا بقسمة العدل
وعندنا لاجتماعكم شغف
فشرفوا دارنا بلا مهل

* بابوكم: بمعنى حذاء.

وقال مشطراً:

ويوم أنس به اقـتـنـصنا
ظبياً تهاب الأسود قنصه
طاب به الوقت فانتـهـزنا
من الزمان الخئون فرصه
فى روضـة زانهـا ربيع
كـمـل صوب السحاب نقصه
نسيمها مدحكى شذاها
به غدت للعقول نقصه

وله:

هذه الدار والعوارض حـالـتْ
عن وصولى فأخضر العُيشُ أغبرُ
وعهود الحبيب كيف استحالت
ليتها كالأخدود لم تتعذر

(وقال ارتجالاً فى مجلس أنس حفّت به الأحباب من ذوى
الألباب)

شاق طرف السرور ظرفُ الربيع
فتـمـلـى بحسن تلك الربوع
ما ترى الزهر ضاحكاً لبكاء الطل
من در قطره بالدمـوع؟
وغـصـون الرياض تخلع أثوا
بالتـداني على الندى الخليع
فأنسنا بجمع إخوان صدق
زان طبع الوفاء قدر الجميع

صالحى أرح فسؤادك والبس
من بشير اللقا قميص الرجوع

(ص ٦٦٨) ثم أنشد فى المجلس ارتجالاً:

إلى القبة الفيحاء سرنا فسرنا
ربيعُ المنى من ثغر طلعتها الغرا
أنسابها من كل بدر ولا نرى
عجيباً طلوع البدر فى القبة الخضرا

ثم أنشد عند التهيى للقيام من ذلك المجلس:

يا نهار السرور كيف اختلسنا
فيك أنسا كأنما هو شك
قد أنسا فى فتحه بالتداني
ودهاننا ختامه وهو مسك

وله أيضاً:

قد كنت أهجو الرقيب حيناً
لأنه يرصد الحبيباً
والآن لما نوى التجفافى
عشقت من أجله الرقيباً

وله:

يظن سلوى حين شاهد أدمعى
تحلى بدر تربه وترائبه
وحقك ما شابت هواى وقد جرت
دموعى من عصر الشبيبة شائبه



(وله أيضا)

إن أذنّب الدهر بتقديمه
من ليس يدري قيمة الشعر
فبسط إحسانك يا سيدي (٦٦٩)
مما زال محور زلة الدهر

(وله)

أشرت لها في قبلة ورقبها
شهيذ وغيم الأفق قد غيب الشما
فقلت بعينيها تشير إلى السما
فيا حسن معناها الذي سلب الحسا
ومن غرر قصائده التي أبدع فيها وأجاد وأشار فيها بالمدح



لشيخه الشمس الحفنى قدس الله سره وهى هذه:

مل بى فقد وقد الهجير
انى بظلك مستجير
وارح مطيك يا سمير
فلقد اضر بها المسير
هذا الحمى فارصد اذا
ما استانس الظبي النفور
واطرق كناس الغيد حيث
ينام راعيه الغيور
وامط سائرته فذلك
حين تنفتح الخردور
واسأل من الظبيات عن
عهد تضمن به الصدور

واحفظ فرّادك أن تصيبَ
 عيونهن فـهن حـور
 من كل غانية يلوح
 بوجهها القمر المنير
 تختال في مَرَح الشباب (ص ٦٧٠)
 فيخجل الغصن النضير
 تسعى فيقعدّها روادفها
 وتنهضها الخـصـور
 سكّرى رأت كسر القلوب
 فصار ناظرها الكسير
 فعلت بسحر جفونها
 ما ليس تفعله الخـمـور
 خنّثت معاطف قـدّها
 لكن لوحظها ذكـور
 الله أكبر من نشاط
 جفونها وبها فتـور
 يا صاح إن جُزّت الخيام
 وللظباء بها ظهـور
 قل للبخيلة بالزيارة
 ما لطيفك لا يزور؟
 لم أنس إذا وافى البشير
 يلوح في فـمه السـرور
 إذ أقبلت ريح القبـول
 بهـا وأدبرت الدبور
 فضممتها وبمهجتي
 من حر أشواقى سـعـير

فتعمودت بالروض من
 شر بأنفاسي يطير
 روض تعلق بالجمرة
 من جوانبيه نهـور
 (ص ٦٧١) تبسـدو به زهر الزهور
 لأنه فـلك يـدور
 ضـحكت ثغـور زهوره
 فـبكي لها النـوء المطير
 وحنـت نواعـره وحنـت
 وهى من غـيظ تـفور
 ذكـرت قـديم عـهدها
 فـانـهل مـدمعـها النـمير
 يا طيب أنفـاس الربيع
 ففى تنفسـها عبـير
 والجـو مـجمرة عليها
 من ضـبابـتها بخـور
 وافت به رود بأسـرارى
 لها طرف خـبـير
 وسـعت على طرق الجـداول
 والنسيم لها سفـير
 وطـروس قامـتها عليها
 من ضـفـفـائـرها سـطور
 يا طيب ما تـلى الشـعـور
 وحـسن ما نـقل الغـدير
 ما ذاك الـأفـرغ لـيل
 قـد تـبلـج فـيـه نور

والورق ساجعة لها
 من كل ناحية سمير
 عجماء تعرب عن ضمائرنا (ص ٦٧٢)
 وليس لها ضمير
 والريح تعتنق الغصون
 بها فتعتبق الزهور
 وبدت شموس الراح تحملها
 الكواكب والبـدر
 فقضيت منها ما قضيت
 وكان لي ولها أمور
 هذا كلامي الخلو أهدته
 إلى فمى الشغور
 وضممتها عند الوداع
 وكل أنفاسى زفير
 وبكت عيون السحب حين
 تنساقط الدمع الغزير
 نحنا معا فتحلت الأغصان
 منا والنحنـور
 وسرت وقد لاقيت منها
 ما يطيش له الصبـور
 صبرى وما لاقيت إذ
 رضيت به كل يسير
 رعيا لذيالك الحسمى
 والطرف مبيتـهـج قرير
 ولمعهـد حصـبـاؤه
 درر وتربـتـهـ ذرور

قد لح بالقلب الغرور
 وذلك الطرف الغرير
 (ص ٦٧٣) ومرور أيام الصبا
 من دونها العيش المرير
 أنى يروج العـمـر
 الأيام تنهب والشـهـر
 كم أنجد السارى وكم
 تهم الهموم به تغرور
 من لى بدهر لا يساعـد
 فاليسير به عسير
 أرجو انتصافا من زمان
 صار عادله يجـر
 وحادث قد آن فى
 كبدى لاسهمها خطور
 لكن بجناه إمام هذا
 العصر لى فيها نصير
 مولى ترفع قـدره
 فله أناملنا تشيـر
 ملأ النواظر منه إجلالا وليس له نظير
 وحسماه ينفك الأسير
 به يستغنى الفقير
 وندى أياديه شهير والقليل به كثير
 من تذلل لها الرقاب
 ولا يقـوم بها الشكور
 يا من به تُهدى السراة (ص ٦٧٤)
 لأنه علم منيـر

طالت خدمتك القوافي
 والزمانيان بها قصير
 وجرت لنحو حماك آمالي
 وأنت بها جدير
 وقصور مدحك ليس في
 فهمي لرفعتها بصور
 خذها على شرط الصياف
 إن ناقدها يصير
 جاءت تعارض بالبيان
 وسيف حجتها شهير
 يحيا بصحتها العليل
 وما لأمر بها كصور
 حلفت بكامل بحرها
 أن لا تطاولها بحور
 حسنت بمدحك كما
 تاريخها حسن نصير
 ما في تأخر عصرها
 قد يحرز القصب الأخير

(وله)

عجبت له كيف أمسى الغبي
 برؤياه وهو ملئ غنى
 وأحرم منه على فساقتي
 ولكن كم معدن مع دني*

* دني: أصلها دني وهو الغيس الدون.

(وله) (ص ٦٧٥)

ذكـرتك لا أنى نطقت وإنما
 ذكـرتك فى نفسى فكنت سـميرها
 ذكـرتك فى روض تبسم عن شذا
 وقد فتحت كف النسيم زهورها
 ذكـرتك والكاسات تختال بالطلا
 وحـب لنفسى أن تكون مـديرها
 ذكـرتك والأطيـار تنطق عن هوى
 كأنك قد آويت منها ضميرها
 فلا خير فى أرض إذا لم تكن بها
 سـميراً ولا فى روضة لن تزورها
 (وله)

يا معير الرماح والبدر والظبي
 انعطافاً وبهجة والتفاتاً
 أنت لو لم يكن محيأك روضاً
 لم يكن ريقك الشهي نباتاً*
 (وله)

* نباتاً: المراد به (سكر نبات) ويسميه الفرس
 (حب نبات)، وقد ذكره شاعر الفرس
 حافظ الشيرازى فى إحدى مرثياته
 (رباعياته) التى يقول فيها:

كفتم كه لبث كفت لهم آب حيات
 كفتم دهنت كفت زهى حب نبات
 كفتم سخن تو كفت حافظ كفنا
 شادى همه لطيفه كريان صلوات

وترجمتها العربية:
 أقول ما شفتاك؟
 تقول ماء الحياة
 أقول ما هرفوك؟
 تقول حب نبات
 أقول لفظك ماذا؟
 تقول آى الصلاة
 وحافظ فى قيسام
 يـرتـل الآيات

أفدى بروحي عذاراً لست الثمة
 الا بشعر الأمانى أرفم الغزل
 يا قوم إنى محب أشعري هوى
 فكيف خالط قلبى وهو معتزلى
 وكتب إلى صاحبنا السيد حسن البدرى العوضى قوله:
 يا بدر بعدك لم آنس بطيب كرى
 ولم أجـد حسناً إلا على مضض

إذا تطاول ليل الهجر أنشدنا
بدرى وإن غاب كاس صحت بالعوضى

وكتب إلى أعجوبة زمانه قاسم الأديب ما نصه: (ص ٦٧٦)
يا ذا الأديب الذى أنسنا
به فـسـأـيـامـنا مـسـوـاسـم
لله ما فىك من مزايا
ثغـرـر أزهارها بـواسـم
إذا ترفـسـمـت فى خطوط
حق لها طاعة المراسم
وإن توخيت فهم معنى
عنت إلى فهمك الطلاسـم
وإن تصـسـرـفت فى بديع
فـالـذوق مـسـوطـن وأنت قاسم

(فأعاده الجواب وقال)

أفـسـديك مـسـولـاى من بليغ
طابت بألفاظه جـراحي
دخلت بحـرا من المعـسـانى
قاموسه جاد بالصـحـاح
إن كنت عن دركها ونيـا
فـالـعـفـو يا صـاحـب السـماح
أو كان فهمى به فسـاد
فانت يا سـيـدى صـلاحي

ومن غرر قصائده ما مدح به رسول الله صلى الله عليه

وسلم والتزم الألف فى أول كل كلمة وهى:

* أسيل الخد: أى لين الخد.

أسال أسيل* الخد أرواحنا القتلى

أسى أصله إغراء الحاظه الكحلا

* الرود بفتح الراء وسكون الواو الهينة اللينة.

أغر أغار الغداة الرود* أنسه

أعار اللآلى الغر أجيادها العطلا

(ص ٦٧٧) أطل المدى أنكى الأسى أعجز الأسى

أطل المهمل أسنى المدى ألف المطل

أغار استطال استفرس افترس اجترا

أصاب استباح استاصل احتكم السؤلا

أشاكى إليه الحر أبغى استراحة

أوقد أشلاء الحشا الخطب الجزلا

أغالطه البلوى أخاف اتهامه

أنهى إليه الشوق أم أطلب الوصلا؟

أطرحه الشكوى إذا استل أسهما

الا إنه أقسى الأنام إذا استتلا

أجل إننى أسلمت أحشائى البلا

ألت إلى الحاظه أنسب الفعلا؟

أراه إذا اختل الحجا اختلب الحشا

إليه أو استل القنا استلب العقلا

أبى القلب أن أسلوه أو أدع الهوى

أبان العذول العذل أو أوسع العذلا

إذا آية النمل العسذرى أشكلت

أصول الجمال استنسخ النظر الشكلا

إليه التيناع المغرم الصب إنه

امالته أهوى إذا اعتلت اعتلا

إذا ابتسم البرق الحجازى إخالنى

أعير السحاب الجون أجفانى الشكلا*

* الجون: بفتح الجيم يطلق على الأبيض والأسود والمراد الأسود، وهى من الاضداد، والشكلا بفتح الشين أو الشكلاء ومعناها البيضاء.

أخاطب أطلال الربا أستحشها
أسى البين الا أننى اقضى أن لا
أرى الأمل الأدنى أبى أن أناله (ص ٦٧٨)
أيسهل الصعب الذى استصعب السهلا
أخوض المنايا ابتغى أدرك المنى
إذا اختطب النبلُ الفتى احتطب النبلا
إلى الصعدة السمراء استوقف الحشا
إن انتصب البيض السنان أو النصلا
ألا أيها الانسان أنت الذى ازدرت
أسود الشرى اهدابُ أجفانك الكسلى
ألا أيها القالى أمالى أدمعى
أما أنت أسندت الى الإمام؟
إليك أسيرُ الشوق ألققه الهوى
أداة أسنى الصبر أفرأغها البذلا
أبحث السهام القلب أو حبه أسى
أجريت أجفانى أعاملتها الهمل؟
أذاب التهاب الوجد أسطر أضلعى
إذا استحكمت التبريج أضعف أو أبلى
أصاح اتند إنى أجذرُك الردى
أما أغرت الآرام أعينها النجلا؟
أبى الله أن ألقى الظبا أمن الظبا
إذا ألف الاعزاز أم أنف الدلا
أسير أمام العاشقين أدلهم
الى الطرق الا أننى أسلك المثلى
أنافس أبناء النسب إجادة
أطالبهم أن الحق النسب الأعلى

أروم امتداح المصطفى أشرف الورى
إذا اختلف المداح امدهحه أولى
(ص ٦٧٩) إمام الهدى المولى الذى اخترق العلا
أجل الورى أهلا وأعلاهم أصلا
أمين المعالى أشرف الرسل الذى
اليه انتهى التقديم إذ أخبر الرسل
أبان الهدى أحيا الندى أعلن الندا
أباد العدا أردى الردى أخصب المحلا
اليه انتهى الصفح الجميل الذى أبى
أعادييه إذ أبدى أبو الحكم الجهلا
أضاع افتخار الجاهلية أنهم
أطاعوا الهوى إذ أغضبوا الحكم العدلا
أباح البلا أم القرى استامها الردى
اليه اختصاصا أشبه الحرم الخلا
أحل العروضين الأمان اجتباهما
أجل الأمانى أمن الأمة الهولا
أراد أذاه المشركون إهانة
أهينوا إذا امتدوا اليه اليد الشلا
أذاقهم السبى استسامهم الجلا
أباحهم الأموال إذ آثروا البخلا
أعارهم الخوف المضى أراهم
إذا استسلم العليا انتحوا الطرق السفلى
أصر العدو البغى أرداه أيهم
أسر اليه الغل ألبسه الغلا
أما آية القرآن أعجزت الورى
إلى آية العرب انتظامهم اختلا

(ص ٦٨٠) إذا انتسخ الأديان أجمع آية
 أينكر أمر الضوء أن أذهب الظلام؟
 أتته الوفود استغفرق الكل أمنه
 أفاض الندى أرضاهم احتمل الكلا
 أيا أطيب الكل الذى آل آله
 اليه انتسابا أنت أزكى الورى أصلا
 أما أنت أندى العالمين أياديا؟
 أما أخرجلت أدنى أناملك الربلا؟
 أياد أعارت أيدي السحب الندى
 أمستبعد أن أغرق الوابل الطلا
 أيا أشرف الأبناء أنت الذى أتى
 اليه الهدى أنت الذى أوضح السبلا
 اليك انتهى أسنى الخصال التى ازدهت
 أفانيها أنت الذى ألف الشملا
 أذاك الفقير ابن الصلاحى آملا
 أعنه أغنفته أغنه أبلغ السؤلا
 اليك اشتكى الوزر الذى أوهن القوى
 أقله أقله إنه استثقل الحملا
 أمولاي أنت العون أرجوك إن أكن
 أسأت ادخرت المدح أستمطر الفضلا
 أناديك أستجبرى الندى أرتجى الرضا
 أناجيك استجدى إلى العُقْد الحلا
 أجبرنى أجبرنى أكرم الخلق إننى
 أضفتك ارتاد الغنى أكرم النزلا
 أتيت الحمى أستغفر الله أثما
 ألا أيهذا المستجير اخلع النعلا

(ص ٦٨١) إلهى اقبل المدح اغفر المرح إننى
أرى الجسد الا أننى أخلط الهـزلا
اله الورى أرزقنى القبول اقبل الدعـا
أقلنى العثار افرج أزل أزمـتى الجلى
إلهى أفض أزكى الصلاة أمـدها
اجل السلام استنهـلا المورد الأحلى
إلى المصطفى الهادى إلى أنجم الهدى
الى آل أهل الفضل أحقهم النـسلا
الى الخلفاء الراشدين الألى اقتفـوا
الى السيرة الحسنا الألى أثروا العدلا
الى التابعين الكل أتباعهم الى
أئمتنا القوم الألى احتفظوا النـقلا
الى المؤمنين الصالحين أولى الوفا
الى السادة الأمداد امـددهم الكلا
أمولى البرايا أحسن الختم إننى
أورخ أرجو أظهر الشرف الأعلى

وله أيضا

زكمت فى ليلة التـبدانى
وقد زها ثغـرها الأقـاحى
جوزيت لما غـدت فىـها
مـشمتا* عاـطس الصـباح

* شَمَتَ العاطس: أى دعا له بقوله (يرحمك الله).

وله أيضا

ومـهـفـفـهـف لما بدا
يختال فى حلل الخـفـر

يسـبـى بطرف ناعس
 قـد زانه ذاك الحـور
 ناديتـه صل مـفرمـا
 فـاجـابـنى أهـلا ومـر*

* ومر: يريد بها (ومرحبا).

(ص ٦٨٢) وله فى مـليـح بعين:
 لـقـد غـاب عـنى قـوم مـن قـد هـويتـه
 فـقـلت لـعـمـرى مـا أصـيب بعـسـين
 ولـكـنـه أهـدى المـلـاحـة للـورى
 فـجـاد عـلى كـل المـلـاح بعـين

(وله) قـد اتـخـذ صـاحـبـه الأديـب حـسـين بن أحمـد المـكـى
 مـسـطـرة عـدة سـطـورـها سـت عـشـر سـطـراً فـكـتب عـلـيـها:
 ومـسـطـرة فـى رـقـة الجـسـم قـد حـكت
 نـحـولـى مـن عـشـقى وعـد ضـلـوعـى
 أسـود مـن شـعـرى سـطـور طـروسـها
 وأبـكى فـامـحـوه بـقـطر دـمـوعـى
 وله:

أهـوى عـلـيـا ولـكنـى بـلـيتُ بـه
 مـن فـاتـن عـجـزت فـى وـصـفـه حـيـلى
 يـقـول لـى لـحـظـه إـن رـمت قـبـلـتـه
 أـخـطـات تـقـتـل يـا هـذا بـسـيـف عـلى
 وله:

أهـوى بـرـع الأـشـرفـيـة شـادـنا
 أـحـيت مـحـاسـنـه الجـمـال الـيـوسـفى

ما لاح لى دينار وجنته الزهى
الا دهشت بنقد ذاك الأشرفى

وله ارتجالا وهو فى مجلس إخوان:

لله يوم قطعنا فـيـه زهر منى
والأنس قلـدنا منه بطوق منن
وقد تجلى عروسُ الروض فى حلق (ص ٦٨٣)
من الربيع وحيانا بوجه حسن

فانشد بعض من فى المجلس:

لله يوم زها بجـمـع
من كل مـوـلى به نجـاحـى
وأنسنا تم حين وافى
مبشـر السعد بالصلاحى

(وله) مهنتا بشهر رمضان وأرسله إلى صاحبه السيد
حسن البدرى:

أمولى المعالى الذى قد بنى
بناء السناء بحسن الشنا
ومن وجهه وندى كفه
هو المجتلى وهو المجتلى
ومن حبه فى فؤادى ثوى
ومن هو من أضلعى المنحنى
إذا كان لى فى الورى سيد
فأنت وما العبد إلا أنا
أتيت أهنى بشهر الصيام
وآرخته رمضان الهنا

وكتب إليه أيضاً:

أيا حسناً وهو للعسر يسر
ومن هو في مبسم الدهر ثغر
أتى رمضان وفي رمضان
يصح لمنكسر الحب جبر
فما لك تختار هجر المحب الذي (ص ٦٨٤)
لا يليق به منك هجر
إذا قلت أرخ وللصائم عذر
فاني أرخ ما الصوم عذر
فأرسل جواباً به استريح
وعجل فللشوق في الصدر جمر

وكتب إليه أيضاً وقد أرسله بجواب:

جوابك قد جاءني يسخر
بفضل خطابي الذي يسحر
أتى رافلاً في بديع الحلى
يبشر حيناً ويستبشر
فأطمعني لفظه في الرفا
وأطربني خميره المسكر
ولكنه قد غدا قاصراً
ومثلك والله لا يُعذر
فإن لم تجبني بما ارتضى
أرخ جوابك لا يظهر

وكتب إليه أيضاً

وفي كتابك بالبيان موهبا
وأراه في شرع الهوى مردودا

دعوى العواذل منك ليس بحجة
 باب التلاقى لم يكن مسدودا
 هذى طريق الوصل غير مخوفة
 والحر أولى أن يرى مقصودا
 فدع الأسنة فى صدودك والقنا
 واجعل جوابى سميك المحمودا

وله أيضا (ص ٦٨٥)

لا خير فى ربح الشمال فإنها
 حملتكم وغدت بروحى رائحة
 وإذا تنفست الصبا من نحوكم
 أهدت شذا ولكل ربح رائحة

(وله تشطيريت ذكر فى أول كتاب المواهب)

كل إليه بكله مشتاق
 وعليه من رقبائه أحداق

فقال:

كل إليه بكله مشتاق
 أبدا وقد عشت به الأشواق
 من أين يمكنه الوصول إلى الحمى
 وعليه من رقبائه أحداق

ولما وقف عليه السيد العيدروس كتب:

كل إليه بكله مشتاق
 ولقيده من حبه إطلاق

فهو الذى من شوقه دخل الحمى
وعليه من رقبائه أحداقُ

(وله وقد كتب على ظهر سفينة):

سفينة قد جرت فيها بحور هوى (ص ٦٨٦)
وعادة السفن أن تجرى على الماء
حوت هوى فغدت بالشعر ناطقة
وحركت نغمها يحلو على النائي

وله أيضا:

سفينة قد جرت فيها بحور هوى
وعادة البحر أن تجرى به السفن
يهز فيها الهوى المقصور كل شج
من كل روض معان زانه فن

وله أيضا:

يا سفين الغرام أنت نجأتى
من هوى لا يقصر منه القصرار
لا تغيبى عنى إلى مستعير
إن شرط الحبيب لا يستعار

(وله مخاطباً صاحبه حسين بن أحمد المكي):

يا حسينا علق القلب به
خاطبا صفو وداد وولا*
لا تقل «لا» فى جوابى كرمما
يا حسينا أنا أخشى كرب لا

* ولا: أى ولاء.

سَيِّدِي قَلْبِي بَدَا الشُّوقُ بِهِ
 فَنَعَسِي تَرْضَوْنَ رِقِّي فِي الْمَلَا
 إِنِّي عَبَّـدُ إِلَيْكُمْ رَاغِبٌ
 وَبِكُمْ أَمْرِي عَلَى الْكُلِّ عَـلَا
 أَنَّ عَذْرَى وَاضِحَ مَوْلَايَ جَدٌ
 لِعَبِيدٍ رَاجِفٍ مِنْ قَوْلٍ لَا
 لَا تَخْلُ أُنَى الْقَسَاكِ بَلَا
 لَا وَمَنْ قَدْ جَاءَ فِينَا مَرْسَلَا

وللمترجم كلام كثير وصوته جهير، وفيما نقلته كفاية،
 توجه بآخر أمره إلى بلده، وبه توفي سنة ثمانين ومائة وألف،
 رحمه الله.

٢٩٣ محمد سعيد ابن أبي بكر الحسيني.
 ت/ ١١٨٠ هـ = ١٧٦٦ م.

* قصر الشوك: ويسمى الآن (قصر الشوق).

[ومات] الإمام الصوفي العارف (ص ٦٨٧) الناسك الشيخ
 محمد سعيد بن أبي بكر بن عبد الرحيم بن مهنا الحسيني
 البغدادي، وله بمحلة أبي النجيب من بغداد، وبها نشأ وأخذ
 عن الشيخ عبد العزيز بن أحمد الرحبي وحسن بن
 مصطفى القادري في آخرين، وحج وقطن المدينة مدة
 وأجازه الشيخ محمد حيوة السندی والشيخ حسن
 الكوراني، ورد مصر سنة إحدى وسبعين ومائة وألف فنزل
 بقصر الشوك* قرب المشهد الحسيني وكان له في كلام
 القوم عرفان إلى الغاية يورده على طريقة غريبة بحيث
 يرسخ في ذهن السامع ويلتذ به، وكان يذهب لزيارته
 الأجلاء من الأشياخ مثل شيخنا السيد علي المقدسي
 والسيد محمد مرتضى والشيخ العفيفي، وبالجملة فكان من

أعاجيب دهره وكان الشيخ العفيفى ينوه بشأنه ويقول فى حقه «إنه من رجال الحضرة وإنه ممن يرى النبى صلى الله عليه وسلم عياناً وتوجه إلى الديار الرومية ثم عاد إلى المدينة ثم ورد أيضاً إلى مصر بعد ذلك ونزل قرب الجامع الأزهر ثم توجه إلى الديار الرومية وقطن بها وظهرت له هناك الكرامات وطار صيته وعلت كلمته وصار له أتباع ومريدون ولم يزل هناك على حالة حسنة حتى وافاه الأجل المحتوم فى أواخر الثمانين، وخلف ولده من بعده، رحمه الله تعالى وسامحه.

[ومات] الفقيه الصالح العلامة الفرضى الحيسوبى الشيخ/ أحمد بن أحمد السنبلاوى الشافعى الأزهرى الشهير برزة، كان إماماً عالماً مواظباً على تدريس الفقه والمعقول بالجامع الأزهر وكان يحترف بيع الكتب وله حانوت (ص ٦٨٨) بسوق الكتبيين مع الصلاح والورع والديانة، ملازماً على قراءة ابن قاسم بالأزهر كل يوم بعد الظهر، أخذ عن الأشياخ المتقدمين وانتفع به الطلبة وكان إنساناً حسناً بهى الشكل عظيم اللحية منور الشيبة معتنياً بشأنه مقبلاً على ربه. توفى سنة ثمانين ومائة وألف.

٢٩٤ أحمد بن أحمد السنبلاوى، الشهير
برزة.
ت/ ١١٨٠ هـ = ١٧٦٦ م.

[ومات] الأجل المكرم الفاضل النبيه النجيب الفقيه/ حسن أفندى ابن حسن الضيائى المصرى المجود المكتب، ولد كما وجد بخطه سنة اثنتين وتسعين وألف فى منتصف جمادى الثانية واشتغل بالعلم على أعيان عصره واشتغل بالخط وجوده على مشايخ هذا الفن فى طريقتى الحمديدية وابن

٢٩٥ حسن أفندى ابن حسن الضيائى
الخطاط.
ت/ ١١٨٠ هـ = ١٧٦٦ م.



الصايغ أما الطريقة الحمدية فعلى سليمان الشاكري
والجزائري وصالح الحمامي، وأما طريقة ابن الصايغ فعلى
الشيخ محمد بن عبد المعطي السملاوي، فالشاكري
والحمامي جودا على عمر أفندي.. وهو على درويش على،
وهو على خالدة أفندي، وهو على درويش محمد شيخ
المشايع حمد الله بن بير على المعروف بابن الشيخ
الأماسي، وأما السملاوي فجودا على محمد بن محمد بن
عمار، وهو على والده، وهو على يحيى المرصفي، وهو على
اسماعيل المكتب، وهو على محمد الوسمي، وهو على أبي
الفضل الأعرج، وهو على ابن الصايغ بسنده، وكان شيخاً
مهيئاً بهي الشكل منور الشبهة شديد الانجماع عن الناس،
وله معرفة في علم الموسيقى والأوزان والعروض، وكان يعاشر
الشيخ محمد الطائي كثيراً ويذاكره في العلوم والمعارف

(ص ٦٨٩) ويكتب غالب تقاريره على ما يكتبه بيده من الرسائل والمرقعات، وقد أجاز في الخط لأناس كثيراً ويجتمع في مجالس الكتبة مع صرامة وشهامة وعزة نفس، واتفق يوماً أنه طُلب إلى مجلسهم في يوم جمعهم لإجازة فامتنع عن الحضور وعز ذلك على الجمهور، فقال الشيخ عبد الله الإدكاوي وكان إذ ذاك حاضراً في جملتهم:

وناد قد حوى أقمار تم
من الكتاب زادوا في البهاء
بهم قد زاد نورا وابتهاجا
فلا يحتاج فيه إلى الضيائي

(ثم قال بضده في المجلس):

لئن غدا مجلس الكتاب ليس به المولى
الضيائي من في خطه بهرا
فالشمس مع بعدها منها الضياء لقد
عم الوري فهو شمس غاب أو حضرا

توفي في منتصف ذي الحجة سنة ثمانين ومائة وألف.

[ومات] الإمام العالم العلامة أحد العلماء الأذكياء وأفراد الدهر البحات في العضلات، الفتاح للمقفلات، الشيخ/ عبد الكريم بن علي المسيري الشافعي المعروف بالزيات ملازمته شيخه سليمان الزيات، حضر دروس فضلاء الوقت، وانضوى إلى الشيخ سليمان الزيات ولازمه حتى صار معيدا لدروسه، ومهر وأنجب وتضلع في الفنون ودرس وأملى وكان أوحده زمانه في المعقولات ولازم آخره دروس الشيخ الحفني

٢٩٦ عبد الكريم ابن علي المسيري، المعروف بالزيات.
ت/ ١١٨١ هـ = ١٧٦٧ م.

وتلقن منه العهد، ثم أرسله الشيخ إلى بلاد الصعيد لأنه
(ص ٦٩٠) جاء كتاب من أحد مشايخ الهوارة ممن يعتقد
في الشيخ بأن يرسل إليهم أحد تلامذته ينفع الناس
بالناحية، فكان هو المعين لهذا المهم فألبسه وأجازه، ولما
وصل إلى ساحل بهجورة تلقته الناس بالقبول التام، وعيّن
له منزل واسع وحشم وخدم، وأقطعوا له جانباً من الأرض
ليزرعها فظن بالبهجورة، واعتنى به أميرها شيخ العرب
اسماعيل بن عبد الله، فدرس وأفتى وقطع العهود، وأقام
مجلس الذكر وراج أمره وراش جناحه* ونفع وشفع
وأثرى جداً وتملك عقارات ومواشي وعبيداً وزروعاً، ثم
تقلبت الأحوال بالصعيد وأوذى المترجم وأخذ ما بيده من
الأراضي وزحزحت حاله فأتى إلى مصر فلم يجد من يعينه
لوفاة شيخه، ثم عاد ولم يحصل على طائل، وما زال
بالبهجورة حتى مات في أواخر سنة إحدى وثمانين
ومائة وألف.

* راش جناحه: أى صار لجناحه ريش كناية
عن كثرة ماله.

٢٩٧ أحمد بن عبد الفتاح الملوى.
ت/ ١١٨١ هـ = ١٧٦٧ م..

[ومات] الإمام العلامة المتقن المعمّر مسند الوقت وشيخ
الشيوخ الشيخ/ أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر
المجبرى الملوى الشافعى الأزهرى، ولد كما أخبر من لفظه فى
فجر يوم الخميس ثانى شهر رمضان سنة ثمان وثمانين
وألف، وأمه آمنة بنت عامر بن حسن بن حسن بن على بن
سيف الدين بن سليمان بن صالح بن القطب على المغراوى
الحسنى، اعتنى من صغره بالعلوم عناية كبيرة وأخذ عن
الكبار من أولى الإسناد، وألحق الأحفاد بالأجداد، فمن
شيوخه الشهاب أحمد بن الفقيه والشيخ منصور المنوفى
والشيخ عبد الرؤوف البشبيشى والشيخ (ص ٦٩١) محمد

بن منصور الإطفيحي والشهاب الخليفى والشيخ عيد
النمرسى والشيخ عبد الوهاب الطندتاوى وأبو العز محمد
بن العجمى والشيخ عبد ربه الديوى والشيخ رضوان
الطوخى والشيخ عبد الجواد المحلى وخاله أبو جابر على بن
عامر الايتاوى. وأبو الفيض على بن ابراهيم البوتيجى وأبو
الأنس محمد ابن عبد الرحمن المليجى هؤلاء [من]
الشافعية، ومن المالكية محمد بن عبد الرحمن بن أحمد
الورزازى والشيخ محمد الزرقانى والشيخ عمر بن عبد
السلام التطاونى والشيخ أحمد الهشتوكى والشيخ محمد
ابن عبد الله السجلماسى والشيخ أحمد النفراوى والشيخ
عبد الله الكنكى وابن أبى ذكرى وسليمان الحصينى
والشبرخيتى، ومن الحنفية السيد على ابن على الحسنى
الضرير الشهير باسكندر. ورحل إلى الحرمين سنة اثنتين
وعشرين ومائة وألف فسمع على البصرى والنخلى الأولية
وأوائل الكتب الستة وأجازاه الشيخ محمد طاهر الكورانى،
وأجازاه الشيخ إدريس اليمانى وملاً الياسى الكورانى ودخل
تحت إجازة الشيخ ابراهيم الكورانى فى العموم، وعاد إلى
مصر وهو إمام وقته المشار إليه فى حل المشكلات المعول
عليه فى المعقولات والمنقولات، أقرأ المنهج مراراً وكذا غالب
الكتب، وانتفع به الناس طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل،
وكان تحريره أقوى من تقريره. وله رضى الله عنه مؤلفات
كثيرة منها شرحان على متن السلم كبير وصغير، وشرحان
كذلك على السمرقندية، وشرح على الياسمينية،
(ص ٦٩٢) وشرح الآجرومية ونظم النسب وشرحها،
وشرح عقيدة الغمرى وعقود الدرر على شرح ديباجة
المختصر، أتمه بالمشهد الحسينى سنة ثلاث وعشرين ونظم

الموجهات وشرحها وتعريب رسالة ملا عصام في المجاز،
ومجموع صيغ صلوات على النبي صلى الله عليه وسلم،
ومؤلفاته مشهورة مقبولة متداولة بأيدي الطلبة ويدرسها
الأشياخ، وتعلل مدة وانقطع لذلك في منزله وهو ملقى
على الفراش ومع ذلك يُقرأ عليه في كل يوم في أوقات
مختلفة أنواع العلوم وترد عليه الناس من الآفاق ويقرءون
عليه، ويستجيزونه فيجيزهم ويملى عليهم ويفيدهم، ومنهم
من يأتيه للزيارة والتبرك وطلب الدعاء فيمدهم بأنفاسه
ويدعو لهم، وكان ممتع الخواس. وأقام على هذه الحالة نحو
الثلاثين سنة حتى توفي في منتصف شهر ربيع الأول سنة
إحدى وثمانين ومائة وألف ومن نظمه رضى الله عنه:

كم كل كهف له يرد كساه بها
لذكم له لا ذكم بل لف سما كمالا
كالشكل الأول كم بدر كوى سلما
كم كان كل بدير للوداد كلا
كم لاح بدر ليل سام كم كلما
سرت له بضروب الشكل فاكتمالا

وأخبرني شيخنا الشيخ محمد المالكى المعروف بابن الست
أنه تولى القطبانية سنة قبل موته، ودفن بالمشهد الحسينى فى
موضع أعد له ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوى بقصيدة بيت
تاريخها: (ص ٦٩٣)

رحم الله العالم الربانى
علم لاح أحمد الملوانى

العابدين الحسيني البهنسي المالكي نزيل بولاق، ولد بالبهنسا سنة ثلاث وثمانين وألف، وقدم إلى مصر فأخذ عن الشيخ خليل اللقاني والشيخ محمد النشرتي والشيخ محمد الزرقاني والشيخ محمد الاطفيحي والشيخ محمد الغمري والشيخ عبد الله الكنكسي والشيخ محمد بن يوسف والشيخ محمد الخرشي، وحج سنة ثلاث عشرة ومائة وألف فأخذ عن البصري والنخلي وأجازه السيد محمد التهامي بالطريقة الشاذلية، والسيد محمد ابن علي العلوي في الأحمدية، والشيخ محمد شويخ في الشناوية، وحضر دروس المحدث الشيخ علي الطولوني ودرس بالجامع الخطيري ببولاق وأفاد الطلبة وكان شيخاً بهياً معمراً منور الشيبة منجماً عن الناس زاهداً قانعاً بالكفاف. توفي ليلة الاثنين حادي عشر شعبان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف بمنزله ببولاق وصلى عليه بالجامع الكبير في مشهد حافل وحمل على الأعناق إلى مدافن الخلفاء قرب مشهد السيدة نفيسة فدفن بها رحمه الله.

[ومات] الشيخ إمام السنة ومقتدى الأمة/ عبد الخالق بن أبي بكر بن الزين ابن الصديق بن الزين بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي القاسم النمري الأشعري المزجاجي الزيدي الحنفي من بيت العلم والتصوف، جده الأعلى محمد بن محمد بن أبي القاسم صاحب الشيخ إسماعيل الجبرتي قطب اليمن وحفيده (ص ٦٩٤) عبد الرحمن بن محمد خليفة جده في التسليك والتربية وهو الذي تدبر زيد* بأهله

٢٩٩ عبد الخالق بن أبي بكر الزجاجي.
ت/ ١١٨١ هـ = ١٧٦٧ م.

* تدبر زيد: بفتح الزاي وكسر الباء بلد باليمن، وتديرها أي اتخذها داراً.

* مخا: بفتح الميم ميناء باليمن على ساحل البحر الأحمر.

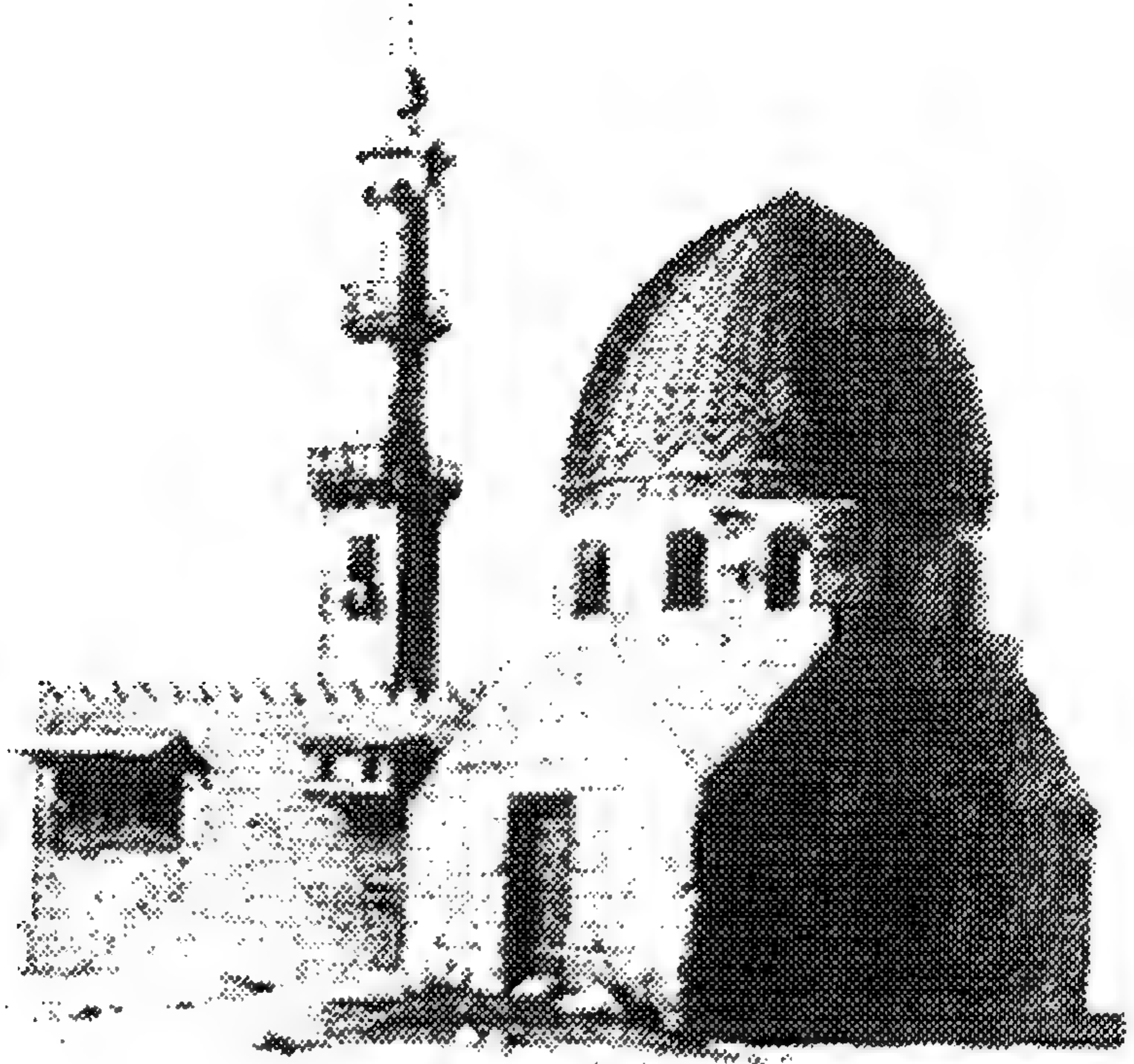
* خراف النخل: أى اجتاء ثماره وهى بكسر الخاء وفتحها.

وعياله وكان قبل بالمزجاجة وهى قرية أسفل زيد
خربت الآن، ولد المترجم سنة ألف ومائة بزيد
وحفظ القرآن وبعض المتون، ولما ترعرع أخذ عن الإمام
المسند الشيخ علاء الدين المزجاجى والسيد يحيى
بن عمر الأهدل والمسند عبد الفتاح بن اسماعيل الخاص
والشيخ على المرحومى نزيل مخا*، وأجازه من مكة الشيخ
حسن العجمى بعناية والده وبعناية قريته الشيخ
على بن على المزجاجى نزيل مكة، ووفد إلى الحرمين فأخذ
بمكة عن الشيخ محمد عقيلة، روى عنه الكتب الستة
وحمل عنه المسلسلات بشرطها وألبسه وحكمه، وحضر
على الشيخ عبد الكريم اللاهورى فى الفقه والأصول
وكان يحثه على قراءة الأخسكىتى ويقول «لا
يستغنى عنه طالب» وحضر دروس الشيخ عبد المنعم بن
تاج الدين القلعى ومحمد بن حسن العجمى ومحمد بن
سعيد التبككى، وبالمدينة عن الشيخ محمد طاهر الكردى
سمع منه أوائل الكتب الستة والشيخ محمد حياة السندى
لأزمه فى سماع الكتب الستة وعاد إلى زيد فأقبل على
التدريس والإفادة، وسمع عليه شيخنا السيد محمد مرتضى
الصحيحين وسنن النسائى كله بقراءته عليه فى عين الرضا
موضع بالنخل خارج زيد كان يمكث فيه أيام خراف*
النخل، والكنز والمنار كلاهما للنسفى ومسلسلات
شيخه ابن عقيلة وهى خمسة وأربعون مسلسلا،
وسمع عليه أيضاً المسلسل يوم العيد ولأزم درسه
(ص ٦٩٥) العامة والخاصة وألبسه الخرقه ونقبه
وحكمه بعد أن صحبه وتآدب به، وبه تخرج
شيخنا المذكور كذا ذكر فى ترجمته قال. وفى آخر توجه

[حياته] إلى الحرمين فمات بمكة في ذي الحجة سنة إحدى
وثمانين ومائة وألف.

٣٠٠ عمر بن علي ابن يحيى الطحلاوي.
ت/١١٨١ هـ = ١٧٦٧ م.

[ومات] الشيخ الإمام الثبت العلامة الفقيه المحدث الشيخ/
عمر بن علي بن يحيى بن مصطفى الطحلاوي المالكي
الأزهري، تفقه على الشيخ سالم النفراوي وحضر دروس
الشيخ منصور المنوفي والشهاب ابن الفقيه والشيخ محمد
الصغير الورزازي والشيخ أحمد الملوّي والشبراوي والبليدي،
وسمع الحديث عن الشهابين أحمد البابلي والشيخ أحمد
العمادي وأبي الحسن علي ابن أحمد الحريشي الفاسي،
وتمهر في الفنون ودرس بالجامع الأزهر وبالمشهد الحسيني
واشتهر أمره وطار صيته وأشير إليه بالتقدم في العلوم وتوجه
إلى دار السلطنة في مهم اقتضى لأمره مصر فقبل
بالاجابة، وألقى هناك دروساً في الحديث في آيا صوفية،
وتلقى عنه أكابر العلماء هناك في ذلك الوقت وصرف معزلاً
مقضياً حوائجه، وذلك في سنة سبع وأربعين ومائة وألف،
ولما تم عثمان كتحدا القازدغلي بناء مسجده بالأزبكية في
تلك السنة تعين المترجم للتدريس فيه وذلك قبل سفره إلى
الديار الرومية، وكان مشهوراً في حسن التقرير وعذوبة البيان
وجودة الإلقاء، وأقرأ الموطأ وغيره بالمشهد الحسيني، وأفاد
وأجاز الأشياء، وكان يطلع في كل جمعة إلى المرحوم
حمزة باشا مرة فيسمع عليه الحديث وكان للناس فيه اعتقاد
حسن وعليه هيبة ووقار وسكون ولكلامه (ص ٦٩٦) وقع
في القلوب. توفي ليلة الخميس حادي عشر صفر سنة إحدى
وثمانين ومائة وألف وصلى عليه بصباحه في الأزهر في
مشهد حافل ودفن بالمجاورين، رحمه الله.



٣٠١ عبد الوهاب الشربيني.
ت/ ١١٨١ هـ = ١٧٦٧ م.

[ومات] الوجيه الصالح الشيخ/ عبد الوهاب بن زين الدين بن عبد الوهاب ابن نور الدين بن بايزيد بن أحمد بن القطب شمس الدين بن أبى المفاخر محمد بن داود الشربيني الشافعى، وهو أحد الإخوة الثلاثة وهو أكبرهم، تولى النظر والمشیخة بمقام جدّه بعد أبيه فسار فيها سيرا مليحاً وأحيا المآثر بعد ما اندرست وعمر الزاوية وأكرم الوافدين وأقام حلقة الذكر كل يوم وليلة بالمسجد، ويغدق على المنشدين، وورد مصر مراراً منها صحبة والده ومنها بعد وفاته والف باسمه شيخنا السيد مرتضى رسالة فى الطريقة الأوبسية سماها (عقيلة الأتراب فى سند الطريقة والأحزاب) وفى آخره أتى إلى مصر لمقتضى، ومرض نحو ثلاثة أيام. وتوفى ليلة الأحد ذى القعدة سنة إحدى وثمانين ومائة

وَأَلْفٌ، وَغُسْلٌ وَكَفْنٌ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى بَلَدِهِ فَدَفَنُوهُ عِنْدَ أَسْلَافِهِ.

٣٠٢ محمد بن سالم الحفناوى الخلوئى.

[ومات] الشيخ الامام العلامة الهمام أُوحد أهل زمانه علماً وعمل ومن أدرك ما لم تدركه الأول المشهود له بالكمال والتحقيق والمجمع على تقدمه فى كل فريق شمس الملة والدين / محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوئى وهو شريف حسينى من جهة أم أبيه وهى السيدة ترك ابنة السيد سالم بن محمد بن على بن عبد الكريم ابن السيد برطع المدفون ببركة الحاج وينتهى نسبه إلى الامام الحسين رضى الله عنه، (ص ٦٩٧) وكان والده مستوفياً عند بعض الأمراء بمصر، وكان على غاية من العفاف ولد على رأس المائة ببلده حفنا بالقصر قرية من أعمال بليس وبها نشأ، والنسبة إليها حفناوى وحفنى وحفناوى، وغلبت عليه النسبة حتى صار لا يذكر إلا بها، وقرأ بها القرآن إلى سورة الشعراء ثم حجزه أبوه بإشارة الشيخ عبد الرؤوف البشيشى وعمره أربع عشرة سنة بالقاهرة فكمل حفظ القرآن ثم اشتغل بحفظ المتون، فحفظ ألفيه ابن مالك والسلم والجوهرة والرحبية وأبا شجاع وغير ذلك، وأخذ العلم عن علماء عصره واجتهد ولازم دروسهم حتى تمهر وأقرأ ودرس وأفاد فى حياة أشياخه وأجازوه بالافتاء والتدريس فأقرأ الكتب الدقيقة كالأشمونى وجمع الجوامع والمهج ومختصر السعد وغير ذلك من كتب الفقه والمنطق والأصول والحديث والكلام عام اثنتين وعشرين، وأشياخه الذين أخذ عنهم وتخرج عليهم الشيخ أحمد الخليفى والشيخ محمد الديربى والشيخ عبد الرؤوف البشيشى والشيخ أحمد الملوى والشيخ محمد السجاعى والشيخ يوسف الملوى والشيخ عبده الديوى

والشيخ محمد الصغير، ومن أجل شيوخه الذين تخرج
بالسند عنهم الشيخ محمد البديري الدمياطي الشهير بابن
الميت، أخذ عنه التفسير والحديث والمسندات والمسلسلات
والإحياء للإمام الغزالي وصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي
داود وسنن النسائي وسنن ابن ماجه والموطأ ومسنند الشافعي
والمعجم الكبير للطبراني والمعجم الأوسط والصغير له أيضاً
وصحيح ابن حبان والمستدرک (ص ٦٩٨) للنيسابوري
والحلية للحافظ أبي نعيم وغير ذلك، وشهد له معاصروه
بالتقدم في العلوم، وحين جلس للإفادة لازمه جل طلبة
العلم ومن بهم يسمو المعقول والمنقول وكان اذ ذاك في
شدة من ضيق العيش والنفقة فأشترى دواة وأقلاماً وأوراقاً
واشتغل بنسخ الكتب فشق عليه ذلك خوفاً من انقطاعه
عن العلم فبينما هو في بعض الدروس إذ جاءه رجل وانتظره
حتى فرغ من الدرس فقال له «يا سيدي أريد أن أكلمك
كلمتين» وأشار إلى مكان قريب فسار معه حتى انتهى إلى
المدرسة العينية فدخلاها ثم جلسا فأخرج الرجل محرمة
ملآنة بالدراهم وقال له «يا سيدي فلان يسلم عليك وقد
بعث لك معى بهذه الدراهم ويريد أن يحظى بقبولها»
فأخذها منه وفتحها وملا كفه من الدراهم وأراد إعطاءها
لحاملها فامتنع وحلف لا يأخذ منها شيئاً ثم فارق ذلك
الرجل وذهب الشيخ إلى البيت وكسر الأقلام والدواة
فأقبلت عليه الدنيا من حينئذ، وكان يتردد إلى زاوية سيدي
شاهين الخلوتي بسفح الجبل ويمكث فيها الليالي متحنثاً*
وأقبل على العلم وعقد الدروس وختم الختوم بحضرة جمع
العلماء وأقرأ المنهاج مرات وكتب عليه، وكذلك جمع
الجوامع والأشمونى ومختصر السعد وحاشية حفيده عليه

* متحنثاً: أى متعبداً.

كتب عليها وقرأها غير مرة، وكان الشيخ العلامة مصطفى
العزيزي إذا رفع اليه سؤال يرسله اليه، واشتغل بعلم
العروض حتى برع فيه وعانى النظم والنثر وتخرج عليه
غالب أهل عصره وطبقته (ص ٦٩٩) ومن دونهم كأخيه
العلامة الشيخ يوسف والشيخ اسماعيل الغنيمي صاحب
التأليف البديعة والتحريرات الرفيعة المتوفى سنة إحدى
وستين وشيخ الشيوخ الشيخ علي العدوي والشيخ محمد
الغيلاني والشيخ محمد الزهار نزيل الحلة الكبرى وغيرهم
كما هو في تراجم المذكورين منهم، وكان علي مجالسه
هبة ووقار ولا يسأله أحد لمهاتته وجلالته، ولم يعان التأليف
لاشتغاله بالإلقاء والإقراء، فمن تأليفه المشهورة حاشية على
شرح رسالة العضد للسعد وعلي الشنشوري في الفرائض
وعلي شرح الهمزية لابن حجر وعلي مختصر السعد وعلي
شرح السمرقندي للياسمينية في الجبر والمقابلة، وله
تصانيف أخرى مشهورة، وكان كريم الطبع جداً وليس
للدنيا عنده قدر ولا قيمة، جميل السجايا مهيب الشكل
عظيم اللحية أبيضها كان علي وجهه قنديلا من النور،
وكان كريم* العين علي إحداهما نقطة وأكثر الناس لا
يعلمون ذلك لجلالته ومهاتته، وكان في الحلم علي جانب
عظيم، ومن مكارم أخلاقه إصفاؤه لكلام كل متكلم، ولو
من الخزعبلات مع انبساطه اليه وأظهار الحبة ولو أطل عليه،
ومن رآه مدعياً شيئاً سلم له في دعواه، ومن مكارم أخلاقه
أنه لو سأل إنسان أعز حاجة عليه أعطاها له كائنة ما كانت
ويجد لذلك أنسا وانسراحاً، ولا يعلق أمله بشيء من الدنيا،
وله صدقات وصلات خفية وظاهرة، وكان راتب بيته من
الخبز في كل يوم نحو الإردب والطاحون دائمة الدوران

* كريم العين: إعتاد المصريون إطلاق الفاظ
روحية علي أصحاب العاهات مثل «كريم
العين للأعور والبصير بقلبه للأعمى».

وكذلك دق البن وشربات (ص ٧٠٠) السكر ولا ينقطع ورود
الواردين ليلاً ونهاراً ويجتمع على مائدته الأربعون والخمسون
والستون، ويصرف على بيوت أتباعه والمنتسبين إليه، وشاع
ذكره في أقطار الأرض، وأقبل عليه الوافدون بالطول
والعرض، وهادته الملوك، وقصده الأمير والصعلوك، فكل
من طلب شيئاً من أمور الدنيا أو الآخرة وجده، وكان رزقه
فيضاً إلهياً، وذكر الشيخ حسن شمه في كتابه الذي ألفه
في نسب الأستاذ ومناقبه قال: «كنت مع الشيخ يوماً في
منتزه فجلست في ناحية أكتب في المقامة التي وضعتها في
مدحه المسماة (بفيض المغنى بمدح الحفنى) وجعلتها
مشملة على سائر الفنون الشعرية التي هي النسب
والموشح والدوبيت* والزجل وكان وكان والقوما
والحماق والموالي بأنواعه الثلاثة القرقي والبليق والمكفر وعلى
نبذة من الموشحات والمحسنات البديعية كالمعطلات
والحياة الرقطاء ووسع الاطلاع وحسن الصنيع والمشجر
والجناس واللغز والمعنى والمصحف والقلب ونوعى
الاقتباس، وكنت إذ ذاك في فن المواليا فعملت مواليا
قرقيا وهو:

قالوا تحب المدمس قلت بالزيت حار

والعيش الأبيض تحبه قلت والكشكار

قالوا تحب المطبق قلت بالقنطار

قالوا اش تقول في الخضارى* قلت عقلى طار

فقال لى أنت فيم تكتب فأخبرته وأنشدته المواليا فضحك

وقال لى مازحاً أنا لا أحبه بالزيت الحار وإنما (ص ٧٠١)

أحبه بالسمن وأنشد:

* الدوبيت: هي المقطوعة الشعرية المكونة من
بيتين بواقية واحدة.

* فنون الشعر:
النسب. الموشح. الدوبيت. الزجل.
كان كان. القوما. الحماق.
الموال بأنواعه الثلاث:

١ - القرقي.

٢ - البليق.

٣ - المكفر.

* المحسنات البديعية:
المعطلات. الحياة الرقطاء. المصحف.
وسع الاطلاع. حسن الصنيع.
المشجر. الجناس. اللغز. المعنى. القلب.
الاقتباس

* الخضارى: بضم الخاء طائر مهاجر أصفر
اللون ضارب إلى الخضرة.

قالوا تحب المدمس قلت بالمسلى
والبيض مشوى تحبه قلت والمقلي

قال وقد شرحت هذا المواليا بلسان القوم شرحا لطيفا، ثم قال لى: أحدثك حدوده بالزيت ملتوته حلفت ما أكلها حتى يجى التاجر والتاجر فوق السطوح والسطوح عاوز سلم والسلم عند النجار والنجار عاوز مسمار والمسمار عند الحداد والحداد عاوز بيضه والبيضة فى بطن الفرخة والفرخة عاوزة قمحه والقمحه فى الأجران والأجران عاوزه الدراس تدرى ما معنى هذه؟ قلت لا أعلم الا ما علمتنى (فقال أحدثك حدوده بالزيت ملتوته) يعنى السر الإلهى والسلاف الأحمدي الأواهى الممزوج براح القرب والتقريب المدار من يد الحبيب (حلفت ما أكلها) أى أتناولها فإن المقصد لا يتم بلا وسيلة والسالك قبل كل شىء يحصل دليله (حتى يجى التاجر) أى المسلك العامر والمراد به المرشد الكامل والمربى الواصل (والتاجر فوق السطوح) يتلقى معارج الروح لا يذهب ولا يروح بل إليه يراح وبه تنتعش الأرواح (والسطوح عاوز سلم) يتوصل به إليه. حيث أن المدار عليه إذ لا يمكن صعود بلا معراج ولو أمكن لفعل بالأولى صاحب المعراج (والسلم عند النجار) أى له صاحب مخصوص لإقامته ومركب يركبه من آتته هو النجار وهو الأستاذ الكامل المسلك الواصل (والنجار عاوز مسمار) يثبت (ص ٧٠٢) به سلم القرب والوصول كى يوصل لمنازل الحصول (والمسمار عند الحداد) صانعه المخصوص به، المقيم ببحبوح سرية (والحداد عاوز بيضة) إذ لا يكون شىء بلا شىء، والغالى لا يفرط فيه حى، ومن عمل عملا وأتم أمره استحق على عمله الأجرة

(والبيضة في بطن الفرخة) فمن أرادها فليصب فخه فإنها مخبوءة في صدفها ومنفردة عن صنفها (والفرخة عازره قمحة) كي تتنفس بها فتنفخ نفخة لتلقى ما في جوفها وذلك من ذعرتها وخوفها (والقمحة في الأجران) لأنها ظرفها والعنان (والأجران عازرة الدراس) ودراسها ليس إلا الجد والاجتهاد لمن أراد أن يرتع في رياض الإسعاد، فكل هذه درجات للسالك يصعدوها، ومسافة لسيره يقطعها، وثم خواص طويت لهم السبل كلها، ونالوا كل ما راموا من مشتهى، انتهى، فانظر رحمك الله هذا المزج الذي هو حقيقة الجد .

(ومما سمع من إنشاده في الدياجي موشح الدلنجاوى):

يا هـلـا قـد بدا لى
 من ورا الحـسـب
 فى جـلابـيب الكـمال
 مادروا صـحـبى
 إن قلبـا منك خـالى
 ليس بالـقلب
 وفـؤادـا عنـك سـالى
 واجـب السـلب
 (ثم أنشد مواليا):

بحياة ياليل قوامك وصوم الحر
 تحجز لنا الفجر دافوت الرفاقة حر
 لما يجى الفجر يصبح ركبهم منجر (ص ٧٠٣)
 ازداد لوعة ولا عمري بقيت أنسر

(وكرره ثم أنشد):

أظمأ وأنت العذب فى كل منهل؟
وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى؟
خبير بضعفى راحم لشكىتى
وقدير على تيسير كل عسير
عار على راعى الحمى وهو فى الحمى
إذا ضاع فى البیدا عقال بعير

(وأنشد أيضا):

إن وجدت أو جرت أو صديت أو جافيت
أو حلت أو ملت أو واصلت أو وافيت
أنت الحبيب الذى فى القلب قد حليت
ونا على العهد ما خنتك ولا اختليت

(ثم أنشد)

يا من إذا قلت يا كل المنى صل صال
صلنى بمن خلق الإنسان من صلصال
إذا تذكرت ريقاً بارداً سلسال
وقلت يا دمع عينى بالدماسل سال

(قال) الشيخ حسن قلت له ما أبلغ بيت السبعينية:

خطرات النسيم تجرح خديه
ولمس الحـرير يدمى بنانه

(فقال) لى أبلغ منه قوله

توهمه قلبى فأصبح خده
وفيه مكان الوهم من نظرى أثر



و مر بفکری جسمه فجرحته (ص ۷۰۴)

ولم أرَ جسمًا قط يجرحه الفكرُ

(قال) وسمعتہ کثیراً ما ینشد فی الدیاجی:

خل الغرام لصب دمه دمه

حیران توجده الذکری وتعدمه

واسمع له بعلاقات علقن به

لو اطلعت علیها کنت ترحمه

(قال) وسمعتہ مرة ینشد:

لو فتشوا قلبی لأفسوا به

سطين قد خطا بلا کاتب

العلم والتوحید فی جانب

وجب آل البیت فی جانب

رَعَاكَ اللَّهُ يَا قَلْبِي
 إِذَا مَسَا مِلْتُ لِلْقَلْبِ
 وَلَا بُلِّغْتَ يَا وَاشِي
 لِمَا فِي طَيْبِهِ سَلْبِي
 فَمَهْلًا يَا خَلِي مَهْلًا
 فَدِينِي فِي الْهَوَى حَبِي

وقد شطر هذه الأبيات مولانا السيد البكري الصديقي
 وخمسها وشرها غير واحد غيره، وقال عام رحلته إلى
 بيت المقدس لزيارة السيد الصديقي مادحاً جنابه بقصيدة من
 بحر المجتث:

يَا مَسْتَفِي أَنْ يَحْيَا
 بِرَشَفِ كَأْسِ الْحَمِيَّا
 وَسَالِكَا نَهْجِ قُورَمِ
 شَامُوا جَمَالَ الْحَيَا
 سَامُوا لَرِيحَ الْعَالِيَا
 طَابُوا مَمَاتًا وَمَسْحِيَا
 وَاسْتَنْشَقُوا طَيْبَ عَرْفِ
 أَحْيَا الْمَعْنَى وَحْيَا
 أَخْرِجْ عَنِ النَّفْسِ وَالزَّمِ
 بَابَا كَرِيمًا عَلِيَّا
 وَقُمْ بِسُوءَةِ فَضْلِ
 بِهَا الْكَمَالِ تَهْيَا
 وَطَفْ بِكَعْبَةِ خَيْرِ
 وَأَجْمَلْنِ مِنْكَ سَعْيَا
 تَرَكَ فَزْتَ بِقُورَبِ
 وَحَزْتَ سِرًّا وَفِيَّا

من حضرة قد تسامت
 ذرا المعالي رُقِيَا
 (ص ٧٠٦) قد اصطفاها لسر
 ثم ارتضباها سميَا
 محمدي مقام
 نال المقام السنيَا
 أجل، من يتصدي
 للناس يمنح هديَا
 سبط الحسين وصنو
 خالي من اللهو أعيا
 يا ابن الرفيق بغفار
 وابن العتيق فهيا
 لابن رهين صرُوف
 عما يروم نعيَا
 فوجهن لنحوي
 قلباً به الميت يحيَا
 وقل محمدا اشرب
 منا شراباً صفيَا
 حسيبكم من سواكم
 أمسي غريباً عريَا
 صلي وسلم ربي
 على الرسول المحيَا
 والآل ما قال صب
 يا مبتغي أن يحيَا

وكان لا شغاله باللقاء والإقراء للعلم لا يعاني النظم كثيراً،
 وله مواليا من المكفر، المواليا على ثلاثة أقسام قرقيا وبلق
 ومكفر، فالقرقيا ما اشتمل على الهزل، والبلق ما اشتمل

على الغزل، والمكفر بكسر الفاء ما اشتمل على المواعظ،
(فمن ذلك قوله) :

يا مبتغى طرق أهل الله والتسليك
دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن أذكروني لرد المعترض يكفسيك
فاجعل سلاف الجلالة دائما فيك
وقوله :

بالله يا قلب دع عنك الهوى واسلم
من كل ميل ووافي عهدهم اسلم
والزم حمى سادة من أمهم يسلم (ص ٧٠٧)
واسلك سبيل التقى يوم اللقاء تسلم
وقوله :

حرك جواد الهمم واسلك طريق الحق
واصحب معك زاد أهل المعرفة والحق
ولا تمل للسوى تحرق بنار الفرق
وادخل جنان التقى تظفر بشانى فرق
وله من البليق :

خطر عليا غزالي مر ما اتكلم
فوق جفونه وقلبي والحشا كلم
ايش كان يضره إذا بالراس لى سلم
حتى أسر مهجتي لولا السلام سلم

(ومن) مراسلاته لبعض تلامذته : أما بعد إهداء سلام بسر
الحب نام تام للحبيب الصفى، ومن بالعهد وفى، السرى
الأسعد، أحمدنا الأحمد جملنا الله وإياه بلباس التقوى،
* رسالة أدبية تربوية من عهد الجبرتي.

وثبتنا وإياه على التمسك بسبب الوصول الأقوى، فقد وصلت الرسائل، المنبثة بحفظ الوسائل، المشعرة بالصفاء، والقيام على قدم الوفاء، والذي به نوصيك، وبسره الخفى نوافيك، أن تدوم منتبها لتحرك النفس، فى كل حركة ونفس، خصوصا عند اقبال العباد، وطلبهم الفائدة والارشاد، فانها ولو للمعمرين بالمرصاد، فلا ينبغي أن يغمدها سيف الجهاد، ومن زاد عليك اقباله، وتوجهت إليك بالصدق آماله، فاصرف قلبك إليه، وعول فى التربية عليه، (ص ٧٠٨) ومن عنك بهواه صد، بعد أخذك عليه وثيق العهد، فدعه ولا تشغل به البال، وأنشده قول استاذنا لمن عن طريقنا قد مال:

ألم تدر أنا من قلانا سفاهة
تركناه غب الوصل يعمى بصده
ومن صد عنا حسبه الصد والجفا
وأن الردى أصمناه من بعد بعده
ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته
وأنا نكافيه على ترك حمده
وأنا غدا لما نعد محبنا
وأتباعنا لسنانهم بعده

ومن أردت زجره للتربية وإرشاده، فليكن ذلك عند الانفراد إذ هو أرجى لاسعاده، ولا تزجر بضرب ولا نهري بين الناس؛ فان ذلك ربما أوقع المريد فى الباس، ولا تلتفت لمن أعرض، ولا لمن يصحبك باحسان، والأدب واللفظ محمودان، والغلظة والحقد موبقان، فاطرح القال والقليل، واصفح الصفح الجميل، ولك ولكل من أخذ عنك أو أحبك منا

ومن أهل سلسلة طريقنا ما سرك، فأبشروا إن عملت بما
أشرنا بكل خير، ومزيد الفتح والمسير في السير، وللشيخ
رضي الله عنه مناقب ومكاشفات وكرامات وبشارات
وخوارق عادات يطول شرحها ذكرها الشيخ (ص ٧٠٩)
حسن المكي المعروف بشمه في كتابه الذي جمعه في
خصوص الأستاذ، وكذلك العلامة الشيخ محمد الدمنهوري
المعروف بالهلباوي له مؤلف في مناقب الشيخ ومدايحه
وغير ذلك.

وصل في ذكر أخذ العهد بطريق الخلوتية

وهي نسبة إلى سيدي محمد الخلوتي أحد أهل السلسلة
ويعرفون أيضا بالقرباشلية نسبة إلى سيدي علي افندي قره
باش أحد رجالها أيضا وهذا هو الاسم الخاص المميز لهم عن
غيرهم من الخلوتية ولذلك قال السيد البكري في الألفية.

والخلوتية الكرام فـرق

قد نهجوا نهج الجنيد فرقوا

وخيـرهم طريقنا العلية

من قد دعوا بالقرباشلية

وهي طريقة مؤيدة بالشرعية الفراء والحنيفة السمحاء، ليس
فيها تكليف بما لا يطاق وكانت خير الطرق لأن ذكرها
الخاص بها (لا إله إلا الله) وهي أفضل ما يقول العبد كما
في الحديث الشريف. وكان المترجم رضي الله عنه اشتغل
بالسلوك وطريق القوم بعد الثلاثين فأخذ على رجل يقال له
الشيخ أحمد الشاذلي المغربي المعروف بالمقري فتلقى منه
بعض أحزاب وأوراد، ثم قدم السيد البكري من الشام سنة

ثلاث وثلاثين ومائة ألف فاجتمع عليه الشيخ بواسطة بعض تلامذة السيد، وهو السيد عبد الله السلفيتي فسلم عليه وجلس فجعل السيد ينظر إليه وهو (ص ٧١٠) كذلك ينظر إليه فحصل بينهما الارتباط القلبي، ثم قام وجلس بين يدي السيد بعد الاستئذان، وكانت عادة السيد إذا أتاه مريد أمره أولاً بالاستخارة قبل ذلك إلا وهو فلم يأمره بها، وذلك إشارة إلى كمال الارتباط، فأخذ عليه العهد حالا ثم اشتغل بالذكر والمجاهدة فرأى في منامه في بعض الليالي السيد البكري والشيخ أحمد الشاذلي المذكور جالسين والشيخ أحمد يعاتبه على دخوله في الطريق ويعاتب أيضاً السيد، فقال له السيد: «هل لك معه حاجة؟» قال: «نعم، لي معه أمانة» وإذا بجريدة خضراء بيد السيد فقال له: «هذه أمانتك؟» ثم اتبه فأخبر السيد فقال له: «هذا اتصال بنا وانفصال عنه وهذه هي النسبة الباطنية التي صار بها سلمان الفارسي وصهيب من أهل البيت». وقال ابن الفارض رضي الله عنه في اليازية:

نسب أقرب في شرع الهوى

بيننا من نسب من أبوى

وقال في التائية على لسان الصادق صلى الله عليه وسلم:

وانى وإن كنت ابن آدم صـورة

فلى فيه معنى شاهد بالأبوة

فإن آدم له أب من حيث النسبة الظاهرة، وهو أب لآدم من

حيث النسبة الباطنة، لأنه نايب عنه في الإرسال ومنبأ بعده

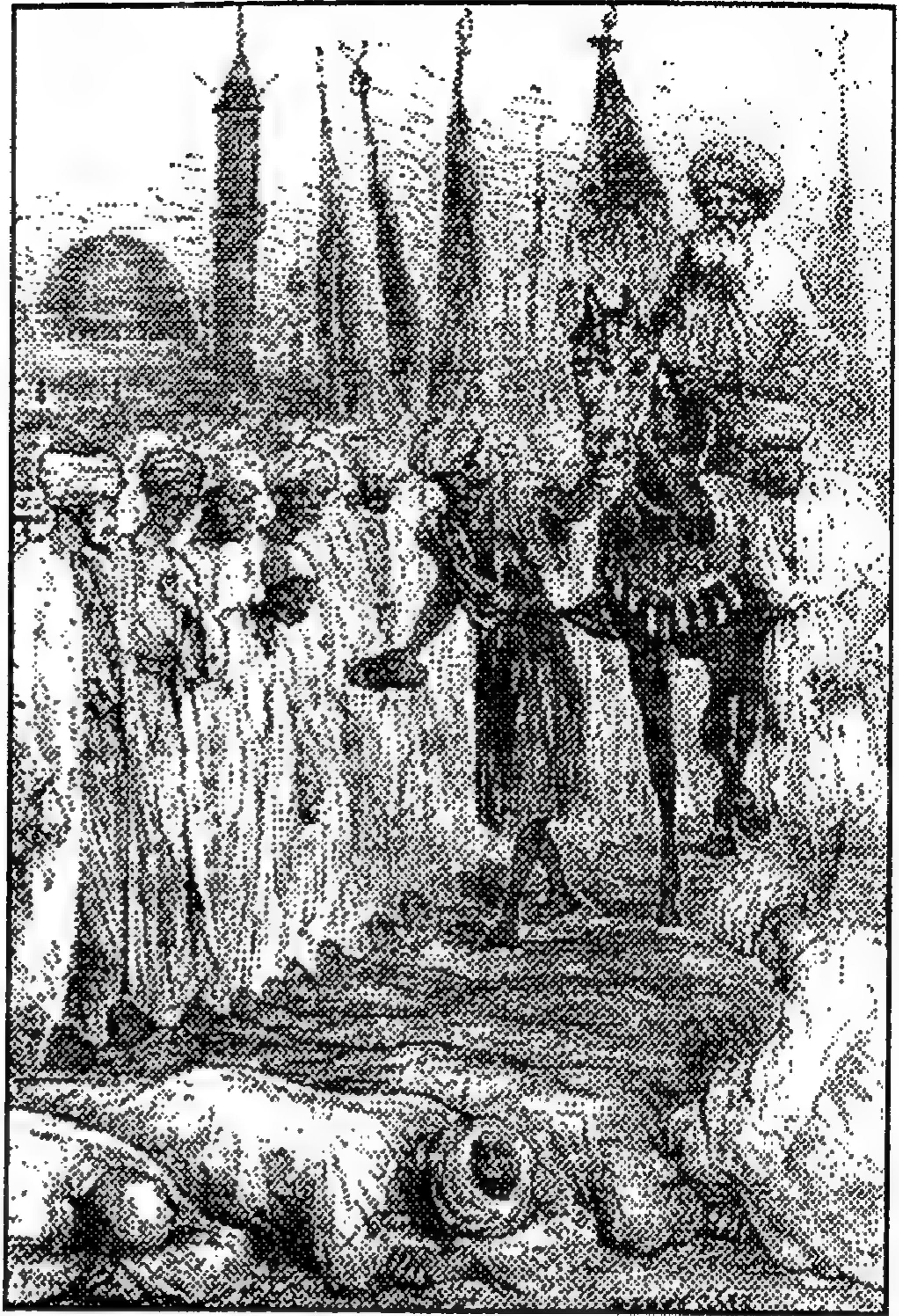
في الإنزال، ولم يستمد (ص ٧١١) من الحضرة العلية إلا بواسطته، ولذلك لما توسل به قبلت توبته، وزادت محبته، ولم يجعل مهر حواء سوى الصلاة والسلام عليه كما ورد ذلك كله، وهو من المعلوم ضرورة، فظهر بهذا أن هذه النسبة أعظم من تلك لترتب الثمرة عليها، ثم سار في طريقة القوم أتم سير حتى لقنه الأستاذ الاسم الثاني والثالث، ومن حين أخذ عليه العهد لم يقع منه في حق الشيخ إلا كمال الأدب والصدق التام وهو الذي قدمه وبه ساد أهل عصره، فمن ذلك أنه كان لا يتكلم في مجلسه أصلاً إلا إذا سألته فإنه يجيبه على قدر السؤال، ولم يزل يستعمل ذلك معه حتى أذن له بالتكلم في مجلسه في بعض رحلاته إلى القاهرة، وسببه أنه لما رأى إقبال الناس عليه وتوجههم إليه قال له: «انبسط إلى الناس واستقبلهم، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم*».

* الأنعام: هي ذوات الخف والظلف وهي الإبل والبقر والغنم، وحمر النعم هي كرائم الأنعام.

ومما اتفق له أن شيخه المذكور قال له مرة «تعال الليلة مع الجماعة واذكروا عندنا في البيت»، فلما دخل الليل نزل شتاء ومطر شديد فلم يتخلف وذهب حافياً والمطر يسكب عليه وهو يخوض في الوحل، فقال له «كيف جيت في هذه الحالة؟» فقال «يا سيدي أمرتمونا بالجئ ولم تقيدوه بعذر وأيضاً لا عذر والحالة هذه لإمكان الجئ وإن كنت حافياً» فقال له «أحسن، هذا أول قدم في الكمال» إلى غير ذلك. ولما علم الشيخ صدق حاله وحسن فعاله، قدمه على خلفائه وأولاده حسن ولائه، ودعاه بالأخ الصادق،

* صورة أخذ العهد فى الطريقة الخلوتية.

ومنحه أسراراً، وأراه عيون الحقايق، وكيفية تلقين الذكر (ص ٧١٢) وأخذ العهد كما وجد بخط الأستاذ بظهر ثبت عبد الله بن سالم البصرى ما نصه: هذه صورة أخذ العهد أرسلها إليه السيد البكرى الصديقى الخلوتى حين أذنه بأخذ العهد على طريقة السادة الخلوتية ونص ما كتب كيفية المبايعة للنفس الطائعة أن يجلس المريد بين يدى الأستاذ ويلصق ركبته بركبته والشيخ مستقبل القبلة ويقرأ الفاتحة ويضع يده اليمنى فى يده مسلماً له نفسه مستمداً من إمداده ويقول له قل معى أستغفر الله العظيم ثلاث مرات، ويتعوذ ويقرأ آية التحريم «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً» إلى «قدير» ثم يقرأ آية المبايعة التى فى الفتح ليزول الاشتباه وهى «إن الذين يبيعونك إنما يبيعون الله» اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى: «عظيماً». ثم يقرأ فاتحة الكتاب ويدعو الله لنفسه وللأخذ بالتوفيق، ويوصيه بالقيام بأوراد الطريق، والدوام على ذوق أهل هذا الفريق، وعرض الخواطر، وقص الرويات العواطر، وإذا وقعت الإشارة بتلقين الاسم الثانى، لقنه ليبلغ الأمانى، وفتح له باب توحيد الأفعال، إذ لا غيره فعّال، وفى الثالث توحيد الأسماء، ليشهد السر الأسمى، وفى الرابع توحيد الصفات، ليدرّجه إلى أعلى الصفات، وفى الخامس توحيد الذات، ليحظى بأوفر اللذات، وفى السادس والسابع، يكمل له التوابع، ونسأل الله تعالى الهداية والرعاية، والعناية والدراية، والحمد لله (ص ٧١٣) رب العالمين، انتهى.



هذا ما كتب بخطه الشريف، قال ورأيت أيضاً بظهر الثبت المذكور ما نصه ثم رأيت في «الفتوحات الإلهية في نفع أرواح الدوات الإنسانية» وهو كتاب نحو كراس لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ما نصه: إذا أراد الشيخ أن يأخذ العهد على المريد فليتطهر وليأمره بالتطهر من الحدث والخبث ليتها لقبول ما يلقيه إليه من الشروط في الطريق ويتوجه إلى الله تعالى ويسأله القبول لهما، ويتوسل إليه في ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه الواسطة بينه وبين خلقه، ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يضع راحته على راحته ويقبض إبهامه بأصابعه ويتعوذ ويسمل ثم يقول: «الحمد لله رب العالمين أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه وصلى الله على سيدنا



محمد وعلى آله وصحبه وسلم». ويقول المريـد بعده مثل ما قال، ثم يقول: «اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأوليائك أني قد قبلته شيخاً في الله ومرشداً وداعياً إليه، ثم يقول الشيخ: «اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأوليائك أني قد قبلته ولداً في الله فاقبله وأقبل عليه، وكن له ولا تكن عليه»، ثم يدعو كأن يقول: «اللهم أصلحنا وأصلح بنا، واهدنا واهد بنا، وأرشدنا وأرشد بنا، اللهم أرنا الحق حقاً وألهمنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك، لا تقطعنا عنك، ولا تشغلنا (ص ٧١٤) بغيرك عنك» انتهى، قلت والمراتب السبعة التي أشار إليها السيد في الكيفية المتقدمة هي مراتب الأسماء السبعة وللنفس في كل مرتبة منها مرتبة باسم خاص دال عليها، الاسم الأول (لا

إله إلا الله) وتسمى النفس فيه (أمانة) والثاني (الله)
وتسمى النفس فيه (لؤامة) والثالث (هو) وتسمى النفس فيه
(ملهمة) والرابع (حق) وهو أول قدم يحله المريد من الولاية
كما مرت الإشارة إليه وتسمى النفس فيه (مطمئنة)
والخامس (حي) وتسمى النفس فيه راضية والسادس (قيوم)
وتسمى النفس فيه (مرضية) والسابع (قهار) وتسمى النفس
فيه (كاملة) وهو غاية التلقين، وكلها ماعدا الأول منها
تلقن في الأذن اليمنى إلا السابع ففي اليسرى وتلقينها
بحسب ما يراه الشيخ من أحوال المريدين أفعال وأقوال
وعالم مثال، واعلم أن سلسلة القوم هذه في كيفية أخذ
العهد والتلقين مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يرويه عن جبريل، وهو يرويه عن الله عز وجل، وفي بعض
الروايات روايته عن رؤساء الملائكة الأربع، والنبي صلى الله
عليه وسلم لقن عليا رضي الله عنه، وصورة ذلك كما في
«ريحان القلوب في التوصل إلى المحبوب» لسيدى يوسف
العجمي أن علياً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال «يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى»
فقال «يا علي عليك بمداومة ذكر الله في الخلوات» فقال
(ص ٧١٥) علي رضي الله عنه «هذا فضيلة الذكر وكل
الناس ذاكرون» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا
علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله» فقال
علي «كيف أذكر يا رسول الله» قال «غمض عينيك
واسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا
أسمع» فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا إله إلا الله»
ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعا صوته وعلى يسمع ثم قال
علي «لا إله إلا الله» ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعا صوته

* سلسلة أخذ العهد كما رواها النبي محمد.

والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع، ثم لقن عليّ الحسن
 البصرى رضى الله عنهما على الصحيح عند أهل السلسلة
 الأخيار من المحدثين، قال الحافظ السيوطي: الراجح أن
 البصرى أخذ عن علي ومثله عن الضياء المقدسى. ومن
 المقرر فى الأصول أن المثبت مقدم على النافي، ثم لقن
 الحسن البصرى حبيباً العجمي وهو لقن أبا القاسم سيد
 الطائفتين الجنيد البغدادى وعنه تفرقت سائر الطرق المشهورة
 فى الإسلام ثم لقن عمر البكرى وهو لقن أبا النجيب السهر
 رردى وهو لقن قطب الدين الأبهري، وهو لقن محمداً
 التجاشى، وهو لقن شهاب الدين الشيرازى، وهو لقن جلال
 الدين التبريزى، وهو لقن إبراهيم الكيلانى، وهو لقن أخى
 محمداً اخلوتى وإليه نسبة أهل الطريق، وهو لقن بير عمر
 اخلوتى، وهو لقن (ص ٧١٦) أخى بيرام اخلوتى وهو لقن
 عز الدين اخلوتى، وهو لقن صدر الدين الحيانى وهو لقن
 يحيى الشروانى صاحب ورد الستار وهو لقن بير محمد
 الأرنجائى وهو لقن جلى سلطان المشهور بجلى خليفة وهو
 لقن خير التوقادى وهو لقن شعبان القسطنطينى وهو لقن
 إسماعيل الجورومى، وهو المدفون فى باب الصغير فى بيت
 المقدس عند مرقد سيدى بلال الحبشى، وهو لقن سيدى
 على أفندى قره باش، أى أسود الرأس باللغة التركية، وإليه
 نسبة طريقنا كما مر، وهو لقن مصطفى أفندى ولده،
 وخلفاؤه كما قال السيد الصديقى أربعماية ونيف وأربعون
 خليفة، وهو لقن عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي وهو
 لقن شمس الطريقة وبرهان الحقيقة السيد مصطفى بن
 كمال الدين البكرى الصديقى وهو لقن قطب رحاها،
 ومقصد سرها ونجواها، شيخنا الشيخ محمد الحفناوى، وهو

لقن وخلف أشيخا كثيرة منهم:

بركة المسلمين، وكهف الواصلين، الصوفى الصائم القائم العابد الزاهد الشيخ محمد السمنودى المعروف بالمنير شيخ القراء والمحدثين، وصدر الفقهاء والمتكلمين، من مناقبه الحميدة صيام الدهر مع عدم التكلف لذلك وقيام الليل يقرأ فى كل ركعة ثلث القرآن وربما قرأ نصفه أو جميعه فى كل ركعة، هذا ورده دائماً صيفاً وشتاً فتى وشيخاً وبافعا، ومنها تواضعه وخموله وعدم رؤية نفسه، ويرأ من أن تنسب إليه منقبة، وسيأتى باقى ترجمته فى وفاته.

(ومنهم) علامة وقته وأوانه الولى الصوفى الشيخ حسن الشيبينى ثم الفؤى، طلب العلم وبرع فيه وفاق على أقرانه ثم جذبته أيدى العناية إلى الشيخ فاخذ (ص ٧١٧) عليه العهد ولقنه أسماء الطريق السبعة على حسب سلوكه فى سيره، ثم ألبسه التاج وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك، وصار خليفة محضا فأدار مجالس الذكر ودعا الناس إليها من سائر الأقطار وفتح الله عليه باب العرفان، حتى صار ينطق بأسرار القرآن.

(ومنهم) العالم التحرير الصوفى الصالح السالك الراجح الشيخ محمد السنهورى ثم الفؤى، طلب العلم حتى صار من أهل الإفتاء والتدريس، وانتصب للتأكيد والتأسيس، ثم دعت سعادة حضرة القوم فسلك مع المجاهدة وحسن السيرة على يد الأستاذ حتى لقنه الأسماء السبعة وألبسه التاج، وأقامه خليفة يهذى لأقوم منهاج، ثم أذن له فى التوجه إلى بلده فتوجه إليها وربى بها المريدين وأدار مجالس الأذكار بتلك البقاع، وعم به فى الوجود الانتفاع.

(ومنهم) البحر الزاخر، حايى مراتب المفاخر، الولى الربانى

والصوفي في العالم الإنساني الشيخ محمد الزعيري، اشتغل بالعلم حتى برع وصار قدوة لكل مقتدى، وجذوة لمن لا يهتدى، ثم سلك على يد الأستاذ فاخذ عليه العهد ولقنه الأسماء على حسب سيره وسلوكه، ثم خلفه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

(ومنهم) الخبر العلامة والبحر الفهامة شيخ الإفتاء والتدريس الشيخ خضر رسلان، اشتغل عل الشيخ مدة مديدة، ولازمه ملازمة شديدة، وأخذ عليه العهد في طريق الخلوتية حتى تلقن الأسماء وألبسه الشيخ التاج وصار خليفة مجازاً باخذ العهود والتسليك.

(ومنهم) الشيخ الصوفي الولي صاحب الكرامات، والأيدى والمكرمات، شيخنا الشيخ محمود الكردي أخذ على الشيخ العهد والطريق ولقنه الأسماء فكان محمود الأفعال، معروفاً بالكمال، (ص ٧١٨) ثم ألبسه التاج وصار خليفة وأجازه بالتلقين والتسليك فارشد الناس، وأزال عن قلوبهم الوسواس وهو مشهور البركة يعتقدونه الخاص والعام كثير الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كراماته أنه متى أراد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم رآه، وله مكاشفات عجيبة نفعا الله بحبه، ولا حجبنا عن قربه، وهو الذي قام للإرشاد والتسليك بعد انتقال شيخه، وسلك على يده كثير وخلفوه من بعده منهم: الشيخ الصالح الصوفي الشيخ محمد السقاط والشيخ العلامة شيخ الإسلام والمسلمين مولانا الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر الآن والإمام الأوحد الشيخ محمد بدير الذي هو الآن بالقدس الشريف، والمشار إليه في التسليك بتلك الديار، والشيخ الصالح الناجح إبراهيم الحلبي الحنفي، والسيد الأجل العلامة

والرحلة الفهامة السيد عبد القادر الطرابلسي الحنفى،
والشيخ الإمام، العمدة الهمام، الشيخ عمر البابلي وغيرهم،
أدام الله النفع بوجودهم.

(ومنهم) العالم العلامة الألعى الفهامة بقية السلف،
والخليفة ونعم الخلف، الشيخ محمد سبط الأستاذ المترجم
أطال الله بقاءه.

(ومنهم) الشيخ الفهامة الأديب الأريب، واللودعى النجيب،
الشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمنهورى الشافعى.

(ومنهم) الشيخ الصوفى القدوة الشيخ أحمد الغزالي، تلقن
منه الأسماء وتخلف عنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين
والتسليك.

(ومنهم) العالم العامل الشيخ أحمد القحافى الأنصارى،
أخذ العهد وانتظم فى سلك أهل الطريق وتلقن الأسماء
وصار خليفة مجازاً فأرشد الناس وافتتح مجالس الأذكار.

(ومنهم) تاج الملة، وإنسان عين المجد من غير علة، ذو
النسب الباذخ، (ص ٧١٩) والشرف الرفيع الشامخ، السيد
على القناوى، تلقن الأسماء والبس التاج وصار خليفة حقا
ومجازاً بالتلقين والتسليك فأدار مجالس الأذكار وأشرقت به
الأنوار.

(ومنهم) العلامة العامل والفهامة الواصل الفاضل الشيخ
سليمان المنوفى نزيل طندتا لقنه وأرشده وخلفه وألبسه التاج
وأجازه فسلك وأرشد وله أحوال عجيبة.

(ومنهم) الصوفى الصالح الشيخ حسن السخاوى نزيل
طندتا أيضاً لقنه وخلفه وألبسه التاج، فدعا الناس لأقوم
منهاج.

(ومنهم) علامة الأنام الشيخ محمد الرشيدى الملقب

بشعير، لقنه وخلفه وأجازه فكثير نفعه.

(ومنهم) العلامة الأوحى، ومن على مثله اختصر تعقده،
الشيخ يوسف الرشيدى الملقب بالشىال، رحل أيضاً إليه
فتلقن منه وسلك على يديه حتى صار خليفة، وأبسه التاج
وأجازه بالتلقين والتسليك ورجع إلى بلاده، بأوفر زاده، وأدار
مجالس الذكر، وأكثر المراقبة والفكر، حتى كثرت أتباعه
وعم انتفاعه.

(ومنهم) العمدة المقدم الهمام الناسك السالك الشيخ
محمد الشهير بالسقاء، لقنه وأجازه بالتلقين والتسليك فكثير
نفعه وطاب صناعه.

(ومنهم) فريد دهره وعالم عصره معدن الفضل والكمال،
قطب الجمال والجلال، الشيخ باكير أفندى، لقنه وأبسه
التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

(ومنهم) بدر الطريق، وشمس أفق التحقيق، العالم العلامة
والصوفى الفهامة الشيخ محمد الفشنى، لقنه وخلفه وأبسه
التاج فأخذ العهود ولقن وسلك وفاق فى سائر الآفاق،
وتقدم فى الخلاف والوفاق.

(ومنهم) العالم العامل والشهم الماهر الكامل الشيخ عبد
الكريم المسيرى الشهير بالزيات، تلقن العهد (ص ٧٢٠)
والأسماء حسب سلوكه وسيره وأجيز بأخذ العهود والتلقين
والتسليك فزاد نورا على نور، وحبى بلذة الطاعة والحبور.

(ومنهم) شيخ الفروع والأصول، الجامع بين المعقول
والمنقول، علامة الزمان، والحامل فى وقته لواء العرفان،
الشيخ أحمد العدوى الملقب بدردير، جذبته العناية إلى نادى
الهداية، فجاء إلى الشيخ وطلب منه تلقين الذكر فلقنه وسار
أحسن سير، وسلك أحسن سلوك، حتى صار خليفة بأخذ



العهود والتلقين والتسليك مع المجاهدة والعمل المرضى،
وسياتى فى وفياتهم تنمة تراجمهم رضى الله عنهم.

(ومنهم) أيضاً الشيخ العلامة الولى الصوفى الشيخ محمد
الرشيدى الشهير بالمعصراوى.

(ومنهم) الإمام الجامع والولى الصوفى النافع مولاي أحمد
الصقلى المغربى، تلقن وتخلف وأجيز بأخذ العهود والتلقين
والتسليك.

(ومنهم) الأمجد العامل بعلمه والمزدرى السحر بفهمه
الشيخ سليمان البتراوى ثم الأنصارى.

(ومنهم) الصالح العامل الفهامة العابد الزاهد الشيخ
إسماعيل اليمنى تلقن وسلك مع التقى والعفاف والملازمة
الشديدة والخدمة الأكيدة وحسن المجاهدة.

(ومنهم) النحرير الكامل، واللودعى الفاضل، مؤلف

المجموع الشيخ حسن بن علي المكي المعروف بشمه الناظم
النائر، الحاوي الخير المتكاثر، وغير هؤلاء ممن لم نعرف كثير.

(فصل) في ذكر رحلة الأستاذ المترجم إلى بيت المقدس

وهو أنه لما أذن له السيد البكري بأخذ العهد وتلقين الذكر
لم يقع له تسليك أحد في هذه الطريقة، إنما كان شغله
وتوجهه كله إلى العلم وإقرائه، لكن ذلك بجسمه، وأما قلبه
فلم يكن إلا عند شيخه السيد الصديقي، ولم يزل كذلك
إلى عام تسع وأربعين فحن جسمه إلى زيارة (ص ٧٢١)
شيخه وأنشد لسان حاله:

أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي
يضركم لو كان عندكم الكل

فأرسل إليه السيد يدعوه لزيارته، فهام إذ فهم رمز إشارته،
وتعلقت نفسه بالرحيل فترك الإقراء والتدريس وتكشف
وسافر إلى أن وصل بالقرب من بيت المقدس، فقبل له: «إذا
دخلت بيت المقدس فادخل من الباب الفلاني وصل ركعتين
وزر محل كذا» فقال لهم: أنا ما جيت قاصداً بيت المقدس
وما جيت قاصداً إلا أستاذي فلا أدخل إلا من بابه ولا أصلي
إلا في بيته فعجبوا له فبلغ السيد كلامه فكان سبباً لإقباله
عليه وإمداده، ثم سار حتى دخل بيت المقدس فتوجه إلى
بيت الأستاذ فقابلته بالرحب والسعة وأفرد له مكاناً، ثم أخذ
في المجاهدة من الصلاة والصوم والذكر والعزلة والخلوة.
قال: فبينما أنا جالس في الخلوة إذا بداع يدعوني إليه

فجيت إليه فوجدت بين يديه مائدة. فقال: أنت صائم قلت: نعم. فقال: كل فامتثلت أمره وأكلت. فقال: اسمع ما أقول لك إن كان مرادك صوما وصلاة وجهادا أو رياضة فليكن ذلك في بلدك، وأما عندنا فلا تشتغل بغيرنا ولا تقيد أوقاتك بما تروم من المجاهدة، وإنما يكون ذلك بحسب الاستطاعة وكل واشرب وانبسط قال: فامتثلت إشارته ومكثتُ عنده أربعة أشهر كأنها ساعة غير أنى لم أفارقه قط خلوةً وجلوةً*. ومنحه في هذه المدة الأسرار وخلع عليه خلع القبول، وتوجه بتاج العرفان وأشهده مشاهد الجمع الأول والثاني، وفرق له فرق الفرق الثاني، فحاز من التداني أسرار المثاني، ثم لما انقضت المدة وأراد العود إلى القاهرة (ص ٧٢٢) ودَّعه وما ودَّعه، وسافر حتى وصل إلى غزّة فبلغ خبره أمير تلك القرية وكانت الطريق مخيفة فوجه معه قافلة ببيّرين من العسكر فساروا فلقاهم في أثناء الطريق أعراب فخافوهم فقالوا لأهل القافلة لا تخافوا فلنا من قطاع الطريق، وإن كنا منهم فلا نقدر نكلمكم وهذا معكم وأشاروا إلى الشيخ، ولم يزالوا سايرين حتى انتهوا إلى مكان في أثناء الطريق بعد مجاوزة العريش بنحو يومين، فقبل لهم إن طريقكم هذا غير مأمون الخطر، ثم تشاوروا فقال لهم أعراب ذلك المكان نحن نسير معكم ونسلك بكم طريقا غير هذا، لكن اجعلوا لنا قدرا من الدراهم نأخذه منكم إذا وصلتكم إلى بليّس، فتوقف الركب أجمعه، فقال الأستاذ «أنا أدفع لكم هذا القدر هنالك» فقالوا «لا سبيل إلى ذلك، كيف تدفع أنت وليس لك في القافلة شيء؟ والله ما نأخذ منك شيئا إلا إن ضمنت أهل القافلة» فقبل ذلك، فاتفق الرأي على دفع الدراهم من أرباب

* خلوة وجلوة: أى فى مجالسه الخاصة والعامّة، يعنى فى السر والعلن.

التجارات بضمانة الشيخ، فضمنهم وساروا حتى وصلوا إلى بلبيس ثم منها إلى القاهرة فسُرت به أتم سرور، وأقبل عليه الناس من حينئذ أتم قبول، ودانت لطاعته الرقاب وأخذ العهود على العالم، وأدار مجالس الأذكار بالليل والنهار، وأحيا طريق القوم بعد دروسها وأنقذ من ورطة الجهل مهجاً من غي نفوسها، فبلغ هديه الأقطار كلها وصار له في كثير من قرى مصر نقيب وخليفة وتلامذة وأتباع يذكرون الله تعالى، ولم يزل أمره في ازدياد وانتشار حتى بلغ سائر أقطار الأرض وصار الكبار والصغار والنساء والرجال يذكرون الله تعالى بطريقته، وصار خليفة الوقت وقطبه، ولم يبق (ص ٧٢٣) ولي من أهل عصره إلا أذعن له، وحين تصدى للتسليك وأخذ العهود أقبل عليه الناس من كل فج وكان في بدء الأمر لا يأخذون إلا بالاستخارة والاستشارة وكتابة أسمائهم ونحو ذلك، فكثر الناس عليه وكثر الطلب فأخبر شيخه السيد الصديقي بذلك فقال له: «لا تمنع أحداً يأخذ عنك ولو نصرانياً من غير شرط» وأسلم على يديه خلق كثير من النصاري، وأول من أخذ عنه الطريق وسلك على يديه الولي الصوفي العالم العلامة المرشد الشيخ أحمد البناء القوي، ثم تلاه من ذكر وغيرهم، وكان أستاذه السيد يشي عليه ويمدحه ويراسله نظماً ونثراً، ويترجمه بالأخ ولولا رآه قسيماً له في الحال ما صدر عنه ذلك المقال، حتى أنه قال له يوماً: «إني أخشى من دعائكم لي بالأخ لأنه خلاف عادة الأشياء مع المريدين» فقال له: «لا تخش من شيء» وامتدحه أشياخه ومعاصروه وتلامذته، فمن امتدحه أخوه الأوحد العلامة سيدى الشيخ يوسف الحفناوى، فمن ذلك قصيدتان وأثبتهما في ديوانه إحداهما:

إن ترم وصلة السلوك السنيـه
 فانتـهـج نهـج سادة خلوتيه
 وتمسك بعـهـدهم وتعطر
 بشـذاهم في بكرة وعشيه
 سادة مهـدوا الطريق وشادوا
 ربـعـها بالشرعية الأحمدية
 واعتصم بالسلوك إن رمت قرباً
 بدليل تسقيك راحاً شهيه
 كالإمام الحفنى أشرف دان (ص ٧٢٤)
 أسكرته المدامـة البكره
 ورد الحـان وارتوى بسـلاف
 من كـؤوس الشهود مصطفىه
 ففدا هائماً بسر التجلى
 جانلاً في رياضـه العـدنيه
 لابساً من حلاوة الصدق ثوباً
 أين منه الملابس السندسيه؟
 راقياً في سماء عز التدانى
 نزلاً عن سواه أمست نشيه
 ناهلاً من مناهل القرب ما فيه وصول للحضرة الأقدسيه
 عين عين نحـاه عن علم عين
 صدق سير وهمـة علويه
 وهبات فتحيـة نشرتها
 يد استـاذـه عليه عليه
 أمـه يا مـزید هـدى ورشـد
 فهو باب للمنحة الخلوتيه
 وارتشف من مدامـة قد أدبرت
 بيديه وانهض بإخلاص نيه

وتوسلُ به إلى الله تظفر
 بالذى ترجييه من أمنيّه
 وتأمل فى ذاته ومنازياه
 لتهدى إلى الطريق السويّه
 عالم عامل تقى نقى
 صادق السّير ذو مزايا بهيّه
 (ص ٧٢٥) فاتحه إن دهاك وأزد خطب
 ونحتك الخواطر النفسيه
 تلقه للنفوس أقوى طبيب
 بهبات قد حازها فرديه
 وصلاة مهديه مع سلام
 لنبي هدى لطرق سنيّه
 ثم آل والصحب ما هام عان
 واهتدت بالسلوك نفس أبيه
 وهذه الأخرى:

دع عنك رومَ وصالِ سلمى
 وانهض إلى المغنى وسل ما
 سل ما يريح فؤادك العانى ونقّ القلب مما
 وسيوف وسوسة السوى
 اغمد بطيب هوى الما
 وإذا دعتك خواطر
 وظلامها فيك ادلهمما
 فاكشف غياها بشرب
 مداومة الإرشاد تحمى
 من راحة الحفنى أشرف من سما علما وحلما

كنز المقامات التي
 بسنائها العلياء تهـمـى
 دارت عليه كئؤوس حانات
 (ص ٧٢٦) الشهود فغاب عما
 ولسر سر الكائنات
 فؤاده العلوى ضمما
 شملتـه عين عناية
 من ربه فصففا ولما
 ومدا انمحت عين التفـاير
 بالشهود سناه عما
 لم يدركـه هباتها
 إلا فتى للحنان أما
 يختال فى جلباب حضرة
 من هواه تراه غنمما
 فهناك تعرف ما حوى
 من رتبة وتزيد علما
 وإذا اقتصرت على المشاهد
 منه لم تدرك الأهمما
 بشرى لنا هل كاسه
 إن عد غيره هواه جزما
 ما تم إلا سيدي
 وطريقه الزاكي المسمى
 من يتحيه هو السعيد ومن يزغ عنه فاعمى
 ثم الصلاة مع السلام
 لمن لأهل الريح أصمى
 والآل والأصحاب ما
 قلب لنيل القرب همما

أو يوسف الحفنى يرجو (ص ٧٢٧)

منه إسعافاً ورحماً

ونقل عن الوزير المفخم محمد باشا راغب أنه قال لبعض
بنى السقاف: «إنما لقب جدكم بالسقاف لكونه كان سقفاً
على اليمن من البلاء، وكذلك الشيخ [يوسف] الحفناوى
سقف على مصر من نزول البلاء» ونظيره قول بعض الأمراء
حين قيل له: الأستاذ الحفناوى من عجائب مصر قال: «بل
قل من عجائب الدنيا». وللأديب العلامة الشيخ مصطفى
اللقيمى فى مدحه ومدح السيد البكرى معاً:

قم هات لى خمرة المعانى
مع كل مولى لها معانى
ثم اجتليها مع الندامى
وطف بها كعبه الأمانى
وروق السراج كى أراها
فى الكأس لاحت كبهرمان
ثم اسقنيها بجنح ليل
صرفاً على نعمة المثانى
فإن ترومها بها اتصلاً
هيا إلى الحان واصحبانى
فتلك خمرة الشهود تدعى
لا خمرة الكرم والدنان
خلعت فيها العذار لما
أن غبت عن مشهد العيان
وهمت فى حبها غراماً
فيا خليلي خليلاني

وَرَحْدُ الْحَقِّ فَهُوَ فَرْدٌ (ص ٧٢٨)

لَمْ يَثْنِنِي عَنْ ثَنَائِهِ ثَانِي
 قِيَّدْتُ فِي حَبْلِهِ فِرَادِي
 أَطْلَقْتُ فِي ذِكْرِهِ لِسَانِي
 فِي خَلْوَةِ الْقَرْبِ لِي بَقَاءُ
 فِي جَلْوَةِ الْحَبِّ صُرْتُ فَنَانِي
 أَيَا عَذُولِي فَدَعِ مَلَامِي
 فَسَيِّدُ الصِّدْقِ قَدْ دَعَانِي
 لِحُضْرَةِ الْقُدْسِ وَاجْتِلَالِي
 مِنْ كَأْسِهِ خُمْرَةُ الْمَعَانِي
 بِجَنَانِ الطُّورِ لَاحِ نَوْرُ
 أَضْيَاءِ مِنْ سِرِّهِ جَنَانِي
 بَيَانُهُ قَدْ خَفِيَ ظَهْرًا
 وَصَوْنُهُ غَايَةُ الْبَيَانِ
 فَهَمْتُ لَمَّا فَهَمْتُ رَمَزًا
 لَمْ تَحْصِرْهُ أَحْرَفُ الْمَبَانِي
 مَظَاهِرُ لِلطَّرِيقِ شَتَّى
 قَدْ أَعْجَمْتُ مِنْ لَهَا يِعَانِي
 فَذُو جَلَالٍ وَذُو جَمَالٍ
 وَذُو كَمَالٍ وَذُو افْتِتَانٍ
 وَذُو سَكُونٍ وَذُو هَيْبَامٍ
 وَذُو سَكُوتٍ وَذُو بَيِّنَانٍ
 فَلَا تَلَمْ هَائِمًا تَرَاهُ
 مِنْ سَكْرِهِ كَسْبِرِ الْأَوَانِي
 وَتَاهُ مِنْ شَوْقِهِ سَمَاعًا
 لِلذِّكْرِ فِي مَشْهَدِ التَّدَانِي

(ص ٧٢٩) إن شام نحو الحمى بروقا

يهيجه برقها اليماني

صاحب فريقاً نحوا طريقاً

قد شادها قطب ذا الأوان

السيد المصطفى الحسيني

ذو نسبة عقدها جماني

وبضعة الصديق من عتيق

رفيق غار وخير ثاني

فمنطقي لم يفى بمدح

وكل عن ضبطه بناثي

فالعجز عن دركه وصول

من ذا لنشعر الشنا يداني

هيا مرید الطريق هيا

واشرب سلافا بطيب حان

وهيم القلب بالجلاله

ليشربوا كاسها الكياني

وتجذب الكل نحو ناد الحفني شمس سما التهاني

بادر وشمر بصدق سير

كي تشهد السر منك داني

وتغنم الأنس في رحاب

تجلى به كُنُس* الغواني

بشراك بشراك يا معاني

فهذه بلغه الأماني

* كُنُس: جمع كانس وهو الظبي.

ولما سمعها السيد البكري وقعت غنده أحسن (ص ٧٣٠)

موقع وهي حرية بذلك، فينبغي أن تحمل ولا تهمل.

وفى المترجم مدايح كثيرة يطول شرحها وذكر بعضها
وسيدكر فى تراجم أصحابها.

توفى رضى الله عنه يوم السبت قبل الظهر سابع عشرين
ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، ودفن يوم الأحد
بعد أن صلى عليه فى الأزهر فى مشهد عظيم جداً، وكان
يوم هول كبير، وكان بين وفاته و وفاة الأستاذ الملوى ثلاثة
عشر يوماً، ومن ذلك التاريخ ابتداء نزول البلاء واختلال
أحوال الديار المصرية، وظهر مصداق قول الراغب إن
وجوده أمان على أهل مصر من نزول البلاء، وهذا من
المشاهد المحسوس، وذلك أنه إذا لم يكن فى الناس من
يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم الهدى
فسد نظام العالم وتنافرت القلوب، ومتى تنافرت القلوب
نزل البلاء، ومن المعلوم المقرر أن صلاح الأمة بالعلماء
والملوك، وصلاح الملوك تابع لصلاح العلماء وفساد اللازم
بفساد الملوك، فما بالك بفقده والرحى لا تدور بدون قطبها،
وقد كان رحمه الله قطب رحى الديار المصرية، ولا يتم أمر
من أمور الدولة وغيرها إلا باطلاعه وإذنه، ولما شرع الأمراء
القايمون بمصر فى إخراج التجاريد لعلى بك وصالح بك
وأستأذنوه فمنعهم من ذلك وزجرهم وشنع عليهم ولم يأذن
بذلك كما تقدم وعلموا أنه لا يتم قصدهم بدون ذلك
فأشغلوا الأستاذ وسموه، فعند ذلك لم يجدوا مانعاً ولا
رادعاً، وأخرجوا التجاريد وآل الأمر غذلانهم وهلاكهم
والتمثيل بهم، وملك على بك وفعل ما بداله فلم يجد رادعاً
أيضاً، (ص ٧٣١) ونزل البلاء حينئذ بالبلاد المصرية
والشامية والحجازية، ولم يزل يتضاعف حتى عم الدنيا
وأقطار الأرض، فهذا هو السر الظاهرى وهو لاشك تابع

للباطنى وهو القيام بحق وراثه النبوة وكمال المتابعة وتمهيد القواعد وإقامة أعلام الهدى والإسلام وإحكام مباني التقوى، لأنهم أمناء الله فى العالم، وخلاصة بنى آدم، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه فى القلوب لعظما

[ومات] شمس الكمال أبو محمد الشيخ / عبد الوهاب بن زين الدين ابن عبد الوهاب ابن الشيخ نور بن بايزيد بن شهاب* الدين أحمد بن القطب سيدى محمد بن أبى المفاخر داود الشربينى بمصر، ونقلوا جسده إلى شربين ودفن عند جده، سامحه الله وتجاوز عن سيئاته، وتولى بعده فى خلافتهم أخوه الشيخ محمد ولهما أخ ثالث اسمه على، وكانت وفاة المترجم ليلة الأحد غرة ذى القعدة سنة إحدى وثمانين ومائة وألف.

* عبد الوهاب الشربينى.

* هذه الترجمة كررها الجبرتى تحت رقم ٣٠١.

[ومات] الشيخ الإمام العلامة المتقن المتفنن الفقيه الأصولى النحوى الشيخ / محمد بن موسى العبيدى الفارسكورى الشافعى، وأصله من فارسكور، أخذ عن الشيخ على قايتباى والشيخ الدفرى والبشيشى والنفراوى، وكان آية فى المعارف والزهد والورع والتصوف، وكان يلقى دروساً بجامع قوصون على طريقة الشيخ العزيزى والدمياطى، وبآخرة توجه إلى الحجاز وجاور به سنة، وألقى هناك دروساً وانتفع به جماعة، ومات بمكة وكان له مشهد عظيم، ودفن عند السيدة خديجة (ص ٧٣٢) رضى الله عنها.

٣٠٣ محمد العبيدى الفارسكورى.

[ومات] الشيخ الإمام العلامة مفيد الطالبين الشيخ/ أحمد أبو عامر النفراوى المالكى، أخذ الفقه عن الشيخ سالم النفراوى والشيخ البليدى والطحلاوى، والمعقول عنهم والشيخ الملوى والحفنى والشيخ عيسى البراوى، وبرع فى المعقول والمنقول، ودرّس وأفاد وانتفع به الطلبة، وكان درسه حافلاً، وله حظوة فى كثرة الطلبة والتلاميذ. توفى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف أيضاً.

[ومات] الأمير حسن بك جرجو، وجن على بك وهما من مماليك إبراهيم كتحدا، وكان حسن مدبذباً ومنافقاً بين خشداشينه يوالى هؤلاء ظاهراً وينافق الآخرين سراً، وتعصب مع حسين بك وخليل بك حتى أخرجوا على بك إلى النوسات، ثم صار يرأسه سراً ويعلمه بأحوالهم وأسرارهم، إلى أن تحول إلى قبلى وانضم إلى صالح بك فأخذ يستميل متكلمي الوجاقلية إلى أن كانوا يكتبون لأغراضهم بقبلى، ويرسلون المكاتبات فى داخل أقصاب الدخان وغيرها، وهو مع من بمصر فى الحركات والسكنات إلى أن حضر على بك وصالح بك وكان هو ناصباً وطاقه معهم جهة البساتين، فلما أرادوا الارتحال استمر مكانه وتخلف عنهم، وبقي مع على بك بمصر يشار إليه ويرى لنفسه المنّة عليه، وربما حدثته نفسه بالإمارة دونه، وتحقق على بك أنه لا يتمكن من أغراضه وتمهيد الأمر لنفسه مادام حسن بك موجوداً، فكتّم أمره وأخذ يدبّر على قتله، فبيت مع أتباعه محمد بك وأيوب بك وخشداشينهم، (ص ٧٣٣) وتوافقوا على اغتياله، فلما كان ليلة الثلاثاء ثامن شهر رجب حضر حسن بك المذكور وكذا خشداشه جن على

بك وسَمَرًا معه حصّة من الليل، ثم ركبا فركب صحبتهما
محمد بك وأيوب بك وماليكهما واغتالوهما في أثناء
الطريق كما تقدم.

٣٠٦ رضوان جرجى الرزاز.

[ومات] الأمير رضوان جرجى الرزاز وأصله مملوك حسن
كتخدا ابن الأمير خليل أغا، وأصل خليل أغا هذا شاب
تركي خردجى يبيع الخردة*، دخل يوما من بيت لاجين بك
الذى عند السوق المعروفة بسوق لاجين وهو بيت عبد
الرحمن أغا المتخرب الآن، وكان ينفذ من الجهتين فرآه
لاجين بك فمال قلبه إليه ونظر فيه بالفراصة مخايل النجاة
فدعاه للمقام عنده فى خدمته فأجاب لذلك، واستمر فى
خدمته مدة وترقى عنده، ثم عينه لسد جسر ثرساح ووعده
بالإكرام إن هو اجتهد فى سده على ما ينبغى فنزل إليه
وساعدته العناية حتى سده وأحكمه ورجع، ثم عينه لجبى
الخراج وكان لا يحصل له الخراج إلا بالمشقة، وتبقى البواقي
على البواقي القديمة فى كل سنة، فلما نزل وكان فى أوان
حصاد الأرز فوزن من المزارعين شعير الأرز من المال الجديد
والبواقي أول بأول، وشطب جميع ذلك من غير ضرر ولا
أذية، وجمعه وخزنه، واتفق أنه غلا ثمنه فى تلك السنة غلوا
زايدا عن المعتاد فباعه بمبلغ عظيم ورجع لسيده بصناديق
المال، فقال «ما هذا؟» فقال هو «مالك الذى أرسلتنى
لإحضاره» وعرفه الأمر، فقال «لا آخذ إلا حقى وأما الربح
فهو لك» فأخذ قدر ماله وأعطاه الباقي، (ص ٧٣٤) فذهب
واشترى لخدمته جارية مليحة وأهداها له فلم يقبلها وردها
إليه وأعطى له البيت الذى بالثبانة، ونزل له عن طصفة
وكفرها ومنية تمامه، وصار من الأمراء المعدودين، فولد

* الخردة: بضم الغاء وسكون الراء كلمة
فارسية تدل على ما صغر وتفرق من
الأمثلة والمقصود هنا الخردجى هو بائع
الخردة.

الخليل هذا حسن كتخدا ومصطفى كتخدا، كانا أميرين كبيرين معدودين بمصر، ومماليكه صالح كتخدا وعبد الله جربجي وإبراهيم خربجي وغيرهم ومن مماليكه حسن حسين جربجي المعروف بالفحل ورضوان جربجي هذا المترجم وغيرهما أكثر من المائة أمير وكان رضوان جربجي هذا من الأمراء الخيرين الدينين له مكارم أخلاق وبر ومعروف، ولما نفى على بك عبد الرحمن كتخدا فنفاه أيضا وأخرجه من مصر ثم إن على بك ذهب يوما عند سليمان أغا كتخدا الجاويشية فعاتبه على نفى رضوان جربجي فقال له على بك «تعاتبنى على نفى رضوان ولا تعاتبنى على نفى ابنك عبد الرحمن كتخدا؟» فقال «ابنى المذكور منافق يسعى فى إثارة الفتن ويلقى بين الناس فهو يستاهل، وأما هذا فهو إنسان طيب وما علمنا عليه ما يشينه فى دينه ولا دنياه» فقال «نرده لأجل خاطرك وخاطره» وردّه ولم يزل فى سيادته حتى مات على فراشه سادس جمادى الأولى فى هذه السنة، والله سبحانه وتعالى أعلم.



يمكن من تحقيق أغراضه وتمهيد الأمر لنفسه
إلا بعد القضاء عليه، فتم له ذلك.

(٦) النوسات: قريتان من القرى القديمة تتبعان
مركز أجا بمحافظة الدقهلية، وهي نوسا البحر
ونوسا الغيط، تقع الأولى على فرع دمياط
مباشرة، والثانية في وسط الأراضي الزراعية.

(٧) أرباب العكاكيز: كان المحاربون القدماء من
رجال الوجاقات يطلق عليهم (أرباب
العكاكيز) لأنهم كانوا يحضرون الاحتفالات
وفي أيديهم العكاكيز وهي عصي ذات حديد
في أسفلها وكانوا يعملون في جباية الضرائب
من الأقاليم مقابل معاشا ويضربون المتأخرين
في سداد ديونهم بعكاكيزهم لكي يدفعوا
جزيتهم وأموالهم عن يد وهم صاغرون.

(٨) جماعة الفلاح: يذكر اسماعيل بن سعد
أغشاب في مؤلفه «أخبار أهل القرن الثاني
عشر» أن أصل جماعة الفلاح رجل يقال له
صالح الفلاح، وكان أصله صبي حريم في
منزل سليمان كتحدا القازدغلي، ثم أنه
استفاد أموالا كثيرة، فاشترى منها ممالك
كثيرة وأدخلهم في سلك الوجاقات، فانتشر
صيتهم وكثرت اتباعهم، وذلك في مدة حياة
سيدهم المذكور.

(٩) البرهامية: أو البراهمة: نسبة إلى الولي إبراهيم
الدسوقي صاحب هذه الطريقة. توفي سنة
٦٧٦هـ = ١٢٧٧م. وله مسجد ومقام يزار
بمدينة دسوق من مراكز محافظة كفر الشيخ.

(١٠) عبد الله الإدكاوي: ترجم له الجبرتي في
وفيات سنة ١١٨٤هـ. رقم ٣٢٧

(١١) جامع الحبشلي: هذا الجامع بدرب سعادة
على رأس عطفة النوبة بباب الخلق.

(١) كشكش: وجدناها مضبوطة بكسر الكافين في
المقال الذي كتبه الأستاذ [هولت - Holt]
في مجلة التاريخ المعاصر [History To-
Day] في عدد يناير ١٩٥٩ صفحة ٤٨
ولكنها مضبوطة في الطبعة الفرنسية لكتاب
تاريخ الجبرتي بفتح الكافين.

(٢) قندية: كانت تسمى قديماً (هرقليون) ويسمى
الإنجليز الآن (Candia) والفرنسيون
(Candie) وهي من مدن الساحل الشمالي
لجزيرة كريت.

(٣) كان رق المالك ينتهي بتدريسهم على فنون
القتال، واعتناقهم الدين الإسلامي، وتعلمهم
اللغة التركية. وهي لغة الطبقة الحاكمة. فإذا
أتم المملوك كل هذا سمح له بإرخاء لحيته،
والالتحاق بأحد الفرق العسكرية الرسمية،
وبذلك يدخل في عداد الطبقة الحاكمة.

(٤) عبد الرحمن كتحدا: انظر ترجمته رقم ٣٩٩
في هذا الجزء

(٥) حسن بيك جوجو وجن على بيك: ورد اسم
حسن بك جوجو عند الجبرتي عند ذكره
لحادثة اغتياله هو وجن على بك في ليلة
الثلاثاء ١٨ من رجب سنة ١١٨١هـ =
نوفمبر ١٧٦٧م، كما يورد الجبرتي ترجمة
للأمير حسن بيك جوجو وخشداشه جن
على بيك (ذكرنا لها رقم ٣٠٥)، فيذكر أن
حسن بيك كان مذبذبا ومنافقا، وكان يكيده
لعلى بيك حتى تسبب في نفيه، ثم صار
يرأسه سرا ويعلمه بأحوال منافسيه من الأمراء
حتى مكثه من العودة إلى القاهرة والتغلب
على منافسيه. وبقي مع على بيك يشار إليه
ويرى لنفسه المنه عليه، وتحقق على بك أنه لا

الحالة الاجتماعية في فترة الاحتلال العثماني

ظهر في هذا العصر شراب القهوة . وقد قيل إن أول من اهتمدى إليه هو أبو بكر بن عبد الله المعروف بالعيدروس . وكان أصل اتخاذه له أنه مر في سياحته بشجر البن فاقتات من ثمره حين رآه متروكا مع كثرته . فوجد فيه تجفيفا للدماغ ، واجتلابا للسهر ، وتنشيطا للعبادة . فاتخذة قوتا وطعاما وشرابا . وأرشد أتباعه إليه . ثم نشر ذلك في اليمن والحجاز ومصر . وقد جاء أبو بكر إلى مصر سنة ٩٠٥ هـ ، فكما أن الصوفية هم الذين أدخلوا مادة الحشيش المخدرة إلى مصر في أوائل القرن السابع للهجرة ، وأشاعوا استعمالها بين المصريين ، كذلك أدخلوا شراب قهوة البن إلى مصر في أوائل القرن العاشر .

وكما اختلف المصريون في الحشيش ، وهل هو حلال أم حرام ، اختلفوا كذلك في أمر القهوة . فذهب قوم إلى تحريمها لما فيها من الضرر . وخالفهم آخرون ومنهم المتصوفة ، وقالوا بإباحتها لأنها ليست مسكرة ولا مغيبة . وإنما فيها تنشيط النفس لأشغالها وما يطلب منها ، وخصوصا في سهر العبادة أو قراءة القرآن ، أو دراسة علم ، أو تحصيل معاش . فإن قصد بها الإعانة على شيء من ذلك كانت قربة عند الله تعالى .

أما الذين حرموها فقد استندوا إلى أنها عند شربها بطقوس كالتى تحاط بها كتصفيق شاربها ، وإنشاد أشعار الغزل والحب ، ووصف الخمر ، فإن ذلك يفسد النفوس وبخاصة إذا صاحبها مخدر مثل الحشيش ، وخبز الغراب ، والأفيون . ولأن المقاهى تجمع الأراذل الذين يروجون الأكاذيب ويغتابون

الناس ، ويلعبون الشطرنج وألعاب الميسر . وأنكروا على رجال الدين ذهابهم إلى المقاهى وراوا أن ذلك يخل بالمرءة ويسقط الشهادة ويدنس العرض .

وقد ألف المتعصبون لها الرسائل فى بيان فضائلها ومنافعها . وذكروا أن شجرة البن فى الجنة غرسها سبعون ألف ملك ، وتسمى شجرة السلوان ، لأنها خرجت مع آدم ليتسلى بها عما فاته من النعيم المقيم . وقالوا إن مداومة أكل البن يقوى النظر والفهم ، ويصفى الذهن ، ويشرح الصدر ، ويزيل الهم ويطيب النكهة ، ويقطع البلغم ، ويدفع الجدرى والحصباء والسحر . وفى أكل سبع حبات منه دعوة مستجابة ، لأن فيها « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وقد زار الرحالة المغربى أبو بكر العياشى مدينة القاهرة ١٠٣٧ هـ فقال «... ثم دخلنا لزيارة الشيخ ابراهيم الميمونى - رضى الله عنه - ومنزله قرب الجامع - يعنى الجامع الأزهر - وقدم لنا طعاما حسنا وكنا جماعة . وهذا خلاف المعتاد من أهل مصر ، وإنما يتكاملون بينهم بشراب البن الذى يسمونه القهوة . ونحن لا نعرفها وليست عندنا بطعام ولا دواء ولا شهوة . والكلام فيها من حيث الحكم بالإباحة وعدمها طويل عريض ، معلوم شهير نظما ونثرا » وأكثر العلماء ماثلون فيها إلى الإباحة . وترشح قولهم بفعل أكثر الصوفية مع تورعهم فى المطاعم والمشارب ، زاعمين أنها تعين على السهر فى العبادة ، ويستعين بها الطلبة كثيرا فى المطالعة الليلية . ولا شك أنها تزيل ما يحصل فى الرأس من تدويخ بسبب السهر ، أو خلل المعدة صباحا . فإذا شربها الإنسان وجد فى أعضائه نشاطا ، وأحس بخفة فى رأسه ، وهذا فى الغالب لمن اعتادها . وهى مخففة اتفاقا وهاضمة . وصحح بعض العلماء أنها تحرم على من طبعه السوداء ، وتكره لمن طبعه

تكن معه فكأنه لم يقدم شيئا ، وإن قدمت هي
كفت».

وقد ساهم الشعراء في هذه المعركة بنصيب،
فنظموا القصائد والمقطوعات في مدح القهوة
والإشادة بمزياها. ومن هؤلاء ابراهيم بن المبلط،
وكان موجودا سنة ٩٩١ هـ قال:

يا عابيا لشراب قهوتنا التي
تشفى شفاء النفس من أمراضها
أو ما تراها وهي في فنجانها
تحكى سواد العين وسط بياضها؟

وقال آخر:

للبن سر قد حكته شيوخنا
يا نعم منه كلهم أقطاب
فيهم تقول وقد تكامل وصفه
في أكله نفع وفيه ثواب

وقال محمد البكري المتوفى سنة ٩٩٤ هـ

وقهسوة بن تورث اللب قوة
ومن عجب والقشر أصل وعبر
ومهما أرادت عصبة منع شربها
تري أمرها يعلو ويقوى ويظهر
واعجب منها قول من ضل رأيه
بل عرف الحق الصراح وينكر
يكابر فيسها الحق والله شاهد

فيزعم فيها أنها الحسن تسكر
تحقق فيها النفع لاسيما لمن
عن الجِدِّ في فعل العبادة يَفْتَر

وبقيت مشكلة تحريم القهوة وتحليلها بين علماء

الصفراء وهي نافعة لصاحب البلغم. وغيرها من
أنواع المطعومات كذلك يحرم تناول ما يضر منها
على من علم أنه يضره. ولا يكون ذلك موجبا
للحكم بتحريمها.

والحاصل أن الشاربين لها فريقان: فريق
يشربونها في أماكن معدة لذلك مزخرفة ، قلما
تخلو من لهو وحضور من لا يحل حضوره من
الجواري والمرد. فهؤلاء الحامل لهم على شربها
اتباع الأهواء والتلذذ بما قارفها من الأمور المذمومة.
فلا يعد أن يقال إنها في حق هؤلاء محرمة، لا
لذاتها بل لما قارفها.

وفريق يشربونها في سكنهم أو حوانيتهم ، أو
يشربونها في السوق. ويشربونها من غير جلوس مع
الفريق الأول. فهؤلاء الحامل لهم عليها إلفهم لها
حتى إنهم ربما يتضررون ضررا خفيفا بتركها كما
يتضرر من ألف الحجامة بتركها. ومن ألف شرب
العسل المسهل بتركه وغير ذلك من الأمور التي
يعتادها الناس. ويحملهم عليها أيضا تحصيل المنافع
المتقدمة من الاستعانة على السهر ومن إزالة التدويخ
صباحا.

وغالبا ما يستعملونها مع طعام خفيف من
كعك أو كسر خبز، فيكفيهم ذلك إلى وقت الغداء.
هذا كله مع خفة المنوة، ولامقارفة إدام أو ملح أو
أبزار أو خضر أو غير ذلك مما يحتاج إليه غالب
الأطعمة.

«يزاد على ذلك وهو أكبر منافعها عندهم أنها
تقوم مقام الغذاء للضيف بحيث لا يستحي أحد في
تقديمها للباشا فمن دوله. ويقوم ذلك عندهم مقام
ما يتكلفه المرء عندنا من أطعمة كثيرة تبلغ قيمتها
في بعض الأحيان دينارا فأكثر. ودرهم واحد يقوم
مقام دينار لا يكرهه أحد. بل لو قدم أى طعام لم

وخفة الروح التي اشتهر بها المصريون حتى في
عصور النح والشدايد.

وفي هذا العصر انتشر الدخان الذي ظهر لأول
مرة سنة ١٠١٢ هـ كما ذكر الإسحاقى فى تاريخه.
وهو مؤرخ معاصر لا شك فى صدقه.

وقد ذكر لنا رايه فى الدخان فقال : «إن
الدخان مضر بالأبدان، وهو يابس الطباع، لا شىء
فيه من الانتفاع، مبطل لحركة الجماع، مسود
للأسنان، مهرب للملائكة الرحمن. وعاقبته وخيمة،
ومداومة شربه ذميمة، يورث النتن فى الفم والمعدة،
ويظلم البصر، ويطلع بخاره على الأفق. ومن زعم
أن شربه محرق للبلغم فقد أخطأ فيما زعم، وقوله
فى ذلك غير صحيح. ولو لم يكن من دناءته إلا
ولوع السودان به والأجلاف لكان فى ذلك ما يكف
عنه الأشراف».

ولم يكن شأن الدخان كشأن القهوة، فقد
تمسك كثير من فقهاء المسلمين بتحريمه. ومازال
المسلمون فى اختلاف من أمره.

وكانت تصدر أحيانا أوامر بمنع تعاطيه جهارا.
فقد ذكر الجبرنى فى حوادث سنة ١١٥٦ هـ أن
الوالى العثمانى أصدر أوامر بمنع شرب الدخان فى
الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت، ونزل معه
الأغا ونادى بذلك وشدد فى الإنكار والنكال بمن
يفعل ذلك، وأخذ الأغا يمر ثلاث مرات فى اليوم،
وكل من رأى فى يده آلة الدخان عاقبه، وربما أطعمه
الحجر الذى يوضع فى الدخان بما فيه من النار.

وقد تعصب المتصوفة للدخان كما تعصبوا
للقهوة والحشيش من قبل. ونظم بعض الشعراء
شعرا فى ذلك، لذكر منه قول أبى المواهب البكرى

مصر مدة من الزمن ولكن لم ينته القرن العاشر
حتى انعقد الإجماع على تحليلها. وفتحت المقاهى
فى أحياء القاهرة، وأخذ أصحابها يتنافسون فى
اجتذاب الناس. فكان منهم من يستاجر القصاص
ليقصوا الحكايات المشوقة، والقصص المعجبة
وبخاصة سير الأبطال والمغامرين. فظهرت فى ذلك
الوقت سيرة الظاهر بيبرس وهى قصة طويلة امتازت
بخيال ووقائع طريفة، فضلا عن أنها تصور حياة
المجتمع المصرى أحسن تصوير، وتسجل كثيرا من
عاداته وأخلاقه.

وظهرت قصة أخرى هى سيرة الأميرة ذات
الهمة. وبعض قصص صغير مثل «الدرة المكللة فى
فتح مكة المبجلة» و «غزوة الإمام على مع اللعين
الهضام بن الجحاف» و «فتوح اليمن المعروفة برأس
الغول» وغير ذلك مما عسى أن يكون قد ضاع.

وتضخمت قصص كانت معروفة من قبل مثل
سيرة أبى زيد الهلالي، وسيرة عنترة العيسى، وسيرة
سيف بن ذى يزن، وقصة ألف ليلة وليلة. ويتخلل
هذه القصص شعر تقرب لغته العامية ينشده القاص
مع أعوانه تنشيطا للسامعين، ولكل قصة كبيرة
طائفة من الناس اختصوا بسردها على الجماهير.
فكانت هناك طائفة الظاهرية، والعنترية، والهلالية
واليزلية، وهكذا.

والى جانب القصص كانت هناك طوائف
المنشدين الذين ينشدون الأشعار والأزجال
والموشحات متخذين آلات الطرب كالربابة والعود
فراجت سوق الأدب الشعبى رواجاً عظيماً.

وقد كثر فى هذا العصر انتشار المواد المخدرة
وبخاصة الحشيش وأنواع السطل، وانتشرت قصص
الحشاشين ونوادره وفكاهاتهم. وألف بعضهم فى
ذلك رسائل وفصولا فيها ما يدل على قوة الخيال

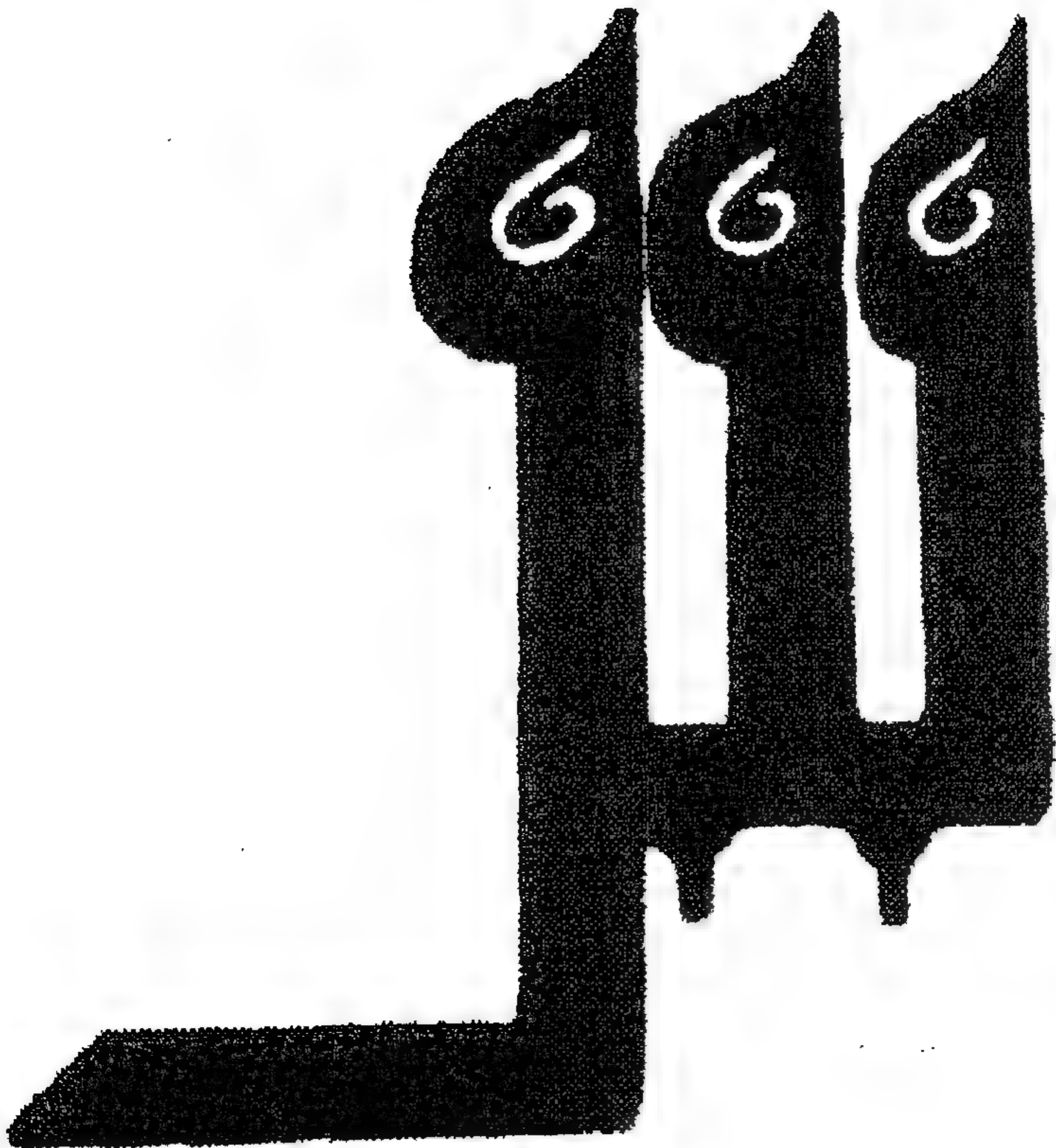
المتوفى سنة ١٠٢٧ هـ:

هات اسقنى التبغ إن تبغ الصفا سحرا
حتى أخدّر منه وهو إغشاء
واستجّل أنوار شمع من يدى رشا
قلزانه قسامة بالحسن هيفاء
لعل نار أسى بالبعد قد وقدت
يوما يكون لهابا بالقرب إطفاء
فاملا ككوس رحيق كالحريق فقد
أغنتك إذ وصفت باللفظ صهباء

ودع ملام طبيب عابها سفها

ودوانى بالتى كسان هى الدا

ولم تكن لفائف التبغ قد عرفت فى ذلك
الوقت، وإنما كان يوضع الدخان فى الأحجار التى
مازالت تتخذ فى النارجيلة. ولذلك ذكر الشاعر النار
والكوس ويعنى بها الأحجار، كما ذكر الساقى
الذى ناوله هذه النارجيلة وتغزل فيه على عادة
شعراء الخمر



الحالة الفكرية

ساد في هذا العصر مذهب أهل السنة ، وهو المذهب الذى عرفته مصر منذ سقوط الخلافة الفاطمية . وكانت آراء الأشعرى هى المعتمدة عند غالبية رجال الدين . والانحياز إلى آراء الأشعرى يقتضى مهاجمة المعتزلة الذين قل وجودهم فى العالم الإسلامى إبان العصر الذى ندرسه ، ولكن كتبهم كانت معروفة . فأخذ أشاعرة تلك الأيام على عاتقهم مهمة الرد على ما جاء فى هذه الكتب . وأكثر ما ظهر هذا فى دراستهم لكتب التفسير وبخاصة الكشف للزمخشري . فكانوا يحملون عليه إذا تناول شيئا يتعلق بالاعتزال . أما إذا تكلم فى النحو والبلاغة فهو عندهم الصادق المصدق ، والإمام المحقق . فهم يأخذون من القدماء ما وافق عقائدهم ويرفضون ما خالفها . ويمدحون كل من يعرض بالمعتزلة بحق وبغير حق . وإلى جانب تفسير الزمخشري فإنهم كانوا يدرسون تفسير البيضاوى والفخر الرازى ويقفون منهما الموقف المتقدم . وألفوا رسائل فى الإيمان ، وهل هو بمشيئة الله أم لا ؟ نذكر من هذا «رسالة فى الإيمان وكونه مخلوق أو غير مخلوق» للشهاب الخفاجى ، و «رسالة فى الإيمان ، وهل يكون بمشيئة الله أم لا» له . و «رسالة الجواهر المضئية فى تجويز إضافة الإيمان الجازم إلى المشيئة» لأبى الحسن البكرى المتوفى سنة ٩٥٢ هـ «رسالة فى كلام الله ، وهل هو مخلوق أو غير مخلوق ؟» له . و «رسالة الدر النظيم فى تحقيق الكلام القديم» لأحمد الجوهري المتوفى سنة ١١٨٢ هـ ، و «رسالة فى تحقيق الجزء الاختيارى» له ، و «رسالة الفطارة السليمة فى تحقيق دلالة القرآن على الصفة القديمة» له أيضا . وعلاوة

على ذلك فإنهم كانوا يتناولون هذه الموضوعات من خلال شرحهم للقرآن وتفسيرهم للحديث ، وفى الحواشى والتعليقات التى وضعوها على بعض الكتب . ولكنه فى نفس الوقت نجد أنه قد جاء بهاء الدين العاملى إلى مصر سنة ٩٩٢ هـ وألف بها كتاب «الكشكول» وضمنه مطاعن كثيرة فى آراء الأشعرية ، وانتصار للمعتزلة الذين كان ينتمى إليهم .

وقد اتخذت السلطنة العثمانية المذهب الحنفى مذهباً رسمياً لها . فألفت كتب كثيرة فى مناقب أبى حنيفة النعمان ، مثل «عقود الجمان فى مناقب أبى حنيفة النعمان» تأليف محمد بن يوسف من فقهاء القرن العاشر . و «الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان» لابن حجر الهيتمى المتوفى سنة ٩٧٤ هـ ومع أنه شافعى المذهب إلا أنه سخر قلمه فى خدمة سياسة الدولة العثمانية . و «أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار» تأليف محمود بن سليمان المتوفى سنة ٩٩٠ هـ و «الكلمات الشريفة فى تنزيه أبى حنيفة من الترهات السخيفة» لمصطفى بن لوح المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ و «عقود الجواهر المنيقة فى أدلة مذهب أبى حنيفة» لمرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ إلى غير ذلك .

وكان بعض أتباع المذاهب الأخرى يؤلفون كتباً فى الطعن على أبى حنيفة . وقد أشار إلى ذلك محمد بن يوسف فى مقدمة كتاب «عقود الجمان» كما أشار ابن حجر الهيتمى إلى الطاعنين على أبى حنيفة فى كتابه «الخيرات الحسان» .

وعلى كل حال فإن المصريين رفضوا أن يجتمعوا على المذهب الحنفى على الرغم من

الدعاية التي روجها العثمانيون لهذا المذهب ، وعلى الرغم من إشارتهم الأخاف للوظائف القضائية. وتمسك قسم كبير من المصريين بمذهب الشافعي، لأن صاحبه مدفون بالقاهرة، وله ضريح كان الناس ومازالوا يزورونه متبركين . وبقي مذهب مالك كما كان من قبل . وساعد على ذلك وفود المغاربة إلى القاهرة، وهؤلاء معروفون بتمسكهم بالمذهب المالكي. أما الحنابلة فكانوا قلة. ومما هو جدير بالذكر أن المصريين منذ وجدت الدراسات الفقهية في مصر، أظهروا ميلا شديدا إلى مذهب مالك. ولما جاء الشافعي إلى القاهرة انتشر مذهبه . أما مذهب أبي حنيفة فكان قليلا . ومذهب ابن حنبل كان نادرا.

وان فكرة توحيد الأحكام فكرة سليمة جدا، ولكن المجتمع المصري حرم من هذه الميزة. ولذلك كان الناس يعانون في عباداتهم ومعاملاتهم حيرة واضطرابا، وقد صور لنا الشعرائي في كتابه «كشف الغمة عن جميع الأمة» هذه الحيرة فقال «... وبعد، فقد شكا إلى مرارا بلسان الحال ولسان المقال جماعات من الفقراء المتعبدين وأهل النافعة من المؤمنين ما يجدونه في نفوسهم من كثرة الغم حين يسمعون العلماء يقرأون مذاهبهم وينصرون أقوالها دون مذاهب غيرهم. وقالوا لى : قد التبس علينا شرع ربنا الذي تعبدنا به، وعسر علينا تمييزه، وازدرانا جللها غالب الدين لم نقيده بمذاهبهم. فإن توضأنا على مذهب قال لنا أهل المذهب الآخر: وضوءكم باطل وإن صلينا على مذهب قالوا : صلاتكم باطلة وإن زكينا قالوا : زكاتكم باطلة. وإن صومكم قالوا صومكم باطل. وهكذا في سائر عباداتنا . وما نعرف الحق مع أيهم حتى تقتصر عليه. وقد أورث ذلك عندنا الحيرة والشك» واستطرد الشعرائي فذكر أنه ألف هذا الكتاب

معتمدا على كتب الحديث الموثوق بها. وأورد معظم أدلة المجتهدين معتقدا أنه بهذا الكتاب يستطيع أن يقضى على الحيرة والشك، وأنه قادر على جمع المصريين على كتابه ، ولكن غرضه لم يتحقق لان السلطنة العثمانية كانت ترى في توحيد المذاهب فقدان لسلطوتها ويكفيها أن يكون لها اتباع على مذهبها (الذي يدين به معظم العثمانية) لتدعم الفرقة عملا بمبدأ «فرق تسد» وهي في سبيل ذلك كانت تدعم اتباع مذهبها بالوظائف والاقطاعات والاقواف والاموال.

وظهر في هذا العصر كثيرون من كبار الفقهاء الذين كسبوا شهرة واسعة في العالم الإسلامي ، وسعى إليهم طلاب العلم من الآفاق.

فمن فقهاء المذهب الحنفي : أحمد بن محمد الشوبري المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ الذي لقب بأبي حنيفة الصغير . وقد أخذ عنه جميع علماء الحنفية في ذلك الوقت من أهل مصر والشام. ووصفه بعضهم بقوله «قرة عين الإمام الأعظم وصاحبه، ومن انتهت رئاسة الحنفية بالقاهرة المعزية إليه».

ومن فقهاء الشافعية : محمد بن أحمد الملقب بشمس الدين الرملي، المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ وقد اشتهر بالشافعي الصغير. وزعم بعضهم أنه مجدد القرن العاشر، وبالغوا في مدحه. وهو كما يقول صاحب خلاصة الأثر «أستاذ الأستاذين، وأحد أساطين العلماء وأعلام تحاريرهم، محي السنة ، وعمدة الفقهاء طار صيته في الآفاق. فرحل إليه طلبة العلم ، وأقبل الناس على قراءة كتبه».

ومن المالكية : سالم بن محمد السهري المتوفى سنة ١٠١٥ هـ كان كما ذكر المحي «أجل

أهل عصره غير مدافع ، وأخذ عنه الجم الغفير من
أهل مصر والشام والحرمين .

إعادة ما ألقاه الأستاذ على الطلبة .

ومن وظائف الأزهر المتصلة بشئون التعليم؛
وظائف مشايخ الأروقة، وكانت موضوعا للتنافس .

وشيخ الأزهر يعين بعد أخذ رأى علمائه وتراعى
فيه الكفاءة والمقدرة والاستقامة بفض النظر عن
مذهبه . وقد بلغ بعضهم منزلة رفيعة عند الحكام،
وعاشوا عيشة الأمراء فى مسكنهم وملبسهم
وماكلهم .

وقد أنشأ محمد بك أبو الذهب سنة ١١٨٧ هـ
معهدا عاما أنفق عليه أموالا طائلة، وعين به عددا
كبيرا من أساتذة الأزهر، وجعل به مكتبة تحوى
عددا كبيرا من الكتب النفيسة، كان من بينها
(شرح القاموس المحيط، للنزيدي ، وهى النسخة
الخطية التى كتبت فى حياة المؤلف، ورصد له
الأوقاف اللازمة للإنفاق على المدرسين والطلبة .
ولكن هذا المعهد خرب بعد وفاة منشئه بسبب نهب
اتباعه للأوقاف التى كانت مرصودة عليه .

وكانت هناك معاهد خاصة بكل مذهب عدا
المذهب الحنبلى لعدم إقبال الناس عليه، فلم يدرس
فى غير الأزهر . ولبعض هذه المدارس الخاصة شهرة
لا تقل عن شهرة الأزهر، ولها احترام كبير .

فمن هذه المعاهد : المدرسة الخشائية بجوار الإمام
الشافعى . ولا يعين بها إلا أعظم علماء الشافعية . وهى
مختصة بتدريس فقه الشافعى . وكذلك المدرسة
الصلاحية وهى بجوار الخشائية . وهاتان المدرستان
من أقدم مدارس القاهرة . وكان للشافعية مدرسة
أخرى بجوار الأزهر، هى المدرسة الطيرمية .

والآن يحق لنا أن نتساءل : إلى أى مدى جدد
هؤلاء العلماء فى الفقه ؟ وهل أضافوا شيئا جديدا
إلى مادته ؟

الواقع أنهم لم يأتوا بجديد، لأن المذاهب
الفقهية كانت نضجت واكتملت على أيدي من
سبقهم من العلماء، ولكنهم استوعبوا هذه المذاهب
وفهموها فهما جيدا، وتمثلوها إلى حد بعيد حتى
أصبح كل منهم عالما متبحرا فى مذهبه ، محيطا
بدقائقه إحاطة تامة، قادرا على شرح ما عسى أن
يكون غامضا منه . وهذه ميزات ليست يسيرة أضف
لهذا أن لغتهم فى الشروح التى وضعوها كانت
محاولة للخروج من أسر لغة التراث التى كتبت بها
المخطوطات الأصلية للمذاهب الفقهية والتى لم يعد
يفقها عامة الدارسين والطلاب .

وكان الجامع الأزهر معهدا عاما تدرس فيه
جميع العلوم المتصلة بالدين كالتفسير والحديث
وفقه المذاهب الأربعة، والنحو والبلاغة والمنطق
والرياضيات . وبه أروقة تختلف أجناس الطلاب . وله
أوقاف طائلة ، وبه مكتبة ضخمة . والدراسة فيه
منتظمة لا تكاد تنقطع طوال اليوم . والطلاب
يلتفون حول أساتذتهم فى شكل حلقة ذات
صفوف . فيجلس بالقرب من الأستاذ الأفضل،
ويليه الأقل فالأقل . وهذه الصفوف تسمى طبقات .
فيقال فلان من أهل الطبقة الأولى، أو الثانية ، أو
الثالثة ، وهكذا . وبعض المدرسين يتخذون ملاحظا
يتولى إجلال الطلاب كل فى مكانه . وقد يعهد
بهذا إلى أحد طلبته . وبعضهم معيدون يتولون

القراءة فقط. أما الذين يتعلمون الكتابة فكانوا قلة ضئيلة. وهكذا تفشت الأمية على الرغم من وجود الكتائب في كل مكان.

ونجد في هذا العصر تساهلا كبيرا في منح الإجازات العلمية ففي العصور الأولى كان طالب الإجازة يلزم أستاذه مدة طويلة، يحفظ فيها كل ما يسمعه من الأستاذ الذي لا يمنحه الإجازة إلا بعد تدقيق وتحقيق وامتحان. أما في العصر الذي ندرسه فكانت تعطى جزافا، إذ كان يكفي أن يقرأ الطالب أوائل كتاب أو كتابين مما يدرسه الأستاذ حتى ينال إجازة بجميع مروياته. وكثيرا ما أعطيت لمن طلبوها من أهل البلاد القاصية عن طريق المراسلة. فكان العالم في القاهرة يبعث إلى طالب في مكة بالإجازة دون أن يراه أو يختبره. فيبدو أنهم يعتبرونها رتبة فخرية. وشذ من هؤلاء العلماء محمد بن حسن بن جمال الدين الشافعي المتوفى سنة ١١٩٩ هـ. فقد ذكر الجبرتي «أنه كان صعبا في الإجازة، لا يجيز أحد إلا إذا قرأ عليه الكتاب الذي يطلبه الإجازة فيه بتمامه ولا يرى الإجازة المطلقة، ولا المراسلة، حتى إن جماعة من أهل البلاد البعيدة أرسلوا يطلبون منه الإجازة فلم يرض ذلك. وهذه الطريقة في مثل هذا الزمان عسرة جدا».

وقد ورثوا عن أسلافهم عادة التأني في صياغة الإجازات. ولذلك أضيفت إلى أبواب الأدب نشرًا كانت أو شعرا.

وإذا فرغ أحد الشيوخ من تدريس كتاب، أقيم لذلك حفل عظيم. وقد وصف لنا أبو بكر العياشي المغربي (في رحلته) الذي زار مصر سنة ١٠٢٠ هـ حفلا رآه في الأزهر فقال «... فلما كان في يوم

ولالأحناف مدارسهم الخاصة كذلك؛ وأشهرها الصرغتمشية والسنانية والأشرفية؛ والمزيدية. ولهم بحى الصليبة مدرستان: إحداهما اسمها البرقوقية والأخرى اسمها الباسطية.

وعلاوة على ما تقدم فإن كثيرا من مساجد القاهرة والأرياف كان يتخذ أمكنة للدراسة. فإذا اشتهر عالم في جهة من الجهات، وأراد أن ينفع الناس بعلمه، ذهب إلى أقرب مسجد واشترى وظيفة الوعظ والتدريس وعقد الدرس فيقبل عليه الناس نظرا لشهرته وقد كان مرتضى الزبيدي يدرس صباحا في مسجد شيخون لقريه من منزله. ويدرس بعد الظهر في مسجد الحنفى. وكانت دروسه مجمعا للطلاب بل ولعلماء الأزهر أنفسهم، وبعض الأمراء والأعيان.

وكانت للاسكندرية مدارسها. واشتهر في دمياط جامع البحر، وفي طنطا جامع أحمد البدوي وبخاصة بعد أن جده على بك الكبير، وزوده بمكتبة، ورصد له أوقافا، وخصص الطعام والكساء لطلبته. وفي دسوق جامع إبراهيم الدسوقي. وفي منوف معهد درس فيه كثير من العلماء. واشتهرت جرجا وفرشوط بمدارسهما وعلمائهما وأدبائهما وشعرائهما. وقد زار مرتضى الزبيدي مدينة فرشوط ونزل عند حاكمها شيخ العرب همام الذي أكرم وفادته، ومدحه بعض شعرائها.

والكتائب منتشرة في كل مكان. وكان طلاب الأقاليم يحضرون إلى الأزهر لاستكمال علومهم.

وكان الأطفال في هذه الكتائب يتعلمون

تسعة وعشرين من الشهر - رمضان - ختم المشايخ دروسهم بختم الشيخ عبد السلام اللقاني بعد صلاة الصبح وعاداتهم في الختم أن يحضر يوم الختم أنجب تلامذه المدرس وكبراء إخوانه. فإذا فرغ المدرس، قرأ القارئ آيات من القرآن بقراءة مطربة. ومنهم من يقرأها بالقراءات السبعة. وبعد فراغه ينشد منشد بصوت رخيم قصيدة من إنشاء بعض التلاميذ، فيها مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والترضى عن مؤلف الكتاب المقروء، والدعاء للشيخ الذي يدرسه. ثم يقوم آخر ويشي على الله وعلى رسوله بثناء بليغ، ثم على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه وتابعيهم بإحسان. ثم يتوضى عن المشايخ أرباب المراتب. كل ذلك ينثر بديع ولفظ فصيح. ثم يقرأ الفاتحة ويهدي ثوابها إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى من ذكر بعده. ويبلغ في الثناء عليهم إلى أن يصل إلى الشيخ المدرس فيدعوه وللحاضرين بأبلغ دعاء بقلب حاضر، وصوت خاشع، ويؤمن الحاضرون على دعائه، ثم يختم. وبعد هذا يقوم أهل المجلس كلهم ويصافحون الشيخ، ويدعون له ويدعوا لهم، ويحضر الختم جمع عظيم من الناس وأهل الفضل والمجاذيب.

وكان بالقاهرة مدرسة للطب في المارستان المنصوري. وقد جاء إلى مصر في أوائل هذا العصر طبيب حاز شهرة واسعة، وهو داود الأنطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ وكان على درجة كبيرة من الثقافة، مستوعبا لكتب ابن سينا في الطب والفلسفة. فوضع عدة كتب في الطب أشهرها تذكرته التي ظلت موضع احترام طوال العصر العثماني. وطبعت بمصر عدة طبعات.

ودرس داود في المارستان المنصوري، وتخرج على يديه طلبة كثيرون اشتهر منهم أحمد بن سراج الدين المعروف بابن الصائغ الشيخ الرئيس، تولى مشيخة مدرسة الطب، وتوفي سنة ١٠٣٩ هـ فخلفه بنته.

ثم نبغ طبيب مصري آخر؛ هو مدين بن عبد الرحمن القوصولي، كان موجودا سنة ١٠٤٤ هـ وهو من تلاميذ داود، ومن مؤلفاته في الطب قاموس الأطباء في المفردات.

واشتهر أحمد بن سلامة القليوبي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ وكان في الطب ماهرا خبيرا، حسن التقرير، يبالغ في تفهيم الطلبة، ويكرر لهم تصوير المسائل.

وكان اليهود أكثر إقبالا على الاشتغال بالطب من المسلمين. قال داود الأنطاكي في مقدمة تذكرته: «... فلما حين دخلت مصر رأيت الفقيه الذي هو مرجع الأمور الدينية يمشي إلى أوضاع يهودى للتطبيب به، فعزمت على أن أجعله - الطب - كسائر العلوم، يدرس ليستفيد منه المسلمون. فكان في ذلك وبالي ونكد نفسي وعدم راحتي من سفهاء لازمونى قليلا، ثم تعاطوا التطبيب فأضروا بالناس في أموالهم وأبدانهم. وأنكروا الانتفاع بي، وأفحشوا في أفاعيلي».

وتعاطى الطب كذلك بعض الأقباط ولا سيما الرهبان.

وسبق أن ذكرنا أن عبد الرحمن كتبنا المتوفى

سنة ١١١٩ هـ جدد المارستان المنصوري وزاد في أوقافه. وقد ظل هذا المارستان المدرسة الوحيدة التي يدرس فيها الطب، كما كان المستشفى الحكومي الوحيد الذي تعالج به مختلف الأمراض حتى قيام محمد علي.

وكانوا يدرسون العلوم الرياضية التي عرفت من قبل. وأخذوا عن القدماء عادة خلط الحساب بالفرائض. ومن أنواع الرياضة التي درسوها: الجبر، والهندسة النظرية «إقليدس»، والحيل «الميكانيكا» والفلك. واتخذوا المزاول لمعرفة الأوقات، والساعات التي كانت ترد عليهم من الخارج. وكان لبعض المساجد الكبيرة مؤقتون لتحديد أوقات الصلاة، يعرف الواحد منهم بالميقاتي.

إلا أن الإقبال على دراسة العلوم الرياضية كان قليلا جدا، في حين أن الإقبال على العلوم الدينية كانت له الغلبة. وهذا يرجع إلى قانون العرض والطلب. فالمعروف أن الطالب يدرس ما يساعده على كسب رزقه وبخاصة إذا كان فقيرا. وقد كانت الوظائف المعروفة إذذاك وظائف كالمؤذن والإمام والخطيب والمأذون والشاهد والقاضي ونائبه، والمفتي والمحاسب والمدرس. وكان لوجود المذاهب الأربعة دخل في هذه الكثرة التي لو وزعت على كل مذهب لم تكن شيئا. ثم إن رجل الدين كان محترما في ذلك الوقت من الحكومة والشعب. أما الوظائف الحساية فكانت في يد الأقباط.

وفي هذه الحقبة لم يكن الناس كلهم يؤمنون بكرامات الأولياء، ويسلمون بما يدعونه لأنفسهم من القدرة التي لا حد لها ولكن الغالبية من رجال الدين كانوا عكس ذلك وقد صور الشعرائي موقف

معاصريه المنكرين للأولياء في مقدمة كتابه «الطبقات الكبرى» فقال: «... فإذا مر عليه ولي من أولياء الله ينسبونه إلى الزندقة والجنون، وتراهم ينظرون إليه وهم لا يصصرون. فمنهم المنكر لكراماتهم، ومنهم المنقص لمقاماتهم، ومنهم الثالب لأعراضهم، ومنهم المعترضون على أحوالهم، ويخوضون بجسهلهم في مقالهم، وبهم يستهزئون».

وقد ألف الشعرائي هذا الكتاب دفاعا عن الأولياء وما يأتون به من الكرامات والخواص. وقال في كتابه «لطائف المنن» «... وفي عصرنا هذا جماعة من الصوفية العاملين، ربما يكون المنكر عليهم لا يصلح تلميذا لهم، كسيدي محمد ابن الشيخ أبي الحسن البكري، والشيخ سليمان الخضيرى، والشيخ ناصر الدين الطبلاوى، والشيخ زين سبط على المرصفي. وقد عرضت هؤلاء على بعض المنكرين فقال: لا أعتقد في واحد من هؤلاء إلا إن رأيت له كرامة، فقلت له: وأي كرامة أعظم من العلم والعمل؟ فلم يرجع إلى قولي وتركته، ولكن الشعرائي عرض بأهل عصره ممن يظهرون التصوف ويظنون النصب والتدجيل فقال رسالته «تنبه المغترين» ما نصه: «... وقال لى الأمير محمد دفتر دار مصر مرة: أنا لا أعتقد في مشايخ مصر الآن ولو مشى أحدهم في الهواء. فقلت: لماذا؟ فقال: لأنى رأيتهم يجتهدون في طلب الدنيا أكثر مما يجتهدون في طلب الله. وقد دخل على شيخ منهم في رمضان ليفطر عندي فقلت له: هذا الطعام عندي في حله شك فلا تأكل منه فقال: قدمه لى وعلى حسابه في الآخرة. فكيف أعتقد في مثل هذا وأنا لا تطيب نفسى أن أكل منه مع أنى معدود من الظلمة».

وبقيت هذه المناقشات بين المتعصين للأولياء

وكراماتهم ، وبين المنكرين . فهذا عبد الرؤوف المناوى المتوفى سنة ١٠٣١ هـ يؤلف كتابا اسمه «إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن» والمقصود بأولياء الشيطان هم المنكرون للأولياء وكراماتهم. ويرى المناوى فى طبقاته أن الولي لا يبلغ درجة النبي، ولا تسقط عنه التكاليف بكمال الولاية كما ادعى بعض أهل الإلحاد والاتحاد، أن الولي إذا بلغ الغاية فى المحبة وصفاء القلب وكمال الإخلاص، سقط عنه الأمر والنهى، ولم يضره ذنب، ولا يدخل النار بارتكاب الكبائر.

وذلك باطل بإجماع المسلمين. ولا تكون ولاية غير النبي أفضل من النبوة بحال. وإنما الكلام فى ولايته - أى النبي - فقليل هى أفضل لما فيها من معنى التقرب وكمال الإخلاص وقيل بل نبوته لما فيها من الوساطة بين الحق والخلق. ثم إن ظهور الكرامة لا يدل على أفضلية، وإنما هى بقوة الإيقان وكمال العرفان.

وقد كثرت الكتب المؤلفة لإثبات كرامات الأولياء، نذكر منها «طبقات الشرنوبى» تأليف أحمد الشرنوبى المتوفى سنة ٩٩٤ هـ و«الفتوحات الربانية فى مناقب السادة المخضيرية» تأليف مراد بن يوسف الأزهرى المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ و«الماء الزلال فى إثبات كرامات الأولياء فى الحياة وبعد الانتقال لأحمد الجوهري المتوفى سنة ١١٨٢ هـ و«كنز السعادات فى الكرامات بعد الممات» لعبد الرحمن الأجهورى المتوفى سنة ١١٩٧ هـ و«السهم القوى فى نحر كل غيبى» فيمن ينكر كرامات الأولياء، للسجاعى المتوفى سنة ١١٩٧ هـ وهذا غير ما ألفه الشعرانى والمناوى.

وفى سنة ١١٢٣ هـ حضر إلى القاهرة واعظ تركى، أخذ يعظ الناس بجامع المؤيد. ثم انتقل من الوعظ إلى ذكر ما يفعله أهل مصر بأضرحة الأولياء، وإيقاد الشموع والقناديل على القبور. وقال إن هذا كفر يجب على الناس أن يتركوه. وعرض بقول الشعرانى فى طبقاته إن بعض الأولياء أطلع على اللوح المحفوظ. فأنكر ذلك على الأنبياء فضلا عن الأولياء. وقال بوجوب هدم القباب المبنية على الأضرحة. وأنكر وقوف الفقراء بباب زويلة فى شهر رمضان.

فلما سمع الحاضرون ذلك خرجوا ليلا إلى باب زويلة حاملين العصي والأسلحة فهرب من كان هناك. ثم إنهم قطعوا الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون «أين الأولياء؟» فأغضب عملهم بعض الناس فذهبوا إلى الجامع الأزهر وأخبروا الشيخ النفراوى وأحمد الخليفى بما حدث. فأفتى هذان الشيخان بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بالموت، ولا يجوز لأحد أن ينكر اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ. وقالوا بوجوب زجر الواعظ الذى غضب من هذه الفتوى، وأبدى استعدادا لمناظرة العلماء. وتعصب له كثيرون وتطوعوا للدفاع عنه، وتعاهدوا على نصرته. وأخذ الواعظ يحرض أنصاره على الدفاع عن الدين وقمع الدجالين، ولكن الأمر انتهى بنفيه وتشتيت شمل أنصاره.

وهذا الواعظ من غير شك متأثر بآراء ابن تيمية والواقع إن آراء ابن تيمية كان موضوعا للنقاش عند بعض علماء هذا العصر. فقد ألف ابن حجر الهيتمى كتابا سماه «الجوهر المنظم فى زيارة القبر النبوى المكرم» ومعروف أن ابن تيمية يرى أن زيارة

ولكن الصوفية في هذا العصر قالوا ببقائه حيا وقد ألف مرعى «رسالة الخضر» وأثبت فيها أنه مات وهو بهذا يتابع أستاذه ابن تيمية. وله غير ما تقدم كتاب «رفع الشبهة والغرر على من يحتج على فعل المعاصي بالقدر» عرض فيها بالاتحادية والحلولية الذين وقعوا في الإباحية وغرقوا في المعاصي وتركوا الفرائض محتجين على هذا بأنه مقدر عليهم، لا يستطيعون تركه. واعتمد مرعى على آراء ابن تيمية في هذا الموضوع.

ونلاحظ في هذا العصر كثرة الأسئلة التي وجهت إلى العلماء بخصوص الخضر، وهل هو حي أم ميت؟ ونلاحظ كثرة الرسائل التي وضعت في هذا الموضوع، مما يدل على أن السائلين كانوا في شك من حقيقة أمره. وقد يكون شكهم هذا ناجما عن اطلاعهم على آراء ابن تيمية. ومن الرسائل التي وضعت لإثبات وجود الخضر حيا «القول الدال على حياة الخضر والأبدال» لمصطفى بن نوح المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ.

وكانت كتب ابن عربي منتشرة في دوائر المتصوفة، لا سيما «الفتوحات الملكية» ولكن من الإنصاف أن نقول إن أغلبهم لم يقبلوا نظريات الاتحاد والحلول ووحدة الوجود. ومنهم من اعتبر القول بها كفرا. وهذا هو محمد البكري المتوفى سنة ٩٩٤ هـ رأس المتصوفة في عصره يقول في إحدى قصائده:

أطلقوا وحدة الوجود وقالوا
كل شيء هو الإله البسارى

القبر النبوي مشروعة مطلوبة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة والقياس. وقد اعتمد ابن حجر على ما كتبه السبكي من قبل في الرد على ابن تيمية، ولم يأت بجديد. على أن ابن حجر في كتابه «النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم» يرى إن إقامة المولد النبوي بدعة لأنها لم تعرف عند المسلمين الأولين. ويقول إن أكثر ما يرويه القصاص والوعاظ فيما يتعلق بمولد الرسول مكذوب، لا أساس له من الصحة. ولكنه ذكر أنها بدعة حسنة لما اشتملت عليه من الإحسان الكثير إلى الفقراء، وتلاوة القرآن، وإظهار السرور والفرح بالنبي، وإغاضة أهل الزيغ والزنادقة والملحددين، والكفرة والمشركين. وقد كرر ابن حجر هذه الآراء في كتاب آخر هو «الدر المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود».

ولم يعد ابن تيمية أنصارا في العصر الذي ندرسه. فيقول صاحب «الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة» «إن موسى المصري المتوفى سنة ٩٩٠ هـ كان يعتقد اعتقاد حمقى الحنابلة، ويقصد بحمقى الحنابلة أتباع ابن تيمية».

وآلف بن مرعى الحنبلي المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٣٠ هـ كتاب «الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية» غصصها من مناقبه لعبد الهادي ابن قدامة المقدسي، ومن مناقبه لسراج الدين البزار، ومن مناقبه لأحمد ابن القاضي محيي الدين بن عمر الشافعي. وختم كتابه بفصل في الرد على خصوم ابن تيمية الذين يرمونه بالكفر.

ونحن نعلم أن ابن تيمية قال بوفاء الخضر، - يالقوسى أما لطف نصيرا؟

واشتهر في هذا العصر من المتصوفة: محمد البكرى والشعراني ، وعبد الرؤوف المناوي الذي يقول فيه صاحب خلاصة الأثر «... فهو أعظم علماء هذا التاريخ آثارا. ومؤلفاته غالبها متداولة كثيرة النفع، وللناس عليها تهافت زالد، ويتغالون في الثمانيها».

ومن العلماء : ابن حجر الهيتمي ، وأحمد السجاعي ، وأحمد الدمنهوري، وأحمد الجوهري، وغيرهم كثيرون.

ومن رجال النحو: الصبان، والكفراوي ومحمد الأمير . وقد ألفوا كتباً مازالت تدرس حتى عصرنا هذا.

ومن المؤرخين : ابن إياس الحنفى ، وهو أشهر من أن يذكر . ومحمد ابن عبدالمعطي الشهير بالاسحاقي صاحب كتاب «لطائف أخبار الأول فيمن تصرف بمصر من أرباب الدول» انتهى فيه إلى سنة ١٠٣١ هـ ومحمد بن محمد ابن أبى سرور البكرى صاحب كتاب «عيون الأخبار ونزهة الأبصار» والنزهة الزهية في ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية، و«الوشى المرقوم من النطق المفهوم» و«المنح الربانية في تاريخ الدولة العثمانية» و«اللطائف الربانية على المنح الرحمانية» وإبراهيم الصوالحي - كان بالقاهرة سنة ١٠٧١ - مؤلف كتاب «تراجم الصواعق في وقعة الصناجق» ومصطفى بن إبراهيم مؤلف «تاريخ وقايع مصر سنة ١١٠٠ - ١١٥٠»، وشيخنا الجبرتي، ونقولاً الترك مؤلف كتاب «ذكر تملك الجمهور الفرنساوية الاقطار المصرية»

ومن كتاب السير والتراجم : نور الدين الحلبي مؤلف «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»

غاب من لم يكن من الأنصار ويقول من قصيدة أخرى:
حلول محال، واتحاد مخالف
لوحده فبالوصف فيه تلونا

وقد جاء إلى مصر في هذا العصر علماء أجلاء مازالوا موضع ثقة واحترام، وألفوا كتباً قيمة لا يستغنى عنها الباحث. لذكر منهم بهاء الدين العاملي الذي ألف كتابه «الكشكول» بالقاهرة .

وداود الأنطاكي وقد سبقت الإشارة إليه. ومرعى بن يوسف الحنبلي صاحب المؤلفات المشهورة التي أسلفنا الكلام على بعضها. وأحمد بن محمد المقرئ صاحب «نفح الطيب» وغيره، وعبد القادر البغدادي صاحب «خزانة الأدب» وبدر الدين العباسي مؤلف «معاهد التنصيص»، شرح شواهد التلخيص» ومرضى الزبيدي شارح القاموس. وعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس الصوفي المشهور.

ومر بها كثير من علماء المغرب. وزارها من علماء الشام والد الحمبي الذي ألف رحلة عن هذه الزيارة . والحمبي صاحب «خلاصة الأثر» وعبد الغنى النابلسي الذي خصص جزء كبيراً من رحلته عما شاهده بمصر. وأبو بكر العياشي من علماء المغرب، وصاحب الرحلة التي أشرنا إليها .

واستوطنها من شعراء الشام كثيرون نذكر منهم : زين الدين العاملي ، وشمس الدين الحموي. وزارها طرز الريحان البعلبي، وفتح الله النحاس، وابن الدرا. واستوطنها من شعراء المغرب يوسف بن زكريا المغربي. ومن الحجاز نور الدين القلعي.

. فيها هو الإدكاوى الشاعر ينكر على المنجمين ما يزعمونه من معرفة ما يقع فى المستقبل، وله شعر فى ذلك نذكر منه:

الله يعلم ما يكون وما به
تسرى الرياح وماله يجرى الفلك
قدع المنجم فى ضلالتة وما
ينبىك عنه ففى مقالته أفك
واحذر تصدقه فتهلك عامدا
يامدعى الإيمان فيمن قد هلك
علم الإله محجب إلا على
من يرتضى به من نبى أو ملك
هذا اعتقادى والذى ألقى به

ربى لأسلك ناجيا مع من سلك
أما بعد فهذه صورة للحالة الفكرية فى مصر
إبان العصر العثمانى. ويمكن أن نخرج من هذه
الدراسة بأمور:

أولا : إن الحركة العلمية فى مصر فى ذلك العصر
كانت نظرية محضة . ولم يعرف العلم التجريبي
القائم على المشاهدة والتجربة والاختبار.

ثانيا : إنها استقت من المصادر القديمة، ولم
يكن فيها تجديد أو ابتكار.

ثالثا : إنها لم تتصل بالنهضة العلمية الأوروبية ،
لا من قريب ولا من بعيد . فالمعلومات الجغرافية
والفلكية القديمة ظلت كما هى . فلم يصل إلى
أسماع المصريين أنباء العالم الجديد، وما كشفه
الأوروبيون من قارات ومحيطات ولم يقفوا على
شئ من تقدم علم الفلك أو علوم الطبيعة
والكيمياء والطب ولو ترك المصريون وشأنهم فى
ظل هذه الحياة العلمية لما تغير حالهم، ولبقيت
معالمهم الفكرية كما هى دون أى تقدم.

لذلك لما اطلعوا على العلوم الحديثة التى
صاحبت الحملة الفرنسية أبدوا دهشتهم

ويعرف بالسيرة الحلبية. ومحمد بن على الداودى
مؤلف «طبقات المفسرين» والشهاب الخفاجى
صاحب «ريحانة الألباء» و«خبايا الزوايا فيما فى
الرجال من البقايا» وأحمد بن سلامة القليوبى
مؤلف «تحفة الراغب فى سيرة جماعة من آل البيت
الأطائب» ومحمد بن أحمد البهوتى مؤلف «التحفة
الظرفية فى السيرة النبوية الشريفة» وأبو الصلاح
على بن محسن الصعيدى مؤلف «تعطير الأنفاس
بمناقب الشاذلى وأبى العباس» وأحمد الرشيدى
مؤلف «حسن الابتهاج فيمن ولى فى مصر إمارة
الحاج» وعبد الرحمن الأجهورى مؤلف «مشارك
الأنوار فى آل البيت الأخيار» ومرضى الزبيدى
مؤلف «الروض العطار فى نسب آل جعفر الطيار» و
«رفع نقاب الخفا عمن اتهمى إلى لقاء الوفاء»
ومحمد بن على الصبان مؤلف «إسعاف الراغبين
فى سيرة المصطفى وفصائل أهل بيته الطاهرين»
ومدين بن عبد الرحمن القوصونى مؤلف «ريحانة
الألباب وريحان الشباب فى مراتب الآداب»
وقد اعتمد صاحب خلاصة الأثر على هذا الكتاب
الذى لم يصل إلينا فيما كتبه عن أدباء مصر
وشعرائها وعلمائها فى القرن الحادى عشر. وعبد
البر الفيومى مؤلف «منتزه العيون والألباب فى بعض
المتأخرين من أهل الآداب» جعله على طريقة
الشهاب الخفاجى فى ربحاته. وهذا الكتاب لم
يصل إلينا كذلك مع أنه اشتهر ببلاد الشام، وعليه
اعتمد صاحب خلاصة الأثر فيما كتبه عن مصر.

وظهرت فى هذا العصر مؤلفات كثيرة فى
الروحانيات ، وفك الأرصاد والطلاسم، وفى ألعاب
المهارة كالسيما والزايحة. وفى التجميم وضرب
الرمل ولم يكن الناس كلهم يؤمنون بهذه الخرافات

نبذة عن أحوال الشعر ومذاهبه في هذه الفترة

قال الشهاب الخفاجي في ترجمة محمد البليني الشاعر المصري المتوفى سنة ١٠١٩ هـ في كتابه خلاصة الأثر ما نصه: «وله شعر أصفى من الرحيق المعتق، وأبهى من الوشى المنمق، إلا أنه تجاوز رقة النسيب إلى التجنيس والغريب».

وقال في ترجمة الشاعر يوسف بن زكريا المغربي نزيل القاهرة، المتوفى سنة ١٠١٩ هـ بعد أن أورد جملة من شعره «واعلم أن هذا كله ليس بشعر ترتضيه الأدباء، وهو كل شعر أكثر فيه من البديع».

وكتب الخشاب إلى أحد الشعراء، وكان يعرض شعره للذم بالتزامه مالا يلزم:

ألزمت نفسك في القريض مذهباً

ذهبت بشعرك في الخضيض الأوهـد

وتركت ما قد كان فيه لازماً

هلا عكست فجئت بالقول السدى؟

كسدت فيه بما صنعت بحوره

فغدت مشارع ليس ينحوها الصدى

فإذا نظمت فكن لنفسك ناقداً

نقد البصير بذهنك المتوقد

أولا فدع تكليف نفسك واسترح

من قولهم ما شعره بالجيد

فمن هذا وأمثاله نعلم أن الشعراء المصريين في العصر العثماني كانوا يكرهون التكلف والتزام الصنعة، واستخدام المحسنات اللفظية من جناس وطباق ومقابلة إلا ما أتى عفواً، ويفضلون أن يترك الشاعر نفسه على سجيته. وهذا المذهب متفق كل الاتفاق مع قوم غلب على كثير منهم ارتجال الشعر في سهراتهم الخاصة التي كانت تجمع بينهم، وفي المجالس الأدبية التي كثرت في ذلك العصر، وفي

الموالد التي تقام للأولياء.

ومن اشتهر بالارتجال: أبو السماع البصير المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ وفيه يقول المحبى «الشاعر البديهي، أعجوبة الزمان، وأحد الأفراد في البديهة وارتجال الشعر. وكانت طريقته إذا أراد الارتجال أن يبدأ بإنشاء قصيدة من كلام أحد الشعراء المتقدمين بصوت شجي. وفي أثناء إنشاده يتندر على وزن تلك القصيدة في أى باب من أبواب الشعر، مدحاً كان أو غزلاً أو غيرهما».

وقاسم بن عطاء الله المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ وفيه يقول الجبرتي «... وصار وحيد عصره في هذه الفنون - الشعر والزجل - بحث لا يجاريه أحد مع ما لديه من الارتجال في الشعر مع غاية الحسن، وكان الشيخ العيدروس يتعجب منه ويقول: هو ممن يلقنه جنى».

واجتمع يوماً في مجلس به جماعة من الأدباء كالشيخ بن الصلاح، والشيخ عامر الزرقاني، وكان يوماً مطيراً، فقال ابن الصلاح مرتجلاً:
لقد ومكم ضحك الغما
م فـعلم العين البكا
مـذاك إلا أنه
لنوال كـفك قد حكي

فقال قاسم:

أفـديك بالعـيينين يا
نجل الصـلاح مع الذكـا
هطل الغـمام كان
لعزیز جـاهك قد شكا

ومثل هذا كثير تجده منبثاً في ثنايا الكتب. وقد بلغ من كراهية بعضهم للتكلف أنهم فضلوا نظم

المزدوجات لأنها أسهل من نظم القصائد.

وكان الفن الشعري غالبا على كثير منهم حتى إنهم استخدموا الشعر فيما يستخدم فيه النثر. مثال ذلك أن الشاعر يحيى الأصيلي المتوفى سنة ١٠١٠ هـ ذهب إلى منزل أحد الأعيان فأخبر الإذن له، فكتب يقول:

على الباب من كاد من شوقه

يموت وذلك يحيى الأصيلي
أتى يتسغنى بأوصافكم

فهل تاذنون له بالدخول؟

وحدث أن مرضى الزبيدي كلف عبد الله الإدكاوي أن ينسخ له كتابا . وقام الإدكاوي بهذه المهمة، ولكن الزبيدي آخر عليه أجره، وأراد الإدكاوي أن يطالبه بهذا الأجر، فلم يبعث إليه برسالة، وإنما بعث إليه بقصيدة جاء فيها:

صبح الله سيدي بالسعادة

وحبائه من كل خير مراده
ووقاه الردى وزاد علاه

رفعة لا تني تزيد سيادة
خلك المرتجى إجابة ما قد

عودته عادتك المستجادة
فنفصل وابعث بما قد تبقى

ولك الفضل إن بعثت زيادة
وابق في العز والسيادة يا أو

حد ما نال ذو احتياج إفاده

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا بحيث إننا نستطيع أن نجمع منها مجلدات كما أنهم حذوا حذو أسلافهم في استخدام الشعر في الإجازات العلمية، وفي تقرير الكتب والرسائل. وبلغ من تعلقهم بالفن الشعري أنهم نظموا به بعض العلوم.

قلنا إن الشعراء في ذلك العصر كرهوا التكلف وآثروا أن يترك الإنسان نفسه على سجيتها . والآن نضرب بعض الأمثلة على ذلك قال الشهاب الغفاجي في خلاصة الأثر من قصيدة طويلة:

قدحت رعود البرق زندا

أضر من أشجانا ووجدنا
في فحمة الظلماء إذ

مدت على الخضراء بردا
حسنى تشاءب نوره

وتمطت الأغصان قدما
وأنى الشقيق بمجمر

للروض أوقد فيه ندا
وعلى الفدير مفاضة

سردت لها النسمات سردا
وحبائه من فوقه

قد بات يلعب فيه نردا
فسقى معاهد بالحمى

قد أنبتت حبا وودا
تذر الليالي في ثرى

من عنبر للمسك أهدى

وقال الصبان يمدح شيخ السادات البكرية

بعبير مرك تعبق الأقطار

وينور وجهك شروق الأسرار
ويمن طلعك السعيدة طالعا

يصفر الزمان وترحل الأقدار
وبجود راحتك الشريفة أخصبت

للعالمين منازل وديار
والى حمى حرم مما بك مجده

تسمى العفافة وتهرع الزوار
يا درة الدنيا وغرة وجهها

ومناز أجليها إذا ما احتاروا
يا قطب دائرة الوجود وعارفا

وودادهم فرض وحبهم به
تمحي الذنوب وتغفر الأوزار

وقال الشيخ عبد الشراوى متشوقا إلى مصر
فى بعض أسفاره:

أعد ذكر مصر إن قلبى مولع
بمصر من لى أن ترى مقلتى مصرا
وكرر على سمعى أحاديث نيلها
فقد ردت الأمواج سائلة نهرا
بلاد بها مد السماح جناحه

وأظهر فيها المجد آيته الكبرى
رويدا إذا حدثتني عن ربوعها

فتطويل أخبار الهوى لذة أخرى
إذا صاح شحور على غصن بانة

تذكرت فيها اللحظ والصعدة السمر
عسى نحوها يلوى الزمان مطيتى

وأشهد بعد الكسر من نيلها جبرا
لقد كان لى فيها معاهدة لذة

تقضت وأبقت بعدها أنفسا حسرى
أحن إلى تلك المعاهد كلما

يجدد لى مر النسيم بها ذكرى
أما والقذود المائسات بسفوحها

والحافظ غادات قد امتلأت سحرا
وما فى رباها من قوام مهفوف

علا وغلا من أن يباع وأن يشرى
لئن عاد لى ذاك السرور بأرضها

وقرت بمن أهواه مقلتى العبرى
لأعتنق اللهو فى عرصاتها

وأسجد فى محراب لذتها شكرا

..... إلخ.

ومن قول الخشاب فى يوسف بن على الكاتب،

بشدا تقاه تهبط الأسرار
ياشمس أفلاك الكمال وسيدا

دانته له الأبرار والفجار
يهنيك ما أولاك ربك من علا

دهشت لبعض صغارها الأفكار
قد أفرغ المولى عليك مواهبا

لا عد يحصيتها ولا معيار
وعلى بنى العصر اصطفاك لربة

تركت قلوب عداك فيها النار
السيد السند الإمام المجتبى

صدر الصدور المنتقى المختار
الجوهر الفرد الذى لم تشتمل

أبدا على أمثاله الأعصار
العروة الوثقى لمعتصم به

آية الكبرى لمن يحنار
تاج الأمائل، عين أعيان الورى

غيث السماحة، سيبها المدرار
وابن الكرام الشم من آل الوفا

أبناء من سجدت له الأشجار
كناه مـولاه أبا الأنوار إذ

من نوره تتـولد الأنوار
ما جاء ليل الخطب إلا رده

من ذلك الوجه المضىء نهار
هو للأحبة رحمة وعلى العدى

أسد الإله وسيفه البتار
والناس بالرتب العلية فخرهم

ولها بأبناء الرسول فخار
منح من الوهاب عز مقامها

ومواهب ما إن لها إنكار
ماذا يقول المادحون وفضلهم

نطقت به الآيات والأخبار؟
الله فى القرآن أذهب عنهم

رجسا وطهرهم فهم أطهار

وكان يتولى تحرير المنشورات للفرنسيين أثناء
احتلالهم لمصر:

إنى رأيت أبا البرية آدميا
فى النوم معتجرا ببرد معلم
فدنوت منه مصليا ومسلما
وسألته فى صورة المستفهم
هل كان يوسف من بنيك فإننا
من ذاك فى شك مريب موهوم؟
فأجاب وهو مصعد ومصوب
عينيه فى كهينة المستعظم
حواء طالقة ثلاثا إن يكن
ممن إلى من البرية ينتمى
... إلخ

ونستطيع أن نجمع مجلدات من هذا الشعر
الذى يرسل فيه الشاعر نفسه على سجيته .
ومعظم نتاج العصر العثمانى فى مصر من هذا
النوع . بل إننا نجد ما يفوق هذه الأمثلة قوة وروعة،
ورقة وسلاسة وعدوية.

ولكن الشعراء فى هذا العصر أفقوا الوقت
الطويل فى ضروب الصناعة اللفظية مما اعتبره
البعض ضعفا لشاعريتهم
ومن هؤلاء عبد الرحمن الحميدى المتوفى سنة
١٠٠٥ هـ وله ديوان مطبوع اسمه «الدر المنظم فى
مدح الحبيب الأعظم» فهو أحيانا يضع نصب عينيه
إيراد جميع الحروف الهجائية فى البيت الواحد.
مثال ذلك قوله:

خذوا بدمى حسنا غزالا عشقتها

فصرت كطل ظل بالثج فى رخص

وأحيانا يلتزم الحروف التى لا تنقط ، كقوله:

أسرك دهر سره كله هم

ومررد أكسار لوارده سم

وتارة يلتزم بعدد أبيات القصيدة بالحروف
الهجائية على الترتيب كقوله:
أبت هند وصلى فالكرى مذقت شطا
وحظى ذكا من لاعج مثخن ضغطا
بدلى قضت فالوجد زاك وعنه لا
محيص بلا غوث شفى ناظرا سخطا
فأليت الأول يبدأ بحرف الألف، والثانى بحرف
الباء، وهكذا إلى آخر القصيدة التى تنتهى بانتهاء
الحروف الهجائية.

وله قصيدة سماها «شفاء العين بمدح العين»
فى المديح النبوى، عدتها تسعة وأربعون بيتا، كل
بيت تنتهى بكلمة «العين» فكأنه جمع المعانى
المتشعبة لهذه الكلمة ، وأتى فى كل بيت بما
يتناسب معه فى المعنى، شأنه فى ذلك شأن شعراء
البدعياء الذين مدحوا الرسول عليه السلام بقصائد،
وجعلوا فى كل بيت لونا من ألوان البديع، مع فارق
وهو أن هذا المادح اكتفى بلفظ العين على اختلاف
معانيها فى كل بيت من أبيات قصيدته التى جاء
فيها:

يامانة القديا مكحلة العين

كم من حسد فيك قد أصبت من العين

قد حزت جمالا ورقة ودلالا

إذا فقت هلالا أضأ، وفقت سنا العين

فالعين فى البيت الأول هى العين الباصرة، وفى
البيت الثانى بمعنى الشمس.

وفى سنة ١١٥٨ هـ قدم إلى مصر شاعر
حجازى كسب شهرة ونفوذا فى عصره، وهو نور
الدين على بن تاج الدين القلعى المتوفى سنة

١١٧٠هـ وكان مغرماً بالصناعة اللفظية. ومنها نوع يسمى «وسع الاطلاع» فاجتمع به بعض الشعراء ومنهم عبد الله الإدكاوي الذي أخذ عنه هذا الفن ووسع الإطلاع أنواع هي:

١ - كل كلمة في البيت تبدأ بالحرف الذي تنتهي به الكلمة السابقة، ما عد القافية. مثال ذلك:

صب بوعدك كم مطلنته

هاجرته هلا أجزرته

سهران نام سامرو

ه جمعاً أفلا أمتته

فكلمة «صب» تنتهي بحرف الباء إلى تبدأ به كلمة «بوعدك» وهكذا إلى آخر البيت الأول. وفي البيت الثاني نرى كلمة «سهران» تنتهي بحرف النون الذي تبدأ به كلمة «نام» وهكذا إلى آخر البيت.

٢ - نوع يسمى «العود وهو أن تنظم قصيدة فتقول:

جماله قد علا قدرا وجل علا

ها قد سباني فلولا عاد يانعمي

ثم تعود فتأخذ من هذا البيت كلمات مناسبة، وتنظم منها بيتاً آخر يبدأ بلفظة «جماله» وينتهي بها فتقول:

(جماله قد سباني قد جل قدرا جماله)

مثال آخر:

دلاله يا ولادة الحب زاد فلو

قد عاد يا صبحي شفى سقمي

(دلاله زاد صبحي بالقرب زاد دلاله)

٣ - النوع الثالث: أن تلتزم بدء كلمات البيت بحرف واحد مثل:

يتسمنى يراك يوماً يهنى

يجتني يانعا يمينا يساره

فكل كلمة في هذا البيت تبدأ بحرف الياء

٤ - أن تكون كل كلمة مكونة من حرف مهملة وحرف منقوط على الترتيب، مثل:

جميل بديع جل ذاتا بهية

به زدت حبا، فأتك بمجاليه

٥ - نظم البيت مكوناً من كلمات مهملة وأخرى منقوطة على الترتيب مثل:

جنت ولوعا هواه شغفت كم

فتنت عساه يجتني لكماله

٦ - نظم البيت مكوناً من حروف مفرقة. مثل

أدم وده واردد رواه ورره

وأول ودم راع ودودا ووالله

٧ - أن ينظم قصيدة يبدأ كل بيت منها بحرف بحيث لو جمعت هذه الحروف على الترتيب لكونت اسماً ممدوح مثل ذلك قوله:

١ - سيدي مدغبت عن صبك المف

رم ضاقت عليه أكناف مصر

٢ - يافريد البها وحقق لا أص

بسر عن أن أراك يوماً بدهري

٣ - دار مطنك باللقا وتكرم

ياغزال النقا بقبولي وجبري

٤ - يابديع الجمال يا واحد الحس

من حنانا تشفى سقاما وضري

٥ - انت أنسى ولدتي وسروى

وسراي وكنه سرى وجهرى

٦ - بك هام الفؤاد فامن عليه

منك بالوصل لا ترعه بهجر

٧ - راقني ما أراه فيك من الحس

من البديع الذي تقسم فكري

٨ - إحلالا بعدى وأنت بوجدى

لك أدري من كل عبيد وحر

٩ - هام لبي في وصف ما حزت يا أه

سيف حتى قل نظمي ونثري

١٠ - يوم عيد رؤياك بل ومحيا

ك هلالى باذا الجمال وبدرى

١١ - ما لقللى صبر سوى أن يلا

فيك ومن لى حتى اللقاء بصبر

فالآيات الأربعة الأولى تبدأ على الترتيب
بالحروف : س، ي، د، ي. ومن مجموعها يتكون
لقب المدوح «سدى» وبقية الآيات تبدأ بالحروف
ا، ب، ر، هـ، ي، م. ويتكون منها اسم مدوح وهو
ابراهيم. ويلاحظ أن المعانى كلها غزلية وليست
من المدح فى شىء.

٨ - أن ينظم قصيدة، ثم يدخل زيادة فى أول
البيت أو فى آخره بحيث لا يتغير المعنى وإن
تغيرت القافية فى حالة ما إذا كانت الزيادة فى
آخر البيت.

مثال ذلك قوله:

يامن تحمل بذكـــــره

عقد النوائب والشدائد

يامن إليه المشتكى

وإليه أمر الخلق عائد

فيقول إذا جعل الزيادة فى الأول:

(ياذا العسلا ياربنا) يامن تحمل

ل بذكره عقد النوائب والشدائد

(ياسيد ياخالقى) يامن إليه الـ

مشتكى وإليه أمر الخلق عائد

هذه هى ضروب الصنعة التى زاولها بعض
الشعراء ومنهم الإدكاوى، والقلعى، وعبد الرحمن
الحميدى.

وقد أنكر بعض معاصرى الإدكاوى عليه هذا
المذهب، وذكره بأساليب القدماء التى لم تعرف

التكلف، فرد عليهم قائلا:

كن للمعاصر خيرا صر

كم للأواخر من مفاخر

لا تحقن جديدهم

كم فى جديدهم جواهر

ودع التمسب للأوا

حل يافتى أو للأواخر

من كان منهم مبدعا

فاعقد عليه عرى الخناصر

وهذه الآيات لا أثر للتكلف فيها.

وامثال الادكاوى فى هذا الشعر يقدمون المجازا
هاما فى اللغة كأداة للشعر والنثر، فهم يحاولون
كشف معانى الكلمات ومرادفاتها وتراتبها وصياغتها
فى عصر كانت هناك لغة جديدة تسعى للظهور
ويعلمون ذلك لطلاب الادب فتغتنى مفرداتهم
وادواتهم اللغوية.

وقد انتشر فى هذا العصر تسجيل التواريخ فى
القصائد بحروف الجمل.

وبيان ذلك أن الحروف الهجائية تتكون من :
أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ،
نخذ ، ضظغ.

أبجد : أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤

هوز : هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧

حطى : ح = ٨ ، ط = ٩ ، ي = ١٠

كلمن : ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠

سعفص : س = ٦٠ ، ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ، ص = ٩٠

قرشت : ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠

نخذ = ث = ٥٠٠ ، خ = ٦٦٠ ، ذ = ٧٠٠

ضظغ : ض = ٨٠٠ ، ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠

وكذلك مما ينظم للتهاني والأفراح. وقد ورد في بعض شعر المديح. أما الغزل والتصوف والهجاء فلم يرد له فيه قط.

وكان يطلب من أحد الشعراء أن ينظم بيتين أو أكثر يختمهما بتاريخ بناء مسجد أو مدرسة أو قصر أو سبيل أو ضريح أو غير ذلك من المباني. ثم كان ينقش ذلك على لوحة من الرخام تثبت في المدخل وبعض الشعراء يسجل اسمه في نهاية القصيدة، وهذا ما عرف من قبل العصر العثماني. كما أن منهم من كان يختتم بعض قصائده بالصلاة على النبي وهذا أيضا مما عرف من قبل.

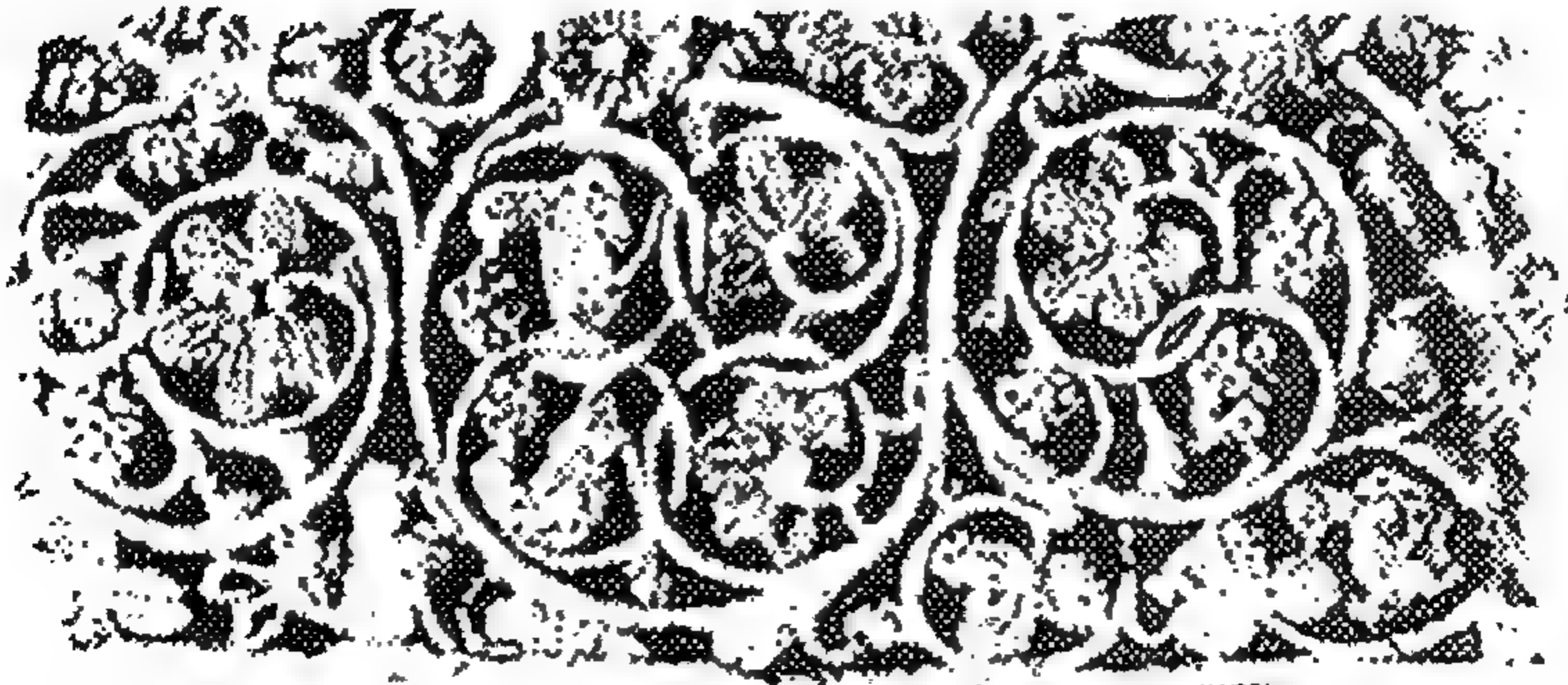
وقد ظهر في هذا العصر ما يقرب من مائة شاعر، وردت تراجمهم ومقتطفات من شعرهم في تاريخ ابن إياس، والكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، والنور السافر في أعيان القرن العاشر، وريحانة الألبا للشهاب الغفاجي، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي، وتاريخ الجبرتي.

واستخدمت حروف الجمل أولا في عبارات لثرية يتألف من مجموع حروفها التاريخ المقصود. وأقدم ما وصل إلينا من هذا النوع قول أحدهم مؤرخا سبيلا أنشأه حروف هذه العبارة بحساب الجمل يساوي ٩٦٦ وهو تاريخ إنشاء السبيل المذكور.

وأقدم تاريخ شعري قول أحدهم في مقتل رجل اسمه محمود:

موت محمود حياة
فيه للعالم رحمه
قتله بالنار نور
وهو في التاريخ ظلمه
فالخروف التي تتألف منها كلمة «ظلمه»
بحساب الجمل تساوي ٩٧٥ وهو تاريخ قتل محمود، لأن ظ=٩٠٠، ل=٣٠، م=٤٠، ه=٥.
ومن هذا الوقت نجد من الشعراء من يؤرخون بعض قصائدهم.

وهناك شعراء كثيرون لم يستخدموا هذا الفن، أو استخدموه مرات قليلة. وأكثر ما يرد التاريخ الشعري في قصائد الرثاء، إذ كان من المستحسن عندهم أن يسجلوا تاريخ وفاة الميت.



بجلال الدين ، وهى :

«ويقال إنه - السلطان سليم - لما دخل مصر كان الشيخ جلال الدين آخذاً بزمامه [زمام جواده]، والشيخ أبو السعود الجارحى على يمينه، والشيخ الدشطوطى على شماله. ويقال إن هؤلاء الأولياء الثلاثة هم الذين ذهبوا إلى الشام وجاءوا بالسلطان سليم وأدخلوه إلى مصر، وهم مشاة في ركابه. وكان يقصر المنازل لأجلهم. وقالوا له : هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وهذه القصة - وإن تكن من غير شك - مختلفة ، إلا أنها تدل على أن جلال الدين كان مائلاً للسلطان سليم. وربما كان مدفوعاً إلى ذلك بما حدث بينه وبين الغورى.

وقد ذكر ابن إياس فى كتابه «بدايع الزهور» حوادث سنة ٩١٧ هـ أن الشاه اسماعيل الصفوى أرسل إلى السلطان سليم رسالة جاء فيها :

نحن إناس قد غدا شأننا

حب على بن أبى طالب

يعيبنا الناس على حبه

فلعنة الله على العايب

فأجابه سليم برسالة جاء فيها :

ما عيبكم هذا ولكنه

بغض الذى لقب بالصاحب

كذبتهم عليه وعلى بنته

فلعنة الله على الكاذب

وكان ان اياس معاصر للحرب بين السلطان

سليم وشاه إيران. وإذا كنا نرتاب فى صدور هذا

الشعر من سليم ، فإننا لا نرتاب مطلقاً فى وجود

طائفة بكريّة أراد السلطان العثمانى أن يكسبها إلى

جانبه فى حربه ضد الشاه الشيعى ، وفى حربه ضد

سلطان مصر السنى قانصوه الغورى. ونلاحظ أن

سليم لم يذكر فى شعره سوى بغض الشيعة لأبى

بكر وكذبهم عليه وعلى بنته ، مع أننا نعلم أن

ظهور فكرة السادة البكرية فى مصر

لم يكن للبكرين فى مصر قبل العصر العثمانى شأن كبير. فقد ذكر صاحب «الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة» أن جلال الدين البكرى انكسر عليه مال للسلطان الغورى فهم أن يعاقبه. فاستجار بصديقه عبد القادر الدشطوطى الذى توسط له عند السلطان فسامحه فى المال. واعترافاً بهذا الجميل وهب جلال الدين البكرى ابنه أبا الحسن للدشطوطى ليلازمه ويكون فى خدمته. ثم إن الدشطوطى جدد مسجد وهب لجلال الدين ، وهو المسجد الذى مازال قائماً بشارع البكرية بناحية بركة الرطلى ، والذى يحمل اسم جلال الدين .

وقال عبد الغنى النابلسى فى رحلته. «إن العسكر المصرى لما ثاروا على السلطان الغورى وأرادوا خلعه ، أتوا إلى الشيخ جلال الدين وقالوا له : نحن نقيمك خليفة على المسلمين فى بلاد مصر ، لأن الصديق جدك كان كذلك فإن السلطان الغورى قد تعدى علينا وظلم ، وجاوز الحدود. فأجابهم بقوله أصبروا فإن سلطانكم قريب. ثم وقع ما وقع وجاءهم السلطان سليم خان من بنى عثمان».

ومن السهل علينا أن ننفى هذه القصة ، لأنها لم ترد فى كتب التاريخ الموثوق بها ، فلم يذكرها ابن اياس. ومن ناحية أخرى لوجود اغليفة العباسى المعترف بخلافته. ومن ناحية ثالثة لأن المماليك كانوا يتنازعون من أجل الملك. وكان نزاعهم يقوم على المطامع الدنية. فليس من المعقول أن يخرجوا ملك مصر من أبناء جلدتهم ويعطوه طالعين مختارين لجلال الدين البكرى.

ثم ذكر عبد الغنى النابلسى قصة أخرى تتعلق

الشيعة يغضون كل من حال بين علي واخلافة
ويكفرونه.

وعلى كل حال فقد كانت سياسة الدولة
العثمانية تعمل على ترويج الخصومة ضد الشيعة،
لأن الدولة كانت في حرب مع شيعة إيران وشيعة
اليمن. فسخرت المؤلفين في كل مكان للطعن في
تعاليم الشيعة وتفنيد آرائهم. ومن هؤلاء الكتاب
الذين تطوعوا لخدمة الدولة: ابن حجر الهيتمي
المتوفى سنة ٩٧٤ هـ فقد ألف كتابا اسمه
«الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة»
جاء في مقدمته «إني سئلت في تأليف كتاب بين
حقيقة خلافة الصديق وإمارة الخطاب. فأجبت إلى
ذلك مسارعة في خدمة ذلك الجنب. فجاء بحمد
الله أنموذجا لطيفا». وأهل الزندقة هم الشيعة في
نظر المؤلف. والباب الأول من هذا الكتاب في بيان
كيفية خلافة الصديق، والاستدلال على حقيقتها
بالأدلة العقلية والنقلية. والرد على الشيعة وإبطالها.
والباب الثالث في بيان أفضلية أبي بكر الصديق
على سائر هذه الأمة. وقد أفرغ المؤلف جهده في
إبطال حجج الشيعة في خلافة علي والوصية التي
يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم وصى بها له.
وعلاوة على ماتقدم فإنه ألف كتابا آخر في
مناقب معاوية. تطهير الجنان واللسان من التفوه
بثلب معاوية بن أبي سفيان مطبوع بهامش
الصواعق المحرقة. وهذا يعتبر ردا على الشيعة
كذلك لأنهم يكفرون معاوية.

وقد ذكر عبد الغن النابلسي في كتابه «الحقيقة
والحجاز» أن السلطان سليم شيد في قناطر السباع
قصورا كبيرا ووهبه للشيخ جلال الدين. ثم إن
العثمانيين منحوا، شيخ البكرين في مصر امتيازات
لم تكن له من قبل، منها الأوقاف الواسعة. ومنها
أنهم جعلوه شيخا لمشايع الطرق الصوفية، يعين

شيوخها، ويتنظر على أوقافها. فاستطاع شيوخ
البكرين أن ينوا القصور الفخمة على شواطئ بركة
الأزبكية، وبركة الرطلى. ويغرسوا بها الحدائق الغناء
ذات النافورات الجميلة ويوردوها بالرياش الفاخرة،
ويقتنوا الخيول الأصيلة، والجواري والعبيد وأن
يتشبهوا بالملوك في حياتهم..

وكانوا يستضيفون الأدباء والعلماء القادمين إلى
القاهرة، فتمكنوا بوساطة هؤلاء من نشر نفوذهم
الأدبي وتعاليمهم من اليمن إلى الحجاز، ومن العراق
إلى الشام ومن مصر إلى شمال أفريقيا، بل وفي
تركيا. وكانت تحمل إليهم هدايا الملوك والأمراء
والأعيان. وكانت شفاعتهم لا ترد، وكلمتهم
مسموعة عند أرباب الدولة. انظر مثلا إلى ما يقوله
صاحب خلاصة الأثر في ترجمة زين العابدين
البكري المتوفى سنة ١٠١٣ «ويلغ صاحب
الترجمة في آخر أمره من الجلالة ونفوذ الكلمة
مبلغا ليس لأحد وراءه مطمع حتى خشية حكام
مصر، وكانوا يداورونه ويتوقعون رضاه».

وانظر إلى ما يقوله محمد الأمين الشامي في
كتابه «نفخة الريحانة ورشحة طلاء الحانة».

«السادات البكرية سادات الوجود، وأولياء النعم
الذين عرفوا بالكرم والجود. يبتهم كالبيت العتيق
يزوره من لبي وأحرم، ومن نال لثم عتبة بابه فقد
ظفر بالحجر المكرم. ثبتت أوتاده وأطنابه، ووصلت
بأسباب السماء أسبابه. لا زحاف فيه إلا في بيوت
حساده، ولا إبطاء إلا على قلوب أضداده. حرم آمن
ليس للحوادث عليه هجوم، ولا لشياطين البغي فيه
استراق، فلذا تستريح شهبه من الرجوم. فهم نور
الكون قبل أن يخلق النيران، وقطب الدائرة قبل أن
تؤمر الأفلاك بالدوران. خالصة لله من عباده أهل
الصلاح وتراب نعالهم كحل عيونهم أهل الفلاح.
مامنهم إلا فتي لثوب العز صاحب، وللوقار مع الصبا

مصاحب. فإذا استوى على كرسيه فملك عليك
المهابة قبل الحاجب حاجب. بحار طمت وعلت
القلل ، متعده منخفضة الوهاد فى صوب العهد،
فتوارت البحار خجلا منها. فى جيد الدهر من
مدايحهم عقود وفلايد، لى إلا كلماتها شذرات
وقوافيها فرايد.

وتدور تعاليم البكرين حول شخصية أبى بكر
الصديق. فنراهم يذهبون فيه مذهب الاسماعلية فى
على ومعلوم أن الاسماعلية قالوا إن نور الله تنقل
من الأصلاب إلى الأرحام حتى اجتمع فى عبد
المطلب، ومنه إلى محمد فالأئمة من أبناء على.
فقال البكرية إن الحقيقة المحمدية انتقلت إلى أبى
بكر وذريته من بعده. فالصديق هو الإنسان الكامل.
وعرفوا الإنسان الكامل بأنه الجامع لم تفرق من
الكملات فى سائر الأفراد الإنسانية ما عدا النبوة.
فهم والحالة هذه متفقون مع الإسماعيلية فى
نظريتهم فى الإمامة التى تقول بمثل هذا القول
تماما. وذكروا فى آية «رب أوزعنى أن أشكر نعمتك
التي أنعمت على وعلى والذى وأن أعمل صالحا
ترضاه، وأصلح لى فى ذريتى، أنها حكاية من
القرآن على لسان أبى بكر فالصديق سأل الله فى
هذه الآية صلاحا خاصا لأسرته، أى أن يعطيهم
مقام الصديقية التى تلى مقام النبوة فى الرتبة. وأتى
«بفى» الظرفية الشاملة لصلاحهم ظاهرا وباطنا،
وهذا نفس ما ادعا الإسماعيلية والشيعة عامة فى
هذه الآية من أنها نزلت فى على وأبنائه من بعد.

وقال البكريون إن الصديق الذى قال فى حقه
«ولسوف يعطيك ربك فترضى» أكرم على ربه تبارك
وتعالى من أن يهين ذريته بإدخالهم النار فى الآخرة.
وقد قال الشيعة من قبل إن هذه الآية نزلت فى

على وأبنائه من بعده.

والصديقية عند البكرين قاصرة على ذرية أبى
بكر التى منحها الله له بصفة خاصة بناء على
سؤال أبى بكر. ومن ذلك نراهم جعلوا الصديقية
هذه فى مقام الإمامة عند الشيعة وهنا يظهر وجه
الاختلاف بين البكرية والشيعة. فالشيعة يقولون إن
ما خص به أهل البيت إنما كان باختيار الله وبأمر
منه دون أن يسأله أحد فى ذلك.

وكما أن الشيعة قالوا بانتقال الإمامة فى ذرية
على بحيث لا يخلو عصر من وجود إمام يكون
حجة الله فى عصره على عباده، فكذلك قال
البكرية بانتقال الصديقية فى ذرية أبى بكر بحيث لا
يخلو عصر من وجود صديق بكرى. قال محمد
البكرى المتوفى سنة ٩٩٤ هـ.

فى كل عصر منهم سيد

مسؤيد بالحق ماحى الريب
وروى عن محمد البكرى أنه قال «يجلس عقبا
مع عيسى ابن مريم على سجادة واحدة».

ولم يقف البكريون عند نسبة الصديقية إلى أبى
بكر، بل جعلوا له حقيقة معنوية تشبه الحقيقة
الحمدية مثل حديث «بعثت أنا وأبو بكر كفرسى
رهان فسبقنى فسبقته ، ولو سبقنى لاتبعت» وهذا
الحديث ورد فى كتب الشيعة مع إبدال كلمة «أبى
بكر» بكلمة «على» فالله لم يبعث محمد وحده،
بل بعث معه أبا بكر، ولم يكن أحدهما يمتاز عن
الآخر، ثم أخذا يتسابقان نحو النبوة فسبق محمد.
وهذا الحديث ذكر بغير اسناد. ولا وجود له فى
الكتب المعتمدة وكذلك شأن جميع الأحاديث
التي أوردها صاحب العمدة.

وذكروا تأييد لهذا الحديث أن أبا بكر كان

يقوم عند السحر ويقعد القرفصاء ويضع رأسه على ركبتيه ثم يرفعها إلى السماء ويتنفس الصعداء ويقول : آخ ، فيطلع الدخان من فيه . فيبكي عمر ، ويقول : كل شيء يقدر عليه عمر إلا الدخان . وأصل ذلك كما ذكروا أن شدة خوف أبي بكر من الله أوجبت احتراق قلبه ، فكان جليسه يشم منه رائحة الكبد المشوى . وسبه كما زعموا أن الصديق لم يحتمل أسرار النبوة الملقاة إليه .

وقالوا في حديث «أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه» إن المعرفة التامة تكشف عن جلال المعرف وجماله . وكلاهما أمر عظيم جدا تنقطع دونه الغايات . ولولا أن الله تعالى ثبت من أراد ثباته وقواه على ذلك ما استطاع أحد الوقوف ذرة على كليهما جلالاتهما . والغاية في الطرفين قد نالها الصديق فقد ورد في الحديث «ما صب في صدري شيء إلا صبته في صدر أبي بكر» . ولو صب جبريل عليه السلام في صدر أبي بكر ما أطاقه لعدم مجراه من المماثل ، ولكن لما صب في صدر النبي وهو من جنس البشرية فجرى في قناة مماثلة للصديق ، فبواسطتها أطاق حمله ومع ذلك احترق قلبه .

ومن هنا نرى أن البكرية كفرقة صوفية امتازت عن غيرها من الفرق ، وذلك بأن أضافت إلى مفهوم الحقيقة الحمدية الصوفى عنصرا جديدا ، هو الحقيقة المعنوية لأبي بكر الصديق ، بحيث تكون هذه الحقيقة الأخيرة ملازمة للحقيقة الأولى ، ولا تنفك عنها منذ الأزل . وقد مر بنا قولهم إن صحبة أبي بكر للنبي أزلية ، أى أن الحقيقة البكرية وجدت مع الحقيقة الحمدية .

وإذا كان الصوفية يقولون إن الأولياء يتصلون بالحقيقة الحمدية فإن البكرين قالوا إن الأولياء يتصلون بالحقيقة البكرية . وقد صور لنا محمد

الثانى بعد الرسول فى الإسلام ، وأول من آمن به ، وثانيه فى الهجرة وثانيه فى الغار ، وثانيه فى دخول المدينة ، وثانيه فى الإيمان بالأسراء ، وثانيه فى الميلاد ، لأن النبى ولد يوم الاثنين وأبا بكر ولد يوم الثلاثاء والنبى ولد لاثنى عشر ربيع وأبو بكر ولد لثلاثة عشر . وثانيه فى القيام بأمر الدعوة الإسلامية ، والخليفة بعده . وثانيه فى القبر وكم للقرآن من أسرار هو فيها ثلثي اثنين ؟ فصحبته للنبي أزلية .

وهناك حديث معناه أن النبى لما كان قاب قوسين أو أدنى من العرش أخذته وحشة ، فسمع فى حضرة الله صوت أبى بكر فاطمان قلبه واستأنس بصوت صاحبه . وقالوا إنه كان بين النبى وأبى بكر إشارات أزلية لا يعرفها غيرهما فكان النبى يقول «يا أبا بكر ، أتدرى يوم لا يوم فيقول أبو بكر . نعم» . ومعناه : أتدرى لما كان كذا وكذا قبل خلق الأيام ؟ وحديث «خلقت أنا وأبو بكر من طينة واحدة» وحديث «كان جبريل إذا قدم أبو بكر على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحادثه يقوم إجلالا للصديق دون غيره» . فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال جبريل : أبو بكر له على مشيخة فى الأزل وما ذاك إلا أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم حدثت نفسى بما طرد به إبليس ، فحين قال الله تعالى اسجدوا ، رأيت قبة عظيمة عليها مكتوب : أبو بكر ، أبو بكر ، مرارا ، وهو يقول : اسجد ، فسجدت من هيبة أبى بكر ، فكان ما كان .

وروا أنه لما مات أبو بكر واستخلف عمر كان يتبع آثار أبى بكر ويتشبه بفعله . فأخذ يتردد على عائشة وأسماء ويقول لهما : ماذا كان يفعل الصديق إذا خلا بيته ليلا ؟ فيقال له : ما رأينا له كثير صلاة الليل ولا قيام . إنما كان إذا جنة الليل

البكرى المتوفى سنة ٩٩٤ هـ الحقيقة البكرية فى
شعر كثير نذكر منه:

هو الجمع فى عين الشهود بلا مرا
تجلى بأنواع من الفيض بالأمر
هو الملكوت الواسع المطلق الذى
تعالى عن الأوهام والذهن والفكر
هو الرحموت الجامع الكلى فى العلا
ومرشد أرباب الهدى سبل الذكر
هو العين من عين لعين تنقلت
وعين هداه قد أفاضت على البحر
هو المركز النورى فى كل حضرة

وجامع ملك الكون فى قبضة الأسر
هو الكل والكل العظيم جميعه
بساطنه كالدر فى مهمه قفر
هويته منه إليه مسيرها
تحدث عن أسرار كل ذى قدر
هو الجامع الأسرار من آدميه
ووارث خير الخلق فى السر والجهر
ومشهد كل العالمين مقامه
ورافعهم فى الله فوق ذرى الفخر
وكل ولى بعد طه وعارف
فنقطة ماء من بحار أبى بكر
ومازال هذا انجد فيه حقيقة

إلى أن بدا المولى أبو الحسن البكرى

ومعنى هذه الأبيات أن أبى بكر اجتمع فيه الحق
والخلق فتجلت فيه الذات الإلهية، وأصبح هو هذا
العالم المتراعى الأطراف الذى لا يستطيع الإنسان
أن يحيط به أو يدرك كنهه. وهو الذى اجتمعت فيه
الرحمة وأصبح هاديا ومرشدا للناس. وهو العين أى
النور الذى تنقل فى الأصلاب من آدم وهو مركز
النور الإلهى، وفى كل مجال يظهر فيه أثر للسر

الإلهى. وفيه تركز هذا الوجود، فهو الخلق والحق
والوجود، والصورة التى يتجلى فيها الحق يوم القيامة
تبدأ منه وتنتهى إليه معرفة عن أسرار. وهو الذى
اجتمعت فيه الأسرار الإلهية من لدن آدم، والذى
ورث خير الخلق، أى النبى محمد عليه الصلاة
والسلام. فهو يمثل العوالم كلها، ويكسبها فخرا
لا حد له. وكل ولى وعارف بعد النبى محمد لا
يغدو أن يكون نقطة من بحار أبى بكر. ومازال هذا
انجد ينتقل فى ذرية أبى بكر حتى ظهر فى شخص
أبى الحسن البكرى.

وقالوا إن دوام ناموس آل الصديق وقيام عزتهم
إلى انتهاء الدنيا ثابت بقوله تعالى «فى ذريتى» فإن
عدتها بالجمل الكبير ألف وأربعمائة وعشرة، وهى
مظنة تمام الدنيا. وعندهم أن من أحب آل الصديق
نجما من كل سوء، ومن كل مكروه. وأن خلافتهم
صدق وحق وقد نص عليها القرآن. قال محمد زين
العابدين البكرى:

وحاشا الذى بالحب والود ينتمى
إلينا يرى سوا وحافظه الولى
خلافتنا بالحق والصدق قد أتت
أدلتها عن نص ذكر مرتل

وقال محمد البكرى إنه ورث الخلافة عن النبى:
ورثت النبى فلى من ربه
مقيل خلافة والمسرح

ومنكر آل الصديق كافر قال:
إن السدى ينكرنا
لقد أتى إحدى الكبر
وكل من يعترفنا
نال الأمانى وظفر

وقالوا إن الألف «فى ألم» كل آية وردت فيها (ألم) تشير إلى أبى بكر، واللام إلى الله، والميم إلى محمد. وفى ذلك يقول محمد البكرى:
لئن كان فخر الأكرمين صحائفنا

فلنا لآيات الكتاب فسواح
وأطالوا القول فى آية «ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه» وفى الحديث الوارد عن النبى على السلام حين مرض وهو «مرروا أبى بكر فليصل بالناس».

والى جانب علو البكرية فى أبى بكر فقد طعنوا فى الشيعة، واعتبروهم جميعا رافضة وقالوا إن الرافضى إذا أشرف على الموت يقلب الله صورة وجهه وجه خنزير، فلا يموت إلا إذا صار وجهه كذلك، فإذا رآه أهله فرحوا واستبشروا لأنه مات على الرضى. أما إذا لم يحدث ذلك فإنهم يحزنون ويقولون إنه مات سنيا.

وأول شخصية بكرية ظهرت فى العصر العثمانى وتركت آثارا أدبية هى شخصية أبى الحسن البكرى المتوفى ٩٥٢ هـ وسبق أن ذكرنا أن أبى الحسن لازم الدشطوطى. وقد حدث أن زار مصر أحد كبار متصوفة الشام فى ذلك الوقت وهو «رضى الدين الغزى» فأمر الدشطوطى أبى الحسن أن يأخذ عنه التصوف. ولم يلبث أبى الحسن أن استوعب تعاليم الصوفية وبخاصة ابن عربى وابن الفارض. ثم ذهب لأداء فريضة الحج واتصل بكثير من علماء الأقطار الإسلامية. ولما رجع من الحجاز زاول التدريس بمسجد والده جلال الدين، وبالجامع الأزهر. ومؤلفاته التى وصلت إلينا يغلب عليها الجمع، إذ هى أحاديث نبوية فى موضوعات شتى. مثال ذلك «غاية الطلب فى فضل العرب» و«تحفة

العجلان فى فضائل عثمان» و«الانتباه إلى فضائل لا إله إلا الله»، وغيرها. وكل مؤلف من هذا يحتوى على أربعين حديثا بإسنادها. وقد ترجم له الشعرانى فى ذيل طبقاته فقال «الصوفى المحدث، نادرة الزمان، الشيخ أبو الحسن البكرى - رضى الله عنه - أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الإسلام والتصوف كالشيخ رضى الله الغزى. وتبحر فى علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث وغير ذلك. وكان له النظم الشائق فى علوم التوحيد. وأطلعنى مرة على تائيه عملها نحو خمسة آلاف بيت أوائل دخوله فى طريق القوم، ثم إنه غسلها وقال إن أهل زماننا لا يتحملون سماعها لقلة صدقهم فى طلب الطريق».

وقال محمد اليمنى فى كتابه «السنا الباهر» ما نصه «وقال جماعة إنه - يعنى أبى الحسن البكرى - بلغ رتبة الاجتهاد، وصنف التصانيف الكثيرة المحررة الشهيرة. منها ثلاثة شروح على المنهاج، وثلاثة شروح على الإرشاد، وشرح العباب، وشرح الروض، ومختصر الإيضاح وشرحه. وعدة متون فى الفقه، وعدة رسائل فى التصوف، وغير ذلك، وكل كتبه محررة، ومسائلها مقرر. وانتشرت تصانيفه فى سائر الأقطار، وانتفع بها الكبار والصغار. وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وتخرج به العلماء العارفون. وله نظم نضد فيه عقود الجواهر، يقصر عنه كل أديب وشاعر. وله موشحات توحيدية لم ينسج على منوالها أحد من البرية».

لكن ديوان شعره لم يصل إلينا. وقد أورد له صاحب الكواكب السائرة قصيدة طويلة فى التصوف والحب الإلهى، والوعظ والإرشاد والمناجاة، نذكر منها:

أنتم معانى الكائنات فأيما
أنتم حللتم حلت المركبات

لله ما أحلى قديم حديثكم
ذاك الذى هو للقلوب حياة
تحيا قلوب العارفين بذكركم
والجساهلون قلوبهم أموات
عننى الزمان بمدحك مستعللا
فرحا فكل جهاته نعمات
ومنها:

وبدا منا مصباحكم فقلوبنا
كزجاجة وصدورنا المشكاة
وقع النداء لنا ألت بريككم؟
قلنا: بلى وأجابت الذرات
ولكن المذهب الصوفى لأبى الحسن لا يظهر فيها.
ولا يستج من قوله:

..... فأينما

أنتم حللتم حلت البركات
أنه يدين بمذهب الحلول، لأن أتباع هذا
المذهب يقولون بحلول الله فى جميع المخلوقات
الطاهرة والشريرة. والمخلوقات الشريرة لا يمكن أن
تكون محلا للبركة الإلهية التى يذكرها الشاعر.
وقد نوه البكريون بشأن أبى الحسن كثيرا فى
كتبهم ورسائلهم، ورووا له الكرامات والخواص.
واعتبروه مؤسس مجدهم الأدبى والصوفى
والاجتماعى. فانظر إلى ابنه محمد البكرى حين
يقول:

وكل ولى بعد طه وعارف

فنقطة ماء من بحار أبى بكر
وما زال هذا المجد فيه حقيقة
إلى أن بدا المولى أبو الحسن البكرى
فحاز جميع الإرث وازداد أمره
به منه ما يديه عن شأنه ذكرى
فمن ذاك أن العين حقا تقابلت
بعين تجلى الحق فى أحمد السر

فودت تجليها بها فتعينت
بطلعتها فى الذات من دون ماستر
فأصبح مخطوب الجمال ورونق الـ
كمال وحامى الحق بالبيض والسمر
وعالم هذا العالم الأكبر الذى
توسع حقا فى مراتبه الفر
وهيكل أسرار التجلى وقطبها
ومشرق بدر السر فى ليلة القدر
ولا عجب أن يطلع البدر فى الدجى
بأية وقت شاءه ملك الأمر
ووارث تكليم الكليم وحائز الـ
كلام بما يديه فى الكلم العشر
فروض ربه روض تربته التى
يفوق شذاها المسك فى طيب النشر
ولوح به رقم العلوم بأسرها
وسر نظام الكون فى البر والبحر
فلم يذكر الشاعر أحدا من أجداده بل قصر
كلامه على والده. وقال إنه كالبدر الذى طلع فى
الظلام، ولا عجب فى أن يطلع البدر فى أى وقت
متى أراد الله ذلك. ويريد بالدجى خمولى الذكر
الذى لازم أسرت مدة من الزمن، ولم يتبدد إلا
بظهور أبى الحسن الذى حاز إرث الصديق وأضحى
موضعا لتجلى الأسرار الإلهية، متعمقا فى علوم
الحقيقة التى تلقاها عن الله مباشرة كما تلقى
موسى الوصايا.

ولما مات أبو الحسن خلفه فى مشيخة السجادة
ابنه محمد البكرى الكبير المشهور بأبيض
الوجه، المكنى بأبى بكر، وأبى المكارم، وقد ترجم
لنفسه فذكر أنه ولد عام ٩٣٠ هـ ثم تحدث عن
نشأته وحياته الدراسية واشتغاله بالتدريس والتأليف،
وماله من نظم ونثر. وردت هذه الترجمة فى كتاب
«عمدة التحقيق فى بشائر آل الصديق» تأليف أحد

دعاة البكرين في القرن الحادى عشر، وهو ابراهيم العبيدى المالكى الذى شغل وظيفة الافتاء فى البحيرة. وقد رآه عبد الغنى النابلسى حينما زار مصر سنة ١١٠٥ هـ وذكره فى رحلته.

قال محمد البكرى إنه ختم القرآن فى أواخر السابعة من عمره، وصلى به إماما (إمامة الصبى جائزة عن الشافعية والمالكية) فى تراويح رمضان فى مقام السادة المالكية عند الكعبة وهو فى الثامنة. ثم حفظ ألفية بن مالك والتنبيه لأبى اسحاق الشيرازى فى فقه الشافعى قبل تمام العاشرة. وكان مواظبا على حضور دروس والده، فأخذ عنه التفسير والفقه والحديث. ولم يذكر أنه تتلمذ لأحد سوى والده.

ثم شرع فى التأليف وهو فى السادسة عشر. فشرح كتاب الاختصار فى فقه الشافعى، وقطعا من مؤلفات فقهية، ورسائل كاملة فى التصوف وزاويل التدريس فى مسجد جده المشهور بالجامع الأبيض. ثم خلف والده فى التدريس بالجامع الأزهر.

ورث محمد البكرى عن والده ثروة طائلة مكتبته من أن يعيش كما قال الشعرانى عيشة الملوك فى مسكنه وماكه، وملبسه ومركبه، وجواره وعبيده. وكان الناس ينكرون على البكرين الجمع بين الغنى وحياة التصوف التى ينبغى فى نظرهم أن يكون طابعها التقشف والفقر. ولكن البكرين ومنهم محمد البكرى كانوا لا يرون تناقض بين الغنى والتصوف ويحتجون بقولهم أن أبا بكر كان له ثلاثمائة وستون كرسيًا، على كل كرسي حلة بألف دينار، وأن عبد الرحمن بن عوف كان من أغنياء الصحابة. ونحن نعرف من التاريخ أن أبا بكر عاش فى الإسلام فقيرا ومات فقيرا فإن صحت دعواهم فى عبد الرحمن بن عوف فإنها لا تصح فى أبى بكر. واحتجوا كذلك بقوله تعالى «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» - الأعراف آية ٣٢. وقوله صلى

الله عليه وسلم «كل طيبا، والبس طيبا، واعمل صالحا».

تمتع محمد البكرى فى حياته بنفوذ أدبى واسع، وتبادل الرسائل مع الملوك والأمراء والوزراء والأعيان فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى. وكانت تصل إليه الهدايا النفيسة، وكان مقبول الوساطة. وقد ذكره الشعرانى فى ذيل طبقاته وأثنى عليه كثيرا. كما ذكره عبد الرؤوف المناوى فى طبقاته - كتاب «الكواكب الدرية ويعرف بطبقات المناوى» - الطبقة العاشرة - فقال - (.... رزق من القبول والحظ التام عند الخاص والعام مالا تضبطه الأقلام. وكان فصيح اللسان، ذكى العصر والزمان. يلقى دروسا فى التفسير محررة موشحة بمناقشات كبار المفسرين كالزمخشري وأضرابه ويأتى فى تقريره بما يدهش الناظر ويحير الخاطر. واختص فى زمنه بإلقاء دروس التصوف الحافلة البديعة. ولم أر أحد من علماء عصره مثله فى صفاته وخلو مجلسه من اللفظ واللفظ والغيبة. فكان مجلسه لا يذكر فيه شىء من ذلك البتة، بل كله فوائد علمية. إما تفسير بعض آيات قرآنية أو أحاديث نبوية. وسمعته يقول: هذا القص الواقع فى وعظ زماننا يستحقون عليه القص. وكان الباشا وقاضى العسكر فمن دونهما من الأمراد والكبراء يأتون إليه ويخصونه من بين أقرانه بالزيارة مرارا وكرارا كثيرة).

وإذا كان بعض معاصريه أنكر ولايته لأنه لم ير له كرامة فإن البكرين اعتقدوا فيه الولاية، ورووا له الكرامات الكثيرة. وقالوا إذا كانت لك حاجة إلى الله وأنت فى أى مكان من الأرض فتوجه نحو قبره وقل «ياشيخ محمد، ياابن أبى الحسن، يا أبيض الوجه، يا بكرى، توصلت بك إلى الله تعالى فى قضاء حاجتى، فإنها تقضى، وهى مجربة فيما زعموا».

ويعتبر محمد البكرى أعظم شخصية بكرية ظهرت في مصر خلال العصر العثماني. فهو الذي وضع الحزب البكرى المشهور الذي انتشر بين أتباع الطريقة البكرية مدة طويلة. وهو أول من اتخذ شعره وسيلة للدعاية للتعالم البكرية. وقد ترك ديوانا ضخما.

ولمحمد البكرى ، عدا هذا الديوان الضخم، مجموعة رسائل عنوانها «دستور الغرائب ومعدن الرغائب» وله كذلك بعض الرسائل في التصوف. وسنقصر الكلام هنا على شعره.

شعر محمد البكرى ، عد القليل منه ، في التصوف. ولكي نقف على حقيقة مذهبه الصوفي سنضع أمامنا بعض ما يكشف لنا عن آرائه الصوفية فمن ذلك قوله:

كم أناس توغلوا في الدعاءوى

زعموا أنهم من الأبرار
بل من العارفين بالله لكن

قسموا إنهم من الكفار
أطلقوا وحدة الوجود وقالوا

كل شيء هو الإله البارى
يا لقومى أما لطف نصير

غاب من لم يكن من الأنصار؟
أى شخص يقول آمنت بالله

به ويرضى مقالة الفجار؟
وتراهم تمشدقوا بأكاذيب

سب افتروها بالنشر والأشعار
أطرقوا الرأس حيلة لخطام

وسعوا فيه حيلة الأفكار
قائل منهم أنا الحق وال

كل أنا وحدة بلا إنكار
وغدوا في أثواب زور ولبس

وشنار وذلة وعوار

في هذه الأبيات تعريض شديد بالاتحاديين (مذهب الاتحاد ينص على أن الخلق متحد مع الحق) والخلوليين (مذهب الخلول ينص على أن الله حال في المخلوقات) : والقائلين بوحدة الوجود. واتهام لهم بالكذب والتزييف، والغش والخداع، فضلا عن الكفر والفجور. وقد كرر هذا في مواضع كثيرة من شعره. فمن ذلك قوله:

ما حلت، بل جلت وما اتحدت

بمشرق ، لا ولا المعنى بمنقسم

وقوله :

خلول محال واتحاد مخالف

لوحده فالوصف فيه تلونا

وقوله :

حيرة عمت الوجود فأعمت

عن سناها قوم وصحبا وآلا

فاستمع لى واستنصت الكون وافقه

ما إليك انتهى وخل الخيالا

ليس في مظهر يحل حبيبي

هو أعلى قدرا وأهى كمالا

لا ولا باتحاده قال قوم

عرفوه حاشا لذا أن يقالا

فإذا كان محمد البكرى كما ترى ينكر مذهب الاتحاد والخلول ووحدة الوجود ويكفر أصحاب هذه المذاهب، فبأى رأى كان يدين؟ الواضح من شعره أنه كان يقول بوحدة الشهود، أى أنه يذهب مذهب ابن الفارض مع فارق عظيم، وهو أن محمد البكرى يقول بالحقيقة البكرية التى تتقل في ذرية الصديق، والتى امتازت بها هذه العائلة عن غيرها من الناس. ولو أنه قال بمذهب الاتحاد أو الخلول أو حدة الوجود لفقد هو وأفراد بيته الميزة الوحيدة التى يتمتع بها، وذلك لأن المذاهب السابقة تسوى بين

الناس وتجعلهم كلهم متصلين بالذات الإلهية، فلا ميزة لأحد على أحد. وهو يريد أن يكون ليته مكانة خاصة وميزة لا يشاركه فيها غيره، ألا وهى وراثته للحقيقة المحمدية والحقيقة البكرية. وإذا كان محمد البكرى قد كفر القائلين بالحلل والاتحاد ووحدة الوجود، فإن الإسلام الصحيح يرا من التعاليم البكرية والقائلين بها، والمروجين لها.

ذكرنا أن محمد البكرى كان يدين بمذهب وحدة الشهود. والمؤمنون بهذا المذهب يقولون إن الله يتجلى لكل من يخلص له فى عبادته ويفنى فى حبه. قال محمد البكرى:

ولاحت لنا فاستغرقت كل واحد
وصارت له فينا عن الأين طاويه
مقدرة سر الوجود بوحدة الشـ
هود فلا تلقى هنالك ثانيه

والمعنى أن الذات الإلهية تجلت وتكشفت وجذبت نحوها هؤلاء المتصوفة فغابوا عن الزمان والمكان، ولم يشعروا بوجودهم من فرط النشوة. ويعبر محمد البكرى عن مذهب وحدة الشهود مستدلاً بقصة موسى عليه السلام حينما رأى النار وتوجه إليها فتجلى له الله سبحانه وتعالى وكلمه. قال:

جمعتنى منك حتى كنت منك بما
قدست فيه لموسى ذلك النادى
جعلت بالشجر الخضر نارك فاعـ
تزت بنورك جميعا سرحة الوادى
فظنها المطلب المقصود فابتدر الـ
مشهود حتى تبدى أنك البادى
ما أنت نار ولا نور تقسمه الـ
أحلام هيهات أنت الواحد الهادى

فأمن بكشف حجاب أنت ناسجه
عليك منك وقرب كل قصاص
فى هذه الأبيات إشارة إلى قوله تعالى على
لسان موسى (امكثوا إني آنست نارا لعلى آتاكم
منها بقبس أو أجد على النار هدى) - طه آية ١٠ -
ويقول المتصوفة إن الله تجلى لموسى فى صورة النار
لأنها عين مطلوبة من جهة ومن جهة أخرى فإنها
رمز القهر والمحبة، لأنها تفنى كل ما اتصل بها. أى
كل من تحقق من وحدته الذاتية وهذا الفناء هو
الذى الذى يعبر عنه المتصوفة بالجمع. والنار كذلك
رمز المحبة لأنها مصدر النور المحبوب لذاته.

وينكر محمد البكرى لبس الصوف والمرقعات.
لأنها لا تتفق مع ما كان عليه من غنى قال:

وما مذهب للفيلسوف وفرقة
بليسته للصوف مذهب شرعتى
ومن مصطلحات الصوفية الواردة فى شعره:
١ - الجمع والفرق : الجمع الحالة التى يشعر
الصوفى فيها بوحدة الحق والخلق، ويفنى عن
نفسه وعن كل ما سوى الله. فهى حالة غيبية
روحية وعكسها حالة «الفرق» التى يكون فيها
فى حالة صحو، أى حينما يشتغل بأمور الدنيا.
قال:

وأبعد الجمع عنهم فى شئو نهمو
ما يحجب العين من غبن ومن كدر
فالحق بالحق مرآة لشاهدهم
وليس ثم سوى العشوق للفطر

٢ - البسط والقبض : البسط هو النشوة التى يشعر
بها الصوفى فى حالة فنائه بالذات الإلهية.
وعكسه القبض، وهو الضيق والتبرم الذى يقع
فى حالة الصحو. قال:
وأطلقهم بسطا بكل لطيفة

وقيدهم قبضا بدائرة الفتا

٣ - الطي والنشر ، وهما كالجمع والفرق . فالطي : انطواء الخلق في الحق في حالة الفناء ، أو الغيبة الروحية . وعكسه النشر . قال :

نشر وطي حكمة قدسية

معدى ومي ظلة رسميه

٤ - الوتر والشفع : الوتر هو الذات الإلهية . والشفع هو العالم ويقول المتصوفة إن الذات الإلهية إذا نظر إليها مجردة عن جميع العلاقات والنسب لم يكن لها دلالة ولا إشارة إلا على نفسها . أما العالم الذي هو كثرة من صور الوجود فله إشارتان : إشارة إلى نفسه ، وإشارة إلى الذات المندرجة في كل صور من صوره . والحقيقة أن الوتر هو الشفع ولكنهما متغايران في الذهن ، كما أن الواحد العددي هو عين الأعداد كلها ولكنه مغاير لها ذهنا . وهذا الرأي الرياضي قديم ذهب إليه اليونان ، فقالوا إن الواحد أصل العدد ، وكل ما يأتي بعده فهو مندرج فيه . فالإثنان عبارة عن واحد زائد واحد . والثلاثة عبارة عن واحد ، زائد واحد ، زائد واحد . وكذلك سائر الأعداد . وقد أخذ إخوان الصفا عن اليونان هذه الفكرة فقالوا إن الواحد أصل العدد ومنشؤه ، وأوله وآخره . قال محمد البكري :

ومنه شفعه الأزهر

بدا في الخلق بالوتر

وقال :

واستغرق الشفع بالوتر المحيط ولا

ترك لنفسك مهما غير مرمي

٥ - اللاهوت والناسوت : يقول المتصوفة إن لكل موجود ناحيتين : ناحية الباطن أو الحق ويسمونه باللاهوت . وناحية الظاهر أو الخلق ويسمونها بالناسوت . قال محمد البكري :

فلم أدر ما الناسوت أين ولا الذي

تعين باللاهوت عن وصف نسبة

٦ - الفيض : تجلى الذات الإلهية . قال :

هو الجمع في عين الشهود بلامرا

تجلى بأنواع من الفيض بالأمر

وتكون بمعنى خروج شيء من شيء ، مثال ذلك

قوله :

وعطر الأرج القدسي حلتنا

ولفاض من معصرات الغيب وادينا

٧ - التعينات : وهي مجالي الذات الإلهية . فكل ما يتجلى فيه الله يسمى التعين . قال :

وفي العروش والواح النقوش كما

شاء التعين في مثل وفي مثل

٨ - البرزخ : حالة ما بين الفناء والصحو . قال :

فأشباحهم في برزخ من شهوده

وأرواحهم في غيبة القرب والغنى

٩ - الحيرة : الحالة التي يرى الصوفي فيها الحق في

كل شيء . ويرى الواحد كثيرا ، والكثير واحدا ،

والأول آخر ، والآخر أولا ، إلى غير ذلك من

الأمور المتناقضة التي توقع النفس في الحيرة

وتجعلها هائمة على وجهها ، دابة الحركة في

دائرة الوجود ، قال :

هديت بالغرة من ضل في

طرتك الدهما وحيرتني

١٠ - القدوس والسبوح: هما من أسماء الله. ومعناهما المنزه، وإن كانوا يقولون إن القدوس أخص في معنى التنزيه من السبوح وأبلغ، إذ التقديس تنزيه الله عن كل صفات الممكنات ولوازمها حتى كمالاتها، وعن كل ما يتوهم ويتعقل في حقه تعالى من الأحكام الموجبة للتحديث والتقييد. وبعبارة أخرى التقديس هو نهاية التجريد، ولا تقول به إلا النفوس المجردة التي لا صلة لها بالأمور المادية. قال محمد البكرى:

إلى القدوس الذاتى والمعهد الروحى
إلى ملكوت منه يظهر سبوحى

وقال:

وقد دخلوا لكن ييوت وجودهم
وأدخلنى القدوس أى جناب

١١ - السر المحيط والسر البسيط. يطلق الأول على الذات الإلهية، والثانى على الإنسان قال:
وعزة السر المحيط مركب السر
سر البسيط بطينة وتراب

١٢ - النفخ، وهو خروج شىء من شىء، أو فيض شىء من شىء. قال:
ولقوله ونفخت فيه آية
تعطى القلوب من المنى ما تطلب

١٣ - الأحدية والضمدية: الأحدية اسم للذات المجردة عن جميع الأسماء والصفات. والضمدية نسبة إلى الضمد، من أسماء الله تعالى. قال:

فى روضة أحدية صمدية

أنا لى بهما منى المغنى المطرب

١٤ - الهوىة: الصورة التى يتجلى فيها الحق يوم القيامة. قال:

يا هوياات صفات ظهرت
فى ذوات بالتجلى قهرت

١٥ - قرآن وفرقان: استخدم المتصوفة كلمة «قرآن» بمعنى الدعوة إلى تنزيه الله. فمن دعا إلى تنزيه الله فهو قرآنى. وقد ردد محمد البكرى هذه الكلمة فى شعره فقال:
قرآن عرفانى الأعلى يكلمكم

فاسمعوا وانصتوا يا جملة الأمم
وكذلك استخدموا كلمة «فرقان» ومعناها لا يختلف عن «قرآن» قال محمد البكرى:
فيعينى منه لائحة

ظهرت جمعا بفرقان

١٦ - النكاح: يرى المتصوفة أن أعظم اتصال جسمانى بين الرجل والمرأة هو النكاح، إذ فيه يتوجه الرجل لإيجاد ولد يكون على صورته ويخلفه من بعده. لذلك شبهوا توجه الله إلى خلق آدم ونفخه فيه من روحه ليكون على صورته ويخلفه ويرى فيه نفسه؛ شبهوا هذا بالنكاح قال محمد البكرى:

وعزة قد أنكحتهما بكثير

وقيس لليلى صار فى شرعتى بعلا

فولد ذاك البعل منها مشاهدا

يعددها شكلا ويجمعها شملا

١٧ - التابوت: وهو فى اصطلاح الصوفية

الجسم الإنسانى . وقد ورد ذكر التابوت فى قوله تعالى «وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتىكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيته مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة» البقرة آية ٢٤٩ والمراد بالسكينة عند المتصوفة : الحضور الإلهى، أو الله نفسه.

وفى هذا المعنى يقول محمد البكرى:

وقابلك التابوت فيه بقيه

يضم بها التابوت من سره شملا

١٨ - العارف: هو الولى أو الإنسان الكامل الذى تحققت فيه كل صفات الوجود، فكان مظهرا تاما وكونا جامعا لها وقلب العارف من رحمة الله، وهو أوسع منها لأنه رسع الحق جل جلاله. ومن خصائصه أنه يشاهد الحق فى كل مجلى، ويراه فى كل شىء، ويعبده فى كل صورة من صور المعتقدات. وقد وصف محمد البكرى نفسه بأنه عارف الوقت، ومخصوص الزمان. قال:

الفتى البكرى مقدام الوغى

عارف الوقت ومخصوص الزمان

١٩ - الحكمة: والمراد بها عند الصوفية التعاليم الباطنية التى اختص بها النبى محمد عليه السلام وورثها من بعده البكرية. وأطلقوا على هذه التعاليم اسم العلم الباطن. وهو عندهم علم الطريق الصوفى، وما ينكشف للصوفية من حقائق الأشياء، ومعانى الغيب. قال:

ينزل الحكمة فى روضها

غيثا تعالى الله من ودقه

ومن خصائص الحكمة أنها تنزل على القلوب،

لا على العقول.

تجلى المطلق الأعلى

فجلى نوره الأدوار

٢١ - ذات الذوات . ومعناها الحقيقة الحمدية. قال:

هو السر فى ذات الذرات تقابلت

شواهده فى نفس وطينة

٢٢ - الولى: الولاية عند المتصوفة أساس المراتب

الروحية كلها. فكل رسول ولى، وكذلك كل نبي. وأخص صفات الولى المعرفة، أى العلم

الباطن. والنبوة والرسالة تنقطعان لأنهما

مقيدتان بالزمان والمكان. أما الولاية فلا

تنقطع. وقد وردت كلمة «ولى» فى مواضع

مختلفة من شعر محمد البكرى. قال:

فعماء يذكرنا وذلك سؤالا

فهو الولى ابن الولى ابن الولى

فهم الولى ابن الولى ابن الولى

٢٣ - الحضرة: المجلى الذى يظهر فيه أثر الإلهى من

نوع خاص. أو المجال الذى يظهر فيه فعل إلهى

خاص. قال:

وانجلت آزال حضرته

من شئون البدء فى الأبد

وقال:

حدثنا الواحد عن واحد

عن حضرة المشهود والشاهد

وقال:

هى الروح والروح أمر خفى

دق إلا عن حضرة الرحمن

فحضرة الرحمن هى مجموعة المجالى التى

يظهر فيها أثر الرحمة الإلهية.

٢٤ - التخلل: هو سريان الحق في صورة الموجودات جميعها. قال:

تخلل روحى حبه فهو شاهدى

ومشهود روحى فى جميع المشاهد
ويفسر الصوفية كلمة «خليل» فى قوله تعالى
«واتخذ الله إبراهيم خليلاً» - النساء آية ١٢٥ -
بالتخلل وهو السريان.

٢٥ - أسماء الذات: قال المتصوفة إن الكون هو الأسماء التى أطلقها الله على نفسه. وغاية الخلق عنده أن يرى الله نفسه فى صورة تتجلى فيها صفاته وأسمائه. أو بعبارة أخرى يرى نفسه فى مرآة العالم. وإلى هذا يشير محمد البكرى فى قوله:

أسماء الذات تجلت فى

ستر الأوصاف وذا الأرب

هذه أهم المصطلحات الصوفية التى أوردها محمد البكرى فى شعره. وقد أخذها كلها من كتب ابن عربى وبخاصة فصوص الحكم الذى يشير إليه بقوله:

نقشت فى فصوصنا حكم الـ

وصف فرحنا نحير فى الحكماء

وقد سبق أن ذكرنا أن البكرين أضافوا إلى جانب الحقيقة الحمديدية بمعناها الصوفى؛ حقيقة أخرى هى الحقيقة البكرية. قال محمد البكرى:
وأعلنت نورى فى مشاهد حضرة الـ

جمال على أعلام أعلام ملتى

وقدست هاتيك المنازل عن سوى

تنزل عرفاتى ببطحاء مكة

ومنى بصدى صديق مطهر الـ

وجود ومرأتى وعين سريرتى

وما ثم إلا أن أمسى أراه

وتحقيقه فى نظرة أى نظرة

ولولاي ما لى لى ولاية

وقد وليت هذا اللوا أوليتى

فقل لأهيل الحق قالة صادق

تألى عليها بالعهد الوثيقة

عليكم بباب الله باب محمد

فلوذوا به قبل انخرام المنية

وفوزوا بتقبيل الثرى فى رحابه

ولا تشنوا عنه بصارف شهوة

فهو فى هذه الأبيات يشير إلى ورائته للحقيقة البكرية، فأمره أمرها. ولولاه ماظهر الأولياء. ثم ناشد أتباعه ومريديه أن يلجأوا إليه ويلتفوا حوله، ويلوذوا ببابه الذى هو باب الله حتى يفوزوا برضى الله. وقد عنى نفسه فى قوله «عليكم بباب الله باب محمد» إذ أن اسمه محمد. فمن لاذ ببابه وقبل ثراه فقد ظفر بالحسنى وزيادة، وأصبح مقرباً من الله. وقال:
أما بالصدق والتصدق

مروالى حضرة الصديق

مجالى طلعة التحقيق

وأهل الفيض والذكر

وفى آل أبى بكر يقول:

لهم نفحات هب نشر نسيمها

فمن طيبها كل المعاهد عطورا

لهم السن عن ربهم بشئونه

تحدث عنه منه فيه وتخبر
 لهم عزمات لو أشاروا ببعضها
 ليذبل أو رضى لهدوا وفطروا
 لهم رحمت لو يقابل فيضها
 ذنوب البرايا أصبحت وهى تغفر
 لهم نظرات صاحبته عناية
 بها الفقر يفتنى مثلما الجبر يكسر
 مفاتيح أسرار القلوب وحضرة الـ
 غيوب ومن أسرارهم ليس تحصر
 خلائف أقطاب ملوك أئمة
 ميامين من جدواهمو فاض كوثر
 بنو الصديق والصدق أفضل سيد
 مآثره بعد النبيين تذكرو
 محبهمو فى ذمة الله آمن
 بعزمهمو يرعى ويحمى وينصر

هذه بعض خصائص العائلة البكرية . فهم أهل
 التقوى والورع، وأهل العلم الباطن. وهم أولو العزم
 والطول، وأهل الرحمة الذين أودع الله فيهم
 أسرارهم. من أحبهم فقد نجا من الهلاك، وأمن على
 نفسه من شرور الدنيا وعذاب الآخرة.
 وأبو بكر الصديق أفضل الوراثين للنبي صلى
 الله عليه وسلم . قال:
 عليك صلاة الله ثم سلامه
 يدومان ما قلب لنحوك منبعث
 وآل وأصحاب ولا سيما الذى
 هو الصادق الصديق أفضل من ورث

ويصف محمد البكرى نفسه بأنه يضىء العالم
 بخلافته، ويغيث المهوف، ويحمى الضعيف،
 ويكشف الخطوب، ويفرج الكروب. وباسمه يزول

البؤس والضر. قال:
 وانى لقدس العالم الأحدى من
 إضاءة بدرى بالخلافة لألاءوانى إذا
 المضطر نادى أغثته
 وتكشف عنه بالعناية حواء
 وانى أحمى من أشاء بإذنك الـ
 على وتأتية بمنك سرراء
 وانى كشاف الخطوب وفارج الـ
 كروب وباسمى زال بؤس وضراء
 وانى سبط المصطفى أحمد الذى
 شريعته يمن ويسر وسمحاء
 وانى من أبناء صديقه الذى
 بأسراره سادت أصول وأبناء
 ففخرا لأتباعى وخدام حضرتى
 وبالله أوليهم جميع الذى شاءوا

نجد مثل هذا منبثافى ديوانه. فهو لم يترك الناس
 ليعتقدوا فيه ما شاءوا ، وينسبوا إليه ما يحلو لهم
 من الكرامات والخوارق، بل أخذ يدعو لنفسه،
 وينوه بفضائله وخصائصه، وما حبى به من القدرة
 الفائقة على إغاثة المهوف وحماية الضعيف. ودعا
 أتباعه لأن يفخروا به ويتمسكوا بأهدابه. وقد وضع
 لأتباعه ومريديه أناشيد خاصة يتغنون بها فى
 حلقات الأذكار. وفيها تقديس عظيم لآل الصديق.
 فمن ذلك قوله:

يا نفحة نبوية يا نفحة بكرية
 يا بهجة أحدية يا عزة صمدية
 يا حضرة قدسية فيها الأمانى للأريب

الفوئ بالفرج القريب
 يا آل صديق الحبيب
 اصدق وصدق ما مريد واترك مماراة العميد

واسلك على النهج السديد واتبع لنا الراى الحميد
فأنا المخلص بالمزيد

وأنا النجيب ابن النجيب
الغوث بالفرج القريب
بآل صديق الحبيب

هكذا اتخذ محمد البكرى شعره وسيلة للدعاية
له وليت الصديق. وكان هو كرئيس حزب دينى
كبير يرغب فى طبع أتباعه بطابع خاص حتى
يمتازوا عن غيرهم. وهذا الطابع هو ترتيبهم على
حب آل الصديق وتقديسهم، والولاء لهم فى السر
والعلن، وإخلاص الاعتقاد فيهم. ولا يتيسر ذلك إلا
إذا شغلهم بمثل تلك الأناشيد، يضعها فى أسلوب
سهل عذب، له رنة موسيقية حلوة. وكان أتباعه
يحفظون هذه الأناشيد ويتغنون بها، وينقلونها من
مكان إلى مكان فذاعت وانتشرت على كل لسان.
وهو يذكر بعد النفحة النبوية النفحة البكرية. وهذا
طبعى لأنه يريد أن يصرف الناس عن حب آل على
المعادين للسلطنة العثمانية ويجعلهم لا يؤمنون إلا
بأبى بكر وآله الموالين للسلطنة العثمانية. فالحقيقة
البكرية التى هى هدفه الأول والأخير، والتى اجتهد
فى الدعاية لها وحمل الناس على الإيمان بها،
ظاهرة ظهورا واضحا فى هذا الشعر وتلك الأناشيد.
وكما أن محمد البكرى تأثر بكتب ابن عربى
وخاصة فصوص الحكم، فإنه تأثر كذلك بابن
الفارض. فنظم فى الحب الإلهى والخمرة الإلهية
شعرا كثيرا نسج فيه على منوال ابن الفارض،
وأضاف إلى جانب الخمرة الإلهية خمرة أخرى هى
الخمرة البكرية. قال:

وإذا أديرت خمرة بكرية

أذن وقل لا عاش من لا يستقى

والى جانب الحب الإلهى حب آل الصديق
ونجد فى هذا الشعر غزلا بالأماكن الحجازية
وتشوقا إليها مثل: سلع، ورامه، والوعساء، وحاجر
وغيرها. وهو لا يقصد بها ظاهرها، وإنما يكنى بها
عن الحقيقة الحمدية. كما يذكر الكتيب ويكنى به
عن المقامات الحمدية التى تشبه رمال الكتيب فى
عدم القدرة على حصرها. ومثال ذلك قوله:

ذكر العذيب ورامه فتشوقا

بيكى حذارا أن يقال تعرقا

لا والذى خلق النوى وقضى به

لست الخلف عن أثيلات النقا

والنقا: كناية عن المقام الحمدى الذى انتقاه الله

واختاره.

ونجد كذلك غزلا ببعض النساء كسعاد وزينب

ومى والرباب وغيرهن.

وهو حين يذكر هذه الأسماء يكنى بها عن

الحضرة الوجودية المحتجة بصور الأكوان العدمية.

مثال ذلك قوله:

أدعو سعادا ثم أدعو زينبا

ها قد عشقت فقيدى أو أطلقى

ويذكر الحمى ويكنى به عن الروح الأعظم أو

الذات الإلهية. قال:

جدد بذكر الحمى عهدى وأشواقى

واهتف بمن حبهم عهدى وميثاقى

والربوع كناية عن مقامات العارفين ومنازلهم،

وما يجدون فيها من الحقائق والعلوم. قال:

درت بين الربوع أسأل عنهم

أين حلوا وجدتهم فى فزادى

ويذكر حادى الأظعان، فيريد بالحادى: الله،

والأظعان: الناس

قال:

ويا حادى الأظعان روح بذكرهم

فؤادى وقل عن ظبى رامة منشدى

والأقمار كناية عن العارفين بالله . قال :

ما رأينا الأقمار تهتز بالتيـ

ـه دلالة وتنثني كالغصون

ويكنى بالغمر عن شراب الحبة الإلهية . قال :

فهايتها خمرة لو أنها ذكرت

عند المسيع لأغنته عن الراقى

وقد سبق ابن الفارض إلى هذا المعنى فقال :

ولو أن ركبا يمموا ترب أرضها

وفى الركب ملسوع لما ضره السم

ويكنى بالحنان عن حضرات الذات العلية .

قال :

فسر معى نحو حانات تزف بها

عروسها سير مشغوف ومشتاق

وقد أتى فى شعره بكثير من معانى ابن الفارض .

مثال ذلك قوله :

أنا يعقوب هواها فارحموا

من تفانى فى الجمال اليوسفى

وهو شبيه بقول ابن الفارض

لو أسمعوا يعقوب ذكر ملاحه

فى وجهه نسى الجمال اليوسفى

وقوله :

أر باسمها دعى الأموات لا بتدروا

من فورهم يحسبون الحشر للباقي

ماخوذ من قول ابن الفارض :

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت

لعاتت إليه الروح وانتعش الجسم

وقوله :

أو أنها جليت والليل معتكر

لأشرق الليل منها أى إشراق

ماخوذ من قول ابن الفارض :

ولو خضبت من كأسها كف لأمس

لما ضل فى ليل وفى يده النجم

وكذلك تحدث عن الوتر والعود، والسماع

والغناء، والشطح والرقص وغير ذلك مما عرف به

الصوفية ، فمن هذا قوله :

لم تسمع الأذن أنباء من الوتر

وانما الوتر أهدى طيب الخبر

والعود إن رن أن الصب فابتدرت

دموعه فحكت صوبا من المطر

ما ذاك من طرب باللهويل طرب

بحكمة أشهدتها العين بالأثر

ونجد أمثال هذا كثيرا فى شعره .

وقد سبق أن ذكرنا أنه أضاف إلى جانب الحب

الإلهى حب آل الصديق، والتفانى فى الإقبال عليهم

والإخلاص لهم . وكان يعتبر نفسه صديق زمانه،

الوارث للحقيقة البكرية . وشعره فى هذا يشبه شعره

فى الحب . الإلهى أنظر إلى قوله :

لا تشتغل عن شهود

إياك إياك واحذر

فكل شىء مبيح

منه جمالى أكبر

البدر أشرق منى

وحاجب الشمس أسفر

ألذ من رشف زلال الضرب
ومن مدام توجت بالحبيب
وضرب قينات بأعوادها
تهيم القلب بحسن الطرب
ومن سرير الملك رقيته
يبلغ العبد رفيع الرتب
ألد من ذاك ومن ذا وذا
حب بنى الصديق فخر العرب
ججاج المجد وملاكه
مظاهر السر محل العجب
في كل عصر منهمو سيد
مزيد بالحق ما حي الريب
ما أمه في الكرب من أمه
إلا رزالت عنه كل الكرب
فاقصد حماهم خاضعا سائلا
رضاهم فهو أجل القرب
وان يضق أمر فقل سادتي
هذا بنى الصديق وقت الحسب

لا نجد شاعرا من ذرية أبي بكر - قبل محمد
البكرى - نظم مثل هذا الشعر، ولا اتخذ شعره
وسيلة للدعاية إلى حب آل أبي بكر والإيمان
بالحقيقة البكرية.

وقد اتخذ من نسب المتصل بأبي بكر الصديق
من ناحية أبيه، والمتصل بالحسن بن علي من ناحية
جده لأمه مجالا عظيما للفخر. فنظم في هذا
الصدد قصائد كثيرة تعيد إلى الأذهان شعر الشريف
الرضي في الفخر. ولا غرابة في ذلك فقد توفر له
العنصر الذي توفر للرضي. فمن ذلك قوله:

أنا ابن أبي بكر المجتبي
وسبط كرام بهم أمدهج

وناسم من حديشي
كل الأماجد أسكر
والله والله لولا
جمال ذاتي يستر
لأحرقت نيرانني
أهل الوجود المعمر
ولم يكن قط عبدا
لحسن وجهي أبصر
هل ظن غير مولى
من الأئمة يذكروا؟
فمن يؤمل جودي
بغاية السؤل يظفر
ومن يخالف أمري
في حضرة المقت يقبر
أحمى الذمار واني
ليث الزمان الغضنفر
سبط الحبيب ونجل الص
صديق أكرم معشر
قد فاز قومي وصحبي
بذاك حالي بشر

فهو يدعو الناس إلى ترك كل ما يشغلهم عن
شهوده، ويحذرهم من الانصراف عنه، ويقول إن
جماله يفوق كل جمال، وأن البدر والشمس طلعا
منه. وحديثه مسكر، ولولا جمال ذاته لأحرقت
نيرانه الدنيا وما فيها. والأئمة كلهم لا يذكرون إلى
جانبه، ولا ينبغي لأحد أن يذكرهم. ومن أمل جوده
ظفر بمطلوبه. ومن خالفه ولم يؤمن به أصابه
غضب الله، وحقت عليه اللعنة. وهو حامى الناس
من البلاء. وقومه وأصحابه ومحبه هم الفائزون.
وقال:

بنى حسن سبط طه البشير
ومن نوره الزاهر الأوضح
به شرف البيت الأول والركن الـ
حطيم وزمزم والأبطح
إذا وزن الناس طرا به
فكفة ميزانه أرجح
فتحت كنوز الهدى للعفا
ة فأعطيهمو خير ما يمنح
ولست براض وحاشاي أن
يخيب مریدی فلا ينجح
أمر إذا أمنى سائل
فلاني بإسمائه أفرح
ولى همة فوق فرق الأثير
ونفس لما قرقه تطمح
بحد لساني ذبحت العدا
ة فبالله سيف به أذبح
وبذكروني الحلم خلقى الكريم
فأعفو ومثلى من يسمح
ورثت النبى فلى من رباه
مقيل الخلافة والمسرح
رقت بأعتاب عرفانه
مقيما هناك فلا أبرح

فهو هنا يفخر بنسبته إلى أبى بكر وإلى النبى
صلى الله عليه وسلم. ويقول إنه يهدى الناس إلى
الحق، وأن قاصده لا يخيب. فهو كريم يفرح بقدوم
السائلين عليه. وبعد أن قدم الفخر بحسبه ونسبه
وكرمه؛ أخذ يفخر بفصاحته وقوة بيانه التى أهلك
بها أعداءه. ثم فخر بحلمه وعفوه.
وانتهى من ذلك إلى أهم شىء عنده وهو وراثته
للخلافة النبوية. والبكريون يعتقدون أن النبى حينما

عهد إلى أبى بكر بالصلاة بالناس إنما عهد إليه
بالخلافة. وعلى ذلك فمحمد البكرى هو الوارث
الوحيد للخلافة النبوية فى عصره. فهو فى فخره
بحسبه ونسبه، وكرمه، وحلمه، وعفوه، وصفحه،
وفصاحة لسانه وقوة بيانه ووراثته للنبي عليه السلام
يشبه تماما الشريف الرضى من حيث المعانى
والأساليب.

ومما روى عنه قوله: «جدتى لوالدتى من بنى
مخزوم، فولدتى فى قرش ثلاث بيوت: بنو تميم،
وبنو مخزوم، وبنو هاشم» وقد ردد فى شعره فقال:
أنا ذو المجد أئيل

وابن قياض الهبات
من بنى تيم قریش
صفوة العرب السراة
وذوابسات بن ها
ثم الغر الحماة
وزعامات بنى مخزرو
م الصيد الكفاة
نحن بالصدیق فرزنا
بالأمانى العالیات
فلمن بهوى هوانا
كل أنواع الهبات

وكما أن الشريف الرضى يقرن الفخر بالحماسة،
فكذلك فعل محمد البكرى فى أسلوب قوى رائع
لا يكاد يختلف عن أسلوب الرضى من حيث جودة
الصياغة وفخامة الألفاظ، فضلا عن الصور
والمعانى. ومثال ذلك قوله:

وسرت وثغر النصر يبسم سابحا
لها ما به وسع النصفانف طافح
كان مجر الجيش بالقوم زاخر

سمعارف إشراقا على غيره سما
فقلت بأفق العبد صديق وقته
ومن ملأ الأدوار جودا وأنعمما
إمام بنى الصديق فى الوقت مطلقا
ومن أتقن الأسرار علما وأحكاما
ومن جاء فى العصر الأخير لتنتهى
به رتب التدوير كيما وتختما

فهو منبع الأسرار الإلهية ومشرق المعارف
الربانية. وهو صديق وقته وإمام عصره. والأدوار
جمع دور، أى الوقت الذى يقوم فيه الإمام، وهو
صاحب الدور. ويقول محمد البكرى إن الأدوار
انتهت به وختمت بظهوره.

ويدخل فى باب التصوف ما نظمه الشاعر فى
الوعظ والإرشاد وآداب المريد كما يراها ، مثال ذلك
قوله:

مدار أحوالنا فى كل مرتبة
حفظ الحدود وترك الحظ والأرب
وأن يكون الذى يهوى مشاهدنا
مجانبا لسبيل اللهو واللعب
وأن يقوم إذا ما الليل تم له
نصف لمولاه بالإخلاص فى الطلب
ين شوقا إلى المحبوب تحسبه
تلكى آثار شجاها نوح منتحب
مفرغ القلب من غير الحبيب له
فى باب ذل مسكين ومكتسب
والصوم يكسر منه حيث قدره
رب العباد ليلقى غاية الأرب
والصدق يجعله زادا لرحلته

خضم وقلك الغيل فيه سوابح
كان مشار النقع أهدى لنا شذا
من المسك تذريره علينا اللواقح
كان مدار الحرب حان وخيلنا
نشاوى فجميع أرسلته الجوانح
كان أعادينا ولا بلغوا المنى
أكف لأسياف المنايا تصافح
ونحن ملوك الحرب والصيد صيدنا
وليس لنا إلا الأسود جوارح
وفتياننا شم العرائن عزة
وكيف وأنا فى السراة ججاج
ومقعدنا فوق الثريا جلالة
وأبصارنا من فوق ذاك طوامح
ومجد معالينا تعالى مقامه
فإن سيم مدحا لم تنله القرائح
فإن كان فخر الأكرمين صحائفنا
فإننا لآيات الكتاب فوائح

وإذا كان محمد البكرى صادقا فى فخره
بحسبه ونسبه، فإن لم يصدق فى هذا الشعر
الحماسى الذى يصور نفسه فيه فى صورة البطل
المقدام الذى تهاب لقاءه الشجعان. وذلك لأن واقع
حياته لا يدل على ذلك، فلم يكن من رجال الحرب
ولم يذكر عنه أنه قاد جيشا أو اشترك فى معركة.
وإنما كان يحيا حياة دعة وسلام، ويعيش فى ترف
ونعيم، مشتغلا بعلوم الدين والتصوف ونظم
القصائد. ومثل هذا يقال فى الحماسة عند الشريف
الرضى.

وقد صبغ فخره بصيغة تصوفية . مثال ذلك
قوله:

فمن أى أفق تشرقين بهذه الـ

الأدعية الثرية التي كان يضعها أقطاب المتصوفة.
ونظم بعض القصائد التي تؤدي وظائف
الأحزاب والأوراد. من ذلك قوله:
أعوذ بالله الصمد
من كل هم ونكد
أعوذ بالله الأحمد
من كل ضيق وشرد
..... إلخ

وله مدائح نبوية قصيرة لم يتعرض فيها للذكر
شيء من المعجزات ، وإنما هي تصوير للحقيقة
الحمدية التي أودع الله فيها أسرارها. ثم يخلص من
ذلك إلى ذكر ذنوبه الكثيرة، ويظهر الندم والتوبة،
ويعرب عن أمله في شفاعته الرسول. ويختتمها
بالتوسل والدعاء.

وله جملة قصائد في مدح أحمد البدوي تظهر
فيها آراء الصوفية في الأولياء فمن ذلك قوله:
لله جل جلاله بالحق أشهد
أن الإله جماله للقوم أشهد
وأنا لهم رتب السيادة والعلو
لا سيما بدويهم ذو المجد أحمد
سر الحقيقة والخلقة والذي
مصباحه من نور خالقه توقد
من ذاته القدس العلى ومن له الـ
كشف الجلى ومن له التصريف يسند
هذا الكمى فلا يطاق نزاله
يوم الوغى، هذا المشقف والمهند

فالبدوي كما صوره البكري تمتع بوحدة
الشهود، وفنى مع الذات الإلهية فنال أسنى المراتب.
وهو سر الله، أودع فيه العلم الباطن، وأجرى على

والذكر أعظم ما يختار من سبب
يطهر السر يجلو القلب يمنحه
من المعارف سرا باهر العجب
وينزل الفيض من غيث الغيوب بما
يختاره الله من كشف بلا ريب
والله نسأله عونا لطالبنا
على أوامره فى سائر الرتب

هذه هي الآداب التي وضعها محمد البكري
لأتباعه ومريديه . المحافظة على أحكام الدين
وفرائضه، وترك اللهو واللعب، والإعراض عن
الشهوات. ثم القيام فى منتصف الليل للعبادة
والذكر والتواجد، والاتجاه إلى الله بكل ما يملك
الإنسان من جوارح مع إظهار الذل والمسكنة، ثم
الإكثار من الصوم الذى يطهر النفس، والتزام
الصدق. وبهذه الأمور تستقيم حال المريد . وقد
صاغ كل هذا فى شعر سلس عذب.

ويدخل فى باب التصوف كذلك ما نظمته فى
التوسل والاستغاثة بالله وبالرسول ، وما نظمته فى
المديح النبوى. فمن قوله متوسلا ومستغيثا:
إلهى إلهى أغث سائلا

فسقيرا ذليلا كثير التعب
إلهى ضاقت عليه الأمور
ففبرج بجودك كل الكرب
إلهى هذا مقام الحقير
وعندك ما يبتغى من طلب
إلهى حاشا ترد الكسير
وفيما لديك تنهى الرغبة

فهذه أدعية وضعها للأتباع والمريدين لينشدوها
فى أوقات تعبدتهم. فهى أدعية شعرية تؤدي وظائف

شكنا من هؤلاء الحساد وتوعدهم بالويل والشبور
وعظائم الأمور. فمن ذلك قوله:

يا نفوسا تود يوما ترانى

نازحسا عن منزلى ومكانى

مدرجا بعد عزتى وبهائى

وجميع البرود فى أكفائى

إن تموتوا غيظا فموتوا سريعا

حسبى الله فيكمو وكفائى

احسدوا ما استطعتم وشقنكم

نبال الوبال قوس الزمان

هذه لحيتى وضعت عليها

يد موف لها بحق الضمان

عن قريب يدعى بياغارة الله

فتغدوا بهلككم شجعانى

ففى هذه الآيات صور محمد البكرى ما

انطوت عليه نفوس حاسديه من حقد ونقمة بلغت

بهم أن تمنوا له الموت. ثم قال لهم: افعلوا ما شئتم

، واحسدوا كيفما أردتم فلن يفيدكم هذا، بل

ستموتون بغيظكم. ثم أمسك لحيته مهددا متوعدا

بحرب يشنها عليهم يكون فيها هلاكهم.

وله شعر قليل عرض بعلماء عصره، فمن ذلك

قوله:

أغفل الناس علوما قدست

أحكمت عزتها أيدى الحكم

يا زمانا ضيعوه باطلا

فى رسوم ما بها الحق رسم

خلطوا الحق بهزل منهمر

قل هذا ما مستقاموا فى أم

يديه الكرامات وخوارق العادات، والبدوى بطل
مقدام وشجاع تضرب به الأمثال. ثم استطرد فذكر
بعض الكرامات التى تنسب للبدوى.

وكان محمد البكرى شافعى المذهب. وله

بضعة مقطوعات فى مدح الإمام الشافعى وتبجيل

زيارة ضريحه على سبيل التبرك. ولكن شعره فى

الشافعى لا يكاد يذكر إلى جانب ما نظمه فى أحمد

البدوى. ولعل السر فى ذلك أن الشافعى لم تروله

كرامات، ولم تنسب إليه الخوارق التى رويت لأحمد

البدوى ونسبت إليه. انظر إلى قوله فى مدح الإمام

الشافعى:

هو البحر لكن فاض كوثر به

على البر حتى ما هناك مقاييس

هو البدر بل شمس الظهيرة أشرقت

فلم يبق ما بين البرايا حنادس

أبى الله إلا أن يسود ويعتلى

فليس له فى المنقبات مجانس

فهذا من المدح الذى يقال فى أى إنسان. وأين

هذا من قوله فى البدوى:

سر الحقيقة والخلقة والذى

مصباحه من نور خالقه توقد

لم يحاول البكرى فى مقطوعاته التى نظمها

فى الشافعى أن ينوه بمكانة هذا الإمام كواضع

لأحد المذاهب الأربعة، وكمشروع له قيمته وخطره،

لأن ذلك يغضب السلطنة العثمانية صاحبة المذهب

الحنفى.

وكان له بعض حساد يطعنون فيه وينالون منه،

وينكرون عليه عيشة الترف التى كان يعيشها. وقد

يطلبون العلم للدنيا فهل

بعد هذا الوصف في الأوصاف ذم؟

شغلهم قالوا رقلنا ولهم

صبوة في «صح» أم فيه «سلم»

ففى هذه الأبيات يعنى على معاصريه اشتغالهم بالعلوم الدنيوية وإنفاقهم أعمارهم فى استظهار مختلف الآراء فى النحو والفقه وغيرهما. ويعيب عليهم أنهم يطلبون العلم لينتفعوا به فى الدنيا، وينصحهم بترك هذه العلوم التى لا فائدة فيها والإقبال على علوم المتصوفة لأنها هى التى تقربهم من الذات الإلهية.

ومحمد البكرى مقطوعات قليلة فى أغراض مختلفة، بعضها فى الألفاظ، وبعضها فى الإخوانيات، وبعضها فى وصف الرياض.

وأما أثر البيئة المصرية فى شعره فيتجلى فى استخدامه لبعض الكلمات والعبارات التى تجرى على السنة العامة فى مصر. مثال ذلك قوله:

دنا بحبك متيم

ما على من حد

فكلمة «دنا» مصرية. وكذلك عبارة «ما على حد» مصرية وقوله:

ما السبب ما السبب

حتى تجنيت وأسيت

فعبارة «ما السبب ما السبب؟» مصرية. ولفظة «أسيت» مما يدور على السنة المصريين وتكثر مثل هذه الألفاظ فى موشحاته.

الآن قد فرغنا من دراستنا لمحمد البكرى. وبهذا نتقل بالمدرسة البكرية إلى القرن الحادى عشر.

توفى محمد البكرى سنة ٩٩٤ وترك أبناءهم:

١ - أبو السرور المتوفى سنة ١٠٠٧ هـ.

٢ - زين العابدين المتوفى سنة ١٠١٣ هـ.

٣ - أبو المواهب المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ.

فأبو السرور توفى سنة ١٠٠٧ هـ وفيه يقول صاحب خلاصة الأثر «وكان له الذوق الصحيح فى معارف الصوفية والبلاغة الكاملة فى التقرير وكان له اتساع فى الدنيا ومخالطة الحكام، ومداخلة فى أمور كثيرة. ودرس بالخشائية. وكان ينظم الشعر، وشعره لطيف، ولكننا لم نعثر على شيء مما نظم.

ومن الشعراء البكرين زين العابدين المتوفى سنة ١٠١٣ هـ وفيه يقول صاحب خلاصة الأثر «قام مقام أبيه من بعده، ودرس وأفتى. كان فى مصر مالك أزمة الوجاهة، وسالك رتبة اليراعة والبراعة. وكان أخوه أبو السرور المقدم ذكره من العلماء إلا أنه لم يبلغ درجة زين العابدين فى التصوف والتكلم بلسان المعرفة. وكان عالماً بارعاً فى العربية والتفسير وعلوم البلاغة. وله شعر لطيف سائغ».

«وبلغ صاحب الترجمة فى آخر أمره من الجلالة ونفوذ الكلمة مبلغاً ليس لأحد وراء مطمع حتى خشيه حكام مصر وكانوا يدارونه ويتوقعون رضاه. فلما كان ثالث شهر ربيع الأول سنة ١٠١٣ طلع إلى إبراهيم باشا بعد العصر على عادته. فأحضر السباط ثم القهوة. فلما أكلوا وشربوا خر زين العابدين مغشياً عليه، وحمل إلى بيته فمات. هذا هو المستفيض على السنة المؤرخين. وروى بعضهم أن موته كان خنقاً أو غيره. وأنه طرح قرب باب قلعة الجبل. واشتهر ذلك فى دمشق فبنى عبد الحق بن محمد الحجازى الدمشقى قوله فى رثائه عليه. وأبياته هى هذه:

لم يهدموا أركان مصر وإنما
هدموا بقتلك قبة الإسلام
وتناوشتك يد الكلاب وطالما
خضعت لعزك صولة الضرغام
فسقى ثراك سحابة قدسية
تهمى عليك برحمة وسلام

وزين العابدين هو من أوائل البكرية الذين
وضعوا شعرا في القهوة بعد أن كانت محرمة
وسمحوا بها في سهرات العظام وكبار القوم
بقصورهم وليس في المقاهى التى كانت ملعبا
للنزاعات والتوجهات المملوكية والسادة الوفائية ،
فمن شعره فى ذلك :

إن تشرب القوة فى حانها
فاللطف قد حف بندمانها
حان حكى الجنة فى بسطها
برقة العيش وإخوانها
بمائها نغسل أكدارنا
ونحرق الهم بنيرانها
لاهم يبسقى ولاغم إذ
قابلك الساقى بفنجانها
يقول من أبصر كانونها
أف على الخمر وأدنانها
شراب أهل الله فيها الشفا
جواب من يسأل عن شأنها

كان المتصوفة فى ذلك الوقت ينظمون الشعر
فى الدعاية لشراب القهوة معارضة لبعض الفقهاء
الذين قالوا بتحريمها. وكان البكريون يقدمون فى
سهراتهم هذا الشراب لضيوفهم. فأخذ الشعراء
والأدباء يتنافسون فى نظم أمثال هذه المقطوعة

ويتسابقون فى ابتكار المعانى اللطيفة والصور الجميلة
ويدعون أن الصوفية وجدوا فى القهوة شرابا ماديا
محسوسا يقابل الخمرة الإلهية التى هى من الأمور
المعنوية ولا شك فى أن إفراطهم فى الحديث عن
الخمرة الإلهية والساقى والحان قد ترك عندهم فراغا
نفسيا هائلا، فرأوا أن يسدوا هذا الفراغ بالإقبال
على شرب القهوة فى الطقوس التى تتخذ لشرب
الخمر، وقلدوا شعراء الخمر فى وصفهم لها وتغنيهم
بماحسنها ومزاياها، وما تركه فى نفوس شاربها من
إبعاد الهموم والأحزان. كما ذكروا الحان والساقى
والندمان، واستعاضوا عن الكأس بالفنجان. أضف
إلى ما تقدم إطلاقهم كلمة «القهوة» على هذا
الشراب وهى من أسماء الخمر، فكانوا يقولون
«قهوة البن» ومعناها خمرة البن. ويتخذونها أحيانا
من قشر البن، وأحيانا من لبه وبمرور الزمن أصبحت
كلمة «قهوة» تدل على هذا الشراب المكون من
الماء المغلى والبن، ونسى المعنى الأصلى للكلمة.
ولم يفت زين العابدين أن يحدثنا عن الكانون الذى
تصنع عليه القهوة، فيقول إها وهى فوق الكانون
تنبعث منها رائحة طيبة تجعل الخمرة بجانبها شيئا
محترقا تعافه النفس.

وأبو المواهب البكرى المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ،
ذكره صاحب خلاصة الأثر فقال : «كان فى بداية
أمره مائلا إلى الخلاعة، وكانت مجالسه مشحونة
بأنواع الطرب من المسمعين وصنوف الملاحى، إلا
أنه اضطر إلى ترك هذا بعد وفاة أخويه وتصدره
لمشيخة السجادة البكرية. وكان بينه وبين نور الدين
الحلبى، الأديب المورخ صاحب السيرة الحلبية، مودة
أكيدة ، وهو الذى شجعه على تأليف هذه السيرة

قال الشهاب الخفاجي «وبيت الغزال من
السحر الحلال، وهو بيت القصيدة، وكان الفنجان
يحمل صورة غزال».

تقدم أن أبا المواهب كان في شبابه يميل إلى
اللهو والخلاعة. يخرج مع أصدقائه من الأدباء
والشعراء إلى الحدائق والمزارع للتمتع بالهواء الطلق
والمناظر الطبيعية الجميلة. وكان حتى بولاق في ذلك
الوقت كما كان منذ عصر المماليك من الأمكنة
التي تقصد للتريض واللهو. ففي الأبيات السالفة
يذكر أبو المواهب يوما من تلك الأيام الطيبة التي
قضاها على شاطئ النيل بناحية بولاق. وإذا كان
الشعراء فيما مضى ذكروا الخمر في هذه المناسبات
- أعني مناسبات اللهو والرياضة - فإن بعض شعراء
هذا العصر ذكروا القهوة ووصفوها وهي في
الفناجين تبعث منها رائحة جميلة يعلوها حباب
لطيف. ثم أخذ أبو المواهب يتغزل في الساقية التي
قدمت له ولأصحابه شراب القهوة.

وكان للبكرين حدائق ومزارع يخرجون كثيرا
للتريض فيها ولذلك غلب في بيتهم هذا النوع من
الشعر الذي يصفون فيه أوقات اللهو والسرور،
حيث الرياض النظرة ذات الأشجار الباسقة،
والجداول الرائقة، والفواكه المختلفة. ولأبي المواهب
رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه من الأدباء يدعوه
للرياضة معه جاء فيها «إن مدينة بولاق هي مجتمع
البحور، ومدار فلك السرور بفلك البحور. طفحت
بالنيل لا جزر عن جزره المديد، واستلت سيف النهر
لقطع حروف الجروف من أقصى الصعيد، وقد
أفسد أسلوبها بما استخدم فيها من ضروب الصناعة
اللفظية.

ومن قوله وربما كان في مدح والده:

«إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» وقد أشار
إلى ذلك في المقدمة فقال «... ولا زلت في ذلك
أقدم رجلا وأؤخر أخرى، لكوني لست من أهل
هذا الشأن، ولا ممن يسابق في ميدانه على خيل
الرهان، حتى أشار على بذلك وسلوك تلك
المسالك من إشارته واجبة الاتباع، ومخالفة أمره لا
تستطاع، ذو البديهة المطاوعة، والفضائل الباردة
، والفواضل الكثيرة النافعة. من إذا سئل عن أي
معضلة أشكلت على ذوى المعرفة والوقوف، لا
تراه يتوقف ولا يخرج عن صواب ولا يتعسف.
وهو الأستاذ الأعظم مولانا أبو عبد الله وأبو المواهب
محمد، فخر الإسلام البكرى الصديقي».

ولأبي المواهب ديوان اسمه «ترجمان العوارف»
ومعظم شعره في التصوف والحب الإلهي، والدعاية
للتعاليم البكرية. وله مقطوعات في وصف القهوة
والتغزل فيها، وفي الدعوة إلى تعاطي التبغ. فمن
ذلك قوله:

يا يوم بولاق وأنسى به
حكاك من شوال يوم الهلاك
يا عارضا أوجب للنيل ما
سلسله وهو طليق الجمال
وقهوة تنضح مسكا ولا
بدع ففي الفنجان شكل الغزال
حبابها من فوقها مانع
نفاره فهو شبك اللاكى
تديرها هيفاء ممشوقة
خود تشتت في برود الدلال
كاد حجبى من أقبلت نحوه
يذهب من رنات تلك الحجال
تقول للشمس قد أقبلت
تلقى ما أنت إلا خيالى

أيها البكرى يا من فضله

فاق كل الناس عجما وعرب

لى جد ياسيدى يامصطفى

يا إماما قد حوى كل الرتب

لا رعى الرحمن من عاداكو

فهو فى هم وغم ونصب

وعليه الخزى فى طول الحيا

ثم عند الموت يلقي للتعب

باء بالرفض إليكم مبغض

وعليه من إلهنا الغضب

فى هذه الأبيات نجد التعاليم البكرية واضحة كل الوضوح. فشيخ السجادة البكرية هو الإمام المصطفى الذى اختاره الله وخصه بكل منقبة وفضيلة. ومن عاداه فهو رافضى استحق غضب الله فى الدنيا والآخرة ولقى الذل والتعب فى حياته وبعد مماته.

ومن قوله ولعلها فى مدح والده أيضا:

ألا أيها البكرى إنك مفرد

وفورك أعلام المسرة تفرد

وذكرك بالمعروف شاع بلاخنا

ومدحك فى الأغناق در منضد

وكل امرئ عاداك أو قصد الأذى

عليه من الرحمن خزى مؤيد

ومن صدنى عن مدح ذاتك سيدى

فذاك أبو جهل وأنت محمد

فانظر إلى البيت الأخير وما فيه من قوة. فالمنكر لمدح والده كافر يشبه أبا جهل فى كفره وجحوده. وقد شبه والده بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وله فى مدح والده أيضا:

لدار محمد البكرى زورا

وخلوا عنكمو ذكر السواء

محمد عقد عين الدين حقا

فمن عاداه فى شكل الهواء

وقال:

عصابة الصديق قالوا

محمد لا يضاهاى

له اخلافة حقا

رب العباد قضاها

وقال:

عابد الرحمن أضحى

قطب مصر بحقيق

حاز فخرا وعلوا

وهو فرع لعتيق

فمن هذه الأمثلة وغيرها نعلم أن أبا المواهب اتخذ من شعره وسيلة لدعاية الناس إلى الالتفاف حول البيت البكرى، والتفانى فى حب أفراد، والإخلاص لهم، والابتعاد عن سواهم. والتحذير من معاداة هذا البيت لما فى ذلك من الكفر الذى يؤدى بصاحبه إلى النار.

ومن قوله:

عبد الإله البكرى

مواهبى الأزمان

سبط النبي الهادى

المصطفى العدنان

صلى عليه ربي

والآل والإخوان

مع السلام الزائد

له من الديان

وله غير هذا كثير نجده منبثا فى ديوانه.

ومن الشعراء البكرين الذين ظهوروا في القرن
الحادى عشر: أحمد بن عبد الرحمن الوارثى
المصرى الصديق الإمام الكبير المفسر المحدث
المتوفى سنة ١٠٤٥ هـ ذكر في الخلاصة «وكان
من الأدب فى سنامه وكاهله ، تحوم الآراء حول
موارده فتترتوى من مناهله . وله نظم ونثر كما
انتظمت الأزهار بعد ما انتشرت عليها درارى الأمطار»
فمن نظمه قوله يمدح أحد وزراء مصر:
يا أيها المولى الوزير ومن له
من حللن من الزمان وثاقى
من شاكر عني يدبك فلاننى
من عظم ما أوليت ضاق نطاقى
من تخف على يدبك وإنما
ثقلت مواهبها على الأعناق

وقال :

وكم لله من نعم
يعم الكون ما طرها
تذكرنا أرائلها
بما تولى أواخرها

ولكن ديوان شعره لم يصل إلينا ، ولا نعرف
من نظمه سوى مقطعات قليلة وردت فى خلاصة
الأثر.

وأحمد البكرى المتوفى ١٠٤٨ هـ ذكر فى
الخلاصة وهو ابن زين العابدين «كانت له اليد
الطولى فى تفسير القرآن ، وإليه النهاية فى علوم
الطريق ومزید الإتقان ، مع كرم يخجل المزن
الهاتل ، وشيم يتحلى بها جيد الزمان العاقل . وجاه
عريض وتمكين ، ومكان عند الناس مكين .
يتسلمون أركانه كما تستلم أركان البيت العتيق .
ومن مؤلفاته كتاب جعله على أسلوب «لوعة
الشاكى ردمعة الباكي» سماه «روضة المشتاق وبهجة

العشاق» وله شعر يدل على علو محله ، وقصده
الشعراء من كل ناحية ومدحوه .
ومن هؤلاء الشعراء فتح الله النحاس المتوفى
سنة ١٠٥٢ هـ حيث يقول:

يابنى الصديق لى
كل يوم منه فى لحمى
وفى عظمى ديبى
حبكم آل أبى بك
سربه تمحى الذنوب
حبكم دينى ومن
يغضكمو طاغ مريب
غضب الله عليه
فهو بالحق كذوب
لكموا الرفعة والسـ

طوة وال حال المهيـب
ذكركم عند ملوك الأر
ض تعويد وطيب
كل عصر حضرة القد
س لها منكم خطيب
ابن زين العابـ

ين السيد البر الوهـوب
ابن من يصـدع بالـ
حق ويعفو ويشـيب
ابن من كان به الغـو
ث مع الغيث يصـوب
شاهد الحضرة واخـ
تص وناجته الغيـوب
واستمر الفيض للـ
أستاذ والفتح القـريب
بلبل الحق لسان الـ
مغيب هطال سكـوب

والتعاليم البكرية واضحة في هذه القصيدة كل
الوضوح. فالشاعر يقول إنه يحب آل أبي بكر حبا
امتزج بلحمه ودمه. ويرى أن حبهم سبب لغفران
الذنوب، ودينه الذى يدين به. ومبغضهم كافر حق
عليه غضب الله. ويقول إن الملوك يتعوزون
بذكرهم، أى تخذون ذكرهم تعاويد وتنام يتقون
بها الشرور والمصائب. وإن الله يصطفى منهم فى
كل عصر إماما بحيث لا يخلو عصر من وجود
صديق بكرى. ثم أشاد بمناقب أحمد البكرى
صديق زمانه الذى ورث الصديقية عن أبائه.

وقال:

وأنت ابن صديق خير النبيين
خير الأواخر خير الأول
أست ابن من فضله قد أتى
على السن الوحى من ذى الجلال؟
أخفى سناك وأنت الشها
ب على الرافضية أهل الضلال؟
فمن ذا يساميك أو من يدا
نيك أو من يقاومك يوم النضال؟
لك الحال والقال فى نحر شانيك
من ذا مساوئ ومن ذا عوال
فياويل أعداك إن جلت أو قل
ت الله أكبر يوم النزال

فالنحاس يقول إن أحمد البكرى منحدر من
ذرية أبى بكر صديق النبى محمد صلى الله عليه
وسلم، أفضل الأولين والآخرين. وأن القرآن قد شهد
بفضل أبى بكر. ثم عجب من الرافضة أهل
الضلال الذين ينكرون مكانة البكرين ويعادون
السلطنة العثمانية. ويجب أن نلاحظ أن الشاعر لم

يذكر «الرافضة أهل الضلال» عبثا، وإنما جاء
تعرضه بهذه الطائفة لوجود قوم يتعصبون لآل على
ويرون أنهم أحق بالتقديم من البكرين، وينكرون
التعاليم البكرية. والأبيات التالية تعريض شديد
بهؤلاء الخصوم، وإشادة بمناقب المدحوق وقوة بأسه
وعظيم فتكه بأعدائه. وقال:

أبى الله إلا أن يكون لك البقا
وشانيك إلا أن يكون له الرغم
وعلمك إلا أن يكون مجسدا
فأنت لسان العلم ما نطق العلم
وما الويل كل الويل إلا لحاسد
عرانين مجد كلها فى العلا شم
ذوى صاحب الغار الذى أنت منهمو
ذوى الصديق إن قالوا، ذوى العزم إن هموا
عصابة ترب المصطفى أنجم الهدى
عليكم سلام الله ما نجم النجم
دعوا خصمكم يكفيه فى يوم بعنه
فإن إله العالمين له خصم

فى هذه الأبيات تعريض بخصوم المدحوق
الذين كفروا بالله بسبب عدم إيمانهم بالتعاليم
البكرية التى تجعل حب آل أبى بكر أساسا لصحة
إسلام المسلم. وحسب هؤلاء المنكرين أن الله
سيكون خصما لهم يوم القيامة، وأن مصيرهم
سيكون نار جهنم. وأشاد بفضائل البكرين لنجوم
الهدى وأئمة الدين.

أما ديوان أحمد البكرى فلم يصل إلينا، وإنما
وصلت إلينا بعض مقطوعات من شعره، نذكر منها
على سبيل المثال قوله يمدح السلطان مرادا
آل عثمان لهم

دولة إلى المعاد
 عمر الله بهم
 كل أقطار البلاد
 وحباهم سطورة
 دائما بين العباد
 ومحا الله بهم
 كل أرباب العناد
 كم أزالوا ضيغما
 عن سبيل الحق حاد
 وأبادوا عسكر الرف
 بض عن حسن اعتقاد
 خلف عن سلف
 سلكوا طرق الرشاد
 ما تولى ماجد
 منهم إلا وساد

نظم أحمد البكري هذه القصيدة عقب انتصار السلطان مراد على دولة إيران الشيعية. وكان من الطبيعي أن يطرب الشاعر البكري لهذا الانتصار الذي قضى على الرافضة. ونوه بعقيدة أهل السنة التي يدين بها العثمانيون.

وربما كانت هناك دوافع نفسية هيأت الشاعر لنظم هذه القصيدة وغيرها مما عسى أن يكون قد نظم في هذا المقام. فقد مربنا في مدائح النحاس له تعريض بخصوصه من الرافضة أهل الضلال. فأراد الشاعر أن يروى غليله من هؤلاء الخصوم، فمدح السلطان مرادا، وأظهر الشماعة بهزيمة الرافضة. ولن يستطيع خصومه بالطبع أن يردوا عليه في تلك المناسبة.

ومن شعره:

أحن إذا جن الظلام تشوقا
 إلى زمن بالقرب زاد تألقا
 وأقطع ليلى ساهرا متفكرا
 لعل زمان الأنس يسعف باللقا
 وقد أولع بنظم الألغاز، وكان له فيها الباع الطويل، فمن ذلك قوله:
 غزالة في بردها رافلة
 تقتنص الأسد من القافلة
 في حرم الأمن وقد خلتها
 قائمة بالفرض وبالنافلة
 قلت لها رقي فقالت لمن
 كأنها عن مطلبى غافلة
 ثم انثت تلغز لي باسمها
 لغزا به أفكارنا كافلة
 ما اسم خماسي وتصحيفه
 شبهه بدور لم تكن آفلة
 في سنة المختار خير الوري
 بيانه وهي له شاملة
 في سنة نبه مستيقظا
 وإن تشا في سنة كاملة

ومحمد زين العابدين البكري المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ وفيه يقول صاحب خلاصة الأثر (كان فصيح العبارة، طلق اللسان، كثير الفوائد، جم النوادر وكانت الولاية ظاهرة عليه مع الدين المتين، والعقل الكامل، والتظاهر بالنعمة في الملبس والمأكل والخدمة. وكان من أحسن الناس خلقا وخلقا، مبجلا عند الكبراء والوزراء، ذاجاه عريض، معتقدا عند عامة الناس وخاضتهم، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة، يرجع إليه في مشكلات الأمور.

شعره في كتاب ألفه أحد أتباعه، المسمى بدر الدين؛
وهو كتاب «المجاز في رحلة محمد زين العابدين إلى
الحجاز» فمن هذه المجموعة قصائد في التصوف
والحب الإلهي . ومنها قصائد في الدعاية لآل أبي
بكر . مثال ذلك قوله :

ونحن حماة الحى والحال شاهد
بمشهدنا الأعلى عن الحق بالحق
إذا جردت أسيافنا بمجالها

يشب لظاها في دجى النقع كالبرق
وأسهمنا قتالة فسهى لا تذر

عدوا يعاديننا بجهل ولا تبقى
عتيق العتيق الجد أفضل صاحب

خليفة طه المصطفى أشرف الخلق
فسلم لنا تسلم ولاتك منكرا

فيوقعك الإنكار في الخور والحرق
وإن غرك الشيطان يوما فلا تقف

بموقفنا نرمىك في أضيق الطرق
نصحتك فاسمع إن أردت نصيحة

ودع عنك طيش النفس والكبر بالحق
وخالف هوى النفس الذميمة واتبع

هوانا ولا تخش هوانا مع الصدق
وكن عبد الحق مخلصا في ردادنا

تنال الذى تهوى وتظفر بالعتق

فالأبيات الأولى في الحماسة وتهديد الخصم
بالقتل والإفناء. ثم تحدث في بقية القصيدة عن
جده عتيق، وما خصت به ذريته، ووجوب الانقياد
لآل الصديق، والإيمان بالتعاليم البكرية التي تدعو
إلى حب البكرين، والالتفاف حولهم، وعدم
التصدى لهم بالخصومة التي تؤدى بصاحبها إلى نار
جهنم .

اشتغل بطلب العلوم وأتقنها، وبرع في كثير من
الفنون سيما علم التفسير والحديث. وكان له في
علوم القوم وأصول التصوف قدم راسخ. وأقبل على
التدريس إلى أن صار رئيس البيت البكرى. فكان
يدرس على عادة أسلافه في الجامع الأزهر في
الليالى المشهورة كليلة المولد والمعراج والنصف من
شعبان. ثم لما كبر ترك ذلك كله واستقل بالإفادة
في بيتهم المعمور .

وقد نزل في ضيافته كثيرون من الأدباء والعلماء
الوافدين على مصر، نذكر منهم المحبى والد صاحب
خلاصة الأثر، وقد ألف كتابا عن رحلته إلى مصر
وكان المحبى متعصبا للبكرين فكتب عن محمد زين
العابدين فصلا جاء فيه «فرع غصن الدوحة
البكرية ، وفن الشجرة الطاهرة الصديقية التي لم
تنزل من البركة والسمو في السماء، أصلها ثابت
وفرعها في السماء. رونق الليالى والأيام، وتاج رأس
العلماء الأعلام. بهجة الجميع ورواء حسن البديع.
من أضحت له في العلوم الحقيقية الرتبة الشامخة،
وفى المعارف الإلهية القدم الراسخة. ولو لم يكن له
من عموم الشرف إلا خصوص هذه النسبة لكفاه
ذلك فى الفخر وعلو الرتبة.

وناهيك فخرا بأنه من ذرية من اختاره الرسول
للصحبة والمصاهرة، واصطفاه للخلافة على ملته
وشريعته الطاهرة. فيحق لأهل السنة والجماعة أن
يطوفوا ويسعوا إلى هذا البيت فى كل وقت وساعة،
كما ذكره إبراهيم بن عبد الرحمن الخيارى
المدنى فى رحلته إلى مصر بمثل ما تقدم.

وقد ترك محمد زين العابدين ديوانا اشتمل -
كما يقول صاحب خلاصة الأثر على نفائس
القصائد والموشحات، والمقاطيع والألغاز. ولكن
ديوانه لم يصل إلينا ، بل وصلت إلينا مجموعة من

وهكذا اتخذ شعره وسيلة للدعاية للبيت
البكرى كما فعل غيره من الدعاة والصدقيين. وله
قصائد في الشكوى من أهل العناد والضلال مثال
ذلك قوله:

ضلت عقول أهل العناد
عن سبيل أهل مودتك
ملكوا طريقا فى الفساد
تبعدهم عن حضرتك

ركبوا جواد غرورهم
وتطاولوا بفججورهم
وتعصّبوا فى زورهم
وبغوا على أهل الرشاد

الصادقين بخدمتك

كل يقـول أنا أنا
بالجـاه قد نلت المنى
وأظنهم نالوا العنا
بالزيف عن طرق الفساد
ورقـوعهم فى شدتك
فأمـبرهم ومشـيرهم
ركـبـيرهم وصـفـيرهم
وجـلـيلهم وحـقـيرهم
ظل وللظل النفاذ

ولك البقاء بقدرتك

..... إلخ

وقد بقيت المدرسة البكرية حاملة لواء للبكرين
على النمط المتقدم حتى العصر الحديث. فهذا
محمد البكرى الذى عين شيخا للسجادة البكرية
عام ١٢٧٧ هـ كان قبلة أنظار الأدباء والشعراء. وقد
مدحه شهاب الدين المصرى بقصيدة جاء فيها:

وإذا خفت صولة الدهر فاقصد

آل صديق أحمد المختار

هم مقر الأمان مجلى الأمانى
مظهر الخير موضع الأسرار
حيهم منزل الرضا وحماتهم
حيث تمحى كبائر الأوزار

هم نجوم الهدى ولا سيما من
لاح فيهم كالبدريين الدرارى
وهو شيخ الشيوخ مولى الموالى
صفوة الصفو خيرة الأخيار

وفى سنة ١٨٩٢ م تولى مشيخة السجادة
السيد توفيق البكرى. وقد أقيمت بهذه المناسبة
حفلة رسمية فى قصر عابدين حضرها جم غفير
من علماء الأزهر ورجال الطرق الصوفية. وبعد أن
شرب الحاضرون القهوة نهض الخديو عباس وقلد
الشيخ تاج الشرف. ثم نزل السيد توفيق ومعه
مشايخ الطرق الصوفية وكبار العلماء وسار فى
مركب صخم حتى وصل إلى قصره بالخرنفش. و
هناك أقبل عليه الشعراء مهنيين مادحين. ومن هؤلاء
الشيخ حمزة فتح الله الذى يقول من قصيدة
طويلة:

إنا نهنى المكرمات وأهلها
بحليفها من بعد حسن عزاء
توفيقها البكرى فرع أرومة الصد
يق زهرة دوحـة الزهراء

العالم النحرير والعلم
أحيا رسوم المجد والعلواء

وفى أول مارس سنة ١٩٠٣ صدر أمر خديوى
بتعيينه نقيبا للأشراف، فمدحه بعض الشعراء، منهم
أحمد نسيم الذى يقول:

بشارك توفيق أنت اليوم راعيها

تمسك لا يخشى عظامم أوزار
 إمام هدى لاذ الزمان يظله
 وألقى عليه الدهر مقود خوار
 علوم الورى فى جنب أبحر علمه
 كغرفة كف أو كغمسة متقار
 إمام الورى طود النهى متبع الهدى
 وصاحب سر الله فى هذه الدار
 به العالم السفلى يسمو ويعتلى
 على العالم العلوى من دون إنكار
 ومنه العقول العشر تبغى كمالها
 وليس عليها فى التعلم من عار
 أيا حجة الله الذى ليس جاريا
 بغير الذى ترضاه سابق أقدار
 ربا من مقاليد الزمان بكفه
 ناهيك من مجد به خصه البارى
 أغث حوزة الإيمان وأعمر ربوعه
 فلم يبق منها غير دارس آثار
 وأنقذ كتاب الله من يد عصابة
 عصوا وتمادوا فى عتو وإصرار
 يحييدون عن آياته لرواية
 رواها أبو شعبيون عن كعب الأحبار
 وفى الدين قد قاسوا وعاثوا وخطبوا
 بآرائه تخبيط عشواء معشار
 وأنعش قلوبا فى انتظارك قرحت
 وأضجرها الأعداء أية إضجار
 وخلص عباد الله من كل غاشم
 وطهر بلاد الله من كل كفار
 وعجل فداك العالمون بأسرهم
 وبادر على اسم الله من غير إنظار
 تجدد من جنود الله خير كتاب
 وأكرم أعوان وأشرف أنصار

فهل نهيك نظما أم نهيهما؟
 خذ النقابة والعلواء تحملها
 إلى رحابك والرحمن يحميها
 غابت زمانا وبانت بعد أن حجب
 كأنها الشمس تمثيلا وتشبيها
 فانهض بها يا ابن آل البيت ماطلعت
 شمس الضحى نهضة لله تبغيها
 حتى يقول أبو بكر لصاحبه
 بشراك عباس أعطى القوس باريها
 إلخ

نبذة عن شعر آل البيت والسادة الوفائية العلوية

مع اشتداد قوة النفوذ المملوكى فى مصر فى
 ظل الاحتلال العثمانى قام جماعة من الشعراء
 بدعم هذا النفوذ وأخذ شعرهم شكل مدح آل
 البيت ، ودعم الطرق الصوفية والاحتفاء بالأولياء
 (من آل البيت) مما جعل هذه الطرق تكتسب
 ملمحا شعبيا مناهضا للسلطة العثمانية السنية
 ووفقت بذلك فى وضع منافس للنزعة البكرية
 (السادة البكرية). وأول شاعر لصادفه من مادحوا
 آل البيت هو بهاء الدين العاملى الذى وفد إلى
 مصر سنة ٩٩٢ وأقام بها مدة من الزمن، وألف بها
 كتابه «الكشكول» وفيه قصيدة من نظمه تحت
 عنوان «وسيلة الفوز والأمان فى مدح صاحب
 الزمان» وهى:
 خليفة رب العالمين فظله
 على ساكن الفبراء من كل ديار
 هو العروة الوثقى الذى من بذيله

بهم من بنى همدان أخلص فتية
 يخوضون أغمار الوغى غير فكار
 بكل شديد البأس عبل شمردل
 إلى الختف مقدم على الهول مصبار
 تحاذره الأبطال في كل مرقف
 وترهبه الفرسان في كل مضمار
 أيا صفوة الرحمن دونك مدحة
 كدر عقود في ترائب أبكار

وقد أثبتنا هذه القصيدة كلها نظرا لأهميتها.
 فهي تسجل الآراء الشيعية التي حاول العامل
 نشرها في مصر في ذلك الوقت. فصاحب الزمان
 هو خليفة الله الذي مد ظله على العالم. وهو
 العروة الوثقى، ومن تمسك به نجا. وهو الإمام
 الهادي الذي حاز جميع المعارف والعلوم. وهو منبع
 الهدى، وصاحب الأسرار الإلهية في الدنيا. ومنه
 تستمد العقول العشر كمالها وهو حجة الله الذي
 تجرى الأقدار بإرادته، ويمضي الزمان بمشيئته. ثم
 أخذ الشاعر يخاطب صاحب الزمان طالبا منه أن
 ينقذ الإيمان ويعيد إليه رونقه وبهائه وجدته، لأن
 ربوعه قد تهدمت وزالت، ولم يبق منها سوى
 أطلال بالية. والقرآن أصبح في يد قوم عتاة عصاة،
 أهملوا ما جاء فيه واتبعوا ما روى عن كعب الاحبار
 وغيره. ثم إنهم اتخذوا القياس في أحكام الدين،
 واجتهدوا بآرائهم، وضلوا سواء السبيل.

وبعد أن وصف الشاعر ما وصل إليه العالم من
 فساد وانحلال، التمس من صاحب الزمان أن يظهر
 فإن القلوب متعطشة لرؤيته. وأن ينقذ العالم من
 الظلم والطغيان، ويظهر البلاد من الكفار يقصد
 بذلك من هم ليسوا بأحباب آل بيت رسول الله. .
 وسيجد في انتظاره جيشا من جنود الله من بنى

همدان المعروفين بالإخلاص له، والمشهورين
 بالشجاعة والإقدام. وخصص بنى همدان لأن
 المتعارف عند فريق من الشيعة ومنهم الإثنا عشرية
 أن الإمام المنتظر سيظهر في بنى همدان. ومن
 العجيب أن رجال الدين في مصر لم ينكروا على
 بهاء الدين هذه الآراء مع ما فيها من تعريض بأهل
 السنة، وما جروا عليه في الأحكام من القياس
 والاجتهاد ومع قوله إن كتاب الله أصبح في يد
 عصبة من الكفار.

وله قصيدة أخرى ردد فيها المعاني السابقة نذكر
 منها:

صاحب العصر الإمام المنتظر
 من بما ياباه لا يجرى القدر
 حجة الله على كل البشر
 خير أهل الأرض في كل اغصال
 من إليه الكون قد ألقى القياد
 مجريا أحكامه فيما أراد
 إن تزل عن طوعه السبع الشداد
 خر منها كل سامي السميت عال
 شمس أوج المجد مصباح الظلام
 صفوة الرحمن من بين الأنام
 الإمام ابن الإمام ابن الإمام
 قطب أفلاك المعالي والكمال
 يا أمين الله يا شمس الهدى
 يا إمام الخلق يا بحر الندى
 عجلن عجل فقد طال المدى
 واضمحل الدين واستولى الضلال

ثم إنه خصص في كتابه «الكشكول» فصلا
 طويلا عن السيدة فاطمة، ذكر فيه كثيرا من مناقبها

وفضائلها. وأورد أخبارا متفرقة عن الحسين ابن علي
وبعض كبار آل البيت.

ويجب أن نذكر أن عواطف المصريين كانت ولا
تزال مع أهل البيت بسبب ارتباط ذلك بالمعتقدات
المصرية حول استشهاد وزير.

وفي هذا العصر جددت أضرحة آل البيت في
مصر، وانهماك الناس في إقامة الموالد لأصحاب
هذه الأضرحة. وأخذ الشعراء ينظمون القصائد في
مدح آل البيت، وبخاصة الحسين. مثال ذلك قول
عبد الله الشبراوي المتوفى سنة ١١٧٢ هـ:

آل طه ومن يقل آل طه

مستجيرا بجاهكم لا يرد

حبكم مذهبي وعقد يقيني

ليس لي مذهب سواه وعقد

بيتكم مهبط الوح

سى ومنكم نور النبوة يبدو

ولكم في العلا مقام رفيع

مالككم فيه آل ياسين ند

يا ابن بنت الرسول من ذا يضا

هيك افتخارا وأنت للفخر عقد

كل من رام حصر فضلك غر

فضل آل النبي ليس يعد

فخصائص الشعر العلوى ظاهرة في هذه

الآيات. فالشاعر يذكر آل طه، ويقول إن حبهم

دينه الذي يدين به، وقد انعقد إيمانه على هذا

الحب. وبينهم نزلت فيه الرسالة والوحى. ويذكر نور

النبوة وآل ياسين، وابن بنت رسول الله. وكل هذا

من مميزات الشعر العلوى.

وله من قصيدة أخرى:

لست أخشى رب الزمان وأنتم

عمدتى في الخطوب يا آل أحمد

من يضاهى فسخاركم آل طه

وعليكم سرادق العزم محمد

كل فضل لغيركم فإليكم

يا بنى الطهر بالأصالة يسند

أى بيت كبيتكم آل طه

طهر الله ساكنيه ومجد

ولكم في الكتاب ذكر جميل

يهتدى منه كل قارى ويسعد

وعليكم أثنى الكتاب وهل بعد

مد ثناء الكتاب مجد وسودد

في هذه الآيات إشارة إلى قوله تعالى «إنما يريد

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

تطهيرا» - الأحزاب آية ٣٣ - والشيعية يذكرون أن

النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليا والحسن

والحسين وفاطم، وألقى عليهم عباة وكان هو

معهم تحت العباة، وحينئذ نزلت الآية المتقدمة.

وقال :

لئن كان رفضا حبكم يا آل أحمد

فقد لد لي في حبكم ذلك الرفض

عرضت عليكم آل ياسين قصتى

ويحسن من مثلى على مثلكم عرض

وعاداتكم إكرام من زار حبكم

وحاشا لتلك العادة الخلف والنقض

على حبكم أفنيت عمري وهل لمن

بحبكمو بعد من الله أو بغض

لها أنا يا آل النبي وحق من
 تذل لعلياه السموات والأرض
 مسح أتاكم آل طه يزوركم
 وقد صح في التاريخ جبكمو فرض
 والبيت الأول مأخوذ من البيت المشهور المنسوب
 للإمام الشافعي وهو:
 إن كان رفضا حب آل محمد
 فليشهد الثقلان أني رافضي
 ولن نجد عند الشراوى في مدائحه لآل البيت
 أكثر من المعاني المتقدمة. فلتركه لنظر في شعر
 الإدكاوي المتوفى سنة ١١٨٢ هـ قال يمدح فاطمة
 الزهراء :
 أما هي من طه المكرم بضعة
 على جها من مات كانت له بشرى
 أما هي من قد حرم الله جسمها
 على النار تحقيقا وأحبابها جهرا
 أما هي من قد أحصنت فرجها فلا
 تداني لها نار وأولادها طرا
 وخير نساء العالمين بلا مرا
 ومن شك في هذا عليه بالاستقرا
 وكان رسول الله يقبضه الذي
 يكون لها قبضا ويسط بالأخرى
 وقال لها صلى عليه إلهه
 لأجل رضاك الله يرضى فيا بشرى
 وفي الحشر يأتي المصطفى وهورا
 كب البراق وتأتي خلفه بنته الغرا
 على الناقة القصوى فتدخل تلوه
 إلى جنة المأوى التي حسنت ذكرا
 وفي خبر يغدر المنادى مناديا
 لدى ذلك الجمع الذي عز أن يدرى
 ألا نكسوا روسا وغضوا نواظرا
 لفلأ يروا شخصا لمن ظهرت مرا
 وفي مدحها جاءت أحاديث جملة
 تفوت على من رام تعدادها حصرا
 وخصت من المولى بأشياء تميزت
 بها نساء العالمين حلت نشرا
 فلا حيض يأتيها ولا في نفاسها
 يرى دمها من أجل ذا لقبت زهرا
 ولا جوع تشكو قط من أجل دعوة
 دعاها لها طه ولو مكثت شهرا
 ومسر أبيها قد غدت كنية لها
 فيأحسنها من كنية قد زكت نشرا
 وكان لها دوما يقوم إذا أتت
 إليه ويحبوها بمجلسه جبرا
 وما بين عينيها يقبل مثلما
 يمضى لسانا قد حلا وزكا طهرا
 وقد ضمها تحت الكسا وعليها
 ونجليهما ضما به زادهم فخرا
 وقال إله العرش إنى أحبهم
 فظهرهم من كل ما يوجب الإصرا
 وأحبب إليهم كل من قد أحبهم
 ونوله ما يرجوه وارفح له ذكرا
 لقد ولدتها من تسامت خديجة
 حليلة خير المرسلين علا قدرا
 فقد كرمت أما كما شرفت أبا
 وقد أنجبت شبلين سادا الملا الزهرا
 هما كوكبا فضل وبدرا سيادة
 وريحانة المختار من فاز بالإسرا
 شهيدان مسعودان يران سيادا
 شباب جنان من عبيد ومن أحرار

لها أنا يا آل النبي وحق من
 تذل لعلياه السموات والأرض
 مسح أتاكم آل طه يزوركم
 وقد صح في التاريخ جبكمو فرض
 والبيت الأول مأخوذ من البيت المشهور المنسوب
 للإمام الشافعي وهو:
 إن كان رفضا حب آل محمد
 فليشهد الثقلان أني رافضي
 ولن نجد عند الشراوى في مدائحه لآل البيت
 أكثر من المعاني المتقدمة. فلتركه لنظر في شعر
 الإدكاوي المتوفى سنة ١١٨٢ هـ قال يمدح فاطمة
 الزهراء :
 أما هي من طه المكرم بضعة
 على جها من مات كانت له بشرى
 أما هي من قد حرم الله جسمها
 على النار تحقيقا وأحبابها جهرا
 أما هي من قد أحصنت فرجها فلا
 تداني لها نار وأولادها طرا
 وخير نساء العالمين بلا مرا
 ومن شك في هذا عليه بالاستقرا
 وكان رسول الله يقبضه الذي
 يكون لها قبضا ويسط بالأخرى
 وقال لها صلى عليه إلهه
 لأجل رضاك الله يرضى فيا بشرى
 وفي الحشر يأتي المصطفى وهورا
 كب البراق وتأتي خلفه بنته الغرا
 على الناقة القصوى فتدخل تلوه
 إلى جنة المأوى التي حسنت ذكرا
 وفي خبر يغدر المنادى مناديا

مصائبهما لم ينسه خاطري وما
أتاه العدا من سوء بغى غدا أمرا
مصائبهما أبكا العيون وأوقع الد
نفوس بكرب مثلما للحشا فرا
ألا لعن الرحمن من قد سعى بما
أباح دماء بالنفاس لا تشرى
همو آل بيت الطهر طه الذين قد
نفى الرجس عنهم ربنا فإقرا الذكرا
وفي سورة الشورى العجائب فآلها
تل ما تشا بل تغنم الفوز والأجرا
بها وينجليها الكريمين والرضا
على واختار ذى الآية الكبرى
توسلت يارب العباد بهم عسى
أنال بحبيبهم مرادى والنصرا

فإذا تأملنا في هذه القصيدة وجدنا الإدكاوى قد
حشد فيها كثيرا من الأحاديث التي رويت في
السيدة فاطمة. وبالرجوع إلى صحيح البخارى
ومسلم وجدت حديثين هما «فاطمة سيدة نساء
المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة» في رواية مسلم.
وفي رواية البخارى «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»
وحديث «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها»
في رواية مسلم.

وعند البخارى «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها
أغضبني» وفي رواية عنده «ويؤذيني ما آذاها».

وقول الإدكاوى «وسر أبيها كان يودعه لها» فيه
إشارة إلى حديث ورد في البخارى ومسلم ومعناه أن
النبي صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة وأخبرها أن
سينتقل إلى الرفيق الأعلى فبكت. ثم أخبرها أنها
ستكون أول من يلحق به فضحكت. وقد كتبت
هذا الخبر فلم تبج به إلا بعد وفاة الرسول.

أما الأخبار التي أوردها الشاعر عن فاطمة وهي
أنها لا تحيض، ولا يخرج منها دم عقب الولادة. وأن
النبي دعا لها بدعاء يقيها شر الجوع، وأنها تركب
ناقية يوم القيامة وتدخل بها إلى الجنة على أثر
الرسول، وأن مناديا ينادى الناس ليغضوا أبصارهم
حتى تمر بناقتها، إلى غير ذلك، فإن هذه الأخبار
لم ترد في الكتب الصحيحة، ومع ذلك فالمسلمون
أجمعون يشتركون في حب فاطمة، ويرتاحون إلى
كل ما يقال ويروى من أخبارها. ولا عجب في ذلك
فهي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي قول الإدكاوى «وفي سورة الشورى
العجائب فآلها» إشارة إلى قوله تعالى «قل لا
أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى» فإن الشيعة
فسروا القربى بأنها آل على، وبذلك وجهوا الآية
توجيها يخدم أغراضهم، في حين أن خصومهم
قالوا إن قرابة النبي لا تقتصر على آل على، بل
تشمل كل من يمت إلى النبي بصلة القرابة من
ناحية الآباء والأمهات، والمصاهرة والنسب. ومن هنا
نرى أن شعراء العلويين في مصر اتفقوا مع الشيعة
في تفسير هذه الآية.

وفي قوله «وقد ضمها تحت الكسا وعليها»
إشارة إلى القصة التي رويت حول نزول آية التطهير
من الرجس. وقد رجعت إلى الطبرى وهو المشهور
بالتفسير بالأثر فوجدت كل ما أورده من أقوال في
هذا الصدد يتفق ما معا ذهب إليه الشيعة، اللهم
إلا رواية واحدة تنص على أن الآية نزلت في نساء
النبي. وخصوم الشيعة يأخذون بهذه الرواية. وأما
شعراء العلويين في مصر فإنهم وقفوا إلى جانب
الشيعة، ولم تخل قصيدة من قصائدهم من الإشارة
إليها.

وقد بكى الإدكاوى على ما أصاب الحسن

والحسين، ونوه بشأنهما، ولعن معاوية وابنه يزيد الذين قتلا هذين الشهيدين. والشيعة يذكرون أن معاوية دس السم للحسن، وقد تابعهم الإدكاوى وغيره من الشعراء العلويين بمصر في هذا الزعم. أما غير الشيعة فإنهم برأوا معاوية من هذه التهمة، ونظروا إليه على أنه كان أحد الصحابة. وعندى أن الذى يولى ابنه يزيد إمارة المؤمنين مع علمه بفسقه وفجوره لا يعد عليه أن يسم الحسن.

وختم الإدكاوى قصيدته بالتضرع إلى الله أن يميتته على حب آل البيت لأن حبهم من الإيمان، ولا يدخل الجنة إلا من مات على حبهم. كما أن بغضهم كفر يزدى إلى النار. وقد اشترك جميع الشعراء العلويين فى هذا القول، كما اشتركوا فى التوسل إلى الله بآل البيت، والاستغاثة بهم فى الشدائد والملمات.

وقد التف شعراء العلويين حول شيوخ السادات الوفاية، ومدحهم بقصائد تعيد إلى الأذهان ما كان يقال فى اخلفاء الفاطميين.

ومؤسس بيت السادات الوفاية فى مصر كما يذكر الزبيدى فى رسالته «رفع نقاب الخفا عمن اتسمى إلى وفاء الوفا». هو : محمد النجم الذى يدعى أنه ينحدر من ذرية الإمام على . وقد جاء إلى مصر من شمال أفريقية فى أول القرن الثامن الهجرى ونزل بالاسكندرية وأقام بها مدة من الزمن. ثم انتقل إلى القاهرة وسكن بجزيرة الروضة. وقد قيل فى سبب تلقيبه بـ «وفا» أن النيل توقف فى إحدى السنين، فتوجه العلماء والصلحاء إلى المقياس ودعوا الله لترفع مياه النيل كالعتاد، ولكن الله لم يجب دعاءهم . وبقي النيل على حاله من النقص.

وقد أخبر السلطان بوجود «محمد النجم» وصلاحه وتقواه. فأرسل إليه أن يتوجه إلى المقياس ويدعو الله، ففعل. فلم يلبث أن ارتفع الماء وظهر الوفاء، وصار الناس يقولون «وفا، وفا» وخرطب حينئذ بذلك وصار علما عليه.

وليس من المهم أن نقف عند هذه القصة لنحكم عليها من الناحية التاريخية ولكن المفيد هنا أن نلاحظ ارتباط وفاء النيل بآل البيت.

واشتهرت ذريته باسم «السادات» وقد توفى محمد وفا سنة ٧٦٥هـ.

ثم انتقلت عائلة السادات من الروضة وسكنت مصر القديمة. وفى القرن الحادى عشر كان لها مساكن بناهتلى اخرنفش وبركة الفيل. وقد ذكرهم عبد الغنى النابلسى الذى جاء إلى مصر سنة ١١٠٥هـ فى كتابه الحقيقة والجواز فقال «... ثم ركبنا وتوجهنا مع الإخوان إلى جهة بيت السادة الوفاية المشهورين بالمعارف الإلهية والحقائق الربانية. أهل النظم والنثر من التصانيف الفاخرة، والدواوين الزاهرة. وكان منهم البدر الكامل، والسر الشامل الشيخ يوسف ابن متعة البصر والسمع، ونور الفرق والجمع، الشيخ أبى التخصيص الوفاى، رفع لهم الله فى الآفاق رايات المجد، ولازال ذكرهم بالكمالات الإنسانية بين مراتب الغرر ونجد».

«لدخلنا إلى دارهم المعمورة التى هى بأنواع الهيبة والاحتشام مغمورة فتلقانا الشيخ يوسف المذكور بكمال البشاشة والسرور. وجلسنا عنده حصة من الزمان حتى جىء لنا بماء الورد والبخور، وحصل كمال اللطف والإذعان».

وذكرهم الشهاب الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩هـ فقال «ومن البيوت العامرة بمصر بيت

السادة الوفاية. سادات السادات، لهم أنفس قدسية
قد أفيضت عليها العلوم اللدنية. ما منهم إلا
صاحب ديوان نافذ في سبيل البلاغة بسلطان».

ومن أعلام هذا البيت : عبد الخالق بن وفا. وقد
ذكره الجبرتي في أحداث سنة ١١٦١ هـ [انظر
الجزء الاول من الجبرتي ترجمة رقم ١٩٠].
فقال «قطب زمانه، وفريد أوانه. كان على قد
أسلافه وفيه فضيلة وميل للشعر. وامتدحه الشعراء
وأجازهم الجوائز السنية. وكان يحب سماع
الآلات».

ومما قيل في مدحه:

دعك عنك حاتم طي وابن زائدة

واترك حديث بني العباس واخلفا

وانظر بعينيك هل أبصرت من رجل

في الجود يشبه عبد الخالق بن وفا

توفي سنة ١١٦١ هـ وتولى بعده في خلافتهم :

محمد أبو الإشراق بن وفا.

واشتهر منهم أحمد بن إسماعيل أبو الامداد،
سبط بني الوفا. وترجم له الجبرتي (انظر ترجمته
رقم ٣١١ في هذا الجزء) بقوله «الجناب الأمجد،
والملاذ الأوحده. علم الجند وناشره، وجالب متاع
الفضل وتاجرته، تولى نقابة الأشراف سنة ١١٦٨ هـ
توفي سنة ١١٨٢ هـ. وسار فيهم سيرة مرضية .
وقد مدحه عبد الله الإدكاوي بقوله :

قالوا نقابة بمصر أودى كفؤها

وتسريلت بحدادها واستخفت

فأجبت كلا، بل لها الكفاء الذي

رتب العلا بفخاره قد حفت

لما دعاها أذعنت واستبشرت

وأنته طائفة ولم تغلف
وتبرجت فلذاك قلنا أرخوا
أدبا لأحمد النقاية زفت

ثم تولى مشيخة السجادة الوفاية سنة ١١٧٦
فمدحه الإدكاوي بقوله:

قيل لي هل مدحت آل علي

من بهم يكتسى الأديب الشرافه

آل بيت الوفاء من خصصوا بالـ

مجد والفخر والتقوى والإنافه

قلت ما قدر مدحتي لكرام

بهم تأمن الأنام الخفافه

غير أني لفرعهم أحمد المجـ

د ساجد بمنطقى أوصافه

هو بيت الأفضال شمس المعالي

أرحد الفضل جامع الطافه

منه اضحى دست الاخلافة من صد

ر خليا وما دروا إسعافه

قال أعلى الجدود في الحال هاتوا

نجلنا أحمد الزكي العسرافه

قدموه فقلت في الحال أرخـ

جده قد أولاه ركن الاخلافة

ولعل أشهر أفراد هذا البيت هو: شمس الدين

محمد أبو الأنوار. وقد ترجم له الجبرتي ترجمة

مطولة للخصها فيما يلي:

«نادرة عصره، ووحيد دهره؛ الشيخ شمس

الدين محمد أبو الأنوار، ابن عبد الرحمن المعروف

بابن عارفين؛ سبط بني الوفاء، وخليفة السادات

الحنفاء، وشيخ سجادتها، ومحط رحال سيادتها.

وشهرته غنية عن مزيد الإفصاح، ومناقبه أظهر من

البيان والإيضاح».

«تولى خلافة بيتهم سنة ١١٨٢».

«ودرس على شيوخ عصره . وكان له اشتغال فى بعض الأحيان بالمطالعة والمذاكرة فى المسائل الدينية والأدبية . ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم ، والمناقشة معهم فى النكات واقتناء الكتب من كل فن . كل ذلك مع الجهد والتحصيل للأسباب الدنيوية ، وما يتوصل به إلى كثرة الإيراد بحسن تداهل ، وجميل طريقة مبعده عما يخل بالمقدار ، بحيث يقضى مرامه من العظيم وجميل الفضل له . ويراسل ويكتب ويشاحح على أدنى شئ ، ويحاسب ولا يدفع لأرباب الأقلام عواندهم المقررة فى الدفاتر ، بل يرون أن أخذها منه من الكبار . وكذلك دواوين المكوس المبنى على الإجحاف . فكل ما نسب له فيها هو معافى . وكلما طال الأمل زاد المدد ، وخصوصا إذا تقلبت الدول وارتفعت السفلى كان الأسبق القديم فى أعينهم هو الجليل العظيم . وهم لديه صغار ، لا ينظر إليهم بعين الاحتقار . ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين كان يهابهم ويخضع لهم ويتأدب معهم ، وكانوا على طرائق الأقدمين فى العفة والانجماع عن كل عمل يخل بتعظيم العلم وأهله ، والتباعد عن بنى الدنيا إلا بقدر الضرورة . وخلف بعدهم من هم على خلاف ذلك ، وهم أعظم مدرسى الوقت فأحدقوا به ، وأكثروا من الترداد عليه وعلى موانده ، وبالغوا فى تعظيمه وتقيل يده ، ومدحوه بالقصائد البليغة طمعا فى صلاته وجوائزه القليلة ، وحصول الشهرة لهم ، وزوال الخمول ، والتعارف بمن يتردد إلى داره من الأمراء والأكابر . وزاد هو أيضا وجهها ووجاهة بمجالستهم ، ولا يريهم فضلا بسعيهم إليه ، ويزداد كبرا وتبها . وبلغ به أنه لا يقوم لأكثرهم إذا دخل عليه . ومنهم من يدخل بغاية الأدب فيلم ثيابه

ويقول عند مشاهدته «يا مولاي يا واحد» فيجيبه هو بقوله «يا مولاي يا دائم ، يا على يا حكيم» . فإذا حصل بالقرب منه بنحو ذراعين حبا على ركبته ، ومد يمينه لتقبيل يده أو طرف ثوبه . وأما الأدون فلا يقبل إلا طرف ثوبه . وكذلك أتباعه وخدمة الخواص . وإذا كان من أهل الذمة أو كبار المباشرين وقبلوا يده وخاطبهم فى أشغاله وهم قيام وانصرفوا ، طلب الطست والإبريق وغسل يده بالصابون لإزالة أثر أفواههم . ولا يجيب فى رد التحية إلا بقوله «خير ، خير» .

«ولا يقطع غالب أوقاته مع مجالسيه وخاصة مسامريه إلا بانتقاد أهل عصره ، وغيبة غالب أهل عصره . وتبسط نفسه إلى ذلك ، وإليه يصغى» .

«وفى سنة ١١٩٠ ورد إلى مصر عبد الرزاق أفندى رئيس الكتاب ومن أكابر أهل الدولة . فمنحته الدولة بواسطته مائة كيس لإصلاح زاوية أسلافه . وكان معينه فى ذلك الوقت أيضا الشيخ محمد مرتضى الزبيدى» .

«ثم أرسل وزيره وكتخده الشيخ إبراهيم السندوبى إلى دار السلطنة بمكاتبات يلتمس فيها رفع ما على قرية زفتى وغيرها مما فى حوزته من الالتزام من الضرائب التى تدفع إلى الديوان كل سنة . وكان إبراهيم المذكور غاية فى الدهاء والحيل الساسانية ، والتضععات الشيطانية ، والتخليطات الوهمية ، وتقليبات الملامتية . فتم مرامه بما ابتدعه من الخرفة والإيهامات الملفقة . ولم يدفع ما جرت به العادة من العوائد ، بل اجتلبت خلاف ذلك فوائد» .

«ولما حضر حسن باشا الجزايرلى سنة ١٢٠٠ هـ وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبيلية ، واستباح أموالهم ، وقبض على نسايتهم وأولادهم وأمر بإنزالهم سوق المزاد وبيعهم ، زاعما

قاعة كبرى تسمى «أم الأفراح» مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشائي الصيني بجميع حيواناتها، والرخام الملون. وبها الفسقية والسبيل والقمريات الملونة. فكشف حائطها وأدخل فسحتها في رحبة الحوش، وعمل بها فسقية بالرخام، وسماها الأنوارية، نسبة إلى كنيته وأمامها فسحة عظيمة. وأنشأ بجوار بيته مسجداً ليصلي فيه وذلك لبعده المساجد الجامعة عن داره. وتعاضمه عن السعى الكثير والاختلاط بالعامية. وأنشأ بستاناً كبيراً، وغرس به الأشجار والرياحين والشمار. وأفتى غالب عمره في تحصيل الدنيا، وتنظيم المعاش والرفاهية، واقتناء كل مرغوب للنفس، وشراء الجوارى والممالك والعبيد والحوش والخصيان، والتأنق في المأكول والمشرب والملابس. واستخراج الأدهان والعطريات، والمركبات المفرحة والمنعشة للقوة.

«وتعاضم في نفسه، وتعالى على أبناء جنسه حتى إنه ترفع عن لبس التاج والحضور بالأزهر ليلة المعراج وكذا الحضور في مجلس ردهم الذي هو محل عزهم. وصار يلبس قاروقاً بعمامة خضراء تشبهاً بأكابر الأمراء، وبعداً عن التشبه بالمعممين والفقهاء والمقرئين».

«ولما طالت أيامه، وماتت أقرانه، والسذين كان يستحى منهم ويهابهم وتقلبت عليه الأحوال، والدرجت أكابر الأمراء، وتأمروا بابعادهم ومماليكهم الذين كانوا يقومون على أقدامهم بين يدي مخاديمهم، وأسيادهم جلوس بالأدب مع المترجم،

فلا جرم أن كانت هيئته في قلوبهم أعظم من أسلافهم، واستصغاره هو لهم كذلك. فكان يصدعهم بالكلام، وينفذ أمره فيهم، ويذكر الأمير الكبير بقوله «ولدا الأمير فلان»، وحواله عندهم

أنهم أرقاء لبيت المال وفعل ذلك فاجتمع الأشياخ وذهبوا إليه فكان المخاطب له المترجم قائلًا له:

أنت أتيت إلى هذه البلدة وأرسلت السلطان لإقامة العدل، ورفع الظلم كما تقول، أم لبيع الأحرار وأمهاة الأولاد وهتك الحرم؟ فقال: هؤلاء أرقاء لبيت المال. فقال له: هذا لا يجوز، ولم يقل به أحد. فاغتاظ غيظاً شديداً.

«وكان إبراهيم بك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة. وكذلك مراد بك أودع عند محمد البكري وديعة. وعلم حسن باشا فأرسل عسكراً إلى السيد البكري فلم تسعه الخالفة وسلم ما عنده. وأرسل كذلك يطلب من المترجم وديعة إبراهيم بك فامتنع من دفعها قائلًا: «إن صاحبها لم يمتهن، وقد كتبت على نفسي وثيقة، فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها على قيد الحياة».

فاشتد غيظ الباشا منه، وقصد البطش به، فحماه الله منه ببركة انتصاره للحق فكان يقول: - يعني حسن باشا - : لم أر في جميع الممالك التي ولجتها من اجتراً على مخالفتي مثل هذا الرجل، فإنه أحرق قلبي».

«ولما رحل حسن باشا الجزائر إلى وعاد الأمر إلى الممالك زادت عندهم مكانته. وآل إليه نظر المشهد الحسيني، ومشهد السيدة نفيسة والسيدة زينب وباقي الأضرحة الكثيرة الإيراد. وأخذ يتشدد مع القائمين على هذه الأضرحة في تحصيل أموالها، ويسبهم ويهينهم، ويضربهم بالجريد المحمى على أرجلهم».

«وكانت مساكنه مظلة على بركة الفيل. وبها

مقضية، وكلامه مسموع، وشفاعته مقبولة، وأوامره نافذة فيهم وفي حواشيهم وحريماتهم».

«واتفق أن بعض أعظم المباشرين من الأقباط توقف معه في أمر، فأحضره ولعنه وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد. ولم يراع حرمة أميره وهو إذ ذاك أمير البلد. ولما شكوا إلى مخدمومه ما فعل به، قال للحاضرين: «وماذا تريدون أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا؟! فرحم الله عظامهم»

«واتفق أن جماعة من أولاد البلد ووجهائها اجتمعوا ليلة بمنزل بعض أصحابهم، وبسطوا فأخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض أصحاب المظاهر، فوشى للمترجم ونقل له أنهم أدرجوه في سخريتهم فأحضرهم واحدا بعد واحد وعزهم بالضرب والإهانة».

«فكان من حين إلى حين يقع في بيته الضرب والإهانة لأفراد من الناس وكذلك فلاحو الحصص التي حازها والتزم بها، فإنه زاد في خراجهم عن شركائه، وفرض عليهم زيادات كان يحبسهم عليها شهورا؛ ويضربهم بالكرايج وبالجملة فقد قلب الموضوع، وغير الرسم المطبوع، بعد أن كان منزلهم محل سلوك ورشاد، وولاية واعتقاد، صار كبيت حاكم الشرطة يخافه من غلط أدنى غلطة، ويتحاماه الناس من جميع الأجناس. وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضونه في شيء بل يوافقونه. ولا يتكلمون مع إلا بميزان وملاحظة الأركان. ويتأدبون معه في رد الجواب. وحذف كاف الخطاب، ونقل الضمان عن وضعها في غالب الألفاظ، بل حتى في الآثار المروية، والأحاديث النبوية. وغير ذلك من المبالغات وتحسين العبارات والوصف بالمناقب الجليلة

و الأوصاف الجميلة، حتى إن السيد حسين المنزلاوى الخطيب كان ينشئ خطبا يخطب بها يوم الجمعة التي يكون المترجم حاضرا فيها بالمشهد الحسيني، وبزاويتهم أيام المولد، ويدرج فيها الإطراء العظيم في المترجم، والتوسل به في كشف المهمات وتفريج الكروب، وغفران الذنوب، حتى إنى سمعت قائلا يقول بعد الصلاة:

«لم يبق على الخطيب إلا أن يقول أركعوا واسجدوا واعبدوا شيخ السادات!!»

ولما دخل الفرنسيون مصر كانت للمترجم بعض المواقف المشرفة التي تحمل بسببها كثيرا من الأذى. فقد حدث أن قبض بونايرته على ابن القاضى التركى وجبسه في القلعة. فتشفع المشايخ عند بونايرته ليطلق سراحه.

وكان السادات حاضرا فضم صوته إلى صوت العلماء وأضاف قائلا:

«إنكم تقولون دائما إن الفرنساوية أحباب العثمانية. وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى. فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية، ويكذب قولهم وخصوصا عند العامة» فغضب بونايرته من كلام السادات واستدعاه إلى مجلسه وعاتبه ولامه. وحجزه مدة من الليل، وأخيرا أطلق سراحه وأمره بالانصراف إلى منزله.

ولما نشبت المعارك بين الفرنسيين والجيش العثمانى، ودخل العثمانيون القاهرة وشرعوا في الاعتداء على أموال الناس وأرواحهم؛ كتب السادات إلى عثمان كتخدا الدولة الرسالة الآتية:

حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم

النصير. وما هي من الظالمين بعيد.

ظننت أنك عدتي أسطوب بها

ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي

فر ميت بغير ما أملت

والمرء يشرق بالزلال البارد

أما بعد، فقد نقضت عهدي، وتركت مودة آل

جدي. وأطعت الظلمة السفلة، وامتثلت أمر المارقين

الثقلة، فأعنتهم على البغي والجور، وسارعت في

تنجيز مرامهم الفاسد على الفور؛ من إلزامكم

الكبير والصغير، والغنى والفقر إطعام عسكريكم

الذي أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات، وبلغ في

النهب والفساد غاية الغايات. فكان جهادهم في

أماكن الموبقات والملاهي حتى نزل بالمسلمين أعظم

المصائب والدواهي. فاستحكم الدمار والخراب،

ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب. فلذلك كان

عسكريكم مخدولا، وبهم عم الحريق كل بيت كان

باغير مشمولا.

«كيف لا، وأكابهم أضمرت سوء للمرتزة في

تضييق معاشهم وأخذ مرتباتهم، وإتلاف ما بأيديهم

من أرزاقهم وتعلقاتهم. وقد أخفتم البلد بعد أمنها،

وأشعلتم نار الفتنة بعد طفتها. ثم فررتم فرار الفيران

من السنور، وتركتم الضعفاء متوقعين أشنع الأمور.

فواغوثاه واغوثاه، أغثنا ياغيث المستغيثين، واحكم

بعدلك يا أحكم الحاكمين، وانصرونا والتصر لنا، فإننا

عبيدك الضعفاء المظلومون، يا أرحم الراحمين».

هذه الرسالة كتبت عقب انهزام المصريين في

الوقائع التي جرت بينهم وبين الفرنسيين في مدينة

القاهرة، والتي خرب بسببها معظم أحياء المدينة.

وقد أرغم الأهالي شيخ السادات على أن ينفق على

جانب كبير من المجاهدين. فلما انتصر الفرنسيون

فرضوا غرامات على سكان القاهرة، وفرضوا على

شيخ السادات ٥٣٥ ألف فرنك.

فذهب إلى داره وصحبه بعض الجنود الفرنسيين

لحراسته حتى لا يهرب، ثم اعتقلوه في القلعة وكان

في نيتهم قتله، فشفع فيه عثمان بك البرديسي.

واعقلوا فراشه ومقدمه. وحبسوه في حجرة مظلمة

فكان ينام على التراب، ويتوسد حجرا. وضربوه

ضربا مبرحا يومين متتابعين. ثم أنزلوه إلى داره في

حراسة شديدة. كان لديه عشرة آلاف ريال فدفعها

للفرنسيين. ثم باع بعض أمتعته ولكن هذا لم يف

بالمطلوب. فرجعوا به إلى معتقل القلعة ماشيا

وصاروا يضربونه خمسة عشر عصا في الصباح،

ومثلها في الليل. وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما.

فأحضروا محمد السندوبي تابعه وعذبه حتى عاين

الموت، فعرفه بمكانها، فجاءوا بها وحبسوها معه،

وكانوا يضربونه في وجودها وهي تبكي وتصرخ. ثم

تشفع المشايخ في نقلها من عنده، فنقلوها وبقي

الشيخ على حاله. وأخذوا مقدمه وفراشه

وحبسوها، وتغيب أكثر أتباعه واختفوا.

ولما قتل كليبر وخلفه مينو سنة ١٢١٥ هـ

أفرج عن شيخ السادات فرجع إلى بيته بعد أن

دفع ما سبق أن تقرر عليه، واستولى الفرنسيون على

ضياعه وأوقافه التي كان ينتظرها عليها، وحرموه من

مرتباته، وأمروه بعدم الاجتماع بالناس. وألا يخرج

من بيته دون إذن منهم، كما أمروه بالاقتصاد في

أموره ومعاشه، وأن يقلل من أتباعه.

وكان السادات الوفائية يتشبهون بالملوك

فيخلعون على أتباعهم الكنى والألقاب مثل أبي

الفوز، وأبى التدانى، وأبى الإقبال، وأبى العزم وكانت لهم مواسم خاصة يحتفلون بها وهى:

(١) الميعاد (٢) مولد المحرم (٣) مولد الحسين (٤) ٢٧ رمضان، وفيه يمنح شيخ السادات أتباعه ومريديه الكنى.

والطريقة الوفاية التى تنسب إلى مؤسس هذا البيت هى شعبة من الطريقة الشاذلية ولهذه الطريقة حزب مشهور هو حزب الفتح، يقرأ فى بيت الشيخ كل أسبوع ولها خرقة صوفية خاصة. ولشيخ السجادة تاج خاص يلبسه فى المواسم والأعياد.

أما الزوايا التى تتبعه فهى:

١ - زوايا الرباط وهى بناحية اغمرنفس. وكانت العادة قديم أن من يتولى مشيخة السجادة الوفاية يتوجه إليها ويمضى بعض الوقت فى قاعة خاصة تسمى «قاعة التجلى»، حيث تحل فيه الأسرار الإلهية. كما يزعمون، ثم يخرج فى موكب حافل إلى مسجد الحسين.

٢ - الزوايا الكبرى وهى شرقى الإمام الشافعى، وقد هدمت فى عهد الوالى العثمانى عزت محمد باشا سنة ١١٩١ ونى فى موضعها مسجد ضخيم فخم بأمر السلطان عبد الحميد الأول نكايه فى السادة الوفاية.

وقد سبق أن ذكرنا أن الناس كانوا إذا دخلوا على مشيخ السادات قالوا «يا مولاي، يا واحد» فيرد عليهم بقوله «يا مولاي يا دائم، يا على يا حكيم» والآن نريد أن نعرف السرفى اختيار هذه العبارات دون سواها، وقد وفر علينا مشقة البحث أحد شعراء السادات الوفاية حيث قال:

جعلت مدحك يا مولاي أورادا
يا واحد العصر يا من بالتقى سادا
قل يا على تجده ناصرا أبدا
يا دائم السر آباء واجدادا
وإن يقل قائل ما أصل خيرتها
من دون الأسماء للأستاذ أورادا
فكل لفظ أتى قطب الوفاء به
يدريه محترزا من كان نقادا
إذ كل من ذكر اسما فى تضرعه
لله يطلب معنى مابه نادى
فاختار أسماء مولى ما بها طلب
لأنه فساق أنجسابا وزهادا
لا خوف نار ولا فى جنة طمعا
بل يرتجى قربه لم يبغ إبعادا
أعلى المقامات فى التعبد عندهم
يا فوز من كان للرحمن عبادا
وشيخنا القطب فوز الأولياء له
أعلى المراتب تسليكا وإرشادا
ورب عبد غدا رقا لطائفة
فقال بل واحد ما رمت الحادا
لا جزء فى لغير الله يملكه
وفيه رد على من رام تعدادا
وأنه كسر المولى للذته
بكونه لمقام العبد قد عادا
فيه دليل على إثبات رتبته
قطبا إلى أن وفى للحرر ميعادا
أو واحدا كان لكن لا دوام له
فقال بل دائم جودا وإمدادا
ودائم لا زوال وهو قسابله
فقال لا، بل وعلى السوى بادا

هذه القصائد في كتاب اسمه «اللوائح الأنوارية»
والآن نريد أن نلقى نظرة طويلة على هذه المجموعة
من الشعر لنرى ما فيها من الأفكار التي يمكن أن
تضاف إلى خصائص شعراء آل البيت.
فهذا شاعر يقول من قصيدة في مدح أبي
الأنوار:

الجوهر الفرد الذي بوجوده
انس الزمان وبهجة الأقطار
محبي ربا الفضل بعد تهديم
مروى رياض المجد بعد بوار
قطب الوجود إمام كل موحد
سعد السعد نتيجة الأعصار
ملك تدن له الملوك وسيّد
ورث العلا عن سادة أطنار
الله توجه بتاج جلالة
وكساه حلة هيبة ووقار
فانزل برأيه المقدس إنه

مجلى السرور ومنبع الأسرار

فالشاعر يقول إن شيخ السادات هو الجوهر
الفرد.

وانه أحياء ربا الفضل بعدما درست معالمها،
وعفت آثارها. وهو الذي أعاد للمجد رونقه وبهاءه.
وهو قطب الوجود، وإمام كل موحد. فشيخ
السادات الذي هو رئيس البيت العلوي في مصر،
هو إمام المسلمين وهو الذي يجب أن يسمع له
المسلمون ويطيعوا.

وانك لتجد هذه الفكرة - أى فكرة الإمامة - أو
على وجه أدق إمامة شيخ السادات واردة في كل ما
مدح به من الشعر. مثال ذلك قول أحدهم:

ومن تكن هذه الأوصاف فيه فقل
هو الحكيم وقد فسيت إيرادا
أمر الحكيم مطاع لا خلاف له
سلم تجدد منه إيجابا وانجادا
وكل شيء ففیه حكمة بلغت
فضلا وعدلا واعلما وإيجابا

فالشاعر يقول إن الناس إذا ذكروا الله ذكروه
باسماء وصفات تعبر عما تنطوي عليه نفوسهم من
رغبة أو رهبة. أما شيخ السادات فإنه اختار اسما لا
يدل على رغبة في شيء من الأشياء لأنه زاهد إلى
أبعد حدود الزهد، ولا يدل على خوف من النار أو
طمع في الجنة. وكل ما يجول بخاطره هو أن
يتقرب إلى الله، وهذه أعلى مقامات العبادة.

هذه هي الأفكار التي من أجلها اتخذ شيخ
السادات شعاره السالف الذكر في تحية الناس له،
وفي رده عليهم.

وقد ردد شعراء السادات هذه العبارات في
شعرهم. مثال ذلك قول أحدهم:

لمت في حضرته مبتهلا
فعمسى أبلغ من قصدى المراما
قلت يامولاي ياواحد في
وصفه يادائم الفضل دواما
يا على الشأن عن درك السوى
ياحكيما أحكم الأمر احتكاما

وقد مر بنا أن شعراء مصر اجتمعوا حول شيخ
السادات محمد أبي الأنوار ومدحوه بقصائد كثيرة.
وقد جمع الحسن البدرى العوضى جالبا كثيرا من

وعش زينة للدهر إنك روحه

فما دمت لا يفنى الزمان ولا يمحي

وانك للدين القويم اتهاجه

وانك منهاج الحنيفية السمحا

وانك للإسلام أعظم ناصر

فواليتك ودا وأوليتك نصحا

وانك كهف المسلمين وركنهم

وملجأهم في كل نائبة قبحا

جعلت بهذا العصر للخلق رحمة

أزلت لهم عن كل مشكلة جنا

فشيخ السادات هو روح الدهر، وقرة عين الدين

الذي أدخل عليه البهجة والسرور . وهو منهاج

الحنيفية ، وحارس الإسلام والمسلمين . وقد جعله

الله رحمة للعالمين .

وقال آخر:

وعلى بني العصر اصطفاك لربة

تركت قلوب عداك فيها النار

السيد السند الهمام المجتبي

صدر الصدر المنتقى المختار

الجوهر الفرد الذي لم تشتمل

أبدا على أمثاله الأعصار

العروة الوثقى لمعتصم به

الآية الكبرى لمن يختار

كناه مولاه أبا الأنوار إذ

من نوره تتولد الأنوار

ولاه مولاه خلافة آله

فمنما به شرف لها وفخار

بعلاء آمناء فمن يؤمن بئل

عدنا ونار لظى لها الكفار

ياصفوة الرحمن من أقرانه

يامن له نعم على غـزار

فالله اختار السادات لربة الإمامة . فهو الإمام

المصطفى الذي اجتباؤه ربه وهو الحقيقة الحمديّة، لا

نظير له ولا شبيه . وهو العروة الوثقى والآية الكبرى،

والسراج المنير الذي يهدي الناس بضياؤه . وهو

مشرق الأنوار، من آمن به فقد فاز بجنان عدن،

ومن كفر فجهنم مقره ومثواه .

وقال آخر:

أنعم بها من روضة مأنوسة

محفوظة بطوالع الأنوار

أحيا مآثرها الإمام المرتضى

صدر الصدر ومطمع الأنظار

وقال الخشاب:

لو يستطيع لجوده أغنى الوري

والعالم العلوي من آلاه

خلف النبي محمد ووصيه

نور السراة الغر من أبنائه

لو كان في عهد النبي وجوده

أمسى مع السبطين تحت عباؤه

شهم عليه الله في تنزيله

أثنى فأعيا اللسان حسن ثنائه

فالخشاب يقول في البيت الأخير إن الله مدح

شيخ السادات في القرآن الكريم .

فالقرآن الكريم مدح أهل البيت حين وصفهم

بالطهر والبراءة من الرجس، ويقول إن أبا الأنوار

كان موجودا في عصر النبي عليه السلام لأدخله

مع الحسن والحسين تحت عباله. وقد سبقت الإشارة
إلى قصة العباءة.

وانظر إلى قول محمد بن شبانة:

لنبي الوفا في الكون أعلى رتبة

بعد النبي وصحبه الأبرار

ورثوا السيادة عن علي جدهم

باب المدينة قاتل الكفار

هذا هو السبب الذي يعلو على

كيوان والبدر المنير الساري

كالشمس في أفق السماء ونورها

نفع الأنام وبهجة الأعصار

من مثلهم والعلم ميراث لهم

كالجند حيدرة الرضا الكرار

فهو اغيار بنو اغيار وجدهم

فخر العلاء وأصل كل فخار

من جاءهم يرجو الأمان بجاههم

سلمت عقيدته من الأوزار

ففي هذه الأبيات نجد محمد بن شبانة يردد

الأفكار التي مرت بنا من القول بوراة آل السادات

للإمام علي، والإشارة إلى حديث «أنا مدينة العلم

وعلى بابها» وغير ذلك من المميزات التي انفردوا

بها، وأن من أحبهم سلمت عقيدته وصح إيمانه.

وشيخ السادات هو المهدي المنتظر الذي يملأ

الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً. قال أحد الشعراء:

إذا لم يك المهدي تيقنوا

ببطلان ما قد يزعمون فلا مهدي

فإن لم يكن أبو الأنوار هو المهدي الذي ينتظره

الناس فلا مهدي إذن على الإطلاق.

وانظر إلى قول عبد الرحمن الصفاقسي:

وقد بلغت آمالكم سورة الضحى

وأوصافكم في سورة الفيل تذكر

إذا جاء نصر الله تبت يد العدي

وقابلها الخذلان من حيث تنصر

وتبقى لهذا الدين كهفا وملجأ

ورداً به الإسلام يعلو ويظهر

وتستهج الأيام بالعدل والهدى

وتصبح أهل الفضل بالفضل تفخر

ويصبح داعي النصر في كل موطن

ينادي على الكفار الله أكبر

هنالك يعلو ديننا بمحمد

على دين إبراهيم بالنسخ يظهر

سلالة خير الخلق من آل هاشم

ومن هو للسر الوفاي مظهر

فقم يا أبا الأنوار لله حسبة

فإنك في كل الأمور المظفر

وكن واثقاً بالله معتصماً به

على ثقة بالفوز والله ينصر

فإنك داعي الحق والحق دامغ

لباطلهم وهو الزهوق المتبر

وانك مهدي الزمان فلا تدع

بمصرك شيئاً ماله الشرع ينكر

فلا زلت بالمعروف واغير آمراً

وتنهى عن الفعل القبيح وتزجر

ففي هذه القصيدة ترى فكرة مهدوية محمد

أبي الأنوار واضحة وضوحاً تاماً. وقد أشار الشاعر

إلى ما ورد في سورة الضحى من خطاب الله للنبي

عليه السلام بأنه ما ودعه وما قلاه. وأنه سيعطيه

عطاء يرضى معه. وقال إن موقف أبى الأنوار يشبه موقف النبى فى هذه السورة، أى أن الله سيعطيه ما يرضيه كل الرضا، فى حين أن خصومه ومنكرى مهاديته سيهلكهم الله كما أهلك أصحاب القيل، وسينصره نصرا عزيزا موزنا، فيعلم به الدين ويملا الدنيا عدلا وهداية. ثم التفت الشاعر إلى شيخ السادات وأخذ يحرضه على القيام للجهاد فى سبيل اله، فهو داعى الحق، ومهدى الزمان، الأمر بالمعروف الناهى عن الفحشاء والمنكر ناهيك عن أنه يخاطبه كملك لمصر عندما قال فى البيت قبل الأخير «بمصرك».

وقال مرتضى الزبيدى:

هو روح الإله فى كل مجلى

هو تاج الجمال والعلواء

وكثيرا ماشبهوا شيخ السادات بالنبى محمد

صلى الله عليه وسلم. من ذلك قول أحدهم:

رقيت سمي المصطفى وابن سبطه

مراتب عز قد غدا فضلها جما

تبوات منها رغم شانيك منصبا

مكان رسول الله فى هاشم قدما

أو يذكرون اسمه كما يذكر اسم النبى محمد.

مثال ذلك قول أحدهم:

سريره كسيرته وأسنى

فينا حسناه إذ يعنى ويقصد

فذلك السيد السند المقدى

أبو الأنوار سيدنا محمد

وشيوخ السادات يعلم الغيب. قال الخشاب:

له قلم بعلم الغيب يجرى
وبالأرزاق والقدر المتاح

وزيارة شيخ السادات فرضة كالحج بل أكثر.
قال أحد الشعراء:

فلبيته سعى الأفاضل عندهم

فرض كفرض الحج فى عرفات

والحج مفروض علينا مرة

ولبيتهم عدد من الكرات

وفى الشعر العلوى نجد كثيرا من الصور الدينية
كالحج والطواف والسعى والوقوف بعرفات وغير
ذلك. قال أحد الشعراء:

ياخير من حجت إليه ركائب الـ

سفضلا تقبل ركنه المحروسا

وتراهمو يسعون فى مرواته

وصفاه لا يلقون منه عبوسا

يقفون فى عرفات واسع فضله

متأززين من الخشوع لبوسا

بحماك حظ مفتت الأكباد من

شط الديار وقد أناخ العيسا

تهنا بعيسد الفطر جاءك زائرا

فقريته التسبيح والتقديسا

أرضيت ربك فى قنوتك ليله

وأغظت فى أيامه إبليسا

وقال محمد بن شيانه:

مولى إذا حضر الأفاضل عنده

نزلوا نزول الحج فى عرفات

يرجون غفران الذنوب جميعها

من أكبر الآثام والتبوعات

شبه كبير بين هذه المدائح التي كان ينظمها الشعراء في الخلفاء والأنمة الفاطميين ، وبخاصة كانت تقال في عيد الفطر أو عيد الأضحى كما كانت الحال مع الخلفاء.

ويكثر في الشعر العلوي الإشارة إلى الآيات القرآنية والافتباس منها مثال ذلك قول القائل:

فصل له شكرا وقم وانحر الفدا
وكبر على الأعدا فتانك أبت
وقد زلزلوا بالعاديات وأهلكوا
بقارعة فيها مع الصرصر
وألهامو بالعصر ويل خسرهم
وأحوالهم في سورة الفيل تذكر
والأمثلة على ذلك كثيرة.

وكان الشعراء في مدائحهم لشيخ السادات ينظرون إلى ما نظم قديما. مثل قول السفاقي:
هل تفكون أسيرا من قياد
أو تجيرون صديقا من معادى؟
أو توالون محبا صادقا
وده في كل يوم في ازدياد؟
أو تراعون حقوقا أوجبت
أن تراعى حقها أهل الوداد؟
يا بني السادات قوموا سرعة
وانفضوا عن مضجعي شوك القتاد

يا كرام الحى فاحموا حوزتى

وامسحوا عن ناظري كحل السهاد

أنتمو القوم الأولى عاداتهم

نصرة العاني وإسداء الأيادى

مبتغى العافين في يوم النداء

ملجأ العاصين في يوم المعاد

يا أبا الأنوار من أنواره

أشرفت في كل أرجاء بهادى

يا سمي المصطفى خير البرى

يا سليل السادة الشم الجياد

ياولى العهد من بعدهم

يا عهد الخير من قبل العهد

إن هذا الشاعر قلد ابن هانى الأندلسى في قصيدته التي مطلعها:

امسحوا عن ناظري كحل السهاد
وانفضوا عن مضجعي شوك القتاد

بل إنه سطا على كثير من ألفاظه وعباراته ومعانيه. والأمثلة على ذلك كثيرة.

وشيخ السادات هو الأمين على سر الرسول .
قال أحدهم:

وهو الأمين على سر الرسول ومن
سواه من سره زهر المنى اقتطفها
تثنى عليه بقاع الأرض أجمعها
وكل حى صفى ذكره ألفا

نبذة عن شعر المدرسة الشعبية المصرية في ظل الاحتلال العثماني

هذه مدرسة قديمة عرفت في مصر قبل
الاحتلال العثماني، وفي مطلع هذا الاحتلال نرى
من شعرائها:

١ - ابن إياس الحنفى المتوفى سنة ٩٣٠ هـ فقد
نظم شعرا كثيرا باللغة المصرية في أغراض
مختلفة مثال ذلك قوله:

كان ابن عثمان مد جاء مصر مثل الطيف
رحل وولى علينا كل صاحب حيف
مباشرين يجوروا في الشتا والصيف
أطراف أعلامهم للفعل فعال السيف

ففي هذين البيتين صور ابن إياس آلام الشعب
ومعاناه من ظلم الحكام وعمال اغراج الذين لا
ينقطعون عن تحصيل الأموال حتى استنزفوا دماء
المصريين وأذاقوهم الجوع والخوف . وفي قوله
«أطراف أعلامهم تفعل فعال السيف» تصوير رائع
لإفراط الجباه العثمانية في إيقاع المظالم بالشعب.

٢ - ومن معاصري ابن إياس، زجال مشهور هو
بدر الدين الزيتوني (٨٣١ - ٩٢٤ هـ) كان أحد
نواب السادة الشافعية، فاضلا عارفا بصناعة القضاء
والتوقيع، ماهرا في الخطب، فكه المخاضرة، كثير
العشرة للناس، علامة في فن الأرجال، والموشحات
والموالياء، وكان وكان، والقوما. وله قصيدة طويلة
من فن الزجل في مائة وعشرين بيتا، رلى فيها
السلطان الغورى وسرد ما حدث من المعارك بين
الجيش المصرى والجيش العثماني نذكر منها:

غربت شمس الدولة الغورى
وابن عثمان نجمو طالع ساير
وبهذا رب السما قد حكم
والفلك دار ولم يزل داير
خامس عشر من ربيع آخر
تسعمائة اثنين وعشرين عام
ورخوها من هجرة الهادى
شافع الخلق في نهار القيام
كان خروج السلطان بتجريده
لابن عثمان طالب بلاد الشام
والأمارة في خدمته موكبين
بالممالك والطلب تتفاخر
وخروج الجميع من القاهرة
كان بتقدير الواحد القاهر
في محفه خرج معو القاضى
وكاتب السر المنتخب محمود
والخليفة المتوكل ولد يعقوب
هو محمد فعلوا الجميل محمود
..... إلخ

وقد حرص الزيتوني على أن يسجل في هذه
القصيدة كل ما شاهده منذ خروج الغورى إلى
اللحظة التي قتل فيها. وحدثنا عن ألمه وحزنه لما
حل بالجيش المصرى من هزيمة. ثم عزى نفسه
بذكر القواد والملوك الذين ماتوا وذهب ملكهم
وأصبحوا في ذمة التاريخ من أمثال سليمان
الحكيم، والنمرود وكسرى أنوشروان، والاسكندر
الأكبر، ونلاحظ أن حبه للتسجيل التاريخي قد
غلب عليه.

ومما هو جدير بالذكر أن استخدام الشعر الشعبى

فى الرثاء قد كثر فى هذا العصر، كما انتشرت النساء اللاتى احترفن فن التعديد وهو نوع من الشعر مازال حتى ايامنا هذه ينشد فى المآتم.

وفى حوادث سنة ٩١١ هـ كثر الحريق بالقاهرة بسبب وجود الدريس فى منازل الممالك، وكانوا قد افرطوا فى خزنه. وشرع الوالى يقبض على الناس ويرغمهم على نقل الدريس بعيدا عن مواطن الحريق. فتعطلت أعمالهم، وصنفوا رقصة وهم يقولون :

اهرب يا تعيس

والا يحملوك الدريس

فلم يجدوا امامهم سوى الهرب من حمل الدريس، اذ لم يكن فى قدرتهم أن يفعلوا شيئا غير ذلك، فمن اختفى استراح، ومن ظهر سخر فى نقل احمال الدريس. ويبدو أن العامة قد واجههم عناء شديد وبلاء عظيم فى هذه الحادثة فتحركت مشاعرهم بهذا الغناء.

وفى حوادث سنة ١١٣١ هـ خلع الممالك الباشا التركى عقب فتنة كبرى سالت فيها الدماء وتناثرت الأشلاء، وخربت دور كثيرة. وكان هذا الباشا هو مدبر تلك الفتنة، فلما خلع اجتمع عليه الأولاد الصغار وأخذوا يرقصون ويغنون بصوت مرتفع قائلين:

ياباشا، ياباشا ياعين القملة

مين قال لك تعمل دى العمله

ياباشا، ياباشا ياعين الصيره

من قال لك دبر دى التدبيره

ومن أنواع المواليا التى عزفت فى مصر قبل

العصر العثمانى وانتشرت انتشارا كبيرا فى خلاله :

١ - القرقيا : وهو ما يتناول الهزل.

٢ - البليق : ويستخدم فى الغزل.

٣ - المكفر: بكسر الفاء ، ويستخدم فى الوعظ.

فمن المكفر قول محمد سالم الحفناوى المتوفى سنة ١١٨١ هـ:

يامبتغى طرق أهل الله والتسليك

دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك

إن اذكرونى لرد المعترض بكفيك

فاجعل سلال الجلاله دايمًا فى فيك

وهذه المواليا فى الوعظ والإرشاد. فهو يخاطب

من يريد الوصول إلى الله وسلوك طريق المتصوفة والانخراط فى صفوفهم، وينصحه بترك الاعتراض على الناس وبمداومة ذكر الله.

وقد استخدم محمد البكرى المتوفى سنة ٩٩٤ هـ الموشحات فى الدعوة لشراب القهوة مثال ذلك قوله:

أدر القهوه فى كاس البها

قهوة البن وناهيك بها

هى حل مانهى عنها لهى

فاسقنى يا صاح

شنى الكاسات واسمع ما أقول

إلها شرب الأجلء الفحول

أولياء الله أرباب الوصول

لحمى الفتاح

مساعلينا من عدول جاهل

مفتى زور كلام باطل

غامل الذكر وميت زائل

راح من راح

أدرك هذه الحقيقة زال من قلبه كل شك، وامتلأ
فرحاً وسروراً، ونعم بهذه اللذة الروحية التي غرق
فيها.

ومن الشعر الشعبي الذي وصل إلينا من هذا
العصر مجموعة عنوانها «الروض الوضاح في نهاية
الأفراح، المسمى باجتماع الشمل في فن خيال
الضل، وهذا النوع من الشعر التمثيلي الذي
يشارك في إلقائه بضعة أشخاص يمثلون موضوعات
مختلفة، ويقفون فوق منصة مرتفعة وراء ستار،
مستخدمين بعض آلات الطرب، ويرقصون ويغنون،
ويقومون بحركات بهلوانية كالتي تشاهد في
الأراجوز. ومما جاء في هذه المجموعة:

عن خيال الضل دائم محتجب
فانتبه يامن غفل عنو ونام
تلتقى هزلو وجدو شي عجب
وعبارات شبه الأحلام في المنام
والمرقص من ورا الستر احتجب
والشخص تحكى شخص هذه الأنام

كان هناك مرقص وستائر وتماثيل دقيقة
الصنعة، وصور تشبه صور الناس والحيوانات والمباني
والخدائق وغيرها.
ومنها:

ليلة سعيدة عند ما قد رأيت
أهل الأدب يحكو بدور الكمال
لما طلبتوني إليكم أتيت
للعب والتفريج وفن الخيال
ياسادتي أنى بكم اقتديت
يامن حويتو الفخر والامتثال

ففي هذه الموشحات تصوير للنزاع العنيف
الذي نشب بين أنصار شراب القهوة وخصومها.
وقد حاول البكري أن يتحدى هؤلاء الخصوم ،
فطلب من الساقى أن يدير عليه القهوة في الكنوس
الجميلة. ثم ذكر أن شراب القهوة لذيد جداً،
وحلال عند أبواب العقول السليمة، والقهوة شراب
الأكابر وذوى المراتب الرفيعة من أولياء الله المقربين
إليه. ويقول إنه لا يكثر بكلام الجاهل الذي يلومه
على تعاطي هذا الشراب، والذي يحرمه مستنداً إلى
أدلة فاسدة وآراء باطلة. وهذا الجاهل نكرة لا يعرفه
أحد، ولا يسمع به إنسان ، فكأنه في عداد الأموات
وهذه الموشحة جيدة التراكيب قوية الأساليب ،
واضحة العبارة، مليحة الإشارة

ومن موشحاته التصوفية قوله:

طلعة المحبوب كل القمر
هكذا هيمنت كل البشور
كيف لا تسرى بكل الصور
وهم هالات

وحدت معنك عيني نظرا
قال لي قلبى شهدت الأثرا
ماتراني عين سمدي مآثرى
وحدة بالذات

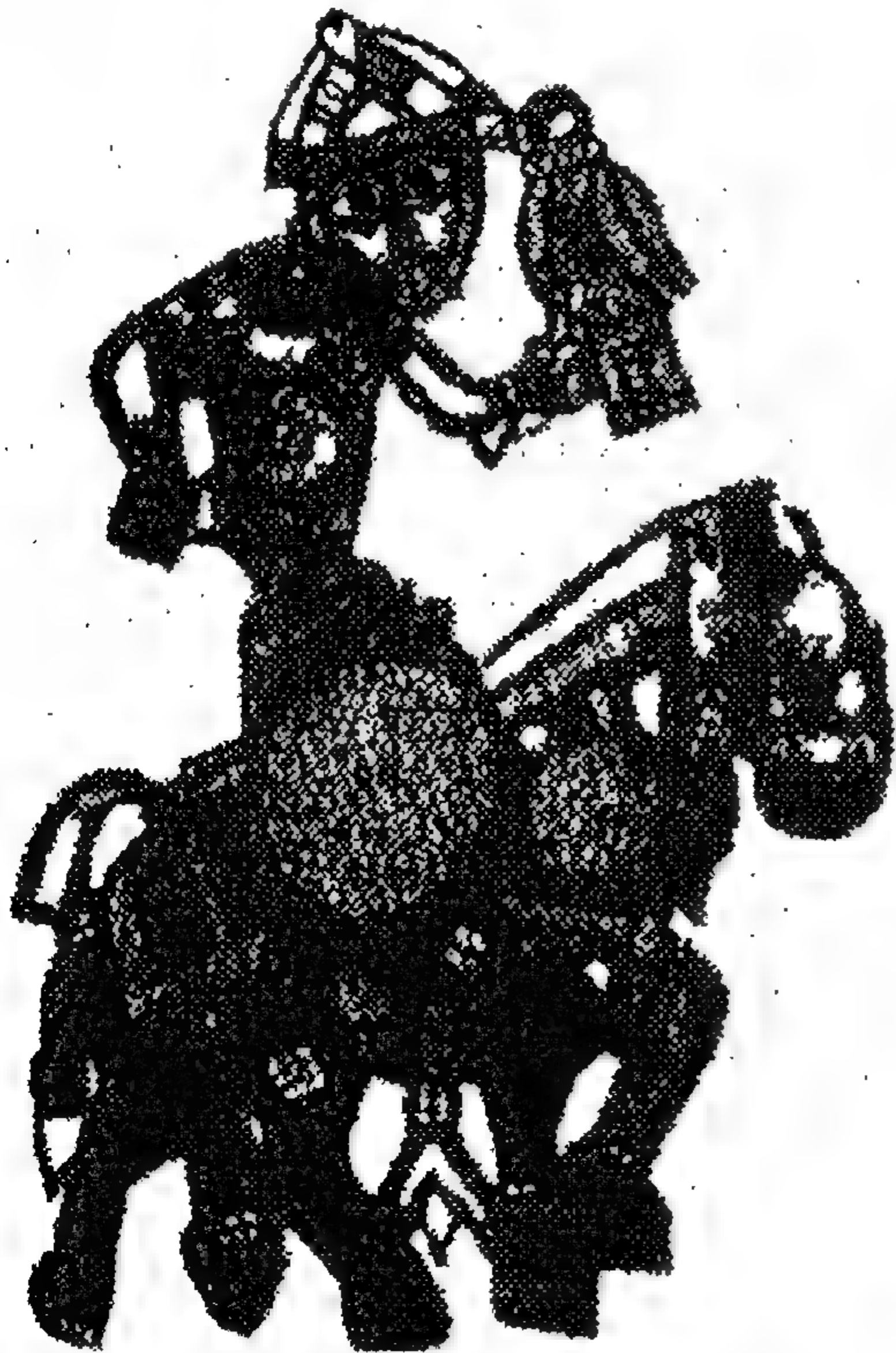
زال لبس حيث نفسى أعربت
وكذا شمسى بأفقى غربت
مثلما روحى بروحى طربت
والهوى لذات

.... إلخ

فالبكري يقول إن الله تجلى في مخلوقاته فهو
كالقمر الذي هام الناس بحبه والمخلوقات تحيط به
إحاطة الهالة بالقمر. وهو واحد بذاته وصفاته. ولما

وطلب منهم أن يلتمسوا العون من الحسين ، وأن
 يقرأوا الفاتحة لبنت الإمام ، أي السيدة زينب. ومنها:
 وبعد هذا انتظروا أشياء عجب
 في الأدب والحظ والانشراح
 أشخاص وحازوا كل معنى طرب
 كان السبب من مصر دا الفن راح
 وحسبى ظهر شكلو لأهل الرتب
 نالو الأرب بأهل الوجوه السماح
 يارب بالهادى نبينا الشفيع
 وبالصحابه الفائزين الكرام
 تغفر ذنوبى يا كريم يامعين
 بفضلك وادخلنا ديار السلام

ربى يفرح قلوب الجميع
 بزيارة النبی الهادی ودار السلام
 ياسامعين قولوا مدد يا حسين
 والفاتحه اقرروها لبنت الإمام
 فمن هنا نرى أن اللاعب قد بدأ التمثيل بتحية
 الناس الذى دعوه ليعرض عليهم العابه . وقد ذكر
 أنه لى دعوتهم وحضر ليدخل على قلوبهم الفرح
 والسرور ، وليطلعهم على فن خيال الظل. وقال أنه
 يتخذ من الحاضرين قدوة حسنة له فى حياته. فهم
 أهل الفضل والأخلاق الحميدة. ثم سأل الله أن
 يوفقهم إلى زيارة النبی صلى الله عليه وسلم،



من رسوم خيال الظل ◀

لما عليك قد اغتدى دا التماسح

فالفلاح كما نرى قد وقع فى شدة عظيمة،
وضيق مؤلم إذا أضحي محبوسا فى بطن تماسح،
وقد طلب منه الكابس أن يحدثه عن سبب وقوعه
فى هذه المصيبة. وهل كان سبب ذلك غضب
إخوانه أم غضب أحد من الأولياء ؟ أم غضب
والده ؟ أم غضب والدته ودعاءها عليه فى جنح
الليل. وطلب منه أن ينهض ويخبره الخبر الصحيح،
وأن يكون صادقا فى قوله عن السبب الذى أخرجه
من بيته وأرقعه فريسة لهذا التماسح الجبار الذى
التقمه وحبه فى بطنه.

فيرد الفلاح قائلا (دور من الفلاح):

ابكى ودمع العين

جارى على خدى

حالى صبح مسكين

واللى انكتب وعدى

وقعت رقعة شين

وعدى لا يىدى

لكن أقول يارب

ياباعث الأرياح

فالفلاح هنا يبكى بكاء مرا على ما وصلت إليه
حاله من يؤس وشقاد، ولكنه مع ذلك لم يئأس من
رحمة الله، بل يطلب الفرج ويؤمل فى النجاة،
ويرجو اليسر بعد العسر.

وبعض هذه التمثيليات يبدأ بمدح النبى ثم
يذكر الخلفاء الراشدين ومشهورى الصحابة. وتنقل
بعد ذلك إلى الأغراض التى أنشئت من أجلها. وهى
تصور بوجه عام وقوع بعض الناس فى ضيق وشدة،

ولما فرغ من المقدمة السابقة التفت إلى
الحاضرين وأخبرهم بما سي شاهدون من عجائب
فنه، وغرائب تمثيله. وذكر أن هذا الفن كان قد
اختفى من مصر مدة من الزمن ومدح الحاضرين
وأعرب عن حبه لهم. ثم دعا الله أن يغفر له
ذنوبه وأن يدخله الجنة.

ثم ذكر بعد ذلك أسماء الممثلين وهم : (١)
نرجس بن تقادير (٢) الكابس (٣) أبو حردان (٤)
أبو قراميط (٥) السكران

ولكن من هؤلاء الأشخاص دور يقوم به،
وموشحات ينطق بها.

ويغلب على هذه التمثيليات الغزل والشكوى
من فراق الحبيب، ونداء الليل وغير ذلك مما هو
معروف الآن. كما اشتملت على مدح الأولياء
والوعظ والإرشاد، والحث على التمسك بمكارم
الأخلاق، ففيها الهزل والغلاعة والمجون إلى جانب
الجد، ومن التمثيليات الجدية تمثيلية «فلاح فى
بطن تماسح». وقد وقف شخص اسمه الكابس
يخاطب الفلاح بقوله:

«دور من الكابس للفلاح وهو فى بطن

التماسح»:

يا أخى أعلمنى على دى القصة

لما بقيت فى بطن تماسح كاسر

يا هلترى غضبوا عليك إخوانك

والا مرابط كان سرو حاضر

والا أبرك قلبو غضب من يمك

والا دعت أمك فى الظلام العاكر

انهض واعلمنى صحيح واصدقنى

يامن رماء وعدر وأصبح نواح

قل لى على من أخرجك من بيتك

وكان بعض الشعراء يقلدون الموشحات
الأندلسية، وينسجون على منوالها. نذكر منهم
إسماعيل بن خليل الملقب بالظهري، المتوفى سنة
١٢١١ هـ فقد نظم موشحة على وزن موشحة ابن
الخطيب الأندلسي جاء فيها:

ليت شعري يا أخلاء الهوى
هل أرى بدرى بحانى مؤنسى
أم أقاسى من زمان قد فسا
ورمى أحشائى سهما عن قسى
دور

يامسقى الله زمانا قد مضى
فى مغانى مصر فى عيش خصيب
حيث بدرى قد قضى لى ما قضى
بالتداني إذ غفت عين الرقيب
شب من تذكراها نار الغضى
فى فؤادى وتلافى فى النحيب
واعترننى دهشة حين جرى
من دموعى سائلا فى الغلى
وغدا قلبى كليما مذ سرى
بارق فى نحر ذاك المكس
دور

يارياضا حسنهما زاه يشيق
جاد فى مثواك منهل السحاب
كم مضى لى فيك من معنى أنيق
حين كان اللهو مزهى الجنب
هل ترى عيني محياك الشريق
لابما برد التهاتى والشناب
وأرى بدرى يناجيني على
ذلك البسط الشهى السندس

ثم استغاثتهم بالله والأنبياء والأولياء، ورضاهم
بالقضاء والقدر. ثم تنتهى بحدوث الفرج بعد
الشدة.

ومن الشعر الشعبى تلك القصائد التى وردت
فى سيرة الظاهر بيبرس والأميرة ذات الهممة
وكقصيدة أبى شادوف التى شرحها يوسف بن
محمد الشربيني سنة ١٠٩٨ هـ فى كتابه (هز
القحوف).

وقد نظم ابراهيم الشافعى سنة ١١٧٧ هـ
قصيدة طويلة من فن الزجل، مدح بها الأمير عبد
الرحمن كتبخدا، عنوانها (مشارع خيرات حسان
فى مدح الأمير عبد الرحمن) سجل فيها كل
ماشيده الأمير المذكور من المباني، وما أنفقه من
الأموال فى أوجه البر. ومما جاء فيها:

وكم عرايا قد كسا
وكم غريب قد أكرمه
بأرض الجزيرة لو سبيل
تجاه بولاق فافهمه
عليه سواقى دابره
منه الحسود قد انكمد
بشارعه حوض للدواب
شيد بناء ونظمه
وعبد الرحمن أمير
بفعل خير قد انفرد
ورينا صار لو معين
وأقمى الأعادى بالكمد

وأحلى صبر دهرى بالمنى

من معان زاهيات الملبس

وهكذا يستمر الشاعر إلى آخر تلك الموشحة الطويلة في أسلوب قصصى سهل ممتع. فيذكر الحان وأيام الصبا واللهو والعبث التى أمضاها ونعم بها بين حداثق مصر وبساتينها. ويحدثنا عن اتصاله بمحبوبته بعيدا عن أعين الرقباء. ثم أخذ يتحسر على تلك الأوقات السعيدة الحلوة التى لن تعود.

وما تركته فى نفسه الذكريات من لوعة، وما تذرفه عيناه من دموع وما أصاب قلبه من جروح، ثم وقف يخاطب الرياض، واصفا إياها بالجمال والفتة، ذاكرة الأيام الحلوة التى قضاها بين ربوعها، متمنيا لو أن تلك الأيام قد عادت إليه مرة أخرى ليمتع نفسه بوصول الغيد، والجلوس معهم على الحشائش الخضراء السندسية، تحت ظلال الأشجار الراقفة. ومن أشهر الزجالين فى هذا العصر الشيخ عامر الأنبوطى المتوفى سنة ١١٧٣ هـ والذى وردت ترجمته هنا تحت رقم ٢٦٣

واحتاجت المقاهى الكثيرة التى ظهرت فى ذلك العصر إلى المغنين مما دفع أفراد تلك الطائفة إلى الإجادة والإتقان ليحوز كل منهم قصب السبق فتنهال عليه الأرباح الوفيرة. واتصل المغنون بتمسكون منهم نظم المقطوعات الغنائية المناسبة للعصر الذى يعيشون فيه. وقد لى الشعراء هذه الدعوة ونظموا كثيرا من الأدوار الغنائية التى تسيل رقة وعذوبة. وفى تراجم معظم شعراء هذا العصر نجد مثل هذه العبارة «وله موشحات وأزجال ومقطوعات عديدة مشهورة بين أرباب الفن والأغاني ومنتشرة بين الناس، يتغنون بها فى أوقات

سمرهم» ومن أشهر مؤلفى الأغاني فى ذلك الوقت عبد الله الشبراوى انظر ترجمته رقم ٢٤٦ قال:
والله مليح وجميل وكامل الأوصاف

وأنا أحبه ملو قلبى وأهواه
لطيف ظريف الشكل مالوش مثيل
فى رقتة أما كلامه ما أحلاه

وقال:

شفتة على غفله قوى حبيته
أسمر ومن طبعى أحب الاسمر
ميلت ناغشته لقيت له رقه
ولطف زايد والبشاشه اكثر
يا أهل الأدب والله وحق المختار
ماشفت عمرى فى الجمال مثله
قمر مصور مانظرتش حسنه
فى حد من بعده ولا من قبله
والمدرسة الشعبية مازالت قائمة تؤدى رسالتها.
وقد اتسعت دائرتها.

فن القصص والملاحم

ظهر فى هذا العصر كتاب استخدموا لأول مرة اللغة العامية الدارجة فى كتبهم. وأهم هذه الكتب ألف ليلة وليلة، عنتره بن شداد، أبو زيد الهلالي، وسيف بن ذى يزن، والأميرة ذات الهمة، وسيرة الظاهر يبرس التى كتبها (كما هو الحال بالنسبة للكتب الأخرى) عدة مؤلفين متتابعين كان كل منهم يزيد عليها فصلا أو عدة فصول. أو يجرى عليها بعض التعديلات التى تناسب الوقت والمكان.

وقد أخذ العنصر المملوكى يسترد قوته يوما بعد يوم. ولما شعر العثمانيون بالخطر اجتهدوا فى الإيقاع بين المماليك. فانقسموا إلى فقارية وقاسمية، وظلوا يتنازعون فيما بينهم على السلطان، وأخيرا ظهر منهم على بك الكبير. وقد صار نفوذ العثمانيين فى مصر اسميا، وكان الحكم الحقيقى للعنصر المملوكى منذ سنة ١١١٩ هـ.

وقد حرص مؤلفو القصة على أن يربطوا بين مصر والشام. ألم يكن بين البلدين ارتباط وثيق قبل الغزو العثمانى؟ ولذلك ترى يبرز ينتفع بكثيرين من أبطال الشام مثل الفارس المغوار ابراهيم الخورانى صاحب قلعة حوران بالشام. وكان كما جاء فى القصة مقيما مع أتباعه الخوارلة فى مساكن خاصة بهم. وقد ظل ابراهيم طوال حياته مخلصا لمولاه. أما البطل الثانى فهو سعد بن دبل البيسانى، وهو ابن خالة ابراهيم الخورانى وعملهما متشابه، فهما يحرسان القصر السلطانى ليلا، ويلتزمان ببرس فى حله وترحاله ملازمة الظل. والبطل الثالث أيدمر البهلوان. وقد اشترك فى جميع الحرب والمعارك التى خاض غمارها الجيش المصرى. وشاهد من الأهوال ما يعجز القلم عن وصفه.

وفى القصة مجال واسع للجاسوسية، وبراعة فى التخفى والتكر. فمن أبطال الجاسوسية جمال الدين شيحة وأولاده، وكانوا يعملون فى خدمة ببرس بنشاط منقطع النظير. فتراهم يتنكرون فى هيئة رهبان، أو دراريش، أو تجار من بلاد الروم، أو من بلاد العجم. وأحيانا فى صورة فتيات جميلات، أو جوارى حبشيات. ويطلقون أجسامهم باللون تناسب الحالة التى يتنكرون فيها ولهم مهارة فائقة فى تسلق جدران القصور والأسوار، والحصون

وقد ظهرت قصة الظاهر ببرس فى ظل ظروف الصراع المملوكى ضد الاحتلال العثمانى لمصر ولهذا فليس ببعيد أن يكون واضح هذه القصة كان يهدف فى أول أمره إلى الدعاية للعنصر المملوكى. وإذا كان هناك أبطال مثل عنترة وأبى زيد الهلالي وسيف ابن ذى يزن، وإذا كانت هناك قصص تروى عن هؤلاء الأبطال، فلماذا لا يكون للعنصر المملوكى أبطاله؟ ولماذا لا تؤولف عن هؤلاء الأبطال قصص على نحو ما ألف عن عنترة وأبو زيد؟ هذا على ما يبدو منشأ الفكرة التى سيطرت على ذهن المؤلف فى أول الأمر، ووجدت تشجيعا من المماليك الذين كانوا يتوقفون إلى إحياء مجدهم السابق الذى أزيل على يد العثمانيين. فهى خير من يذكرهم بهذا المجد، وخير من يبعث فيهم الهمم على الكفاح والنضال.

إن شخصية ببرس هنا تكاد تضارع أعظم الشخصيات الملحمية التى عرفت بالعدل والاستقامة، والعزم والحزم، والغضب للحق، والشدة فى مواطن الشدة، واللين فى مواضع اللين. والغيرة على الإسلام والمسلمين، والكفاح ضد الكفار والمشركين. بل إن القصة صورت ببرس رجلا لا يخطئ، ولا يحد عن سواء السبيل.

والى جانب الإشادة بالعنصر المملوكى تجدد الرغبة فى التشهير بالحكم العثمانى. ففى مواضع كثيرة تطالعك حيل ملتزمى الأراضى الزراعية، وما طبعوا عليه من بطش وظلم وقسوة فى تسخير الفلاحين فى الأعمال الشاقة مقابل أجر ضئيل جدا، لا يتجاوز رغيفين وبصلتين فى اليوم. وترى فساد القضاء، يحرمون الحلال ويحللون الحرام فيها إذن حض على الثورة فى وجه الحكم العثمانى.

والقلاع ، والتسلل إلى داخلها ليلاً ، واستخدام البنج ليفقد العدو وعيه ، وحينئذ يحملونه ويهربون به .

وكان شيحة كما تصوره القصة حافظاً للإنجيل ، إذا رتل بصوته الشجي أثر في سامعيه إلى حد كبير . ويجيد التكلم بلغة الفرنجة ، كما كان خيراً ببلادهم وعاداتهم وتقاليدهم . لذلك كان إذا تنكر في هيئة مسيحي لم يستطع أن يكشف حقيقة أمره .

وفي القصة نرى أحد رجال الدين المسيحي ، وهو بطرق جوان ، الذي جعله المؤلف لا يقل مهارة في التنكر والتخفى عن شيحة . وكان جوان حافظاً للقرآن ، وكثير من الأحاديث النبوية ، دارساً لأمّهات الكتب اللغوية والنحوية ، وكتب الفقه والتفسير . فاستطاع أن يدخل القاهرة متنكراً في رى عالم مسلم اسمه الشيخ صلاح الدين . وأن يظفر بوظيفة قاضى الديوان الملكى نجم الدين أيوب ، وهى من الوظائف التى يشغلها أكبر علماء المسلمين . وشرع جوان ، أو الشيخ صلاح الدين ، يدس الدسائس للكيد للمصريين حكومة وشعباً . ويراسل الفرنجة سرا ، حاضاً إياهم على غزو مصر واحتلالها . واتخذ له مسكناً بحارة الروم .

والبيئة المصرية ظاهرة فى القصة ظهوراً لاخفاء معه . فلم تترك ناحية من نواحي الحياة المصرية دون أن توفىها حقها من البحث والتحقيق والتحليل . كما ورد ذكر لكثير من أحياء القاهرة وحواريها وشوارعها ، كحى بولاق ، وباب الشعرية ، والحسينية ، ومصر العتيقة ، وباب الخلق ، والجماميز ، والبساتين ، وقلعة الكيش ، وقناطر السباع ، وشبرا ، والرميلة ، وغيرها من المدن : منها العسل ، وقلوب ، والاسكندرية ، ودمياط وغيرها .

والى جانب ما تقدم نرى حيزاً كبيراً يصور البيئة الشامية ، وبخاصة بيئة الفدارية . والفداوية طائفة تعتق

مبادئ شيعية وتسكن فى بعض جهات الشام . وقد حاول صلاح الدين أن يقضى على نفوذها فلم يوفق . وظلت تتمتع بقوتها حتى خضعت أخيراً لبيبرس ، ولم يكن لها فى أيامه شأن يذكر . هذا ماسجله التاريخ ، ولكن القصة صورت الفداوية فى صورة قوم جابرة عتاة ، أولى بأس وقوة . ولهم سلطنة اسمها سلطنة القلاع والحصون . وهم يسكنون هذه القلاع ، وكل قلعة أو حصن حوله مدينة أو عدة مدن تبعه . ويتمتع سلطانهم بحكم نافذ عليهم ، لا مرد له ولا معقب لأمره . وهم لا يخضعون لأحد غيره ، ولا يحكم بينهم شخص سواه . وحتى هؤلاء الأبطال الذين عاونوا بيبرس كإبراهيم الحورالى وسعد بن دبل لم يكونوا خاضعين لبيبرس إلا بأمر من سلطانهم شيحة . وإذا حدث منهم ما يستوجب العقوبة تولى سلطانهم التحقيق معهم والحكم عليهم بما يراه .

ويكثر فى القصة استخدام البنج بوضعه فى الطعام أو الشراب ، أو مع البخور ، أو إلقائه فى المواقد . وأحياناً نرى السم بدله . كما يكثر فيها الاستعانة بالسحر .

وبالقصة ما شئت من ضروب التهكم وأنواع السخرية ، والتحليل النفسى الدقيق ، والمآزق التى تسمى عقدة القصة . وفيها من قوة الخيال ما يبعث الدهشة ويثير الإعجاب . وبها صراع عنيف بين الخير والشر ، وشعر عامى ، وهو غالباً فى المديح النبوى ، أو التوسل والاستغاثة . كان يتغنى به من حين إلى حين ترفيهاً عن السامعين وتنشيطاً لهم . وقد شغلت كرامات الأولياء جانباً كبيراً منها .

وبالقصة كلمات تركية مثل باشا ، وبك ، وطوبجى ، وخانجى . وكلمات إفرنجية مثل كرستيان ، ورين ودوكاتا ، وجلف أى خليج .

الطرق الصوفية في مصر في ظل الاحتلال العثماني*

هدتنا المصادفة إلى العثور على أسماء طرق كادت تبلغ الثمانين عداً، فقد روى صاحب المناقب في معرض الحديث عن الشعراني أنه أخذ الطرق «كلها» عن مشايخه وهي ست وعشرون طريقة هي طرق الرفاعية والقادرية والأحمدية والبرهانية والشاذلية والسهروردية والنقشبندية والحسينية والوفائية والكثيرية والأحمدية والعزيفية والسعدونية والمصافحة والطيلسان والرداء والمنزر وإرخاء العدة. والظاهر أن هذه الطرق لم تكن كل مقام في مصر إبان العصر الذي عاش فيه الشعراني، فإن في الكثير من كتبه ذكر طرق أخرى لم تذكر في هذا البيت. لذكر منها الآن ما لم يذكر في ثبت المناقب السالف. ذكر الشعراني في أكثر من موضع في لطائف المنن فرقا منها: المطاوعة بالشرقية والصعيد وفي قواعد التصوف يذكر طوائف البسطامية والأدهمية والمسلمية والدسوقية (ولعلها البرهامية) والملامية والحيدرية.

وفي العصر العثماني وجدت فرق تصادفنا اسماءها في غير كتب الشعراني منها ما رواه الجبرتي عن أصحاب البدع كجماعات العفيفي والسمان والعربي والعيسوية وأخرى رواها في مواضع أخرى مع بعض ما أسلفناه منها فرقة السعيدية والشعبية ثم الشناوية والشعرانية والمولوية ثم البراهمي والقدرية. وذكر عبد الغني النابلسي في رحلته إلى مصر فرقا أسلفنا بعضها ويضيف فرقة الدمرداشية والبكتاشية والكلشنية وتشير طبقات الشاذلية إلى

* استمدت هذه البلية المطولة من كتاب التصوف في مصر إبان العصر العثماني للدكتور توفيق الطويل. الصادر عن الهيئة العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٨.

طوائف أخرى منها العفيفية (ولعلها جماعة العفيفي التي ذكرها الجبرتي من قبل).

وذكر على مبارك أن الفرقة الأحمدية قد تفرعت إلى ست عشرة طريقة هي: المرازقة والكناسية والأنبائية والمنافية والحمودية والسلامية والحلية والزاهدية والعشيبية (وقد ذكرناها من قبل) والبيومية والتسفيانية والشناوية والعربية (ولعلها جماعة العربي السالفة الذكر) والسطوحية والبندارية والمسلمية ويذكر الأستاذ «لين» في كتابه المصريون المحدثون طائفة أولاد نوح من فروع الأحمدية.

وقال إن الرفاعية لا فروع لها وإن كان لها ثلاث بيوت هي البازية والملكية والحبيبية والفرق بين الفروع والبيوت أن لكل فرع شيخاً أما البيوت فيجمعها شيخ واحد، وأما القادرية فلا فروع لها ولا بيوت. وأما البراهمة (أي البرهامية) فلها فرعان هما الشهاوية والشرائية (ولعله يريد الشرنوبية المنسوبة إلى أحمد عثمان الشرنوبى صاحب الطبقات المعروفة والمتوفى سنة ٩٤٠ هـ) وقال إن الشاذلية قد تفرع عنها أربع عشرة طريقة هي الجوهريّة والقاسمية والمدية (ولعلها المدينية التي رواها صاحب المناقب) والمكية والهاشمية والفروسية والتهامية والخندوشية والإدرسية والقاروقجية، ثم طرق أخرى سلف ذكرها (هي السمانية والعفيفية والعيسوية والخلوتية المنسوبة إليها السيد مصطفى البكري وقد تفرع عنها أربع طرق هي الخليفة (المنسوبة إلى الحفناوى + ١١٨١ هـ) والسباعية والصاوية والضييفية.

والظاهر أن الدمرداشية قد تفرعت كذلك عن الخلوتية (المتفرعة عن الشاذلية) فإن عبد الغني النابلسي يقول إن الشيخ شاهين قد اتهم بمعالجته

الكيمياء فنفر منه أكثر أتباعه ومريديه وانتقلت شهرته العظيمة للشيخ دمرdash حتى استقر شيخا للخلوتية في الديار المصرية. وينص صاحب تكميل النور السافر على أن محمد كريم الدين اخلوتى قد تلقى اخلوتية عن دمرdash الحممدى (٩٣٣ هـ). ولا ينبغي أن ننسى البكرية التى تزعمت الطريق فيما بعد.

وقد حاول السيد توفيق البكرى أن يؤرخ الطرق الصوفية القائمة فى العالم الإسلامى كله، ولكن صعوبة الاهتداء إلى أصلها وتسلسلها ومعرفة تاريخ نشأتها كانت تحمله على الاكتفاء فى تاريخ أكثرها بأن يقول «منسوبة إلى فلان» أو موجودة بمصر الآن وقد صادفتنا هذه الصعوبة عندما حاولنا الاهتداء إلى نشأة هذه الفروع التى تحدث عنها على مبارك وإن كان الراجع على الظن أن أكثرها كان قائما فى العصر العثمانى، فقد كتبت اخطط التوفيقية بعد هذا العصر بأقل من قرن كان سلطان الصوفية قد أخذ يضمحل - وإن كن ذلك لا يبر القبول بأن الطوائف قد قل عديدها باضممحلال السلطان الذى كان لأهلها فإن عددها فى السنوات الأخيرة يزداد كما يبدو من إحصائيتين تراهما فى مكتبة مشيخة المشايخ مع أن سطوة أهل الطريق أخذت فى الزوال بمرور الزمان.

مميزات الفرق

الخصائص التى تميز هذه الفرق بعضها عن بعض قليلة لا تكاد تذكر، وأولها ما يختص بالزى وثانيها ما يتعلق بطريقة الذكر والعبادة؛ فأما عن الأول فقد عرفت الأحمدية بالزى الأحمر والبرهامية بالزى الأخضر والرفاعية بالزى الأسمر كما يقول على مبارك «والأستاذين» أو الأسمر والأبيض كما

يقول السيد توفيق، وعرفت القادرية بالزى الأخضر كذلك السعدية ويقول على مبارك إن أعلام الشاذلية مختلفة الألوان وليس للخلوتية علم وزيهم الذى يميزهم هو القاق، كما أن الأولياء الذين تنسب إليهم الأحزاب المعتاد قراءتها لها علم وزيهم اخاص هو التاج وكان التاج من مميزات اخلوتية كما يشير صاحب السنا الباهر.

ومن هذا نرى أن الزى وحده غير كفىل بتمييزهم، فإن الزى الأخضر مثلا تنفق فيه القادرية والسعدية والبرهامية - بفرعيها وكذلك نقول فى الأحمدية والشاذلية وغيرها من الطوائف المتعددة الفروع. ويقول «لين» فى كتابه: كان أولاد نوح صغارا يرتدون جميعا طرايطر تزيينها من القمة خصل من اخلوق ذات الألوان اختلفة، ويتقلدون سيفا من اخلوب ويمسكو سوطا يسمونه «فرقة».

فأما وجه اخللاف بينها فى طريقة العبادة والذكر فنذكر ما عثر عليه بين ثنايا السطور مما ذهب اشتاتا فى بطون كتبهم، إذ لم نهتد إلى مصدر عرض لوجه اخللاف بينها باسهاب ولا إيجاز.

والظاهر أن أكبر ما يميز الطوائف وردها - كما يقول «لين» فلكل طائفة ورد أو حزب أنشاه شيخها وحرص عليه أتباعه فى حياته وبعد مماته، يرددونه فى الأوقات التى حدددها لهم ويتلونه جماعة دون أن يتغيب عن تلاوته أحد منهم. لأن مدد الشيخ فى ورده كما يقول الشعرانى، ولهذا كان من أعظم ما يقع فيه المريد من سوء الأدب مع شيخه تغيبه عن تلاوة الورد الذى رتبته صباحا ومساء، وقد حتموا على المريد إذا اضطره للتغيب ظرف قاهر أن يبنى شيخه ليناقله فيه الحساب، فإن كان تغيبه من غير عذر وجب أن يؤنب نفسه

مشيخة مشايخ الطرق الصوفية بالديار المصرية

راى جرجى زيدان فى نشأتها بمصر ومبلغ
الخطا فى مزاعده - راى السيد توفيق البكرى
ومدى الخطا فيه - نشأة ها اللقب فى مصر
قبل العصر العثمانى - تلاشى اللقب فى
مصر.

تمهيد

عرفنا كيف كثرت الطرق الصوفية فى مصر
حتى بلغ عدد أسمائها التى هدتنا المصادفة إلى
العشور عليها نحو الثمانين فرقة، كان لكل منها
معسكرات قائمة فى القرى والأقاليم، واستبد
نفوذها بهوى الألوف من الأتباع والمريدين، وامتد
سلطان كبار شيوخها حتى ارتفعوا فوق قواعد الدين
ومقتضيات التقاليد ونظم الدولة...!! ودان بالولاء
لهم حكام البلاد وعلماء الدين وعامة الشعب
جميعا، فكان طبيعيا بعد هذا أن تفكر الدولة فى
توحيد الزعامة التى تخضع لها هذه الطرق، حتى
تأمن شرها وتتقى عصيانها وتضمن سيادتها على
أرض البلاد...! ولم يكن بعيد الاحتمال أن يخضعوا
جميعا من تلقاء أنفسهم لرئيس واحد يتخيرونه،
ليتكلم باسمهم ويفصل فى مشاكلهم وينظم
علاقاتهم.

ومشيخة مشايخ الطرق فى وقتنا الحاضر يشغلها
بأمر ملكى [جمهورية الآن]، شيخ السجادة البكرية
(والوفائية منذ جمع سماحة المرحوم السيد عبد
الحميد البكرى بين المشيختين) وقد استحوذ البكرية
على هذه الوظيفة لأن بيتهم أعرق بيوت التصوف

الأضرحة ونحو ذلك، وفى ذلك ما يسلب اخلوتية
والدمرداشية والشناوية وغيرهم مميزا خاصا بهم فى
طريقة الذكر وهو الرقص كما روينا عن عبد الغنى
النايسى وغيره من قبل.

ولعل شعور أهل التصوف بضآلة الفارق بين
طريقة وطريقة، هو الذى حملهم على أن يضعوا
فى لائحة الاجراءات الداخلية هذه المادة ويجوز
زيادة طريقة جديدة متى كانت الطريقة المستجدة لا
تشابه طريقة من الطرق الموجودة فى اسمها
واصطلاحها فكان الخلاف الوحيد الذى يصر
استقلال طريقة وتحديد طرق العبادة على النحر
الذى أسلفنا بعضه، كفيل بالقضاء على أكثر
مميزات الفرق بعضها عن بعض.

بل لماذا نقول إن الفوارق بين الفرق اليوم قد
تلاشت ولا نقول إن اللائحة التى وضعها أهل
التصوف قد ألغت الفروق بين الصوفية والفقهاء...؟!
أليست تقول إن التصوف لا مقصد له غير العلم
بالشرع والعمل به. فما هى دعوى رجال الفقه إن
لم تكن كذلك؟ وإذا كانت الفوارق بين الطرق التى
تعيش اليوم بين ظهرانينا مجهولة حتى عند أهلها،
فكيف لا يصعب البحث عن المميزات التى كانت
للطوائف منذ مئات السنين؟ وأى طوائف...؟ هى
التي هدتنا المصادفة إلى العشور على نحو ثمانين من
أسمائها، فكيف لا يتعذر على الباحث معرفة
الفروق التى تميز كلا منها...؟

والآن نتساءل: ألم يكن لهذه الفرق التى بلغت
هذا العدد الرهيب رئيس عام يوحد كلمتها وينظم
علاقتها ويفصل فى مشاكلها...؟ ذلك ما نتناول
الحديث عنه فى الفصل التالى.

أمام رؤسهم ويحركونها بالتصعيد والتسفل والتلوى على هيئة لعبة يسميها النصارى ركض الديك . كما يقول محمد بن صفى الدين الحنفى .

وكان أظهر ما يميز الفقراء السعدية إكثارهم من ذكر الله ، حتى إذا طاب لهم الذكر تواجدوا واضطربوا وتساقطوا على الأرض كاخشب المسندة لا يقرون على النهوض بل لا يستطيعون حراكا حتى يقوم نقيب الشيخ بكبس أيديهم وأرجلهم وإنهاضهم على بركة شيخهم، ومن كرامات بعضهم فى هذه الحال إخراج سائل ملون بالأحمر والأبيض أو الأصفر من أيديهم ومواضع أخرى فى أجسامهم دون أن يصيبهم جرح أو يكون فيهم منقلد لذلك.....!! ولعله العرق الناشئ عن الجهد، قد لوثته قدارة البشرة أو الدم الذى ينبثق من جروح تنشأ عن عنف الحركات.....!

والظاهر أن البرهامية كانت تتميز فى عبادتها بذكر الله بصيغة ياداي، فقد قال الشعرانى فى ترجمة عبد العال المجذوب : «ورأيت مرة وهو صاعد كوم بلده فقلت فى سرى ياترى هل هو أحمدى أم برهامى فصاح: ياداي ياداي يشير إلى أنه برهامى» .

ويرجع الدكتور عفيفى القول بأن الملامتية «لم يكن لهم طريقة منظمة وقواعد ثابتة مقررة وأتباع يتمون إلى المشايخ إنتماء أهل الطرق المتأخرين، ولكن كانت لهم صفات وآداب تكفى فى التمييز بينهم وبين طوائف الصوفية الأخرى ممن عاصروهم أو عاشوا بعدهم» .

وفى السهر وردى والمقريزى تفرقة بين الملامتية والقلندرية جاء فيها «إن الملامتى يعمل فى كتم العبادات والقلندرى يعمل فى تخريب العادات واللامتى يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى

له سيدى محمد بن عيسى وطريقتهم أنهم يجلسون قبال بعضهم صفين ويقولون كلاما معوجا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على النغم ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم، وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم فى أكتاف بعض لا يخرج واحد عن الآخر ويتلون ويتصحبون ويرتفعون وينخفضون ويضربون الأرض بأرجلهم كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة بحيث لا يقوم هذا المقام إلا كل من عرف بالقوة وهذه الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف فيقع بالمسجد دوى عظيم وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء كل أحد له طريقة تباين الأخرى» .

ويمتاز فقراء الغلوتية فى ذكرهم وأورادهم بكثرة الاستغفار والتسبيح والصلاة على النبى ، ولهم فى ذلك صيغ يرددونها فصلها الذين أرخوا هذه الطريقة أما طريقة تلقينهم للذكر فخير ما يميزها ترداد الأسماء السبعة على نمط مخصوص وفى فترات متقطعة والأسماء الستة الأولى فى الأذن اليسرى وهى : لا إله إلا الله وقد عرفنا كيف تردد ثلاث مرات مع إغماض العينين ثم الله - هو - حق - حتى قيام - ثم الإسم السابع فى الأذن اليمنى وهو قهار - وقد أبان الدردير الطريقة التى تلقنها بها من الحفناوى المعروف .

ولقد كان للسادات الدمرداشية والغلوتية والشناوية طريقة فى ذكر الله، فقد رويناها عن عبد الغنى النابلسى وقلنا إنهم كانوا يقدمون للذكر محلقين ثم يدورون وقد وضعوا أيديهم بعضها فى بعض، وذكروا الله فى رقصة يسمونها الهوية قائلين هو هو هو وكان بعضهم يركبون أياديهم إلى الوراء

كما يقول على مبارك جموع كثيرة من أهل الطرق يسرون من منازلهم ليلاً وبأيديهم الشموع وهم راقعوا الأصوات بالذكر والتهليل والصلاة والسلام على سيد المرسلين (ص) ولا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الشريح أو محل الاحتفال بالمولد، ول بعضهم عادات من الخل أو الشموع توزع عليهم حين وصولهم بعضها مقرر من الأوقاف وبعضها من مشايخ خدمة الأضرحة.

واشتهر فقراء السعدية والرفاعية بحوادثهم مع الشعابين، ولعل الرفاعية كانت أشهر الطرق بالكرامات التي تقوم على طعن النفس بالمدى في حالة الغيبوبة وأكل الزجاج والقبض على الحديد المحمى ودخول النار وازدراء الأفاعى وغير ذلك مما لا نزال نرى الكثير منه وإن كانت لائحة الطرق الحالية قد حرمت على فاعليه.

ومن أظهر مميزاتهم : البيعة وتلقين الذكر، وكانت طريقتهم فى الأولى أن الطالب إذا وفد على شيخهم أمره هذا بأن يتوضأ ويصلى ركعتين بنية التوبة والإنابة ثم يجلس المرشد (الشيخ) مستقبلاً القبلة جاثياً على ركبتيه بالأدب والخشوع ويجلس الطالب أمامه لاصقاً ركبتيه، ثم يقرأ الفاتحة ثلاث مرات ويأخذ المريد بعده ويقرأ قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه.. ثم يأمر المريد بأن يقول : استغفر الله - استغفر الله العظيم الذى لا اله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه، تبت إلى الله ورجعت إلى الله ولهيت نفسى عما نهى الله، ورضيتك شيخاً لى ومرشداً لطريقة الرفاعى - فيقول له المرشد : وأنا أقمك مريداً بهذه الطريقة العلية وعلى هذا العهد المبارك ثم يقول له : قم

الفضل فيه إلا أنه يخفى أحواله وأعماله ويوقف نفسه موقف العوام فى هيئته وملبوسه تستر للحال حتى لا يفطن له وهو مع ذلك متطلع إلى المزيد من العبادات، والقلندرى لا يتقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله ومالا يعرف ولا ينعطف إلا على طيب القلوب وهو رأس مساله، والظاهر أن حال الملامتية لم يتغير كثيراً فى العصر العثمانى عما كان عليه أيام المقرئى، فالشعرانى يقول إنهم يقللون النوافل مخافة الغرور وإن كان قد ذكرهم فى كتاب آخر بين الفرق التى لا تتقيد بمظاهر الكتاب والسنة وإن كان ابن عربى «يرفعهم» - فى فتوحاته - إلى مقام فى الولاية لا يدانيهم فيه أحد، فيما يقول الدكتور عفيفى.

وكان فقراء المطاوعة يجتمعون فى حلقات الذكر ويتخذون لهم مغنين من الرجال ومساعدين يدقون الطبول ويضربون الكؤوس وأولاداً يجلسونهم وراء الذاكرين حتى إذا اشتدت حماسة الذكر هجم عليهم الأولاد واحتضنوه من الخلف تيمناً وبركة، وكانوا إذا ساروا وضعوا فوق رؤوسهم أو على جنوبهم «ملاحف وسراويل» فإذا انطلق الفقراء فى الطرقات نشروا راياتهم ودقوا طبولهم وضربوا على كؤوسهم وكان لمركبهم ضجة عظيمة، وقد كانوا يتخذون «أباريق» يملأونها بالماء ويحملونها فى أيديهم كلما ساروا ليتطهروا منها بين الحين والحين، وسبحا كبيرة من الخشب أو العظم أو نحو ذلك، وسيوفا من الخشب ومزاريق من الحديد وطواقى من السعف وطرايطير يضعون عليها الودع والريش واغرق الحمراء وغيرها.

ويعبر الجبرتى عن الأحمدية والرفاعية والقادرية والبرهامية بأنهم من أصحاب الأَشَاير والمراد بالأشَاير

مريدا في هذه الطريقة.

أما طريقتهم في تلقين الذكر فلا تكاد تختلف عما أسلفناه من حيث تردد لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمض العينين، وإن رأوا مد الصوت في أول الكلمة من الكتف اليمنى إلى جهة الروح - تحت الشدى اليمنى . !! حتى يقر (هـاء) لفظة الجلالة في القلب الكائن تحت الشدى اليسرى بأصبعين فإذا أتمها المرشد وضع جبهته على جهة الطالب ويده على صدره ودعا له بالتوفيق والإخلاص والبركة !! ثم ... إلى آخر ما كتبه مؤرخو للطريقة بهذا الصدد مع ذكر أورادهم الخاصة بهم والأدعية التي ألفوا تلاوتها.

أما الطريقة النقشبندية فإن طريقة أخذ العهد عند أهلها أن يجلس المريد بين يدي شيخه متوركا عكس تورك الصلاة فيبين له الشيخ محل القلب الصنوبري الشكل الكائن تحت الشدى اليسرى بأصبعين ثم يستغفر الشيخ ربه والمريد يتابعه خمسا وعشرين مرة ثم يقرأ الشيخ الفاتحة مرة وسورة الإخلاص ثلاث مرات ويهدي مثل ثوابهما إلى صحيفة النبي وصحيفة إمام الطريقة محمد الإدريسي المعروف بشاه نقشبند ثم يأمر المريد أن يغمض عينيه وينظر بخياله إلى قلبه ويتوجه إليه على النحو المعروف عندهم ، ثم يلقيه ما يناسب استعداده من أذكار تراها منشورة في الكتب التي تناولت آداب هذه الطريقة ومن هذا نرى أن الفوارق في هذا الصدد شكلية تافهة.

وفي كتاب الأستاذ «لين» وصف ظريف لما كانت تفعله بعض الطوائف كالسعدية والشناوية في المولد النبوي وغيره من موالد كبار الأولياء.

والواقع أن الفوارق بين الطرق لم تكن جوهرية.

في هذا العصر، فقد كان الشائع بينهم أن يجمع الفقير بين عدة طرق، وإن كره الأشياخ لمريديهم أن يأخذوا على شيخين مهما كان السبب الذي يررون به هذا المسلك. فقد جمع عبد الحى زين العابدين الحسينى ١١٨١ هـ بين الطرق الشاذلية والأحمدية والشناوية وجمع على بيومى ١١٨٣ هـ بين اخلوتية والشاذلية والدمرداشية والأحمدية وجمع الشعرانى ٩٧٣ هـ بين ست وعشرين طريقة بسطنا أسماءها فيما سلف ، وجمع الدردير ١٢٠١ هـ بين اخلوتية والشاذلية والنقشبندية.

تلاشي الفروق بين الطرق:

وما يشهد بأن مميزات الطرق ليست شرطا في وجودها ما نراه من التطور الذى آلت إليه طريقة الذكر عند الطرق جميعها، فإن لائحة الطرق الصوفية في وقتنا الحاضر تقضى بأن يكون الذكر تمجيذا لله، صريحا قياما أو قعودا مع الخشوع والوقار وهذا التحديد قد أفقد العيسوية وأخواتها من الفرق المشابهة أكبر مميز لها كما روينا عن الجبروتى وغيره الآن، والفرق كلها مضطرة إلى الخضوع لهذا التحديد وإلا أعلن المجلس الصوفى فصلها وقضى بذلك على وجودها كما تنص لائحة الاجراءات الداخلية وكذلك نقول في الرفاعية التي عرفنا الآن أعظم خصائصها، فإن اللائحة السالفة الذكر نقول : يبعد عن الطرق الصوفية «كل من اتصف بأعمال مناقضة للأعمال والآداب الشرعية كضرب الجسم بالسلاح وأكل الحشرات والهوام ودوس الأنعام بالأنعام [الدوسه] ونحوها والذكر بهيئة الرقص والتخبط وعدم استكمال الحروف فيه وإنشاد الأغاني الخلة بالآداب عليه، وإقامة الزار في

أمام إخوانه، والاشتغال بالعلم ودراسة الدين لا يصلح قط أن يكون عذرا يحتج به من قصر في حضور مجالس الورد بل لقد اعتبر بعضهم التغيب عن مثل هذه المجالس سببا يبرر طرد الشيخ للمريد الذي يقدم عليه، وقد جرت العادة بأن يعتز الشيخ بورده، فلا يأذن لأحد ممن يسلكون على يده أن يقرأ ورد غيره، فمن ذلك الشيخ محمود الكردي قد سلك على طريقة القصيري ولكنه رأى الحفناوي + ١١٨١ هـ في رؤيا وقيل له هذا شيخك، فعلق به قلبه وأخذ عنه طريق الغلوتية، وسلك على يديه وإن أقام على قراءة أوراد شيخه القصيري . فعاتبه في هذا شيخ شيخه «السيد مصطفى البكري» وكان الكردي قد كبر وعظم شأنه وأجيز وأذن له بإرشاد المريدين وتربيتهم، فاعتذر عن مسلكه باخوف من شيخه القصيري، فطلب إليه البكري أن يستخير الله، ولما استجاب لمطلبه رأى في منامه رسول الله وقد وقف القصيري عن يمينه والبكري عن يساره، وقال القصيري للرسول : «أليست طريقتي على طريقتك ، وأليست أورادي مقتبسة من أنوارك ...؟ فلماذا يأمر السيد البكري بترك أورادي...؟ فقال البكري : يارسول الله ، رجل سلك على أيدينا وتولينا تربيته، أيجوز له أن يهجر أورادنا ويقرأ أوراد غيرنا...؟ ويقول الراوي إن رسول الله قد أبى أن يفصل في أمرهم وأشار عليهم بعمل القرعة...!! ورأى الكردي في رؤيا وقعت له في الليلة التالية. إن أبا بكر الصديق يشير عليه باتباع السيد البكري، ورأى بين السماء والأرض ورده ، وقد كتب بحروف مجسمة من النور، فأنشرح صدره وهجر القصيري بعد ذلك .

على أن الأحزاب فيهما نرى لا يميزها إلا

اختلاف واضعها لأنها أدعية يتوجهون فيها إلى الله، وصيغ مختلفة للصلاة على نبيه، وهي في الجملة حافلة بآيات من القرآن الكريم، والكثير من فقراتها يتكرر مرات يختلف عددها حتى ليبلغ الثمانين - كما نرى في حزب الشناوي أو الثلاثين كما نرى في حزب الشعراني أو الثلاث مرات كما في حزب الجارحي وغيره بل لقد هدتنا المصادفة إلى أن حزب أبي السعود الجارحي مأخوذ كله - ما عدا خاتمته - من حزب انحصورية للسادة الوفاية أو لعل الجزء الأول من الحزب الثاني هو المأخوذ من حزب الجارحي، فما تدرى التاريخ الذي وضع فيه حزب الوفاية هذا - ونلاحظ كذلك أن لبعض المتصوفة حزين أو ثلاثة كما نرى عند زين العابدين البكري ومحمد أبي الحسن البكري وغيرهما وقد يضع شيوخ البيت الواحد عدة أحزاب تتلى جيلا عن جيل كما نرى في بيت السادات البكرية والوفائية ووجوه التمايز بين الأحزاب لا تكاد تظهر في غير الصياغة اللفظية. ولهذا فإن أظهر الفروق بين الأحزاب فيما يلوح لنا هو اختلاف منشيها.

ويلي هذا في وجوه التفرقة بعض مظاهر أخرى هدتنا المصادفة إلى العثور على بعضها في بطون كتبهم، منها ما رواه الجبرتي عند الكلام على أهل البدع كجماعة العفيفي والسمناني والعربي والعيسوية إذ قال إن لهم طريقة خاصة بهم في ذكر الله «فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها وينشد له المنشدون القصائد والمولات ، ومنهم من يقول أياها من بردة المديح للبوصري، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبي. وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة وما دخل فيهم من أهل الأهواء ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال

فى مصر وأقدمها جميعا، فهو منحدر عن أبى بكر الصديق، وتاريخ نشأته فى مصر يرجع إلى الفتح الإسلامى كما يقول على مبارك ويؤكد السيد توفيق البكرى . وتقضى لائحة الطرق الصوفية بأن مجتمع مشايخ الطرق فى القطر المصرى فى هيئة جمعية عمومية بديوان محافظة مصر تحت رئاسة المحافظ لانتخاب مجلس أعلى يتألف من شيخ السجادة البكرية رئيسا للمجلس ، والسبب فى ذلك الولاء المستمر للسادة البكرية للسلطنة العثمانية، وأربعة أعضاء يختارهم الرئيس من بين ثمانية ترشحهم الجمعية العمومية وعمل المجلس تعيين مشايخ الطرق ورفعهم من وظائفهم والفصل فى منازعاتهم الخاصة بالطرق، والحكم فى الشكاوى التى تثار فى هذا الصدد ، وعزل مشايخ بعض الأضرحة والتكايا والسجاجيد على نحو ما أوضحت لائحة الطرق الصوفية . هذا مظهر التوحيد فى رئاسة الطرق الصوفية فى يومنا الحاضر.. فهل توحدت رئاسة الطرق الصوفية فى مصر إبان العصر العثمانى ؟ ذلك ما زعمه بعض المؤرخين الذين تعرضوا لتاريخ مشيخة مشايخ الطرق فى مصر، بل أرخ بعض هؤلاء المؤرخين نشأته قبل العصر العثمانى، فما مبلغ خطأ أو الصواب فيما يزعمون؟

رأى جرجى زيدان ومناقشة مزاعمه:

قال جرجى زيدان «ولم يكن للصوفية مشيخة عامة ترجع لها أعمالهم وتتوجه بها مقاصدهم ، بل كانت كل طريقة أو زاوية مستقلة بنفسها، فكانت تكثر بسبب ذلك الفتن ، فلما أنشأ السلطان صلاح الدين الأيوبي خانقاه سعيد السعداء وسماها دويرة

الصوفية، جعل لشيخها شبه تقدم على غيره من المشايخ ، وكان لا يولى عليها إلا أعظم رجال الدولة من الأكابر والأعيان .. ومازالت الحال كذلك إلى أن توحدت رئاسة الصوفية بمصر فى القرن التاسع الهجرى، فجعلت الولاية فيها للسيد محمد شمس الدين البكرى ، وكان من أعظم رجال عصره علما ودينا ، قال الشعرانى عنه (ولو قلت إنه أعلم أهل زمانه لم أبعد عن الصواب) ثم تولى بعده ابنه الإمام شيخ الإسلام العلامة الشهير أبو السرور البكرى وانتقلت بعده إلى ذريته ، ولاتزال إلى الآن فى البيت البكرى الصديقى بمصر.

وهذا كلام سطحي ينطوى على أخطاء تزيد على الثمانية فيما يلوح .. ! فلنشرح هذا قليلا:

فالفقرة الأولى من كلامه تنطوى على مغالطتين ، لأنها تفرض قيام الزوايا فى مصر قبل خانقاه سعيد السعداء - وذلك غير صحيح فيما نعلم - لأن هذه الخانقاه قد استحالت إلى دويرة للصوفية عام تسع وستين وخمسمائة للهجرة كما عرفنا ، بينما نلاحظ أن الزوايا التى ذكرها المقرئى فى خطه - وبلغت الست وعشرين عدا - ليس بينها زاوية واحدة نشأت فى مصر قبل القرن السابع الهجرى، ولو وجدت هذه الزاوية ما أهملها فى تاريخه للزوايا. ثم إن هذه الفقرة تنص على خشية الدولة من الفتن التى كان يثيرها أهل التصوف فى هذا العصر، ومن الراجح أن صوفية هذا العصر كانوا قلة لا خطر لها. كان التصوف فى جملته إلى هذا العهد ظاهرة نفسية فردية، لم تتحول بعد إلى ظاهرة اجتماعية ، يشترك فيها الجماعات والطوائف ، ويمكن أن يكون بهذا مشارا للفتن ومصدرا

للخطر . ولما أنشئت أول خانقاه جعلت الواردين إلى مصر من البلاد الشاسعة كما عرفنا، وجل الزوايا والربط والخوانق التي عرضنا للكلام عنها في الفصل السالف ، قد أقام فيها الأعاجم والأحياء وغيرهم من نزلاء مصر دون المصريين طبعاً . وقد ظل عدد الدراويش المتجولين في شوارع مصر من الفرس والأتراك أكبر عدد من المتجولين من الدراويش المصريين إلى ما بعد انقضاء العصر العثماني - كما أشار إلى ذلك الأستاذ «لين» - ولا تظن أن هؤلاء النزلاء كانوا من الكثرة في هذا العصر بحيث تخشى الدولة ياسهم وترهب فتنهم ، فمن الخطأ بعد هذا أن يتحدث جرجي زيدان عن استقلال الزوايا أو خطورة الفتن قبل خانقاه سعيد السعداء .

والفقرة الثانية من كلامه تنطوي كذلك على مغالطتين أخريين : فإنها تنص على أن صلاح الدين قد «أنشأ» خانقاه سعيد السعداء وسماها ديرة الصوفية ، وأدق من هذا أن يقال إنه حولها إلى خانقاه ، فقد كانت داراً معروفة منذ العصر الفاطمي . وثاني الخطأين دعواه بأن صلاح الدين قد جعل لشيخ هذه الخانقاه شبه تقدم على غيره من المشايخ «أى مشايخ الطرق التي تحدث عنها في فقرته الأولى» والراجح أن شيخ الخانقاه كان يسمى شيخ الشيوخ ، وأريد بهذا التعبير الشيوخ المقيمون في الخانقاه ، إذ كان كل فقير منهم شيخاً لأنه يدرس الدين وينقطع لعبادته والعمل بأوامره ونواهيه ، ولم توجد في الوقت الذي أطلق عليه هذا اللقب خوانق أو ربط أو زوايا حتى يجوز الظن بأن المراد بهذا اللقب شيخ شيوخ الخوانق والربط والزوايا الأخرى .

أما الفقرة الأخيرة فتنتطوي على أربعة أخطاء : لأنها تنص على أن رأسه الصوفية قد توحدت في القرن التاسع ، وذلك ما سنكشف عن بطلانه فيما يلي من حديث ، وتزعم بأن السيد محمد شمس الدين البكري قد تولى هذه الرئاسة في القرن التاسع ، وأنه والد أبي السرور البكري ، مع أن محمد شمس الدين الذي عاش في القرن التاسع (٨٤٧ هـ وهو الحنفى) لم يكن أباً أبي السرور البكري (ولد سنة ٩٧١ هـ ومات سنة ١٠٠٧ هـ) فإن أباه هو السيد محمد أبو المكارم زين العابدين أبيض الوجه ، وقد ولد سنة ٩٣٠ هـ ومات عام ٩٩٤ هـ على ما يروى على مبارك وهو الشهير بالبكري الكبير في كتب التاريخ والطبقات والمناقب ، وهو الذي قال فيه الشعراني إن الناس قد أجمعوا على أن ليس على وجه الأرض بلدة أكثر علماً من مصر ولا في مصر مثله فإذا عدنا إلى الذين ترجموا لهذين الرجلين والتمسنا عندهم صحة ما يدعيه الأستاذ زيدان ، رجح عندنا الظن بخطئه فيما يذهب إليه ، فإن كتاب التراجم في هذا العصر وما بعده ، كانوا أسخياء في خلع الألقاب على من ترجموا لهم ولو أن أحد هذين الرجلين استحوذ على لقب مشيخة المشايخ ما أهملها الذين ترجموا حياته ، ولدينا ممن عرضوا لترجمتهما - الشعراني والمناوي ومحمد أبو السرور البكري وعلى مبارك وصاحب النور السافر ومؤلف الإعلام بأعلام بيت الله الحرم والسيد توفيق البكري ... إلخ وليس في كلام واحد منهم ما يؤيد دعوى الأستاذ زيدان . وسنروى عن بعض هؤلاء المؤرخين نصوصاً تشهد بأن الزعامة قد تنازعها غير هذين الرجلين في عصرهما .! وقول الشعراني عن

السيد محمد شمس الدين إنه أعلم أهل زمانه، ليس دليلاً على أن كان شيخاً للمشايخ، بل تشهد بسعة علمه في عرف الشعرائي، و سنعرف بعد قليل أن مشيخة المشايخ لم تنتقل إلى ابنه ويتوارثها ذريته من بعده كما يقول الأستاذ.

رأي السيد توفيق البكري ومناقشته:

هذا الكلام السطى الذي لا ينهض فيه صاحب من خطأ حتى يسقط في خطأ آخر، قد صادف قبولا عند بعض المؤرخين كالسيد توفيق البكري في كتابه «بيت الصديق» الذي يرويه على علته ولا يعلق عليه بكثير ولا قليل، بل يستند إليه في تاريخ البيت البكري ويؤثر ما جاء به على ما ذكرته عن أفراد هذا البيت كافة كتب التاريخ والطبقات. فمترجمو القرون التاسع (السخاوي) والعاشر (الغزى والعيدروسي والشبلي) والحادي عشر (الحجبي) والثاني عشر (المرادي) إلى غيرهم من المؤرخين وكتاب التاريخ والطبقات كالجبرتي وابن اياس وأبي السرور البكري والشعرائي بطبقاته الكبرى والوسطى والصغرى والمناوى بطبقاته الكبرى والوسطى وغيرهم، لم يشيروا قط إلى وجود شيء اسمه مشيخة المشايخ في البيت البكري أو غيره من بيوت التصوف في مصر. ولكن السيد توفيق البكري يقول مؤرخاً بيت الصديق إن وظائف هذا البيت من قديم الزمان ثلاث: مشيخة السجادة البكرية ومشيخة المشايخ الصوفية ولقابة الأشراف. ويصر عند الكلام على مشيخة السجادة البكرية على أن من «حقوقها القديمة وأصولها المستديمة أن

يتولى صاحبها مشيخة مشايخ الصوفية، ولم يقل لنا السيد توفيق متى يبدأ في عرفه «قديم الزمان» الذي استحوذ فيه البكرية على هذا اللقب.

على أن السيد توفيق وإن كان يروى رأي جرجي زيدان من غير تعليق إلا أنه لم يجرو على خلع هذا اللقب على جميع أفراد البيت البكري وأفرع دوحته منذ القرن التاسع إلى يومنا الحاضر كما رأى صاحبه، وإنما تبرع بخلفه على بعض من عاشوا في مصر منذ القرن الثاني عشر الهجري، والغريب أنه صن به على أهل القرن التاسع والعاشر والحادي عشر، بل بخل به حتى على الذين أثيرت الضجة التي أسلفناها الآن من أجلهم، من محمد شمس الدين البكري وأبي السرور البكري ومحمد شمس الدين الحنفي مما يشهد بضعف ثقته في مزاعم المرحوم جرجي زيدان، وإن لم يصرح بذلك.

فلنعرض لمن سماهم السيد توفيق شيوخ المشايخ من أهل القرنين الثاني عشر والثالث عشر، لنرى مبلغ الصديق أو مدى الخطأ في دعواه:

نلاحظ أنه خلع اللقب على أربعة من أهل القرنين الثاني عشر هم السيد أبو المواهب البكري المتوفى سنة خمس وعشرين ومائة وألف والشيخ أحمد البكري المتوفى سنة ثلاثة وخمسين ومائة وألف والشيخ أحمد بن عبد المنعم البكري المتوفى سنة خمس وتسعين ومائة وألف والسيد محمد البكري الكبير المتوفى سنة ست وتسعين ومائة وألف. فنلاحظ أن السيد توفيق يضع في عنوان ترجمة كل واحد من هؤلاء الأربعة لقب شيخ المشايخ ! فإذا معنا النظر فيما يكتبه عن كل منهم

رأيناه يقول في ترجمته الأولى «هو شيخ الإسلام وعلامة الأنام تولى السجادة البكرية التي من حقوقها مشيخة المشايخ الصوفية وأحيا معالم الطريق والإرشاد بمصر في المعقول والمنقول وعلوم القوم توفي سنة ١١٢٥ هـ ودفن بزاويته ، ولم بشر السيد توفيق إلى المصدر الذي استقى منه كلامه كما فعل في أكثر التراجم التي ضمنها كتابه، ولهذا دلالة ومغزاه . و يروى عن ثانيهم وهو الشيخ أحمد البكرى وثالثهم وهو أحمد عبد المنعم البكرى ، نص ما ذكره الجبرتي في ترجمتهما دون أن تزيد عليه كثيرا ولا قليلا، وما يقوله الجبرتي عنهما خلط من كل إشارة إلى مشيخة المشايخ التي تبرع السيد توفيق بخلعها عليهما في عنوان الترجمتين من غير مبرر...! ثم يروى عن رابعهم وهو محمد البكرى الكبير نص ما يقوله الجبرتي كذلك فإذا النص لا يخلو من الإشارة إلى مشيخة المشايخ فحسب، بل يقطع وجه الشك في أمرها فيقول «ولما توفي ابن عمه الشيخ أحمد شيخ السجادة البكرية تولاهما بعده باجماع الخاص والعام مضافة لنقابة الأشراف فحاز فخار المنصيين وكمل له فضل الشرفين ، ولم يقم في ذلك إلا نحو سنة ونصف وتوفي ، فلو أنه تولى مشيخة المشايخ لنص عليها الجبرتي أو أشار إليها. وكذلك يقول في السيد محمد البكرى الصغير ١٣٠٨ والذي وضع السيد توفيق في رأس ترجمته لقب شيخ المشايخ، ثم أورد نص الجبرتي فيه من غير نقص ولا زيادة، فإذا فيه «السيد محمد البكرى أفندي الصديقي شيخ سجادة السادة البكرية ونقيب الأشراف بمصر المحمية ، تقلد بعد والده المنصيين وورث عنه السيادتين، وكذلك الحال

في السيد خليل البكرى سنة ١٢٢٣ هـ .
ومن هذا نرى أن السيد توفيق كان يتبرع من عنده بلقب شيخ المشايخ ويضعه في عنوان تراجمه، وليس في التراجم قط إشارة تبرر وضعه .
لستطيع الآن أن نقرر ونحن على شيء كبير من اطمئنان اليقين، أن العصر العثماني قد انقضى بقرونه الثلاثة دون أن يعرف أهل التصوف في مصر رئيسا فلدا لهم، يوحد كلمتهم ويفصل في مشاكلهم.

نشأة اللقب قبل العصر العثماني:

لا ... بل لقد وجد هذا اللقب من قديم الزمان منذ القرن السادس للهجرة، أي قبل دعوى جرجي زيدان بثلاثة قرون أو أربعة ..! بيد أن المعنى الذي يحمله كان يختلف عن المعنى الذي قصده به الأستاذ زيدان والسيد توفيق . قال المقرئزي : فكانت «سعيد السعداء أول خائفيه عملت بمصر وعرفت بدويته الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ، واستمر في ذلك بعده إلى أن كانت الحوادث والحزن منذ سنة سنة وثمانمائة وانضمت الأحوال وتلاشت الرتب فللقب كل شيخ خائفيه «شيخ الشيوخ» ويقول في خائفيه سر ياقوس «قرر السلطان في مشيخة هذه الخائفيه الشيخ مجد الدين موسى بن أحد بن محمود الاقصر اوى ولقبه بشيخ الشيوخ فصار يقال له ذلك ولك من ولى بعده، وكان قبل ذلك لا يلقب بشيخ الشيوخ إلا شيخ خائفيه سعيد السعداء» وكان ذلك عام ٧٢٥ هـ .

والظاهر أن المقرئزي أراد أن يقول إن شيخ

خانقاه سعيد السعداء كان يستحوذ وحده على لقب شيخ المشايخ منذ سنة ٥٦٩ هـ إلى سنة ٧٢٥ حين شاركه فيه شيخ خانقاه سرياقوس ، واستمررا يتنازعان هذا اللقب إلى أن زحفت الحن وتلاشت الألقاب في مستهل القرن التاسع ، فاستولى على اللقب جميع شيوخ الخواثق التي كانت قائمة بمصر في هذا العهد.

وقد أيد القلقشندي كلام المقرئى فقال «إن مشيخة الشيوخ كانت تطلق على مشيخة الخانقاه الصلاحية (سعيد السعداء) إلى أن بنى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خانقاه الناصرية بسرياقوس ، فاستقرت مشيخة الشيوخ على من يكون شيخا بها، والأمر على ذلك للآن» - وقت كتابة صبح الأعشى .

والظاهر أن شيخ خانقاه سرياقوس كان له شبه تقدم على سائر المشايخ، لا في مصر وحدها بل في الشام وغيرها، فقد أورد القلقشندي نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ بسرياقوس فإذا فيها «فلذلك رسم بالأمر الشريف... أن يفوض إلى المشار إليه (الشيخ نظام الدين الأصفهاني) مشيخة الشيوخ بالديار المصرية والبلاد الشامية والحلبية والفتوحات الساحلية وسائر الممالك الإسلامية المحروسة على عادته في ذلك، وقاعدته معلومة، وأن يكون ما يخص بيت المال المعمور من ميراث كل من يتوفى من الصوفية بخانقاه المذكورة للمشار إليه، بحيث لا يكون لأمين الحكم ولا لديوان الموارث معه في ذلك حديث، وتكون أمور الخانقاه المذكورة فيما يتعلق بالمشيخة وأحوال الصوفية راجعة إليه، ولا يكون لأحد من الحكام ولا من جهة الحسبة ولا

القضاة في ذلك حديث معه، ولا يشهد أحد من الصوفية ولا ينتسب إلا بإذنه على العادة في ذلك... ومن هذا النص نستطيع أن نقول إن شيخ مشايخ خانقاه سرياقوس كان له شبه تقدم على غيره من المشايخ في مصر وغيرها من البلاد السالفة الذكر، إلا أن اختصاصه الفعلي كان مقصورا على الصوفية المقيمين بخانقاه سرياقوس وحدها. والدلائل التي تحت أيدينا تنفي نفيا باتا وجود شيخ مشايخ - طوال العصر العثماني خصوصا - وظيفته التكلم على كافة الطرق الصوفية والتحدث باسمهم وتنظيم علاقاتهم والفصل في مشاكلهم على نحو ما ذهب السيد توفيق وجرجي زيدان، ولا بأس من أن نسرد بعض هذه الدلائل :

روى صاحب المناقب الكبرى أن شيخ الإسلام محمد شاه قد حبس الشيخ الغمري فاستغاث أقاربه بالشعراني ووسطوه لإنقاذ السجين، فكتب الشعراني بطاقة إلى محمد شاه قال فيها «إن من أعظم بيوت سلاطين الأولياء والأقطاب بمصر أربعة : أولهم بيت السادات بنى الوفا... وثانيهم بيت سيدى محمد شمس الدين الحنفى (هو فرع الدوحة البكرية وقد توفى عام ٨٤٧ هـ) ... وثالثهم بيت سيدى مدين الأشمونى (تلميذ الحنفى) ورابعهم بيت سيدى أبى العباس الغمري (سنة ٩٠٥) .

وفي هذا ما يشير إلى أن الزعامة لم تكن في بيت واحد.

ويقول المناوى ١٠٣١ عندما عرض لترجمة الشيخ محمد كريم الدين الخلوتى سنة ٩٨٦ هـ «صار

هو وشيخنا الشعراني (سنة ٩٧٣ هـ) شيخا يريد شيخا، الديار المصرية ، وكان بينهما ما يكون بين الأقران، ويلاحظ أن الشعراني واخلاقه اللذين كانا يتنازعان الرياس، قد عاصرهما فيها محمد البكري (٩٩٦ هـ) الذي عزا إليه جرجي زيدان مشيخة المشايخ في أول أمرها.

ولقد كان الشعراني إذا تحدث عن كبار الشيوخ في القرن العاشر، قال لهم محمد البكري (الكبير) ومحمد كريم الدين اخلاقه وخليفة الشيخ دمرداش وزين العابدين وخليفته الشيخ شاهين.. «وكل واحد من هؤلاء لو انفرد في مصر وقراها، لكفى الناس علما وأدبا وسلوكا» ولو استحوذ أحدهم على زعامة رسمية أو معترف بها منهم، ما أهمل ذكرها الشعراني أو المناوي أو غيرهما.

أما في القرن الحادي عشر فقد روى عبد الغنى النابلسي المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ أن محمد أبا المواهب زين العابدين البكري كان له «حكم الولاية فيها بطريق التوجيه من جهة السلطنة العلية، وأن نائبه في بلدة الخانقاه كان الميقاتي على ما عرفنا وحسبنا في الدلالة على أن هذا التعبير لا يفيد استحوذه على مشيخة المشايخ، أن السيد توفيق الحريص على احتكار البيت البكري لهذا اللقب، لم يخلعه على السيد محمد أبي المواهب زين العابدين رغم أنه اطلع على رحلة النابلسي المخطوطة، واقتبس منها جزءا في كتابه وكذلك لم يشر على مبارك في ترجمته إلى هذه المشيخة.

وقد تهيأ للشيخ السادات (المتوفى ١٢٢٨ هـ) نوع من السيادة الواضحة على الطرق ومشايخها في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر، وترجمة

شتى الجبرتي تقول إن الزعامة قد أسلمت قيادها له بعد أن عز وجود مناس ينارعه في أمرها. وقد أظهر الجبرتي في هذه الترجمة - التي اطلع عليها السيد توفيق ونقلها في كتابه عن بيت السادات الوفائية - أن السيد محمد البكري الصغير كان إلى جانب السادات كما مهملا لا حساب له، ورغم ذلك يقول عنه السيد توفيق إنه كان شيخ المشايخ.

ولعل هذا يفسر لنا نصا خداعا رواه الجبرتي في ترجمة محمد أبي السعود البكري الكبير إذ قال «ويتحاكم لديه خلفاء الطرايق وأصحاب الأشاير البدعية كالأحمدية والرفاعية والبرهامية والقادرية فيفصل بقوانينهم العادية، فإن ما يشبه هذا السلطان قد تهيأ للشيخ السادات (الوفائي) بعد ممات محمد البكري حتى كان يصدر أوامره إلى فرق الأحمدية والسعدية والشعبية بأن تمر بداره والأمراء بضيافته أيام المولد ، فكان شيوخها ومريدوهم ينصاعون لأمره راضين أو كارهين.

وسنعرف كذلك كما سنعرف عن «الأقطاب» الذين ظهروا في هذا العصر واستحوذوا على الزعامة في عصرهم، وبسطوا سلطانهم على كافة الأولياء في مختلف بقاع البلاد..

ومن هذا نرى أن زعامة الطريق كانت لصاحب الشخصية القوية الأخاذة سواء أكان من بيت عريق معروف أم لم يكن كذلك وكانت السلطنة العثمانية وراء ذلك تغذى هذه الصراعات أحيانا من أجل استمرار سيادتها على مصر، ولعل أغلب الفترات التي مرت بمصر إبان هذا العصر، كانت خلوا من هذه الشخصية التي تكره مشايخ الطرق على السعي لمَرْضاتها، والانقياد لأمرها والسير في ركابها.

بل لقد ورد في الإجابات التي رد بها حسين أفندي الروزنامجي [انظرها كاملة في ملاحق الجزء الاول] على الأسئلة التي وجهها إليه «ستيف» عقب الفتح الفرنسي، أن أرباب السجاجيد في مصر أربعة، هم الشيخ البكرى وجده أبو بكر الصديق والشيخ السادات وجده الإمام على والشيخ العناني وجده عمر بن الخطاب والشيخ الخضيرى وجده الزبير، وأن مقامهم محفوظ ومكانتهم ملحوظة، وأن المشورة لهم في جميع الأمور.. ولم يشر قط إلى زعامة واحد منهم على أرباب الطريق وقد أشار الأستاذ «لين» إلى أصحاب السجاجيد الأربعة، ولكنه صرح بزعامة البكرية على جميع الطوائف في مصر ولكن ذلك لا يغير من حقيقة الأمر كثيرا ولا قليلا، وقد أورد السيد توفيق البكرى فرمانا بتولية الوالى محمد على باشا البكرى للسيد محمد البكرى عام ١٢٢٧هـ وفيه اعتراف بزعامته على الطوائف كلها، وقد أهمل الجبرتي ذكر هذا فرمان ولكن نص الأستاذ «لين» يرجح صحة هذا فرمان ، وعلى هذا يكون قول «لين» إن للبكرى الزعامة على الطوائف كلها معقول إذا سلمنا بالفرمان السالف.

ولا بأس من أن نشير الآن إلى أن التعبير بمشيخة المشايخ لم يرد في فرمان محمد على ولا في فرمان الذى تلاه في عهد سعيد باشا عام ١٢٧١هـ وإن نص فيهما على العمل الذى يقوم به شيخ المشايخ.

فهذا اللقب حديث عهد، ونسبته إلى العصر العثمانى أو ما قبله نسبة بادية غطاء، إذا أريد باللقب المعنى الذى يحمله في عصرنا الحاضر،

ولعل السبب الذى أدى إلى وجوده في العصر الحديث، مرده إلى الرغبة في القضاء على التمايزات، التي كانت شائعة بين أهله. وإذن فقد كانت الفرق في مصر أثناء العصر العثمانى مستقلة لا تخضع لزعامة واحدة - إذا استثنينا بعض الفترات

ولكن كيف كان هذا النفوذ...؟ وما مدى تغلغله في طبقات الشعب وتسلكه إلى هيئات الحكم...؟ ذلك ما نفصل الحديث عنه فيما يلى:

نفوذ شيوخ الطريق أحياء وأمواتا ١ - أحياء

بين دولة الفقراء ودولة بنى عثمان - تحررهم من عرف البلاد ودينها - مفارقات العصر - تحررهم من نظم الدولة وقوانينها - تمردهم على العرف السائدة عند أرباب الطريق

بين دولة الفقراء ودولة بنى عثمان
حفلت مصر إبان العصر العثمانى بفرق المتصوفة وطوائف الفقراء، واكتظت الشوارع بمواكبهم والبيوت بولائمهم والمساجد والزوايا باجتماعاتهم، وانتشر الشيوخ والأتباع في الريف والحضر، وتغلغل نفوذهم في المدن وشاع في الأقاليم والقرى، وامتد سلطانهم إلى مختلف طبقات الشعب وأقام في صدورهم عرشه، وتسرب إلى قصور الحكم فعبث بالقوانين، واستهان بالرأى العام فتخطى أبسط مبادئ العرف، واستعلى على

الدين فاستباح الخروج على قواعده وتعاليمه، وبذلك أضحي الفقراء في مصر إبان هذا العصر فوق قواعد الدين ومقتضيات العرف وقوانين الدولة.. ١١ وكانت مصر دولتهم في الحياة الدنيا وإن ادعوا بأن الفقراء لا يملكون في هذه الحياة الفانية كثيرا ولا قليلا، وأن دولتهم إنما تقوم - كأعظم ما تقوم الدول ذات السلطان الواسع النطاق الممدود الرحاب - في جنة الله يوم الدين . فقد كان الناس في شتى الطبقات يحيطونهم بالعطف والتأييد، وقد خف إلى زواياهم منات المريدين وألوف الأتباع، وفاضت عليهم خزائن الأغنياء والأثرياء، وسعى إليهم عطف الحكام والأمراء، ولازمه النصر في أكثر المعارك التي أثار عثورها في وجوههم العلماء والفقهاء، وتوفر لهم عند المريدين سلطان لم يتوفر لحاكم تحبه عشيرته وتطيعه جنوده، أو لعالم يجله تلامذته وطلابه، وما كان الجندي الذي يتمرد على قائده ساعة الخنة بأشد خيانة وأعظم جرما - في عرف الفقراء - من المريد الذي يسىء الظن بشيخه أو يتردد في امثال أمر تلقاه عنه ولو كان يقضى بطلاق زوجه وفراق أولاده أو يمنعه عن أداء ما أمر الدين من فروض وواجبات وحتمه من شعائر وعبادات..!

وهكذا قامت في مصر دولة الفقراء إلى جانب الدولة العثمانية ، بالسلاح والحيلة تضمن الثابت بقاءها وتقر بين الناس قدما. وبالإيمان تزود بالأولى عن عرشها، وتقر في القلوب سلطاتها، وتخيف خصومها وأعداءها . ولقد كانت دولة الفقراء أثبت قدما وأعظم نفوذا وأقوى سلطانا من دولة بني عثمان - تلك الدولة التي كانت مطامع الممالك - ولاسيما في النصف الآخر من العصر العثماني -

تثير فيها القلق والاضطراب ، بل قد كانت فرق الجيش التي جاءت في ركبها لحمايتها من كل عدوان في نزاع يكاد يكون دائما، وحرب يوشك أن يكون متصلا وكان «العرب» في غاراتهم بين الحين والحين يثيرون الاضطراب في رأسها ويشيعون الفرع في نفسها، أما دولة الفقراء فقد عاشت في جو عامر بالأطمئنان ، قوية بإيمان أهلها وحسن ظن الناس بها لانهتز لانكار المنكرين - وما كان أضعف نفوذهم - فامتد سلطانها والبسط عزها من غير سلاح مسلول ، ورفرف علمها في كل مكان دون جهد ملموس ، وذلك لأن «روح العصر» بما كان يسوده من ظلام الجهل وشدة الفقر واضطراب الأمن وظلم الحكام - عاون على ثبات هذه الدولة ورسوخ قدمها وشيوع تعاليمها بين الناس...؟

تحررهم من عرف البلاد ودينها:

ولدينا من الشواهد ما ينهض دليلا على أن الأولياء كانوا فوق العرف وفوق القانون - وقبل أن نعرض للكلام في ذلك ينبغي أن نشير إلى أن الأمثال التي تشهد بخروج الفقراء على الدين ، تصلح أن تكون شاهد بخروجهم على العرف كذلك، فإن الفروق بين الدين والعرف أثناء هذا العصر قد تضاءلت حتى كادت أن تزول وتتلاشى، فإذا جاز لنا أن نقول اليوم إن تارك الصلاة أو شارب الخمر في القاهرة، لا يعتبر خارجا على العرف، وإن عد خارجا على الدين، فإن هذا الكلام لا ينسحب على العصر العثماني ، لأن الدين قد تغلغل إبانها في العرف حتى كاد الرأي العام في كل شيء أن يكون قائما على الدين وحده، وكانت مصر في عزلة عن

العالم الأوروبي الذى كانت النهضة الحديثة تمشى فى أعصابه وتشيع فى كيانه فأضحت الحضارة القائمة فى مصر حضارة دينية بحتة. فكان الناس لا يعرفون علوماً أسمى من علوم الدين ، ولا ثقافة أجدر بالعناية وأحرى بالدراسة من ثقافته، ولا رجالاً أخلق بقيادته فى حياتهم الدنيوية والدينية من رجاله، وبهذا أصبح زعماءهم فى ميدان السياسة وقادتهم فى الحياة العامة وأساطينهم فى مجال العلم Scientists هم الفقهاء وحملة الشريعة وأرباب الطريق، فالعالم هو العالم بالدين وليس العالم الذى يعمل داخل المعمل أو المختبر، انظر الشهادة الأزهرية التى تسمى «شهادة العالمية» وهيئة كبار العلماء، وكاد أن يتلاشى الفارق بين صيحة الدين وصيحة العرف، وأضحى الخروج على قواعد الدين، استهانة بالرأى العام وجرحاً لشعور الناس.

والآن نبسط بعض الشواهد التى تجمع بين خروج الأولياء على تعاليم الدين وتخطيهم لأبسط مبادئ العرف معاً، ثم نعقب عليها بذكر الشواهد الدالة على امتثالهم لأقدس مواد القانون، لنرى مدى ذلك كله فى نفوس الناس، ولنعرف مبلغ الصدق فى قولنا إن الأولياء كانوا فى مصر - إبان هذا العصر - دولة داخل الدولة:

يروى الجبرتى عن السادات أنه حين تولى خلافة بيت السادة الوفائية عام ١١٨٢ هـ أحسن التصرف والتزم ما تقتضيه الأخلاق الكريمة ، حتى إذا اطمأن إلى سمعته ونفوذه عند الناس ، بدأ حرصه على الدنيا وتمسكه بالمادة، واستيقظ جشعه وعدم اكتراثه برأى الناس فى سمعته، ومن دلالات هذا

أنه اتفق مع محمد البكرى على أن يأخذ منه نظارة المشهد الحسينى ، ويتنازل له فى مقابلها عن نظارة وقف الشافعى ، فلما تخلص له البكرى عن وظيفته، وأرسل إليه دفاتر الوقف، نقض هذا وعده واستولى على الوظيفتين معا...!! بل زاد فطمع فى المشهد النفيسى والمشهد الزينبى وباقى الأضرحة، وأخذ يحاسب المباشرين وخدمة هذه الأضرحة «على الإيرادات ويسبهم ويهينهم ويضربهم بالجريد الخمص على أرجلهم...!!» وطلق بطالهم بالنذور والشموع والأغنام والعجول ، وما يتحصل بصندوق الضريح من المال، وكانوا يختصون أنفسهم بذلك كله، وأقلهم (كان) فى رفاهية من العيش وجمع المال. وهكذا قضى غالب عمره فى طلب الدنيا وتنظيم معاشه وتهئية الرفاهية فى بيته «واقبنا كل مرغوب للنفس وشرا الجوارى والممالك والعبيد والحبوش والخصيان والتائق فى المأكول والمشارب والملابس وتعاضم فى نفسه وتعالى على أبناء جنسه حتى إنه ترفع عن لبس التاج وحضور الخيا بالأزهر ليلة المعراج، وكذا الحضور فى مجلس وودهم وصار يلبس قاووقاً بعمامة خضراء تشبهاً بأكابر الأمراء».

وكذلك كان إبراهيم المتبولى . كان يبيع فى بدء حياته الخمص، وقد مات أبوه فكفلته أمه وتعهدت بتربيته ، فلما أخذ الطريق وسار فيه شوطاً أصبح صاحب زاوية فيها نحو المائة مريد يقيم طاعماً كاسياً على نفقة صاحب الزاوية . وذلك كله على الرغم مما يزويه الشعرانى عن رأيه فى الزهد، فقد كان من رأيه أن الزهد فى الدنيا أول أساس يضعه المريد فى الطريق، فإن أعوزه الزهد فى لذاتها

والإعراض عن مباهاجها أخفق في تصوفه، وكان ما بينه في الطريق هباء منثورا...!

كان الشيخ على أبو خردة يحب الغلمان ، ويعبث بهم بحضرة آبائهم بالغما ما بلغت مكائهم ! وكان كلما رأى امرأة «حس بيده على مقعدها» وما أكثر وقايعة معهن.

وكان المجدوب محمد بن أبي بكر المغربي الطرابلسي المتوفى سنة ١٣٠١ هـ صاحب الأحوال يحب مجالس الشراب وتهافت عليه نساء البلد، فأنكر عليه ذلك بعض الناس ولكن «أهل الفضل كانوا يحترمونه وينقلون عنه أخبارا حسنة ويجله الأعيان وتهال عليه الهدايا ولا يرد له الرزرا شفاعا» كما يقول الجبرتي، وقد اشتهر فقراء المطاوعة بحبهم للغلمان ، حتى كانوا إذا عقدوا مجالس الذكر ، اجلسوا الصبيان من ورائهم ليحتضنهم من الخلف إذا اشتدت حماسة الذاكرين، فإن أنكر عليهم ذلك أحد من الناس، قالوا لا جناح على من مس دبر غلام، وإنما الجناح على من فعل فيه الفاحشة وحدها ! وكان وجود الغلمان في حلقات الذكر ومواكبه جزءا من نظامه عند فقراء هذه الطائفة.

وكان الشيخ «عبد الله سنة ٩٣٧» يصحح الحشيش ويبيعه بخرايب الأزيكية فلا يناله من الناس أذى ولا ضرر. بل لقد كان الناس يعتقدون أن من تعاطى الحشيش منه ، كف عن تعاطيه ...!!! كما زعم المناري والغزوي . وكان الفقراء إذا أقيم مولد السيد البدوي أباحوا لأنفسهم لهب المحال وسرقة الناس وأكل أموالهم بالباطل، قائلين إن الغريبة بلاد السيد البدوي ونحن من فقراؤه، فكل ما تأخذه

حلال لنا. وكان «المناري» ٩٣٢ أول من نادى بإبطال هذه البدع.. وكان النساء اللاتي يتصلن بالفقراء معرضات للزنا، وقد اشتهر فقراء الأحمدية والبرهامية بارتكاب الفحشاء مع النساء اللاتي يأخذن العهد عليهن حتى خصهم الشعرائي بالذكر في معرض الحديث عن وقائع الزنا التي تحدث من جراء اختلاط الجنسين وكان العيسوية إذا أقاموا الذكر على طريقتهم المغربية ، سعى إليهم الناس وخف للفرجة عليهم حسان الغلمان، فيكلف بهم هؤلاء الغلمان ويسعون وراهم - فيما يقول الجبرتي ...! وروى الشعرائي في ترجمة الشيخ عبد القادر السبكي أنه كان يتكلم بما يستحى منه الناس ولا يرضى عنه العرف، وقد خطب مرة عروسا ورآها فأعجبته فكشف لها عن جسمه وهي في حضرة أيها. لكي تطمين على خلوه من البرص وبراثة من الخشونة وغيرها مما قد يستدعى الشكوى بعد الزواج، ثم تناول قضيبه في يده، وطلب إليها أن تمنع النظر إليه، لتطمين على حجمه ومنظره..

ويصف الأستاذ «أدوار لين» هذه الحال ويشرح علتها في عرف الناس فيقول : إن المعتوه أو المجنون في عرف الجمهور ، كائن عقله في السماء وجزؤه الكفيف على الأرض - إنه حبيب الله، ومهما ارتكب من الفظائع فإن ذلك لا يؤثر في سمعته عند الناس، وكثيرون هم الذين يتخطون على الدوام قواعد الدين ويتمردون على مبادئه، ولكن العلة في ذلك عند الناس أنه نتيجة لتجريد العقل واستغراق الملكات العقلية في عبادة الله، مما أدى إلى العجز عن التحكم في العواطف - والمجانين الذين يهددون المجتمع بالخطر، يحفظون في الحبس، أما الذين لا

يخشى منهم الضرر، ينظر إليهم الناس على أنهم أولياء الله..! ومعظم الأولياء المعروفين في مصر مجانين أو مخاييل أو دجالون، يسير بعضهم في الشوارع عاريا كامل العري، فيلقى من الناس كل الاحترام والتوقير - حتى أن النساء لا يتجنبن الاتصال بهم، بل يأذن لهؤلاء الخبثاء بأن يكونوا معهم على قارعة الطريق أحرارا كاملي الحرية - ولن كان هذا نادرا لحصول إلا أنه لا يعتبر في عرف الطبقة الدنيا من الشعب معرة ولا منقصة.

هذا رأى «لين» الذي زار مصر بعد انقضاء العصر العثماني بنيف وعشرين عاما، ولعله احتاط في التعبير أكثر مما ينبغي، فإن الحوادث التي رويتها عن مؤرخي العصر العثماني - من الجبرتي إلى الغزالي والشعراني والمناوي - وهم من أهل هذا العصر جميعا - تبرر القول بأن تمرد الأولياء على قواعد الدين لم يكن نارا للحدوث، ولعل الأستاذ قد أربأ بهذه النادرة فظانهم مع النساء على قارعة الطرق، وليست الطبقة الدنيا وحدها التي كانت ترضى عن هذه الفظائع، وكثيرا ما كان يتخذ بها العلماء والأمراء...

مفارقات العصر:

كان هذا كله يحدث على مرأى من الناس فلا يستفز شعورهم ولا يثير غضبهم، بل كثيرا ما كان يلائم رضا واغتباطا - على نحو ما عرفنا في التعليقات التي صور بها كتاب العصر شعور الناس نحو هذا التمرد على قواعد الدين ومبادئ العرف، وما كان السر في هذا أن «روح العصر» كان يسمح بالتهاون ويوجب على الناس التسامح، فإن الرأى

العام في هذا العصر كان يقوم على التعصب الشديد للطقوس والرسوم، وأخذ الخارجين على الشعائر بالحساب العسير، إذ بينما ترى هذا التهاون المفزع في حساب من يعتبرون أولياء، ترى الطالب الذي لا يقع بصره على جرة خمر بين يدي ممالك السلطان حتى يمضي إلى تخطيمها ويعرض نفسه للهلاك دفاعا عن دينه وترى كيف يستحل المسلمون دم الجنود إذا أقدموا على فعل المنكرات في رمضان من شرب الخمر والفسق بالنساء، وكيف يطاردونهم ويتعقبونهم بالذبح والقاء جثثهم في اليم ونهب ممتلكاتهم حتى يقتل من الجنود نحو عشرين نفسا ومن المسلمين أدنى من ذلك بقليل وترى كيف يجمع العلماء على تكفير من ادعى النبوة، فإن أصر على ادعائه كان مصيره القتل علانية. وترى كيف يفتي العلماء بإحراق الدمى إذا سب مسلما وترى كيف يحرم التدخين على الناس كبارا وصغارا وكيف تصدر فرمانات بإبطاله في الشوارع والمحال وأبواب البيوت، وكيف تكون الرقابة ويشدد العقاب حتى ليكون جزاء المدخن إطعامه الحجر الذي يضع فيه الدخان والنار وكيف يحرم شرب القهوة ولا يجوز الانتفاع بثمرها كما هو الشأن في ثمن الخمر. وترى كيف يلام الشيخ الشبراوي لأنه أفتى بإباحة خروج قافلة حج للأقباط إلى بيت المقدس، وترى كيف يخرج الشعب والأزهريون إليهم فيرجمونهم بالحجارة ويضربونهم بالعصى وينهبون متاعهم ويحطمون كنائسهم انتصارا للدين على نحو ما يفهمون - وترى الناس بعد أن يسمعون فتوى السنباطي في الجامع الأزهر بتحريم القهوة يمضون إلى بيوتها من تلقاء أنفسهم

ويحطمون أوانيها ويضربون شاربها ولا تهدأ لهم
ثائرة حتى يفتي علماء آخرون بإباحتها وترى كيف
يرضون عن قتل المرأة العاهر جزاءً وفاقاً وترى كيف
يعتبرون انتقال العالم من مذهب إلى مذهب طيشاً
ورعونة وينحط قدر الشيخ البشيشي عند الجبرلي
وروالده من أجل ذلك . وأمثال هذه الحوادث التي
تشهد بالتعصب كثيرة لا يكاد يحصيها العد . وإن
كان هذا التعصب لا ينفي انحلال الأخلاق عند
أهله - على نحو ما سنعرف عند الحديث عن
سقوط التكاليف الدينية عن الأولياء .

كان «روح العصر» يملأ على الناس التعصب
في أحكامهم ويحملهم على فداء عقائدهم - التي
لم يفقهوها أبداً - بالروح وما ملكوا، وكان الرأي
العام لا يسمح قط بالتهاون في ظاهر الدين أو
تخطي قواعد العرف ، ومن أقدم على ذلك فقد
عرض نفسه للأذى وقادها إلى مهاوى الهلاك -
وكان هذا معنى الدين في رموس الناس إبناً هذا
العصر - أما الأولياء فقد كانوا في عرف الجمهور
وأكثر العلماء فوق الدين وفوق العرف - وما أكثر
حوادث الفقراء مع النساء والغلمان ومائر مظاهر
تمردهم على الدين والعرف، وقد كان الناس
يقابلون هذا الاستهتار بالرضا والاعتباط، لأن الأولياء
في عرف الكثيرين منهم قد سقطت عنهم
التكاليف الدينية، فجاز لهم ما حرم على غيره،
يهملون الصلاة ويتركون الصيام ولا يقومون بشيء
من فروض الدين وشعائره. ثم لا يتقيدون بعد هذا
بشيء من نواهيه، ولا يخضعون لقيوده ومحرماته
١.. فالزنا والخمر والميسر والحشيش وكافة ذائل
الدنيا قد أحلت لهم فاستباحوا الحرمات على مرأى

من الناس، ولم يجدوا من شدة الإنكار ما يخيفهم
أو يردهم من غيهم ويوجههم إلى أقوم سبيل .
وكان جمهرة الناس في مصر تخاف سلطان
الأولياء الروحي وتخشى إن أساءت إليهم أن ينالها
أذاهم ويصيبها «تصريفهم» فكفت عن سوء الظن
بهم واستكثار أفعالهم، وذلك وحده كفيل بتخليص
الأولياء من قيود «العرف» وتحرير شهواتهم من
عقائد الدين، وقد بلغ من جراءة الأولياء وشعورهم
باستقرار قدمهم ونفاذ سلطانهم أن كانوا يصطعون
في بعض الأحيان ما يشير سخط الناس، فكان «أبو
خردة» يأمر عبده - وكان من غواة العبيد - أن
يقولوا للناس إن الشيخ يفعل الفاحشة فيهم، حتى
إذا ازدادوا سخطاً عليه عطبهم ١.. كما يظن
الشعراني ولو صحت رواية الحادثة لكان أدنى إلى
العقل أن يقال إنه كان يفعل ذلك استخفافاً
بالتكرين واحتقاراً لسخطهم، ولا بأس من أن نشير
الآن إلى أن المصادر التي أمدتنا بهذه المعلومات عن
هؤلاء الأولياء ، قد كتب أكثرها كتاب يؤمنون
بولايتهم ويذكرون هذه الحوادث في معرض
التمجيد لهم وإعلان الإعجاب بهم ١... ولم يملها
حقد ولا حسد ولا غير ذلك مما يجور على الحق ويغير
معالمه ١..

تحررهم من نظم الدولة:

وما كانت استهانتهم بقوانين البلاد ونظمها
بأقل من استهانتهم بعرفها ودينها، فقد كانت أولى
الأغراض التي حملت الأتراك على غزو مصر،
الطمع في خيراتها والرغبة في ابتزاز أموالها، ولهذا
كان خير الولاة عند سلاطين الأتراك من استطاع أن

يجبى من الضرائب أعظم قدر ممكن - وكان الناس لا يمانعون فى هذا ولا يضيقون به إلا إذا أعوزهم المال، فقد كانوا يرون أن الغرض من وجود الحكومات جمع الضرائب والأيدى العاملة اللازمة للأعمال العامة والفصل فى القضايا وحفظ الأمن ورد الغارات الخارجية. ولم يكن الإصلاح والعمل على رقى الشعوب من عمل الحكومات فى عرفهم - فكان طبيعيا بعد هذا أن يكون جمع الضرائب عند حكام البلاد وأهلها أول واجب ينبغى أدائه، ولكن الحكام كانوا يعفون الأولياء فى أكثر الأحيان من أخذ الضرائب. قال الشعرانى إن من نعم الله عليه حماية جميع أوقاف زاويته من ظلمة الحكام فى مصر والريف، فلا يعارضه ولا يعتدى عليه أحد قط رغم أنه لا يحمل مرسوما من السلطان لحمايته. وقال الجبرتى فى معرض الحديث عن حرص الشيخ السادات على الدنيا ومتاعها، أنه كان «يراسل» ويكتب ويحاسب ولا يدفع لأرباب الأقلام عوائدهم المقررة فى الدفاتر، بل يرون أن أخذها منه من الكبائر، وكذلك دواوين المكوس المبنية على الإجحاف، فكل ما نسب له فيها فهو معاف فإن تعنت بعض الحكام على أحد المشايخ وأرسل يستشير السلطان فى أمره، «رسم» السلطان بإعفاء أوقافه من دفع الضرائب، ومال إلى نصوته وإرضائه كما جرى للذرية الشعرانى بعد مماته.

بل لقد كانت الدولة تمد الأولياء بالأموال وتعينهم على دوام العز فى زواياهم، فمن ذلك ما يرويه الجبرتى عن الشيخ السادات حين أراد أن يعمر زاوية أسلافه، إذ حدث الباشا فى ذلك. وكان محمد على باشا المعروف بعزت المتوفى سنة

١١٩٠ هـ، فكاتب الباشا للدولة فى هذا الشأن، وسرعان ما ورد الأمر باطلاق خمسين كيسا لمصرف العمارة من خزينة مصر، ثم كاتب الدولة بعد ذلك بأن هذا المبلغ لا يكفى عمارتها، فاستجابت لطلبه وأطلقت له خمسين كيسا أخرى، ثم عاد الشيخ فالتمس رفع ما على قرية زفتى وغيرها من القرى التى فى حوزته من الالتزام من المال الميرى الذى يدفع إلى الديوان فى كل عام، فأجيب التماسه، وفى دار الكتب وثائق بالالتماسات والفرمانات التى أصدرتها السلطنة العثمانية لرفع العوايد التى كانت تنزل بقرية زفتى وغيرها من البلاد التابعة للسادات الوفاية.

والغريب أن يحدث هذا فى أواخر العصر العثمانى - أى فى أيام الاضطراب التى فشا فيها الظلم وانتشر طغيان الحكام وبغى الجنود، وأرهقت الضرائب الجمهور وأخذت منه عنوة أكثر من مرة، وكثرت الأتاوات التى كانت تفرض على الفلاح المسكين والتاجر البائس، وبينما كان الضنك والظلم يتمشى فى البلد طولا وعرضا. كانت الدولة تستجيب لمطالب شيوخ الطريق فى إعفاء القرى التى فى حوزتهم من دفع الضرائب، وطلب الأموال لتعمير الزوايا والإنفاق على مجاوريها !! وكثيرا ما كانوا يرحلون من مصر إلى بلاد الروم «الترك» فى طلب الدنيا ويلتمس لهم «أفضل الدين» العذر فى ذلك فيقول من المحتمل أن يكون الله قد كشف لأحدهم أن له رزقا فى بلاد الروم فيخف إليه فارغ القلب من محبة الدنيا !! وكثيرا ما كانوا يبعثون الوسطاء للسعي فى تحقيق المطالب !! وقد فاحر الشعرانى بأنه كان لا يقبل هذا إن عرض عليه ولا

يرضى به هوأنا بالدنيا ومتاعها.

وكان البكرى الكبير المتوفى سنة ٩٩٤ هـ ملحوظ المكانة بين الحكام ، فكانوا يهادونه ويكاتبونه ، وللسلطان مزيد عناية به ، حتى أنه أطلق المرتبات الخاصة له ولدريته من بعده ، وكذلك فعلى شريف مكة وسلطان فاس . ! وقد كانت الدولة تخاف نفوذهم وتخشى بأسهم وتهاب اتباعهم . ولهذا أصدرت قانونا بنفى كل من يتظاهر بمظاهر الملوك منهم ، وكان نوابها وحكامها يخشون هؤلاء الفقراء فيحسنون استقبالهم إذا خفوا لزيارتهم ، ويختلفون إلى زواياهم ويستجيبن لشفاعتهم - بالغما ما بلغ خروجها على أبسط مبادئ العدالة - وقلما يترجم كتاب التزاجم والطبقات لأحد هؤلاء المتصوفة في هذا العصر دون أن يقولوا : وكانت لا ترد له شفاععة عند الحكام والأمراء ، وبذلك تعطل تنفيذ القانون في البلد ، وأصبح الفقراء وأكثر من يلوذ بهم في أمان من عقابه إذا اقتربوا إنما أو ارتكبوا جريمة .. ! وإن كان هذا من رحمة الله بالشعب البائس المظلوم .

بل لقد كانت لهم قوانين تحكمهم وتحدد عقوبة المذنب منهم ، وترسم الحدود والمعالم في حياتهم الدنيا ، ولا دخل للدولة في أمرها ، قال الجبرتي في ترجمة محمد أبى السعود البكرى ١٢٢٧ « واشتهر ذكره وسار سيرا حسنا مقرونا بالكمال جاريا على نسق نظامهم ، ويتحاكم لديه خلفاء الطرائق وأصحاب الأشرار كالأحمدية والرفاعية والبراهمية والقدرية فيفصل بقوانينهم ، والمراد بالخلفاء نواب وشيوخ الطرق في القرى والأمصار ممن يديرون أمر المريدين والأتباع وفي دفتر خالة السادة البكرية

صك تعيين الشيخ البيجورى شيخا للجامع الأزهر (سنة ١٢٦٣ هـ) وفيه تحديد اختصاصات شيخ الجامع وشيخ مشايخ الصوفية أو الشيخ البارز من بينهم . وقد جاء فى هذا الصك ما نصه :

« وإذا رفع إليه - شيخ الجامع - دعوى وكان ذلك مما هو تحت حكم معادة السيد البكرى كالأشراف ومشايخ الطرق فيرد إلى حاكم المذكور حكم الأصول السالفة وأن الأمر فى المهمات .. لأنه بذلك تحصل راحتهم جميعا لعدم تعدى أحد على أحد...!!

ولا ينبغي أن يقال إن هذا الشاهد الذى رويناه قد وقع بعد انقضاء العصر العثمانى بخمسين عاما ، فإن ذلك حجة لنا لا علينا ، إذ كان الناس إذ ذاك فى عصر إسماعيل باشا ، فكان الكثيرون منهم قد انصرفوا إلى التفكير فى شئون المدينة الغربية التى أصبحت الأسرة العلوية ، بل أقبلت مع نابليون فى غزوته ، ونمت واشتد بأسها فى عصر إسماعيل ، وانشغل أكثر المستترين بأحداث السياسة الداخلية والخارجية فضعفت صولة التصوف وانكمش سلطانه عما كان فى أيام العثمانيين ، ولكن هذا لم يمنع من استمرار الفقراء فى التقاضى أمام أظهر شيوخهم بقوانينهم الخاصة ، سائر فى ذلك على ماجرى العرف منذ القدم ، وإن قولهم « فيرد إلى حاكمه المذكور حكم الأصول السالفة ، لدو دلالة واضحة المعنى ، بل لقد كان الرجل إذا عظم نفوذه وقوى سلطانه يجمع فى يده السلطتين القضائية والتنفيذية فيحكم على الناس ويتخذ أحكامه .. ! فقد اجتمع بعض أولاد البلد ذات ليلة بمنزل أحدهم - كما يروى الجبرتي - وأخذوا فى السخيرة من

الإكثار من تحذيرهم من الوقوع فى هذا الشر، واغرائهم بالزهد وحملهم على حياة الخشونة والتقشف.

وكان الفقراء يقبلون على كل شيخ كريم ويتكدسون فى زاويته، ويتزايد عددهم بين الحين والحين، وينفضون عن كل زاوية أدرك البخل شيخها وأصاب الحرص نقيبها، وكانت الزوايا تكتظ بالفقراء وتعج بطوائفهم أيام الغلاء، وكان الشيوخ - فى الجملة - يرون تمتعهم بالعيش الرغيد والحياة الهينة حقا من حقوقهم يستحذون عليه إن شاءوا ويتنازلون عنه إن أرادوا وما أكثر الذين كانوا يلتمسون أسباب الوصول إلى المال الطائل حتى إذا ظفروا به انفرودا بأكثره واستباحوا لأنفسهم وأولادهم العيش فى كنفه. والذين نادوا بتحريم هذا كانوا لا يتورعون عن التماس الأعذار لمن ينعم منهم باللبس الفاخر ويتمتع بالطعام الشهى، فيقولون إن المرید لا يجوز له ذلك العيش فى ذلك النعيم إلا إذا كان من أصحاب الكرامات وخوارق العادات. وقد روى الشعرانى حادثة من هذا النوع وعلق عليها قائلا: فلولا أن الشيخ أقام البرهان على طعامه اللذيذ بالكرامة، لفارقه تلك المرأة وهى منكرة عليه.

ومن هذا نرى أن أرباب الطريق فى هذا العصر قد تمردوا على عرف البلاد وتحرروا من دينها وخرجوا على نظمها وقوانينها، بل أدى بهم التمادى فى التمرد إلى الخروج على أبسط قواعد العرف السائد بين أهل التصوف من قديم الزمان، فهل يعدو الحق من يقول إن أرباب الطريق فى مصر كانوا دولة داخل الدولة..؟ وفى الحق لقد كانت دولتهم غريبة فى تاريخ الدول، لأنها أعطت أهلها

أصحاب المظاهر على عاداتهم، وتطايير النبا حتى اتصل بالسادات فأرسل فى طلبهم جميعا وعززهم بالضرب والإهانة وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضوه فى شىء بل يوافقوه، وكذلك فعل بأحد أعظم المباشرين من الأقباط، توقف معه فى أمره «فأحضه ولعنه وسبه وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد ولم يراع حرمة أميره وهو إذ ذاك أمير البلدة، ولما شكوا إلى مخدمه ما فعل به، قال له وما تريد أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا.. وكذلك كان يفعل مع المباشرين وخدمة الأضرحة عند حسابهم على ما فى عهدتهم، فيضربهم بالجريد الخمص على أرجلهم...» وكان إذا أراد الإيقاع بشخص وخشى عاقبه ذلك، مهد الطريق سرا قبل الإيقاع به، فيتألف الفقهاء والعلماء الذين ينتظر منهم إعلان السخط على موقفه، حتى إذا ظفر بذلك قام بالإيقاع والضرب جهرا أمام الناس...! وكان البلد من غير حكومة أو قاتون...»

التمرد على العرف عند الفقراء

بل لقد تمردوا على أبسط قواعد العرف الذى جرى عليه أرباب الطريق من قديم الزمان. فإن التصوف لا يستقيم بغير الزهد فى الحياة والإعراض عن مباحجها والميل عن مطالب النفس وشهوات الجسم، والعيش فى جو بعيد عن الأغراض الدنيا والنزعات الأرضية، ولكن الذى يثير عجب الإنسان من هؤلاء الفقراء، إقبالهم على الدنيا وحرصهم على التمتع بلذاتها والظفر منها بأوفى نصيب، وقد يفعلون هذا كله جهارا أمام الناس ولا يرون فيه سبة ولا معرة، مما أدى بالمؤلفين فى هذا العصر إلى

والنقباء والتجباء والأبدال... وغير ذلك ممن يشرفون على مختلف مظاهر الحياة في هذه المملكة الباطنية ويسيرون دفتها وينظمون أمرها ويعوضون الناس خيرا عما يلقونه من شر دنياهم...

وقد عرفت مصر في العصر العثماني من هؤلاء الحكام صنفين اثنين : وهما القطب والأولياء بوجه عام، وقد ضاق الشعب المصري بدنيا الفاقة والظلم، فانساق بتأثير جهله إلى الإيمان بمن يدعون الزلفى إلى الله - ولما كان الأولياء في هذا قد أصابوا المال الطائل ، وبسطوا نفوذهم على الأتباع والمريدين ، فقد تهيأ لهم سلطان روحى ونفوذ دىوى معا...!

تقسيم مصر بين الأولياء

إلى مناطق نفوذ:

انتشر الأولياء في أرض مصر وفشا أمرهم بين أهلها، واقتسموا مناطقها فاستولى كل ولى على مساحة من الأرض قبل الزيادة والنقصان ، يتصرف فى أهلها ويستغل غلاتها، فيقيم الولائم فى بيوت ملاكها وبطالهم بالأتاوات ينظم منها موالد الأولياء - وكان الناس يخفون إليهم سراعا كلما تطاير إليهم نيا وجودهم ويستجيئون لمطالبهم راضين مقتبطين ، يحملهم على ذلك الأمل فى اكتساب البركة والظفر بالزلفى إلى الله . والمنطقة التى تخضع لنفوذ الولي تناسب فى سعة مساحتها طرديا مع قدرة هذا الولي على اجتذاب الناس إليه وكسب عواطفهم نحوه. وقد حرص كل ولى على إقرار نفوذه فى منطقتة والعمل على توسيع دائرتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وكان يطمع فى أغلب أحواله فى أن يكون كافة أهل بلده تلامذة ومريدين

الكثير من الحقوق والامتيازات ، ولم تحملهم من الواجبات كثيرا ولا قليلا...! فإن الكثيرين منهم كانوا لا يحملون أنفسهم حتى مشقة الدعوة للزهد فى الدنيا والتفرغ للعبادة، بل كانوا يعلنون التمرد على هذا كله استهانة واستهتارا. فهل عرف التاريخ من قبل دولة كهذه الدولة...؟

بعض مظاهر نفوذهم

دنيا الصوفية الروحية وحكامها - تقسيم مصر بين الأولياء إلى مناطق نفوذ - القطبانية ونفوذ أهلها فى مصر - آفاق نفوذهم فى مناطقهم - بعض مظاهر نفوذهم عند المريدين - عند الحكام.

دنيا الصوفية الروحية وحكامها:

وفى الحق لقد ضاق الشرق فى ظل السلطنة العثمانية بالحياة الدنيا وكره ما تنطوى عليه من ألوان الشر وضروب الظلم، وانتهت الرغبة فى إصلاح الدنيا عند نفر من أهلها، بتصور مملكة باطنية وراء الدنيا التى تعيش فى رحابها ونكرع من آثامها وشرورها. وكان طبيعيا بعد أن أقام هذه الدولة فى مخيلته ، أن يبحث لها عن حكام عدول يتولون إدارتها والإشراف على أحوالها، ثم يخرج من هذا إلى تصنيف هؤلاء الحكام، فنصفهم بطريقة تعسفية فى طبقات تختلف باختلاف المصنفين ، ويتزعمها القطب وتليه فئات من الأوتاد والأبرار

له وحده وكان الأولياء يؤثرون أن تكون الزعامة لواحد لا ينافسه عليها أحد، حكى عن يوسف العجمي أن الله حين قضى بمغادرته بلاد العجم، سمع هاتفا يأمره بالسفر لينفع الناس في مصر، فظنه شيطانا وأهمل أمره، بيد أن النداء أخذ يتكرر حتى بلغ الرابعة، فقال يوسف: اللهم إن كان هذا وارد حق منك فاقلب هذا النهر لبنا أغرف منه بقصعتي، وتقول الرواية إن النهر قد انقلب لبنا...!! فإيقن أن الهتاف الذي سمعه وارد حق لاشك فيه...! فلما أقبل على مصر وجد «الشيخ حسن التستري» وقد سبقه إليها ولم يتصدر المشيخة بعد، فقال له يوسف: إن الطريق لا تكون لأكثر من واحد يقوم بها لأنها تقوم على الأخلاق الإلهية، فإما أن أتصدر أنا وتكون وزيرى وخادمى، وإما أن تتصدر أنت وأكون وزيرك وخادمك، فتخلى له الشيخ حسن عن الصدارة وأخذ يقوم بخدمته حتى وافته منيته، فأخذ مكانه بعد أن استأذنه في ذلك وهو على قيد الحياة...! وأظهر في الطريق العجائب، ودانت له الملوك وخضع لنفوذه الأمراء...!

وما كان مشايخ العصر على هذا الخلق، فقد كانوا يظهرون بأنفسهم ويدعون المشيخة دون أن يبايعهم أولياء الدائرة، ويدخلوا في طاعتهم كما كان ينبغي، وكانوا يجلسون للمشيخة وفي بلدتهم من هو أقدم منهم هجرة في الطريق فلا يعباون به، مع أن الآداب تقضى باحترامهم له، وطلب الإذن منه بارشاد المرشدين لياقة عنه، إن أحسوا في أنفسهم بأنهم أعلم منه، ولقد أدى بهم هذا الإدعاء إلى أن يجور بعضهم على حقوق بعض، ويعتدوا على مناطق غيرهم ويحاولوا الاستحواذ

على مائس لهم فيه حق...! ولكن الأولياء كانوا على كل حال حريصين على أتباعهم ومريديهم لا يحب أحدهم أن ينفضوا من حوله ويلتفوا حول غيره، ولعل هذا جائز ومحتمل في رأى المنطق وحكم العقل، ولكن الغريب أن شيوخ الطريق في هذا العصر كانوا يطمعون في أن يقتصر على صحبتهم كل من اتصل بهم أو تلقى الذكر عنهم بقصد التبرك والتيمن، ولهذا لرى «الدردير العدوى» يحذر الأشياخ من شر ذلك، ويقول إن المريد الصادق المحبة هو وحده الذى لا ينبغي له أن يزور ولدا ولا صالحا من أهل عصره إلا بإذن شيخه، ولا يحضر مجلسا غير مجلسه ولا يستمع إلى أحد سواه...! أما الذين يتلقون الذكر بقصد التيمن وحده فليس للشيخ أن يقيدهم بصحبته، ومن طمع في ذلك كان غير صالح لأن يكون شيئا في طريق الله. ولرى الشعراني يقول إن أشياخ عصره قد ضلوا حتى عز عليهم التمييز بين من يحبهم مكتفيا بهذا الحب، ومن يطلب التربية على يدهم، ويروى ما يزيد هذا فيقول إن أحد مشايخ العرب قد اجتمع بأحد شيوخ مشايخ الطريق وأهدى إليه قمحا وأرزاً وعسلا وذحبا، وأقبل عليه إقبالا عظيما، فقال الشيخ: إن كنت تصحبني فلا تصحب فلانا، فنفرت نفسه من هذا التضيق وترك الشيخ قائلا: ما طلبت أن أكون شيئا ولا مريدا، ثم مضى إلى الشعراني واجتمع به، فظن الشيخ الأول أن الشعراني هو الذى حرّضه على تركه وحوله إليه وأغراه بصحبته فحمل له العدا من أجل ذلك. وما كان الأشياخ ليطمعوا في امتداد نفوذهم إلى هذا الحد، لو أن الشعب كان على استعداد للإعراض

وخضعت له الرقاب بما حملت .. وكان وحيد عصره...!!

القطبانية ونفوذ أهلها في مصر:

والقطبانية التي جرى العرف بأن تكون لواحد فذ لا تتجاوزها، قد ظفرت بها في مصر بعض الأولياء إبان هذا العصر .. أصابها محمد الحفناوي الغلوتي المتوفى سنة ١١٨١ هـ الذي دانت لطاعته الرقاب، وأخذ العهود على العالم وأدار مجالس الأذكار بالليل والنهار وأحيا طريق القوم بعد درسها، أنقذ من ورطة الجهل مهجرا من غي نفوسها فبلغ هديه الأقطار كلها وصار له في كثير من قرى مصر - قبل أن يكون قطبا - نقيب وخليفة وتلامذة وأتباع يذكرون الله تعالى - ، ولم يزل أمره في ازدياد وانتشار حتى بلغ سائر أقطار الأرض وصار الكبار والصغار والنساء والرجال يذكرون الله بطريقته ، وصار خليفة الوقت وقطبه ولم يبق ولي من أهل عصره إلا أذعن له .. وأسلم على يديه خلق كثير من النصارى... وأكثر فيه الشعراء من المديح، وبموته «ابتدأ نزول البلاء واختلال أحوال الديار المصرية لأن «الرحى لا تدور بدون قطبها ، وقد كان رحمه الله قطب رحى الديار المصرية ولا يتم أمر من أمور الدولة إلا باطلاعه وأذنه.

بل لقد كان الولي إذا ثبت قدمه وذاعت تعاليمه ، في مشارق الأرض ومغاربها ، يشعر بتوطد سلطانه حتى ليأثي القطبانية إذا عرضوا عليه ...!! فمن ذلك ما كان من أمر استاذ السيد مصطفى البكري الذي «أوتى مفاتيح العلوم كلها حتى أذعن له أولياء عصره ومحققوه في مشارق الأرض

عنهم لو تجاوزوا حدودهم - ولعل رواية الشعراني لا تنقض ما نقول، فليس يبعد أن يكون الشعراني - بما عرف عنه من مهارة وقدرة على اجتذاب الناس إليه - هو الذي حول شيخ العرب عن شيخه الأول، ولولا ذلك لرضخ شيخ العرب لمطلب هذا الشيخ واستجاب لرأيه.

كان طبيعيا بعد هذا أن يغضب الولي إذا اعتدى أحد زملائه على منطقته التي تخضع لنفوذه، بل لقد كان غالب فقراء هذا العصر يغيضون من لم يكن من تلامذة شيخهم ويتمنى الواحد منهم ألا يظهر اسم في بلده لغير شيخه، ويتبادلون نظرات مليئة بالحقد فياضة بالاحتقار، كأنما ظن الواحد منهم أن من أخذ الطريق على غير شيخه كان على غير دينه وما كان المريدون وحدهم هم الذين يحملون هذه الضغينة ويتطورون على هذا التعصب ، فقد كان الأشياخ إذا تحول عنهم مریدوهم إلى شيخ آخر أصابت الإحن قلوبهم، وأدركت الكراهية نفوسهم حتى حذر الشعراني الشيوخ من شر ذلك، وأشار على من ابتلى به منهم أن يتخذ له شيخا يسلك على يديه حتى يرقى به إلى مرتبة الإخلاص، فيشرح صدره لمثل هذا التحول ، لأن من ساءه هذا فقد أعوزه الإخلاص لطريقه.

كان اعتداء الولي على منطقة غيره من الأولياء عدوانا بالغا وامتھانا لحرمة الطريق، على أن الأولياء كانوا إذا رأوا أقوى منهم شخصية وأكثر أتباعا وأمضى نفوذا وأرحب سلطانا، خضعوا له وساروا تحت رايته، فإن أجمعوا على الإذعان له، عرضوا عليه «القطبانية» ودانت له الأرض بما رحبت،

ومغاربيها، وأخذ على رؤساء الجن اليهود ، وعم مدده سائر الورود ، فإن قطبانية المشرق قد عرضت عليه فأبأها.

وبلغ من خطر القطبانية في العالم الإسلامى أن أسيحت عند المغاربة عن الزيدى + ١٢٠٥ في مصر - وهو صاحب الشرح الوافى لإحياء الغزالي وتاج العروس في شرح القاموس وغير ذلك - فكان إذا وفد أحد هؤلاء المغاربة إلى مصر حاجا ولم يصله بشيء ، لا يعتبر حجة كاملا.. ! وكانوا أيام الحج محتشدين ببابه منذ الصباح حتى المساء، وكان بعضهم يحمل إليه استفتاء من علماء بلده وأعيانه ، فإن ظفر بقطعة ورق ولو بمقدار الأنملة فكانما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ، ورأي حجة مقبولا، وإلا فقد باء باغيبة والندامة وأحاطه باللوم أهل بلاده، ودامت حسرته إلى يوم ميعاده..

من الخير أن نشير إلى أن الكتاب في هذا العصر كانوا يسرفون في إضافة الأوصاف إلى من يترجمون لهم، على سبيل التمجيد والتعظيم، ولم يكن صفار المورخين وحدهم هم الذين ينزلون إلى هذا الإسراف، وكان الناس - في مصر - يزعمون أن الأقطاب أربعة - وقال بعضهم بل إثنان - وقد عرض للحديث عنهم الأستاذ (لين) Lane وصور فكرة المصريين عنهم بشيء التفصيل.

على أن الأولياء كانوا في مصر يعلنون استقلالهم إذا لم تجد القطبانية من هو أهل لها، قال الجبرتي معقبا على ثمات الحفناوى : إن البلاء قد نزل بالبلاد المصرية والحجازية والشامية بعده، ولم يزل يتضاعف حتى عم الدنيا وساد أقطار

الأرض، وهذا «هو السر الظاهرى» وهو ولا شك تابع الباطنى، وهو القيام بحق وراثته النبوة وكمال المتابعة وتمهيد القواعد وإقامة أعلام الهدى والإسلام وإحكام مباني التقوى. لأنهم أمنا الله لى العالم وخلاصة بنى آدم، أولئك الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، وظاهر من نص الجبرتي أن القطبانية لو وجدت من يتولاها بعد ثمات الحفناوى لما أصاب البلاد الإسلامية هذا البلاء...! ولعل هذا رأى يخالف ما اتفق عليه جمهرة الباحثين فى القطبانية، إذا انعقد رأيهم على أن القطبانية لا تخلو لحظة واحدة من ولى يتولاها ويقوم أعمالها.

آفاق نفوذهم فى مناطقهم:

كان المتصوف إذا خرج إلى شارع أو سار فى الأسواق تهافت عليه الناس وتكاثر حوله عديدهم ، وسدوا طريقه وانهالوا على يديه وقدميه تقبيلاً ولعناً، ومن كان خروجهم إلى الشوارع يثير هذا الضجيج السيد محمد البكرى، كما يقول صاحب الكواكب السائرة. بل لقد روى صاحب النور السافر فى ترجمته أن الشعراء من فضلاء مصر المتمكنين فى علوم اللغة وقواعد الشعر ومذاهب الإنشاء ، كانوا يقصدون إليه بقصائد المليحة بالمدايح، وأنه كان إذا قام من مجلس جلس فيه للتدريس بالجامع الأزهر أو غيره، تقدم الناس لتقبيل يده والتبرك بدعائه والتمنن بالقرب من موضعه، وكان الازدحام يقع بينهم حتى يسقط بعضهم تحت أقدام الناس - وكان يحيط به جماعة من جند السلطان التركى وغيرهم يحلقون على حضرته بأيديهم خشية عليه من أذى الازدحام ، وربما أخذ أحدهم بيده الشريفة

وهي ممدودة لتقبيل الناس لطول زمن مدها لهم إذا كان يمدّها بعد درسه نحواً من ساعة زمانية ثم يسير إلى جهة دابته والناس على الغاية في الازدحام عليه إلى أن يصل إليها، كما يقول صاحب النور السافر، بل لقد كان وجود الفقير في مكان الفقر كفيلاً بتعميره وجذب الناس إليه، اتصل بالشيخ محمد المنير ذات يوم أن ولداً قد اشتد به الظما حتى قتله، فهاله ما سمع ومضى إلى المكان الذي مات فيه وحفر في الأرض بئراً وأقام زاوية له فسرعان ما تهافت عليه الفقراء وعمروا لهم بيوتاً على كثر من زاويته، فأضحى المكان القفر قرية عامرة بالفقراء والناس والنزلاء ومن يرحلون عن مصر إلى القدس والشام أو غزة أو يهودون إليها من هذه البلاد، وكان أبو النجا القوي إذا سافر إلى بلده «قوه» ثم عاد إلى مصر ووصلت مركبه إلى بولاق إذهب الناس أفواجا يتلقونه كأنه سلطان، ويكون ذلك يوم عيد عندهم، كما يقول المناوي.

بل لقد امتد نفوذ هؤلاء إلى طريدى القانون واخارجين على قواعد الدين... فكان العصاة من قطاع الطرق يرتدون على يد الشيخ على البيروني ١١٨٣ مريدن وأتباعاً له. ومنهم من صار من السالكين. وقد كان يوثقهم أحياناً في أعمدة مسجد الظاهر بسلسلة من حديد، وتارة يضع الطوق في رقابهم أو يؤدبهم بما يقتضيه رأيه وهم سكوت عن رضا وطواعية... وكان إذا ركب إلى المشهد الحسيني في جماعته تبعه هؤلاء العصاة والمجرمون حاملين العصي والأسلحة في موكب له روعته وجلاله، وكذلك كان الشأن مع الشيخ الشناوي، فقد كان ينظر إلى قاطع الطريق وهو مارب به فسرعان ما يتبعه هذا ولا يملك رد نفسه عن ملازمة الشيخ

والسير في ركابه... وقد ارتقى بعض هؤلاء اللصوص التالين حتى صاروا من أعيان جماعته...

سار على البكري ١٣٠٧ هـ عارياً في الأسواق يهذى في حديثه ويخلط في كلامه، فيؤول الناس هذيانه تأويلاً بلانم أحوالهم ويتفق مع أغراضهم، واستغل أخوه سداجة الناس فمنعه من الخروج إلى الشوارع والأسواق - مكشوف الرأس والسواتين كما كان يفعل في أغلب أحواله - وحبسه في بيته وروج له وعزا إليه من الكرامات والخوارق ما حمل الناس على الإسراف في الإيمان به والمصارعة إلى تقديم الهدايا والنذور إليه حتى أثرى أخوه من وراله، وقد بلغ من اعتقاد الناس في هذا الدرويش أن تبعته امرأة ولزمته في الشوارع والأسواق، فسرعان ما آمن الكثيرون من الناس بصدق ولايتها، وأشاعوا أن الشيخ قد «لحظها وجلبها» فأضحت من أولياء الله الصالحين، ثم ارتقت في درجات الجذب فخرجت معه إلى الشارع في زى الرجال يتبعهما أنى سارا الأطفال والصغار وعامة الناس... ومنهم من اقتدى بهما «ونزع ثيابه وتحنجل في مشيته» فقليل إن الشيخ قد جذب أرمه فصار ولياً... وكثر أتباع هذا الرجل المعتوه حتى كان إذا مر بشارع ملأه ضجيجاً، ونهب أتباعه محال التجار واستولوا على ما فيها من بضائع. وكانت المرأة تصعد أحياناً على درج عال وتفحش في القول فيزداد إيمان الكثير بها ويقبلون يدها تيمناً ببركتها... ومر موكبهم ذات يوم ببیت جندي يسمى «جعفر كاشف» فقبض على الشيخ وأدخله إلى داره ومعه المرأة وسائر المجاذيب - ثم طرد الناس عنه وقدم له ما يأكله، وأدخل المرأة والمجاذيب إلى الحبس وأطلق الشيخ إلى حال سبيله. ثم أخذ يضرب المرأة

التركية بقيادة حسن باشا الجزائري القبودان - وأنه أخذ «يكى لهم وتصاغر فى نفسه جدا وأوصاهم على المحافظة وكف الرعية عن أمر يحدثونه أو قومة أو حركة فى مثل هذا الوقت، فإنه كان يخاف ذلك جدا». وقد كان هؤلاء الثلاثة من كبار شيوخ التصوف فى مصر إبان عصرهم. وإن جميع العروسي والدردير بين الفقه والطريق.

وكذلك كان الحال مع السيد خليل البكرى، إذ كان الأمراء الذين أدركهم الجزع من بطش الفرليين بهم أيام غزو نابليون، كانوا - فيما يقول الجبرتى - يلودون به، ويجتمعون فى بيته، لأنه مسموع الكلمة مقبول الشفاعة.

وقد بلغ من نفوذ الشعراني عند الحكام، أن كان يسعى لتعين القضاة والمحتسين وشيوخ العرب فى وظائفهم كما كان الحفناوى قطب رحي الديار المصرية، ولا يتم أمر من أمور الدولة إلا بإذنه.

وقد كان هؤلاء الشيوخ، يعملون من جانبهم على إيهام هؤلاء الحكام بسطوتهم وسعة نفوذهم، لأن هذا يعلى من شأنهم فى نظر الناس، ويكثر من أتباعهم وداره عليهم المال الطويل، ويحقق لهم السمعة الطاهرة، فكان الشيخ يقول لنقيب زاويته: إذا أقبل الأمير الفلانى لزيارتي، فقل لى على مسمع منه إن الباشا قد أرسل إليكم السلام مع أحد أفراد جماعته، وهو يطلب إليكم ألا تضنوا عليه بدعواتكم! فإذا سمع الأمير ذلك، نقله إلى سائر الأمراء فعملوا شأنه عندهم، ويكثر ترددهم على زاويته، ويقوى اعتقادهم فى ولايته...! وكان الشيخ السادات ١٢٢٨ هـ يلتمس شتى السبل لتوثيق علاقته بالأمراء، فكان يدعوهم إلى زيارته فى بيته، ثم يوعز إلى فقراء الطرق الأحمدية والنعدية والشعبية بأن يمشوا بمواكبهم تحت داره، حتى يدرك

والمجاهدين حتى طير الولاية من رؤوسهم ورد الرشد إلى عقولهم، ثم أطلق سراحهم إلا المرأة فإنه أرسلها إلى المارستان وربطها عند المجانين، ولبثت على هذه الحال حتى إذا جددت الحوادث أطلق سراحها فخرجت إلى الشوارع فإذا هى «شيخة على انفرادها، يحسن الناس الاعتقاد فيها، ويؤمن الناس بصدق ولايتها حتى أقيمت لها الموالد - بعد مماتها - وقدمت إليها الهدايا والندور...!!

بل بلغ من مكانته الملحوظة أن كان شيوخ الطرق فى الدول الإسلامية يجتمعون به فيعطيه «إذنا عاما على عموم الطرق ويأذن لهم فى أن يكونوا رؤساء يرجع إليهم فى أمر عموم أهل الطرق...» كما يقول صاحب طبقات الشاذلية.

وكما كان هذا هو الشأن مع الأميين والمشعوذين فقد كان مع المستيرين، وقد عرفنا من قبل كيف جمع السادات فى يده السلطتين: التشريعية والتفيلية حتى أباح لنفسه أن يستدعى المدنيين والأئمة فى داره، ويفرض عليهم العقاب الذى يشاؤه، وينفذه على مرأى من الناس ومسمع من الحكام، فلا يغضب لذلك أحد! والغريب أن روح العصر كانت لا تسمح بأن يكون الحاكم واحدا من أهل البلد...!

فلم يكن غريبا بعد هذا أن يلتمس الحكام معونة هؤلاء الشيوخ زلفى إلى الله من ناحية، وضمانا لرضا الرعايا عن جورهم من ناحية أخرى، وكثيرا ما كانوا يلجأون إليهم عند المحن والأزمات، ويلتمسون عندهم العون على تهدئة الناس وحفظ الأمن العام، أو فى الانتصار على الخصوم والأعداء، روى الجبرتى أن إبراهيم بك قد مضى إلى البكرى (١٢٠٨ هـ) والعروسي (١٢٠٨ هـ) والدردير ١٢٠١ - حين أقبلت إلى مصر الحملة التأديبية

بالحكام، اتصارا لظلمهم وتأييدا للجائر من تصرفاتهم ، فادى هذا إلى إضعاف روح التمرد على هؤلاء الظلمة، وإخماد نار الثورة فى قلوب المصريين.

٢ - نفوذهم أمواتا

جلال الموت - الأميون من مدعى الولاية -
العلماء من مدعى الولاية - نظرتهم إلى من
أخذ البهد على موتى الأولياء - الطوائف التى
سلكت الطريق على موتى الأولياء.

كان شيوخ الطريق إذا تحفظهم الموت، تسلط على الناس نفوذهم. واستأثر بالأمين والمستيرين، وكلما تقادم عليهم العهد، ازداد نفوذهم قوة واستبد بهوى الناس وأعجابهم، ولا غرابة فى ذلك، فإن الشعوب - والمتأخرة منها بوجه خاص - تؤمن بالأضاليل، وترث الأوهام جيلا بعد جيل، ولا يتدخل العقل فى تنظيم الحياة عند الناس إلا بقدر. وللموت حرمة ورهبة، تفضى بالناس إلى الإسراف فى تقدير من تخطفهم من الصالحين، والإشفاق من مهاجمة من يعدو عليهم من الاتقياء...!! والصادق من شيوخ الطريق، بالغ ما بلغ من صدق التصوف، يصادف المفكرين والساخرين، ولكنه إذا أضحي فى ذمة الله، سكنت عنه خصومه وحساده، وكف المنكرون عن التشهير به والنيل منه، وطوت الموت سوءاته، واكتفى الناس بتناقل حسناته عملا بالقول المأثور: إذكروا محاسن موتاكم. ومن ثم يعلو اسمه بعد موته، وتوسع فرجة الخلاف بينه وبين سائر البشر.

الحكام مبلغ نفوذه عند أرباب الطريق..! ومن الأرزاق التى أجراها هؤلاء الحكام ومن إليهم من المحسنين، عاش هؤلاء الفقراء فى ترف ورخاء - لا يستقيم مع أبسط قواعد الطريق - ولكنهم كانوا يدعون أنهم ينفقون من الغيب، لأن الصادقين من شيوخ الطريق، لا يدعون لقبول ما يقدمه لهم الملوك والأمراء من أموال وهدايا ومرتبآت. ولا يرضون عن حياتهم المألوفة بديلا. والرزق إنما يكون مما يفتح الله، فإن العبد إذا صدقت نيته، وأخلص فى عبادة ربه، أدناه الله من حضرته، وقربه من ساحته، وأولاه الكثير من نعمه، حتى ليرتفع فوق نواميس الطبيعة وقوانينها..!! ووجه الغرابة فى هذا التعليل، أنه قد صادف قبولا عند مؤرخى ذلك العصر، وفاتت حقيقته ذوى الحجبى منهم ممن سبقوا عصرهم بأزمان طوال فالجبرتنى يؤرخ محمد القلبنى الأزهري ١١٦٤هـ فيقول إنه كان من أصحاب الكرامات المأثر، منها أنه «كان ينفق من الغيب، لأنه لم يكن له إيراد ولا ملك ولا وظيفة، ولا يتناول من أحد شيئا، وينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، وإذا مشى فى السوق تعلق به الفقراء، فيعطيهم الذهب والفضة، وإذا دخل الحمام دفع الأجرة عن كل من فيه،...!! ويقول الحجبى فى ترجمة أحمد بن سلام المصرى، إنه كان لا يتردد إلى أحد من الكبراء، ويحب الفقرا ولا يقبل من أحد صدقة مطلقا، بل كان فى غالب أوقاته يرى متصدقا، وليس له وظائف ولا معاليم، وعلى ذلك كان فى أرغد عيش وأطيب نعيم،...!! ويقول الشعراى عن الشيخ الدويب، إنه - حين وافته منيته - خلف مائة ألف دينار، لا يعلم أحد بمصدرها، لأنه كان متجردا من الدنيا زاهدا فى جاهها.

على أن شيوخ الطريق قد دفعوا لمن علاقتهم

الترف في معيشة أرباب الطريق:

وكان الفقراء فوق النجاة من ضغط الحياة يومذاك، لا يجهدون أنفسهم في احتراف عمل يكسبون قوتهم من ورانه، بل كانوا يعيشون في الزوايا طاعمين كاسين على نفقة المحسنين والأثرياء بدعوى التفرغ للذكر والانقطاع للتهجد والتجرد لعبادة الله. ومن أطرف مفارقات هذا العصر أن يكون هؤلاء الزهدة الذين يدعون التقشف والقناعة بالتافه من شئون العيش، أرغد عيشا وأترف حياة من الفلاحين والتجار وأرباب الحرف، وقد وصف مؤرخو العصر - من الجبرتي وابن اياس والشعراني ومن إليهم - حال المصري تحت الحكم العثماني، بما ينوء تحت نيره من لاقة وضنك، ثم وصفوا حال الفقراء في الزوايا وما كانوا ينعمون به من أطيب العيش وسائر مظاهر اليسر والهناء. فظهر خلال وصفهم نوع من التباين يثير الدهشة ويدعو إلى العجب.

سقوط التكاليف الدينية

عن مدعى الولاية:

كان من العوامل التي أدت إلى انتشار التصوف شيوع الرأي القائل بأن الولي يسقط عنه كل ما أمر به، ويحل له أن يفعل كل ما ينهى عن فعله، والأصل في الرأي أن طائفة من المتصوفة أجازته لمن بلغ الغاية القصوى في الولاية. فرأى طغام الناس أن ادعاء الولاية ينقذهم من تكاليف الدين، وينجيهم من فروضه وواجباته، ويتيح لهم التمتع بما حرم عليهم من رذائل وشهوات - وكان طبعيا أن يشيع مثل هذا الرأي بين ناس قد انحلت أخلاقهم في عصر شابته الدل وتمشى فيه الضنك وساد الفقر

ومست الحاجة إلى أسباب الترويح عن النفس - فنزع بعض الناس إلى الهرب من ضغط التقاليد وتضييق الرأي العام على حرية الناس، بالتماس الحرية في رحاب التصوف، وادعاء الولاية التي ترفعهم عن سائر البشر، وتجعلهم فوق قواعد الدين وأوصاف العرف ومقتضيات التقاليد.

ولعل انحلال الأخلاق في هذا العصر قد ساعد على ادعاء الولاية، ولا يعجب في أن تنحل أخلاق قوم يشتد في نفوسهم التعصب لرسوم الدين وطقوسه، فإن تاريخ الأديان يقول إن عصور الاضمحلال تسودها نزعتان ديتان متضادتان: نزعة ترمى إلى التشبث برسوم الدين والتزام طقوسه، ونزعة ترمى إلى التهاون في تنفيذ تعاليمه والاستهتار بقواعده ومبادئه، وأن هاتين النزعتين تسيران جنباً إلى جنب في العصر الواحد والبلد الواحد والشخص الواحد. وبهذا وجد انحلال الأخلاق في مصر إلى جانب ما أسلفنا ذكره من تعصب شديد، وكان من مظاهر هذا الانحلال الخلقى شيوع الزنا وانتشار المخدرات وغيرها من حشيش وخمرة وبوزة وشيوع الشذوذ الجنسي من عشق المرد والغلمان، ومن أمثلة النوع الأول ما رواه الشعراني عن طالب علم اعترف له بأنه أحب زوجة شيخه وزنا بها وهي تخادع زوجها وتستغل غفلته.. ١١ وقد كان هذا الداء شائعاً في هذا العصر، فقد انتشر الزنا بحليلة الجار أو من غاب زوجها، حتى لم يسلم منه أحد، ضم أحد المجالس جماعة من أكابر الناس فقال أحدهم من سلم منكم من الوقوع في الزنا ليحلف بالله على ذلك، فما تجرأ واحد منهم على القسم واعترفوا جميعاً بأنهم وقعوا فيه إبان شبابهم.

هذا الانحلال في الأخلاق قد ساعد الناس على التهاوت على دخول الطريق وادعاء الولاية، وعاون على تمهيد السبل لانتشار الدجل وضيوع الشعوذة، ولو كانوا على خلق عظيم أو تدين صحيح لكان من المحتمل، بل من المؤكد أن ينفروا من هذا الادعاء، ويتساموا بأنفسهم عن تضليل الناس.

النزاع بين أهل الفقه وأرباب الطريق الحقد في صدور الفقهاء

تولى الصدارة بين الناس في هذا العصر حملة الشريعة وأرباب الطريق، ورغم ما كان بين الطائفتين من خلاف في وجوه النظر فقد كان الدين سبيلهما إلى ارتقاء الزعامة، ولهذا كان طبعهما أن يشور في صدور كليهما الحسد والضغينة والبغضاء وأن يقوم بينهما النزاع للذود عن الدين حياء ولحيازة السلطة أحيانا.. وقد اتخذ النزاع بين العلماء والمتصوفة في العصر العثماني مظهرين عنيفين: مظهر المقاومة الفعلية التي اتخذت صورة الضغينة والضرب والقتل وما يشبه ذلك ومظهر المقاومة النظرية بتأليف الرسائل يحملون بها على مسلك خصومهم في لهجة تترواح بين العنف واللين. فلنتناول المظهرين في إيجاز مبتدئين بالحقد الذي رُبض في صدور الفقهاء.

بعض مظاهر المقاومة العملية:
كان العلماء في الكثير من مجتمعاتهم قساة

ومن أمثلة النوع الثاني ما رواه عبد الغني النابلسي عن إمام مسجد السنانية ببولاق فقد حضر النابلسي مع زين العابدين البكري ١١٠٧ صلاة الجمعة بهذا المسجد فأدهشه أن الخطيب كان كثير اللحن في خطبته وصلاته، وكان زين العابدين كلما سمع لحنه نظر إلى النابلسي وابتسم فظن الإمام أنه معجب به مغتبط بكلامه، فلما انتهت الصلاة مضى الخطيب إلى زين العابدين في زاوية الكلشنية وأخذ يتشفع عنده «في أن يأخذ له بقية الخطابة لأن له شريكا فيها لا يستحقها» فأنهم بعض الحاضرين حقيقة حاله وعرفوه بأن الشيخ كان يتسم لكثرة لحنه في خطبته وصلاته. «فاعتذر بأنه كان غائبا يأكل الحشيشة التي هي مناه، ثم عدل على ذلك كله إلى السخرية وأظهر الكلمات المضحكات والاصطلاحات العامية فطرده الحاضرون» ولو أن تعاطى الحشيش كان اتهاماً يشين صاحبه أو يقضى على سمعته، لالتمس هذا الإمام عذار للحنه غير هذا العذر، والجبرتي وابن آيس خير من تحدثا من المؤرخين عن انتشار الحشيش والخمر والبوزة والفسق بالنساء والمرد إبان هذا العصر.

والأمثلة على النوع الثالث (الشدوذ الجنسي) كثيرة لا يكاد يحصيها العد، فكثيرا ما ترى في كتب التاريخ والتراجم والطبقات أن هذا العالم أو غيره كان يعشق الغلمان.

وليس أدل على شيوع الشدوذ الجنسي بين هؤلاء الناس من دهشة رفاعة بك طهطاوى حين سافر إلى فرنسا لأنه لم يجد هذا الداء منتشرًا بين أهلها كان انتشاره هو الشيء الطبيعي وغير الطبيعي حقا ألا يكون شائعا بين الناس.

«وتوالى عليه بسبب ذلك نقص فى أطرافه وبدنه من كثرة التداوى، ولما عجز صارتاج الدين يستملى منه التآليف ويسطرها، حتى مات عام ١٠٣١ ودفن بزاويته.

اغتيال الفقهاء المناوى وحاول سلفهم أن يمثلوا المأساة مع عبد الوهاب الشعرانى ٩٧٣ فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى التكيل به والتشهير باسمه وكان الشعرانى عالما من خيرة علماء عصره غزير المادة وحب الأطلاع واسع الحيلة ملما بمختلف آفاق الدين على نحو ما كان يفهم معاصروه، وقد شهد له بذلك كثير من حملة الشريعة وكان صاحب زاوية كبيرة تضم مائتين من مريديه وأتباعه. فتكفل العلماء الأزهرين بتشويه سمعته، وقد حاولوا نفيه من البلاد بعد أن عز قتلته وإراحة الناس من شره.. وقد كان الشعرانى فى كافة كتبه يحتم على الفقهاء التفقه فى الدين والتبحر فى شئونه، واعتبر الفقه مقدمة للتصوف وحاول التوفيق بين التصوف والفقه ووقف على هذه الغاية بعض مؤلفاته - كاليواقيت والجواهر - ومع ذلك فقد كان له من حملة الشريعة حزب يناوله وينفس عليه نفوذه وشهرته، وحزب آخر ينتصر له ويروج لتعاليمه، وقد ظهر هذان الحزبان فى فتنة أثارها عليه فى الجامع الأزهر فى مصر والحجاز خصومه وحساده.

ثم سكنت الفتنة وخبث نارها ولكن الضغينة مازالت رابضة فى صدور خصومه من الأزهرين تتمثل فى وجوههم العابسة المقطبة كلما مر بهم هذا الخصم الذى يهدد الدين باخطره.. وقد أقاموا على بغضه طيلة حياته وتولوه بالنظرات الشديدة كلما صافحته أبصارهم كأنما كانوا على السنة وهو

غلاظ الأكباد يخطون أوامر الدين ونواهيه بدعوى الحرص على قواعده وتعاليمه، فكثيرا ما كانوا يقتصرون من خصومهم بالتكيل بهم أو تدبير المؤامرات التى تؤدى بحياتهم مدعين بأنهم يحمون الدين من شرهم - وكان اتصاف الرجل بالتصوف - ولو قام تصوفه عن فقه بالدين - كفيلا فى أكثر الأحيان ببغض العلماء له وقسوتهم فى معاملته وسعيهم للتكيل به، وتاريخ التصوف فى هذا العصر حافل بالمآسى التى تشهد بالتعصب الدينى وتنطق بضيق العقول وكدر النفوس، ومن أفظع هذه المآسى اغتيال «عبد الرؤوف المناوى ١٣٠٣ هـ» رغم ما كان عليه من علم أدى إلى إعجاب الكثيرين من الفقهاء به:

روى «الحبى» أن المناوى، اعتزل الناس واعتكف لدراسة الدين والتبحر فيه ثم ظهر لهم فأنكروا عليه علمه، ولما تولى التدريس فى المدرسة الصالحية برم بذلك العلماء لأن التدريس فيها كان وقفا على أكبر علما الشافعية - وهو شيخ الجامع الأزهر فى العادة كما يقول الجبرتى - وهالهم إعطا هذا المنصب لرجل لا يعرفون عنه إلا أنه من أهل التصوف. فلما حضر الدرس أقبل عليه البارزون من شيوخ المذاهب وتأهبوا لانتقاده، ولكنه شرع فى أقرء مختصر المزنى ونصب الجدل فى المذاهب وأتى فى تقريره بما لم يسبقه إليه أحد، فاضطر الذين حضروا درسه إلى الإعجاب به والثناء عليه، وأخذ أجلاء العلماء يادرون لحضوره ويفيدون منه، وقد انتفع به جمهور كبير منهم، ولكنه كان معزوبا بالتصوف وكان صاحب زاوية بخط المقسم بين زاويتي «أحمد الزاهد» و«مدين الأشمونى». فآثار هذه الضغينة فى نفوس حساده ودرسوا له السم

وانما اهتموا بتدبير المؤامرات التى تفقدتهم السمعة الطيبة وتفرض الناس من حولهم إذا لم تنته بقتلهم وإراحة البلاد من شرهم..

ولعل السرفى هذا التناسب الطردى بين علم المتصوفة وكراهية العلماء أن الفقهاء قد لاحظوا أن العلماء من أهل التصوف أكثر خطرا على نفوذهم عند الناس والحكام من جهلة أرباب الطريق، لأنهم يتساوون مع العلماء أمام الجمهور فى سعة العلم وفهم الدين ثم يزدون عليهم هذا التصوف الحبيب إلى نفوس الناس، وفى هذا الامتياز ما يمهد لهم سبيل الانتصار على الفقهاء فى اكتساب النفوذ عند طبقات الشعب وهيئات الحكام.

أو لعل السرفى هذا التناسب الطردى أن العارفين بالدين من أهل التصوف أخطر على عقائد الناس من جهالهم وسنوضح هذا بعد.

بعض مظاهر الحق النقضية:

إن هذا العصر كان عصر الشروح والخواشى وإن العلماء كانوا يتناولون المتن الذى وضع من قبل فيضعون له الشروح والتعليقات ثم يأتى بعدهم من يتولى شروحيهم بالشرح والتعليق. فبدأ ركود فى الحركة الفكرية وقلة فى المؤلفات مع كثرة الخواشى والشروح، وكان طبيعيا بعد هذا أن تقل الكتب التى يضعها الفقهاء فى الرد على مايرويه فى سلوك المتصوفة من خروج على قواعد الدين وتعاليمه، وأن تكون هذه الكتب - فى الأغلب والأعم - رسائل صغيرة حافلة بضروب السباب والوان الشتائم محشوة بأقوال فى الدين يقتبسها المؤلفون من كتب السلف، وقل منها ما دل على فكر مبتكر أو سداد نظر لم يستعره صاحبه من الأغيار. والظاهر أن واضعى هذه الرسائل كانوا أصنافا

على البدعة وربما كان العكس هو الصحيح كما يقول بل لقد سعى بعضهم إلى قتله مرات كثيرة وتمنى غيرهم لو نجح مسعاه فى نفيه من مصر وكثيرا ما أدى الحقد ببعض حساده إلى رميه بالجهل فى الشريعة والحقيقة معا.

التناسب الطردى بين

حق وعلم وأرباب الطريق:

وعلام هذه الضغينة كلها؟ لقد كان الشعرانى لا يكتب كتابا إلا أعلن فيه التزامه للكتاب والسنة وبراءته من المارقين من الدين الذين يظنون أن الحقيقة شىء والشريعة شىء آخر، وما أكثر الكتب التى حفلت صفحاتها شرح مذهبه فى هذا الصدد. ولهذا كان الحق الذى يحمله الفقهاء لأهل التصوف يتناسب فى قوته وعنفه تناسبا طرديا مع علم المتصوفة عكسيا مع جهلهم - فالمتبع لحركات النزاع بين الطائفتين ومظاهر العدوان والتحدى يرى أن المتصوفة الذين نادوا بدراسة العلم وحتموا على الفقهاء التبحر فى الدين قد نالهم من أذى الفقهاء وعدوانهم فوق ما نال دعاة الجهل وأنصاف الأميين من أهل التصوف..! وإذا قارنا موقف العلماء من المناوى والشعرانى بموقفهم من محمد كريم الدين الخلوتى ٩٨٦ هـ، وعلى البيومى ١١٨٣ هـ عرفنا مبلغ الصدق فيما نقول.

وسنعرف أن المقاومة النظرية كانت تظهر فى صورة الكتب والرسائل يضعها الفقهاء فى مهاجمة الجهلة من الفقهاء. ولم يعن العلماء - فيما نعلم - بوضع كتب وتأليف رسائل يردون بها على التعاليم التى كان ينشرها المستتيرون من أهل التصوف.

ثلاثة : أولها الفقهاء اخلص وقد كانت رسالهم تنضح بالحق وتفيض بالضعف وتنهال على الخصوم بالسباب والتهم، ويمثل هؤلاء الشيخ على الصعدي العدوي وغيره من العلماء الذين نالوا من المتصوفة كل منال وأخفوا عن القراء أسماءهم كما سنعرف بعد قليل.

وثاني الصنفين : العلماء الذين أشربوا بروح التصوف - فيما يلوح لنا - وقد كانوا في الأغلب والأعم أميل إلى نصرة المتصوفة ورد التهم التي كانت توجه إليهم فكانت رسالهم مشبعة بروح اللين والعطف.

وثالث الأصناف : المتصوفة الذين كانوا متفقيين في الدين. وقد كانوا فريقين : قام أحدهما بالدفاع عن أهل التصوف ورد التهم التي كانت تنهال على رؤسهم ويمثل هذا الفريق : السيد محمد البكري ٩٤٤ - وتولى الفريق الثاني الفقراء بالطعن واشتد في حسابهم وكان أقسى عليهم من خلع العلماء القساة - كما سنعرف بعد - ويمثل هؤلاء الشعراي ٩٧٣ . ولا بأس من أن نزيد هذا الكلام وضوحا.

(١) كتب الشيخ الصعدي سنة ١١٩٧ للهجرة فتوى على سؤال وجه إليه بصدد طريقة الذكر عند طائفة المطاوعة التي عرفنا عن فقراتها تتخذ المغنيين والأعلام والطبول والنقباء والسبح الكبيرة والملاحف والسراريل يضعها الغلمان الذين يجلسون خلف الذاكرين فوق رؤوسهم أو يمسكون بها ظهورهم وغير ذلك من ضروب البدع عند فقراء المطاوعة.

فاستهل الشيخ الصعدي فتواه باقتباس فقرة من رد الشيخ يوسف الزرقاني (المالكي) وعامر الشبراوي (الشافعي) وأمين الدين (الحنفي) على مثل هذا السؤال إذ قالوا «رقصهم نقص وسماعهم

سفاهة وتواجدتهم خفة من الرأس والقائل منهم هذا عن رسول الله كاذب في ذلك ويتبوا مقعده من النار ويعزز على إفتائه بغير علم. ويمنعون من الاختلاء بالمرد ومن مسهم، ويثاب ولي الأمر على زجرهم، وعقب على ذلك بذكر ما رواه مالك في تحريم الغناء، والجند في كره السماع ووصف اتخاذ الغلمان بأنه ضلال مبين وقال إن مسهم دبر الولد وإباحتهم ذلك ودعواهم بالأجناح عليهم في غير فعل الفاحشة كفر لا ريب فيه، وحرم اتخاذ الرايات من الحرير وغيره لأنهم يخدعون به الناس ويوهمونهم بأنهم فقراء ليتمكنوا من أكل أموالهم بالباطل والاستمرار في أخذ «العوائد» من البلاد ومرضاة الناس عن مبيتهم في بيوتهم وتحمل نفقات ذلك ولو أدى بهم الأمر إلى الاستدانة من غير المعوزين، ووصف هذا بأنه ظلم مبين، وحرم الضرب على الكأس.. إلى أن قال لهم في لهجة المغيظ الخنق «أنتم معشر المطاوعة احتوى عليكم الجهل واستولى الشيطان على قلوبكم وزيف لكم ما أنتم عليه من القبائح التي لا يقول بها إمام من الأئمة..» ثم حمل عليهم في اتخاذ الأولاد الملاحف والسراريل وقال إنه سفاهة وقلة أدب وطلب شهرة والنبي يقول «ومن لبس ثوب شهرة كساه الله يوم القيامة ثوب ذلك وصغار ثم أشعل عليه نارا» وأدخل في ثوب الشهرة اتخاذهم السيوف من الخشب والمزاريق من الجريد والطواق من السعف والطراير التي يضعون عليها أنواع الريش والخرق الملونة والأباريق الملأى بالماء والسبح الكبيرة.. ووصف دوران الغلمان على الذاكرين واحتضانهم من الخلف بأنه ضلال يسوله لهم الشيطان وأورد من الفضائح ما ينبئ عن بغضه الدفين لهم ورغبته الملحة في التشهير بهم والانتقام منهم على نحو ما نرى في فتواه.

فأجاب عن السؤال الأول المشايخ أبو الخير أحمد المرحومى الشافعى ومحمد الأحمدي الشافعى ومحمد المهلهل المالكى وأحمد الأزهرى وعبد ربه البربرى الشافعى وأبو الصفا الشنوائى وعلى بن عامر الألبابى المالكى - وأجاب عن الفتوى الثانية المشايخ أبو العزيز بن أحمد العجمى الشافعى الوفائى والشهاب الرملى وعبد الحى الشرنبلالى وسليمان السراخى المالكى ومحمد الخليل الشافعى.. ولما كانت إجاباتهم انتصارا لأهل التصوف وتأييدا لوجهات نظرهم فقد حمل الشيخ مصطفى الرومى هذه الإجابات إلى عبد الغنى النابلسى وأطلعها عليها ونشر هذا فى رحلته. وثمة رسائل كثيرة من هذا النوع

(٣) وثالث الأنواع دفاع المتصوفة المتبحرين فى الدين عن طوائف الفقراء وأعمالهم ، ويمثل هؤلاء السيد أبو بكر محمد زين العابدين البكرى (+٩٩٤ هـ) الذى كتب رسالة ينتصر فيها لفقراء الطائفة السعدية الذين يكثرون من ذكر الله حتى إذا طاب لهم الوقت تواجدوا واضطربوا وتساقطوا على الأرض واقتقدوا الحس وزايلتهم الحركة حتى أضحوا كاخشب المسندة لا يقوون على النهوض حتى يسارع إليهم لقيب الشيخ فيكبس أيديهم وأرجلهم ويقيمهم على بركة شيخهم. ويدود عن بعض فقراء هذه الطائفة ممن يخرجون من أجسادهم شيئا ملونا بالأحمر أو الأبيض أو الأصفر يسيل منهم كالعرق من غير جرح أو منفذ له على سبيل الكرامة - فتولى الدفاع عنهم والدود عن مسلكتهم والانتصار لطريقتهم بما نراه فى رسالته - حتى السائل الذى يخرج من أجسادهم ملونا دون جرح ولا منفذ قد زعم بأنه كرامة فقال «فيها كرامة ظاهرة وآية ظاهرة حيث كانت أنوارها مشرقة من

من الرسائل التى هاجم بها العلماء أهل التصوف هجوما لا رفق فيه ولا هوادة - رسالة باسم الصاعقة المحرقة كتبها أحد العلماء سنة ١١٠٥ هـ [محمد صفى الدين الحنفى] فى الفقراء الذين اتخذوا الرقص واللعب دينا وخلطوهم بالعبادة، وراحوا فى حلقات الذكر يدورون مركبين أيديهم إلى وراء وقدام رؤسهم بالتصعيد والتسفل والتلوى، على هيئة معروفة فى لعبه (ركض الديك) عند النصارى كما يقول المؤلف. والرسالة فياضة بالحق والصفينة والموجدة.

وهذان مثالان للمقاومة النظرية عند العلماء الغلص، ترى منهما بعض مظاهر البغض الرابض فى الصدور والحق الجاثم فى القلوب.

(٢) ويمثل طائفة العلماء الذين يكتبون عن المتصوفة بروح مشوبة بالغطف واللين، أحمد بن عبد العزيز بن على الفتوح الشهير بابن النجار (الحنبلى) وناصر الدين اللقائى (المالكى) وشهاب الدين أحمد بن يونس (الحنفى) وشهاب الدين الرملى (الشافعى) وقد كان هؤلاء الأربعة الذين يمثلون المذاهب الأربعة خير من انتصر للشعرانى فى محنته التى عرضنا لها من قبل. ونرى شيئا من الدفاع الحماسى الذى قاموا به مع غيرهم من العلماء فى إجازاتهم المنشورة فى «البحر المورود» ولطائف المنن.

وترى صورة أخرى لهذا الدفاع الذى تولاه هذا الصنف من العلماء فى استفتاء وجهه مصطفى الرومى بقناطر السباع فى أواخر القرن الحادى عشر إلى اثنى عشر عالما عن (١) ذكر الله بطريقة الدمرادشية والخلوتية والشناوية (٢) الهوية عندهم وهى دورانهم فى حلقة الذكر وقد وضعوا أيديهم بعضها فى بعض وراحوا يقولون .. هو هو هو ..

بعض مظاهر حب الفقهاء لأهل التصوف:

ولكن تصوير التصوف في أذهان الفقهاء على هذا الوجه من الكراهية غير صحيح، فقد كان بعض المتصوفة في رأى الكثيرين من العلماء موضع حب وتقدير، وكثيرا ما احتفى الأزهر بعلمائه وطلابه بأهل التصوف الذين يفدون لزيارة مصر من أمثال مصطفى البكرى وعبد الغنى النابلسى - وقد أشار هذا في رحلته إلى مظاهر الحفاوة التى كان يستقبل بها بين العلماء وطلاب الأزهر، وكثيرا ما كانوا يتوافدون على دار زين العابدين للتيمن به ويرحبون بزيارته لهم. وأنه ليصف موقفا رائعا ينطق بهاد الحب فيقول إنه زار الجامع الأزهر، فأقبل عليه العلماء والمدرسون وطلبوا إليه درسا تبركا منه وتيمنا فاعتذر لهم عن ذلك، وقال يصف مبارحته للأزهر «انكبت علينا جميع الطلبة والمجاورين هناك يقبلون يدنا ويطلبون الدعاء مع زيادة الاعتقاد فأخذتنا هبة ذلك الحال فصرنا لبكى وهم يكون وندعو لهم حتى خرجنا من الجامع...».

ولكن لماذا لم يلق هذه الحفاوة البالغة في رحاب الأزهر كبار المتصوفة من المصريين ونزلاء مصر المقيمين بها...؟ أليس يدل هذا على أن الفقهاء قد احتفوا بالنابلسى لأنهم لا ينفون عليه نفوذه ولا يضيقون بسلطانه لأنه بقاءه فى مصر محدود الأجل...؟ ألا تكون هذه الخصومة التى ثارت بين العلماء المتصوفة مردها إلى النزاع على حيازة السلطة عند الناس والحكام معا؟

الواقع أن الكثيرين من الفقهاء كانوا يحسنون الظن بأرباب الطرق روى الجبرتي (فى حوادث سنة ١١٩١هـ) عن مفتى الشافعية الشيخ الكفراوى أنه كان يعتقد أن الشيخ صادومه من كبار الأولياء

سماء نفوس لا تعدل عن اتباع الشريعة ولا تأوى إلا إلى حصونها المنيعة، وكأنه أحس بأن دعواه فى التزام هؤلاء الفقهاء للشريعة سافرة البطلان فعقب على هذا قائلا «وإذا ظهر على من يخلط بالعصيان بعض الأحيان، فالكرامة لأستاذه الذى ينتسب إليه، ولكن لطهارة قلبه فى ذلك الوقت ظهرت عليه...».

تصوف الفقهاء الذين

انتصروا لمشايخ الطرق:

قلنا فيما أسلفنا أن العلماء الذين تولوا الدفاع عن مسلك المتصوفة كانوا فى الأغلب والأعم يجمعون بين عنصرى الفقه والتصوف، وإن عرفوا بين الناس بأنهم فقهاء لغلبة الأول على الثانى فى مسلكهم. فهل لمة دليل يشهد بصحة هذا الزعم...؟

كان بين العلماء الذين انتصروا للشعرانى فى محنته وذادوا عنه فى فتنه الأزهر وكتبوا له الأجازات التى تشهد بتدينه : ناصر الدين اللقانى وشهاب الدين المالكى والفتوحى الحنبلى . وقد ترجم لهم فى كتاب له فكانت تراجمهم الشاهد العدل على صحة ما نقول.

وكذلك نقول فى عبد الله الشبراوى الذى انتصر لليومى فى ثورة العلماء عليه وسعيهم لإلغاء مجالس الذكر التى كان يعقدها لجماعته بالمشهد الحسينى، فقد كان الشبراوى شديد الحب للمجاذيب كما يقول الجبرتي فسعى له عند الباشا والأمراء حتى منع عنه ما كان وشيكا أن ينزل به من حيف.

وكذلك يقال فى كثير من العلماء الذين انتصروا لأهل التصوف ودافعوا عن طريقتهم.

وأرباب الأحوال والمكاشفات ، فأخذ يعلى من شأنه عند الأمراء (وخصوصا أمام أبي الذهب) حتى راج حاله وطار صيته، واختلى أبو الذهب ذات يوم بمحظيته فإذا على سواتها كتابة...!! واعترفت له بعد أن هدها بالقتل أن الشيخ صادومه هو الذى كتبها ليديها من قلب سيدها، فأمر الأمير بقتله والقائه فى النهر، فألقوه فى النهر وصادروا داره فوجدوا فيها تمثالا من القطيفة على هيئة الذكر...!!

وذكر «المحبى» عن «فايت المصرى» (من أهل القرن الحادى عشر) أنه كان يقيم بباب الجامع الأزهر وكان كبار العلماء يحترمونه ويعتقدون فى ولايته، وكان إذا أقبل لزيارته أحد هؤلاء العلماء وقف بين يديه ، فإن أشار إليه الشيخ فايد بالجلوس جلس والا لبث واقفا حتى يأمره بالانصراف أو ينصرف هو من نفسه...!!

وقد لاحظ الأستاذ «فولر» أن من مظاهر النزاع بين الفقهاء والمتصوفة أن الشعرانى لم يكن له مكان فى الأزهر رغم نباهة ذكره وشيوع اسمه وكونه ممثلا لرجال التصوف فى عصره ورغم أن الكثيرين من الأزهرين - علماء وطلبة - كانوا يغضون الشعرانى ولا يحبونه على نحو ما أشرنا، إلا أن السبب فى بعده عن الأزهر ربما يرجع إلى رغبته فى الاستقلال بمريديه الذين بلغوا فى زاويته المائتين على ما عرفناه ، فإن الكثيرين من المتصوفة كانوا يقيمون فى المساجد ويتخذونها مقرا لتلاوة الأوراد وذكر الله.

موقف المتصوفة من الفقهاء:

كل ما أسلفناه من مظاهر المقارمة النظرية والفعلية منصب على تصوير الموقف الذى التزمه

الفقهاء من أرباب الطريق، ولم نشر فيما ذكرناه إلى موقف النزاع أن المتصوفة قد قاموا فيه بدور سلمى بحث، وأن الفقهاء هم الذين قاوموا أرباب الطرق واشتدوا فى حسابهم وأغلظوا فى معاملتهم وتعقبوا آثارهم ورصدوا حركاتهم وطاردوا مريديهم ونالوهم بالأذى فى كل فرصة حانت لهم. ولعل السر فى هذا : (أ) أن أرباب الطريق هم الذين خرجوا على ظاهر الشرع وأعلنوا هذا دون مداراة فاحتاجوا إلى من ينصرهم من أهل الفقه ويؤيد مسلكهم فى كل مالا يلتزم مع ظاهر الكتاب والسنة ، فاستعانوا بالعلماء فى أخذ الأجازات التى تشهد بالتزامهم بقواعد الدين كما فعل الشعرانى فى كتابه «البحر المورود فى الموائيق والعهود» وفى غيره من الكتب. وقد تغنى بذلك فى عدة مواضع من مؤلفاته.

(ب) أن أرباب الطرق فى الجملة يدعون إلى السلام ويشرون بالحب والصفاء ويطالبون مريدهم باحتمال الأذى والصبر على الاضطهاد أملا فى ليل الثواب ورغبة فى اكتساب الصفاء النفسى الذى يؤدى إلى حضرة الله. فساعدتهم هذه الدعوة على موقفهم السلبى من هجمات العلماء والظاهر أن هذا هو الذى حمل الأستاذ «فولر» على القول بأن الغلبة كانت على الدوام للفقهاء على أرباب الطريق ولكن إن صح هذا رأى فى القدم فإنه غير صحيح فيما نظن فى العصر العثمانى. فقد كان الشعب فى صف الفقراء وكان إيمانه بهم أشد بكثير من إيمانه بالعلماء. وما عرفنا عالما كان له من الأتباع الذين يستجيرون لمطالبه ويتصاعون لآرائه ويستحيلون أدوات مسخرة لتنفيذ مآربه، وما كان لكبار أرباب الطريق.

وذكر «المحبى» عن «فايت المصرى» (من أهل القرن الحادى عشر) أنه كان يقيم بباب الجامع الأزهر وكان كبار العلماء يحترمونه ويعتقدون فى ولايته، وكان إذا أقبل لزيارته أحد هؤلاء العلماء وقف بين يديه ، فإن أشار إليه الشيخ فايد بالجلوس جلس والا لبث واقفا حتى يأمره بالانصراف أو ينصرف هو من نفسه...!!

وقد لاحظ الأستاذ «فولر» أن من مظاهر النزاع بين الفقهاء والمتصوفة أن الشعرانى لم يكن له مكان فى الأزهر رغم نباهة ذكره وشيوع اسمه وكونه ممثلا لرجال التصوف فى عصره ورغم أن الكثيرين من الأزهرين - علماء وطلبة - كانوا يغضون الشعرانى ولا يحبونه على نحو ما أشرنا، إلا أن السبب فى بعده عن الأزهر ربما يرجع إلى رغبته فى الاستقلال بمريديه الذين بلغوا فى زاويته المائتين على ما عرفناه ، فإن الكثيرين من المتصوفة كانوا يقيمون فى المساجد ويتخذونها مقرا لتلاوة الأوراد وذكر الله.

موقف المتصوفة من الفقهاء:

كل ما أسلفناه من مظاهر المقارمة النظرية والفعلية منصب على تصوير الموقف الذى التزمه

مخطوطات مصرية مصورة من فترة الاحتلال العثماني*

تحتفظ المكتبات والمتاحف العالمية بمجموعة لا بأس بها من المخطوطات التي نسخت وزوت في مصر في فترة الاحتلال العثماني، من كتب علمية، يمكن تناول أمثلة من صورها بالدراسة الوصفية والتحليلية بحسب ترتيبها الزمني، بالاعتماد على ما تحمله من تواريخ نسخها، أو ما تحمله صورها من أساليب فنية على النحو التالي:

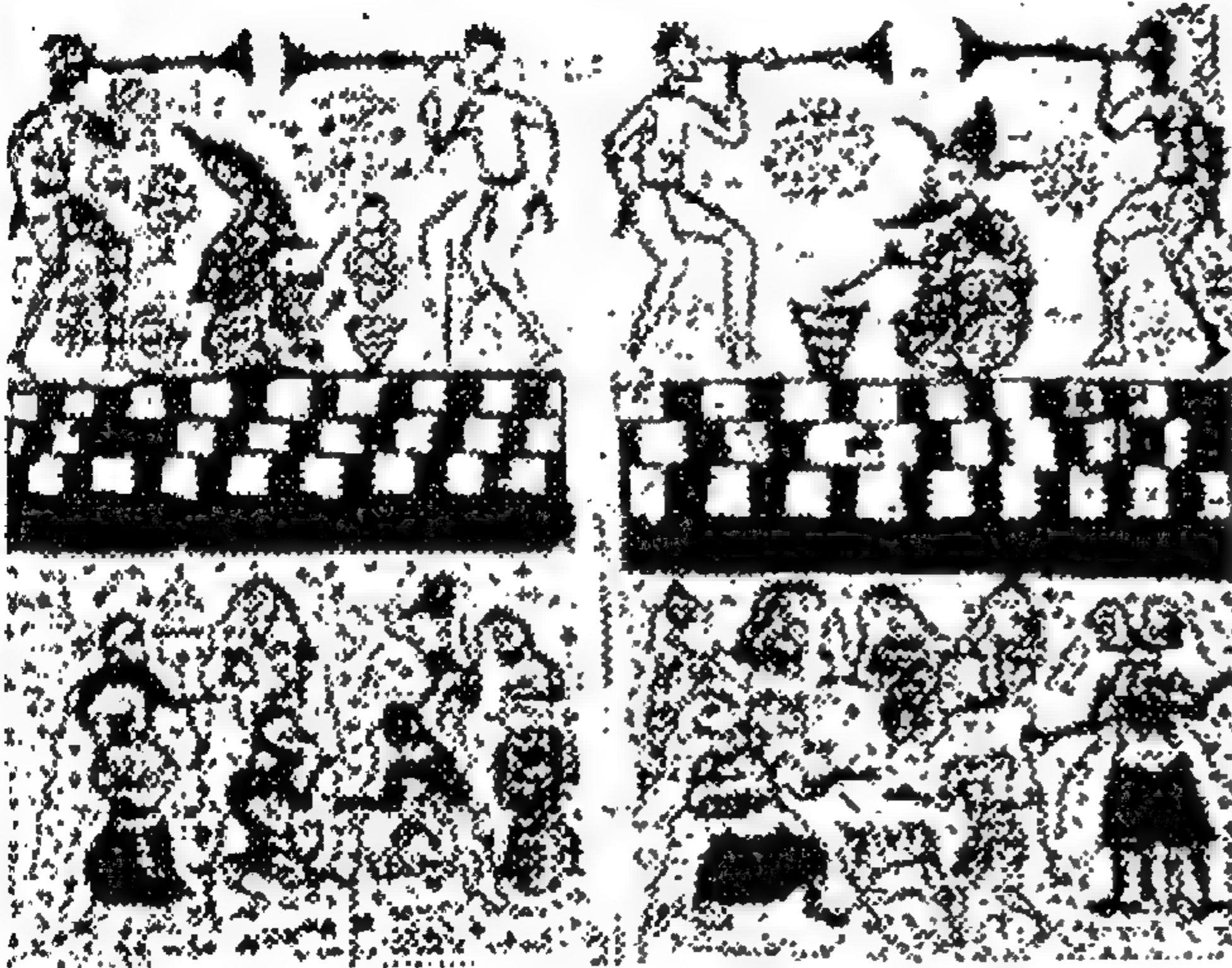
١ - نسخة مخطوطة من كتاب قانون الدنيا وعجائبها، للشيخ أحمد المصري محفوظة بمكتبة طوبقابو سراي في استانبول تحت رقم (ديوان Revan 1638 ١٦٣٨)، مؤرخة بسنة (١٧٠هـ/١٥٦٣م). تشتمل على مجموعة من الصور العلمية الملونة تعتبر صدى لروح العصر الذي تنتمي إليه هذه الصور. ويلاحظ أن الروح السائدة في صور هذه المخطوطة هي الروح الشعبية، والتي تتجلى في تناول المباشر للموضوع، والاقتصاد على الأساسيات وتوزيع العناصر على سطح الصورة وملء جميع الفراغات في الصورة بلفائف زخرفية نباتية.

وفي صورة تمثل قصة ياجوج وماجوج على صفحتين متقابلتين نشاهد صورتين متشابهتين كل صورة تحتوى على قسمين: العلوى منهما يبين طبالا جالسا وزمارين واقفين، يليه القسم السفلى حيث نشاهد منظرا لخلوقات غريبة، ويفصل بين القسمين

* الخصائص الفنية لمدرسة التصوير في مصر في العصر العثماني. د. أبو الحمد محمود فرغلي المجلة التاريخية المصرية. المجلد ٣٨ ص ٢٣١ / ١٧٧

في الصورتين جدار سميك. ومناظر هذه الصورة توضح قصة الرجل الصالح (ذو القرنين) وقوم ياجوج وماجوج التي جاءت في القرآن الكريم في سورة الكهف.

وهكذا نجد أن رسوم المنظر السفلى تعبر عن قوم ياجوج وماجوج، فرسم المصور مخلوقات شريفة غريبة الشكل عبارة عن رجال برؤوس مزدوجة ورجال بدون أفواه، وآخرين بأذن كبيرة، كما نشاهد ذلك الرجل الذي رسم بلا رأس وقد برز وجهه من بين كتفيه. ونعقد بأن هذه الرسوم لياجوج وماجوج تعبر عن فكرة المصور التي تخيلها عن هؤلاء الأقوام وأشكالهم.



ولقد وفق المصور في رسم السور السميكة الذي حبس خلفه ياجوج وماجوج الذي يتكون من أربعة صفوف أفقية من الحجر ويميز بينها رسم كل صف بلون، كالأرجواني، والبنى الداكن، والأزرق، والأصفر، ورسمت بقية القصة في المنظر العلوى، ذلك أن ياجوج وماجوج ستظل محبوسة وراء هذا السور المنيع، ممنوعة من تدمير



أدمية وحيوانية وطيور وحشرات ، فضلا عن رسوم الكائنات الخرافية، وتتماز هذه الصور بخصائص فنية منها البساطة والاتقان، على الرغم من وضوح الطابع الشعبى فيها.

٤ - نسخة مخطوطة من كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى محفوظة بالمكتبة الوطنية فى ميونخ تحت رقم (مادة عرب ٤٦٣) تزينها مجموعة من الصور العلمية الملونة التى تعد مثالا نموذجيا لاستمرار الأساليب الفنية لمدرسة التصوير التى استمرت فى مصر خلال الاحتلال العثمانى، وبخاصة الميل الواضح نحو الفن الشعبى. وفى إحدى صور هذه المخطوطة تمثل برج الثور فى الفلك حرص المصور على رسم الثور كأحد الأبراج الفلكية بأسلوب زخرفى، ذلك أنه اكتفى برسم الجزء الأمامى من الثور على عكس المعتاد من رسم الحيوان كاملا فى كثير من صور البروج الفلكية الإسلامية الأخرى.

وانتشرت فى المخطوطات العربية المنسوخة من كتاب «مجموعات النجوم وصور الكواكب الثابتة»، لأبى الحسن بن عبد الرحمن بن عمر الصوفى. وأقدم نسخة محفوظة فى مكتبة طوبقا بوسراى فى

العالم حتى يأتى وعد الله . ولقد اكتفى المصور بالتعبير عن مشهد النفخ فى الصور برسم رجلين ينفخان فى الزمار (البوق) ويجلس بينهما شخص ثالث يقرع على الطبل.

ويلاحظ فى الصورة أنها تكشف عن قوة فطرية فى التصميم، وعن إهمال للتفاصيل غير الأساسية التى تشهد انتباه المشاهد للصورة. كما أن رسوم الأشخاص جاءت مسطحة تماما، وقد ملئت خطوطها الأولية بلون أو أشكال مسطحة. هذا فضلا عن الطابع الزخرفى الذى يتجلى فى الزخارف اللولبية الحلزونية، قوامها فرع نباتى يحتل كل الفراغات الموجودة بين الرسوم ، وكذلك فى الألوان الزاهية البراقة التى نفذت بها رسوم الصورة وأسلوب توزيعها.

٢ - نسخة مخطوطة من كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى محفوظة فى مكتبة رضا رامبور مؤرخة بسنة (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) تزينها مجموعة من الصور الملونة التى تتفق من حيث أساليبها الفنية مع صور المخطوطة السابقة من كتاب قانون الدنيا وعجائبها للشيخ أحمد المصرى، وهى تعد من روائع التصوير المصرى فى مصر إبان العصر العثمانى.

٣ - نسخة مخطوطة من كتاب عيون الحقايق وايضاح الطرائق محفوظة بدار الكتب المصرية فى القاهرة تحت رقم سجل (١٦٨ غيبيات بالخزانة التيمورية) مؤرخة بسنة (١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م) تحتوى على مجموعة من الصور الملونة، تزينها رسوم



استانبول تم نسخها في سنة (٥٢٦هـ/١١٣٠م). حوالى ست وأربعين صورة ملونة تشتمل على البروج والكواكب. وزيادة من المصور في إضفاء الطابع الزخرفي رسم الثور برأس كبير مشوه قليلا بعينين حزيتين تطلعان إلى اللامحدود، وهي أقرب إلى عيون الإنسان. كما رسم هذا الرأس في وضع المواجهة باللون البنى الداكن، في حين رسم الجسم صغير الحجم باللون البرتقالي متقنة التصميم.

للقزويني، تعود إلى مصر حوالى القرن (١٢هـ/١٨م) - السالفة الذكر - يمكن ارجاع صور هذه المخطوطة إلى حوالى نهاية القرن (١٢هـ/١٨م) وبداية القرن (١٣هـ/١٩م). وذلك لما يسود صورها من طابع شعبي وأسلوب توزيع العناصر على السطح، بدون أن يخفى الرسوم البسيطة للأشخاص والحيوانات. هذا فضلا عن البساطة والتسطيح في رسم المزهريه والقنية التي تحملها المرأة في الصورة.

٦ - نسخة مخطوطة من كتاب الدر المنظم المسمى بالجفر الصغير لابن طلحة، محفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة بالخزانة التيمورية مؤرخة بسنة ١٢٧٧هـ = ١٨٦٠م، وتشتمل على مجموعة من الصور الملونة التي تضم رسوما آدمية كثيرة وتتميز بإتقانها من حيث الرسم والتلوين ولكن يلاحظ أنها تدخل ضمن الفن الشعبي التلقائي. ومن ثم يمكن مقارنتها من حيث الأساليب الفنية مع صور مخطوطة التنجيم - حوالى نهاية القرن (١٢هـ/١٨م) وبداية القرن (١٣هـ/١٩م) - من حيث البساطة والتسطيح، والميل إلى طابع الفن التلقائي. ومن ثم فإن صور

٥ - نسخة مخطوطة عن التنجيم بدون عنوان وبدون تاريخ محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة.. ينسبها الدكتور سعد الخادم إلى مصر حوالى القرن (١١هـ/١٧م) في حين ينسبها الدكتور حسن باشا إلى فترة الاحتلال العثماني حوالى القرن (١٢هـ/١٨م) وتشتمل هذه المخطوطة على صور تمثل الابراج الفلكية وتبؤاتها، وتشابه من حيث موضوعاتها مع صور مخطوطة من كتاب في التنجيم لأبى معشر البلخي، تنسب إلى مصر، حوالى القرن (٧هـ/١٣م). ويلاحظ في صور مخطوطة التنجيم الخاصة بفترة الاحتلال العثمانية أن أساليبها الفنية لا تخلو من طابع الجدة والبراعة في تناول المباشر للموضوع وفي صورة من هذه المخطوطة تمثل برج الثور من الوجه الثانى من نظر القمر تتجلى الخصائص الفنية المميزة للتصوير المصرى في فترة الاحتلال العثماني، وذلك من حيث غلبة الطابع المصرى في رسم الثور الذى لولا رسم القرنين لاعتقد المشاهد أنه يمثل حيوانا آخر غير الثور، وكذلك في رسم الأغصان والفروع النباتية التي تملأ الفراغات في الصورة.

وبمقارنة هذه الصورة بأخرى تمثل برج الثور في الفلك من مخطوطة عجائب المخلوقات

مخطوطة الجفر الصغير لابن طلحة تعطينا فكرة واضحة عن استمرار فن التصوير المصري في ظل الاحتلال العثماني واستمراره على هذا الأسلوب خلال النصف الثاني من القرن (١٩/١٣م) بعد أن أصبحت مصر تحت حكم أسرة محمد علي باشا.

لما سبق يتضح لنا مدى انتعاش فن التصوير وتزويق المخطوطات خلال فترة الاحتلال العثماني في مصر منذ القرن (١٠هـ / ١٦م)، يؤكد ذلك تلك الأمثلة من المخطوطات العلمية المزوقة بالصور الملونة. هذا فضلا عن المخطوطات المزينة بالرسم من كتب الجغرافية والطب. وكذلك بعض الأحجية والطلاسم السحرية التي عثر عليها في الفسطاط، وتشتمل على رسوم ذات طابع شعبي تلقائي.

إلى جانب هذه المخطوطات توجد عدة مخطوطات دينية مسيحية مصورة من نفس فترة الاحتلال العثماني تؤكد على ازدهار نسخ وتزويق المخطوطات الدينية المسيحية في مصر، وحسبنا في ذلك ما سجله أبو صالح الأرمني في تاريخه بما يفيد أن بطريرك الأرمن في عام (٥٦٨هـ / ١١٧٢م) قد توجه من مصر إلى بيت المقدس وصحبته خمسة وسبعون كتابا من الكتب الإلهية، أحدها فيه الأناجيل الأربعة، مصور ومذهب بعجائب السيد المسيح. وتجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية قد دخلت في كتابة المخطوطات الدينية المسيحية في مصر، حيث وصلت إلينا مخطوطات كتبت لصوصها بنهرين: باللغة العربية، واللغة القبطية، ولعل أروع مثال منها نسخة مخطوطة من كتاب الرسائل وأعمال الرسل، نسخها غبريال الراهب في سنة (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) مزوقة

بالصور الملونة.

وأخذت اللغة العربية في الانتشار أكثر فأكثر حتى أصبحت بعض الكتب الدينية المسيحية في مصر تكتب بها ومن أمثلة ذلك نسخة من مخطوطة من كتاب مختصر تفسير روبا يوحنا الإنجيلي، نسخها المعلم جرجس الحبار في سنة (١١٥٣هـ / ١٧٤١م) ولقد وصلت إلينا من فترة الاحتلال العثماني في مصر مجموعة من المخطوطات المصرية التي نسخت وزوقت من كتب دينية مسيحية مثل البشائر الأربع ووثائق تقليد نظارة الأديرة، وغيرها الكثير والكثير، حتى أن معظم الأديرة والكنائس بمصر تحتفظ بمجموعات من المخطوطات المسيحية المزوقة بالصور الملونة ترجع إلى هذا العصر.

ويمكن تناول بعض صور المخطوطات الدينية المسيحية اعتمادا على ترتيبها الزمني حسبما ورد بها من تواريخ نسخها، أو تحويه من أساليب فنية:

١ - نسخة من كتاب ديني مسيحي محفوظة في المتحف القبطي بالقاهرة، مؤرخة بسنة (١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م) كتب متنها باللغتين العربية والقبطية، أي أن صفحات المخطوطة تنقسم كل منها إلى نهرين (قسمين) الأيمن يحتوى على النص باللغة العربية، والنهر (القسم) الأيسر يحتوى على نفس النص باللغة القبطية. وهذه المخطوطة محلاة بالتذهيب والتلوين، حيث يزخرف أعالي الصفحات صلبان تشتمل على رسوم الزخارف النباتية تتكون من أغصان وفروع مورقة متماوجة. ورسمت في الهوامش الخارجية رسوم حيوانات وطيور بأسلوب محور، يلاحظ فيها الدقة والإتقان.



صورة تمثل الآباء الأربعة. مخطوطة الرسائل وأعمال الرسل.

السماء في وسطه الأربعة المخلوقات الحية، وحوله يجتمع أربعة وعشرون قسيساً، وصورة ثانية تمثل رؤيا خلاص الشيطان من محبسه وفكه لوثاقه وجمعه ليأجوج ومأجوج ليثير حرباً، ولكن تنزل نار من السماء من عند الله فتأكلهم جميعاً. ومن ثم نجح إبراهيم بن سميعان في التعبير عن الأحاسيس الدينية بقوة وبساطة بدون تفاصيل كثيرة ومثال ذلك صورة تمثل رؤيا الشيطان يركب الفرس الأحمر وصورة تمثل رؤيا حبس الشيطان مقيداً بالسلاسل لمدة ألف سنة في جب عميق.. ومن ثم نجده قد وفق إلى حد كبير في الالتزام بالنص الوارد في المخطوطة بشأن قصة الرؤيا التي تشرحها كل صورة، ولعل مرد ذلك أنه يرسم صوراً دينية ذات موضوعات تشرح بعض المسائل في علم اللاهوت. وعلاوة على ذلك فإن صور هذه المخطوطة رسمت بحسب الأساليب الفنية للتصوير المصري التلقائي

٢ - وثيقة على الورق بتقليد المعلم جرجس الجوهري، نظارة دير الملاك القبطي، من قبل الأنبا يونس، محفوظة في المتحف القبطي بالقاهرة، ومؤرخة بالسابع من شهر مسرى سنة (١٤٨٩) للشهداء يوافق سنة (١١٧٨ هـ / ١٧٧٣ م) .. ويزين هذا التقليد صورة ميخائيل بما فيها من طابع مسيحي، يحيط به مساحة من الاحترام والوقار، بالإضافة إلى بعض الزخارف، قوامها صورة لصليبين ومحراب ووردة زخرفية.

٣ - نسخة مخطوطة من كتاب مختصر تفسير رؤيا يوحنا الإنجيلي الذي يسمى الأبوكاليسيس، أو أبو غاليسيس يسوع المسيح وهي كلمة يونانية (Apokalypsis) تعني إزاحة الحجاب أو كشف أو إعلان يسوع المسيح. كان قد أوقفت وحبت على دير الست الطاهرة القديسة دميانة بترب الزعفرانة. تم نسخها على يد المعلم جرجس الخبار وشوها أي: زوقها بالصورة إبراهيم بن سميعان في يوم الخامس والعشرين من شهر طوبة سنة (١٤٥٧) للشهداء، أي ما يوافق سنة (١١٥٣ هـ / ١٧٤١ م) وتحتوي هذه المخطوطة على ست عشرة صورة ملونة بالألوان الزاهية البراقة، تشرح بعض قصص الرؤيا الواردة بمتن المخطوطة، وما يتصل بها من رموز دينية.

ويلاحظ أن هذه الصور بوجه عام من حيث التكوين الفني والتصميم العام تميل نحو الأسلوب الهندسي، ذلك أن المصور المصري (إبراهيم بن سميعان) الذي قام برسم صورها اعتمد على الخطوط الرأسية أو الأفقية في توزيع رسوم الأشخاص، وبخاصة عند توزيعهم في صفوف منتظمة، ومثال ذلك صورة تمثل رؤيا العرش



وبياض شجرة يعني قدم ابراهيمه كما رآه ايضاً
دانيال النبي وعيناء كلبهيب النار يعني شعاع

صورة تمثل رؤيا وصف المسيح على هيئة ابن انسان يجلس على
كرسي العرش. مخطوط مختصر رؤيا يوحنا الانجيلي
(الابوكاليسس)، متحف الفن القبطي بالقاهرة
(١١٥٣هـ/١٧٤١م)

وفي صورة أخرى تشرح رؤيا العرش السماوي
في وسطه رسم الأربعة المخلوقات الحية، وحوله
يجتمع أربعة وعشرون قديساً يشاهد المسيح بلحيته
الكثة، وشعر رأسه الأبيض، يجلس على كرسي
من الذهب، في وسطه رسمت أربعة مخلوقات هي:
الأسد، والثور، والإنسان، والنسر الطائر... ذلك أن
الأسد حيوان مفترس، وشهرته تغني عن وصف،
وهو ذو طلعة مهيبه، وعرف منسول، وحواجب
شعاع، وأسنان لامعة، وصورته تدل على الجراءة
وعدم الخوف، يضرب به المثل في الشجاعة، ويعبر



صورة تمثل صعود السيد المسيح إلى السماء. مخطوطة الرسائل
وأعمال الرسل. متحف الفن القبطي بالقاهرة (٦٤٧هـ/
١٢٤٩م)

في ذلك الوقت (القرن ١٢هـ/١٨م).

ويمكن إلقاء الضوء على بعض نماذج من صور
هذه المخطوطة بالدراسة الوصفية والتحليلية، مع
التركيز على إبراز الخصائص الفنية لمدرسة التصوير
المصرية في ظل الاحتلال العثماني. والمثال الأول
قوامه صورة تشرح رؤيا وصف المسيح على هيئة ابن
إنسان يجلس على كرسي العرش في وضع المواجهة
بلحيته وشعر رأسه الأبيض ويرتدي قميصاً أبيض
اللون، ويتمنطق بمنطقة ذهب، ويخرج من فمه، ما
يشبه السيف. ويحيط به سبع منائر ترمز إلى التعاليم
السبعة المضيئة في الكنايس. رسمت على هيئة
شماعد مضئنة اسطوانية الشكل. ولجأ بأسفل
الكرسي رسماً لشخص سقط طريقاً على
الأرض من هول المفاجأة، وربما يرمز به إلى
يوحنا الانجيلي، ويلاحظ الاهتمام برسم الوجه
الآدمي.



أشبهت من داخل ومن خارج للحيوان الأول
بالماء وللماء ان الماء في شبيه الثور

صورة تمثل رؤيا العرش السماوي في وسطه الأربعة مخلوقات
الحية. مخطوطة مختصر تفسير رؤيا يوحنا الإنجيلي
(الأبوكالمسيس).

وتجدر الإشارة إلى أن الجراد في هذه الصورة
يرمز إلى الشر الذي وقع على أهل الأرض، كما ورد
بمقتضى المخطوطة.

وفي صورة من المخطوطة - التي نحن بصدددها -
تشرح رؤيا حبس الشيطان مقيدا بالسلاسل لمدة
ألف سنة في جب عميق تشاهد ملاكًا مجنحًا
تحيط برأسه هالة مستديرة باللون الذهبي، وله
جناحان يخرجان من الكتفين باللون الأخضر،
ويرتدي جلبابًا أحمر اللون، وهو يمسك بسلاسل
أوثق بها الشيطان وألقاه في إناء واسع، داخله مظلم

عن الهيبة الملكية التي للمسيح، ويرمز الثور إلى
الصبر والقوة، ويظهر الثور والحمار معًا في صور
المسيح وقد اتخذ الثور في فجر المسيحية رمزًا
للمسيح الحقيقي، ويستعمل للدلالة على كل الذين
يحملون النير بسكوت من أجل الآخرين. في حين
يرمز النسر أو العنقاء إلى القيامة، ومنشأ هذا
الاعتقاد هو أن النسر يجدد ريشه في وقت معين من
السنة، كما يتجدد شبابه ويظهر في السماء تجاه
الشمس، ثم يغطس في الماء. ولقد نجح المصور في
توزيع رسومه بحسب المساحة التي أتيحت له مراعيًا
التوازن والتماثل في صورته.

وفي صورة من نفس المخطوطة تشرح رؤيا
الشيطان (الدجال) يركب الفرس الأحمر الذي
أعطى له لكي ينزع السلامة من كل الأرض.
نشاهد كائنًا خرافيًا على هيئة مركبة تجمع بين
شكل إنسان وطائر، رأسه ملتهب، ويلتف ثعبان
حول وسطه، ويمسك بلجام الفرس الأحمر في يده
اليمنى، ويمسك بسيف طويل بيده اليسرى، وتحيط
النيران به من كل جانب. ويعد الفرس أو الحصان
قديمًا رمزًا للشمس، كما أن الثور يرمز إلى القمر.
ويرمز الحصان أيضًا إلى الشهوة. من ثم فهو يرمز
في هذه الصورة إلى شهوة سفك دماء الشهداء
وتتشابه مع هذه الصورة صورة أخرى من نفس
المخطوطة تشرح رؤيا الجراد الذي وقع على الأرض
وهو ذا وجوه آدمية وأجسام خيول مجنحة ذات
أذنان طويلة تطير في السماء لتهبط إلى الأرض
المعمورة التي عبر عنها المصور إبراهيم بن سمعان
عن طريق رسم خلفية معمارية لمجموعة من العمارات
بأسفل الصورة، ذات أسطح جمالونية الشكل
وطريق على ضفة نهر، رسمت مياهه باللون الأزرق.

هذه الرسوم شوطا كبيرا من حيث الدقة والإتقان امتزجت فيها العديد من الأساليب الفنية المختلفة: ولقد ظهر الملاك المجنح في الفن القبطي متأثرا إلى حد كبير بالفن المصري الفرعوني، مثال ذلك قطعة من النسيج محفوظة بالمتحف المصري القبطي بالقاهرة تعود إلى حوالي القرن الخامس الميلادي، وتحتوي على رسم لملاك مجنح في حركة طيران ومثال آخر عبارة عن نقش على الحجر بالحفر الغائر يعود إلى حوالي القرنين الخامس والسادس الميلاديين، يمثل ملاكين مجنحين يحملان إكليل النصر. وأما في الفن الإسلامي فلقد انتشر رسم الملاك المجنح، ونذكر من أمثلته على التحف التطبيقية المتروعة ذلك الرسم المنقوش على الرخام من عصر السلاجقة، ويعود إلى حوالي القرن (١٢/هـ) يمثل ملاكا مجنحا.

وآخر مثال من مخطوطة مختصر تفسير رؤيا يوحنا الانجيلي صورة تشرح رؤيا كنيسة جديدة، وهي الكنيسة المقدسة، المملوءة سلاما بعد الخلاص من الشيطان وأعدائه ونشاهد في الصورة رسما لكنيسة عبارة عن قبة مركزية كبيرة دائرية الشكل، ذات ألوان متعددة، مثل الأخضر والأحمر والبنفسجي، تنتهي من أعلى بقبة عبارة عن صليب رسم باللون الذهبي.

وعلى جانبي القبة المركزية الكبيرة توجد قباب صغيرة رسمت بنفس أسلوب القبة المركزية، ويتقدم الكنيسة بالكة من ثمانية عقود نصف دائرية، يتدلى من كل عقد ما يشبه المشكاة للإضاءة والإنارة، ولعل هذه العقود تمثل أبواب الكنيسة الكبيرة.. على كل باب لؤلؤة كثيرة الثمن من أجلها بيع كل شيء لتقنيها. وبأسفل الكنيسة نهر

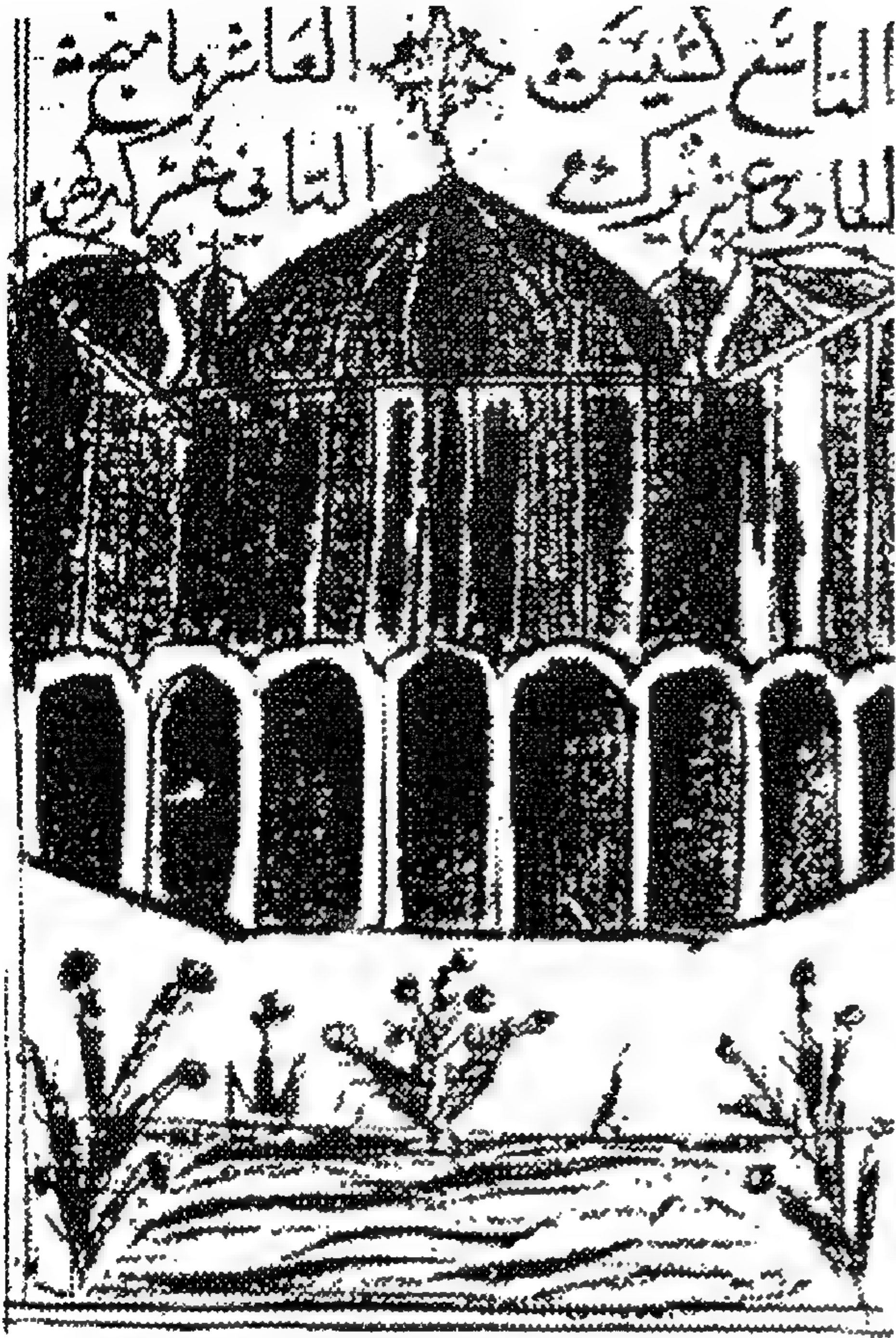


والقاء في الغنى وشاق عليه ستم من فوق
اللبابيض الأميرجي تنفضي النفس شنة

صورة تمثل رؤيا حبس الشيطان مقيدا بالسلاسل لمدة الفعام في جب عميق. مخطوطة مختصر تفسير رؤيا يوحنا الانجيلي (الأبوكالمسيس).

وخارجه رسم باللون الأزرق، في حين يحاول الشيطان جاهدا الدفاع عن نفسه، ولكنه هوى في الجب ومعه بعض الدخان الاسود اللون. وتجدر الإشارة إلى أن الأجنحة ترمز إلى الرسالة الإلهية، ولهذا السبب رسمت الملائكة ورؤساء الملائكة بأجنحة في حين يوصف كل شيء زائل بالدخان، لأنه يرتفع في الهواء ويختفي، كما يرمز به إلى تفاهة الحياة في هذه الدنيا وعدم جدوى السعي وراء المجد الزائل الباطل في الأرض.

ومن حيث رسم الملائكة الأجنحة، فقد قطعت



التي
التي

صورة تمثل روبا كنيسة جديدة هي الكنيسة المقدسة المملوكة
سلاما بعد الخلاص من الشيطان وأعوانه. مخطوطة مختصر
تفسير روبا يوحنا الإنجيلي (الأبوكالميس) متحف الفن القبطي
بالقاهرة (١١٥٣هـ / ١٧٤١م).

العلمية والدينية المسيحية التي نسخت وزوقت في
مصر في هذا العصر ، ولعل من أهم هذه
الخصائص الفنية مايلي:

١ - الطابع المحلي المصري، الذي يتجلى في
إظهار السحنة المصرية في رسوم الأشخاص ذوي
العيون الواسعة، أو اللوزية الشكل، التي يختص بها

مياهه زرقاء اللون، وعلى ضفتي النهر توجد رسوم
شجيرات باللون الأخضر، ذات زهور حمراء اللون.

ولقد حرص المصور ابراهيم بن سمعان في رسم
الكنيسة على مراعاة المنظور بعض الشيء، فرسم
الوحدات المعمارية لهذه الكنيسة في صفوف تتراجع
صوب عمق الصورة إلى حد كبير. هذا بالإضافة
إلى حد كبير على رسم قبة مركزية كبيرة في وسط
الرسم، وعلى جانبيها قباب صغيرة.

وجدير بالذكر أن رسم هذه الكنيسة في الصورة
التي نحن بصددنا انعكس على رسوم الأماكن
المقدسة الإسلامية، وبخاصة المسجد الحرام،
والمسجد النبوي الشريف، التي انتشرت رسومها
على البلاطات الخزفية في ظل الاحتلال العثماني،

ومثال ذلك بلاطة من الخزف العثماني في مصر
عليها صورة الكعبة المشرفة، وتحمل توقيع الخزاف
أحمد في سنة (١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م) محفوفة
بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة وكذلك يحتوى
سبيل عبد الرحمن كتخدا بشارع المعز لدين الله
بالقاهرة على بلاطات من القاشاني تغطي جدران
حجرة السيل، من بينها رسم صورة الكعبة المشرفة
على هيئة رسم ابراهيم ابن سمعان. ولقد شيد هذا
السبيل الأمير عبد الرحمن كتخدا بن حسن
جاويش سنة (١١٥٧هـ / ١٧٤٤م).

الخصائص الفنية

امتاز فن التصوير في مصر في ظل الاحتلال
العثماني بخصائص فنية أمكن تتبعها واستخلاصها
من خلال دراسة الأمثلة من صور المخطوطات

القزويني بنان البير ووقع على خراطة
اعطوا سلطان كسلطان العنابة



بلا ارض وقيل لم لا تفقدوا ارض الارض

صورة تمثل رؤيا الجراد الذي وقع على الأرض وهو كسبه الخيل
مركض في القتال. مخطوطة مختصر تفسير رؤيا يوحنا الإنجيلي
(الأبوكالميسر) متحف الفن القبطي بالقاهرة (١١٥٣هـ /
١٧٤١م).

الذي يسود صور هذه المخطوطات ، وعلى مهارة
المصور الفنية في تسيقها بتقابل وتضاد، إلى جانب
بعض الدرجات من اللون الواحد، نفذها بأسلوب
رائع.

ولعل من أهم الألوان التي انتشر استخدامها هو
اللون الأحمر ، والأصفر والأخضر والبني ، فضلا
عن الأبيض ، والأسود ، والبرتقالي ، والذهبي الذي
استخدم بكثرة في رسوم صور مخطوطة تفسير

سكان مصر وبخاصة في صور مخطوطة مختصر
تفسير رؤيا يوحنا الإنجيلي (١١٥٣هـ / ١٧٤١م) .
ويتجلى هذا الطابع المحلي المصري أيضا في الميل
إلى الروح الشعبية في رسوم المخطوطات، والتي
تمثلت في التناول المباشر لموضوع الصورة،
والاقتصار على الأساسيات دون الإغراق في
التفاصيل، وتوزيع العناصر على سطح الصورة،
وملاء الفراغات بلفائف زخرفية نباتية، وبخاصة في
صور المخطوطات العلمية السابق دراستها، مثل
مخطوطة قانون الدنيا وعجائبها
(٩٧٠هـ / ١٥٦٣م) . ومخطوطة عجائب المخلوقات
للقرزويني (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) . وأخرى من نفس
الكتاب ترجع إلى حوالي القرن (١٢هـ / ١٨م) ،
ومخطوطة من كتاب في التنجيم بدون عنوان
ترجع إلى حوالي نهاية القرن (١٢هـ / ١٨م) وبداية
القرن (١٣هـ / ١٩م)

٢ - ظهور الأساليب الفنية التي تعتمد الأسلوب
الهندسي و الخطوط الرأسية أو الأفقية في توزيع
رسوم الأشخاص في صفوف منتظمة وكذلك في
إهمال التفاصيل غير الأساسية ، والتركيز على
موضوع الصورة، وتلك القوة التلقائية التصميم.

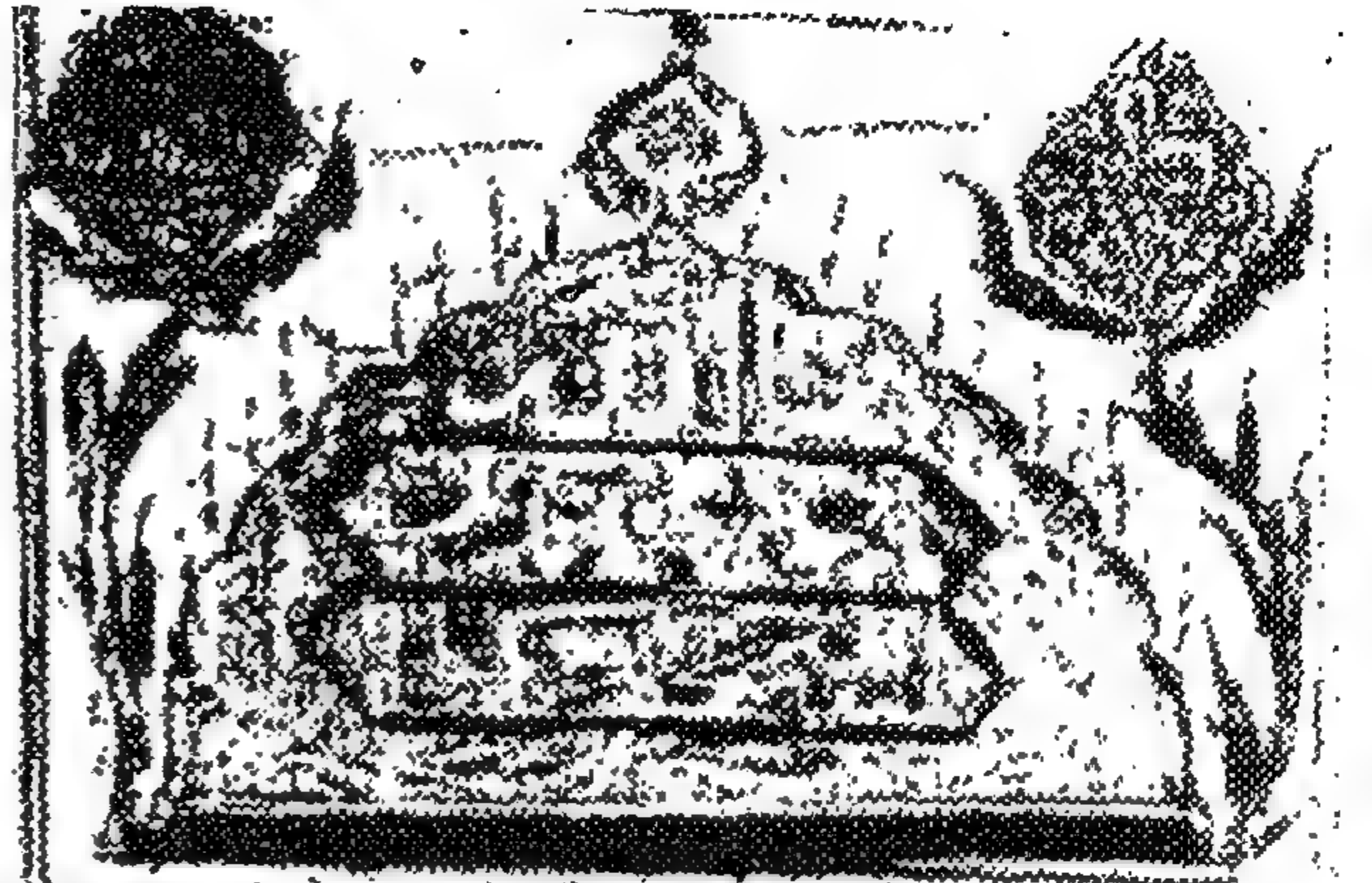
٣ - ظهور الأساليب الفنية التي تعتمد على
رسم الأغصان والفروع النباتية ذات الأوراق والزهور
بأسلوب قريب من الطبيعة إلى حد كبير. وكذلك
في رسوم الكائنات الخرافية المركبة مثل الشياطين
برسومها القاسية المرعبة ورسوم البراق وأبي الهول
وهو عبارة عن وجه آدمي وجسم حيوان مجنح قد
يكون فرسا أو أسدا.

٤ - جاءت الألوان التي استخدمها المصور في
تنفيذ رسوم المخطوطات في مصر في ظل الاحتلال
العثماني براقعة وزاهية، تبرهن على الطابع الزخرفي

لَا يَتَّبِعُهَا جَسَدٌ مِنَ الْبَشَرِ وَنَجْعَلُ عَلَى حَسْبِهِ
وَصَفَتُهُ غَنِيٌّ وَمَشَى حَسْبُهُ وَحَسْرُ وَعَبْدُهُ
أَتَمَّهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْبَيْتُ أَوْ حَبِيبَتُهُ
وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ بِبَيْعٍ وَلَا يَشْرِيهِ أَحَدٌ مِنْ
حَبِيبَتِهِ كَمَا بَدَأَ الْوَحْشُ أَوْ أَسْمُهُ هَذَا مَوْضِعُ
لِلْعَذَّةِ فَنَزَلَهُ فَمَنْ يَخْلُصُكَ عَذْرَاءُ الْبَشَرِ
وَعَذْرَاءُ نَسَمَاءٍ شَتَّى وَشَتَّى



صورة تمثل منظرًا طبيعيًا من ثلاث شجيرات. مخطوطة
مختصر تفسير رؤيا يوحنا (الأبوكالمسيس) متحف الفن القبطي
بالقاهرة (١١٥٣هـ / ١٧٤١م).



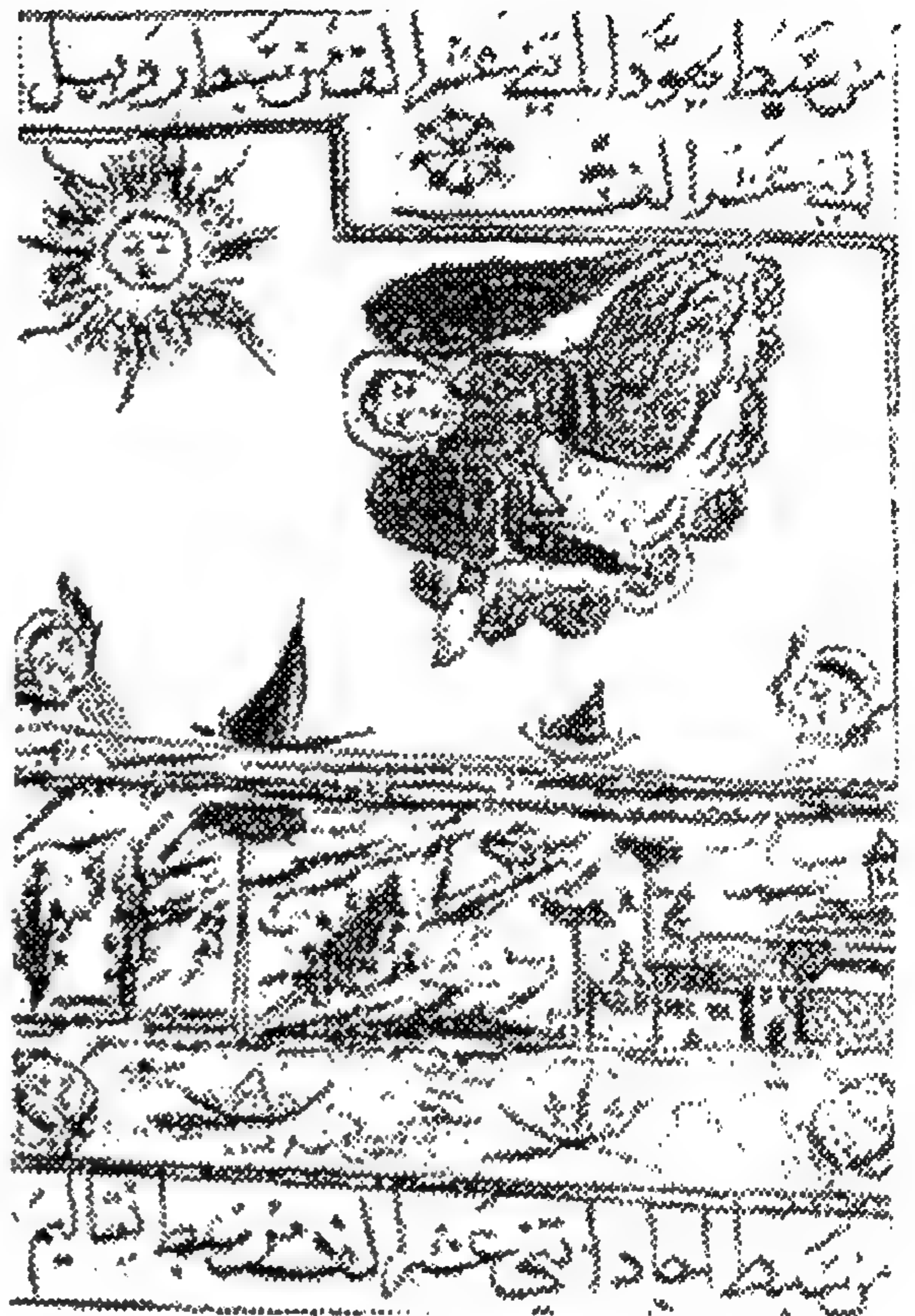
بِسْمِ الْأَبِ الْأَبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُّوسِ آمِينَ
نَقْدَحُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَشَرُّ نَوْفِهِ
لِمَشْرِخِ زَوَايَا يوحنا الْبَحْثِ الْأَكْبَرِ
بِسْمِ الْأَبِ الْأَبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُّوسِ
أَيْضًا الْمَشْرِخِ الْمَشْرِخِ الَّذِي أَعْطَا اللَّهُ
أَنْ يَتَّبِعَ شَبِيدَهُ بِأَسْرَافٍ كَوْنٍ شَرِيعًا وَأَعْلَمَ

صورة توضح صفحة العنوان. مخطوطة مختصر تفسير رؤيا
يوحنا الإنجيلي (الأبوكالمسيس) متحف الفن القبطي بالقاهرة
(١١٥٣هـ / ١٧٤١م).

مختصر رؤيا يوحنا الإنجيلي (١١٥٣هـ / ١٧٤١م).



صورة تمثل رؤيا الشيطان (الذجال) يركب القوس الأحمر
لينزع السلامة من على كل الأرض. مخطوطة مختصر تفسير
رؤيا يوحنا الإنجيلي (الأبوكالمسيس) متحف الفن القبطي
بالقاهرة (١١٥٣هـ / ١٧٤١م).



صورة تمثل رؤيا الرأة المتسريلة بالشمس وهي حامل وقد
أخذت نصيح وتمنحض لتلد مخطوطة مختصر تفسير رؤيا
يوحنا الإنجيلي (الأبوكالمسيس) متحف الفن القبطي بالقاهرة
(١١٥٣هـ / ١٧٤١م)



صورة توضح فاتحة مخطوطة مختصر تفسير رؤيا يوحنا
الإنجيلي (الأبوكالمسيس) متحف الفن القبطي بالقاهرة
(١١٥٣هـ / ١٧٤١م).



صورة تمثل رؤيا ظهور الملاك المفتح ينزل من السماء إلى
الأرض. مخطوطة مختصر تفسير رؤيا يوحنا الإنجيلي
(الأبوكالمسيس).

سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ١٧٦٨ م

(استهل شهر الحرم يوم الأربعاء) فى ثانيه سافرت التجريدة المعينة إلى بحرى بسبب الأمراء المتقدم ذكرهم وهم حسين بك و خليل بك ومن معهم، وقد بذل جهده على بك حتى شهل أمرها ولوازمها فى أسرع وقت، وسافرت (ص ٧٣٥) فى يوم الخميس وأميرها وسر عسكرها محمد بك أبو الذهب، فلما وصلوا إلى ناحية دجوة وجدوهم عدوا إلى منية الخضر فعدوا خلفهم فوجدوهم ذهبوا إلى طنطتا وكرنكوابها، فتبعوهم إلى هناك وأحاطوا بالبلدة من كل جهة ووقع الحرب بينهم فى منتصف شهر الحرم، فلم يزل الحرب قائما بين الفريقين حتى فرغ ما عندهم من الجبخانه والبارود، فعند ذلك أرسلوا إلى محمد بك وطلبوا منه الأمان فأعطاهم الأمان وارتفع الحرب من بين الفريقين، وكاتبهم محمد بك وخادعهم والتزم لهم بإجراء الصلح بينهم وبين مخدمه على بك فانخدعوا له وصدقوه وانحلت عزائمهم واختلفت آراؤهم وسكن الحال تلك الليلة، ثم إن محمد بك أرسل فى ثانى يوم إلى حسين بك يستدعيه ليعمل معه مشورة، فحضر عنده بمفرده وصحبته خليل بك السكران تابعه فقط، فلما وصلوا إلى مجلسه ودخلوا إليه فلم يجدوه، فعندما استقربهما الجلوس دخل عليهما جماعة وقتلوهم، وحضر فى إثرهما حسن بك شبكة ولم يعلم ماجرى لسيدته، فلما قرب من المكان أحس قلبه بالشر، فأراد الرجوع فعاقه رجل سايس يسمى مرزوق وضربه بنبوت

١١٨٢ هـ.

١٤٨٤ ق.

١٧٦٨ م.

غاية الفيضان ١ قيراط ٢٤ ذراع

□ كان طرد الجزويت من نابولي ومالطة وبارمه

□ ١ توت ١٤٨٥ = ٩ سبتمبر سنة ١٧٦٨ = الجمعة ٢٦ ربيع الثانى ١١٨٢.

□ عزل العسكر محمد راقم باشا، بعد أن حكم مصر سنة وحدة، وتولى بعده محمد باشا الأورفلى.

□ ١ يناير ١٧٦٩ = ٢٥ كيهك ١٤٨٥ = الأحد ٢٢ شعبان سنة ١١٨٢.

□ طلب الباب العالى من مصر ١٢ ألف لقر نحابة الروسيا، فوافقت الممالك والباشا الفتن فى حق على بك، فورد فرمان شاهانى بقتله وارسل رأسه إلى الآستانة لكنه لم يفد حيث علم بذلك على بك وترىص لحامل فرمان ورقائه الأربعة وقتلوا بأمره، وأعلن استقلال مصر، وكتب إلى الشيخ ضاهر أمير عكا بذلك.

فوقع إلى الأرض، فلحقه بعض الجند واحتز رأسه، فلما علم بذلك خليل بك الكبير ومن معه ذهبوا إلى ضريح سيدي أحمد البدوي والتجأوا إلى قبره، واشتد بهم الخوف وعلموا أنهم لاحقون بإخوانهم، فلما فعلوا ذلك لم يقتلوهم، وأرسل محمد بك يستشير سيده في أمر خليل بك ومن معه، فأمر بنفيه إلى ثغر سكندرية وخنقوه بعد ذلك (ص ٧٣٦) بها، ورجع محمد بك وصالح بك والتجريدة ودخلوا المدينة من باب النصر في موكب عظيم وأمامهم الروس محمولة في صوانٍ من فضة والخدم يقولون «صلوا على محمد» وصالح بك ظاهر بوجهه الانقباض والتعبيس، وعدتها ستة روس وهي رأس حسين بك وخليل بك السكران وحسن بك شبكة وحمزة بك وإسماعيل بك أبي مدفع وسليمان أغا الوالي وذلك يوم الجمعة سابع عشر المحرم.

د عودة محمد بك أبو الذهب برؤس ستة
من الأمراء المنافسين لسيده على بك
الكبير.

(وفي يوم الثلاثاء رابع عشر صفر) حضر نجاب الحج وأطمأن الناس، وفي يوم الجمعة سابع عشره وصل الحجاج بالسلامة ودخلوا المدينة وأمير الحاج خليل بك بلفيه، وسر الناس بسلامة الحجاج وكانوا يظنون تعبهم بسبب هذه الحركات والوقايح

(وفي ثامن عشر صفر) أخرج على بك جملة من الأمراء من مصر ونفى بعضهم إلى الصعيد وبعضهم إلى الحجاز وأرسل البعض إلى الفيوم، وفيهم محمد كتخدا تابع عبد الله كتخدا وقرا حسن كتخدا وعبد الله كتخدا تابع مصطفى باش اختيار مستحفظان وسليمان جاويش ومحمد كتخدا الجردلي وحسن أفندي الباقرجي وبعض أوده باشية وعلى جريجى وعلى أفندي الشريف جمليان. (وفيه) صرف على بك مواجب الجامكية. (وفيه) أرسل على بك وقبض

* على بك يصادر أموال أولاد سعد إخدام
بضريح السيد البدوي. ويعمر المسجد
ويجده.

على أولاد سعد إخدام بضريح سيدي أحمد البدوي
وصادرهم وأخذ منهم أموالاً عظيمة لا يقدر قدرها،
وأخرجهم من البلدة ومنعهم من سكناها ومن خدمة المقام
الأحمدى وأرسل الحاج حسن عبد المعطى وقيده بالسدنة
عوضاً عن المذكورين، وشرع فى بناء الجامع والقبة والسييل
(ص ٧٣٧) والقيسارية العظيمة وأبطل منها مظالم أولاد
إخدام والهمل والنشالين والحرمية والعيارين وضمان البغايا
والخواطى وغير ذلك.

وفى تاسع شهر ربيع الأول حضر قابجى من الديار الرومية
بمرسوم وقفطان وسيف لعلى بك من الدولة

١١٦

* باشا مصر فى هذا الوقت هو محمد باشا
الأورلى.

(وفيه) وصلت الأخبار بموت خليل بك الكبير بشفر
سكندرية مخنوقاً (وفى يوم السبت ثانى عشره) نزل الباشا*
إلى بيت على بك باستدعاء فتغدى عنده وقدم له تقادم
وهدايا

(وفى يوم الأحد ثانى عشر ربيع الآخر) اجتمع الأمراء
بمنزل على بك على العادة وفيهم صالح بك وقد كان على
بك بيت مع أتباعه على قتل صالح بك، فلما انقضى
المجلس وركب صالح بك ركب معه محمد بك وأيوب بك
ورضوان بك وأحمد بك بشناق المعروف بالجزار وحسن بك
الجدوى وعلى بك الطنطاوى، وأحرق الجميع بصالح بك
ومن خلفهم الجند والمماليك والطوايف، فلما وصلوا إلى
مضيق الطريق عند المفارق بسوقة عصفور تأخر محمد بك
ومن معه عن صالح بك قليلاً، وأحدث له محمد بك
حماقة مع سايسه وسحب سيفه من غمده سريعاً وضرب
صالح بك وسحب الآخرون سيوفهم ماعداً أحمد بك
بشناق وكمّلوا قتلته ووقع طريقاً على الأرض، ورمح

* مؤامرة اغتيال صالح بك على يد محمد
بك أبو الذهب ورقض أحمد الجزار
الاشتراك فى المؤامرة.

* سوقة عصفور: جنوب باب زويلة.

الجماعة الضاربون وطوايفهم إلى القلعة، وعندما رأوا ممالك صالح بك وأتباعه منازل سيدهم خرجوا على وجوههم، ولما استقر الجماعة القاتلون بالقلعة وجلسوا مع بعضهم يتحدثون عاتبوا أحمد بك بشناق* في عدم ضربه معهم صالح بك وقالوا له «لماذا لم تجرد سيفك وتضرب مثلنا؟» قال «بل ضربت معكم» (ص ٧٣٨) فكذبوه فقال له بعضهم «أرنا سيفك» فامتنع وقال «إن سيفي لا يخرج من غمده لأجل الفرجة» ثم سكتوا وأخذ في نفسه منهم وعلم أنهم سيخبرون سيدهم بذلك فلا يأمن غايته وذلك أن أحمد بك هذا لم يكن مملوك لعلي بك وإنما كان أصله من بلاد بشناق حضر إلى مصر في جملة أتباع علي باشا الحكيم عندما كان واليا على مصر في سنة تسع وستين ومائة وألف، فأقام في خدمته إلى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، وتلبس صالح بك بإمارة الحج في ذلك التاريخ فاستأذن أحمد بك المذكور على باشا في الحج وأذن له في الحج فحج مع صالح بك وأكرمه وأحبه وألبسه زي المصريين ورجع صحبته، وتنقلت به الأحوال وخدم عند عبد الله بك على، ثم خدم عند علي بك فأعجبه شجاعته وفروسيته فرقاه في المناصب حتى قلده الصنجدية وصار من الأمراء المعدودين فلم يزل يراعى منه صالح بك السابقة عليه، فلما عزم على بك على خيانة صالح بك السابقة وغدره خصصه بالذكر وأوصاه أن يكون أول ضارب فيه لما علمه فيه من العصبية له، فقبل له إن أحمد بك أسر ذلك إلى صالح بك وحذره غدر علي بك إياه فلم يصدق له ما بينهما من العهود والأيمان والمواثيق، ولم يحصل منه ما يوجب ذلك ولم يعارضه في شيء ولم ينكر عليه فعلا،

* قصة أحمد الجزار منذ دخوله مصر مع علي باشا الحكيم سنة ١١٦٩ = ١٧٥٥ م وهروبه عام ١١٨٢ = ١٧٦٨ م إلى الشام.

تمثل حياة أحمد باشا الجزار سلسلة من المؤامرات والدسائس التي كانت تبرز السمة الأساسية للحياة السياسية في السلطنة العثمانية. ولقد كان نبوغ الجزار في تنظيم المؤامرات وتدبير الدسائس عائداً في الأساس إلى طبيعة هذه السلطنة التي كانت تعتق منذ بداياتها، على يد سلاطينها الأول، مقولة: «إن القوة هي الوسيلة الوحيدة لبسط نفوذها، وما لا يؤخذ بالقوة يؤخذ بالخديعة والتأمر والغدر والرشوة، بل وبالتمسح في الدين. وما كان من الممكن لمثل هذه المبادئ إلا أن تفرز زعامات تجعل الحياة السياسية للسلطنة ميداناً لها وملعباً تزهق فيه كل المبادئ الشريفة، دينية كانت أو أخلاقية، لحساب اطماعها، وتعلمي من شأن عديمي الذمة والأفاقين وفاقدى الضمان ومحبى سفك الدماء ومبتزى الأموال والثروات، فكانت خدمات مثل الاغتيال ودم السم، وحرق القرى بفلاحها، والإيقاع بين القوى بالفتن الدينية والعصية، ترتفع بكل من يتقنها إلى زمرة الطبقة الحاكمة والمستفيدين منها. ولقد كان الجزار من هذا الصنف من الزعامات - بمعناها الشرقي - التي افرزتها السلطنة العثمانية لتخدم بهم مصالحها وأهدافها المحدودة، وأن كان سقوطها النهائي تم بسبب هذه الزعامات منذ جان برد الغزالي وخاير بك، إلى علي بك الكبير والجزار وانتهاءً بمحمد علي.

فلما اختلى صالح بك بعلى بك أشار إليه بما بلغه فحلف له على بك بأن ذلك نفاق من الخبر ولم يعلم من هو، فلما حصل ما حصل ورأى [الجزار] مراقبة الجماعة له ومناقشتهم له عند استقرارهم بالقلعة تخيل وداخله الوهم وتحقق في ظنه تجسم القضية، فلما نزلوا من القلعة وانصرفوا إلى منازلهم تفكر تلك الليلة وخرج من مصر وذهب إلى الإسكندرية وأوصى حريمه بكتمان أمره ما أمكنهم حتى يتباعد عن مصر، فلما تأخر حضوره بمنزل على بك وركو به سألوا عنه (ص ٧٣٩) ف قيل له إنه متوعلك، فحضر إليه في ثاني يوم محمد بك ليعوده وطلب الدخول إليه فلم يمكنهم منعه، فدخل إلى محل ميته فلم يجده في فرشه، فسأل عنه حريمه فقالوا: «لأنعلم له محلا ولم يأذن لأحد بالدخول عليه». وفتشوا عليه فلم يجدوه، وأرسل على بك عبد الرحمن أغا وأمره بالتفتيش عليه وقتله، فأحاط بالبيت وهو بيت شكربره وفتش عليه في البيت والخطبة فلم يجده، وهو قد كان هرب ليلة الواقعة في صورة جزائري مغربي وقصقص خيته وسعى بمفرده إلى شلقان، وسافر إلى بحري ووصل السعاة بخبره لعلى بك بأنه بالأسكندرية فأرسل بالقبض عليه فوجدوه نزل بالقبطانة واحتفى بها وكان من أمره ما كان بعد ذلك كما يأتي، وهو أحمد باشا الجزار الشهير الذكر الذي تملك عكا وتولى الشام وإمارة الحج الشامي وطار صيته في الممالك.

* عرب الجزيرة: المقصود هنا عرب الجزيرة العربية.

* دجوة: من قرى القليوبية الآن.
* سندنهور: عرفت قديمًا باسم «هاساحورع» من قرى الشرقية تابعة لمركز بلييس.

(وفيه) عين على بك تجريدة على سويلم بن حبيب وعرب الجزيرة، فنزل محمد بك بتجريدة إلى عرب الجزيرة، وأيوب بك إلى سويلم، فلما ذهب أيوب بك إلى دجوة فلم يجد بها أحداً، وكان سويلم بايتاً في سندنهور وباقي الحباية

* الهنادى : من البدو الذين كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب فى منطقة البحيرة غرب فرع رشيد . انضم لهم فى هذه الفترة سويلم بن حبيب أحد مشايخ العرب الذى طرده على بك من دجوه بالقليوبية .

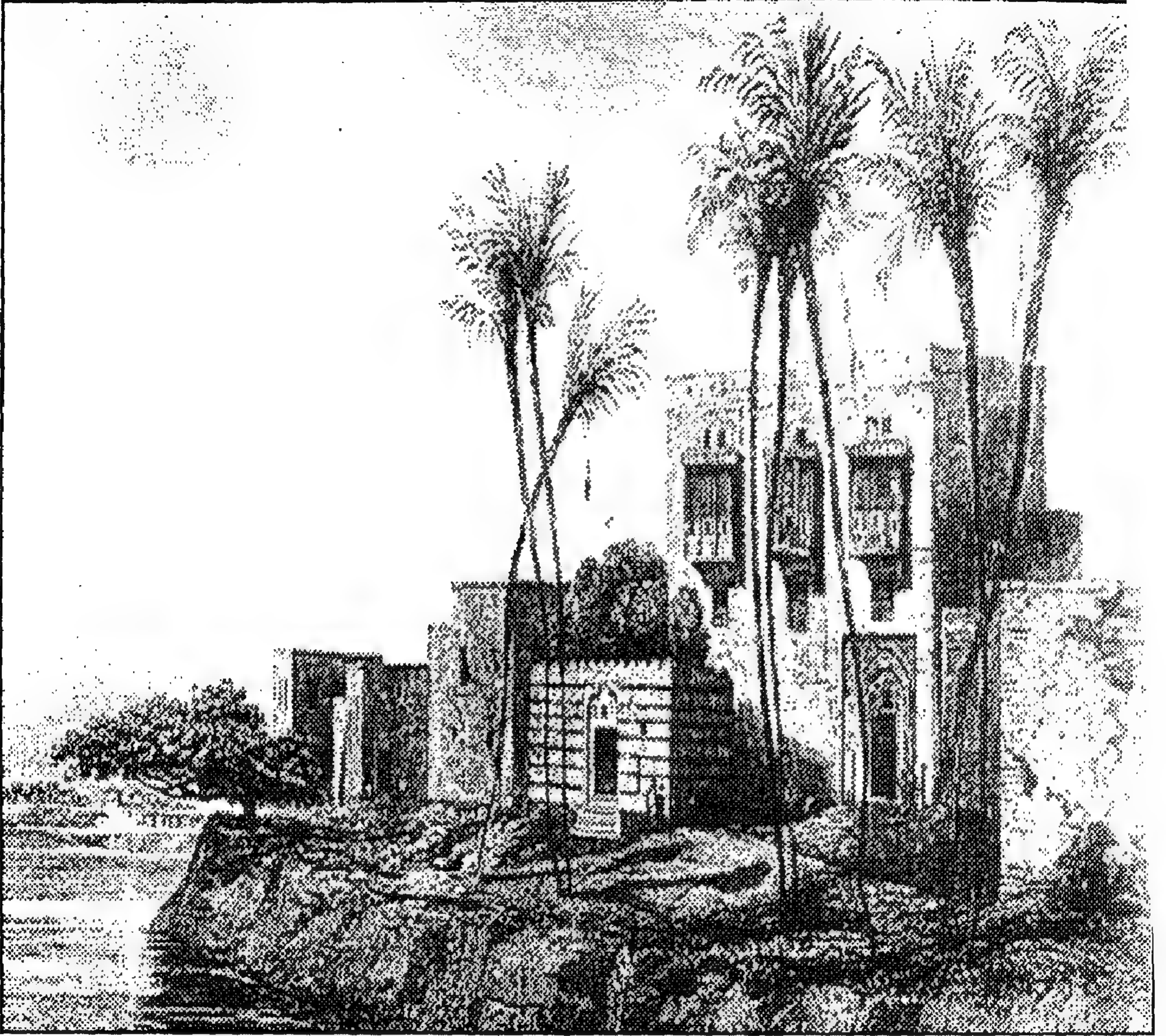
متفرقين فى البلاد، فلما وصله الخبر ركب من سندنهور وهرب بمن معه إلى البحيرة والتجأ إلى الهنادى* ونهبوا دوايره ومواشيه، وحضروا بالمنهوبات إلى مصر، واحتج عليه بسبب واقعة حسين بك وخليل بك لما أتيا إلى دجوة بعد واقعة الديرس والجراح وقدم لهم التقادم وساعدهم بالكلف والذبائح ونحو ذلك، والغرض الباطنى اجتهاده فى إزالة أصحاب المظاهر كايما ما كان .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره: أمر على بك بإخراج على كتخدا الخربطلى منفيًا، وكذلك يوسف كتخدا مملوكه ونفى حسن أفندى درب الشمسى (ص ٧٤٠) وإخوته إلى السويس ليذهبوا إلى الحجاز، وسليمان كتخدا الجلفى وعثمان كتخدا عزبان المنفوخ، وكان خليل بك السيوطى بالشرقية فلما سمع بقتل صالح بك هرب إلى غزة .
وفى يوم الأحد خامس جمادى الأولى طلع على بك إلى القلعة وقلد ثلاثة صناجق من أتباعه وكذلك وجاقلية، وقلد أيوب بك تابعه ولاية جرجا وحسن بك رضوان أمير حج وقلد الوالى .

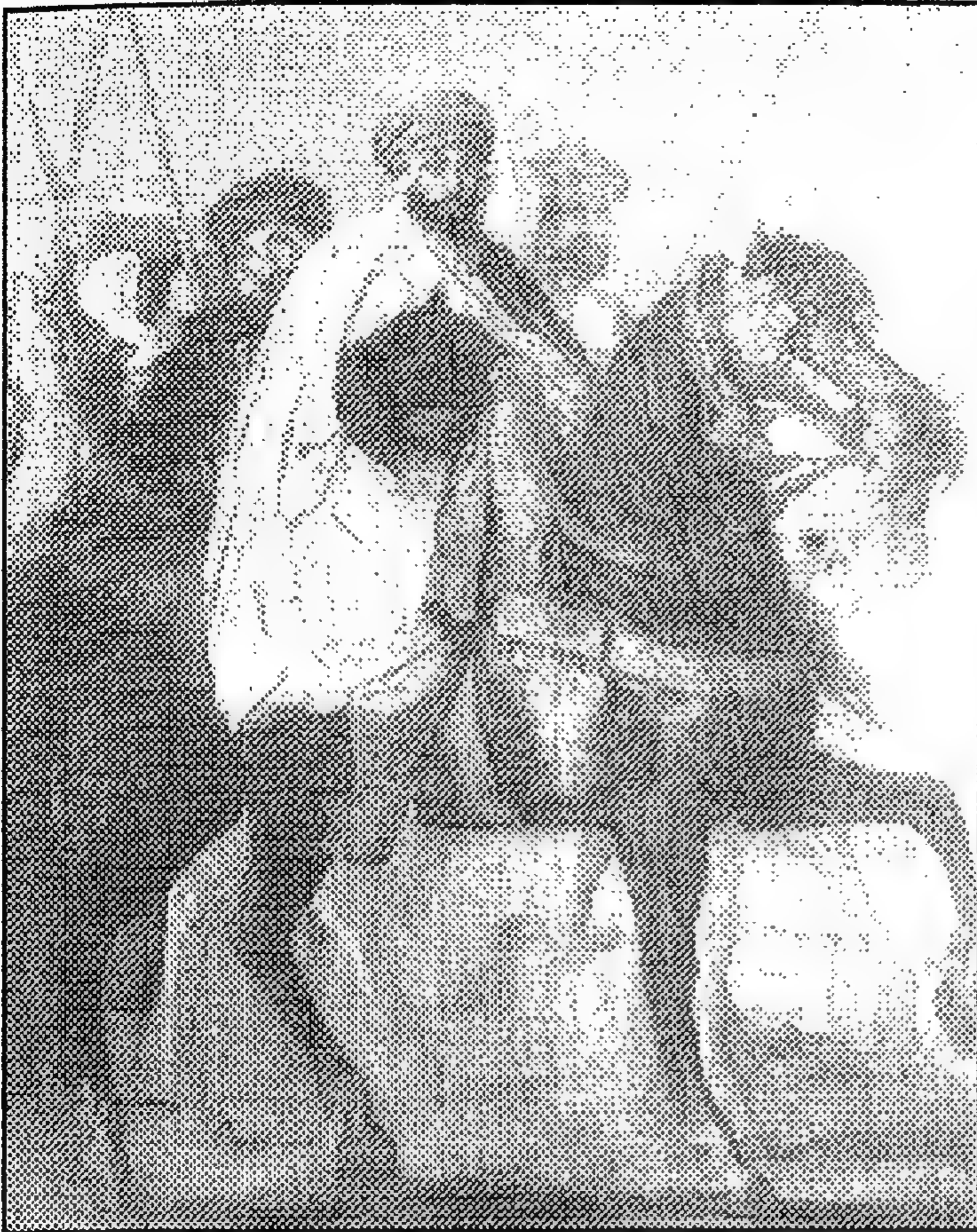
وفى جمادى الآخرة قلد إسماعيل بك الدفتردارية، وصرف المواجه فى ذلك اليوم .

وفى منتصف شهر رجب وصل أغا من الديار الرومية وعلى يده مرسوم بطلب عسكر للسفر فاجتمعوا بالديوان وقروا المرسوم وكان على بك أحضر سليمان بك الشابورى من نفيتة بناحية المنصورة وكان منفيًا هناك من سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف .

وفى يوم الثلاثاء عملوا الديوان بالقلعة ولبسوا سليمان بك الشابورى أمير السفر الموجه إلى الروم وأخذوا فى تشهيله،



المنصورة . دار ابن لقمان حيث أسر الملك لويس ملك فرنسا



فرسان من البدو.

* على بك الكبير يبدأ في كسر شوكة شيخ الهوارة (همام).

* برديس: قرية تابعة لمركز البلينا، محافظة سوهاج.

* البحر الرومى: هو البحر المتوسط.

وسافر محمد بك أبو الذهب بتجريدة ومعه جملة من الصناجق والمقاتلين لمنايذة شيخ العرب همام، فلما قربوا من بلاه ترددت بينهم الرسل واصطلحوا معه على أن يكون لشيخ العرب همام من حدود برديس ولا يتعدى حكمه لما بعدها، واتفقوا على ذلك، ثم بلغ شيخ العرب أنه ولد لمحمد بك مولود فأرسل له بالتجاوز عن برديس أيضاً إنعاماً منه للمولود، ورجع محمد بك ومن معه إلى مصر، وفيه قبض على بك على الشيخ أحمد الكتبي المعروف بالسقط، وضربه علة قوية وأمر بنفيه إلى قبرص، فلما نزل إلى البحر الرومى ذهب إلى إسلامبول وصاهر حسن أفندى قطة مسكين المنجم وأقام هناك إلى أن مات، وكان المذكور من دهات العالم (ص ٧٤١) يسعى فى القضايا والدعاوى يحيى الباطل ويطل الحق بحسن سبكه وتداخله

* فشل مؤامرة محمد باشا ضد علي بك وعزله.

وفي سابع عشره حصلت قلقة من جهة والى مصر محمد باشا وكان أراد أن يحدث حركة [ضد علي بك] فوشى به كتحذاه عبد الله بك إلى علي بك فأصبحوا وملكوا الأبواب والرميلة والمحجر وحوالى القلعة وأمره بالنزول فنزل من باب الميدان إلى بيت أحمد بك كشك وأجلسوا عنده الحرسجية.

* علي بك يتولى قائمقام بعد عزله لحمد باشا.

(وفي يوم الأحد غرة شعبان) تقلد علي بك قائمقامية عوضاً عن الباشا.

(وفي يوم الخميس) أرسل علي بك عبد الرحمن أغا مستحفظان إلى رجل من الأجناد يسمى إسماعيل أغا من القاسمية وأمره بقتله، وكان إسماعيل هذا منفياً جهة بحرى وحضر إلى مصر قبل ذلك، وأقام ببيته جهة الصليبية وكان مشهوراً بالشجاعة والفروسية والإقدام، فلما وصل الأغا هذا بيته وطلبه ونظر إلى الأغا واقفاً بأتباعه ينتظره علم أنه يطلبه ليقتله كغيره لأنه تقدم قتله لأناس كثيرة على هذا النسق بأمره علي بك، فامتنع من النزول وغلق بابه ولم يكن عنده أحد سوى زوجته وهى أيضاً جارية تركية وعمر بندقيته وقرابنته وضرب عليهم فلم يستطيعوا العبور إليه من الباب وصارت زوجته تعمر له وهو يضرب حتى قتل منهم أناساً وانجرح كذلك، واستمر على ذلك يومين وهو يحارب وحده وتكاثروا عليه وقتلوا من أتباعه وهو ممتنع عليهم إلى أن فرغ منه البارود والرصاص ونادوه بالأمان فصدقهم ونزل من الدرج فوقف له شخص وضربه وهو نازل من الدرج وتكاثروا عليه وقتلوه وقطعوا راسه ظلماً، رحمة الله تعالى.

(وفي تاسع عشرة) صرفت المواجه (ص ٧٤٢) على الناس والفقراء.



على بك الكبير فى شبابه.

(وفى ثامن عشرينه) خرج موكب السفر الموجه إلى الروم فى تحمل زائد.

(وفى عاشر رمضان) قبض على بك على المعلم إسحق اليهودى معلم الديوان ببولاق وأخذ منه أربعين ألف محبوب ذهب وضريره حتى مات، وكذلك صادر أناسا كثيرة فى أموالهم من التجار مثل العشوي والكهن وغيرهما، وهو الذى ابتدع المصادرات وسلب الأموال من مبادئ ظهوره واقتدى به من بعده.

* على بك يصادر أموال المعلم إسحق اليهودى ويقتله.

(وفى شوال) هيا على بك هدية حافلة وخيولا مصرية جيادا وأرسلها إلى إسلامبول للسلطان ورجال الدولة وكان المتسفر بذلك إبراهيم أغا سراج باشا وكتب مكاتبات إلى الدولة ورجالها والتمس من الشيخ الوالد أن يكتب له أيضا مكاتبات لما يعتقده من قبول كلامه وإشارته عندهم،

* على بك يرسل الهدايا إلى السلطان ورجال دولته.

ومضمون ذلك الشكوى من عثمان بك ابن العظم والى الشام وطلب عزله عنها بسبب انضمام بعض المصريين المطرودين إليه ومعاونته لهم، وطلب منه أن يرسل الشيخ عبد الرحمن العريشى ومحمد أفندى البرلى فسافروا مع الهدية وغرضه بذلك وضع قدمه بالقطر الشامى أيضا.

* على بك بنفى الامراء المتافسين له إلى إقاليم مصر ويصادر أموالهم وأقطاعهم.

(وفى ثانى عشر ذى العقدة) رسم بنفى جماعة من الأمرا أيضا وفيهم إبراهيم أغا الساعى اختيار متفرقة وإسماعيل أفندى جاويشان و خليل أغاباش جاويشان جميليان وباشجاويش تفكجيان ومحمد أفندى جراكسة ورضوان بك تابع حسن بك رضوان والزعفرانى، فأرسل منهم إلى دمياط ورشيد واسكندرية وقبلى وأخذ منهم دراهم قبل خروجهم واستولى على بلادهم وفرقها فى أتباعه، وكانت هذه طريقته فيمن يخرجهم، يستصفى أموالهم أولا ثم يخرجهم ويأخذ بلادهم وأقطاعهم فيفرقها (ص ٧٤٣) على مماليكه وأتباعه الذين يؤمرهم فى مكانهم، ونفى أيضا إبراهيم كتحدا جدك وابنه محمد إلى رشيد وكان إبراهيم هذا كتحدا. ثم عزله وولاه الحسبة فلما نفاه ولى مكانه فى الحسبة مصطفى أغا، والله أعلم.

وأما من ماتت فى هذه السنة من المشايخ والأعيان

٣٠٧ أحمد بن الحسن الجوهري.

(مات) الإمام الفقيه المحدث الأصولى المتكلم شيخ الإسلام وعمدة الأنام الشيخ أحمد ابن الحسن ابن عبد الكريم بن محمد بن يوسف بن كريم الدين الكرىمى الخالدى الشافعى الأزهرى الشهير بالجوهري، وإنما قيل له الجوهري لأن والده

كان يبيع الجواهر فعرف به، ولد بمصر سنة ست وتسعين وألف، واشتغل بالعلم وجد في تحصيله حتى فاق أهل عصره، ودرس بالأزهر وأفتى نحو ستين سنة، مشايخه كثيرون منهم الشهاب أحمد بن الفقيه ورضوان الطوخي إمام الجامع الأزهر والشيخ منصور المنوفي والشهاب أحمد الخليلي والشيخ عبد ربه الديوي والشيخ عبد الروف البشبيشي والشيخ محمد أبو العز العجمي والشيخ محمد الإطفيحي والشيخ عبد الجواد المحلى الشافعيون، والشيخ محمد السجلماسي والشيخ أحمد النفراوي والشيخ سليمان الحصيني والشيخ عبد الله الكنكسي والشيخ محمد الصغير الورزازي وابن زكري والشيخ أحمد الهشتوكي والشيخ سليمان الشبرخيتي والسيد عبد القادر المغربي ومحمد القسطنطيني ومحمد النشرتي المالكيون، ورحل إلى الحرمين في سنة عشرين ومائة وألف فسمع من البصري والنخلي في سنة أربع وعشرين ومائة وألف ثم في سنة ثلاثين ومائة وألف، وحمل في هذه الرحلات علوما جمة، وأجازه مولاي الطيب ابن مولاي عبد الله الشريف الحسيني وجعله خليفة بمصر، وله شيوخ كثيرون غير من ذكرت، وقد (ص ٧٤٤)

وجدت في بعض إجازاته تفصيل ماسمعه من شيوخه مانصه: على البصري والنخلي أوائل الكتب الستة والإجازة العامة مع حديث الرحمة بشرطة. وعلى الإطفيحي بعض كتب الفقه والحديث والتصوف والإجازة العامة. وعلى السجلماسي في سنة ست وعشرين ومائة وألف الكبرى للسنوسي ومختصره المنطقي وشرحه وبعض تلخيص القزويني وأول البخاري إلى كتاب الغسل وبعض الحكم العطائية وأجازه. وعلى ابن زكري أوائل الستة وأجازه. وعلى

* تفصيل منح إجازة [درجة مشيخه] للشيخ أحمد بن الحسن الجوهري.

الكنكسى الصحيح بطرفيه وشرح العقايد للسعد وعقايد السنوسى وشروحها وشرح التسهيل لابن مالك إلى آخره وشروح الألفية للمكودى والمطول بتمامة وشرح التلخيص، وعلى الهشتوكى الإجازة بسائرهما. وعلى النفرواى شرح التلخيص مرارا وشرح ألفية المصطلح وشرح الورقات. وعلى الديوى شرح المنهج لشيخ الإسلام مرارا وشرح التحرير وشرح ألفية ابن الهائم وشرح التلخيص وشرح ابن عقيل على الألفية وشرح الجزرية. وعلى المنوفى جمع الجوامع وشرحه للمحلى وشرح التلخيص. وعلى ابن الفقيه شرح التحرير وشرح الخطيب مرارا وشرح العقايد النسفية وشرح التلخيص والخبصى. وعلى الطوخى شرح الخطيب وابن قاسم مرارا وشرح الجوهرة لعبد السلام. وعلى الخليفى البخارى وشرح التلخيص والأشمونى والمصام وشرح الورقات. وعلى الحصينى شرح الكبرى للسنوسى بتمامة وعلى الشبرخيتى شرح الرحبية وشرح الآجرومية وغيرهما. وعلى الورزازى شرح الكبرى بتمامة. مرارا وشرح الصغرى وشرح مختصر السنوسى والتفسير وغيره. وعلى البشيشى المنهج مرارا وجمع الجوامع مرارا والتلخيص وألفية (ص ٧٤٥) المصطلح والشمايل وشرح التحرير لذكريا وغيره.

هذا نص ما وجدته بخطه، واجتمع بالقطب سيدى أحمد بن ناصر فأجازه لفظا وكتابة، ومن أجازه أبو المواهب البكرى وأحمد البناء وأبو السعود الدنجيهى وعبد الحى الشرنبلالى ومحمد بن عبد الرحمن المليجى. وفى الحرمين عمر بن عبد الكريم الخلخالى حضر دروسه وسمع منه المسلسل بالأولية بشرطه. وتوجه بآخره إلى الحرمين بأهله

وعياله وألقى الدروس وانتفع به الوردون ثم عاد إلى مصر
فانجمع عن الناس وانقطع في منزله يزار ويتبرك به وله تأليف
منها منقذة العبيد عن ربة التقليد في التوحيد، وحاشية
على عبد السلام، ورسالة في الأولوية وأخرى في حياة الأنبياء
في قبورهم وأخرى في الغرائيق* وغيرها.

* الغرائيق: مفردا غرنوق وُغرنيق وُغرناق،
ومعناها الشباب الغض الجميل. والغرائيق
في الحديث الموضوع المنسوب إلى الرسول
صلى الله عليه وسلم وهو (تلك الغرائيق
العلا، وإن شفاعتهن لترجي) هي الأصنام
وهي في الأصل المذكور من الطير.

وكانت وفاته وقت الغروب يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى
من السنة، وجهز بصباحه وصلى عليه بالجامع الأزهر
بمشهد حافل ودفن بالزواية القادرية داخل درب شمس
الدولة، رحمة الله. ورثاه نادرة العصر العلامة الشيخ
مصطفى بن أحمد الصاوي بهذه القصيدة الفريدة وهي:

يادهرُ مالك بالمكارة تجتري
ولفقـدأرباب المكارم تجتري
تغتال منا ماجداً مع ماجد
طابت طبائعه بطيب المنصر
تردى الكريم ابن الكريم ومساثرى
حقاً لعهد الماهر المتبصر
إن أصبح المولى عزيزَ عشيرة
أمسيتـه في ذل أحقر
يغدو كريم النفس وهو مقدم (ص ٧٤٦)
فيروح في هون به متقهقر
وإذا حلت بالصفو حالة حاله
مررتـها بنغيص عيش أكر
لو كنت ترعى في الأفاضل حقهم
أبقيت مجمع شملهم في الأعصر
من لى يسعدنى لدهر معتد
الغدر شيمته خون مفترى معروف ذكر

فى فقد كهف الفضل مجد أولى النهى
 فى الورى لم ينكر
 حاوى الفضائل والفواضل والتقى
 والجود والمجد الأصل المفاخر
 هو درة الغواض والبحر الذى
 امواجه قذفت بدر الجواهر
 هو عروة وثقى بها اعتصم الورى
 عند انقطاع حبال ورد الأبهى
 بدر أضاء على الأماجد كلها
 حتى على البدر المنير المسفر
 وسما فخر لا تمد لها يد
 إلا وطول علاه قال لها اقصرى
 ذو معهد أما مواضى فكره
 إن ضارعتها الشهب قالت تحترى
 فى قاب قوس المجد حط رحاله
 ومشى على مريخه والمشتري وعمت عن
 حاطت بصيرته بكل فضيلة
 الإدراك عين المبرر
 (ص ٧٤٧) إن تختبره فى العلوم وجدته
 قام الأدلة عن عيان الخبر
 فبفقهه فى الدين ثم بشعره
 ينسبك أم الراقى* والبحترى
 أن رمت فى الحزم قال مسدد
 أو رمت توحيداً وجدت الأشعرى
 أو رمت نحواً أو بلاغة زهده
 سعد الزمان وسيبويه والسرى

* الراقى : هو عبد الكريم بن محمد عبد
 الكريم بن الفضل أبو القاسم الراقى صاحب
 الشرح الكبير وغيره من المؤلفات فى التفسير
 وشرح الحديث، توفى بقزوين سنة ٦٢٣ =
 ١٢٢٦ م.

قد صح إسناد الرواة حديثه
 أهل الثبات ذوى المقام الأكبر
 يروى الصحيح من الصحيح فما به
 ضعف ولا وهن ولا من يزدري
 وغدا بنطق كماله يبدى لنا
 عين النتيجة ضمن شكل أنور
 عجب لشمس معارف قد أنزلت
 بنجومها فى ذا التراب الأقفر
 ليت المنون الذى ألم بروحه
 أفنى بنى الدنيا وأبقى ذا السرى
 سقيا لرمس ضمه وبل الرضا
 غيث الهنا وكف السحاب الماطر
 حق لعين قطفت من زهرة
 تبكى عليه غزير دمع أزفر
 ونخط فوق الخلد من أقلامها
 تحبير حزن فى طروس الأسطر
 لكن صبرا للقضاء وتصبرا (ص ٧٤٨)
 ليكون للإنسان حسن المآجر
 فالصبر عند الصدمة الأولى رضا
 ماحيلة المحتال إن لم يصبر؟
 من حيث إن لنا هنالك أسوة
 بالسالفين وبالنبي الأظهر
 صلى عليه إلها مع آله
 والصحب أصحاب المقام الأظهر
 ما مصطفى الصاوى قال مؤرخا
 بشرى لحور العين حبّ الجوهري

ورثاه الشيخ عبد الله الإدكاوي بقصيدة بيت تاريخها
مقعد الصدق قد أعدوه حالا
للملى الممجّد الجوهري

٣٠٨ عيسى بن أحمد البراوي.

(مات) الإمام العالم العلامة والحبر الفهامة الفقيه الدراكة
الأصولي النحوي شيخ الإسلام وعمدة ذوي الأفهام الشيخ
عيسى بن محمد الزيري البراوي الشافعي الأزهرى، ورد
الجامع الأزهر وهو صغير فقرأ العلم على مشايخ وقته وتفقه
على الشيخ مصطفى العزيزي وابن الفقيه وحضر دروس
الملوى والجوهري والشبراوي وأنجب وشهد له بالفضل أهل
عصره، وقرأ الدروس في الفقه وأحدث به الطلبة واتسعت
حلقة واشتهر بحفظ الفروع الفقهية حتى لقب بالشافعي
الصغير لكثرة استحضاره في الفقه وجودة تقريره، وانتفع به
طلبة العصر طبقة بعد طبقة وصاروا مدرسين، ورزى الحديث
عن الشيخ محمد الدفري، وكان حسن (ص ٧٤٩)
الاعتقاد في الشيخ عبد الوهاب العفيفي وفي سائر
الصلحاء، وله مؤلفات مقبولة منها حاشية على شرح
الجوهرة في التوحيد، وشرح على الجامع الصغير للسيوطي
في مجلد، يذكر في كل حديث ما يتعلق بالفقه خاصة،
ولا زال يملئ ويفيد ويدرس ويعيد حتى توفي سحر ليلة
الاثنين رابع رجب، وجهاز في صباحه وصلى عليه بالأزهر
بمشهد حافل ودفن بالجوارين وبنى على قبره مزار ومقام،
واستقر مكانه في التصدر والتدريس ابنه العلامة الشيخ
أحمد ولازم حضوره تلامذة أبيه، رحمة الله.

٣٠٩ حسن بن نور الدين المقدسي.

[ومات] الامام العلامة الفقيه، واللودعي الذكي النبيه،

عمدة المحققين ومفتي المسلمين الشيخ حسن بن نور الدين المقدسى الحنفى الأزهرى، تفقّه على شيخ وقته الشيخ سليمان المنصورى والشيخ محمد عبد العزيز الزياى وحضر دروس الشيخ مصطفى العزى والسيد على الضرير والملوى والجوهري والحنفى والبلىدى وغيرهم، ودرّس بالجامع الأزهر فى حياة شيوخه ولما بنى الأمير عثمان كتحدا مسجده بالأزبكية جعله خطيباً وإماماً به، وسكن فى منزل قرب الجامع وراج أمره، ولما شغل فتوى الحنفية بموت الشيخ سليمان المنصورى جعل شيخ الحنفية، بعناية عبد الرحمن كتحدا وكان له به ألفة، ثم ابنتى منزلاً نفيساً مشرقاً على بركة الأزبكية بمساعدة بعض الأمراء، واشتهر أمره ودرّس بعدة أماكن كالصرغتمشية المشروطة لشيخ الحنفية والمدرسة الحمودية والشيخ مطهر وغيرها، وألف متناً فى فقه المذهب ذكر فيه الراجع من الأقوال، واقتنى كتباً نفيسة بديعة الأمثال، وكان عنده ذوق وألفة ولطافة وأخلاق (ص ٧٥٠) مهذبة، ومن كلامه ما كتبه على رسالة المعية للشيخ العيدروس.

لمعت بوارق المعية

تفتى عن سر المعية

تهدى إلى الحق المبين

وتوضح السبل الخفية

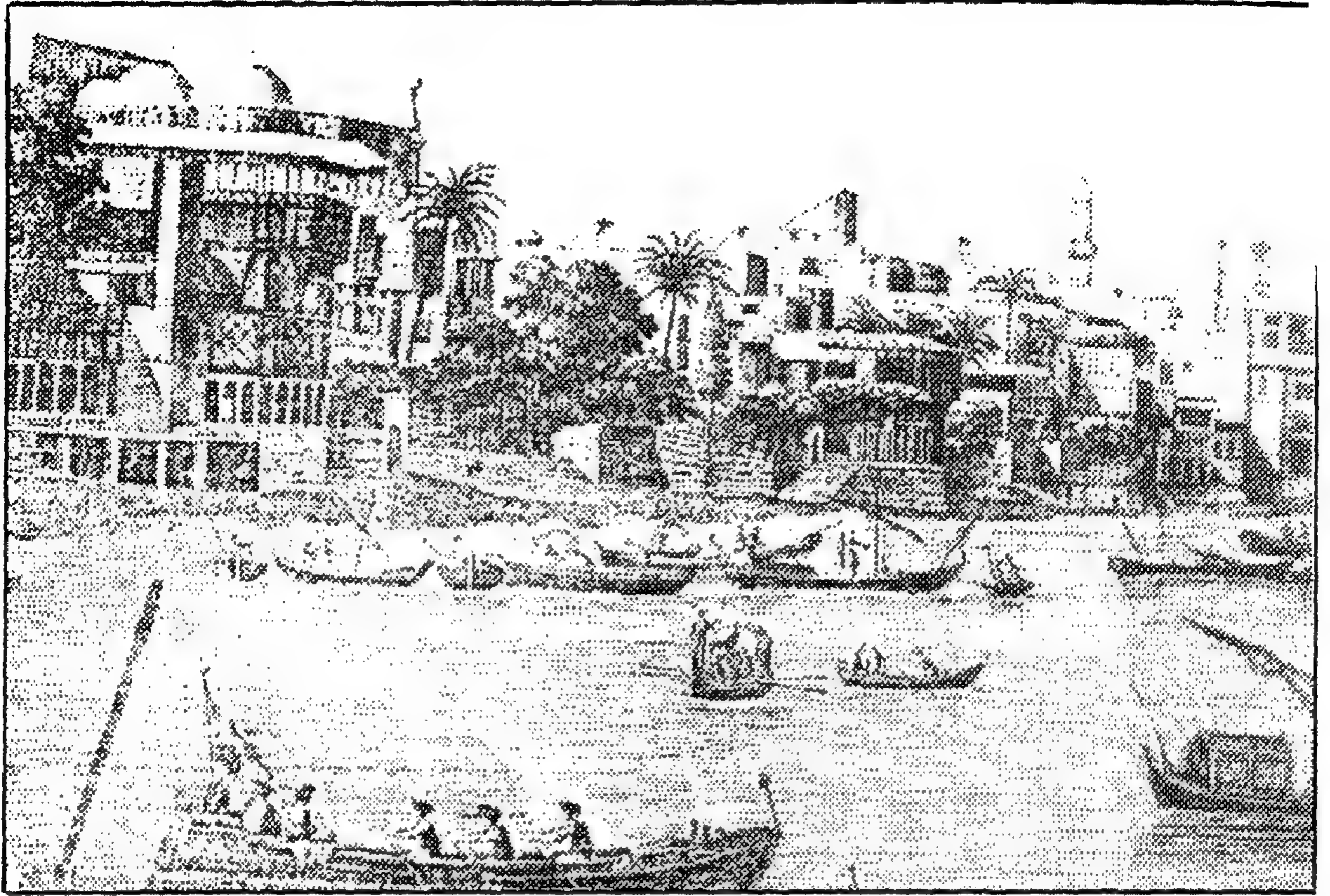
نور الشريف ابن الشر

يف ابن السيرة الألفية

العيدروس العابد الر

حمن ذى المنح الجليل

توفى يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة.



▲ بركة الازبكية

٣١٠ محمد بن بدر الدين الشربابلى

[مات] الإمام العلامة أحد أذكىاء العصر ونجباء الدهر الشيخ محمد بن بدر الدين الشافعى سبط الشمس الشربابلى، ولد قبل القرن بقليل وأجازه جده وحضر بنفسه على شيوخ وقته كالشيخ عبد ربه الديوى والشيخ مصطفى العزيزى وسيدى عبد الله الكنكسى والسيد على الحنفى والشيخ الملوى فى آخرين، وباحث وناضل وألف وأفاد، وله سليقة فى الشعر جيدة وكلامه موجود بين أيدي الناس، وله ميل لعلم اللغة ومعرفة بالأنساب، غير أنه كان كثير الوقعة فى الشيخ محيى الدين ابن عربى، قدس الله سره، وألف عدة رسائل فى الرد عليه، وكان يباحث بعض أهل العلم فيما يتعلق بذلك فينصحونه ويمنعونه من الكلام فى ذلك فيعترف تارة وينكر أخرى ولا يثبت على اعترافه، وبلغنى أنه

ألف مرة رسالة في الرد عليه في ليلة من الليالي ونام
فاحترق منزله بالنار واحترقت تلك الرسالة من جملة
ما احترق من الكتب، ومع ذلك فلم يرجع عما كان عليه
من التعصب، وربما تعصب لمذهبه فيتكلم في بعض مسائل
مع الحنفية ويرتب عليها أسئلة ويغض عنهم، ولما كان عليه
مما ذكر لم يخل (ص ٧٥١) حاله عن ضيق وهيئته عن
رثائه، وأنشد بيتين سمعتهما من الشيخ محمد ابن الشيخ
محمد الدفري، رحمة الله قال

زمان كل حب فيه خب
وطعم الخل خل ولو يذاق
له سوق بضاعته نفاق
فنافق فالنفاق له نفاق
(ومن قوله)

أنا في حماكم يا كرام وإن أكن
أذنبت ذنباً فالكريم غفور
حاشى حماكم أن يضام نزيله
وندى يديكم في الوري مشهور
وله في تاريخ وفاة شيخ القراء بالمقام الشافعي الشيخ عمر
الدعوجي.

نعت النعاة كبير قراء له
فضل فقلت مؤرخاً لمن اعتبر
لنموت إحسان الدعاء بموته
ويموت كيد الكبر بعدك يا عمر
(وله) رسالة سماها تحرير المباحث في تعلق القدرة

بالحوادث، وهذا نصها بعد البسملة:

«الحمد لله * حق حمده، وصلى الله وسلم على من لا نبي من بعده (أما بعد) فقد طال الخلاف وانتشر في تعلق القدرة الأزلية بالأمور الاعتبارية، فمن قايل بالتعلق ومن قايل بنفيه، وأقول هذه المسئلة وإن انتشر الخلاف فيها تنبى على خلاف آخر، وهو أن الحادث لابد وأن يكون موجودا أو هو أعم من ذلك، والعموم هو معتقدنا تبعا لمحققى أئمتنا، (ص ٧٥٢) وعليه فالاعتقاد الذى ينبغى التعويل عليه عموم تعلق القدرة بالحوادث جميعها، موجودها بالوجود الحقيقى وموجودها بالوجود المجازى، ويؤيده أن الاحوال الحادثة لم تدخل فى عبارة القوم مع أن مرادهم عموم التعلق لها قطعاً، غاية أن عبارتهم إما مبنية على الغالب المتفق عليه أو مؤوله بأن يراد بالموجود الثابت، فيعم الأحوال الحادثة بناء على ثبوتها أو يراد به الموجود حقيقة أو مجازاً فيشمل ماذكر، كالأمر الاعتبارية فإنها موجودة باعتبار الاعتبار، ولا بد لها من موجد وإن كان ذلك مسمى بالإيجاد مجازاً لاحقيقة، لما تقرر أنها من جملة الحوادث، وأن اسم الحادث يشملها فدخلت حينئذ فى القاعدة الكلية، أعنى كل حادث لابد له من محدث المسلمة المرضية، ويؤيد اعتبار بقية الموجودات ما صرحوا به من أن الموجودات أربعة: وجود فى الأعيان وهو الوجود الحقيقى، ووجود فى الأذهان وهو الوجود المجازى، ووجود فى العبارة ووجود فى الرقم وهما مجازيان أيضاً، يعنى أن إطلاق اسم الوجود على ماعدا الأول على طريق المشابهة بين الوجود الحقيقى وبينها، وذلك أمانة الاحتياج إلى الموجد، وأنه يوجد بالإيجاد الحقيقى تارة وبالمجازى أخرى، لا يقال إنه معدوم فى نفس الأمر، وإن أطلق عليه

* نص رسالة «تحرير المباحث فى تعلق القدرة بالحوادث» للشيخ محمد بدر الدين الشرنبللى.

اسم الوجود تنزيلاً كما هو شأن المجاز من صحة النفي فيه حقيقة، لأننا نقول إن تلك المشابهة التي اقتضت تنزيله منزلة الوجود رُقَّتْهُ من حضيض العدم المحض إلى ذروة مقابلة، فوجب التعلق والإيجاد، لكن على سبيل المجاز أيضاً لا على سبيل الحقيقة، والا لزم مجازيه المتعلق دون المتعلق، وذلك لا يعقل، نعم لا محذور في تسليم أن التعلق بإثباته حقيقى، لأنه ليس المجاز فيه، لكن هل ذلك الإثبات في نفس الأمر أو في اعتبار المعبر أو فيهما يأتي بما فيه؟ وبالجمل (ص ٧٥٣) فالتعلق له وجه وجيه، ومما يؤيده أيضاً أن العبد ينسب الفعل له ويضاف إليه وإن كان إيجاده له مجازياً أى شرعاً والا فهو حقيقة لغوية بحيث يطلق عليه اسم الوجود مجازاً، فنسبة الأشياء الموجدة بالوجود المجازى إلى الفاعل الحقيقى أولى وأحرى، وأيضاً لو سئل المنكر إضافتها إليه من الذى حصل هذه الأشياء في ذهن المعبر حتى حصلت؟ لم يسعه إنكار النسبة إليه تعالى فإنه يقر بنسبتها إلى المعبر فكيف لا يقر بنسبتها إلى الفاعل الحقيقى جلاً وعلاً؟ وإن كان التأثير ثابتاً في الإعدام ففي الوجود والاعتبارات من باب أولى، وقد سألت شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدى أحمد الملو عن هذه المسئلة فقال «الخلاف فيها ثابت لاشبهة فيه، غير أن الأدب إضافتها إلى الله تعالى ونقله عن المحققين فانظره، لكن أورد عليه أن صفات الأفعال عندنا أمور اعتبارية وهى عبارة عن تعلق القدرة التجيزى الحادث فيلزم أن يحتاج التعلق إلى تعلق وهكذا فيتسلسل وهو محال، وأجيب على تسليم أنها عين التعلق بأنه لا محذور فيه بالنسبة للأمور الاعتبارية لأنها تنقطع بانقطاع الاعتبار، فلم يكن التسلسل فيها حقيقياً حتى يمتنع، نعم يرد لو قلنا بأنها ثابتة في نفس

الأمر مع قطع النظر عن اعتبار المعبر بأن يراد بنفس الأمر ما هو أعم من الخارج وهو أن يكون الثبوت فيه ثبوت الشيء في نفسه بقطع النظر عن تعقل العاقل وذهن الداهن كأبوة زيد لعمره مثلاً فإنها ثابتة اعتبارها معتبر أم لا فاعلمه.

على أن الإشكال وارد في التعلقات وإن لم نسلم أنها هي صفات الأفعال، وجوابه ما مرّ مع ما يرد عليه لو قلنا (ص ٧٥٤) بثبوتها في نفس الأمر، إلا أن يمنع امتناع التسلسل في الأمور الغير الحقيقية لكونها لم تكن من الخارج ولكن منع هذا المنع أحق، وهو عند المحققين أدق، فافهمه غير ملتفت إلى الرجال فإنه بالحق تعرف لا أنه بها يتعرف.

بقي أن الخلاف في هذه المسئلة يكاد أن يكون لفظياً، فإن أحداً لا ينكر عموم تعلق القدرة بالحوادث، وإنما الخلاف هل هذه الأشياء هي الحوادث فتكون من متعلق القدرة أم لا؟

إن بنينا على أن الحادث لا بد وأن يكون موجوداً ويؤيده مارجحوه في مقابلة أن القديم لا بد وأن يكون موجوداً نفينا التعلق وإلا أثبتناه، وإنما اختلف الترجيح في المسألتين وهو اعتبار الوجود في القديم دون الحادث، لما قام عندهم لسيما مراعاة الأدب الذي عرفته من الإضافة إلى جناب الحضرة القدسية، فإن مراعاة ذلك الجناب هو الصواب وإليه المرجع والمآب.

انتهت الرسالة المذكورة.

ولما اطلع عليها الأستاذ الحفنى كتب عليها مانصه بعد البسملة:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وعترته وحزبه (وأما بعد) فقد قلدت عاطل جيد الفهم

* تعليق الأستاذ الحفنى على رسالة التحرير المباحث للشيخ محمد بدر الدين الشرنابلى.

بفرايد فوايد النفع الأعم المحلاة بمحاسنها صدور تلك
الطروس، والمهناة بنفائس أسرار بدايعها النفوس، كيف
ومبديها واسطة عقد النبلا، ونتيجة أعيان الحذاق البلغا
الفضلا، سباق ذوى التحقيق، وفراق سباق فرسان التدقيق،
المنادية السن الحقايق لإظهار فضلة من له الحق دعا الأملعى:
الذى يظن بك الظن

كان قد رأى وقد سمع

وقد وجدت فى حاشية السكتانى* مايؤيد (ص ٧٥٥) هذا
العارف الغارف الدانى حيث قال:

* حاشية السكتانى، هو عيسى بن عبد
الرحمن ت ١٠٦٢ = ١٦٥٢ م.

المراد بوجود الممكن ثبوته من إطلاق الأخص على الأعم
مجازاً قرينته تعليق التأثير على الوصف المناسب وهو
الإمكان، وذلك يشعر بعليته، وإذا كانت العلة هى الإمكان
وهو موجود فى كل الممكنات، ولم يكن فرق بين الحال
وغيرها، فالمراد بالوجود ما هو أعم، انتهى، المراد بالأحوال
فى كونها من متعلقات القدرة وقد صرح بذلك شيخنا
وقدوتنا وعمدتنا الشهاب الملوى فى شرح منظومته الأشعرية
وعبارته «وسابعها قدرة، وهى صفة قديمة تصلح لأن يؤثر
بها مولانا فى ثبوت الجايز، ولم أقل فى إيجاده لإدخال
الوجه والاعتبارات وإدخال الأحوال على القول بها فإن
القدرة تتعلق بها لأنها من الممكنات» انتهى.

لكن التسلسل الذى أورده هذا العلامة على ما بناه لم يظهر
لنا جواب عنه، فما دام وارداً أشكل ما ذكره هؤلاء الأعلام
ولاسيما وقد صرح السكتانى وعبد الحكيم بخلافه، فلعل
الله أن يفتح بالجواب. كتبه محمد الحفناوى مصلياً مسلماً
على النبى وآله وسائر الأصحاب.

ولما عاد إلى المترجم كتب تحته مانصه:

«وقد فتح الله بالجواب على مؤلفه أضعف الطلاب فأقول
ما صرح به السُّكَّتانى وعبد الحكيم صرح به كثير ولسنا
ننازع فى ثبوت القول الآخر الذى صرح به هؤلاء كما نازع
المخالف فى ثبوت ما قلناه فضلاً عن راجحيته وقد أوردنا هذا
الاشكال معترفين بقوته على هذا الذى وقع فى ترجيحه من
المحققين، وقد علمت أن إيراد لا يتوجه إلا على تقدير إرادة
الثبوت فى نفس الأمر، لافى اعتبار المعتبر فيجوز أن يلتزم
مقتضاه، ويقال بعدم المتعلق حينئذ لكونه فى نفسه عدماً
صرقاً (ص ٧٥٦) لاحظ له فى الوجود بخلافه فى اعتبار
المعتبر، فافترقا، ويكون جمعاً بين القولين، فمن قال
بمخلوقيته نظر إلى وجوده فى الأذهان، ومن نفى نظر إلى
فقدته فى الأعيان، وليس الأول مبنياً على القول بالصورة
وأنها عرض كما زعمه المخالف لاتفاق الجميع على حصول
شئ فى الدهن، وإنما وقع الخلاف هل يسمى موجوداً نظراً
لثبوته فيه أم لالفقده فى الخارج؟ وقد وقع اختيار الأئمة أنه
يسمى بذلك مجازاً فأعرفه انتهى. توفى المترجم فى الحرم
افتتاح السنة وصلى عليه بالأزهر ودفن بالقرافة عند جده،
لأمه، رحمة الله تعالى.

٣٩١ أحمد بن إسماعيل بن محمد أبو
الأمداد الوفاي.

[مات] الجنب الأمجد والملاذ الأوحى حامل لواء علم المجد
وناشره، وجالب متاع الفضل وتاجرهم، السيد أحمد بن
إسماعيل بن محمد أبو الأمداد سبط بنى الوفا، والده وجده
من أمراء مصر، وكذا أخوه لأبيه محمد، وكل منهم قد تولى
الإمارة، والمترجم أمه هى ابنة الأستاذ سيدى عبد الخالق بن
وفا، ولد بمصر ونشأ فى حجر أبويه فى عفاف وحشمة
وأبهة، أحبه الناس لمكان جده لأمه المشار إليه مع جذب فيه

وصلاح، وتولى نقابة السادة الأشراف سنة ثمان وستين
وماية وألف، وسار فيهم سيرة مرضية وقد مدحه الشيخ عبد
الله الإدكارى بأبيات وفيها لزوم مالا يلزم
قالوا نقابة مصر أودى كفؤها
وتسر بلت بحدادها واستخفت
فاجبت كلا بل لها الكفاء الذى
رتب العلا بفخاره قد حفت
هو ذو المحامد أحمد من ذاته (ص ٧٥٧)

جمل الفضائل والكمال استوفت
لما دعاها أذعنت واستبشرت
وأنته طائعة ولم تلتفت
وتبرجت فلذاك قلنا أرخوا
أدباً لأحمدنا النقابة زفت

[ثم] بعد وفاة السيد أبى هادى بن وفا تولى الخلافة الوفائية
وذلك فى سنة ست وسبعين وماية ألف، وقد أرخه الشيخ
المذكور بقصيدة وهى هذه؛

قليل لى هل مدحت آل على
من بهم يكتسى الأديب الشرافه
ال بيت الوفاء من خصصوا
بالمجد والفخر والتقى والأنافه
قلت مناقدر مدحتى لكرام
بهم تأمن الأنام الخفافه
غير أنى لفرعهم أحمد الحج
سد ساجلو بمنطقى أوصافه

هو بيت الأفضال شمس المعالي
أوحد الفضل جامع للطفه
منه أضحى دست الخلافة من صد
رخلياً ومادروا إسعافه
قال أعلى الجود في الحال هاتوا
نجلنا أحمد الذكي العرافه
قدموه فقلت في الحال أرخ
جده قد أولاه ركن الخلافة

ولما تقلد ذلك نزل عن النقابة للسيد محمد أفندي
(ص ٧٥٨) الصديقي وقنع بخلافة بيتهم. وكان إنساناً
حسناً بهياً ذا تودة ووقار وفيه قابلية لإدراك الأمور الدقيقة
والأعمال الرياضية، وهو الذي حمل الشيخ مصطفى الخياط
الفلكي على حساب حركة الكواكب الشابتة وأطوالها
وعروضها ودرجات ممرها ومطالعها لما بعد الرصد الجديد إلى
تاريخ وقته، وهي من مآثره مستمرة المنفعة لمدة من السنين،
واقنتى كثيراً من الآلات الهندسية والأدوات الرسمية رغب
فيها وحصلها بالائتمان الغالية، وهو الذي أنشأ المكان
اللطيف المرتفع بدارهم المجاور للقاعة الكبيرة المعروفة بأم
الأفراح المطل على الشارع السلوك ومابه من الرواشن
المطللة على حوش المنزل والطريق ومابه من الخزائن
والخورنقات والرفارف والشرفات والرفوف الدقيقة الصنعة
وغير ذلك، وهو الذي كنى الفقير بأبي العزم، وذلك في
سنة سبع وسبعين ومائة وألف، برحاب أجدادهم يوم المولد
النبوي المعتاد. وتوفي في سابع المحرم سنة تاريخه وصلى عليه
بالجامع الأزهر بمشهد حافل، ودفن بترية أجدادهم، نفعا

الله بهم وأمدنا من إمدادهم، وتولى الخلافة بعده مسك ختامهم ومهبط وحى أسرارهم، نادرة الدهر، وغرة وجه العصر، الإمام لعلامة، واللوزعى الفهامة، من مصايح فضله مشارق الأنوار، السيد شمس الدين محمد أبو الأنوار.

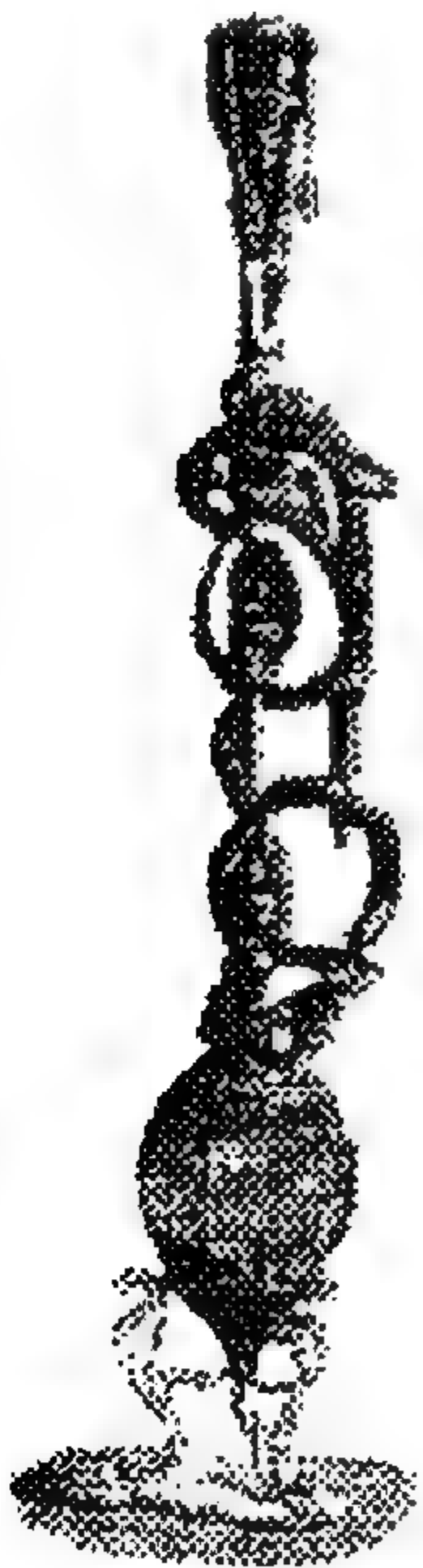
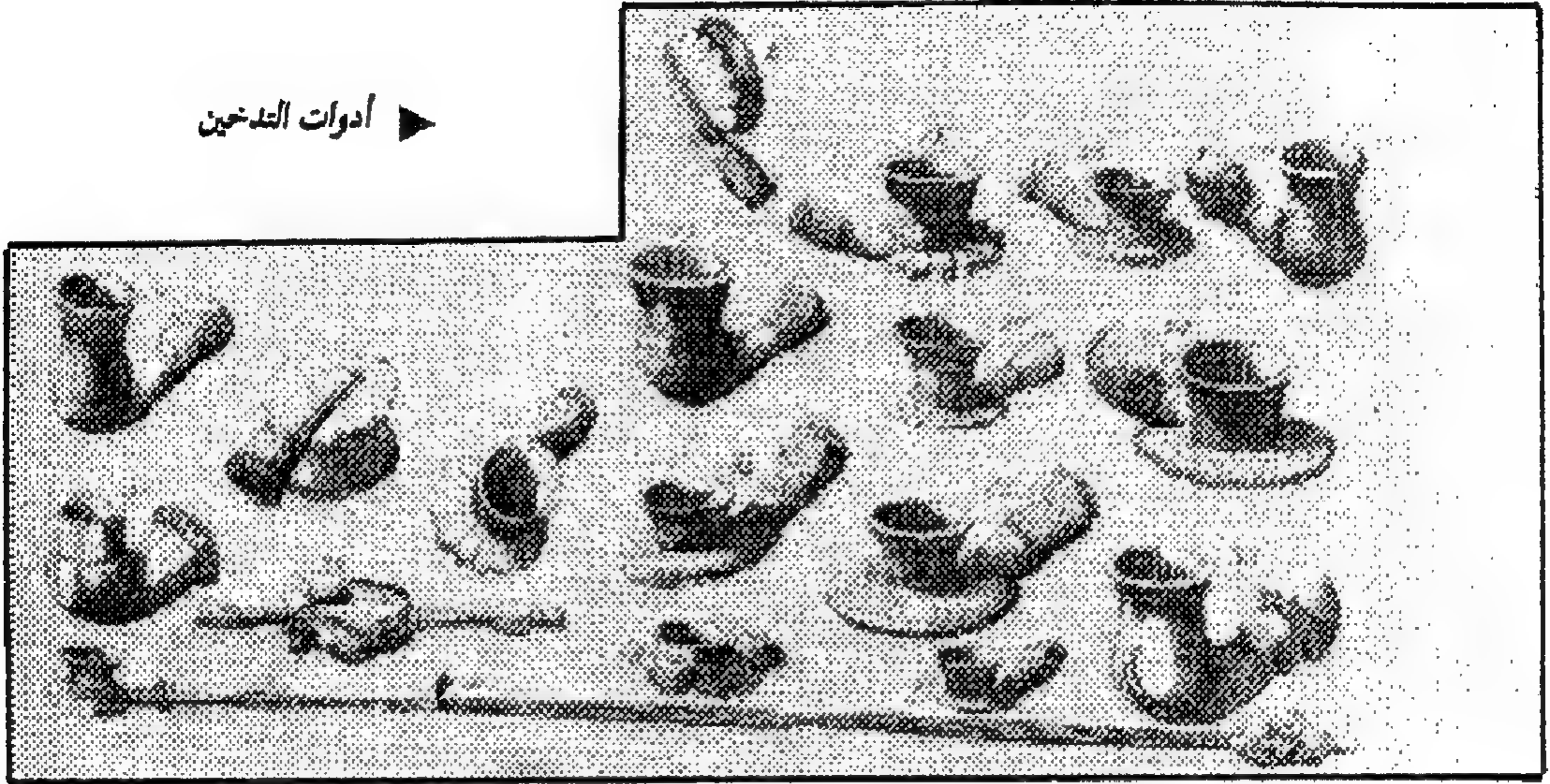
بحر من الفضل الغزير خضمه
طامى العباب ومابه من ساحل

نسأل الله لحضرته طول البقاء، (ص ٧٥٩) ودوام العز والارتقاء، آمين.

٣١٢ عبد الرؤوف بن محمد السجيني شيخ الأزهر.

[مات] الإمام العلامة الفقيه النبيه شيخ الإسلام، وعمدة الأنام، الشيخ عبد الرؤوف بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد السجيني الشافعى الأزهرى شيخ الأزهر وكنيته أبو الجود، أخذ عن عمه الشمس السجيني ولازمه وبه تخرج، وبعد وفاته درس فى المنهج موضعه، وتولى مشيخة الأزهر بعد الشيخ الحفنى وسار فيها بشهامة وصارمة إلا أنه لم تطل مدته، وتوفى رابع عشر شوال وصلى عليه بالأزهر ودفن بجوار عمه بأعلى البستان. واتفق أنه وقعت له حادثة قبل ولايته على مشيخة الجامع بمدة، وهى التى كانت سببا لاشتهار ذكره بمصر، وذلك أن شخصاً من تجار خان الخليلى تشاجر مع رجل خادماً فضربه ذلك الخادم وفر من أمامه، فتبعه هو وآخرون من أبناء جنسه فدخل إلى بيت الشيخ المترجم، فدخل خلفه، ضربه برصاصة فأصاب شخصاً من أقارب الشيخ يسمى السيد أحمد فمات، وهرب الضارب فطلبوه فامتنع عليهم، وتعصب معه أهل خطته

► أدوات التدخين



نارجيله (شيشه)

وأبناء جنسه، قام الشيخ عبد الرؤوف وجمع المشايخ والقاضى وحضر إليهم جماعة من أمراء الوجاقلية وانضم إليهم الكثير من العامة وثارت فتنة أغلق الناس فيها الأسواق والحوانيت واعتصم أهل خان الخليلى بدابيرتهم وأحاط الناس بهم من كل جهة، وحضر أهل بولاق وأهل مصر القديمة وقتل بين الفريقين عدة أشخاص، واستمر الحال على ذلك أسبوعاً، ثم حضر على بك أيضاً وذلك فى مبادئ أمره قبل خروجه منفياً واجتمعوا بالحكمة الكبرى، وامتلا (ص ٧٦٠) حوش القاضى بالغوغاء والعامة وانحط الأمر على الصلح وانقض الجمع ونؤدى فى صباحها بالأمان وفتح الحوانيت والبيع والشراء وسكن الحال.

[ومات] الشيخ الصالح الخير الجواد أحمد بن صلاح الدين الدنجي الدمياطي شيخ المتبولية والناظر على أوقافها، وكان رجلا ريسا محتشما صاحب إحسان وبر ومكارم أخلاق، وكان ظلا ظليلا على الشجر يأوي إليه الوردون فيكرمهم ويواجههم بالطلاقة والبشر التام مع الإعانة والإنعام، ومنزلة مجمع للأحباب ومورد لا تناس الأصحاب، توفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة عن ثمانين سنة تقريبا.

[ومات] الإمام الفاضل أحد المتصدرين بجامع ابن طولون الشيخ أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عامر العطش الفيومي الشافعي، كان له معرفة في الفقه والمعقول والأدب، بلغنى أنه كان يخبر عن نفسه أنه يحفظ اثني عشر ألف بيت من شواهد العربية وغيرها، وأدرك الأشياخ المتقدمين وأخذ عنهم، وكان إنسانا حسنا منور الوجه والشيبة، ولديه فوايد ونوادر، مات في سادس جمادى الثانية عن نيف وثمانين سنة تقريبا، غفر الله له.

[ومات] الأمير خليل بك القازدغلي، أصله من مماليك إبراهيم كتحدا القازدغلي، وتقلد الإمارة والصنجدية بعد موت سيده وبعد قتل حسين بك المعروف بالصابونجي، وظهر شأنه في أيام علي بك الغزاوي وتقلد الدفتردارية، ولما سافر علي بك أميرا بالحج في سنة ثلاثة وسبعين جعله وكيلا عنه في رئاسة البلد ومشيختها، وحصل ما حصل (ص ٧٦١) من تعصبهم على علي بيك وهروبه إلى غزة كما تقدم وتقلبت الأحوال، فلما نفى علي بك جن في المرة الثانية كان هو المتعين



▲ منظر خارجي لجامع بن طولون، ويشاهد أعلى مئذنته المركب (العشارية) التي كان يوضع بها الحبوب للطيور على عادة المعابد الفرعونية القديمة.

للامارة مع مشاركة حسين بك كشكش، فملا وصل على بك وصالح بك على الصورة المتقدمة هرب المترجم مع حسين بك وباقي جماعتهم إلى جهة الشام ورجعوا في صورة هائلة، وجرد عليهم على بك وكانت الغلبة لهم على المصريين فلم يجسروا على الهجوم كما فعل على بك وصالح بك، فلو قدر الله لهم ذلك كان هو الرأى، فجهز على بك على الفور تجريدة عظيمة وعليهم محمد بك أبو الذهب وخشداشينه، فخرجوا إليهم وعدوا خلفهم ولحقوهم إلى طنطا [طنطا الحالية]، فحاصروهم بها وحصل ما حصل من قتل حسين بك ومن معه، والتجأ المترجم إلى ضريح سيدى أحمد البدوى فلم يقتلوه إكراما لصاحب الضريح، وأرسل محمد بك يخبر مخدومه ويستشير في أمره، فأرسل إليه بتأمينه وإرساله إلى ثغر اسكندرية، ثم أرسل بقتله فقتلوه بالثغر خنقا ودفن هناك، وكان أميراً جليلاً ذا عقل ورياسة، وأما الظلم فهو قدر مشترك فى الجميع.

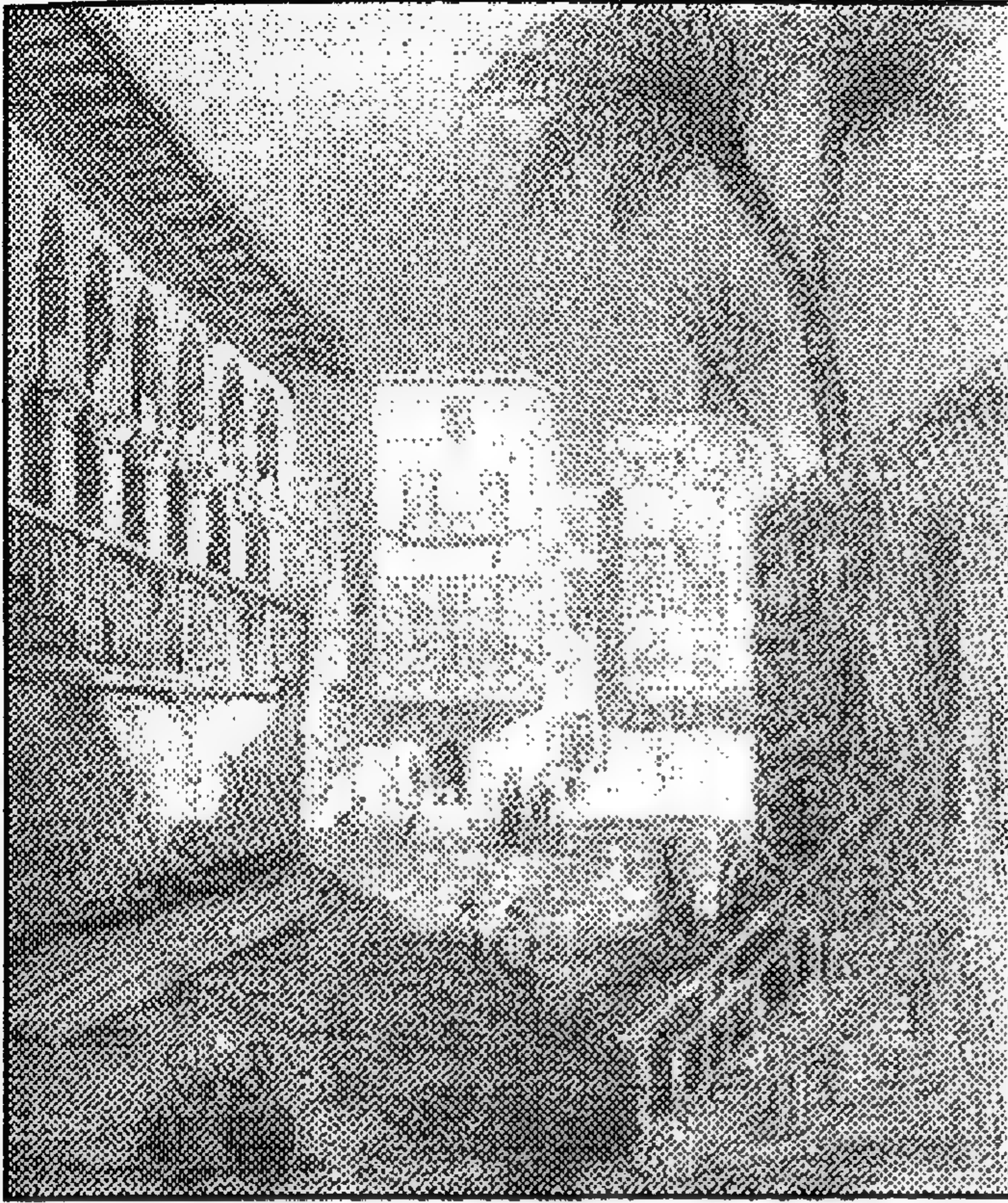
٣١٦ حسين بك كشكش القازدغلى.

[مات] أيضاً الأمير حسين بك كشكش القازدغلى وهو أيضاً من مماليك إبراهيم كتنخدا وهو أحد من تأمر فى حياة أستاذه، وكان بطلا شجاعاً مقداماً مشهوراً بالفروسية، وتقلد إمارة الحج أربع مرات آخرها سنة ست وسبعين ومائة وألف، ورجع أوائل سنة سبع وسبعين، ووقع له مع العرب ما تقدم الإلماع به فى الحوادث السابقة، وأخافهم وهابوه حتى كانوا يخوفون بذكره أطفالهم، وكذلك عربان الأقاليم المصرية، وكان (ص ٧٦٢) أسمر جهورى الصوت عظيم اللحية يخالطها الشيب، يميل طبعه إلى الحظ والخلاعة، وإذا لم يجد من يمازحه فى حال ركوبه وسيره مازح سواسه وخدمه

وضاحكهم، وسمعتة مرة يقول لبعضهم مثلاً سايراً ونحو ذلك، وكان له ابن يسمى فيض الله كريم العين فكان يكنى به ويقولون له أبو فيض الله، مات بعده بمدة. قتل المترجم طندتا وأتى برأسه إلى مصر كما تقدم ودفن هناك وقبره ظاهر مشهور، ودفن أيضاً معه مملوكه حسن بك شبكة وخليل بك السكران وكانا أيضاً يشبهان سيدهما في الشجاعة والخلاعة.

[مات] الأمير الكبير الشهير صالح بك القاسمي وأصله مملوك مصطفى بك المعروف بالقرد، ولما مات سيده تقلد الإمارة عوضه، وجيش عليه خشداشينه واشتهر ذكره، وتقلد إمارة الحج في سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف كما تقدم في ولاية على باشا الحكيم، وسار أحسن سير ولبسته الرياسة والإمارة والتزم ببلاد أسياده واقطاعاتهم القبلية هو وخشداشينه وأتباعهم، وصار لهم نماء عظيم وامتزجوا بهوارة الصعيد وطباعهم ولغتهم، ووكله شيخ العرب هممام في أموره بمصر وأنشأ داره العظيمة المواجهة للكباش [بالمقطم]، ولم يكن لها نظير بمصر، ولما نما أمر على بك ونفى عبد الرحمن كتخدا إلى السويس، كان المترجم هو المتسفر عليه، وأرسل خلفه فرماناً بنفيه إلى غزة، ثم نقل منها إلى رشيد ثم ذهب من هناك إلى الصعيد من ناحية البحيرة، وأقام بالمنية وتحصن بها وجرى ماجرى من توجيه المحاربين (ص ٧٦٣) إليه وخروج على بك منفياً وذهابه إلى قبلى وانضمامه إلى المذكور كما تقدم بعد الأيمان والعهود والمواثيق وحضوره معه إلى مصر على الصورة المذكورة آنفاً، وقد ركن إليه وصدق مواليقه

٣١٧ صالح بك القاسمي.



▲ احده شوارع رشيد.

ولم يخرج عن مزاجه ولا ما يامر به مثقال ذرة، وباشر قتال حسين بك كشكش وخليل بك ومن معهما مع محمد بك كما ذكر آنفاً، كل ذلك في مرضاة على بك وحسن ظنه فيه ووفائه بعهده إلى أن غدر به وخانه وقتله كما ذكر، وخرجت عشيرته وأتباعه من مصر على وجوههم، منهم من ذهب إلى الصعيد ومنهم من ذهب إلى جهة بحرى. وكان أميراً جليلاً مهيباً لين العريكة يميل بطبعه إلى الخير ويكره الظلم، سليم الصدر ليس فيه حقد، ولا يتطلع لما فى أيدي الناس والفلاحين، ويفلق ماعليه وعلى أتباعه وخشداشينه من المال والغلال الميرية كيلا وعينا سنة بسنة، وقوراً محتشماً كثير الحياء، وكانت إحدى ثناياه مقلوعة فإذا تكلم مع أحد جعل طرف سبابته على فمه ليسترها حياء

من ظهورها حتى صار ذلك عادة له، ولما بلغ شيخ العرب
 همام موته اغتم عليه غمًا شديدًا وكان يحبه محبة أكيدة
 وجعله وكيله في جميع مهماته وتعلقاته بمصر ويسدد له
 ما عليه من الأموال الميرية والغلال، ولما قتل الأمير صالح
 بك أقام مرميا تجاه القرن الذي هناك حصّة، ثم أخذوه في
 تابوت إلى داره وغلوه وكفنوه ودفنوه بالقرافة، رحمة
 الله تعالى.

٣١٨ جعفر بن محمد البيتي السقاف بأعلوى
 الحسيني.

[مات] وحيد دهره في المفاخر، وفريد عصره في المآثر،
 نخبة السلالة الهاشمية، طراز العصابة المصطفوية، السيد
 جعفر بن محمد البيتي السقاف بأعلوى الحسيني أديب
 جزيرة الحجاز، ولد بمكة وبها أخذ عن النخلي (ص ٧٦٤)
 والبصري وأجيز بالتدريس فدرس وأفاد واجتمع إذ ذاك
 بالسيد عبد الرحمن العيدروس وكل منهما أخذ عن
 صاحبه، وتنقلت به الأحوال فولى كتابة البيع ثم وزارة
 المدينة وصار إماما في الأدب يشار إليه بالبنان، وكلامه
 العذب يتناقله الركبان، وله ديوان شعر جمعه لنفسه فمن
 ذلك قوله:

* السحر: بفتح السين والحاء هو قبيل
 الصبح.

حيى بكاسك لي مع نسمة السحر*

* سحري بفتح السين والحاء أيضا بمعنى
 (رثي). وقوله من نحري إلى سحري أي
 من أعلى الصدر إلى الرئة.

وسلسلى الراح من نحري إلى سحري*

حيى براحك يارواحي على جسدي

فديك بالنفس ياسمعي ويا بصري

هي بشمسك في ظل الشباب وفي

ظل الغصون وفي ظل من الشعر

هي وشقي قميص الفى من قبل

فالراح شقت قميص الليل من دبر

ووسطى بيننا فى الشرب واسطة
 من كأس ثغرك هذا الطيب العطر
 خداك والروض أزهار مضاعفة
 وذى الدرارى وذى الكاسات كالدرر
 ناهيك من جودة التجنيس بينهما
 ماطيب الشرب بين الزهر والزهر
 صفى قنانيك حول الكاس راحة
 وحى على وأقيمى الوتر بالوتر
 دنيك معشوقة والخمر ريقها
 ياضية العمر بين السكر والسكر*
 ردى عهدك لى كى اشتكى حزنى
 إلى ريعى ماكابدت فى صفرى

* السكر: بضم السين وسكون الكاف هو
 الاسم من سكر. أما السكر بفتح السين
 والكاف فهو الخمر.

ومنها فى التخلص:
 والجاهلية شتى فى فروعهم
 وأصلهم واحد من أول الفطر
 كل يميل إليه مايناسبه
 وليس ذاك بموقوف على البشر
 مئلى لأسماء إسماعيل أوجبته
 منه الجناس وأمر غامض النظر
 وألفه من ألت* بيننا سبقت
 ولم ألهما وقد جاءت على قدر

* ألت : فيها إشارة إلى الآية الكريمة
 وألت بربكم المقصود هنا هو تذكير
 المخاطب بما بينهما من مودة سابقة.

فحب سلمى وأسماء زایل عرض
 والجوهر الفرد إسماعيل وهو حرى
 وهى طويلة، ومن شعره فى المجرى ما أرسل به إلى بعض
 أصحابه منها:

يا ابن ودى وصديقى
 حال ماتقرا البطاقة
 البس العممة واحضر
 ولا يكن عندك عاقبة
 واركب الأدهم واركنض
 واغطه منك الطلاقه
 واكتم الأمر وبادر
 غفلة دون الرفاقه
 كمل الوقى الثلاثى
 ولنا نحبك شاقه
 فلدينا ككاس راح
 واصطباج واغتباقه
 ومليح أخجل الأغصان لينا ورشاقه
 ومليح يشتهى للبروس* إن شئت اعتناقه
 ببخس الآيار بالكيل ويستثنى وثاقه
 كلما اشتقت إلى البر
 جاس حليت نطاقه
 من ورا يعطى وقدا
 م محبا وعياقه
 (ص ٧٦٦) ونديم فى المعاصى
 خارج من ألف طاقه
 وهى طويلة (وله من أخرى).
 قسد خلينا أمس لكن
 بقيت عندى خيله
 فاسقنا واشرب إلى أن
 نبق فى المجلس مُسئله

* البروس: بفتح الباء وسكون الواو هو الثقيل.

مايلذ السكر حستى
 يمضغ السكران نعله
 ويرى البغلة ديكاً
 ويظن الفصيل نمله
 اسمع القسيس قد دق
 لشرب الراح طبله
 غفلة الواشى اغتتمها
 لا تكن عندك غفلة
 إن تأخرت قليلاً
 كتبت سبعون زله
 خل عني قسام زيد
 قعدت هند وغبله
 ضربت تضرب ضرباً
 كل ذاك الصررف عله
 حرت فى يعقوب والرمى متى أعرف رمله

(من شعره).

سلم لمن رقصاه حظ كـ
 يُسلم الفرزان للبيدق*
 فطاوع الصانع ثم انطبع
 بكل مـاشكل فى الريزق
 (وله).

* الفرزان بكسر الفاء وسكون الراء من قطع الشطرنج وهو كلمة فارسية معربة.

* البيدق: كلمة فارسية ترسم بالبدال، ومعناها أحد جنود المشاة. وتطلق على أحد قطع الشطرنج.

فضلك رزق زايد فوق ما
 ترزقه مع ساير الخلق
 لأنه لايد من بلغلة
 ثم الحججاً رزق على رزق

تجاوز عن مرام النطق منى
 أرانى مایطاوعنى لسانى
 أخافك أولا إن قلت صدقا
 وإن أكذب أخاف الله ثانى
 فأسكت مطرقا حتى أرجح (ص ٧٦٧)
 مقالا معك فيه صلاح شأنى
 فلا تنكر جمودى إن رقصى
 على مقدار تحريك الزمان
 يصد المرء يوما عن حديثى
 فتدخلنى البلادة والتوانى
 ويقبل لاستماع القول خلى
 فأصدع بالبراعة والبيان
 (وله).

تحرك لحفظ الشئ عندك مرة
 فإن أنت لمن تفعل تحركت أربعاً
 ومن تك قد جربتة فحمدته
 فعض عليه بالنواجذ أجمعا
 ولا تحول عن أخ قد عرفته
 لآخر ما جربتة تندما معاً
 ومالناس إلا كالدواء فبعضه
 شفى وكفى والبعض اذى وأوجعا
 ودار عدوا والصديق لنفعه
 فمن لم يدار المشط ضر وقطعا

(وله).

كل امرئ شاوره في صنعته
لاتسأل الخياط عن بحر الخشب
وقلد الحاضر في الأمر الذي
قد غاب عنك فهو أدري وأطب
(وله).

جميع أمورك اضبطها بحزم
وقدم ربط أقربها ذهاباً
وباب الشرع لاتتركه تلجأ
إليه أو لأضيق منه باباً
وكل قضية تخشى عليها
فاودعها شهودك والكتاب
(وقال في سليم بعمل التبديل):

تقول أضناني الغزال الألعس*
يحفظه رب السما ويحرس
عواذلي إن بسلوى وسوسبوا
لى مركز في السقم ثوب يلبس

* الألعس بفتح العين سواد مستحسن في
الشفة، يقال غزال ألعس أى فيه ملاحظة
وحسن.

(وقال في هلال بعمل الاشتراك والقلب وغيره):
واستفهموني عن مليح ذاته
كالبدر بل صورته مرآته
فالنصف في استفهامه أداته
ولاتدور آخر أهيناته

(في ناصح بعمل التأليف والتشبيه وغيره):
البسنى هجرانه ثوب السقم
وصد عن عين الكرى فما ألم

وراح يقرأ في الضحى ثم ألم
فصبح سقمى بعد نون والقلم
في سمس بعمل الحساب:

قيـدنى على هواه وربط
ثم نأى عن المزار وشـحـط
صحف في كتاب عهدى ونقط
كان وداداً فتعالى فهبط
(ص ٧٦٩) (في حصان بعمل القلب وغيره)

أهواه سحر اللحاظ والرنا
أهيف يزرى قـدـه على القنا
أفنائى السـقـم ويانعم الفنا
مذ نهـه الناصح فيه فانشئ
(في أسماء بعمل التشبيه والترادف):

سألتـه عن اسمـه حين ورد
فقال ذا جميعه لمن قصد
فاستخرج الحية من بطن الأسد
وحطها في ذيله من غير حد
(في مسجد بعمل الترادف):

قامته كالسمهرى قامت
على دمي تبـيـحه ودامت
وعينه راومتها فرامت
كمثل عين قد غفت فنامت
(في غزال بعمل الإسقاط والكناية والإدخال):

قامته السـرا * وأسياف المقل

غزوان شنا الحرب فى سرح الأجل

* السرا: هي السراء وهي شجرة طويلة
تصنع منها الأقواس فقولته (قامته سرا) أى
أنه طويل القامة.

صامما عن الراحة في نيل الأمل
وانتعملا من الحفا خف جمل
(في إبرة بعمل التحليل) :

قد واصلت كل المنى مضمناها
وانتهض الشيخ إلى لقائها
فيالها من سجدة في طيه
حين أبى قدامها وراها
(ص ٧٧٠) (في غمام بعمل الكناية والإدخال) :

غلامك الهام ياذا الرشاشا
أجزعه الواشي بما عنه وشاشا
عسى بما تدركه فينعشاشا
فؤاده إن الغلام عطشاشا
(وقال فيما اصطلحوا عليه في التشبيه) :

وكل مااستدار مثل الخال
وكوكب وقطرة لآلى
لنقط مثل اللام للعذار
وقس بدا ماشاع باشتهار
كحياة وقامة وكالعصا
لألف تريدها مخصصا
وثم فن اللغز والمعجمي
نخصت من واجبه الأهمما
(وقال معارضا قصيدة فتح الله النحاس) :

رأى البق من كل الجهات فراعته
 فلاتنكروا إعراضه وامتناعه
 ولا تسألوني كيف بت فإنني
 لقيت عذاباً لا أطيع دفاعه
 نزلنا بهمرسى ينبع البحر مرة
 على غير رأى ما علمنا طباعه
 نقارع من جند البعوض كتائباً
 وفرسان ناموس عدمننا قراعته
 فلو عاينت عيناك ميدان ركضه
 رأيت جرى القلب فيه شجاعة
 (ص ٧٧١) وجنداً من الفيران في البيت كمنّا
 متى وجدوا خرقاً أحبوا اتساعه
 ومن حط شيئاً في جراب وبطة*
 فما رام عند الفأر إلا ضياعه
 وسُرْبَة قمل تنبى إثر سربة
 خفاقاً إلى مص الدماء سراعته
 ينازعها البرغوث لحمى فليته
 رضى بتسلافي واكتفينا نزاعه
 فلو يجد الملسوع من عظم مابه
 من الصخر درعا لاستخار ادراعته
 قرب قميص كان شراً من العرى
 إذا ضمه الملتاع زاد التباعه
 كأنى وصى للبراغيث قايماً
 أقبت له أيتامه وجياعه
 إذا شبع الملعون مج دما على
 ثيابي فلا أحيا إلا له شباعه

* بطة: وعاء الدهن، وهو إناء كالقارورة
أبطح.

فمما رشنا بالدم إلا لسانه
 ولم ترعيني مكره وخداعه
 سلوا عن دمي سارى البعوض فإني
 علمت يقينا أنه قد أضاعه
 قلله جلد صار بالحك أجريا
 أخاف عليه يافلان انقشاعه
 وعظم سلاق قد تولع بالخصا
 وحر أذاب الجسم ثم أماعه
 وتتن كيف كلما هان عرفه
 (ص ٧٧٢) أحاط به واشى الهوى فأذاعه
 بخار كيف ربما جلب العمى
 وسبب للآتى إليه الصراعه
 فلو كان يجدى المرء تجديع أنفه
 لود الذى يأتى الكيف اجتداعه
 لو كان قطع الأكل والشرب نافعا
 لآثر بين العالمين انقطاعه
 وكم قد أكلنا نملة وذبابه
 وفارا بلعنا أذنه وكراعه
 وماء زلاع صار معجون علة
 شربناه كرها وادخرنا زلاعه
 وباء وسقم لامحالة كله
 ونرجس من الله العظيم ارتفاعه
 فلا تعدلوا المسكين إن عيل صبره
 وأظهر من جور الزمان انفجاعه
 فقد مارس الأهوال فى أرض ينبع
 ووطأ فرق الغانيات اضطجاعه

ذرعت العنا فيه يمينا ويسرة
 وصيرت صبرى والتأسى ذراعه وكشفت
 فأعدلنى طول المقام
 عن وجه اصطبارى قناعه
 إذا رنم الناموس حولى أعلنى
 وصدع قلبى بالسجوع وراعه
 وإن مص من دمي وطار تبعته
 إلى فانت منه أرجى ارتجاعه
 (ص ٧٧٣) عدمت غناء مثل أنغام سجعه
 فما كان أشنى سجعه وابتداعه
 ضعيف قوى لا يستقر من الأذى
 وأضعف منه من يرجى اصطناعه
 وقد نفدت فى دفعه كل حيلة
 ولو كنت بالحسنى طلبت اندفاعه
 فيا لأصيحابى اقتلونى ومالكاً
 فقد مد نحوى مفسد البق ورعاعه
 وأصبحت فى دار المشقة والعنا
 أخالطُ أرغاد الورى ورعاعه
 وكلها من الأعراب* يعوى كأنه
 يرهى إذا لالى الأمين ابتلاعه
 فلو صاح فوق الصخر خر لوقته
 وأبصرت من ذاك الصياح انصداعه
 براه إله الخلق للناس نقمة
 وقد من الصخر الأهم طباعه
 فسارحم الرحمن أرضاً يحلها
 وباعد عنا بالسنين اتجاعه

* فى دم الاعراب.

ومن كل جبار عنيد يرى الورى
 عبدا لديه والبقاع بقاعه
 شقى عصى الرحمن فى كل أمره
 ومال إلى شيطانه وأطاعه
 فقل لرعاة الوقت إن نعاكم
 أتاح لها رب الزمان سباعه
 فهل لكم فى لم شمل الذى بقى
 (ص ٧٧٤) برأى بديع تحسون ابتداعه؟
 ولا فإن الأمر لله كله
 ولا رأى فى خرق يهد الساعه
 سلونا عن الدنيا فكل نعيمها
 متاع غور لا يدوم متاعه
 وما اعتضت من كولى أديها وفاضلا
 لدى الناس إلا قوله وسماعه
 ومن كان يرجو فى الأمانة مفعما
 فخلوا له أوضاعه وخراعه
 وقولوا له هذاك يبيع حاضر
 لمن رام يبلو ضره وانتفاعه
 فكم كاتب أفنى المراع كتابة
 ومل وألقى فى المراع كتابه
 وكم بدوى داسه فوق بطنه
 ومزق ما بين الأنام رقاعه
 ومن جاءكم منا مع الليل شاردا
 فذاك لهول واقع فيه راعه
 ومن يمتنع عن خلسة مثل هذه
 فلا تنكروا إعراضه وامتناعه

فما يكسب الكيال إلا غباره
ولا الكاتب المسكين إلا صداعه

* رسالة أدبية من عهد الجبرتي.

(ومن إنشائه) هذه المراسلة: إن أبدع براعة يستهل بها
الوداد، ويدبج محاسنها كمال الاتحاد، وأجلى مذهب تسرع
إلى معقله الهمم، وأحلى مشرب يكرع من منهله القلم،
عرانس تحيات (ص ٧٧٥) تزفها مواشط النسيم، وتحفها
أتراب التكريم والتسليم بختام من مسك ومزاج من تسنيم،
فتسفر بها أسفار الخبة، مع سفير أكيد الصحبة، محمولة
على موضع الأخلاص، تالية لمقدم مزيد الاختصاص، شعر:

قرنتهن تحيات يعززها

منى السلام ووتر الحمد يشفعها

تؤم مرتبج الآمال منتجع الإ

فضال بل مشرق النعمى ومطلعها

مختار رأى العلا من راقبت قدرا

به العناية حتى جل موقعها

فقليل ذلك فضل الله من به

ونعمة الله يدرى أين موضعها

ولاجرام فقضاياه إلى الحكم موجهات، وأنواع أجناس وضعه
مختلطات، وعلى وحدة الصانع تدل المصنوعات، ومولانا
المشار إليه أو حدى من انطوى فيه العالم الأكبر، وانتشرت
به آية الفضل المطوى المضمّر، فهو فى الأسلوب الحكيم
إقليم التعاليم. وفى ديوان الأدب لسان العرب، وفى عدل
الميزان الحجة والبرهان والسلم إلى الإيقان، ولوجوه الأعيان
مرآة الزمان، والقرآن الأوسط وفى الأقران، نكتة العقل

الأول ومشرعه، ونهاية كمال الطبع ومطلعه، (شعر):

ياله من صحيح نعتي حديثا

بحر فضل يرويه ابن معين*

رافع الوضع فهو فاعل فعل (ص ٧٧٦)

أظهرته الأقدار في التكوين

معدن حل فيه جواهر علم

ليس في سر غيبه بظنين

مثل ماكانت والاهرام مبنى لكل معنى مصون

يتبدل طورا وطورا تراه

يتعالى على اختلاف الشئون

ماجد منطقي يقصر عنه

ليس قدر الميزان كالموزن

والى هاهنا وصلنا إلى النعت ومن فوق ذاك علم اليقين

لاخلاه الجميل يبقى ولازا

لت علاه الذرا ليوم الدين

(وبعد) فالموجب من الخلف لهذا التعهد، والمقتضى لمزيد

التودد، هو ميل الروحانية إلى المناسب، وتآلف الطبيعة

بالملازم المناسب، ولاغرو فإنني لمزيد الاشتياق، وطباق بديع

الاتفاق، شعر:

خلقتُ الوقا لو رددت إلى الصبا

لفارقت شئبي موجع القلب باكيا

ومع ذلك فعلامات الأسباب في منهاج البيان، وتلخيص

هذا النظام، تذكرة لتشحيذ الأذهان، وموجز ذلك على

* ابن معين: يقصد به محيي بن معين بفتح
الميم وكسر العين وهو من القرن الثالث
الهجرى ومن المعاصرين لأحمد بن حنبل.

قانون العادة، للشفاء بشمرة الإفادة، شعر:

نبض اشتياقي شاهق متواتر

(ص ٧٧٧) عظيم ونبض الإذكار سريع

له حركات الكيف والأين نحركم

وباقى مقولات الوداد جميع

وتلك نسبة تصديقها إذعان، ولازم نتيجتها برهان، وتلخيص

مطولها بيان، ومازلنا نسأل معتل النسيم عن صحة الخبر،

ونقنع العين بشياف الأثر، ونرجو مع ذلك رفع أداة

الانفصال، وحمل قضية الود على موجبة الاتصال، وإن

سأل المولى عن القيام بوظيفة الأدعية، ورواتب الأئمة،

فما زالت شعاب أكفه تستمطر غيوث الإحسان، ومقاليد

دعائه تستفتح أبواب الامتتان من المنان، ولاسيما في أوقات

مظنة القبول، وتحقق بلوغ السؤل في حضرة الرسول، فهو

يُرسخ ذلك في سجلات الحسنات، ويؤبده في تسطير

الباقيات الصالحات، شعر:

وهذا دعاء لو سكت كفيته

لأنى سألت الله فيك وقد فعل

فإذا ليس ذلك إلا من جهة واجب الإخاء، وملازمة فرض

شروط الوفاء، فها أنا أعقد ألوية الثناء بذات الرقاع، وأبث

طلايع السؤال عن المخلص في نفسه، لكشف لبسه، مع

إخوان زمانه وأبناء جنسه، شعر:

فعبدكم مخلص الوداد لكم

يبيات بالذكر ثانى اثنين

فنسخة الحال مَتنّها جمل

وشرحها في شواهد العين

وقد سبقتم إلى ذلك بالنظر، وليس كاخبر الخبر، إلا أن
يكون اللباس، قد أوجب الالتباس، وأضاع القياس، فأطفا
النبراس، وهدم الأساس، وجمعنا مع آحاد الناس، فلا غرو
فطالما حاولت الإيقاع، وتوخيت موافقة الأوضاع،
ونظرت في تخت الحسان لطريقة الاجتماع، شعر:
ولما أبى الإنتاج شكلاً مناسباً

تولده الأقدار في الخط والرمي
وقفت أغنى للأصم منفرداً
وأرقص في ليل الجهالة للعمى
فالمدلى بالطبع لا يستغنى عن الجمع، ويعرض عن رسالة
البحث إلى علم الوضع، وإذا كان الأدب في النفوس،
فالحقيقة من وراء المحسوس، وعلى اختلاف الشئون، يجمع
بى أن أكون. شعر:

يومًا يمان إذا لاقيت ذا يمين
وإن لقيت معدياً فعدناني

فليس الرشيد إلا المتوكل، والالراضي على القدر إلا الموفق
المتجمل، والطائع مأمون العواقب، والمنصور بالعز ليس له
غالب، فلا أعلم من التصريف إلا باب المطاوعة، والانفعال،
ولا أجهل هذا الأدب إلا التنازع بين الأفعال، والخوض
في مجمع الأمثال وعقم الأشكال، وماعسى أن أفعل، وإلى
أى مرام أتوصل، إذا نازعت في قول الأول. شعر:
(ص ٧٧٩).

فأقبل من الدهر ما أتاك به
من قر عينا بعيشه نفعه*
ثم إذا قلبت ظهر الجفن على الزمن، فقلت إن حاطب ليل،
جامع بين الحشف وسوء الكيل، وقد تشوش ذهنه في

* هذا البيت للأضبط بن قريع وهو شاعر
جاهلي وقد جاء هذا البيت في قصيدته
المشهورة:
لكل ضيق من الأمور سمعه
والصبح والليل لا بقاء معه

لا تحقرن الفقير عليك أن
تركع يوماً والدهر قد رفعه
وصل حبال البعيد إن وصل الـ
حبل واقص القريب إن قطعه
قد يجمع المال غير آكله
ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه
ويلبس الثوب غير من قطعه
فأقبل من الدهر ما أتاك به
من قرعينا يمشيه نفعه
راجع الجزء الأول ص ١٠٣ من كتاب
مواسم الأدب وآثار العجم والعرب للسيد
جعفر بن السيد محمد اليتي العلوي.

* هذان البيتان لعبد الله بن المعتز راجع
الجزء الثاني ص ٣٨ من كتاب مواسم
الأدب المذكور.

التصريف، وماله عن النكرت من التعيرف، حتى صرف
ملا ينصرف، وصرف الكامل عن دائرة المؤتلف، وقفنا بالحن
سناد الإشباع، وأردف له ذلك مع شهر الامتناع، فقصصيته
معدولة عن الكرام محصلة للثام، خارج بعضها عن النظام،
مولودة لغير تمام، فمن لى بمن أقضى عليه بكتاب
الضمانات، وحكومة الكفالات، ومسائل العقل والديات،
لاسترجاع مافات، ملا يوماً إليه ولا يشار. شعر:

سبحان من وضع الأشياء موضعها

وفرق العـز والإذلال تفريقاً
والعجب شيء ظهر أمره، وخفى سره، فالمعترض حينئذ
كالمتأمل المستفيد، وأنى له التناوش من مكان بعيد، بل
أكون كالماء فاتبع السهول، وأراقب القسمة حتى تعول،
ولا أتبرم ولا أقول:

إلى الله أشكو أن في النفس حاجة*

تمرُّ بها الأيام وهي كما هي

ولكنني راضٍ بأن أحمل الهوى

وأخلص منه لا عـلـى ولا لـيـا*

وربما يقال إنني نقضت وضوء الأدب، وتعديت (ص ٧٨٠)
ميقات النسب، ولم أحرم بالتجريد من دناءة المكتسب،
ولاسجدت للسهر عن حقوق الحسب.

مـن تـردى بـرداء

لم يرثه من أبيه

سوف يأتيه زمان

يتمنى الموت فسيه

فعلى ذلك إن ثبتت الجنحة، فالجنحة في تلك الجنحة،

وشر ما يلجئك إلى مخيسة* عرقوب، ولا سيما وقد

* مخيسة: هي خلف الوعد.

ضعف الطالب والمطلوب.

مامحجوج نفسه إلى سبب

إلا لأمر يئول للسبب

تلجى الضرورات فى الأمور إلى

سلوك مسالا يليق بالأدب

وإن أكن قد خالفت الأكياس، وتخلفت مع الناس،

وصبحت الرضا لتهمى آل العباس، فإن الماء فى بابه،

مفوض إلى رأى المتلى به والدخيل فى دائه، أعلم بدوائه

عند فقد أطبائه، وهل هم فى معنانا إلا الكرام، ومساعدة

الأيام؟ وهبنى كفلت نتيجة الدهر*، ودمية القصر فى أبناء

العصر، وقلدتها قلاند العقيان، وعقود الجمان، مفصلة

بجواهر النصوص ومعادن الفصوص، وأقطعتها رياض زهر

الآداب وغياض آداب الكتاب، وأسكنتها عللى المقامات

وعلوم الطبقات، وتهذيب الرياضات وسير الفتوحات، إلى

إدراك الممكنات، ثم قلت أين بغية الحفاظ، وابن جلا

وخطيب عكاظ (شعر).

لو علم الحى اليممانون أننى

(ص ٧٨١) إذا قلت أما بعد أنى خطيبها

فمن لى بمن يميز بين الضدين، ويقدم الجمعة على الاثنين،

ويميل إلى الكشكول علق كتاب العين، وإن فضل لذلك

أرباب، أو كان فى الجعبة نشاب*، فالمعاصرة حجاب،

والتفاخر سور له باب، فما بقى إلا التشاغل بالسلوان،

وبكاء العيون لوفيات الأعيان، ومراقبة المطالع لنصبات

الطوالع، وبلوغ المقاصد من تلك المراصد، فقديمًا قيل من

طلب شيئًا قبل الوقت، لم يجن من ثمرات أمانيه إلا

المقت، (شعر).

* هذا وما بعده أسماء لكتب معروفة فى فنون مختلفة.

* النشاب: السهم.

دعها سماوية تأتي على قدر

لا تعترضها برأى منك تنخرم

فمن الخسران جهل الأوزان، ومساعدة الأبدان قبل معرفة

* البُحران: بضم الباء وسكون الحاء شدة المرض.

البُحران*، فربما كان في أسطراب السعادة، ما يخالف

العادة، ويبلغ الحسنى وزيادة؛ هذا والمطلوب من المولى

تعهدنا بالذكر، وحضورنا عند الفكر، فلعلنا نصادف قدرا به

ليل الحظ يقمر؛ وفجر الإقبال يسفر، وربما طلعت من

مشرقكم شموسه وأقماره، ووضح لدى عينين صبحه

ونهاره، فلنا في الغيب آمال، وفي كنانة الأدعية سهام ونبال،

ومن حسن الفال، حاسب ورمال، وبميدان جميل الظن

مدار ومجال، وإلى عالم السر جواب وسؤال، وفي فتح

القدير مستند ورجال، وعلى ضوء مشكاة المصابيح تقرأ

نسخة الحال، فإن في عياضها (ص ٧٨٢) شفاء؛ وفي

خلاصتها وفاء، وفي كنز الكافي معادن، وعلى وجوه

التفويض تلوح المحاسن، ومن دخل حرمه كان آمن (شعر)؛

تلك روبا قصصتها لك فانظر

لى فيها التأويل والتعبيرا

وعرضنا فلزات حظ غبيط

وأفـضنا لرأيك التدبيرا

ولك الأمر فيه حلا وعقدا

ربما عاد ثابتا إكسيرا

صح قلب العيان فيه وأضحى

جابر قلبه به مكسورا

ثم قلنا للكيـميا سلام

قد كفينا التصعيد والتقطيرا

وفرغنا ننظم الدر من معد
 نى مساعيك غُدوة وبكورا
 واشتغلنا مع المحبين نتلو
 لك فرقان مدحة وزبورا
 فنساقى من تلك كأسا دهاقا
 كان فينا مزاجها كافورا
 شيمًا لو تجسمت منك كانت
 هى للناس جنة وحـريرا
 معدنا تـلقـط المسامع منه
 حين تلقـيـه لؤلؤا منشورا
 وبديعنا من العلا مانظرنا
 (ص ٧٨٣) لمراعاته هناك نظيرا
 وإذا مـارأيت ثم من الجـ
 د مقاما رأيت ملكا كبيرا
 أبدا فى مواكب الفخر تستعد
 بد كسرى الملوك أو سابورا
 غفر الله سيئات زمان
 ساء قدما وعاد منك بشيرا
 مثل يعقوب وابنه ثم لما
 جاءه ارتد بالقميص بصيرا
 وتولى جزاءه الله عنا
 إنه كان سميـه مشكورا
 ياإنسان رفعة أنت فينا
 يرجع الطرف إن رآك حـبرا
 بيت حبي مازال فيك مدى الد
 هر دواما مشيدا معمورا

نقشبندى الولاء فيك ملامى
مولوى السير باطنا وظهورا
وودادى أبو يزيد وأقصى
طوره طورا طور سينا طورا
فتقبل إليك حور معان
قد سكن الألفاظ منى قصورا
وكميت من القريض كميت
دونه جر فى الرهان جريرا
ملكاً فى خلافة الشعر جاً بالـ
شر معه مصاحباً ووزيراً
(ص ٧٨٤) رابق واسلم كما تشاء المعالى
تبقى ذكرى خير وتفنى الدهورا
أبدأ كلما خصصت بمدح
وسعى نحوك القريض سفيرا

* رسالة أدبية من عهد الجبرتي.

(وكتب إلى عبد الرحمن السيوري) أهدي جزيل سلام ألد
من الوصال فى طيف الخيال، وأحلى من الإقبال بالآمال،
وأحب من الإتحاف بالإسعاف، وأعذب من الورود على
حياض الوعود، وأعشق إلى الطالب، من حصول المآرب،
وأكرم من الغمام، بإهداء جزيل السلام، أريجا يكمه الزهر
فى أكمامه ويلمه الجيد فى نظامه، ويجعله الرحيق من
ختامه، والثغر الشيب تحت لثامه، نودعه الترجس فى
جفونه، ونلقنه الحمام فى سجعه على غصونه، فيحمله
النسيم على متونه بجميع فنونه، إلى حضرة إنسان العين
بالكامل، ورأس أدب الكاتب فى صدور المخافل، ومن سحب
البلاغة على سحبان، وجر على المجرة سراق العز والإمكان،

وسيط النسب إلى الأدب، وطرار الفخر على جبهة الدهر،
المختص بخالص الود وأكيد المحبة، على مراد الوفاء
بشروط الصحبة، المكرم الأجل عبد الرحمن بن مصطفى
السيوري، أطل الله عمر سعادته، وخلّد دولة سيادته
(شعر).

وبعد فالشوق إن تسأل فإن له
شواهدا وسؤالي منك أصدقها
(ص ٧٨٥) وإن في البعد ما ينسى الأخوة
والتسأل عنك بلا شك يحققها
فكيف أنت وكيف الحال دمت على
ما كنت من شكر نعمي فيك ترزقها
سوى المودة فيما بيننا فلقد
رأيت منك يد السلوى تمزقها
وذاك مع طول عهد بالإخاء مضى
عمر الصداقة حتى شاب مفرقها
فإن لم يكن إلا الملل، فلاجدال، وإن أوجب ذلك لذة
الجديد: فحرمة العتيق لا تبعد، أو كانت القسوة عن شهوة
فلا اعتراض يرد الإعراض، وإن كان الترك بلا سبب، فهو
من العجب (شعر):

وإن أحلت على حظي اعتذارك لي
خرجت عن عهدة التعنيف والعتب
ولكن أين الفضائل؟ وكيف تلاشت الفواضل؟ تحمل
التحمل وأجمل عن الإزماع التجميل، وتقاصر الطول
والتطول، حتى وكلت غيرك من الأنام، في إهداء السلام،
وجاءني بشير المواعيد، على بريد، فملت إلى النفس أبشرها،
وعلى الفرش أنشرها، وإلى الزلاخ أنظفها، وعلى الفقاع*

* الفقاع: بضم الفاء وتشديد القاف ضرب
من النيد.

أصففها، واشتغلت باللحية أسرحها، وأهل الحارة أفرحها، ثم
ذكرت وصول الحبوب في الغبش، فعبيت الخيش وقلت ربما
يصل التمر في العصر، وياترى (٧٨٦) تلك البضاعة تسعها
القاعة؟ أم لا بد من توسعة الضيق، لتلك الصناديق،
وكيف نعين الزبون، لاقتراض العربون، وتسليم الجماله*،
إذا وصلت تلك الرسالة، ثم أنشدت وأنا أدور ما بين الدور
(شعر):

لا بشـرى لجـيراني
مع الأصـحاب والأهـل
فقد جـاد لنا المولى
محل الجود والفضل
ولا بد لأصـحابي
من الإنعام والبذل
لهم منى مـدى الأيام فـضل الزاد والأكل
وكل يكتـسى منى
على الهيئـة والشكل
من الفـرو إلى الجـوخة للعمـة والنعل
وأيضاً خلعة اعطى
من الرأس إلى الرجل
إلى السـرج إلى الرجل

* القتب: بكسر القاف وسكون التاء البردعة.
* الجل: بضم الجيم وفتحها ما تلبسه الدابة
لتصان به، والجمع جلال وأجلا.

إلى القـتب* إلى الجـل*
فسجل يا غلام الخير خيراتي على الكل
وناد الأهـل والجـيراني
ن وابعث نحـوهم رسلـي
وخطبهم إذا اجتمعوا
بدق الزير والطبل

وقل هذى مـــــضايـفنا

وهذى قـــــدرنا تغلى

من اللـحم إلى الرز

إلى الســـــمن إلى البـــــقل

وأنواع من المشـــــوى والمغلى والمقلى

وأجناس من الزريـــــا

ج بالمشـــــمش واخلى

ولا تخرج بأضـــــيافى

إلى الشـــــمس من الظل

وأما النقـــــد فالخاـــــضر عامـــــود وفندقلى

ومن يطلـــــب زنجـــــرنا

ه إن شـــــاء بزنجـــــرلى

فيســـــدعنى ألبـــــس التـــــا

ج بهـــــذا المجلـــــس الخـــــفل

وإن كـــــنت تنحـــــنحت

أنا يا عـــــبيـــــد نعم لى

(ص ٧٨٧) ترانى مقـــــصد الخاـــــجا

ت لابعـــــدى ولاقـــــبلى

ترانى أقـــــتل الأقـــــرا

ن يوم الخـــــرب من مـــــثلى

وإن كـــــنت تريـــــد الخـــــرر

ب هذى الخـــــيل ياخلى

فقل ماشـــــئت فى قـــــولى

وقل ماشـــــئت فى فـــــعلى

وإن كـــــنت توضحـــــأت

على قـــــصـــــد الشـــــنا صلى

وصف جودى وصف عودى
 وصف سيفى وصف نصلى
 فهذا الحيس مـلآن
 من الأعـداء كـالـنمل
 وهذا الخـيـر مطروح
 على الطرقات والسبل
 بصيـتى سارت الركبـا
 ن من وعـر إلى سـهل
 هنيئـى اليـوم بالأمـوا
 ل قد أصـبـحت درهم لى

* الزربفت: كلمة فارسية معناها الشوب
 المطرز بالذهب.

ثم أخذت الإبريق، وملت عن الطريق، واستكت واغتسلت،
 وتوضأت واكتحلت، وتنحنحت وسعلت، وخرجت
 ودخلت، ثم ملت إلى الصندوق وألقيت القاروق، ولبست
 الزربفت*، من فوق التفت، وتدرعت بالسمور، وجلست
 على تخت التيمور، ثم خلعت على العتالين، وقدمت أجرة
 الخزين سبع سنين، ثم إنى كررت الخبرة، وطالعت الورقة
 بالمنظرة، فإذا السكر المكرر قد تسطر، وإذا البن المخزوم،
 ولطائف الملبوس والمشموم، وتأملت فى هامش الكتاب، فإذا
 جراب وفيه الوعد بكل نفيس، وفى ضمن الجميع كيس،
 وفيه المنة بمفاتيح قارون، ومقاليد القلاع والحصون، والوعد
 بطلسم الأهرام، وكتاب العهد على اليمن والشام،
 (ص ٧٨٨) ولم أجد العهد على الصين، ولا فارس وقزوين،
 وأرض الدروب وفلسطين، فحصل لى العجب العجائب،
 وقمت إلى الجراب، بعد إغلاق الباب، وقد أذكيـت
 المصباح، وفتشت إلى الصباح، وإذا كتابان قد كتبا

بالزعران، وضمخا بالغير، ولقا في حرير، في الأول ملك
خرسان، وتقليد الشحر* وُعمان، إلى إقليم السودان،
وماوراء النهر وعبّادان* إلى جزيرة العرب، وغوطة دمشق
وحلب، ولم يزل ينعم وعدا، ويهب، ويجي بالعجب، وفي
ذيل المنشور، وتمام المسطور، تفضل بالأقاليم وأنعم بتاج العز
والتكريم، فسجدتُ لكرمه، وشكرته على نعمه (شعر):

ثم رتبت دفترا للمطايا

وقسمت البلاد بين الأخلا

قلت ذاك الصديق أعطيه صنعا

في بني حمير الكرام الأجلا

وعلى فارس صديق وأرض الروم

ثان والهند أوليه خلا

حاصل الأمر أن كل محب

لى على قدر حظه يتولى

وأنا في السحاب بيتى وتختى

كل يوم إلى السما يتعلى

واقترضنا في الحال ألفين دينار

انقضى بها هناك شغلا

واشترينا خمسين عبدا خصيا

منهم نصف ذاك إلا أقلا

واستعبرنا لهم ثلاثين قاور

قا على رأسهم وللرجل نعلا (ص ٧٨٩)

ثم ناديتهم وقلت هلموا

فادخلوا هذه الطوالة قبلا

كل شخص منكم حمارا ينقى

ثم شيخ العبيد يركب بغلا

* الشحر : بفتح الشين وكسرهما مع سكون
الحاء هو ساحل البحرين عمان وعدن.

* عبّادان : بفتح العين وتشديد الباء جزيرة
أحاط بها شعبتا نهر دجلة عند رأس الخليج
الفارسي.

وخذوا ذا السلاح سيفًا ورمحًا
 ودروعًا تسمو وقوسًا ونبالًا
 واعرضوا أنفسكم علىّ فإني
 أشتهى العبد في السلاح الغلى
 واقعدوا عند بابنا ثم قولوا
 يوم الحمول أهلا وسهلا
 ثم إني فكرت إن أصبح الخير علينا ماذا نقدم فعلا
 قلت حظ القماماش والبن في
 المجلس واجعل باقى التفاريق سفلا
 ثم هذا المكان يحمل حملين
 وهذا المكان يحمل حملا
 هذه صفة نحط عليها المسك أم هذه بذلك أولى
 هذه للزباد* تحمل قرنا
 وهذه يافلان تحمل رطلا
 ياتري تحمل المخازن عشرين
 من هذا يافضل السيورى أم لا؟
 ياترى يغيشون أم تطلع الشمس عليهم أم مايجيئون أصلا؟
 ص (٧٩٠) اضربوا مندلا لنا ياثقتاى
 ربما يحصل المنا ولعللا
 دخنوا دُخنة* التهاطيل قولوا
 ياطهاطيل طهطهيلات طهلا
 ألوحا ألوحا ططاطيل طيطا
 طوطيا طوطيا طلاطل طلا
 هات لى ياغلام زايرجة الرمل عسانى منه أخرج شكلا
 إن ترى فى الطريق غير المطايا
 تنهادى فحبذا الرمل رملا

* الزباد: بفتح الزاى والباء نوع من الطيب
 والقرن بفتح القاف والراء الجعبة بفتح،
 الجيم والمقصود هما مايرضع فيهم الطيب.

*الدُخنة: بضم الدال وسكون الخاء نوع من
 البخور.

ثم ملئت بإنساني، إلى المكتوب الثاني، وإذا علم استخراج
الطلاسم وخبر الملاحم، والتوصل إلى فتح الأهرام، في ثلاثة
أيام، ومعرفة ذات العماد، في أي البلاد، والإتيان بعرش
بلقيس، بتدبير المغناطيس، وفيه استخدام الكواكب، ومعرفة
كل غائب، وبيان علم الروحانيات، ودعوات العليات،
وضبط الدقائق الفلكيات، وملكوت الأرض والسماوات، وأنه
يكشف لنا رموز الكيمياء، ويعلم طرائق الزايرجات
والسيمياء، ويدل على بير الملكين ببابل، ويستخرج علوم
الأوايل، ويعزم على الوحش فيجلبها، وعلى الجبال فيقلبها،
وعلى الغمام فينزله، وعلى الريح فيحوله، وعلى النجوم
فينثرها. وعلى القبور فيعثرها، وإن الجميع يصل على الفور،
وفي هذا الدور، وأن ينتفح حية المكذب، قبل أن يجرب،
ويقص سبال المنكر*، إن لم يؤمن بما يخبر، (ص ٧٩١)
فقلت آمنت بما قاله سبحانه من أعطاه ذا الاقتدار أستغفر
الله السيورى مايعرف ياأخوان قول الفشار، ثم شرعت أعبي
اخيل واخول*، وأجيش بجميع الدول، للقاء ذاك الأمل،
ولم نزل نبث الطلايع، ونتوقع الطالع، إلى أن أتى الأبد
على لبد، ولم يصل أحد، فثارت الفتنة بين الجنود، لتأخر
الوعود، ووقعت البسظامية والبسوس، لحصاد النفوس،
وتقصفت الأسنة، وتقطعت الأعنة، وتشلمت السيوف،
وتماوجت الصفوف، وسال جيحون والفرات، بدم الأموات
ومازالت القتلى تمج دمائها

*السبال بكسر السين جمع سبله هي
الشارب.

*اخول: بفتح الحاء والواو الحشم والعبيد.

بدجلة حتى ماء دجلة أشكل
ولم يبق أحد من الجيشين، إلا صلى على وعدك
ركعتين، ورجع بخفى حنين، ثم إنا احتلنا في إطفاء نار
الفتنة، بطلب هدنة، إلى أن يصل إليك الكتاب، ويرجع

الجواب، وقد أمرنا السفير إذا وقف بين يديك أن يقرأ عليك:

قل للخليل الذى أنهى حضرتة
خلاصة الود من سرى ومن علنى
ومن مدى الدهر أدعو فى سلامته
من الردى وهى من قصدى ومن شجنى
ياذا الذى وعده المعروف ثم مضى
لذاك عمر الأمانى والزمان فنى
ومن على مذهب الحسين ملكنا
كنوز قارون من مصر إلى عدن
إن كان عندك محض الوعد تحسبه
أصلا من الجود أو فرعاً من المن
فعد بحنة بولاق وقل معها

* التتن بضم التاين وتكتب أيضاً (توتون)
وهى كلمة تدل فى اللغتين الفارسية
والتركية على التبغ الذى يدخنه الناس
ويقال للتاجر الذى يبيعه (توتونجى).

مع ساحل البن غابات من التتن*
وافرض بأنك قد قلدتنى عملاً
بالهند أجبى صنوف الخرز والقطن
وولنى ساحل البحرين أجلبه
بسوق سعديك بازاراً بلا ثمن
وجد بايوان كسرى والخسورنق والـ
قصر المشيد وملك الشام واليمن
واعقد لى التاج رغماً منك واجعلنى
على طوايف ذى القرنين فى المدن
وقل وهبتك مافى الأرض من نعم
باللحم والجلد والأصواف واللبن
ولاتكن خشية إلتفاق مقتصرأ
مادام كنزك من وعد فأنت غنى

لله وعدك منذ عامين أنشدني
 أنا المعيدى فاسمع بى ولا ترنى
 خذ منى علومى ولا تركن إلى عملى
 ولا يفرنك منى خضرة الدمن
 فقلت أجرى عند الله أطلبه
 حولين يا وعد تسقيني وتطعمنى
 من العجايب أبديت الشجاعة فى
 وعدى وعدت أكلت الخبز بالجن
 مبالغات من الأقوال تسمعها
 لو كن فى البحر ريحا طرن بالسفن
 (ص ٧٩٣) يا ذا الذى جاد فى الأحلام لى كرما
 يهنيك أنى قد استغنيت من أدنى
 فلا تكن تقطع التشریف عنى فى
 كتاب ودك لى فى لفظك الحسن
 حتى أفوز بملك الأرض منك ولا
 أرضى بأنى فى غمدان* ذى يزن
 وخذ ثوابك وعدا مثل وعدك لى
 هذا بذاك ولا عتب على الزمن

* غمدان: بضم الغين وسكون الميم من
 قصور اليمن القديمة.

(وكتب) إلى الشيخ عمر الحلبي على لسان تلميذ له:
 أهدي جزيل سلام مازال دايرا بمركزه محيطه، وواقفا على
 مركبه بسيطه، سلاما أنظم به الدرارى والدرر، وأنثر به المنثور
 والزهر، وأستخدم له بهرام والقمر، سلاما منشورة الويته
 على عمود الصباح، موعودة سرية همته بظفر الافتتاح،
 سلاما تشير إليه الثريا بكفها والجوزاء بشنفها* والزهرة
 بطرفها والدقايق بلطفها عند كشفها، سلاما تتلقاه الشعرى

* الشنف: القرط.

العبور للعبور ويقوم له زيد الوداد بالمرصاد فيعرض عليه شقيق رمحه، والمعلّى قدحه، وابن جلا عمامته، ومرجف لأمته، جامعا بين الجد والهزل، والإرفال* والرمل، مخصوصا به حضرة محيط مركزي بعنايته، وهيكل سرى بحمايته، نكتة الفلك، وروحانية الملك؛ ونفحة القدوس، المشرقة على النفوس، الفايز بفصوص الحقائق، وكنوز الدقائق، والحائز معاني الإشارات، في أبواب الفتوحات (٧٩٤) الشارب من العين بكشكوله* والملقى عصا السير في ساحة وصوله، ركن ذا الفضل واسطقصه* وجنس نوع الكرم ونفسه، شيخي وأستاذي الشيخ عمر، لامعدولا عنا لقاطع، غير منصرف عن المقتضى بالمانع، أمين، وبعد التقرب بنوافل الأدعية، والتحب برواتب الأثنية، صدورا عن فؤاد قايسة زواياه في الوداد، مستقيم خط هواه في كمال الاتحاد، غير منقسم جذره الأصم عن العذال، ولامجتمعة له ضروب اللوزم في مثال، فهو لاينكسر إلى السواد فيتخصص، ولايختلط فلزه* بالأغيار فيتمحص، من مخلص يطرح الألف، ويأخذ الواحد بالكف، ويستخرج مجهول الأغيار، وينفض التغيير بقلم الغبار، حتى يحصل له بالجبر المقابلة، في مديح ذوى الإمعان والمحاولة، فيأخذ هناك ارتفاع الشمس، بأسطرباب* تهذيب النفس، ويترقى في درج المعاني، باطراح التواني وطرح الثوالت والثواني، وماذاك إلا لإضافتي لعلمكم بعلمكم، وشربي من كرمكم بكرمكم، وتمييزي في هذه الحال، ببذل الاشتمال، ولاسيما بعد وصولي ماأشاء إلى جهتي وصح به أملى عن الخروج من جدولي ولي ولي، فلازال كيدي أهل الفضل واسع البذل بسيط النوال، وافر مديد الكمال، متداركي إلى مداركي،

* الإرفال: الإسراع في قطع المفايزات في الصحراء.

* الكشكول: هنا بمعنى الفنجان.
* الإسطقس: في اللغتين الفارسية والتركية بمعنى العنصر أو الأصل.

* فلزه: ويطلق على البرونز والنحاس والمعادن بشكل عام.

* أسطرباب: بضم الهمزة كلمة فارسية معناها آلة فلكية لتحديد ارتفاع الأجرام السماوية عن الأفق.

وسايرى فى سايرى ومفيقى من سكر تلفيقى إلى توفيقى،
ومحررى بضبطى من خبطى فى خلطى، ورفيقى فى
تشويقى إلى تحقيقى (ص ٧٩٥) يرحل بى إلى المختصر عن
المطول، وينزل بى عن المعاهد فى البديع الأول (وقال):
وخمرة من معان

حلت دنان الحـروف

جـلت كـدورات حـسى

حتى تلاشى كـثيفى

ولاعجب لبـفوى

لأن ذا الروح صـوفى

(وله عفا الله عنه):

لعمرك أنت كتاب الكمال

بآياته يظهر المضمـر

وشعرى عنوان ماقد حواه

وفيه انطوى العالم الاكبر

(ومن التحيضات*)

قل لأشيعاى الذى صـحبونى

ثم راحوا من بعد مُعتزليه

ولأنصارى الذى خـذلونى

وابستعاضوا سواى أنصاريه

عفتـمـو نصف أمرـد كـوسجيا

وانفسردتم بمذهب الموصليه

لاتظنوا فى عفتى هى ماهى

أنا قلدت مذهب البـاحيه

أى ذنب جنيت حتى استـرقـتم

نفسكم للمـقـيل وقت العـشيه

* التحيضات: وردت فى بعض النسخ
المطبوعة مرسومة «التحيضات» وهو خطأ
والتحيضات هى الانتقال من الجـد إلى
الهـزل.

واحد راح من زقاق القشاشي
 يتمشي في هيئة مخفيه
 ورجال من البرايخ جاءوا
 ورجال من تحت جدر التكيه
 واحد حامل كتابا يورى
 أنه ساير إلى الكتبيينه
 وأخ قال قد شربت دواء
 وأريد الإسهال في العنبريه
 وصديق سألته أين تبغى
 فلوى رأسه وقال قضيه
 قد نذرت الصيام شهراً ولأء
 وشرطت الإفطار بالعسدسيه
 لاتخبث نفسي بذكر الكوازي
 واللوازي والوزة المحشيه
 أنا لأشتهى الكباب ولا الرز
 ولا زرباج ولا اللبنيه
 قد زهدنا في كل ماتشتهي
 به النفس حتى الدجاجة المقلية
 عفت كل الطعام قلت فما المو
 جب قال اللحقوق بالصوفيه
 وأتى آخر فقلت سلام
 فسعى مسرعاً ورد التحية
 ووراه شخص يجسر خروفا
 حاملا تحت كمة مطبقيه
 قلت ما الحال قال قد شرد العب
 د بشالي والفررو والفرجيه

(ص ٧٩٧) قلت قد مر عبدكم بطعام

وشراب من قبلكم من هنيه

قال عبيد ياقوت قلت نعم

قال لقد بعته نهار الضحيه

اسم هذا الماس قبحه الله وأيرى فى است أمه الزنجيه

ثم ولى عجلان قلت انتظرنى

أطلب العبد معك للتربيه

(ص ٧٩٩) (فى المطبوخ وعمله)

أنا أولى بالجـرى منك لأنى

ماطعمت الغدا وبطنى خليه

قال أقعد بالله ربك أقعد

بالنبي باليهود بالعيسويه

مايفوت العبيد وهو قريب

حول نخل الإمام والكركيه

ثم إنى سألت عن واقع الحما

ل وتلك القضية المخفيه

فإذا أنتم كما قد ذكرنا

لاوفا لآحيا ولاعصبية

(وقال من أرجوزته الطيبة)

ومفردات من مركب اضبط

أصولهنا والحب لاتفسرط

أو معدنا والصمغ أو مامثله

فافعل بكل ماقتضاه فعله

ماقيل فى القانون من أفراده

ولاحظ الطبيب فى مراده

(ص ٧٩٨) ثم إذا خص بماء أو شراب
 يحل فيه الصمغ نقعًا ويذاب
 واحضر لديك عسلا مصفى
 مثليه إن كان الدواء صيفا
 وفي الشتاء ثلاثة أمزج أحسنه
 مع مانقعت فوق نار لينه
 وبعد عقد ذر فوقه الدوا
 فى الأرض واضربه لمزج واستروا
 وارفعه فى الفضة أو صينيا
 ولا يكون ظرفها بليا
 فى غير منحل هناك يعرف
 إلا الزجاج طبعه يجفف
 (فى عمل الأقراص)
 وإن يكن أقراص أو حب أضف
 مسحوقها فى الصمغ محلولا وصف
 إلا إذا كان بها الصبر فلا
 حاجة فى الصمغ فخذ به بدلا
 وحبب أو قرص مع المسح من ال
 أدهان من دهن مناسب حصل
 ثم تجفف بالغسا فى الظل
 مخافة التعفين بعد البل
 فإن ذى الرطوبة الغريبه
 تعفن الشئ ولا عجيبه
 قوة الأقراص تبقى أربعاً
 سنين لا غير بها قد قطعاً
 (ص ٧٩٩) (فى المطبوخ وعمله)

وإن يكن مطبوخ عدل وزنه
ولين النار لتبدي حسنه
واطبخه حتى يتهرا واحذر
من فيتمونهم أو الا يكثر
كمثل ذا الطل غدا في وصفه
ضف الدوا عليه ثم صفه
ونق أخشابا لكل واغسل
بما طبيخ أذخر واستأصل
(في السفوف):

وفي السفوف المزج بعد السحق
وراع ما يعطى له من حق
(في التحميص):

وحمص القابض من بزر ولا
تدق بزر قطنه فيقتلا
واحم لذاك خزفا أو حجرا
وانزل وقلب فيه ذاك البزرا
(في الدق والسحق):

وإن جمعت أهليجات اسقها
سمنا وحمصها وثم دقها
وجود الغسل لكحل وانقه
وسقه بالماء حال سحقه
وروقنه بعسل ذا وبدل

ماء وجفف في تمام العمل
إلى آخر ما قال، وله غير ذلك مدايح وقصايد (ص ٨٠٠)
وغزليات وتخميمسات ومراسلات كلها غرر مجشوة
بالبلاغة، تدل على غزارة علمه وسعة إطلاعه، توفي بهذه
السنة بالمدينة المنورة رحمه الله تعالى.

علاقة الهوارة بالعثمانيين

عقد العثمانيون بعد غزوهم لمصر مع القبائل العربية اتفاقات أقرروا فيها سيادة شيوخ تلك القبائل على المناطق التي كانت لهم السيادة فيها من قبل في العصر المملوكي، وذلك مقابل تعهد هؤلاء الشيوخ بحفظ الأمن وتنمية الزراعة وجمع الضرائب، وفي مقابل ذلك اعترف العثمانيون بمراكز تلك القبائل وتركوا له حرية التصرف في مناطق نفوذهم ومن هذه القبائل كانت قبيلة الهوارة وقد أشار ابن زنبيل الى ذلك بقوله:

(خلع السلطان سليم بعد دخوله القاهرة على شيخ العرب حماد شيخ عرب غزالة باقليم الجيزة وجا اليه الأمير علي بن عمر شيخ هوارة فخلع عليه بأمرية الصعيد بمدينة جرجا وخلع على علم الدين شيخ بني عدى وكتب لهم التواقيع بذلك وخلع عليهم وانصرفوا).

وقد كانت علاقة الهوارة بالعثمانيين ودية للغاية في عهد السلطان سليم وابنه سليمان. بلغ من طيب العلاقات بين الطرفين ان الأمير علي بن عمر شيخ الهوارة وحاكم الصعيد، أرسل هدية حافلة للسلطان سليم سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م بلغ من أهميتها انها قدمت للسلطان بعد تقديم هدية خاير بك وصاحب اليمن.

وكانت هدية حافلة حوت مائتي قنطار سكر، ورقيقا ما بين عبيد وجوار، وخيل وجمال وغير ذلك. وقد أرسل الأمير علي بن عمر هذه الهدية مع رسول خاص من طرفه.

وقد سر السلطان سليم من هذه الهدية واعاد الرسول محملا بهدية حافلة منه للأمير علي بن عمر وكانت هدية السلطان تشتمل على ملابس

فخمة (قفاطين) مع مرسوم باستمرار الأمير علي في حكم الصعيد فعظم شأن الأمير علي بهذه الهدية وهذا المرسوم.

وفي عام ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م أرسل الأمير علي بن عمر أيضا هدية حافلة للسلطان سليم قيل انها قومت بستين ألف دينار.

وقد أقر السلطان سليمان بدوره الأمير علي بن عمر على حكم الصعيد فأرسل له سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م قفطان حرير ومرسوم شريف بأقراره على مركزه واستمراره فيه.

ولكن العلاقات ساءت بعد ذلك بين الهوارة والعثمانيين فعزل العثمانيون الهوارة من حكم الصعيد سنة ٩٨٣هـ / ١٥٧٦م وعهدوا بالحكم في الصعيد الى أحد بكوات الممالك وهو سليمان جنبلاط.

وقد ذكر علي مبارك في خطته أنه رأى المرسوم الذي تضمن ذلك في كتاب لم يستطع الوقوف على اسمه ولا اسم مؤلفه.

وقد ذكر المرسوم: ما كان للهوارة من سيطرة على الصعيد مقابل تعهدهم بجمع المال والغلال المقررة للدولة وتقديمها اليها وكيف أهمل الهوارة في أداء تلك المهمة، وقصروا في تحصيل الخراج اللازم وظلموا أهل الصعيد ونهبوا أموالهم ولم يهتموا بعمارة الجسور ولا بشئون الزراعة. لذا غضبت عليهم الدولة وأمرت بمنعهم من حكم الصعيد وعهدت به لأمر الممالك.

وهكذا فقد الهوارة ما كان لهم من سيطرة ونفوذ في الصعيد نتيجة لعودتهم لسياسة التمرد وقطع الأموال والغلال المطلوبة منهم تلك السياسة التي مارسوها من قبل في العصر المملوكي والتي كانت الطابع المميز لجميع العرب في مصر.

على ما فيها من مخازن غلال، وحاول بالاتفاق مع مجموعة من امراء مصر حرمان الهوارة من اراضيهم بتحويلها بالالتزام الى حيازته هو مع هؤلاء الامراء شركة وكتبوا للدولة يطلبون ذلك.

ولكن هذا الامر لم يتم لعزل عبد الرحمن بك من ولاية جرجا حيث انتقم منه الهوارة بمطالبته بما خسروه أثناء حملته عليهم واثاروا ضده زملاءه المنافسين له حتى قتلوه.

ولما ضعف سلطان العثمانيين بمصر وسيطرا المماليك على مقاليد الأمور أخذ بك جرجا وحاكمها يتجه ببصره الى القاهرة ويهتم بحوادثها السياسية أكثر من اهتمامه بأمر الصعيد، وأصبح الوجه القبلى حيث ديار الهوارة منفى وملجأ لكل الأمراء المماليك المهزومين أو المنفيين واتباعهم، وكان هؤلاء فى حاجة لسواعد الهوارة وأموالهم ليستعينوا بهم على هزيمة منافسيهم بالقاهرة فبدأ النفوذ يعود الى الهوارة وبدأ الهوارة يتدخلون فى جديد من الاحداث السياسية الجارية وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم كما كانوا فى العصر المملوكى فائناء وقوع الصراع بين الفقارية والقاسمية سنة ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م هرب محمد بك جركس القاسمى الى جرجا ليعيد تنظيم صفوفه فأرسل له منافسه الأمير ذو الفقار بك حملة لمحاربه فاستعان جركس بالهوارة وباقى عربان الصعيد وهزم حملة القاهرة عند البهنسا.

وفى تلك الفترة ايضا هرب أحمد بك الأعسر الى الهوارة محتما بهم. وبقي عندهم ليعيد تنظيم صفوفه وعندما هزمت فرقة القاسمية سنة ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م التجأ الكثيرون من رجالها الى اكابر الهوارة ببلاد الصعيد ليستعينوا بهم على استعادة ما كان لهم من نفوذ.

وعند ادخال نظام الالتزام الى الصعيد فى الربع الأول من القرن السابع عشر سيطر الهوارة على مساحات واسعة من أراضى الصعيد عن طريق شيوخهم على مناصب الملتزمين فى الصعيد، فلم يكن فى الصعيد حينذاك من هم أغنى من الهوارة ولا من هم أكثر عصبية قبلية منهم، لذا كان من الطبيعى أن يسيطر الهوارة على أراضى الصعيد بالالتزام، وقد كان الهوارة من الفئات التى سمح لها بأخذ التزام الأراضى الزراعية منذ بداية ادخال هذا النظام الى مصر.

وبسيطرة الهوارة على معظم أراضى الصعيد بالالتزام عادت اليهم السلطة والسيطرة على الصعيد ولكن فى ظل الادارة المملوكة العثمانية وتابع الهوارة سياستهم فى التمرد على السلطات الحاكمة ومحاولة الامتناع عن تقديم المطلوب منهم من أموال وغلال.

ففى عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م تمرد الهوارة على حاكم جرجا عبد الرحمن بك وعصوه وامتنعوا عن دفع الأموال والغلال المطلوبة منهم. فأصدر الباشا أمره بمحاربتهم وأرسل لهم حملة ضمت عددا من البكوات المماليك مثل ابراهيم بك الصغير، وحسن أغا بلفيا ومصطفى كتحدا القازدوغلى، انضمت تلك الحملة الى قوات عبدالرحمن بك الذى تولى القيادة وقد صاحب تلك الحملة هوارة بحرى ورجال الأمير حسن الاخميمى حاكم اخميم ومنافس الهوارة على السيطرة على الصعيد.

وقد انتهت الحملة بهزيمة الهوارة ولهب عبدالرحمن بك لاموالهم وقتله لرجالهم، وهرب الهوارة الى الجبل ودخل عبدالرحمن بك الى فرشوط مقر الهوارة ومقلهم الرئيسى ووضع يده

التي تجرى في القاهرة وغدوا بذلك قوة كبيرة ترجع الكفة التي تنضم اليها وبدأ هذا واضحا في عهد الشيخ همام بن يوسف الذي انتهت اليه زعامة الصعيد في النصف الأول من القرن الثامن عشر وحوالي العشرين عاما من النصف الثاني وقد ظل الهوارة يشتركون في الحياة السياسية بتأييدهم فريقا من الحكام ضد آخر حتى عهد مراد بك وابراهيم بك ولكن بصورة أضعف وأقل تأثيرا عما كان لهم في عهد همام.

وهكذا نجد أن الهوارة تابعوا في العهد العثماني نفس السياسة التي كانوا يتبعونها في العهد المملوكي من تدخلهم في الأحداث السياسية وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم، وتابعوا أيضا سياسة التمرد والامتناع عن تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم للسلطات الحاكمة. وبدأ ذلك واضحا من الهوارة في القرنين السابع عشر والثامن عشر حيث كان سلطان العثمانيين بمصر قد ضعف.

شيخ العرب همام بن يوسف

في قرية فرشوط^(١) بمحافظة قنا كان مولد شيخ العرب همام بن يوسف في تاريخ لا نعرف تحديده بالضبط، ولكننا إذا أخذنا برواية الرحالة فإنه يقع حوالي ١٧٠٩م/ سنة ١١٢١هـ^(٢) أما وفاة

(١) زار الرحالة بروس فرشوط في يناير ١٧٦٩ وذكر عنها أنها مدينة تقع في سهل زراعي على ارتفاع ٩ أميال سفلى الجبل، وتشتهر بزراعة القمح وقصب السكر وأنه كان بها دير للرهبان الإيطاليين يتبع دير أخميم، وأن هذه الأديرة قد أنشأت لتزويد المسافرين بين مصر واليوتيا بالمساعدات وتقديم التسهيلات الممكنة لهم، ولكنه أضاف أن كرم مشايخ العرب الأغنياء في مصر العليا، وإنسانيتهم ومعاملتهم الكريمة للزبناء جعلت وجود هذه الأديرة عديمة الفائدة.

Bruce: travels to discover the Source of the Nile Vol. 2, p. 22.
وفرشوط الآن قرية كبيرة من محافظة قنا وتقع على النيل تتبع مركز نجع حمادى.

(٢) زار بروس فرشوط وقال شيخ العرب همام في يناير سنة ١٧٦٩م وذكر أنه يقدر سن همام حينئذ بما لا يزيد عن سبعين عاما.

Bruce: travels to discover the Source of the Nile Vol. 2, p. 22.

وفي عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م فر عثمان بك الفقاري إلى الصعيد بعد صراعه مع ابراهيم جاويش بسبب تنافسهما على رئاسة مصر وعندما تنكر على بك الكبير لصديقه صالح بك القاسمي فر الأخير إلى الصعيد واستعان بالهوارة وعلى رأسهم شيخ العرب همام بن يوسف الذي قدم إليه كل ما كان يحتاج إليه من ذخيرة ومؤن وتقدم بها واستولى على المنيا وطرده منها اتباع على بك.

وعلى بك الكبير نفسه عندما أخرجه زملاؤه منفا من القاهرة إلى النوسات بالوجه البحري هرب إلى الصعيد حيث لجأ إلى حمى الشيخ همام طالبا منه أن يصلح بينه وبين زميله صالح بك القاسمي حتى يقبل العودة معه إلى القاهرة لمساعدته في اقضاء منافسيه عنها وفعلا قام الشيخ همام بالوساطة بينهما واستطاع اقناع صالح بك القاسمي - (الذي كان على بك قد غدر به قبل ذلك بقليل) - بالانضمام إلى صفوف على بك وقدم لهما همام الهدايا والأموال والرجال لمساعدتهما على استخلاص القاهرة من أعداء على بك.

وعندما غضب محمد بك ابوالذهب من سيده على بك الكبير فر إلى الصعيد وذهب إلى الهوارة واسترضاهم - (لأنه سبق أن حاربهم في عهد الشيخ همام) ليتمكن من ضمهم إلى صفوفه وقبل الهوارة ذلك لأنهم رأوا في هذا الانضمام لصفوف محمد بك أبى الذهب فرصة لاستعادة ما كان لهم من نفوذ خبا بعد وفاة همام فانضموا إلى صفوف محمد بك وساعدوه في نضاله ضد على بك.

هكذا وجد الهوارة في مساندة الأمراء المماليك اللاجئين إلى الصعيد فرارا من وجه منافسيهم، فرصة لاستعادة نفوذهم فاهتموا بالأحداث السياسية

الشيخ همام فتاريخها محدد فقد حددها الجبرتي^(١) باليوم الثامن من شهر شعبان سنة ١١٨٣ هـ نوفمبر سنة ١٧٦٩ م وتزيد دفاتر الالتزامات بالقلعة وقوع وفاة همام في هذا العام أيضا، فقد ورد بدفتر رقم ٥٥ لسنة ١١٨٣ هـ عين ٨ مخزن تركي أن أولاد الشيخ همام وهم درويش وشاهين وعبدالكريم قد حلوا في بعض التزامات والدهم المرحوم الشيخ همام بناء على بيورلدى صدر من على بك قائم مقام مصر في ذلك الوقت وكان ذلك ٢١ رمضان سنة ١١٨٣ هـ / ديسمبر سنة ١٧٦٩ م أى في الشهر التالي لشهر شعبان الذى توفى فيه الشيخ همام كما ورد في رواية الجبرتي.

وقد نشأ همام في بيت وراث الثراء والمكانة أبا عن جد فقد كان همام ابنا للشيخ يوسف بن الشيخ أحمد محمد همام الذى آلت اليه زعامة قبائل الهوارة في أواخر القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى.

وقد تمتع الهوارة عامة بثناء واسع، وكان معظم شيوخهم على جانب كبير من الثراء، فمنذ نزل الهوارة الى الصعيد واستقروا في جرجا امتدت سطوتهم فيها، واتسع ثراؤهم، وكان كبيرهم الذى يتولى رياستهم يقيم في فرشوط، وله نفوذ في الصعيد كله، وقد ظلت لشيوخ الهوارة رئاسة الصعيد والسيطرة على الحكم فيه حتى عام ٨٩٣ هـ / سنة ١٥٧٥ م.

وقد كانت علاقة أسرة همام بالحكام في العصر المملوكى علاقة يغلب عليها طابع العداء شأن كل العرب القاطنين في مصر للكراهية العنصرية بين العرب والمماليك.

وفي العصر العثمانى المملوكى تابع الهوارة

سياسة العداء ضد السلطات الحاكمة في صورة تمرد وامتناع عن تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم، ولاشك ان أسرة همام وخاصة جده الشيخ محمد أحمد همام كان من الهوارة الذين تمردوا على السلطات الحاكمة ورفضوا تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم للدولة سنة ١١٠٧ هـ / سنة ١٦٩٥ م عندما قاد عبدالرحمن بك حاكم جرجا الحملة التى سيرتها الحكومة ضدهم، فقضت على تمردهم، واعادتهم الى حظيرة الطاعة، وأعيدت اليهم التزاماتهم التى رفعتها عنهم الدولة أثناء هذا التمرد، وكان أبرز الملتزمين من الهوارة حينئذ الشيخ يوسف بن أحمد محمد همام والد الشيخ همام بن يوسف، الشيخ أحمد محمد همام جد الشيخ همام بن يوسف.

وقد ساعدت نشأة همام في بيت وراث الثراء والمكانة أبا عن جد على ظهوره كشخصية هامة تولت زعامة الصعيد بالاضافة لضعف السلطة الحكومية في عصره، اذ كانت سلطات الحكم العثمانى في مصر قد وصلت الى درجة كبيرة من التدهور، وحفل العصر بمنازعات العصبيات المملوكية، وتنازعها على السلطة مما أدى الى تدهور قوتها أيضا، وترك الباب مفتوحا أمام ذوى العصبيات القبلية ليظهروا على مسرح الاحداث السياسية، ويسطوا نفوذهم ويسيطروا على مناطقهم.

وقد وراث همام عن أبيه الشيخ يوسف التزامات واسعة شملت معظم أراضي الصعيد من المنيا الى اسوان، وقد آلت هذه الالتزامات الى الشيخ يوسف وراثه عن أبيه الشيخ أحمد بن محمد همام الذى كانت التزاماته تمتد من المنيا الى أسوان فقد أخذ

(١) انظر ترجمته رقم ٣٢٣ في هذا الجزء.

شركة مع اقاربه التزامات أراضى:

حرجه الحرازة، بخانس وقصير بخانس، عرب قصاص، هو، بهجورة، فرشوط، الكوم الأحمر، قوص، سناة، أولاد ما من، الخارفة، الروافع، كوم بدار، أولاد شلول، جرف أبوعميرة، أرض وقف ملك أشرف برسباى، العسيرات، أولاد جامع، جزيرة الموارنة، أرض طبطبا، شيخيه، خلجان، قرأى وريفه بأسقوط، ادفا وبنى مزار، تصيرية وصعايدة، وأبنوب.

وقد لعب الشيخ همام دررا هاما فى حياة الصعيد بل وحياة مصر كلها فى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى ونحو عشرين عاما من النصف الثانى منه.

وكان من أهم العوامل التى ساندت همام وساعدته على القيام بدوره ثراؤه الطائل الذى هياته له التزاماته لمعظم أراضى الصعيد، وقد هيا نظام الالتزام للهوارة عامة فرصة عظيمة لاستعادة نفوذهم وسلطاتهم اللذين تمتعا بهما فى العصر السابق للعصر العثمانى.

وقد بدأت سيطرة الهمامية على أراضى الصعيد تبرز ابتداء من عام ١١٠٥ هـ سنة ١٦٩٣ م، وكان أبرز الملتزمين منهم كما قدمنا الشيخ أحمد بن محمد همام جد الشيخ همام بن يوسف الذى سيطر على أراضى واسعة امتدت من المنيا الى اسوان أى سيطر على معظم أراضى الصعيد بالإضافة لعدد من الملتزمين الآخرين من أقاربة ومن المماليك ومن العرب الآخرين.

وقد شارك الشيخ يوسف والده أحمد بن محمد همام فى تولى التزام أراضى الصعيد.

وابتداء من عام ١١٣٤ هـ / ١٧٢١ م ظهر اسم الشيخ همام يوسف كملتزم لأول مرة وأشير اليه فى دفاتر الالتزام باسم: همام ولد الشيخ يوسف أحمد حيث اشترك مع والده وأقاربه فى التزام أراضى: هو، بهجورة، والكوم الأحمر وتوابعا.

وكانت السيطرة على أراضى الصعيد قبل ظهور الشيخ همام بن يوسف للهوارة يليهم المماليك يليهم العرب الآخرون وتركزت أراضى المماليك والعرب الآخرين فى:

اسقوط، طهطا، أحميم، مدينة جرجا نفسها.

وتركزت أراضى الهوارة فى:

وقد ورث الشيخ يوسف عن أبيه زعامة قبائل الهوارة لانه كان أكبر ابنائه وأبرزهم، وكذلك كان الحال بالنسبة للشيخ همام فقد كان أكبر أبناء الشيخ يوسف فألت اليه وراثته عن أبيه كل تلك الأراضى الشاسعة، وزعامة قبائل الهوارة فى الصعيد. وقد توفرت للشيخ همام شخصية ساحرة استطاعت ان تنمى ما ورث من ثراء وأن تحتفظ بزعامة الهوارة، بل وأن تمتد تأثير تلك الزعامة الى آفاق أوسع وأعظم مما كان لها فى عهد أبيه وجده.

وتولى الشيخ همام وظيفة الملتزم وحسن استغلاله لها ولما ورثه من ثراء ومن عصبية قبلية، وصفات شخصية كالذكاء والكرم والطموح استطاع أن يتزعم عرب الصعيد، وأن ينشئ الصلات الواسعة المتعددة الجوانب مع حكام مصر وعلمائها ومع الدولة العثمانية نفسها فقد ذكر الرحالة BRUCE الذى زار همام سنة ١٧٦٩ م / سنة ١١٨٣ هـ أن الشيخ همام كان على صلة طيبة بالدولة العثمانية نفسها وكان يطلب منها ما يريد مباشرة مما أثار عليه غيرة بكوات القاهرة، مجددا ما كان من طيب العلاقات بين أجداده وبين الدولة العثمانية.

قنا والأقصر، واسوان.

حيث كانت تتركز القوة الفعلية للهوارة، وحيث كانت تنتشر منازلهم فمعظم فروع قبيلة الهوارة وأكثرهم فاعلية وقوة كانت ومازالت حتى الآن تقطن محافظة قنا.

فقد سيطر على عشر مقاطعات من مقاطعات ولاية جرجا الاحدى والعشرون.

أما المقاطعات التى كانت تقع جنوب ذلك وعددها احدى عشرة مقاطعة وهى مقاطعات خولجان، بخانس، عرب قصاص، الأقصر، بياضية، برديس، فرشوط، هو وبهجورة وتوابعها، حراجية قنا، قوص.

فقد سيطر الهوارة على معظم مقاطعات وفئات الملتزمين فى ولاية جرجا قبل ظهور الشيخ همام.

ومنذ ظهور الشيخ همام بن يوسف كملتزم بصورة رسمية فى سنة ١١٣٤هـ / سنة ١٧٢١م وهو يواصل زحفه على أراضى الملتزمين الآخرين فى الصعيد من هوارة وماليك وغيرهم وقد اختفى اسم الشيخ يوسف والد همام من دفاتر الالتزام منذ عام ١١٥٠هـ / سنة ١٧٣٧م واستقل همام بأراضيه وبدأ يزحف على معظم أراضى الملتزمين الآخرين ويحصل على أراضيههم بأشراف الدولة ورضائهم.

وقد بدأت سيطرة الهوارة على أراضى الصعيد بالالتزام منذ عام ١١٤٢هـ / سنة ١٧٢٩م فقد ضم اليه فى هذا العام التزامات معظم أراضى بلصفورة وأخميم.

وفى عام ١١٤٥هـ / سنة ١٧٣٢م ضم معظم أراضى طهطا واسنا وفى عام ١١٤٦هـ / عام ١٧٣٣م زحف على أراضى المنيا فى بنى مزار وأخذ عدة قرى من مقاطعة أسيوط.

وما أن أتى عام ١١٦٣هـ / عام ١٧٤٩م حتى

وجدنا أن الشيخ همام وأقاربه من الهوارة وشركاء (من وكلائه مثل الحاج عبدالرحمن، الحاج ابراهيم الخضرى). قد سيطروا على معظم مقاطعات ولاية جرجا فأخذوا التزامات مقاطعات:

برديس، فرشوط، هو وبهجورة، عرب قصاص، الأقصر قوص، قنا وتوابعها، بخانس، خولجان، بياضية.

أى سيطروا على عشر مقاطعات كاملة من أصل احدى وعشرين مقاطعة كانت تتكون منها ولاية جرجا وهى:

- ١- مقاطعة اسيوط وتوابعها.
- ٢- مقاطعة أبو تيج.
- ٣- مقاطعة أبو مقروفة.
- ٤- مقاطعة نخيلة وتوابعها.
- ٥- مقاطعة فاو الكبرى.
- ٦- مقاطعة طهطا وتوابعها.
- ٧- مقاطعة شندويل.
- ٨- مقاطعة شرق أخميم.
- ٩- مقاطعة منشأة أخميم.
- ١٠- مقاطعة برديس.
- ١١- مقاطعة فرشوط وتوابعها.
- ١٢- مقاطعة هو وبهجورة وتوابعها.
- ١٣- مقاطعة خولجان.
- ١٤- مقاطعة قنا.
- ١٥- مقاطعة طما وتوابعها.
- ١٦- مقاطعة قوص.
- ١٧- مقاطعة بخانس.
- ١٨- مقاطعة عرب قصاص وتوابعها.
- ١٩- مقاطعة الاقصر.
- ٢٠- مقاطعة بياضية.
- ٢١- مقاطعة حراجيه.

وقد انفرد الشيخ همام بهذه الالتزامات وسيطرة على التزامات ١٦ مقاطعة كاملة من ٢١ مقاطعة كانت تتكون منها ولاية جرجا أما المقاطعات الخمس الباقية وهي -

اسيوط، ابوتيج، ابومقروفة، نخيلة وتوابعها، فاو الكبرى.

فقد كانت لهما أجزاء كبيرة في بعضها ولأمراء الممالك وللعرب الآخرين باقي أجزائها.

فكان للشيخ همام في مقاطعة اسيوط التزام شرق بويط بقدر ١٢ ط، بنى وركان ١٢ ط ادفا وبنى مزار ٢٤ ط. قرأى وريفة ١٢ ط.

وكان له في منطقة أسوان.

منطقة ادفو بقدر ٢١ ط، لصيرية وصعايدة ١٨ ط وقد بقيت هذه الالتزامات للشيخ همام حتى وفاته في سنة ١١٨٣ هـ / سنة ١٧٦٩ م بل لقد وصلت قوة همام وقبل بدأ النزاع الأخير بينه وبين على بك الى حصوله على جزء كبير من أراضي على بك نفسه في ناحية بنى نصر بمنفلوط بمقاطعة ابي تيج.

ثراؤه.. حكومته.. نفوذه

قدمت سلطة الملتزم للشيخ همام ثراء طائلا ونفوذا واسعا فقد ادى تدهور السلطة المركزية في القرن ١٨ الى اتساع نفوذ الملتزم وحلوله محل الادارة الحكومية في الاقليم الذى يتولى التزام اراضيه قائما فيه بحفظ الأمن وتحصيل الأموال الأميرية من الفلاحين وفض المنازعات بينهم سواء أكانت تلك المنازعات مدنية أو متعلقة بزراعة الأرض أو جنائية.

وبسيطرة الشيخ همام على معظم أراضي الصعيد توفرت له ثروة طائلة أفاض الجبري في وصفها فذكر أنه كان لهما:

وذلك بالإضافة الى أجزاء من المقاطعات الأخرى مثل أراضي:

القبيلة والبنارس، بنى جميلة، سمهود، شرق المرج القبلى، البحري، بنى وركان، يياضة، أرض المنقذية، طوخ، النقاوة، أبوب، جرف أبوعميرة، أولاد شلول، خارفة، أولاد طوق، جزيرة العنبرية، أولاد مامن، جراجوس، بلاص، سنابسة، ادفو.

ثم بدأ الشيخ همام بعد ذلك ينفرد بمعظم أراضي الصعيد، وينحى عنها ملتزميها من الممالك ومن أقاربه أيضا ومن العرب الآخرين.

وما ان اتى عام ١١٧٤ هـ / عام ١٧٦٠ م حتى لم يبق في ولاية جرجا ملتزمون سوى الشيخ همام وعدد قليل جدا من اقاربه الذين يكملون اسمه في مقاطعاته، وعدد قليل جدا من الممالك بالتزامات ضئيلة.

وقد استولى همام على أراضي أسرة الاخميمى أقوى الاسر العربية المنافسة للهواره في الصعيد فاخفى اسم آخر رجالها وهو الأمير عيسى كمالي الاخميمى من دفاتر الالتزام الخاص بولاية جرجا سنة ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠ م، وقد زال نفوذ هذه الاسرة وتلاشت مكائنها من حياة ولاية جرجا بعد ذلك.

وما أن اتى عام ١١٨١ هـ / عم ١٧٦٧ م حتى تمت للشيخ همام السيطرة على معظم أراضي الصعيد من النيا الى اسوان.

فقد كان في التزام الشيخ همام في ذلك العام التزام المقاطعات الآتية كاملة وهي:

مقاطعات برديس، قنا، الأقصر، يياضية، شرق خميم، هوربهجورة وتوابعها، عرب قصاص، خولجان وسمهود، طهطا، حراجية، شندويل، منشأة اخميم، فرشوط، طما، قوص، بخانس.

وما هو مخصص للشيخ نفسه وحساب نفقات وإيرادات ومصروفات إدارة همام الواسعة.

وكان الشيخ همام يباشر كل أعمال موظفيه يراجع حساباتهم ويمليهم أوامره وتعليماته ومكاتباته.. ومن تلك الأوامر ما يتعلق بمنازعات أبناء المنطقة سواء أكانت مدنية أو جنائية أو متعلقة بشئون الزراعة.

فقد اعتاد همام عقد مجالس عامة جريا على عادة شيوخ القبائل المعروفة وفي تلك المجالس كان الشيخ يستمع بنفسه إلى الشكوى وبعد دراستها والتحقيق فيها كان يصدر حكمه عليها ويمليه لأحد كتابه ليسجل أمر الشيخ بما يراه في الشكوى.

وكانت تلك الأوامر تصدر على أوراق صغيرة بحجم كف اليد وتحمل في نهايتها ختم همام وتوقيعه. وفي أحد تلك الأوامر نجد الشيخ همام يأمر شخصا يدعى حسن الأمير من أهالي فرشوط بأن يسلم شخصا آخر اسمه على عبدالرحيم ما يخصه من مساحة في منزل تحت يده.

فهمام هنا يفرض نزاعا (مدنيا) بملكيته منزل وطلب من حسن الأمير تنفيذ ذلك الأمر الذي (يقتضيه حكم الشرع).

ومن الأمثلة الأخرى الخاصة بالمنازعات (المدنية) أمر آخر من الشيخ همام لـ محمد علي اسماعيل يأمره فيه بمنع رجاله من التعرض للأمير محمد اسماعيل الذي يريد بناء مسكن فخيفر عنده بجوار جامع مهدم خاص بأسرة الأول ولكن البناء سيكون في أرض الشاكي ولذا يأمر الشيخ همام محمد علي اسماعيل بمنع رجاله من التعرض له وتركه يقيم البناء الذي يريده.

ومن المنازعات الخاصة بالزراعة والتي كان

(برسم زراعة قصب السكر اثنا عشر ألف ثور وهذا بخلاف المعد للحرث ودراس الغلال والسواقي والطواحين والجواميس والابقار الحلابة).

(وأما شئون الغلال وحواصل السكر والتمر بأنواعه، فشئ لا يعد ولا يحد).

وأنه كان لدى همام الكثير من الأرقاء وأنه كان ينعم بالجوارى والعبيد والسكر والغلال.

بسيطرة الشيخ همام على معظم أراضي الصعيد وبحيازته لتلك الأراضي الواسعة الممتدة من المنيا إلى اسوان بالالتزام كان عليه أن ينظم إدارة دقيقة لتلك الأراضي بما تضم من فلاحين وعمال وموظفين.

لذا أقام همام حكما إداريا دقيقا لتنظيم شئون أراضيه والعاملين فيها.

فكان لديه دواوين (مجالس إدارة) تضم جيشا من الكتبة ومعظمهم من الأقباط (لمهارتهم في الشئون الحسابية).

وكان هؤلاء يعملون في دأب متواصل آناء النهار وأطراف الليل لانجاز حسابات همام الواسعة والمتعلقة بمعاملاته مع فلاحية وشركائه.

وكانت تلك الحسابات تتعلق بأموال الخراج التي يقدمها الفلاحون للشيخ همام ما يقدمونه له منها وما يعتذرون عن تأخيرها، وما يعجزون عن سداها. ثم طلبات الفلاحين من طلب قروض لمساعدتهم على زراعة أراضيهم مقابل تقديم جزء منها كرهينة للشيخ همام حتى تسديد القرض في العام القادم.

وكان ذلك يتم بتقديم اقرار شخصي من الفلاح المقترض أمام الشيخ همام وموظفيه. أو أمام قضاة الاقليم وبحضور موظفي همام الدين كان عليهم أيضا تسلم الغلال والأموال التي يقدمها الفلاحون لهمام وعمل الحساب الخاص بها أي توزيعها حسب تعليمات الشيخ همام ما هو مخصص منها للدولة

٥٣	أولاد جناد الغربى
٥٣	أولاد جناد الشرقى
٥٣	بنى وركان
٥٣	قباله شره
١٦	قرية حراجية
٨	كسوم بدار
<hr/>	
٢٣٦	بارة

وكان هؤلاء المعلمون ينوبون عن الشيخ همام أحيانا فى حضور عمليات تنازل الأمراء الممالك له عن أراضيهم بولاية جرجا، ويسلمونهم الثمن الذى يدفعه الشيخ همام مقابل ذلك أمام محاكم القاهرة.

مثال ذلك ما كان فى قيام المعلم بولص بن منقريوس بحضور عملية تنازل الأمير محمد جاويش مستحفظان القازوغلى فى ١٩ ذى القعدة سنة ١١٧٣ هـ / سنة ١٧٥٨ م (أول يولية) عن حصته بناحية طهطا بولاية جرجا للشيخ همام.

وقام المعلم المذكور بتقديم الثمن الذى دفعه همام مقابل حصوله على هذه الأرض.

جيش همام

ولكى يحمى همام أراضيها الواسعة ويدفع عنها شر هجمات الاغراب وأطماع الأمراء الممالك كون جيشا كبيرا من الهوارة أقاربه ومن الممالك الفارين الى الصعيد هربا من وجوه منافسيهم وكان أكثر هؤلاء من بقايا فرقة القاسمية التى شهد عام ١١٤٢ هـ / سنة ١٧٢٩ م هزيمتها ونشت معظم رجالها الى الصعيد حيث التحق الكثيرون منهم بخدمة الشيخ همام وانضموا الى صفوف جيشه.

الشيخ همام يتولى أمرها أيضا ويصدر أوامره لتنظيمها.

الأمر الذى أصدره لعبدالرحمن اسماعيل الأمير يأمره فيه بسداد مقدار خمسين تليسا من الغلال ثلثها قمح وثلثاها فول ايجار الرزقة التى يستأجرها من الحاج عمر والتى هى موروثه له عن والده وأن على عبدالرحمن اسماعيل الأمير ان يدفع له وللمستحقين الآخرين ذلك القدر من الغلال سنويا لاستحقاقهم له.

وفى أحد الأوامر الأخرى من هذا القبيل يأمر الشيخ همام أحد أقاربه هو الشيخ أبوبكر أحمد بمنع رجاله من التعرض لشخص اسمه غزالى الأمير (من اسرة الأمير) اشترى من همام ثلاثة قراريط ونصف وسدد له ثمنها كاملا، ولكنه أى الشيخ أبوبكر أحمد حرص عليه رجاله لمضايقته وحجز قطعة من هذه الأرض.

ويذكره همام فى هذا الأمر بأن هذه الأرض من أرضه شخصيا (الغفارة من أصلها لنا).

وقد ضمت ادارة الشيخ همام بالاضافة للعديد من الكتبة عددا من المباشرين الأقباط الذين كانوا يمثلون الصرافين ويعرفون فى الصعيد بالعمال ويختصون بتوزيع الضرائب على الفلاحين وتحصيلها منهم.

وكان أشهر هؤلاء المعلمين فى عهد همام المعلم بولص بن منقريوس الذى كان يقوم بتسديد الأموال والغلال المطلوبة من الشيخ همام لحكومة القاهرة. وقد أوردت دفاتر الالتزام بالقلعة أمثلة كثيرة لهذا منها ما كان من قيام المعلم بولص ليابة عن الشيخ همام بتسديد العوايد (الضرائب الخاصة ببعض قرى همام وهى :

وقد قدر جيران عدد رجال جيش همام ألف مقاتل.

ومما لاشك فيه أن هذا الجيش لم يكن له من حسن الاستعداد والتدريب والمهارة الحربية ما يماثل الجيوش المملوكية وهذا ما يفسر الانهيار السريع لقوات همام أمام قوات على بك الكبير أثناء لقائهما في معركة أسوط.

وقد اهتم الشيخ همام بالعلماء واشتهر بتقريبه لهم وإكرامهم ومقابلتهم بما يستحقون من احترام وتقديم الهدايا العظيمة لهم إذا ما قصدوه في موطنه.

ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين زاروا الشيخ همام في موطنه الشيخ مرتضى الزبيدي المشهور بمرتضى الحسيني الزبيدي الذي نشأ باليمن (ولد بهما سنة ١١٤٥هـ / سنة ١٧٣٢م وارتحل في طلب العلم وحج مرارا. واجتمع بأشهر علماء عصره الذين أجازوه ثم حضر إلى مصر سنة ١١٦٧هـ / سنة ١٧٥٣م وسكن بحي الصاغة وبدأ التأليف واشتهر أمره وأخذ عنه كثير من شيوخ ذلك العصر كالجوهري، والحنفي.

وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأعيانه وعلمائه وزار الشيخ همام الذي أكرمه إكراما كبيرا وقدم له هدايا كثيرة.

ومن أشهر العلماء الذين كانوا يعيشون في أرض الشيخ همام الشيخ علي بن صالح الشاوري المالكي مفتي فرشوط والذي تلقى علومه بالأزهر ثم عاد إلى فرشوط وتولى افتاء المالكية بها.

وقد اهتم به الشيخ همام اهتماما كبيرا وأكرمه إكراما كبيرا وكان يقبل وساطته في أي أمر مما أدى إلى اشتهاه أمره ولما زار الشيخ مرتضى الزبيدي فرشوط قدمه الشيخ الشاوري لهمام.

وبعد وفاة همام غادر الشاوري فرشوط وحضر

إلى القاهرة وظل بها حتى وفاته سنة ١١٨٥هـ / سنة ١٧٧١م.

وقد أوقف الشيخ همام كمعادة الأمراء المماليك أوقافا كثيرة على المساجد في الصعيد وقام بكثير من الإصلاحات فيها مثل ما قام به من إصلاح في مسجد سيدي عبدالرحيم القناني أشهر أولياء الصعيد. المقام فوق معبد الأقصر على الضفة الشرقية للنيل. فقد جدد همام المسجد والمقام. وأنشأ خلفه مخزنا ودورة مياه وأوقف عليه أوقافا كثيرة.

وقد أنشأ همام مسجدا خاصا في موطنه فرشوط في الجانب الشرقي منها عام ١١٧١هـ / سنة ١٧٥٧م وهو مسجد فخم.

ومازال هذا المسجد قائما في فرشوط في حالة جيدة وتقام به شعائر الصلاة وقد كتب على واجهته:

جامع همام بن يوسف رونق.

به لاذت العباد من كل وجهة.

عليه علامات القبول لوابع.

وقد طاب من أرجائه كل بقعة.

فيا داخلا بالباب ادع لمنشئ.

وارخ يسد الله سر المنية.

وعلى جدران المسجد كتبت قصيدة نهج البرده.

وقد أوقف الشيخ همام تسعة عشر فدانا بفرشوط للانفاق منها على هذا المسجد.

نفوذه

رأينا فيما سبق كيف تمتع الشيخ همام بشراء طائل وحكومة منظمة دقيقة وقد اتسع نفوذ همام اتساعا كبيرا فقد تمكن الشيخ بشرائه الطائل

همام مثيرة للشغب، وكانت تهاجم مزارع الفلاحين في الصعيد وتسلبهم محاصيلهم، فاستطاع الشيخ همام أن يستميل هذه القبائل وأن يجعلها تستقر بجوار نهر النيل - لأول مرة في حياتها - وأن تكف عن أعمال السلب والنهب التي كانت تمارسها من قبل.

هكذا أدت سيطرة همام على الصعيد الى سلب سائر القبائل المقيمة به النفوذ الذي كان لها على الفلاحين في ارجاء مصر الاخرى.

وبفضل النظام الذي وضعه الشيخ همام للأمن أثناء سيطرته على الصعيد تمكن البكوات البعيدون عنه والذين لهم التزامات فيه من الحصول على إيرادات أراضيهم كاملة بعكس الاقاليم الاخرى التي لم يتمكنوا من الحصول على إيراداتهم فيها لما كان يسودها من فوضى واضطراب لم يرهما الصعيد في عهد الشيخ همام.

وقد استراحت الدولة عامة الى تولى الشيخ همام ادارة أراضي الصعيد، فقد كفاها همام متاعب كثيرة في الحصول الأموال بتسديده الدائم. لما عليه من خراج.

فما أن انتهت ايام همام حتى غدا الصعيد نهبا لبكوات القاهرة المتنفعين.. الذين لم ينل الصعيد على أيديهم أدنى تقسيم اذ لم يكن لهم هم الا استعادة سلطاتهم مسخرين أرض الصعيد وثرواته وفلاحيه خدمة مآربهم الشخصية وقد بدأت تلك الفترة بعد وفاة همام بقليل في عهد على بك نفسه الذي طرد قائده محمد أبا الذهب فلجأ الى الصعيد محاولا استغلال أهله لاستعادة مركزه.

ثم كان النزاع بين مراد بك وابراهيم بك وبين زميلهما اسماعيل بك على رئاسة مصر، وما كان من لجوء كل فريق تلحقه الهزيمة من الفريقين الى

وشخصيته القوية وسيطرته على معظم أراضي الصعيد من الدخول في علاقات قوية مع كبار الامراء المماليك وكبار الموظفين العثمانيين فقد كان همام على صلة وثيقة بالأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة بالقاهرة وقد كان هذا الأمير يقوم بعقد جميع الاتفاقات الخاصة بالشيخ همام مع أمراء المماليك بالقاهرة وخاصة بتنازل هؤلاء الأمراء من أراضيهم للشيخ همام وكان الأمير عثمان أغا هو الذي يقدم نيابة عن همام الثمن اللازم لذلك ويقبل التنازل أمام محاكم القاهرة نيابة عن همام الذي كان قد أعطاه توكيلا رسميا بذلك.

ولنفوذ همام الواسع تمكن من مصادقة بعض كبار الأمراء المماليك مثل الأمير عثمان بك الفقاري، صالح بك القاسمي حاكم جرجا وتحدي بعض مثل الأمير ابراهيم جاويش.

وتمكن أيضا من ارغام الكثيرين من كبار الأمراء المماليك على التخلي عن أراضيهم في الصعيد والتنازل له عنها، فقد رأى هؤلاء الأمراء أنه من المصلحة أن يتنازلوا عن تلك الأراضي لشيخ الصعيد الذي كانت الدلائل كلها تشير الى أنه ستكون له وحده السيطرة على معظم أراضي الصعيد.

أثر سيطرة همام في ولاية جرجا على الحياة الاقتصادية والسياسية فيها
تمكن الشيخ همام من حفظ الأمن في الصعيد بكسبه ود القبائل العربية الأخرى المقيمة فيه مثل قبائل العليقات الذين ناط بهم الشيخ همام حراسة طريق القصير.

ومثل قبائل العبابدة التي كانت تسكن منطقة كوم أمبو في أسوان والتي كانت دائما وقبل عهد

عليهم من أموال وغلال للدولة ولم يستطع عبدالرحمن بك أن يرجعهم عن تمردهم الا بعد أن أرسلت له الحكومة بالقاهرة حملة قام بقيادتها ضد الهوارة الذين منوا بالهزيمة أمامه وفروا هارين الى الجبل ثم عادوا الى طاعة الدولة.

وقد لعب الهوارة دورا كبيرا فى المنازعات التى كانت تدور بين أمراء المماليك بالقاهرة وحاولوا استغلال هذه المنازعات لصالحهم وكانوا عاملا هاما فى اذكاء حدة الصراع بين كثير من كبار الأمراء المماليك.

فبعد عزل عبدالرحمن بك من ولاية جرجاب بسعى منافسيه ذهب الى القاهرة وأثار عليه غضب زملائه لخروجه من فرقة الفقارية فرقته الأصلية وانضمامه الى الفرقة المنافسة لها وهى فرقة الفقارية، وقد تحمل عبدالرحمن بك بسبب تصرفه هذا عدااء زملائه بالإضافة لعداء الباشا الذى كان يضمّر فى نفسه الكراهية لعبدالرحمن بك لاشتراكه فى عزل الباشا السابق له والذي كان هو كتحداه.

وقد انتهز الهوارة هذه الفرصة واستغلوا الصراع الدائر بين عبدالرحمن بك وزملائه للانتقام منه لخارته السابقة لهم فكتبوا للباشا قوائم بما ذهب لهم من (خيول، وجمال، وعبيد، وجوار، وغلال، وأخشاب وفرش ونحاس) وضمنوها بثلاثمائة كيس واتهموا عبدالرحمن بك بأخذ هذه الأشياء وأنابوا عنهم وجاق الانكشارية فى خلاص ذلك منه فرفع هؤلاء الأمر الى الباشا فأمر باحضار عبدالرحمن بك فرفض الحضور وانتهر اعداؤه هذه الفرصة واتفقوا على محاربتة ان اصر على عدم تسليم الهوارة ما أخذه منهم خلال حملته عليهم، ولما استمر عبدالرحمن بك على موقفه من عدم الاعتراف بما

الصعيد يستولى عليه ويسوم أهله سوء العذاب مما أدى الى: تدهور الزراعة واضطراب الأمن فى الصعيد. وان كانت سيطرة همام قد أدت الى ضعف وتلاشى السلطة الحكومية المركزية فى الصعيد، وقضت على كل نفوذ فعلى لحاكم جرجا.

فان تلك السيطرة وفرت للصعيد وأهله أمنا واستقرارا وازدهارا للزراعة لم ينعم بهم الصعيد وأهله قبل همام أو بعده.

علاقة الشيخ همام بالأمراء المماليك

تمتعت قبيلة الهوارة التى ينتمى اليها الشيخ همام بسيطرة واسعة على الصعيد وقد ظلت لشيخ هذه القبيلة رئاسة الصعيد والسيطرة على الحكم فيه حتى عام ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م حيث عزل العثمانيون الهوارة عن الحكم فى الصعيد كما قدمنا. ولكن السيطرة والنفوذ عادا ثانية الى الهوارة حينما ادخل نظام الالتزام الى مصر فى الربع الأول من القرن ١٧م وقام نفوذ الهوارة حينئذ على اساس الاعتراف الرسمى بهم كملتزمين.

وقد ساعد على تدعيم نفوذ الهوارة ما كان لهم من هبة موروثية وعصبية قبلية، وثراء طائل وصلات متعددة بالحكام وتدخل مستمر فيما كان يجرى من احداث بين أمراء مصر وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم وقد استمر الهوارة فى تدعيم نفوذهم ومد سيطرتهم على أراضى الصعيد بحيازتها بالالتزام وقد شهد القرن الثامن عشر أقصى مراحل نمو ونفوذ الهوارة وسيطرتهم على الصعيد، وقد غدا الهوارة من القوة بحيث أمكنهم تحدى عبدالرحمن بك حاكم ولاية جرجا فى عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م.

حيث تمردوا عليه ورفضوا ان يقدموا له ما

اتهمه به الهوارة حاربه منافسوه حيث كان متحصنا فى منزله ومعه اتباعه وانتهى الأمر بمقتله سنة ١١١٣هـ / ١٧٠١م ونجح الهوارة فى الانتقام من عبدالرحمن بك مستغلين فرصة النزاع بينه وبين زملائه وكان تدخل الهوارة هو الذى زاد من اشتعال حدة ذلك النزاع ووصل به الى اخطر مدى له.

وعندما اندلعت احداث فتنة افرنج أحمد بالقاهرة سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م اشترك الهوارة فيها اشتراكا فعليا بحضورهم الى القاهرة بصحبة محمد بك حاكم ولاية جرجا حينئذ.

فعندما ارسلت الدولة حملة بقيادة محمد بك قطامش سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م لمعاقبة الهوارة لاشتراكهم فى احداث فتنة افرنج أحمد وما قاموا به من أعمال تخريب خلالها سواء فى القاهرة أو فى الحاء الصعيد التى كانت تحت سيطرة منافسيهم، ولم ينقل الهوارة من غضب الدولة - (بعد هزيمتهم أمام هذه الحملة واعتصامهم بالجبل) - الا صديق لهم من أكبر الأمراء المماليك بالقاهرة حينذاك وهو الأمير ابراهيم أبوشنب الذى لجأ اليه الهوارة طالبين منه التوسط لهم لدى الباشا وأخذ أمر منه بالعفو عنهم وتأمينهم فى ديارهم وفعلا تم لهم ذلك عن طريق هذا الصديق.

وأثناء الصراع بين فرقتى القاسمية استعان القاسمية بالهوارة فى صراعهم ضد الفقارية.

ففى أثناء اشتداد الصراع بين هاتين الفرقتين هرب محمد بك جركس أكبر زعماء فرقة القاسمية الى الصعيد حيث أعاد تنظيم صفوفه واستعان بمن كان لاجئا هناك من افراد فرقة القاسمية واستعان بالهوارة الذين صحبوه فى طريقه للتقدم الى القاهرة ولكنه قتل على ايدى منافسيه بالجيزة.

وبموته انتهى الصراع بين الفقارية والقاسمية

الذين هزموا وتشتتوا فى البلاد سنة ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م.

وقد لجأ الكثيرون من افراد هذه الفرقة الى الهوارة حيث عملوا عندهم كجنود واختلطوا بهم وعاشوا فى بلادهم.

وخاصة فى عهد الشيخ همام فقد انضم اليه الكثيرون من هؤلاء الرجال وعملوا بين صفوف جيشه.

وقد وصل الهوارة الى ذروة القوة والسيطرة على الصعيد فى عهد الشيخ همام بن يوسف الذى وصل الى حد من القوة والنفوذ مكنه من مصادقة الكثيرين من كبار الأمراء المماليك بالقاهرة يلجأ اليهم لمساعدته على تحقيق أغراضه، ومكنه تلك القوة ايضا من الوقوف موقف التحدى من بعض كبار الأمراء المماليك مثل الأمير ابراهيم جاويش.

وعن طريق سيطرة الشيخ همام على معظم أراضي الصعيد من المنيا الى اسوان بالالتزام توفرت له سلطة واسعة ونفوذ كبير.

وقد بدأ اسم الشيخ همام يظهر كملتزم لبعض أراضي الصعيد كما قدمنا ابتداء من سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢١م.

ومنذ هذا العام والشيخ همام يواصل زحفه على أراضي الصعيد فقد شهدت الأعوام التالية لهذا العام نموا سريعا للأراضي التى أخذها همام بالالتزام واستمر فى تنفيذ سياسته بتوسيع أراضيهِ وتنحية الملتزمين الآخرين لأراضي الصعيد من المماليك ومن اقاربه الهوارة ومن العرب الآخرين.

وقد أدى هذا التوسع الى اصطدام الشيخ همام ببعض كبار الأمراء المماليك الذين كانت لهم أراضٍ أخذوها بالالتزام فى ولاية

جرجا والتي كان بعضها يجاور أراضي همام مباشرة.

وقد اضطر بعض هؤلاء الأمراء للتنازل للشيخ همام وشركائه (من اقاربه) عن معظم أراضيهم في الصعيد فلم يكن أمام هؤلاء الأمراء مجال للاختيار أمام قوة شيخ الصعيد ونمو نفوذه المطرد، وكانت الدلائل كلها تشير الى انه ستكون له السيطرة على معظم أراضي الصعيد.

ومن هنا اضطر الكثيرون منهم للتخلي عن أراضيهم للشيخ همام بل وصل الامر ببعضهم الى حد الحضور بنفسه الى فرشوط مقر الشيخ همام لتسجيل تنازله عن أرضه لهمام أمام محكمة فرشوط مثال ذلك ما كان من: تنازل الأمير عثمان جلبي بن أخى حسن قهوجى عن حصته فى ناحية بلصفورة بولاية جرجا للشيخ همام وشريكه (عمه عيسى احمد محمد همام) نظير ثمن معين وقدره اثنا عشر كيسا وذلك بتاريخ ١٢ ربيع أول سنة ١١٤٦هـ / سنة ١٧٣٣م.

وقد كان الأمير ابراهيم جاويش أهم الأمراء الذين اصطدم بهم الشيخ همام فى محاولته لمد سيطرته على أراضي الصعيد وأخذ معظمها بالالتزام.

فقد كان للأمير ابراهيم أراض واسعة اخذها بالالتزام فى منطقة قنا من ولاية جرجا حيث كانت تلك المنطقة المعقل الاساسى لهمام ولقبيلته.

وما كان الشيخ همام - وهو بصدد تنمية اراضيه ومحاولة توسيع نطاقها - ليرضى عن بقاء أراضي الامير ابراهيم جاويش وكان للأمير ابراهيم من قوة الشكيمة ومن عظم النفوذ ما جعله يخوض معركة تحدد نفوذ همام وضد محاولاته للتوسع وضم اراضيه فى الصعيد.

وفى رواية الجبرتنى ان الصراع بين الشيخ همام وبين الأمير ابراهيم جاويش بدأ يأخذ صورة واضحة ابتداءً من سنة ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م. ففى هذا العام رهن الشيخ همام للأمير ابراهيم ناحية برديس مقابل قرض مالى على ان يكون من حق الأمير ابراهيم التصرف فى تلك الناحية لو تأخر الشيخ همام عن سداد المبلغ المقرض فى الموعد المحدد للسداد.

وقد رفض الشيخ همام تسديد المبلغ فى مواعده ومنع ابراهيم جاويش من تسلم ناحية برديس والتصرف فيها واستعان بصديق له من كبار الأمراء المماليك بالقاهرة حينذاك وهو الأمير عثمان بك الفقارى الذى ايد موقف همام.

وقد لعب همام دورا كبيرا فى تصعيد حدة الصراع بين الأمير عثمان ذى الفقار والأمير ابراهيم جاويش فقد كان الصراع شديدا بين هذين الأميرين بسبب تنافسهما على رئاسة مصر. فأدت استعانة الشيخ همام بالامير عثمان لمساندته فى موقفه ضد الامير ابراهيم جاويش الى استياء الامير ابراهيم من الامير عثمان وسعى بكل قواه لجمع كلمة زملائه وتخريضهم على مهاجمة عثمان بك وهو فى طريقه الى القلعة وتم لهم ذلك وهرب عثمان بك أمامهم وفر الى الصعيد عند تابعه على بك حاكم ولاية جرجا حيث معقل الشيخ همام ومهد قوته ونفوذه.

وهكذا كان همام سببا فى احتدام الصراع بين أكبر أميرين فى هذا الوقت وهما عثمان بك الفقارى و ابراهيم جاويش وبالرغم من انتهاء هذه الجولة بخروج الأمير عثمان من مصر الى استانبول. وبالرغم من وصول الأمير ابراهيم جاويش الى مركز السيطرة على مصر فانه لم يتمكن من ارغام الشيخ همام على تسليمه ناحية برديس.

فقد بقيت تلك الناحية فى أراضي همام التى

احرزها بالالتزام حتى وقت وفاته سنة ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م وكانت هي الدار الذي سيبدأ منه على بك. التحرش بهمام كما سنرى.

رفض همام تسليم الأمير ابراهيم ناحية برديس كما نص على ذلك في الاتفاق الذي كان بينهما كان ذلك الرفض بهدف دفع الأمير ابراهيم للتنازل عن أراضيه في ولاية جرجا للشيخ همام مادام ليس في امكانه وضع يده على الأرض التي له الحق فيها مثل ناحية برديس وهذا ما حدث فعلا في السنوات التالية فقد شهد عام ١١٥٤هـ / ١٧٤١م تنازل الأمير ابراهيم جاويش عن حصته وقدرها ١٢ ط من اصل ٢٤ ط في ناحيتي سمهود وخولجان تنازل عن الحصة السابقة لشريك همام الشيخ عيس أحمد محمد همام الذي قام بدوره بالتنازل عن هذه الحصة للشيخ همام الذي ذكرت عنه الحجة.

انه بضم الجزء السابق صار له التزام ناحية سمهود وخولجان بالكامل لأنه كان له من قبل نصف تلك الناحية.

وفي عام ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م ضم الشيخ همام أراضي ابراهيم جاويش التي كانت له في قوص، الحراجية.

وفي عام ١١٦٧هـ / ١٧٥٣م ضم الشيخ همام لأراضيه ما كان لابراهيم جاويش من أراضي في نواحي الشطب، الحرجة، الباسكية، الشيخية، بيج القهرمون.

وهذا يوضح الى أي مدى وصلت قوة همام وسيطرته على الصعيد بالرغم من ان ابراهيم جاويش كان وقتها في قمة نفوذه وسيطرته على الحكم.

فانه اضطر امام قوة شيخ الصعيد (نزولا على حكم الواقع الى التنازل عن اراضيه في الصعيد والابتعاد عن منطقة نفوذ همام).

وقد استمر الشيخ همام في تدعيم نفوذه وبناء قوته بدفع كبار الأمراء المماليك واحدا تلو للتنازل له عن أراضيهم في الصعيد.

ففي عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م، وأمام محكمة الباب العالي بالقاهرة تنازل الأمير محمد جاويش مستحفظان القازدغلي عن حصته وقدرها ٢ ط بناحية طهطا وتوابعها للشيخ همام نظير ثمن معين وقدره عشرون كيسا قدمها نيابة عن همام وكيله المعلم بولص.

وواصل الشيخ همام اجلاء امراء المماليك الآخرين الذين كانت لهم أراضي في ولاية جرجا وخاصة من كانت أراضيهم تتداخل مع أراضيه.

ففي عام ١١٨٠هـ / ١٧٦٦م تنازل الأمير خليل بك القازدغلي الدفتردار عن نفسه وعن وكيله وشريكه حمزة بك القازدغلي عن ١٨ ط من اصل ٢٤ في كامل أراضي ناحية منشاة اخميم (الحرزات والزوك والكوامل وأولاد مامن وتوابعها من ولاية جرجا). وتم التنازل أمام محكمة الباب العالي بالقاهرة نظير ثمن دفعه همام وقدره مائتا كيس.

وفي عام ١١٨١هـ / ١٧٦٧م اضطر امير آخر هو عثمان بك ابويوسف صاري عسكر الخزينة العامة وقتها الى التنازل من نفسه وعن موكلية من ٢ ط حصتهم في ناحية نفس اخميم، قيراط في أراضي شرق اخميم وتوابعها ساقلته، سفلاق صوامعه طوايل بولاية نظير مبلغ ٢٧ كيسا. وتم التنازل أيضا أمام محكمة الباب العالي بالقاهرة في ١٢ رجب سنة ١١٨١هـ ديسمبر سنة ١٧٦٨م.

وكان متوسط ما يدفعه همام من نقود ثمننا للتنازل عن القيراط أحد عشر كيسا مصرية (ولم يكن القيراط في ذلك الحين يعني ١/٢ من الفدان وانما كان يعني ١/١ من أرض المقاطعة الزراعية فقد كانت كل مقاطعة تقسم الى ٢٤ قيراطا أي جزء

همام بارساله حملة بقيادة محمد بك ابى الذهب لطالبة همام بالتخلي عن جميع اراضيه شمال برديس .

هكذا رأينا كيف تمكن همام بما اتيح له من قوة وثراء ونفوذ وسيطرة على معظم اراضى الصعيد من الدخول فى علاقات قوية مع امراء المماليك فتحدى بعضهم واضطره للتخلي عن اراضيه فى الصعيد وصادق بعضهم صداقة قوية ربطت حياته بحياتهم ومصيره بمصيرهم مثل صداقته للأمير صالح بك القاسمى الذى بلغ من صداقته له انه كان ينبه عنه فى جميع مصالحه بالقاهرة والذى ايده الشيخ همام بكل ما يحتاج اليه من مال عندما حاول على بك نفية من مصر ليخلو له الجور لفرض سيطرته على مصر.

وقد بدأت صداقة همام مع صالح بك منذ عام ١١٦٨هـ - ١٧٥٤م حينما عين صالح بك حاكما لولاية جرجا، فقد قبل هذا الأمير صداقة الشيخ همام ربما لأنه من القاسمية، وهم الرجال الذين غمرهم الهوارة عامة والشيخ همام خاصة بكرمهم، وأفسحوا لهم ديارهم. وقدموا لهم المأوى والأمان عندما انتهت دولتهم سنة ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م وتعرضوا للتشتيت والنفي.

وربما أدرك صالح بك بثاقب بصره أنه من الخير له أن يكسب ود وصداقة شيخ الصعيد المسيطر على معظم اراضيه ان أراد ان يضمن لنفسه حكم ولاية جرجا فقد وصل الشيخ همام فى تلك السنوات الى حد من القوة والسيطرة والنفوذ ما كان يجعله فى مركز يستطيع منه تحدى أى حاكم لولاية جرجا لا يكون على وفاق معه.

ولم يكن الشيخ همام يغادر الصعيد الى القاهرة لحضور عمليات التنازل هذه بل كان ينب عنه وكلاء للقيام بذلك وتسلم الأرض المتنازل عنها ودفع الثمن اللازم لعملية التنازل، وكان منهم المعلمون الاقباط الذين يعملون بأراضى همام فى الصعيد بمثابة مباشرين عنده ومنهم الأمير عثمان اغا العثماني وكيل دار السعادة بالقاهرة هو ناظر الاوفاف السلطانية العامة بالقاهرة والذى كان الشيخ همام قد اعطاه توكيلا شرعيا للقيام عنه بمثل هذه الأمور.

بل لقد وصلت سطرة همام ونفوذه وقوته الى حد أنه استطاع ان يرغم على بك الكبير اعظم الأمراء المماليك حينئذ وشيخ البلد والمسيطر على مقاليد الحكم فى مصر على التنازل له عن مساحات واسعة من اراضيه التى كان يحرزها بالالتزام فى الصعيد من ذلك.. ما كان من تنازل الأمير على بك الكبير للشيخ همام عن ٢٢ قيراطا من اصل ٢٤ قيراطا أى معظم ناحية بنى نصر بمنفلوط وكان ذلك أمام محكمة الباب العالى بالقاهرة فى أول رجب سنة ١١٨٢هـ / ١١ نوفمبر سنة ١٧٨٦م نظير مبلغ ٢٥٢ كيسا قدمها وكيل همام الأمير عثمان اغا.

ولعل على بك امتلأت نفسه حقدا على همام بعد وقوع تنازله هذا عن اراضيه لهمام ولعل هذا التنازل هو أقصى ما وصل اليه همام من قوة ونفوذ حينئذ.

ففى منتصف هذا الشهر نفسه ١٥ رجب سنة ١١٨٢ / ٢٦ نوفمبر سنة ١٧٦٨ بدأ تحرضه بالشيخ

الصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير

اتجه على بك من أجل توطيد نفوذه الى الايقاع بين حسين بك كشكش وصالح بك القاسمي بتعيين الأول حاكما لجرجا ثم أصدر أمرا بنفى صالح بك الى رشيد ثم الى دمياط ولكن صالح بك لم يستسلم بل فر الى المنيا أى الى الصعيد موطن صديقه وحليفه الشيخ همام وجمع حوله (المنفيين) من فرقة القاسمية.

وقد اهتم الشيخ همام بمساندة صديقه صالح بك ومساعدته مساعدة فعالة، عملا بما تقتضيه واجبات الصداقة من جهة وادراكا لسوء نوايا على بك من جهة أخرى فلا شك ان مساعدة الشيخ همام لصالح بك كانت تحمل في ثناياها ادراكا من همام لنزعة على بك وميله للقضاء على كل ذوى السلطان والنفوذ الذين يخشى منهم على نفوذه وسيادته ومن هؤلاء كان صالح بك الذى كان يستمد قوته من صداقته وارتباطه بالشيخ همام، وقد أمد الشيخ همام صديقه صالح بك بكل ما يحتاج اليه من ذخيرة وموئ ورجال لمقاومة الحملة التى وجهها اليه على بك بقيادة حسين بك كشكش.

وقد تمكن صالح بك بمعاونة الشيخ همام من قطع الاتصال بين الصعيد والقاهرة، ومنع ارسال الغلال والأموال الأميرية.

وقد كان الشيخ همام يقف بكل قوته وراء صالح بك، وبحسن سياسة الشيخ همام وبعد نظره فشلت حملة على بك ضد صالح بك، فلا شك ان الشيخ همام بمساندته القوية لصالح بك نبهه الى حقيقة نوايا على بك ضده واهدافه من ارسال حملة

اليه بقيادة زميله حسين بك بهدف ايقاع الشقاق بينهما.

وفعلا حدث عكس ما توقع على بك وسرعان ما تفق صالح بك وحسين بك كشكش ضد على بك الذى سارع باصدار أمر بنفى حسين بك الذى لم يمثل للأمر وأسرع بدخول القاهرة عنوة لمحاول على بك دس السم له فاكشف هذه الخديعة فاضطر على بك الى الهرب الى الشام سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م وسيطر حسين بك على القاهرة واستعاد صالح بك حكم ولاية جرجا، ولكن على بك لم يلبث أن عاد من الشام ودخل القاهرة مظهرا الندم والتوبة فانخدع زملاءه بمظهره وأعطوه حكم نرسا الغيط لابعاده عن القاهرة ولكنه ما أن وصل الى هناك حتى دبر مؤامرة للقضاء على زملائه الذين اكتشفوا هذه المؤامرة وقرروا نفيه هذه المرة الى اسيروط وكانت جزءا من ولاية جرجا التى يحكمها خصمه صالح بك.

هكذا وجد على بك نفسه مضطرا للجوء لأقوى منافسيه صالح بك - حليف شيخ العرب همام - للاستعانة به فى محاولة العودة الى القاهرة والقضاء على منافسيه بها، وقد كانت أهمية صالح بك فى ذلك الوقت تأتى من مخالفته وصداقته لشيخ مصر العليا وسيدها المطاع الشيخ همام الذى كان له النفوذ الفعلى فى الصعيد حينئذ، فقد كان همام وقتها يسيطر على معظم أراضي الصعيد من المنيا الى اسوان ويملك ثروة هائلة وقوة عسكرية ضخمة واسلحة وذخيرة هائلة. وقدر على بك بشاغب بصره ان فى تحالفه مع صالح بك ما يضمن له الحصول على قدر هائل من القوة التى يتمتع بها الشيخ همام والتى كان لا يرضى بتقديم الكثير منها لصديقه صالح بك.

ولكن صالح بك رفض كل محاولات على بك للصلح معه متأثرا بما كان من سوء العلاقات بينهما ومحاولة على بك ابعاده الدائم من القاهرة تارة بنفيه الى رشيد، وتارة أخرى بنفيه الى دمياط. ولجأ على بك الى الاتصال مباشرة بالشيخ همام عله يقنع صديقه وحليفه صالح بك بالتحالف معه، وارسل اليه رسلا بذلك واستخدم الرسل في ذلك كل سبل الخديعة والقول المعسول والوعود البراقة ملوحين للشيخ همام بعزم على بك تأييد سلطته ونفوذه من الصعيد لو تم له النصر وكذا تثبيت مركز صالح بك كحاكم لولاية جرجا في ظل سيطرة همام. واستمروا في ذلك حتى قبل الشيخ همام ان يتم الاتفاق بينه وصالح بك من جهة وبين على بك من جهة أخرى.

ويبدو ان الشيخ همام لم يقبل مساندة على بك الا أنه ادرك خفايا شخصية على بك، وأنه يملك من العزيمة ما سيمكنه من هزيمة زملائه واحراز السيطرة على مصر كلها، ورأى همام في مساندة على بك ما قد يعود عليه، وعلى صديقه صالح بك بالنفع لو تم النصر لعلى بك وفاز بالسيادة ثانية.

ولعلنا تم الاتفاق بينهم، وقبل صالح بك الانضمام الى صفوف على بك الذى سر كثيرا بهذا الاتفاق الذى سيكفل له الحصول على أكبر قدر من الأموال والرجال والعتاد من الشيخ همام.

وقد وعدهم على بك بأنه اذا ما تم له النصر ثبت صالح بك فى حكم ولاية جرجا مدى الحياة أى ثبت نفوذ همام وسلطته فى الصعيد مدى الحياة أيضا فصالح بك كان هو الحاكم لجرجا شكلا

ولكن النفوذ الحقيقى فيها كان لشيخ العرب همام ، وبمصاحبة صالح بك وبمعونة همام تقدم على بك فى طريقه الى القاهرة بجيش جرار حيث التقى بمنافسيه شمالي بنى سويف فى جمادى سنة ١١٨١ هـ اكتوبر سنة ١٧٦٧ م حيث دارت المعركة الفاصلة التى انتصر فيها على بك نصرا تاما ودخل القاهرة حيث ثبتت اقدامه هذه المرة فى اماره مصر ورياستها وحيث بدأ فى تنفيذ سياسته التى كانت ترمى الى:

(قتل المتمردين وقطع المعاندين وتشتيت شمل المنافقين) وقد بدأها بالقضاء على حسين بك كشكش وزميله خليل بك سنة ١١٨٢ هـ سنة ١٧٦٨ م ثم التفت الى صالح بك حليفه الذى ساندته فى صراعه الهام ضد منافسيه والذى كانت له بمساعدة صديقه همام اليد الطولى فى حصول على بك على نصره المؤزر على زملائه.

ولكن على بك فى سبيل التخلص من زملائه الذين يخشى من منافستهم له غدر بصالح بك بأن أغرى به بعض أتباعه فاغتالوه ليلا أثناء سيرهم معه قرب سوققة عصفور بولاق بعد خروجهم من اجتماع ضمهم وعلى بك فى منزله فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١١٨٢ هـ / ١١ سبتمبر سنة ١٧٦٨ م وبذلك تخلص على بك من آخر صنف قوى كان يمكن ان ينافسه على مشيخة البلد، ولعل من أهم الأسباب التى جعلت على بك يعجل بالقضاء على صالح بك خوفا من خطورة صالح بك لاستناده الى حليفه القوى المسيطر على الصعيد شيخ العرب همام.

وبذا استقرت الأمور لعلى بك الذى غدا سيد مصر الفعلى، وتطلعت نفسه الى الانفراد بشئون الحكم فى مصر كلها وكان لابد له لتثبيت مركزه

فى الوجه البحرى قد تكون محاولة صادقة منه لاقرار الأمن فقد كثر عبث الحباية بشرق الدلتا واصبحوا أخطر العرب الموجودين بالوجه البحرى وأكثرهم نفوذا وسيطرة وهم ينتسبون الى حبيب بن سعد أعظم مشايخ العرب قدرا بالقليوبية خاصة والوجه البحرى عامة.

وقد وفد الحباية أصلا من الحجاز واستقروا فى شطب بأسىوط ثم نزحوا الى الدلتا، وكان ظهور جدهم حبيب فى أوائل القرن الثامن عشر وقد تولى رياستهم فى عهد على بك سويلم ابن حبيب الذى ورث عن أبيه حبيب وعن شقيقه سالم شهرة تردد صداها فى انحاء الوجه البحرى وقد انتهت الى سويلم زعامة جميع القبائل العربية هناك وهابه الجميع لجرأته وشده بأسه.

وقد احيطت اعماله بهالة من الخيال حتى لقد (قوموه وفرسه بألف خيال).

وقد انتهت اليه خفارة (حراسة) الملاحة النيلية بين بولاق وكل من دمياط ورشيد، غير أنه رغم ثروته الطائلة وضياحه الواسعة تجبر وطفى واصبح لا يفترق فى شى عن قطاع الطرق فزاوّل القرصنة النيلية وأعد مراكب خاصة لذلك تخرج الى النيل وعليها رجال غلاظ ومزودة بالسلاح فاذا مرت بهم سفينة صاعدة الى الوجه القبلى أو حادرة الى الوجه البحرى أوقفوها فان خضعت لهم اخذوا منها ما يشاءون وان عصتهم او حاولت الهرب منهم تتبعوها وضيقوا عليها اخناق حتى تقع بين أيديهم وحينئذ يأخذون منها أضعاف ما كانوا سيأخذونه منها لو سلمت لهم من أول الأمر.

ورغم تكرر الشكاوى من سويلم فان حكام مصر لم يكونوا يحركون نحوه ساكنا فقد كانت هداياه الفخمة الدائمة لهم تلجم الستهم وكان له

من تعبيد الطريق، ازالة ما به من عقبات كان أهمها كسب ثقة الباب العالى باطاعة أوامر السلطان والتقرب الى ممثلة فى مصر واستصدار فرمانات من الباشا لتنفيذ ما يتخذ من قرارات ونجح على بك فى ذلك نجاحا تاما.

وكان عليه ايضا ان يقضى على ما بقى من قوة الحامية العثمانية فى مصر، فهى وان كانت قد ضعفت واصبح معظم رجالها من أرباب الحرف، الملتزمين ولم تعد هيئات قوية منظمة، الا أنها كانت موجودة وللانفراد بالسلطة فى مصر كان على على بك ان يقضى على كل قوة لها، ولذا اتبع سياسة التخلص منها باهلاك رجالها فى الحروب الداخلية ومنع العناصر غير المرغوب فيها من بين ضباطها من التزام الأراضى ومصادرة أموال البارزين من قادتها أو اعدامهم.

وبعد ان أمن على بك جانب السلطان وقضى على المتمردين والمنافسين له من البكوات المماليك وبعد أن شل نفوذ الحامية العثمانية وركز السلطين الادارية والحربية فى يده اصبح فى مركز يسمح له بالقضاء على آخر القوى الخطيرة التى يمكن ان تهدد سلطاته ونفوذه وهى:

القبائل العربية المنتشرة فى الوجهين البحرى والقبلى.

وقد أظهر على بك أنه بمحاولته القضاء على سلطة تلك القبائل انما يهدف الى اقرار الأمن الداخلى.

ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك فقد كان على بك يهدف من تحطيم سلطة القبائل العربية فى مصر الى دعم مركزه وفرض سيطرته الخالصة على مصر كلها.

ومحاولة على بك للقضاء على القبائل العربية

من امراء المماليك واتباعهم اصدقاء كثيرون يحمون ظهره.

وقد وصل نفوذ الحبابية اقصى اتساع له فى عهد على بك فقد اصبحت معظم بلاد القليوبية والشرفية تحت حماية سويلم بن حبيب وحماية اقاربه وأولاده واصبح الملتزمون فى تلك النواحي تحت رحمته يتدخل فى كل أعمالهم بالاضافة لتحكمه فى الطريق بين القاهرة وموانى القطر الشمالية.

وما كان على بك يسمح لتلك الفوضى بالبقاء فى عهده وما كان يستطيع أن يغمض عينيه عن خطورة سلطة ابن حبيب على نفوذه فى مصر، لذا وجه اليه حملة بقيادة محمد بك أبى الذهب، وأيوب بك للقضاء عليه وفى رواية الجبرتي ان على بك احتج فى ارسال الحملة بما كان من اكرام ابن حبيب لمنافسة حسين بك كشكش وتستره عليه اثناء مطاردة على بك له.

وعندما وصلت الحملة الى دجوه - (قرية صغيرة بالقليوبية تقع على الضفة الشرقية لفرع دمياط) - لم يكن سويلم موجودا بها وعندما علم بحضورها أسرع الى البحيرة والتجأ الى عرب الهنادى، فاكتفى محمد بك بنهب دياره وأمواله وعاد الى القاهرة سنة ١١٨٢هـ / سنة ١٧٦٨م.

ولكن على بك لم يكتف بذلك بل جرد عليهم حملة أخرى بقيادة اسماعيل بك استطاعت هذه الحملة ان تهزم الحبابية والهنادى ايضا فالكسروا شر كسرة، وقضى على سويلم واتباعه وزال خطر هذه القبائل العربية نهائيا ولم تقم لها قائمة بعد ذلك.

وبعد ان تخلص على بك من أخطار عرب الوجه البحرى اتجه للقضاء على عرب الهوارة

بالصعيد واستخلاصه من أعظم مشايخ العرب قدرا ونفوذا واتباعا وهو شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى.

وفى محاولة على بك القضاء على الشيخ همام ونفوذه بالصعيد تبدو رغبته فى دعم مركزه بالقضاء على كل ذى نفوذ يمكن ان يهدد نفوذه وسيطرته على مصر.

وترجع اسباب النزاع بين الشيخ همام وعلى بك الى سنوات بعيدة الى عام ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م حين تحدى همام الامير ابراهيم كتنخدا (جاويش) استاذ على بك وسيده ذلك التحدى والعداء الذى لم ينته الا بنهاية الشيخ همام وقد أشار الجبرتي الى هذا المعنى بقوله:

(وأما النفرة التى لم يندمل جرحها فهى دعوة برديس وفرشوط فقد رهن الشيخ همام لابراهيم جاويش ناحية برديس نظير اقتراضه منه مبلغ من المال بشرط أن يتصرف ابراهيم جاويش كيفما يشاء فى ناحية برديس ان لم يسدد له الشيخ همام المبلغ الذى اقترضه منه فى الوقت المحدد لسداده.

ولكن همام رفض تسديد هذا المبلغ فى آوانه وتكرر رفضه حتى اضطر ابراهيم جاويش لأن يشكوه لعثمان بك الفقارى صديق الهوارة وزعيم المماليك فى مصر حينئذ ولكن عثمان بك أيد الشيخ همام ورفض اجباره على تنفيذ الشروط التى اتفق عليها مع ابراهيم جاويش الذى غضب لذلك أشد الغضب وتآمر ضد عثمان بك الذى خسر الموقف وفر هاربا الى استانبول، وفقد همام بخروج عثمان بك عن مصر أعظم صديق له من بين الامراء المماليك الكبار ورغم ذلك فقد عجز ابراهيم جاويش عن ان يستخلص ناحية برديس من الشيخ همام الذى كان قد بدأ فى السيطرة على الصعيد

والاستحواذ على أراضيه الواسعة.

جرى هذا الصراع بين الشيخ همام وإبراهيم جاويش على مرأى ومسمع من على بك الذى كان تابعا لإبراهيم جاويش وأحد مماليكه المخلصين.

ولابد أن موقف همام من إبراهيم جاويش أستاذ على بك قد ترك أثرا سينا في نفس على بك ولابد أن هذا التحدى من همام - لأحد كبار الأمراء المماليك أصحاب النفوذ في مصر حينئذ - قد لبه على بك إلى ما يتمتع به همام من قوة ونفوذ يخشى خطرهما على من تكون له السيطرة على مصر.

ولعل على بك قد أسر في نفسه حينئذ أنه متى سيطر على مقاليد الأمور لابد وأن يقضى على الشيخ همام وعلى نفوذه في الصعيد حتى لا يتطلع إلى فصله عن الوجه البحرى متحديا إياه تحدى استاذة من قبل.

ثم أدت الصداقة المتينة التى ربطت بين صالح بك القاسى - حاكم جرجا ومنافس على بك - وبين الشيخ همام إلى زيادة الشكوك في نفس على بك ضد همام وضد ما قد يحاوله من تحد له ولحكمه وسيطرته على مصر.

وأدرك على بك بعد قضائه على صالح بك أنه لابد وأن يزيل من الصعيد نفوذ همام وسيطرته الواسعة حتى لا يفكر همام في القيام بعمل ضده انتقاما منه لغدره بصديقه صالح بك ونقضه ما كان بينهما من عهود وتحالف ثم على يد همام وبرأيه ووساطته بينهما.

وقد كان طبيعيا أن يستكر الشيخ همام غدر على بك بصديقه وحليفه صالح بك، وأن يفتن إلى أنه لم يعد هناك مطلب لعل على بك سوى القضاء عليه هو الآخر بعد أن قضى على جميع منافسيه وعلى القوى التى كانت تهدد نفوذه في مصر.

وقد سارع على بك ببداية النزال ضد همام عقب التخلص من صالح بك فوجه على همام حملة بقيادة محمد بك أبى الذهب سارت إلى الصعيد في ١٥ رجب سنة ١١٨٢هـ / ٢٦ نوفمبر ١٧٦٨م لفرض شروط على بك على الشيخ همام وهى الشروط التى كانت تقضى بأن يقصر الشيخ همام منطقة نفوذه وسيطرته على أراضى الصعيد ابتداء من برديس (قرية بجوار مدينة جرجا تقع بحرى فرشوط مقر همام) وهى القرية التى سبق النزاع بشأنها بين همام، وإبراهيم جاويش أستاذ على بك.

أى أن تلك الشروط كانت تقضى بأن يقصر همام نفوذه على المنطقة التى كان يتركز فيها الهوارة في قنا واسوان وليس على الصعيد كله. وقد كان على بك وقتها في مركز يسمح له بتحدى شيخ الصعيد وأملاء أوامره عليه فقد أصبح على بك شيخا للبلد وسيد مصر الفعلى، وكانت الدلائل كلها تشير إلى أنه سيكون الحاكم المطلق لمصر كلها.

لذا أثر الشيخ همام الخروج من الجولة الأولى بدون اشتباك كان يدرك مقدما أنه سيخسره، وقبل همام شروط على بك بتحديد منطقة نفوذه ابتداء من برديس، وترك الأراضى الواقعة شمالها إلى المنيا - التى كانت من قبل تحت سيطرة همام - لعل على بك يتصرف فيها كما يشاء.

ولا شك ان الشيخ همام قد قبل هذه الشروط بدون مقاومة وانسحب مؤقتا حتى يجد له منفلا آخر ولكن كلا من الطرفين لم يكن ينوى حقيقة تنفيذ هذا الاتفاق فقد بقيت تلك الأراضي في التزامات الشيخ همام وكان قبول همام للاتفاق ماهو الا تقدير منه خطورة الموقف فقط وقوة الخصم الذى يقف امامه فآثر الانسحاب ريثما يعيد النظر فى موقفه. ولكى يغرى محمد بك أبا الذهب بالعودة وربما ليستميله ويجعله يثنى على بك عن نية القضاء عليه تنازل له عن التزام ناحية برديس هدية منه له - أى بدون ان يقبض ثمنها لهذا التنازل بمناسبة مولد ولد لمحمد بك.

وقد كانت تلك هى الجولة الأولى بين همام، وعلى بك تلك الجولة التى أكدت لهما أن:

على بك قد عقد العزم تماما على القضاء عليه وعلى سيطرته الواسعة على الصعيد

ولم يتخذ على بك بالانسحاب الهادئ الذى قدمه الشيخ همام بتنازله الظاهري عن أراضي، ولم ينس على بك الشكوك التى كانت ما تزال تلوح من ناحية الشيخ همام وما يربطه أى همام من صلات الود بالدولة العثمانية نفسها التى سمحت له بمد نفوذه على أراضي الصعيد من المنيا الى اسوان باذنها فقد كان همام كما قدمنا يحصل على كل أراضيها بالالتزام بأذن الدولة ورضائها.

وعاد التحرش من جديد واستأنف على بك الصراع حتى لا يترك لهما فرصة للتفكير أو العمل فأرسل اليه يطلب منه طرد الأمراء المماليك المعادين له والمقيمين بأراضيه عربونا لاقراره لشروط الاتفاق التى جرت بينه وبين محمد بك أبى الذهب.

وهنا تأكد لهما بما لا يدع مجالا للشك رغبة

على بك فى القضاء عليه وأنه لن يتركه يهنا بما كان له من سيطرة ونفوذ فى الصعيد لذا قرر همام فى هذه المرة ان يقوم بعمل ايجابى لمقاومة محاولة على بك للقضاء عليه، ولكنه لم يعلن عداؤه صراحة لعلى بك ولم يقاومة وجها لوجه بل لجأ الى الأمراء المماليك خصوم على بك والموجودين فى أراضيهم مثل:

اتباع صالح بك القاسمى وباقي القاسمية واتباع كثير من البيوت المملوكية التى قضى عليها على بك مثل بيوت:

الخشب، الفلاح، الجلفى، منار، السكرى، اتباع كشكش بك.

وكان هؤلاء يمثلون عددا كبيرا من الأمراء والأتباع فحرضهم همام واتفق معهم على ان يتقدموا للاستيلاء على اسيوط وانتزاعها من اتباع على بك تمهيدا لتقدمهم الى القاهرة لاجلاء على بك عنها والقضاء على حكمه لمصر واسترجاع ما كان لهم من نفوذ وسطوة على أن تبقى له سيطرته على الصعيد، وفعلا وافقه الأمراء على ذلك، فأمدهم همام بالرجال من كبار الهوارة ومن أهالى الصعيد فتكون لهم جيش كبير قدم له همام كل ما يحتاج اليه من أموال وذخائر وموئل.

وانتهى الأمر باستيلاء الأمراء حلفاء همام على اسيوط ووصل الخبر الى على بك الذى كان قد أرسل حاكما جديدا لجرجا من خاصة صناعقه وهو أيوب بك فى محرم سنة ١١٨٣ هـ / مايو سنة ١٧٦٩ م وأمره بالتوجه الى جرجا لتولى منصبه، وخرج أيوب الى الصعيد متوجها الى جرجا ومعه عدد كبير من الجند والأتباع، ولكنه وجد ان الصعيد فى قبضة همام وحلفائه فأرسل يطلب مددا من على بك لمواجهة الموقف.

المماليك وفرت فللول المهزومين الى فرشوط مقر الشيخ همام.

وقد كان من الطبيعي أن ينتصر رجال على بك على حلفاء همام فقد كان رجاله يمثلون قوة الدولة وقد هيا لهم على بك الوسائل التي تضمن تفوقهم من تزويدهم بالأعداد الهائلة من الرجال والأموال والمؤن والأسلحة.

بينما كانت قوة همام أقل عددا وأضعف استعدادا لأن حلفاءه من المماليك لم يكونوا أكثر من جماعة من الأمراء اللاجئين الى الصعيد بعد فقدهم كل قوتهم وثرواتهم التي جردهم منها على بك، وما قدمه لهم الشيخ همام من رجال لم يكن لهم من المهارة الحربية ومن التدريب والتسليح وحسن الاستعداد ما يضمن لهم التغلب على الجند المماليك والطوائف العسكرية الأخرى التي كانت تتألف منها قوات على بك. وبعد انتصار على بك الساحق على حلفاء همام ورجالهم في معركة أسبوط أمر قائده محمد بك أبي الذهب بالزحف فورا الى فرشوط لمحاربة الشيخ همام والقضاء عليه.

وقبل أن يجد همام مخرجا من هذا الموقف، وقبل أن يتقدم برجاله لمواجهة جيش محمد بك لجأ محمد بك الى سلاح العصر وهو سلاح الخيالة والحديدة فأغرى ابن عم همام الشيخ اسماعيل أبو عبد الله بخيانة همام وأخذ يستميله واعداد اياه برئاسة الصعيد بدلا من همام اذا ما تقاعس عن القتال في صفوف همام ونشر فكرة التخاذل بين جنده.

وبهذه الوعود البراقة استثار محمد بك جوانب الضعف الانساني والأنانية الشخصية التي جعلت الشيخ اسماعيل يتخذه بحيلة أبي الذهب ويخون ابن عمه الشيخ همام ويتراجع عن

وقد ادرك على بك أهمية المعركة القادمة وأنه لتثبيت سيادته على مصر لابد وأن ينتصر في هذه المعركة ولا بد وأن يقضى قضاء نهائيا على الشيخ همام الذي أصبح منبعا للخطر الداهم يتهدد به نفوذه وبقاؤه في الحكم.

لذا جهز على بك وبسرعة فائقة جيشا ضخما حشد فيه الى جانب جنده المماليك مجموعة كبيرة من رجال الفرق العسكرية كلها وعلى رأسهم اثنان من بكواته الذين يثق فيهم وهم:

خليل بك القاسمي وابراهيم بك.

وأرسل هذا الجيش بسرعة للانضمام لجيش ايوب بك حاكم جرجا لمحاربة همام وحلفائه.

وقد حشد على بك لهذه المعركة كل قواه فلم يكتف بما أرسله بل أرسل حملة ضخمة بقيادة قائده المظفر محمد بك أبي الذهب ومعه رضوان بك ومجموعة من الأمراء والصناجق اتباع على بك وضمت هذه الحملة اعدادا ضخمة من:

المماليك والمرزقة من الدلاء والدروز والمتاوله والشوام.

والنضم الجميع الى جيش ايوب بك الذي كان معسكرا خارج أسبوط التي كانت مازالت في أيدي حلفاء همام.

وتقديرًا من على بك لأهمية هذا الصراع وخطورة المعركة القادمة استمر في ارسال الامدادات والذاختر المتواليه الى رجاله الذين اصبحوا يضمون جيشا ضخما مكونا من ثلاثة جيوش وهم جيش ايوب بك وجيش خليل بك وجيش محمد بك أبو الذهب الذي تزعم الجميع.

وأمام أسبوط دارت المعركة الحاسمة التي كتب النصر فيها لقوات على بك بعد قتال عنيف قتل فيه الكثيرون من أعداء على بك من الأمراء

القتال معه بل ويضم الى صفوفه الكثيرين من رجال همام.

ويبدو أن الشيخ همام كان يعقد أهمية كبيرة على وجود ابن عمه هذا بين صفوفه، لذا قصمت هذه الغيابة ظهره وفتت في عضده اذ أدرك أنه لن يبقى له شيء بعد أن خانت عشيرته وتخلي عنه أقرب الناس اليه، لهذا أدركه حزن قاتل واضطر الى التقهقر وخرج من مسقط رأسه وموطنه وعاصمة نفوذه ومجده فرشوط ومات (مكمودا مقهورا قرب اسنا في قرية قمولة). في ٨ شعبان سنة ١١٨٣ هـ / أول نوفمبر سنة ١٧٦٩ م وكان في نحو الستين من عمره.

وأما درويش فبعد أن قابل محمد بك طلب منه أن يحصل له على العفو من علي بك فرحب محمد بك بذلك وأخذه معه الى القاهرة وأسكنه بجوار منزله ولعله قصد بذلك تحديد اقامته حتى تهدأ الأمور وبقي الشيخ درويش بمصر فترة كان يقوم فيها بالتجول في القاهرة لرؤية معالمها وزيارة أوليائها والتزهد فيها وكان الناس يعدون خلفه لمشاهدته والنظر اليه لجماله ووجاهته ولما سمعوه عن أخبار أبيه الشيخ همام.

وبشفاعة محمد بك منح علي بك درويشا التزام أراضي فرشوط.

كيف ادار علي بك الصعيد

بعد وفاة همام

استولى علي بك وقائده محمد ابوالذهب علي معظم الالتزامات الهامة والتي كانت للشيخ همام من قبل واصبح اسمهما هو الذي يرد أمام هذه النواحي وسجلت دفاتر الالتزام اسمهما بدلا من اسم همام.

وبوفاة همام انتهت حياة تلك الشخصية الفريدة في عصرها وتقرر النصر النهائي لعلي بك الذي تخلص من آخر قوة كانت تؤرق مضجعه، وتقف عقبة في سبيل فرض سيادته الخالصة علي الصعيد فغدا علي بك بموت همام سيد مصر كلها وصاحب النفوذ المطلق فيها.

ففي دفتر رقم ٥٣٩ لسنة ١١٨٤ هـ عين ٨. ورد أن علي بك أخذ أراضي طهطا، شندويل، شرق بويط، منشأة أخميم، وشرق أخميم، برديس، قنا.... شركة مع محمد بك ابى الذهب.

وترك علي بك لأبناء همام، درويش وشاهين وعبدالكريم أراضي محدودة في محافظة قنا. ووزع باقي أراضي همام بين لأمرء المماليك مثل:

اسماعيل بك أمير الحج، ومصطفى بك حاكم جرجا وايوب بك وقيطاس بك، ومراد بك، وابراهيم

بعد خروج الشيخ همام من فرشوط دخلها محمد بك أبو الذهب ورجاله ونهب ما بها من أموال همام وأخذ ما كان بدياره وديار أقاربه وأتباعه من ذخائر وغلل ثم رجع الى القاهرة وبصحبه درويش أكبر أبناء همام الذي قدمه الهوارة وأشاروا عليه بمقابلة محمد بك ففعل.

وقد تفرق الأمراء حلفاء همام بعد وفاته لفقداهم الأمل في مقاومة علي بك فمنهم من ذهب الى درنه ومنهم من ذهب الى تركيسا ومنهم من ذهب الى الشام.

بك، ومجموعة اخرى من البكوات المماليك.

ومجموعة من أقارب همام مثل:

الشيخ اسماعيل عبدالله عيسى.

ابراهيم عيسى أحمد همام.

صاحبة زوجة همام، وابنته شريفة.

وقد تولى درويش بن همام مشيخة الهوارة بعد وفاة والده وبعد ان توسط له محمد بك ابوالذهب لدى على بك الذى وافق على عودته الى فرشوط واعطاه التزامها.

ولكن درويشا لم يحسن ادارتها وجعل كل همه مضايقة من كانوا يعملوا فى خدمة ابيه بمصادرة أموالهم وانتهى أمره بالفشل وعاد ثالية الى القاهرة لاجئا الى محمد بك ابوالذهب الذى احسن استقباله واکرامه وأنزله بمنزل مجاور لمنزله أيضا.

ويدون ان محمد بك كان يحسن معاملة الشيخ درويش لاكتساب ود الهوارة استعدادا للجدولة القادمة ضد سيدة وولى نعمته على بك وهو ما وقع فعلا فعندما تمرد محمد بك على سيده خرج الى الصعيد ولحق به درويش بن همام وسالده الهوارة ضد على بك.

اثر القضاء على سلطة همام

فى حياة الصعيد

بعد القضاء على سيطرة همام على الصعيد واجهت أسرته متاعب كثيرة فقد فشل ابنه درويش كما قدمنا فى تولى رئاسة الهوارة لضعف شخصيته وسوء سياسته.

وأما ابنه الآخران شاهين وعبدالكريم فقد

استمرا يشتغلان بالزراعة حتى قتل شاهين على يد مراد بك سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م) لأمر نقمها منه ايام الفرنسيين ومات عبدالكريم قريبا من هذا التاريخ.

ولما تولى ابراهيم بن محمد على حكم الصعيد سام هذه الاسرة اقصى انواع العذاب اذ جردها من كل سابقى لها من التزامات وأوقاف سنة ١٢٢٣هـ / ١٨١٣م مما أدى الى تدهور حالتها، ولجوء أفرادها وعلى رأسهم زوجة عبدالكريم بن همام الى القاهرة لرفع شكواهم الى محمد على عله يرفق بهم ولكن محمد على تجاهلهم ولم يستمع لشكواهم فعادوا الى بلادهم فى أسوأ حال. وكان ذلك لحرض محمد على على القضاء على العصابات العربية وعلى كل ما كان لها من نفوذ.

وقد تابع الهوارة بعد همام التدخل فيما كان يجرى من أحداث سياسية بين أمراء المماليك ولكنهم فقدوا الأهمية التى كانت لهم فى عهد همام واستهان بهم أمراء المماليك واصبح رؤساؤهم من المهانة بحيث يروحون ويجيئون فى ركب الأمراء المماليك المتنازعين مع زملائهم بالقاهرة واللاجئين الى الصعيد.

ولقد الهوارة ما كان لهم من مكانة يحترمها الجميع وغدا فيروخهم يتقلسون بين أطراف النزاع تارة ينضمون الى مراد بك وتارة ينضمون الى خصمه اسماعيل بك مما أدى الى استهانة مراد بك بشيخهم اسماعيل ابو على فأمر بقتله ومصادرة أمواله سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٧م.

وبنهاية. همام اصبح الصعيد ملجأ للأمراء المماليك الذين نفروا واحدا تلو الآخر وظل هدفهم دائما ان يعودوا ليحكموا القاهرة.

وثناء منازعات هؤلاء الأمراء تعرض الصعيد
لهجمات الأعراب القاسية ينهبون المسافرين
ويوقعون بهم اقصى انواع الاهالة*.

فلما طرد على بك محمد ابا الذهب لجأ الى
الصعيد وجمع حوله الهوارة والأمراء المنفيين
واستغلهم في تدعيم موقفه. وزحفه على القاهرة
لملاقاة سيده على بك.

وبعد وفاة محمد بك وقيام الصراع بين افراد
بيته الذين انقسموا الى فريقين:

١- فريق يتزعمه حسن بك واسماعيل بك.

٢- فريق يتزعمه مراد بك وابراهيم بك.

وسقط الفريق الأخير في البداية في الصراع
فانسحب رئيساه الى الصعيد سنة ١١٩١هـ /
١٧٧٥م واستمرا يعودان الى القاهرة ثم يخرجان
الى الصعيد حتى انتهى الأمر باستقرارهما بالصعيد
١١٩٩هـ / ١٧٨٤م: ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م وقد
أذاق أهل الصعيد في هذه المدة سوء العذاب
وانقلوهم بضرائب فادحة فقد استولى مراد بك
وزميله ابراهيم على ارض الصعيد واصبحا يأخذان
الأموال الأميرية بدلا من الحكومة ومنعا وصول
الغلال الى القاهرة واشتطا في نهب اموال الفلاحين
وابقارهم واغناهم.

حتى انه عندما عادا الى القاهرة صحبا معهما
اشياء كثيرة من هذا القليل.

وقد اثرت سيطرة هؤلاء الأمراء على الصعيد
اسوأ الأثر. فقد فرضت اثناء هذه السيطرة على اهل
الصعيد ضرائب لم يكونوا يخضعون لها قبل
مثل رسوم رفع المظالم وهي ضريبة أنشأها محمد
بك اباالذهب وصرح للحكام بتقاضيتها بدلا من
زياداتهم المستمرة لضرائب الكشوفية.

وتعرض أهالي الصعيد ايضا لدفع رسم جديد
عرف باسم فردة التحرير. وهو رسم فرضه مراد بك
وابراهيم بك وهذه الرسوم كان الهمامية لا
يدفعوها.



* عن كتاب «الصعيد في عهد شيخ العرب همام للدكتورة ليلي
عبد اللطيف. الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٧

حجة اسقاط شيخ العرب همام
أول رجب سنة ١١٨٢ هـ - الأمر حسبهما
حرد فيه / ختم رب وفق أمور احمد

نمقة الفقير اليه جل شأنه الحاج احمد القاضي
بمصر المحروسة بالباب العالي اعلاه الله تعالى
وشرفه بمصر المحروسة لدى سيدنا ومولانا شيخ
مشايخ الاسلام ملك العلماء الاعلام قاموس البلاغة
ولبراس الافهام الناظر في الاحكام الشرعية قاضى
القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطة الكرم
اعلاه دام علاه آمين أشهد على نفسه قدره الأمراء
الكرام كبير الكبر الفخام صاحب القدور والمجد
والاحشام المقر الكريم العالي والكوكب المنير
المتلألئ وصاحب العلم المنيف الخاقانى مولانا الأمير
على بك امير الحجاج المصرى سابقا وشيخ البلد
حالا دام عزه آمين بخط يده كل من قدره الأكابر
وعمده الأعيان أولى الشأن الفخام الجنباب العالي
حائز رتب المفاخر والمعالي، مولانا الامير عثمان اغا
وكيل دار السعادة العظمى بمصر حالا وقدوة
الاعيان العظام عين أولى الشأن الفخام الجنباب
العالي الأمير سليمان باش جاويش طايفة
مستحفظات قلعة مصر المحروسة سابقا دام مجدهم
شهوده الأشهاد الشرعى وهو بكامل الاوصاف
المعتبره شرعا اذ فرغ وترك وأسقط حقه لفخر ذوى
الخامد العظام المجلس العالي شى العرب همام بن
المرحوم يوسف احمد همام شيخ عربان هواره
بالوجه القبلى المشمول بوكالة مولانا الأمير عثمان
اغا وكيل دار السعادة المومى اليه اعلاه الثابت
تاكيله عنه فى ذلك لدى مولانا شيخ الاسلام المومى
اليه اعلاه بشهادة كل من تابع الوكيل المومى اليه
اعلاه هو قدوة الأمائل وعمدة الاعيان الجنباب

العالي الأمير حسن اغا من اعيان امراء الجاويشيه
وفخر الكتاب المعتبرين عمدة الحساب والمحررين
نتيجة الاصلاح المفخمين القاضى سراج الدين عمر
بن المرحوم الشيخ احمد الكاين هو بمنزل مولانا
الأمير عثمان اغا المومى اليه اعلاه ثبوتا شرعيا من
التصرف والتحدث والالتزام والتقسيت بجميع
الحصة التى قدرها اثنان وعشرون قيراطا من اصل
اربعة وعشرين قيراطا شايعا ذلك فى كامل اراضى
ناحية بنى نصر وغيره تابع ولاية المنفلوطية المعلوم
ذلك عندها شرعا والجارى كامل اراضى الناحية
المسقط منها الاثنان وعشرون قيراطا المذكورة فى
تصرف وتحدث والتزام وتقسيت مولانا الأمير على
بك المسقط المشار اليه اعلاه يشهد له بذلك
التقسيت الديوانى المكمل باختم والعلامة والصح
على العادة فى ذلك المركب على اسمه المتضمن
لكامل ناحية بنى نصر المسقط منها الاثنان
وعشرون قيراطا المذكورة المورخ فى ثالث شهر ذى
القعدة الحرام سنة أحد وثمانين ومائة وألف ومولانا
الأمير على بك المسقط المومى اليه اعلاه ولاية فراغ
ذلك وسقاطه عن نفسه بدلالة ما شرح اعلاه
وبالتصادق على ذلك فراغا ونزول واسقاطا شرعيا
ثابتا ذلك خاليا عن رهن ووعد ووفاء من غرة شهر
توت القبطى افتتاح سنة اثنين وثمانين ومائة وألف
الخراجية انعقد بينهما فى ذلك يوم تاريخه بايجاد
وقبول شرعيين عن طيب والشراح صدر لما علم
السقط المومى اليه اعلاه لنفسه فى ذلك من الحظ
والمصلحة باعترافه بذلك لشهوده ومن سمي اعلاه
فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعى وصدقه على
ذلك مولانا الأمير عثمان اغا الوكيل المومى اليه
اعلاه تصديقا وقبولا شرعيين وذلك فى نظير ما

اسماعيل.

أمر رقم (١) من الشيخ همام لحسن الأمير

المختوم حسن الأمير

الفقير همام يوسف

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان حضر لنا على عبد
الرحيم وعرفنا أن له معاك حصّة في بيتين وانت له
معاه حصّة في بيت طالب وتأخذ مخصصك الذي
عنده والمذكور طالب يأخذ مخصصة الذي في
بيوتكم واليك تندفع معاه للشرع والذي يقتضيه
(الحكم) الشرعى تمشوا عليه.

الفقير همام يوسف

أمر رقم (٢)

القدر الأجل المختوم الشيخ أبو بكر أحمد

بعد السلام عليه وكثرة الأشواق اليه لم يخفاه
قضيت الثلاثة قراريط ونصف الدين اشتراهم غزالي
الأمير ودفع لنا ثمنهم بالكامل فانه عرفنا ان احمد
غريب وأبو فتحي حاجزين منه قطع من ضمن
الثلاثة قراريط ونصف وانك تحرضهم عليه ولم
تعرفهم لم لك دعوة تمسك لأنه دفع ثمنهم وبقوا
اليه والغفارة من أصلها لنا وشركة مع الأمير

تفسيط رقم (١)

ختم/ بمحمد يرجو الأمان محمد فما يخاف

وفي نوالك رغب

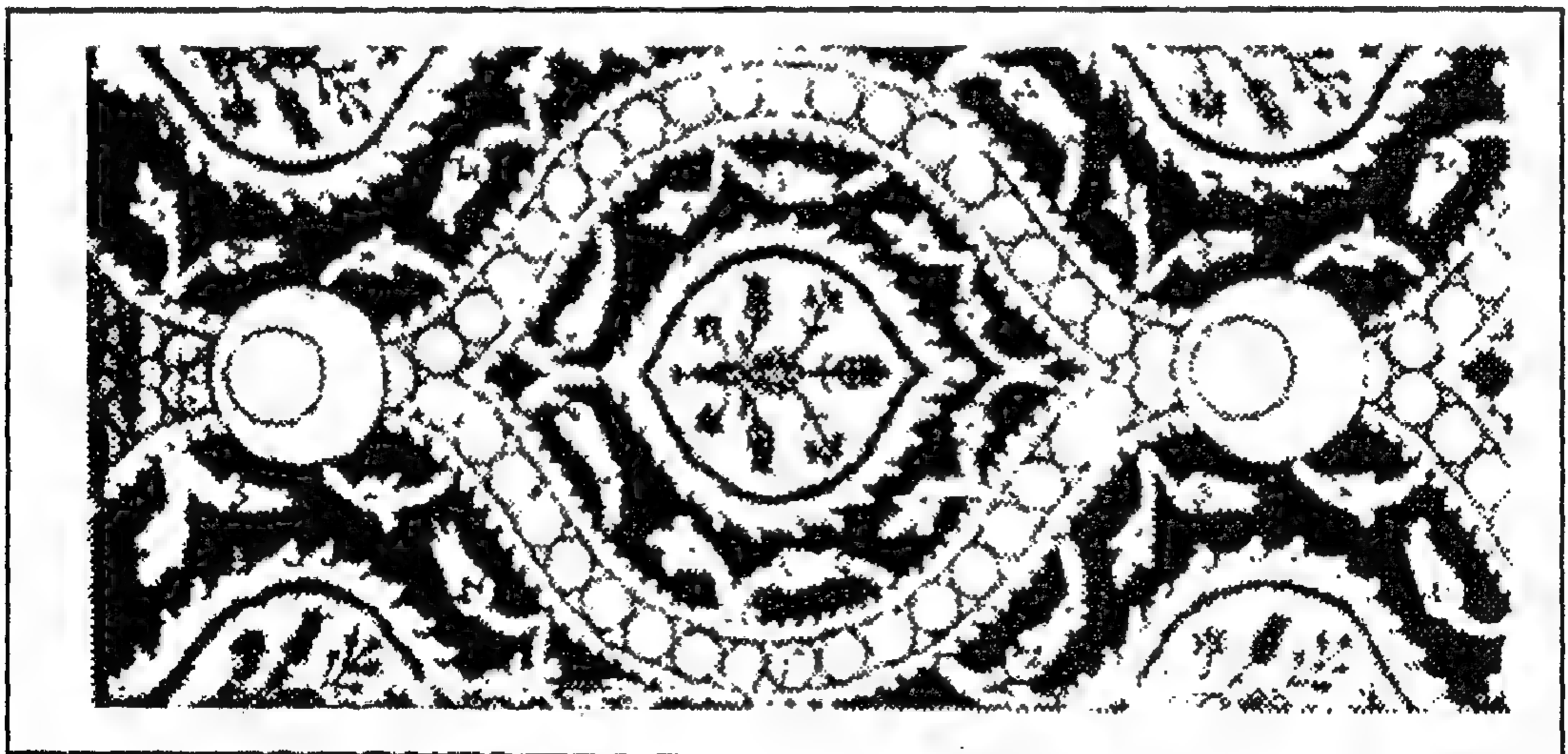
مقاطعة

حماية قرية حراجيه تابع قوصية ١٢ ط تابع
ولاية جرجا در عهده شيخ العرب همام يوسف بقدر
١٢ قيراط وجه التزام قيد شدة أول توت الواقع في
٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ من اسم اسماعيل
عبدالله تابع محمد احمد مستحفظان خربوطلى
ملتزم بوجه ١٢ ط يضم قرأى مذكور كبيره
وقيد شدة بموجب بيورلدى شريف حضره وزير
ضمير روش محمد راغب باشا محافظ مصر
آدام الله اجلاله الواقع في ١١ جمادى الأولى
سنة ١٢٦١.

توقيع

الدخردار

محمد مصطفى



حجة رقم (٢) ١٠ رجب سنة ١١٥٦ هـ

المنسوب الى فيه صحيح الفقير عيسى احمد
همام ختم الفقير عيسى احمد همام.

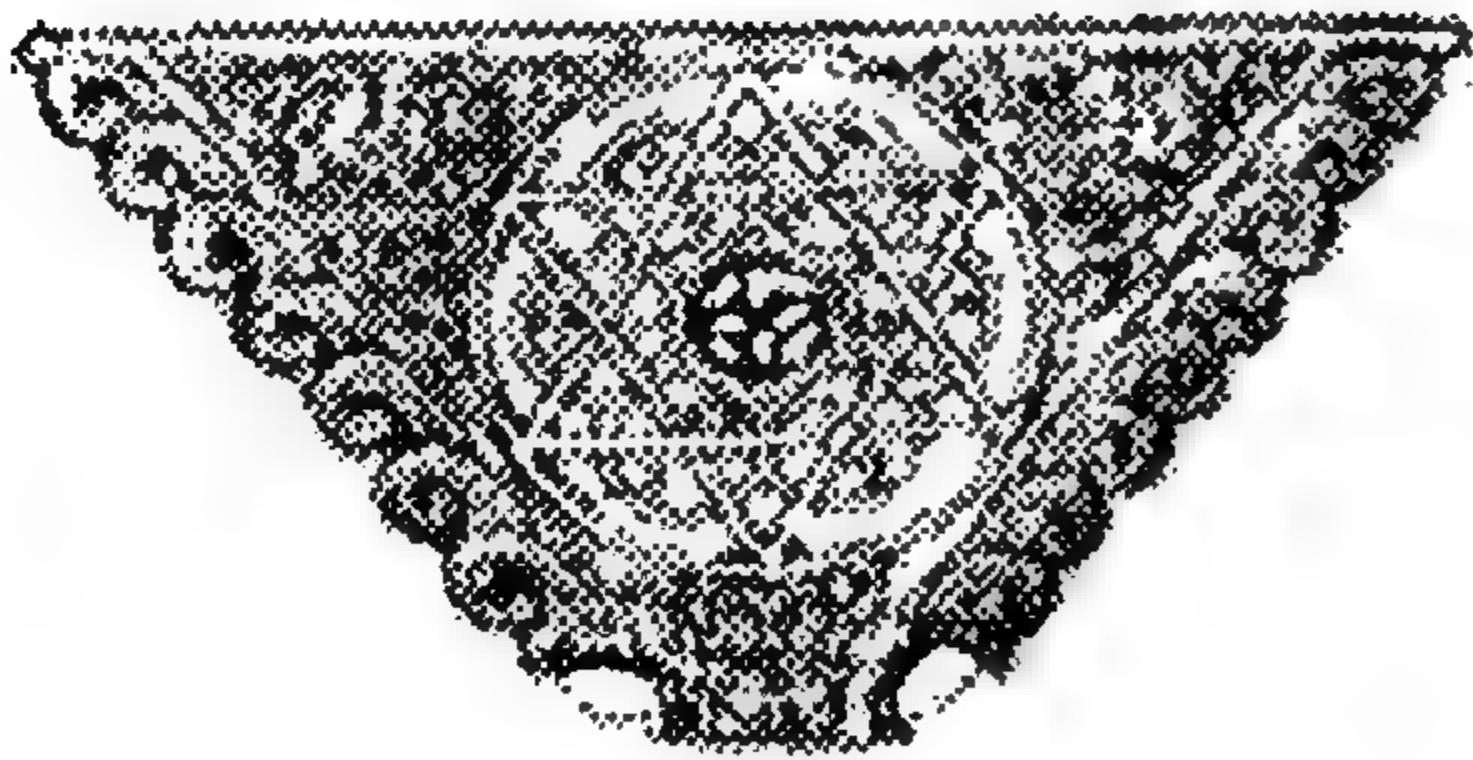
الحمد لله رب العالمين ما نعمه وشرح فيه
صدره الفقير على عثمان عقيق الدين القرشي المولى
بفرشوط حالا عفى الله عنه.

سبب تحرير الحروف وباعث تسطيرها بين يدي
الحاكم الشرعى الراقم خطه ومهره باسم الكريمين
منه اعلاه نزل وفرغ وتخلي واسقط حقه حضرة
الجناب العالى الصدر الأجل المحترم شيخ العرب
الشيخ عيسى الواضع اسمه وختمه فيه ابن شيخ
العرب الحاج احمد محمد همام لحضرته الجناب
العالى الصدر الأجل المحترم شيخ العرب الشيخ
همام يوسف احمد محمد همام الجدد المشار اليه
المسقط الجارى ذلك فى تحدث وتصرف والتزام
وتقسيط الشيخ عيسى المشار اليه البعض بموجب
تقسط ديوانى والبعض آل اليه بالفراغ والاسقاط
سنة تاريخه من الأمير ابراهيم جاريش مستحفظان
قزداغلى بموجب حجة من هذه المحكمة مشمولة
بعلامة الحاكم الشرعى المشار اليه وله ولاية اسقاط
ذلك وذلك عن جميع الحصص التى قدرها النصف
اثنى عشر قيراطا شايعا من اصل أربعة وعشرين
قيراطا فى ناحيتى سمهود واخولجان تابع ولاية
جرجا وذلك فى غرة توت القبطى سنة ١١٥٦
(سنة وخمسين ومائة وألف) وما بعدها من السنين
نزولا وفراغا واسقاطا بتا وذلك فى نظير مبلغ
الحلوان عن ذلك قدره من الاكياس الديوانية ثلاثة
عشر كيسا ونصف كيس عبوة كل كيس منها
خمسة وعشرين ألف نصف فضة ديوانى بحساب
الشرىف الفندقلى مائة وستة وأربعين نصف نصف

فضة واعترف الشيخ عيسى المسقط المشار اليه
بوصول ذلك اليه من الشيخ همام المسقط له المشار
اليه بتمام ذلك وكماله بالاعتراف وبالتصادق على
ذلك بموجب ذلك صارت ناحيتى سمهود
واخولجان بالكامل فى تصرف وتحدث والتزام
وتقسيط الشيخ همام المشار اليه من ابتداء سنة
تاريخه وما بعدها من السنين النصف له أصلا
والنصف الآيل اليه بالفراغ من عمه الشيخ عيسى
المشار اليه واذنه اليه الشيخ عيسى فى وضع يده
وتعاطى الناحيتين مال وغلل فى سنة تاريخه وما
بعدها من السنين وان يقوم بما عليها لجانب الديوان
وان تقسيطه ذلك باسمه واسم من يختار على
العادة وحرر فى عاشر شهر رجب سنة ١١٥٦ سنة
 وخمسين ومائة وألف.

شهد بذلك
ابراهيم عثمان

شهد بذلك
محمد على



وثيقة عن نسب الهوارة الى اسرة الرسول ﷺ في عام ١١٠٢ هـ / ١٦٩٥ م. مصدر الوثيقة: دار الوثائق القومية بالقاهرة، سجلات محكمة لنا محافظة رقم (١).

بالحكمة الشرعية المطهرة المرضية بيندراقصير الشامي حرره اليه سبحانه ابو بكر عمره الله تعالى بذكره بين يدي الواضع خطه وختمه فيه باسمه اعلاه لطف الله تعالى به وتولاه واجرى الخيرات على يده لجاء سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم خير انبياء وحضر الى المجلس المشار اليه الصدر الجليل مولانا وسيدنا سلالة ال طاه وباسين فرع الشجرة الدكية وطراز العصاة الهاشمية الامير يوسف بيك احمد همام وابنه الشاب القاصر عن درجة البلوغ الامير همام وشقيقه الامير عيسى وبنى عمه الامير على سليمان محمد وشقيقه الامير دشناوى القاطنين بفرشوط حضر لحضورهم مولاي الامام الشريف محمد بن احمد حسن لسم الحسيني لبقية امراء ومولاي الامام اسماعيل بن على بن محمد الحسيني حامى حمى المغرب الاقصى والشريف محمد احمد ابراهيم الادريسي الحسيني المغربي والشريف عبدالكريم محمد محمد شرف الدين الحسيني نقيب الاشراف بدمشق الشام والشريف صالح حسن على الحسيني حامى بهوت وشيخ الاسلام الشريف محمد والشريف عبدالله احمد سيف الاسلام بكار همام سر عسكر والامير حمد ابن الامير خلف ابو حزروف ابن الامير ابوبكر بكار همام محتسب الصعيد ثم بعد حضورهم طلبوا من حضرة قاضي الديوان المشار اليه اعلاه ان يلحقهم بسلسلة نسب اباانهم واجدادهم وبرزوا فرمانات شاهالية سلطانية وحججا وانسابا واحكاما قاطعة بصحة نسب السدة الهمامية وانهم من خلاصة العترة الطاهرة النبوية المحمدية فوجدنا ذلك كله صحيحا بالتطبيق معهم بغاية الدقة والتحرير

وعلى هذا حكمتا فى كمال هذا النسب المتفق عليه والمقطوع بصحته من المستندات المذكورة واتصاله بالملاذ الاحمى حكما مرعيا بالحق لنسب السادة المتقدم ذكرهم بسلسلة لنسب اباانهم واجدادهم كما جاء فى المستندات المذكورة ان الشاب الامير همام ابن الصدر الجليل مولانا وسيدنا يوسف بيك وشقيق مولانا وسيدنا الامير عيسى ولدا مولانا امير الصعيد احمد همام ابن مولانا وسيدنا امير الصعيد صبيح ابن مولانا وسيدنا امير الصعيد وبرقة همام سبيك والامير على وشقيقه الامير دشناوى بيك ولدا مولانا سليمان الهوارى والى دشنا والبلينا واخميم وسوهاى وما يتبعهم ابن مولانا وسيدنا شيخ العرب والسادة وشيخ مشايخ الهوارة وسر عسكر امير الصعيد محمد ابن ذى القضاء والصدارة بالصعيد مولانا وسيدنا بكار ابن شيخ العرب والسادة وشيخ مشايخ الهوارة امير صعيد مصر وبرقة مولاي همام سبيك المغربى ابن مولاي ماضى ابن مولاي احمد ابن مولاي عياشى ابن مولاي بحير ابن مولاي حمد الهميم ابن مولاي محمد الفاسى ابن مولاي يوسف ابن مولاي ابراهيم ابن مولاي عبدالمحسن ابن مولاي محمد ابو يمن ابن مولاي موسى الخوين ابن مولاي يحيى ابن مولاي عيسى ابن مولاي على الفقى ابن مولاي محمد نزيل بلاد المغرب ابن الامام حسن ابن مولاي على الهنادى ابن مولاي محمد الجواد ابن مولاي على الرضى ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام على زين العابدين ابن سيدنا ومولانا الامام الحسينى السبط ابن على كرم الله وجهه كملت هذه السلسلة العلوية والشجرة القرشية التى اصلها ثابت وفرعها فى السماء وعنائها ثابت وفخرها قد سما تتضمن ساداتنا الهمامية الحسينين الاشراف سلالة عبدالمطلب ابن عبدمناف الذى شاع فضلهم

وليلة عن ولف الهمامية وتقدر الكمية ٢٤٢ ألف
فدان من الاراضى الزراعية / مصدر الوثيقة: دار
الوثائق القومية بالقلعة. سجلات محكمة اسنا،
محفظة رقم (٣).

الامر كما ذكر فيه شهد بذلك الشيخ سليمان
شهد بذلك الامير الشريف غزالي
احمد ريان احمد محمد ابن نقيب الاشراف
عمر ريان وهمام سبيك الحسينى

بمحكمة قنا العامة حضر بين سيدنا مولانا الحكم
الشرعى كلا من سيدنا ومولانا على بك الصادر
الجليل امير الصعيد اسماعيل باشا بن على احمد
محمد بكار همام سبيك وسيدنا ابو الرضا بن بكار
دشناوى سليمان الهوارى محمد بكار همام سبيك
وعبدالمغيث دشناوى سليمان الهوارى والوزير ابراهيم
دشناوى وعبدالمغيث بن محمد الرشيد ابوالمكارم
حارث سيف الاسلام بكار همام وسيدنا محمد
شاهين همام يوسف وحمد السيد همام يوسف تقى
الدين عبدالرحمن احمد همام وسيدنا ابو على
سليمان الهوارى محمد بكار همام وسيدنا عبدالكريم
همام سبيك المتولى الحسينى واقرؤا واعترفوا واشهدوا
على انفسهم وهم بصحتهم وسلامتهم وطواعيتهم
واختيارهم انهم ارتضوا ان يكون السيد ابو على بن
الجناب المكرم الامير على بن الامير سليمان الهوارى
والى دشنا والبلينا واخميم وسوهاى ابن شيخ السادة
وسر عسكر امير الصعيد محمد بن ذى القضاء
والصدارة بالصعيد سيدنا بكار بن امير الصعيد محمد
بن ذى القضاء والصدارة بالصعيد سيدنا بكار بن امير
الصعيد ويرقة مولانا همام سبيك ناظرا عليهم ثم
بعد رضاهم وسماع مولانا الحاكم الشرعى باقرارهم
ورضاهم على السيد ابو على.

فى ساير البرايا رضوان الله عليهم اجمعين وثبت
مضمون ذلك لدى مولانا قاضى الديوان المشار اليه
اعلاه ثبوتا شرعيا معتبرا مرعيا مستوفيا للشرايط
الشرعية والواجبات المحررة المرعية وحكم بصحته
حكما صحيحا شرعيا ايد الله تعالى احكامه تحريرا
فى عاشر ذى القعدة الحرام شهر عام سنة تسعة
وماية والى.

مضبطة سلمت للجناب العالى الامير يوسف
بيك بحضور الامير احمد ابن الامير اسماعيل سيف
الاسلام بكار همام والامير عمر احمد محمد بكار
همام.

السيد جمال الدين على
نائب الشرع الشريف
بقنا سابقا والصعيد



* انظر: الصعيد فى عهد شيخ العرب همام. د. لى عبد اللطيف.
الهيئة العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٧.

سنة ثلاث وثمانين وماية وألف [١٧٦٩م]

فيها في المحرم أخرج على بك عثمان أغا الوكيل من مصر
منفيا إلى جهة، الشام، وكذلك أحمد أغا أغات الجوالى
وأغات الضربخانة إلى جهة الروم، وكان أحمد أغا هذا
رجلا عظيما ذا غنية كبيرة وثروة زائدة، فصادره على بك
في ماله وأمره بالخروج من مصر، فأحضر المطر بازية
والدلاين والتجار، وأخرج متاعه وذخايره وباعها بسوق
المزاد بينهم، فبيع موجوده من أمتعة وثياب وجواهر وتحف
وأسلحة وكتب وأشياء نفيسة وهو ينظر إليها ويتحسر، ثم
سافر إلى جهة الإسكندرية.

(وفيها) توفي* محمد باشا الذى كان بقصر عبد الرحمن
كتخدا بشاطئ النيل، ولعله مات مسموما، ودفن بالقرافة
الصغرى عند مدافن البشوات بالقرب من الإمام الشافعى.
ونزل الحج ودخل إلى مصر مع أمير الحاج خليل بك بلفيا
فى أمن وأمان، ووصل باشا من طريق البر وطلع الأمراء إلى
العادية لملاقاته، ونصبوا خيامهم ودخل بالموكب، وذلك فى
شهر صفر.

(وفيها) أخرج على بك حسن بك رضوان وأتباعه إلى منية
وصيف ثم نقل منها إلى المحلة الكبرى فأقام سنين، وفيها
أرسل على بك تجريدة إلى سويلم بن حبيب والهنادى
بالبحيرة وباش التجريدة إسماعيل بك، وذلك أن ابن حبيب
(ص ٨٠١) لما رحل من دجوة وذهب إلى البحيرة وأنضم
إلى عرب الهنادى وكان المتولى على كشوفية البحيرة عبد
الله بك تابع على بك فحاربوه وحاربهم حتى قتل عبد الله

١١٨٣ هـ.
١٤٨٥ ق.
١٧٦٩ م.

- غاية الفيضان ٣ قيراط ٢٢ ذراع
- بلغ الباب العالى مافله على بك فامر والى
دمشق أن يسير بخمسة وعشرين الفا لمنع
جنود عكا من معاونة على بك، فسار
الوالى بالمسكر فلاقاه الشيخ ضاهر فى ستة
الاف ما بين جبل النيران وبحيرة طبريا ورده
على اعقابه.
- كانت ولادة ناهليون الأول والمارشال الى
والحاج محمد على باشا، صاحب مصر.
- ١ توت ١٤٨٦ = ٩ سبتمبر ١٧٦٩ =
السبت ٨ جماد أول سنة ١١٨٣.
- أبطلت الضرائب الإنجليزية من المستعمرات
الأمريكانية.
- أرسل على بك محمد بك أبا الذهب
لحاربة الشيخ همام وقبيلته، وهى قبيلة
الهورة، فحاربهم وتغلب عليهم.
- ١ يناير ١٧٧٠ = ٢٥ كيهك ١٤٨٦ =
الاثنين ٤ رمضان ١١٨٣.
- عزل محمد باشا الأرفلى، بعد أن حكم
مصر سنة، وتولى بعده أحمد باشا، ولم
يحكم إلا عدة اشهر.
- كانت سباحة كوك حول الدنيا.

* وفاة محمد باشا [ولعله مات مسموما]
ووصول باشا جديد.

* عودة أحمد بوشناق [الجزائر] إلى مصر
لحاربة على بك.

* درنه: غرب الاسكندرية.

* قتل سويلم بنى حبيب.

بك المذكور في المعركة ونهبوا متاعه ووطاقه، وكان أحمد بك بشناق الجزار لما خرج من مصر هارباً بعد قتل صالح بك كما تقدم ذهب إلى الروم فصادف هناك جماعة من الهربانيين ومنهم يحيى السكرى وعلى أغا المعمار وعلى بك الملط وغيرهم، وزيفوا بسبب المغرضين لعلى بك بدار السلطنة فنزلوا في مركبين إلى درنه فوصلوها متفرقين، فالتى وصلت أولاً بها يحيى السكرى وعلى المعمار والملط فركبوا عندما وصلوا إلى درنه وذهبوا إلى الصعيد ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بك بشناق فطلع إلى عند الهنادى فلما وصل إسماعيل بك ومن معه بالتجريدة فتحاربوا مع الحباية والهنادى ومعهم أحمد بك بشناق الجزار ثلاثة أيام وكان سويلم ابن حبيب منعزلاً في خيمة صغيرة عند امرأة بدوية بعيداً عن المعركة فذهب بعض العرب وعرف الأمراء بمكانة فكبسوه وقتلوه وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح واشتهر ذلك، فارتفع الحرب من بين الفريقين وتفرق الهنادى وعرب الجزيرة والصوالة وغيرهم، وراحت كسرة على الجميع ولم يبق لهم قائم من ذلك اليوم، وتغيب أحمد بك بشناق فلم يظهر إلا بعد مدة ببلاد الشام.

(وفيها) تقلد أيوب بك على منصب جرجا وخرج مسافراً ومعه عدة كبيرة من العساكر والأجناد فوصلوا إلى قرب أسيوط فوردت الأخبار باجتماع الأمراء المنافى وتملكهم أسيوط وتحصنهم بها، وكان من أمرهم (ص ٨٠٢) أنه لما ذهب محمد بك أبو الذهب إلى جهة قبلى لمنابذة شيخ العرب همام كما تقدم وجرى بينهما الصلح على أن يكون لهما من حدود برديس وتم الأمر على ذلك ورجع محمد

بك إلى مصر أرسل على بك يقول له إنني أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذين عندك ولا تبقى منهم أحدا بدائرتك، فجمعهم وأخبرهم بذلك وقال لهم «اذهبوا إلى أسيوط واملكوها قبل كل شيء، فإن فعلتم ذلك كان لكم بها قوة ومنعة وأنا أمدكم بعد ذلك بالمال والرجال، فاستصوبوا رأيه وبادروا وذهبوا إلى أسيوط وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف على بك وذو الفقار كاشف وقد كانوا حصنوا البلدة وجهاتها وبنوا كرانك والبوابة وركب عليها المدافع، فتحيل القوم ليلا وزحفوا إلى البوابة ومعهم انخاخ* وأحطاب جعلوا فيها الكبريت والزيت وأشعلوها وأحرقوا الباب وهجموا على البلدة، فلم يكن له بهم طاقة لكثرتهم، وهم جماعة صالح بك وباقي القاسمية وجماعة الخشاب وجماعة الفلاح وجماعة مناو ويحيى السكرى وسليمان الجلفى وحسن كاشف ترك وحسن بك أبو كرش ومحمد بك الماوردي وعبد الرحمان كاشف من خشداشين صالح بك وكان من الشجعان، ومحمد كتخدا الجلفى وعلى بك الملط تابع خليل بك وجماعة كشكش وغيرهم ومعهم كبار الهوارة وأهالي الصعيد فملكوا أسيوط وتحصنوا بها وهرب من كان فيها، ووردت الأخبار بذلك إلى على بك فعين للسفر* إبراهيم بك بلفيا ومحمد بك أبو شنب وعلى بك الطنطاوى ومن كل وجاق جماعة وعساكر ومغاربة وأرسل إلى خليل (ص ٨٠٣) بك القاسمي المعروف بالأسيوطي فأحضره من غزة وطلع هو وإبراهيم بك تابع محمد بك بعساكر أيضا وعزل الباشا وأنزله وحبسه بيت إيواظ بك عند الزير المعلق، ثم سافر محمد بك أبو الذهب ورضوان بك وعدة من الأمراء والصناجق، وضم إليهم

* الشيخ همام ينسق جهوده مع خصوم على بك الكبير ويعلن عليه الحرب ويستولى على أسيوط.

* الانخاخ: قطع طويلة من اقمشة بالية، وهو المقصود هنا.

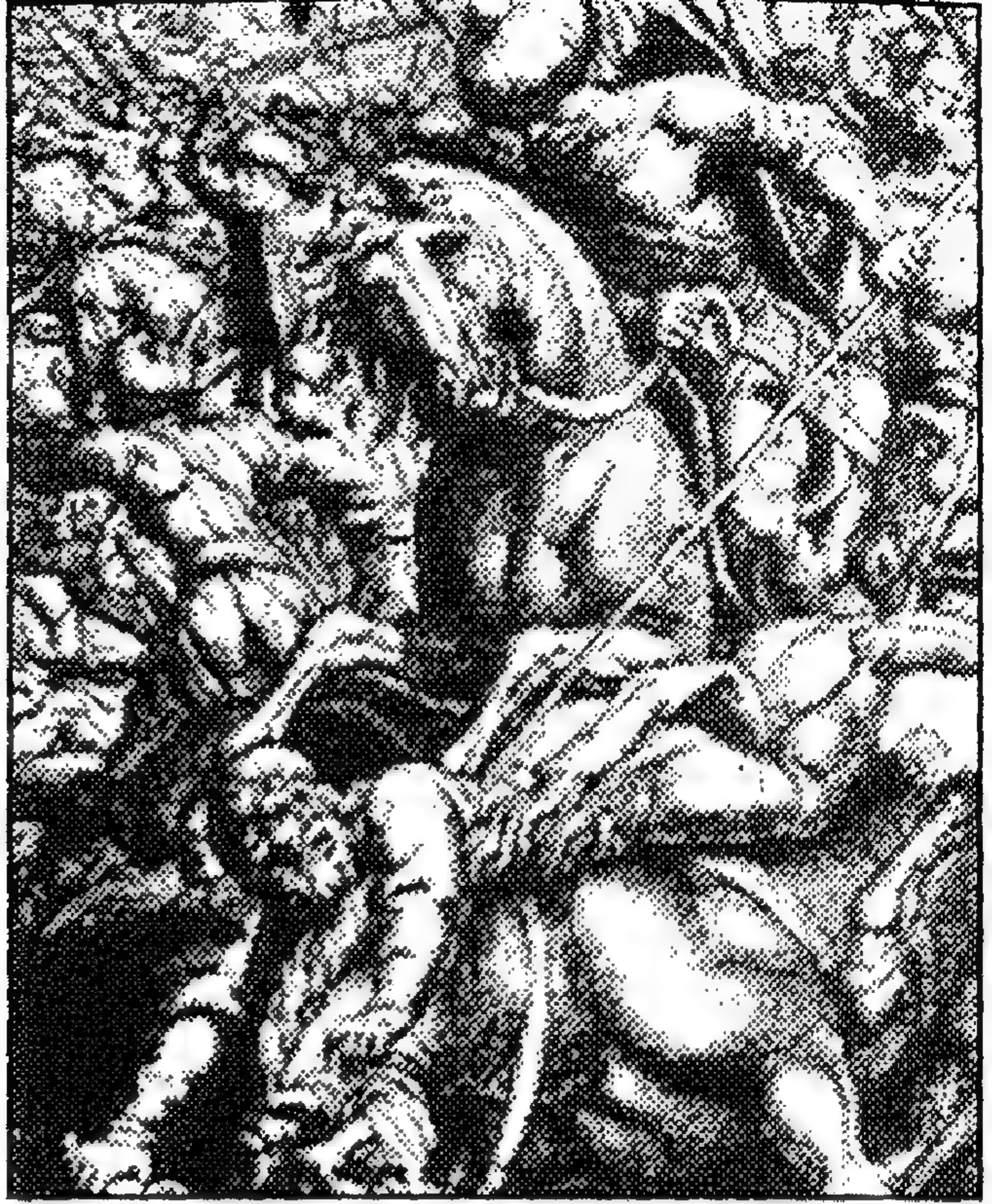
* تجريدة على بك الكبير على الصعيد بقيادة محمد بك أبو الذهب.

ماجمعه وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس من دلاة* ودرور
ومتاولة وشوام وسافر الجميع برا وبحرا حتى وصلوا إلى
أيوب بك

وهو يرسل خلفهم في كل يوم بالأمداد والجبوانات
والذخيرة والبسماط ، وذهب الجميع إلى أن وصلوا قرب
أسيوط ونصبوا عرضيهم عند جزيرة منقبط [منقباد]
وتحققوا وصول محمد بك ومن معه وفرحوا بذلك لأنهم
كانوا رأوا في زائرات الرمل سقوطه في المعركة ثم أجمعوا
رأيهم على أن يدهموهم آخر الليل فركبوا في ساعة معلومة
وسار بهم الدليل في طرق الجبل وقصدوا النزول من محل
كذا على ناحية كذا من العرضي فتاه وضل بهم الدليل حتى
تجاوزوا المكان المقصود بنحو ساعتين، وأخذوا جهة العرضي
فوجدوه قبيلتهم بذلك المقدار وعلموا فوات القصد وأن
القوم متى علموا حصولهم خلفهم ملكوا البلدة من غير
مانع قبل رجوعهم من المكان الذي أتوا منه، فما وسعهم إلا
الذهاب إليهم ومصادمتهم على أي وجه كان، فلم يصلوهم
إلا بعد طلوع النهار، وتيقظ القوم واستعدوا لهم فالتطموا
معهم وهم قليلون بالنسبة إليهم، ووقع الحرب واشتد
الجلاد، وبذلوا جهدهم في الحرب، ويصرخ الكثير منهم
بقوله أين محمد بك؟ فبرز إليهم محمد بك أبو شنب وهو
يقول: «أنا محمد بك» فقصدوه وقاتلوه، وقاتلهم حتى قتل،
وسقط جواد يحيى (ص ٨٠٤) السكري، فلم يزل يقاتل
ويدافع حصة طويلة حتى تكاثروا عليه وقتلوه، وعبد
الرحمن كاشف القاسمي يحارب بمدفع يضربه وهو على
كتفه، وانجلت الحرب عن هزيمتهم ونصرة المصريين عليهم،
وذلك عند جبانة أسيوط، فتشتتوا في الجهات وانضموا إلى

* دلاة: ذكرهم الجبرتي في مواضع كثيرة
فقال إن الدلاة ينسبون أنفسهم إلى طريقة
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يضعون على رؤوسهم الطراير السود
المصنوعة من جلود الغنم الصغار، يشتون
فيها عددا من ريش الصقور. طول الطرطور
نحو ذراع واشتهر الدلاة في مصر بسؤ
السيرة فكانوا إذا دخلوا قرية أقسدها
ونهبوها وسبوا البنين والبنات والنساء، وقد
خرجوا مرة من مصر إلى جهة الشام
يحملون المال والغنائم وكان من بينها أكثر
من ٤٠٠٠ جمل. وأساسهم أنهم كانوا من
أغليالة الخليفة أقيمت في الروملى (تركيا
الأوربية) في أواخر القرن الخامس عشر
وأوائل القرن السادس عشر، لتعمل في
مقدمة الجيوش العثمانية ولم يكن هؤلاء
أغليالة من الترك فقط، ولكن كان منهم
البشناق (نسبة إلى البوسنة موطن أحمد
باشا الجزائر) والكروات والصرب. وقد
انتشروا في الأناضول وفي المراكز الكبرى
في السلطنة العثمانية مثل القاهرة ودمشق
وحلب وبغداد كان سلاحهم الرئيسي هو
السيوف القصيرة. أما ملابسهم فكانت من
جلود الأسود والنمور والذئاب والذئبة، مع
جعل وجه الجلد المنطى بالشعر إلى الخارج.
وكانت لهم نعال مدببة من أمام واسعة من
الخلف، ولها رقاب تبلغ نصف الساق. وفي
القرن الثامن عشر تعرضت منطقة كوتاهية
وقونية بالأناضول لعبثهم وفسادهم حتى
انتهى الأمر بالغناء لنظامهم.

وفي سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) يذكر
الجبرتي أن الباشا قطع مرتب الدلاة (لأنه
لم تكن لهم إقطاعات كباقي الفرق
العسكرية) وأخرجهم وعزل كبيرهم الذي
يسمى كرى جوالى، وفيه كذلك: «ضربوا
مدافع كثيرة من القلعة، وكذلك في
صبحها يوم السبت، ولم يظهر لذلك سبب
سوى مايقولونه من التمويهات.. من وصول
الأطواخ وعساكر دلاة بحرية وبرية».
ويظهر من العبارة الأخيرة أنه كان هناك
نوعين من الدلاة، برية خياله، وبحرية مشاة.



► معارك عسكرية.

كبار الهوارة، وملك المصريون أسيوط ودفنوا القتلى ومحمد بك أبو شنب، واغتيم محمد بك أبو الذهب لموته وفرح لوقوع الزايرجة عليه ومفاداته له لأنه كان يعلم ذلك أيضاً، وأقاموا بأسيوط أياماً، ثم ارتحلوا إلى قبلى بقصد محاربة همام والهوارة، واجتمع كبار الهوارة مع من انضم إليهم من الأمراء المهزومين، فراسل محمد بك أبو الذهب إسماعيل أبو عبد الله وهو ابن عم همام واستماله ومناه وواعده برياسة بلاد الصعيد عوضاً عن شيخ العرب همام حتى ركن إلى قوله وصدق تمويهاته وتقاعس وتشبط عن القتال وخلل طوافئه، ولما بلغ شيخ العرب همام ما حصل ورأى فشل القوم خرج من فرشوط وبعد عنها مسافة ثلاثة أيام ومات* مكموداً مقهوراً. ووصل محمد بك ومن معه إلى فرشوط

* موت همام قهراً واستيلاء محمد بك أبو الذهب على فرشوط وزوال نفوذ الهامية في الصعيد.

فلم يجدوا مانعاً فملكوها ونهبوها وأخذوا جميع ما كان بدواير همام وأقاربه وأتباعه من ذخاير وأموال وغلال، وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد من ذلك التاريخ كأنها لم تكن، ورجع الأمراء إلى مصر ومحمد بك أبو الذهب وصحبه درويش ابن شيخ العرب همام، فإنه لما مات أبوه وانكسر ظهر القوم بموته وعلموا أنهم لا نجاح لهم بعده، أشاروا على ابنه بمقابلة محمد بك وانفصلوا عنه وتفرقوا في الجهات، فمنهم من ذهب إلى درنة ومنهم من ذهب إلى الروم ومنهم ذهب إلى الشام (ص ٨٠٥) وقابل درويش بن همام محمد بك وحضر صحبته إلى مصر وأسكنه في مكان بالرحبة المقابلة لبيته، وصار يركب ويذهب لزيارة المشاهد ويتفرج على مصر ويتفرج عليه الناس ويعدون خلفه وأمامه لينظروا ذاته، وكان وجيهاً طويلاً أبيض اللون أسود اللحية جميل الصورة، ثم إن على بك أعطاه بلاد فرشوط والوقف بشفاعة محمد بك وذهب إلى وطنه فلم يحسن السير والتدبير، وأخذ أمره في الانحلال وحاله في الاضمحلال وأرسل من طالبه بالأموال والذخاير فأخذوا ما وجدوه وحضر إلى مصر والتجأ إلى محمد بك فأكرمه وأنزله بمنزل بجواره، فلم يزل مقيماً به حتى خرج محمد بك من مصر مغاضباً لأستاذه فلحق به وسافر إلى الصعيد.

* استسلام درويش ابن شيخ همام محمد بك أبو الذهب.

وخلص الإقليم المصرى بحرى وقبلى إلى على بك وأتباعه فشرع في قتل المنافى الذين أخرجهم إلى البنادر، مثل دمياط ورشيد والإسكندرية والمنصورة، فكان يرسل إليهم ويخنفهم واحداً بعد واحد، فخنق على كتحدا الخربطلى برشيد وحمزة بك تابع خليل بك بزفتا وقتلوا معه سليمان

أغا إوالى وإسماعيل بك أبا مدفع بالمنصورة وعثمان بك
تابع خليل بك هرب إلى مركب البليك* فحماء وذهب إلى
إسلامبول ومات هناك، ونفى أيضاً جماعة وأخرجهم من
مصر وفيهم سليمان كتخدا المشهدى وإبراهيم أفندى
جميلان.

* البليك: نوع من المراكب المتوسط الحجم،
اشتهر استخدامه فى عيد شم النسيم (عيد
مارجرجس) يذكّر الجبرنى: «وصلت الأخبار
من الإسكندرية بأنه ورد إليها مركب البليك
وذلك على خلاف العادة، لأن مراكب
البليكات لا تخرج إلا بعد (روز خضر)، أى
عيد الربيع والخضرة.

ومات الباشا المنفصل بالبيت الذى نزل فيه ولحق بمن قبله.
(ومما) اتفق أن على بك صلى الجمعة فى أوائل شهر رمضان
بجامع الداردية فخطب الشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم
دعا لعلى بك، فلما انقضت الصلاة وقام على بك
(ص ٨٠٦) يريد الانصراف أحضر الخطيب وكان رجلا من
أهل العلم يغلب عليه البله والصلاح، فقال له من أمرك
بالدعاء باسمى على المنبر أقبل لك إنى سلطان؟ فقال «نعم
أنت سلطان وأنا أدعو لك» فأظهر الغيظ وأمر بضربه
فبطحوه وضربوه بالعصى فقام بعد ذلك متألما من الضرب
وركب حماراً وذهب إلى داره وهو يقول فى طريقه «بدأ
الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ» ثم إن على بك أرسل إليه
فى ثانى يوم بدراهم وكسوة استسمحه.

(وأما من مات فى هذه السنة من العلماء والأمرء)

٣١٩ على بن حجازى بن محمد الخلوئى

[مات] الإمام الولى الصالح المعتقد المجذوب العالم العامل
الشيخ على بن حجازى بن محمد البيومى الشافعى الخلوئى
ثم الأحمدي ولد تقريبا سنة ثمان ومائة وألف، حفظ القرآن
فى صغره وطلب العلم وحضر دروس الأشياخ وسمع

الحديث والمسلسلات على عمر بن عبد السلام التطاوني وتلقن الخلوتية من السيد حسين الدمرداشي العادلي وسلك بها مدة، ثم أخذ طريق الأحمدية عن جماعة ثم حصل له جذب ومالت إليه القلوب وصار للناس فيه اعتقاد عظيم وانجذبت إليه الأرواح ومشى كثير من الخلق على طريقته وأذكاره وصار له أتباع ومريدون، وكان يسكن الحسينية ويعقد حلقة للذكر في مسجد الظاهر خارج الحسينية، وكان يقيم به هو وجماعته لقربه من بيته، وكان ذا واردات وفيوضات وأحواله غريبة، ألف كتباً عديدة منها شرح الجامع الصغير وشرح الحكم لابن عطاء الله السكندري وشرح الإنسان الكامل للجيلي، وله مؤلف في طريق القوم خصوصاً في طريق الخلوتية الدمرداشية، ألفه سنة أربع وأربعين ومائة وألف، (ص ٨٠٧) وشرح الأربعين النووية ورسالة في الحدود وشرح على الصيغة الأحمدية وعلى الصيغة المطلسة، وله كلام عال في التصوف، وإذا تكلم أفصح في البيان، وأتى بما يهر الأعيان، وكان يلبس قميصاً أبيض وطاقية بيضاء ويعتم عليها بقطعة شملة حمراء لا يزيد على ذلك شتاءً وصيفاً، وكان لا يخرج من بيته إلا في كل أسبوع مرة لزيارة المشهد الحسيني وهو على بغلة وأتباعه بين يديه وخلفه، يعلنون بالتوحيد والذكر، وربما جلس شهوراً لا يجتمع بأحد من الناس، وكان له كرامات ظاهرة، ولما عقد الذكر بالمشهد الحسيني في كل يوم ثلاثاء ويأتي بجماعته على الصفة المذكورة ويذكرون في الصحن إلى الضحوة الكبرى [إلى ما قبل الظهر]، قامت عليه العلماء وأنكروا ما يحصل من التلوث في الجامع من أقدام جماعته إذ غالبهم كانوا يأتون حفاة ويرفعون أصواتهم بالشدة،

وكاد أن يتم لهم منعه بواسطة بعض الأمراء فانبرى لهم الشيخ الشبراوى وكان شديد الحب فى المجاذيب وانتصر له، وقال للبasha والأمرا «هذا الرجل من كبار العلما والأوليا فلا ينبغي التعرض له» وحينئذ أمره الشيخ بأن يعقد درساً بالجامع الأزهر فقرأ فى الطيبرسية الأربعين النووية وحضره غالب العلماء وقرر لهم ما بهر عقولهم فسكتوا عنه وخمدت نار الفتنة.

* رسالة الخلوتية للشيخ على حجازى
الخلوتى.

ومن كلامه فى آخر رسالة الخلوتية* مانصه «فمن من الله على وكرمه أنى رأيت الشيخ دمر داش فى السماء وقال لى لا تخف فى الدنيا ولا فى الآخرة، وكنت أرى النبى صلى الله عليه وسلم فى الخلوة فى المولد، فقال لى فى بعض السنين لا تخف فى الدنيا ولا فى الآخرة، ورأيت يقول لأبى بكر رضى الله عنه اسع بنا نطل على زاوية الشيخ دمر داش (ص ٨٠٨) وجاء حتى دخلا لى فى الخلوة ووقفنا عندى وأنا أقول «الله الله» وحصل لى فى الخلوة وهم فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم، فرأيت الشيخ الكبير يقول لى عند ضريحه «مد يدك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فهو حاضر عندى».

ورأيت فى خلوة الكردى يعنى الشيخ شرف الدين المدفون بالحسينية بين اليقظة والنوم وأنا جالس فانتبهت فرأيت النور قد ملأ المحل فخرجت مناهماً فحاشنى بعض من كان فى المحل فوقفت عند الشيخ ولم أقدر على العود إلى الخلوة من الهيبة إلى آخرة الليل، وتبسم فى وجهى مرة وأعطانى خاتماً، وقال لى «والذى نفسى بيده فى غد يظهر ما كان منى وما كان منك» وأخذنى الشيخ الكردى وأوصلنى إلى مكة وأرانيها عياناً، ودخلت على السيد أحمد البدوى وعنده

النبي صلى الله عليه وسلم فحكم في وأنا أستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان سبب ذلك التردد في نزولي مولده فأغاثني الله بعد ذلك ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وكان قبل ألبسني بيده الزى الأحمر مرتين مرة في بركة الحج ومرة في مقامه داخل الضريح وقال اذهب إلى الكردي.

قال ورأيت نفسي مرة خارج المدينة وقلت لا أدخل حتى أعلم رضاه عني والقبول، فأرسل لي إنسانا بمروحة يروح بها علي ويقول القبول حاصل، ورأيت يقول لي أنا أحب محادثتك، وأوقفني بين يده وقال لي: «أتعرض على حكم الربوبية، فاستيقظت وأنا أجد أثر ذلك ولم أعرف السبب».

ورأيت بهامش تلك الرسالة ماصورته: ورأيت صلى الله عليه وسلم في آخر رمضان ليلة الاثنين سنة سبعة وخمسين ومائة وألف في الطبقة التي بجانب الرواق وهو مسرع في المشي فسعيت خلفه وقلت «لا تفنني يا رسول الله» فوقف في فضاء واسع فأدركته ووقفت بجانبه (ص ٨٠٩) وقلت لمن كان حاضرا «أنظر إلى لحيته الشريفة وعد مافيها من الشعرات البيض».

(ومن كراماته) أنه كان يتوَّب العصاة من قطاع الطريق ويردهم عن حالهم فيصيرون مريدين له، وذا سمعته من الثقات، ومنهم من صار من السالكين، وكان تارة يربطهم بسلسلة عظيمة من حديد في عمدان مسجد الظاهر، وتارة بالطوق في رقبتهم يؤدبهم بما يقتضيه رأيه. وكان إذا ركب ساروا خلفه بالأسلحة والعصى وكانت عليه مهابة الملوك وإذا ورد المشهد الحسيني يغلبه الوجد في الذكر حتى يصير كالوحش يرى وجهه تارة كالوحش وتارة كالعجل وتارة كالغزال.

ولما كان بمصر مصطفى باشا مال إليه واعتقده وزاره، فقال له «إنك ستطلب إلى الصدارة في الوقت الفلاني، فكان كما قال له الشيخ، فلما ولي الصدارة بعث إلى مصر وبنى له المسجد المعروف به بالحسينية وسبيلا وكتابا وقبة وبداخلها مدفن للشيخ على يد الأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة، ولما مات خرجوا بجنازته وصلى عليه بالأزهر في مشهد عظيم ودفن بالقبر الذي بنى له بداخل القبة بالمسجد المذكور.

٣٢٠ حسنى الشيبينى الفوى.
* الكميت : من الحبل للمذكر والمؤنث
ماكان لونه بين الأسود والأحمر، وهو
تصغير اكميت على غير القياس وجمعه
كميت بضم الكاف وسكون الميم.

[مات] علامة وقته وأوانه الآخذ من كميت* البلاغة بعنانه
الولى الصوفى، من صفا فصوفى، الشيخ حسن الشيبينى ثم
الفوى، رحل من بلده فوة إلى الجامع الأزهر فطلب العلم
وأخذ عن الشيخ الديوبى فجعله ممليا عليه فى الدرس فقل
له فى ذلك فقال : هذا عالم ماجاء من بلده حتى قرأ
الأشمونى واغتصر ونحو ذلك» وأخبر عن نفسه أنه كان
ملازما لولى من (٨٠١) أوليا الله تعالى، فحين تعلق
نفسه بالجى إلى الجامع الأزهر توجه مع هذا الولى لزيارة ثغر
دمياط، فنام إلى جانبه ليلة فرآه فى النوم وقد سقاه لبنا من
إبريق وقال له «هذا علم النحو وهو أصعب العلوم فى
الأزهر» قال ثم انتبهت فقلت له «يامولانا الشيخ رأيت كذا
وكذا» فقال لى على الفور «أسكت أضغات أحلام» لأن
الولى المذكور كان من الملامتية لا يحب أن يظهر لنفسه
حالا، ثم إنه جاور عقيب ذلك. فحين اشتغل بهذا العلم
فتح الله عليه فى أقرب مدة ثم اشتغل بالفقه وغيره من
أصول ومنطق ومعان وبيان وتفسير وحديث وغير ذلك،
حتى فاق على أقرانه وصار علامة زمانه، ثم أخذ عن الشيخ

الحفنى الطريق وتلقن الأسماء وسار على حسب سلوكه وسيره وألبسه التاج وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك وصار خليفة محضا فأدار مجالس الأذكار، ودعا الناس إليها فى سائر الأقطار، وفتح الله عليه باب العرفان، حتى صار ينطق بأسرار القرآن ويتكلم فى الحقائق، نقل عن الشيخ الحفنى أنه ورد عليه منه مكتوب فقال: «الحمد لله الذى فى أتباعنا من هو كمحى الدين بن العربى» وسمع منه أيضاً أنه يقول فى حقه «الشيخ حسن الشبىنى هذا أكبرى، أعطاه الله قوة فى معرفة أهل العرفان، وأنه أعلم منى بهذا الفن وإذا تكلمت معه فيه فإنما هى مشاركة وإلا فأنا لأفهم كفه». وناهيك بهذه الشهادة. توفى رحمه الله تعالى فى هذه السنة، وخلف ولده السيد أحمد موجود فى الأحياء بآرك الله فيه، ومن أخذ عنه صاحبنا العمدة العالمة الصالح السيد على المعروف بزيارة الرشيدى وهو خليفة الخلوتية الآن (ص ٨١١) بشجر رشيد نفع الله به.

٣٧١ محمد أفندى بن إسماعيل السكندرى. [ومات] الجنا ب المبجل الفريد الكاتب الماهر المنشئ البليغ المجيد/ محمد أفندى ابن إسماعيل السكندرى العارف بالألسنة الثلاثة العربية والفارسية والتركية، وكان لديه محاورات ولطائف أدبية وميل شديد إلى علم اللغة، وبحث عن الأدوات المتعلقة به، ورسائله فى الألسن الثلاثة غاية فى الفصاحة مع حسن خط ووفور حظ ومهابة عند الأمراء وقبول عند الخواص، ووالده كان إسرائيلياً فأسلم وحسن إسلامه، وتولى مناصب جليلة بالشجر، وله هناك شهرة فولد هذا هناك وهتبه وأدبه حتى صار إلى ماصار، واستقر بمصر ومازالت له أملاك هناك وقرابة، رأيت يأتى لزيارة الشيخ

الوالد وقد اكتهل وتناهى فى السن وأبقى الدهر فى زواياه
 خبايا مستحسنة، ورأيت بخط يده كتاب بهارستان*، لمولانا
 جامى قد أحسن فى كتابته وأتقن فى سياقه، ومجموعاً فيه
 النوادر من أشعار الألسن الثلاثة، وبالجملة لم يكن فى
 عصره من يدانيه فى الفنون التى كان تجمل بها، وقد ذكره،
 الأديب الشيخ عبد الله الإدكاوى فى بضاعة الأريب وأثنى
 على محاسنه، وكانت بينهما ألفة تامة ومصافاة ومصادقة
 ومحاورات أدبية، قال فيه: وكتبت لحضرة أئينا المولى
 الأكرم محمد أفندى ابن المرحوم إسماعيل أغا السكندرى
 رحم الله والده، وأدام لنا فوائده وعوائده، كتاب الفتح
 القدسى* تأليف العماد الكاتب وكتبت بعد إتمامه وحسن
 ختامه مانصبه:

قد يسر الله سبحانه إتمام هذا الكاتب (ص ٨١٢) بل
 العجب العجاب، بل الروض المستطاب، فكم فيه من فصل
 ينبى عن فضل، ومن نوع بديع يحمل نور ربيع إلى آخر
 ما أطال فى مدحه إلى أن قال «وقد كتبت برسم الماجد
 الكامل والهمام الفاضل ملاذ الأفاضل، ومعاذ الأماثل،
 ومحل الفواضل ومحط الفضائل، أوجد أهل العصر
 للإنشاء صياغة، وأبرعهم بالألسن الثلاثة براعة وبلاغة،
 حتى كأنه المعنى بقول من قال وأحسن فى المقال:

إن هز أقلامه يوماً ليعملها

أنساك كل كفى هز عامله

وإن أقـر على رق أنامله

أقـر بالرق كـتاب الأنام له

وهو الآن بمصرنا، أوجد المنشئين بمصرنا، فلا أحد فى فنه
 يمثله، ولا يضاهيه ولا يشاكلة، ولا يستطيع يساجله أو

* بهارستان: ومعناها أرض الربيع تأليف
 جامى وهو من أدباء الفرس فى القرن
 الخامس عشر الميلادى، ألف كتابه هذا سنة
 ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) وهو مكون من ثمانية
 فصول يسمى كل فصل منها روضة،
 فالكتاب كله رياض. فالروضة الأولى فيها
 حكايات عن الصالحين والصوفية، والثانية
 عن الفلاسفة والحكماء، والثالثة عن عدل
 الملوك والرابعة عن الكرم والخامسة عن
 الحب والسادسة عن الفكاهات والنوادر
 والسابعة عن الشعراء والثامنة عن الحيوانات
 البكماء، والكتاب مزيج من المنظوم
 والمنثور، وقد ترجم إلى اللغة الألمانية وطبع
 فى فينا سنة ١٨٤٦ م وله طبعات أخرى فى
 الآستانة، كما ترجم إلى اللغة الإنجليزية.

* هذا الكتاب اسمه الفتح القدسى فى الفتح
 القدسى، ألفه أبو عبد الله محمد بن
 محمد الشهير بعماد الدين الكاتب
 الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
 (١٢٠١ م).

يناضله، فلو رأى ما يخبره من شئ هذا الكتاب العماد، لقال
والله هذا الذى عليه الاعتماد، وسلم له القيادة، وأذن
لبلاغته وانقاد، ولو أدركه الشيرازيان سعدى وحافظ، لاقتفى
كل منهما ما هو به لافظ، ولو سمع بديع إنشائه النامى، الملامى
جامى، لقال ههنا جل مرامى، وأصابة المرامى، ولو رام ويس
مضاهاة غرره ومحاكاة درره لقليل له ياويس ويسك* لقد
أتعبت نفسك، وكددت وأوهنت حدسك*، ولوقفا زركشى*
أثره لاستحسن الأفاضل نظمه ونثره، ولو عاصره نفعى، قال
لقد رق بلطايفه طبعى، (ص ٨١٣) ولو طلب النابى مجارته
لنبا عن مباراته، وأذن لبراعته، وبديع عباراته، مَنْ هو أخى
وصديقى، وعلى الحقيقة هو أشفق من شقيقى، فكم له على
من أياذ لا أقدر أعددتها ولا أحصرها فأسردها، المولى
الأمجد، الأكمل الأوحد، من هو بكل وصف جميل حرى،
حضرة محمد أفندى الإسكندرى، فهو الآن أوحد الكتاب،
والآتى فى صناعة الإنشاء بالعجب العجاب، والمعظم عند
أرباب الدولة الكرام، والخصوص بينهم بالتبجيل والإعظام،
والمعول عليه دون سائر الكتاب، والمنظور إليه لسعة دايrote فى
الآداب، ثم أتبعه بنظم فقال:

* ويسك : أى رفقا بنفسك
* حدسك : أى ظنك وتخمينك.
* الزركشى: صاحب كتاب المعبر فى تخرىج
أحاديث المنهاج والمختصر.

فعلت أعين الأطباء السواجى
بفؤادى فعل العدو المداجى
قلت كفى كفى فقالت أقاتلك شراكى فسر لربك ناجى
قلت إنى لى النجاسة وإنى
بك أصبحت موثق الأوداج
يا عيوننا أسرن لى وأسهر
ن جفونى من هديها فى دياجى

بفتور فيكن بالقتل والفتك غدا في القتال نامى الهياج
وفنون به الخلى لقصدا

د افتتانا وكان صلد المزاج
ولحاظ أمضى فعلا واقضى

في الوري من صوارم الحجاج
(ص ٨١٤) هل سيل إلى الوصول إلى مو

لاك أو منحة إلى محتاج
قلن نرجومعنا ونمنح مانر

جوه فاقصد بالمدح كهف الراجي
هو نامى العلا محمد الحمود فعلا بدا كضوء السراج

وهو في فرد الزمان نثرا ونظما
ماقريض الكميت والعجاج

وهو في الخط أوحى فإذا مد
يراعنا في صفحة الأرياح

جاءك الروض مشمرا ولديه
كل حرف مثل الهزار يناجي

والمعاني التي تعز عن الغير ابتكارا عفوا بغير علاج
ذو السنا والسناء والراحة الطلقة بالجود كالحيا الشجاج*

* الحيا الشجاج : المنهر.

حفظ الله ذاته وعلاه
ووقاه شرور كل مناجي

سيدي قد خدمت بالفتح عليا
ك وتنميقة فسرى انزعاجي

فتنزهه في روضه دمت مولى
هولى عدة إذا عز حاجي

هو نعم الكتاب كم فقرة
فيه لها رونق كدرة تاج

كيف لا والعماد منشيء قد كا
ن له القصد من جميع الفجاج
(ص ٨١٥) قد صفا خاطري بما قد حواه
من بديع الإنشاء والإزدواج
وذكى منطقى فرحت أورخ
فيح فتح العماد زاد ابتهاجى

* رسالة أدبية للشيخ الإدكارى إلى محمد
أفندى السكندرى.

(واهدى) إليه الشيخ عبد الله الإدكارى رحمهما الله رسالة
تصحيفية، وسمّاها بالمقامة السكندرية، أشار فيها بقوله
«وفيهما خلّ جلّ شأنه بيانه» إلى المترجم، والمقامة هذه ومن
خطة نقلت: حدثنا خدنا حديثا جذبتنا بحسنه تحسبه للطافته
كل طائفة أنه آية قال قال: امنى أمنت حين جيت سكندرية
سكن دربه غيم غنم أنسى أنست فيه فئة علت غلت آدابهم
إذا بهم أخلاء أجلاء حكماء حلماء يحلو بحلو بلاغتهم
تلاعبهم صفا ضفا سايع سايع وقتهم، وفيهم خلّ جلّ شأنه
بيانه، مهذب مهذب ظرف طرف آدابه أداته عذب غدت
تذيع بديع صفاته صفاته، يجلب بحلى مزحه مزحه،
فمازجنى فما رخيت عنان عيان ناظرى بأطرب منه منة وفاه
وقاه خلّاتى خلّاتى، وقال وقاك واجب واجب واحب لاجلالك
لاخلالك ريع أنى أبث لك كل بشر يسر للقائك كلفا بك
تيمن ييمن جيين حبيب غرير عزيز بديع يذيع سرى بنيرى،
جبيينه جنت به سباني شباني بجفن يخفى سحره بت
بحره سهران سهران، أهيف أهتف باسمه باسمه أيامه، أن
أمه (ص ٨١٦) أحد أخذ يلحظ يلحظ بعين تعين بهديها
تهديها لمبتلى، لم ينكث عقدة عقده قانص، قابض يخل
بنحل شهدة شهده.

قاتل فاتك أعز أغر

حسنه جيشه كثير كبير

ساحر ساخر تجنب يجنى

شايق سايق منير مبير

حببه جنة يحلى يحلى

لينه ليتنه بيشر يشير

مائل مايل يجور بجور

تايله نابيه بسور يسور

نشوره بشوره بهاه نهاه

سيره سيرة يجبر يجير

رايق رائق قـلانى فكانت

منيتى ميتتى بحور تجور

جاير جايز. حبه حبة. قلبى قلبي. عدوه غدوة. شنع يتغ.

معانية معاييه. مشرق مشرف. نزق ترف. تعرقه بعرفه. أوحد

أوجد. بسر بشر. جنانى حياتى. تلفظه بلفظة. تحبى نحى.

يجيب نجيب. نجنى بجنى. تفاح نفاح. نسم يشم عبيره

عنبرة. عربى عزنى. غريب عريب. حسنه حسبه. ذاك زال.

بلى بليت. بصدوده بضد وده عاملنى عامل. بت استخبره.

آس تجبره. على غلب. فكرتى فكرى. ينمو بنمو

(ص ٨١٧) بعده بعده. فليت قلبى. بعده بعده نوره

بوردة. مخبأة محياه. لكنه لليه. مطلبى مطلنى. ثم ثم

بوجدى توجدى. وبعدى وتعدى. حسن حبيبى. الحد الحد

جسمى حين نمى. همى همت. حين خيب ظنى ظبى. رائع

رائع. رائع زائع. حسنى حبشى اللون الكون. يشهد بشهد

ثغره. بغرة قمرية قمرته. بلا لاء بها بلاء لأنها تحبس بحسن

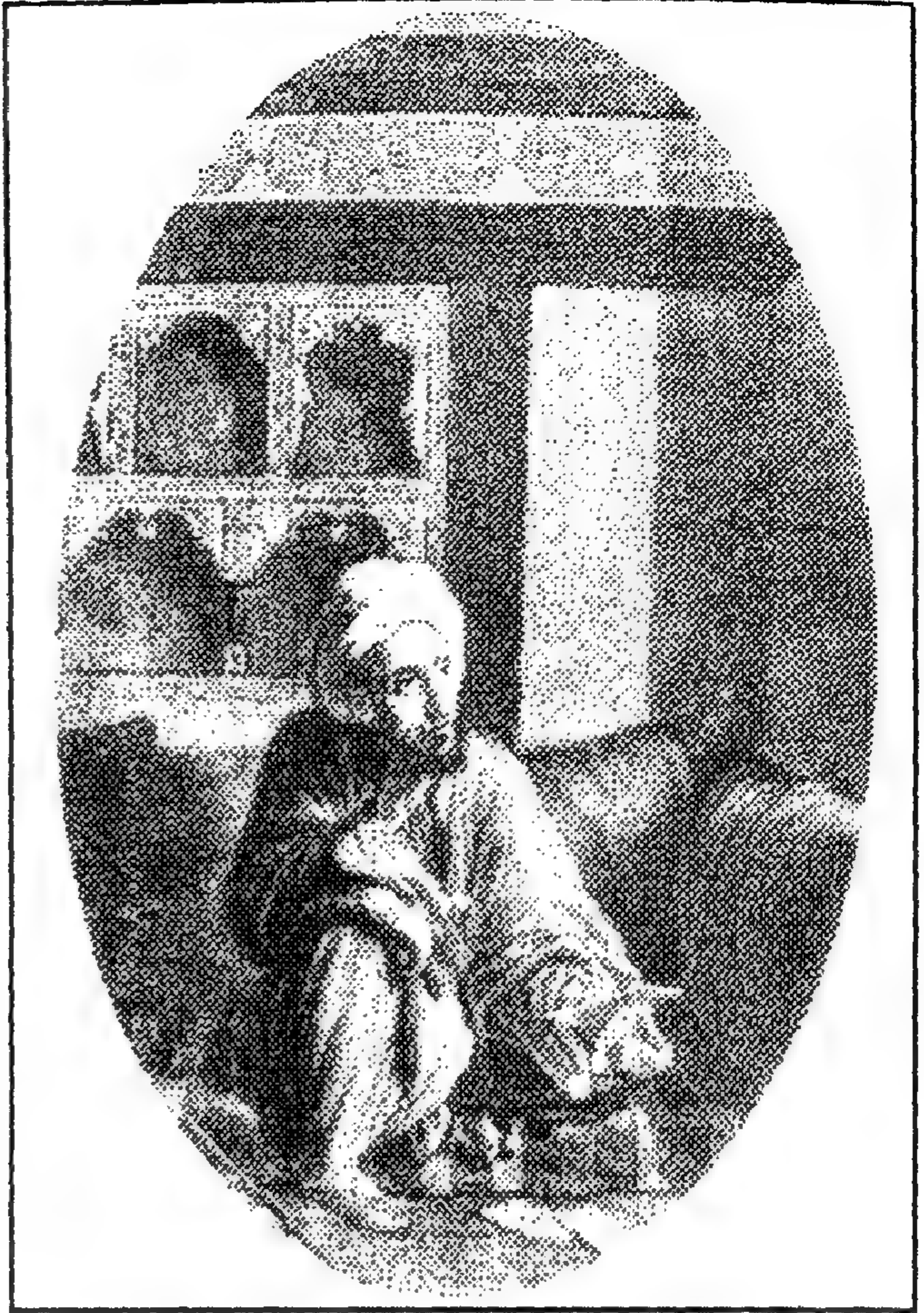
ضباها صبابها. نيرة تنزه فتى فى فى مغانيها. تزهر

بزهو. ظبيها طيبها. فايح قانح. نحوها يحوها ترى ترى.
 يطيب بطيب. رياه رياه يجلو بجلو. مرآه مرآة. قلبك قلبك.
 من. من. عشقه عشقة. عذرية عذوته. حين. حين. عن غي.
 حمل حمل. الأثم. الأثم. وقبل أن يقدمها له كتب بظاها
 مانصه: طرفة ظرفت وهديت هديت لمحمد كم. حمد. خلقة
 خلفه. ماجد. ماحد منطق منطق. نجوم نجوم حول حوك.
 يراعه براعه. ييدى ييدى بنانه بيانه. لبيب كتبت برسمه
 برسمه حالته. جالبة لك كل خير. خير جبر. كسرى
 كسرت. على على. محله مجلة. مدحتى مذهب إلى آلت
 إلى. اغذاذ اعداد. محاسنه مجانيته معاليه مغالبة. وقتى
 وقيت. عن غب. ذاته ذاته بمن يمن. الحليم الحكيم.

فلما قدمها إليه قبلها وقبلها (ص ٨١٨) وأجازها بما جملتها.
 ثم قرظ عليها من جنسها تقریظا بديعا، ملأه بيانا وبديعا
 (وهذا نصه) ..

هذه عروس حسن جلوت على منصة البراعة، افتضها فارس
 البراعة أتحننى بها المولى الوحيد فى فنه، والبليغ الذى تكبو
 جياذ هذه الصناعة من حدة ذهنه، من هو لمحاسن البلاغة
 مالك وحاوى، مولانا الشيخ عبدالله الإدكاوى، فتلقيتها
 بالراحتين، وفديتها وعوذتها من العين بكل عين، وتطفلت
 على تقریظها بنوع من فنها فقلت وإن لم أبلغ مراقى
 حسنها، تحف تحف بحق لى لذت بحسنها تحسبها لجودتها
 كخود بها جلاها حلاها، وسوغها وشوعها بحلى تجلت
 بغير تغير، صيغه صنعة، ترام ترام يعيبها، يعى بها صنفها
 صنعها فاضل فاضل أريب، أربت بلاغاته بلاغاية، تنور بنور
 تأدية نادية، بقيت تفتن معاينة معانيه.

وقد كتب عليها جملة من أفاضل العصر كما تقدم بعض



► شاعر يلقى قصيدة

ذلك في تراجمهم، وبالجملة فإن المترجم كان أوحد عصره ووحيد مصره لم يدانيه في مجموعة الفضائل أحد ولم يزل حميد المسعى جميل السيرة بهيا وقررا مهيبا عند الأمرا والوزرا حتى وافاه الحمام في يوم الجمعة حادى عشر المحرم من السنة.

[ومات] الأستاذ العارف سيدى على بن العربى بن على بن العربى الفاسى المصرى الشهير بالسقاط، ولد بفاس وقرأ على والده وعلى العلامة محمد بن أحمد بن العربى (ص ٨١٩) بن الحاج الفاسى، سمع منه الأحياء جميعاً بقراءة ولد عمه النبيه الكاتب أبى عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن على السقاط، وعلى ولده أبى العباس أحمد بن محمد العربى ابن الحاج، وعلى سيدى محمد بن

٣٢٢ على بن العربى بن على السقاط.

عبد السلام البناني، كتب العربية والمعقول والبيان، ولما ورد مصر حاجا لازمه فقرا عليه لفظه من الصحيح إلى الزكاة والشمائل بطرفيه بالجامع الأزهر وكثيرا من المسلسلات والكتب التي تضمنتها فهرست ابن غازي، قراءة بحث وتفهم، وأجازه حينئذ بأواسط جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، وجاور بمكة فسمع على البصري الصحيح كاملا ومسلما بفوت، وجميع الموطأ رواية يحيى بن يحيى وذلك خلف المقام المالكي عند باب إبراهيم وأجازه، وعلى النخلى أوائل الكتب الستة وأجازه، وعاد إلى مصر فقرا على الشيخ إبراهيم الفيومي أوائل البخاري، وعلى أحمد بن أحمد الفرقاوي وأجازه، وعلى عمر بن عبد السلام التطاوني جميع الصحيح وقطعة من البيضاوي بجامع الغوري سنة ست وثلاثين ومائة وألف، وجميع المنح البادية في الأسانيد العالية، وأضافه على الأسودين وشابكه وصافحه وناول السبحة وأجازه بسائر المسلسلات، وعلى محمد القسطنطيني رسالة ابن أبي زيد برواق المغاربة، وعلى محمد بن زكري شرحه على الحكم بجامع الغوري، وعلى سيدى محمد الزرقاني كتاب الموطأ من باب العتق إلى آخره وأجازه به يوم ختمه، وذلك ثامن شعبان سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، وروى (ص ٨٢٠) حديث الرحمة عن سيدى السيد مصطفى البكرى فى سنة ستين ومائة وألف، وأجازه ابن الميت فى العموم واجتمع به شيخنا السيد مرتضى فى منزل السيد على المقدسى، وكان قد أتى إليه لمقابلة المنح البادية على نسخته وشاركهما فى المقابلة وأحبه وبأسطه وشافهه بالأجازه العامة وكان إنسانا مستأنسا بالوحدة منجمعا عن الناس للانفراد غامضا مخفيا، ولازال كذلك

حتى توفي في أواخر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين
ومائة وألف، ودفن بالزواية بالقرب من الفحامين.

[ومات] الجنب الأجل والكهف الأطل الجليل المعظم،
٣٢٣ همام بن يوسف الهوارى
والملاذ المفخم، الأصيلى الملكى ملجأ الفقرا والأمرا ومحط
رجال الفضلا والكبرا شيخ العرب الأمير شرف الدولة
همام بن يوسف بن أحمد بن محمد بن همام بن صبيح بن
سبيه الهوارى، عظيم بلاد الصعيد، ومن كان خيره وبره
يعم القريب والبعيد، وقد جمع فيه من الكمال ما ليس فيه
لغيره مثال، تنزل بحرم سعادته قوافل الأسفار، وتلقى عنده
عصى التسيار، وأخباره غنية عن البيان، مسطرة فى صحف
الإمكان، منها أنه إذا نزل بساحته الوفود والضيوفان تلقاهم
الخدم وأنزلوهم فى أماكن معدة لأمثالهم وأحضروا لهم
الاحتياجات واللوازم من السكر وشمع العسل والأواني
وغير ذلك، ثم مرتب الأطعمة فى الغذاء والعشاء والفطور فى
الصباح والمريبات والحلوى مدة إقامتهم لمن يعرف ومن
لا يعرف، فإن أقاموا على ذلك شهرا (ص ٨٢١) لا يختل
نظامهم ولا ينقص راتبهم ولا قضوا أشغالهم على أتم
مرادهم وزادهم إكراما وانصرفوا شاكرين، وإن كان الوافد
من يرتقى البر والإحسان أكرمه وأعطاه، وبلغه أضعاف
ما يترجاه، ومن الناس من كان يذهب إليه فى كل سنة
ويرجع بكفاية عامه وهذا شأنه فى كل من كان من الناس،
وأما إذا كان الوافد عليه من أهل الفضائل أو ذوى البيوت
قابله بمزيد الاحترام، وحياء بجزيل الإنعام، وكان ينعم
بالجوارى والعبيد والسكر والغلال والتمر والسمن والعسل،
وإذا ورد عليه إنسان ورآه مرة وغاب عنه سنين ثم نظره

وخاطبه عرفه وتذكره، ولا ينساه، وحاله فيما ذكر من الضيفان. والوافدين والمسترفدين أمر مستمر على الدوام لا ينقطع أبداً، وكان الفراشون والخدم يهيئون أمر الفطور من طلوع الفجر فلا يفرغون من ذلك إلا صحوه النهار، ثم يشرعون في أمر الغدا من الضحوه الكبرى إلى قريب العصر، ثم يتدنون في أمر العشاء فلا يفرغون من ذلك إلا بعد العشاء وهكذا، وعنده من الجوارى والسرارى والممالك والعبيد شىء كثير، ويطلب فى كل سنة دفتر الإرقاء ويسأل عن مقدار من مات منهم فإن وجدته خمسمائة أو أربعمائة استبشر وانشرح وإن وجدته ثلثمائة أو أقل أو نحو ذلك اغتم وانقبض خاطره، ورأى أن ربما كانت فى أعظم من ذلك، وكان له برسم زراعة قصب السكر وشركه* فقط اثنا عشر ألف ثور وهذا بخلاف المعد للحرث ودراس الغلال والسواقى والطواحين والجواميس والأبقار الحلابه وغير ذلك، وأما شون الغلال وحواصل السكر والتمر بأنواعه والعجوة شىء لا يعد ولا يحد (ص ٨٢٢) وكان الإنسان الغربى إذ رأى شون الغلال من البعد ظنها مزارع مرتفعة لطول مكث الغلال وكثرتها فينزل عليها ماء المطر ويختلط بالتراب فتنبت وتصير خضراء كأنها مزرعة وكان عنده الأجناد والقراصنه وأكثرهم من بقايا القاسمية انضموا إليه وانتسبوا له وهم عدة وافرة وتزوجوا وتوالدوا وتخلقوا بأخلاق تلك البلاد ولغاتهم، وله دواوين وعدة كتبه من الأقباط والمستوفيين والمحاسبين لا ييطل شغلهم ولا حسابهم ولا كتابتهم ليلاً ونهاراً، ويجلس معهم حصه من الليل إلى الثلث الأخير بمجلسه الداخلى يحاسب ويملى ويأمر بكتابة مراسيم ومكاتبات لا يعزب عن فكره شىء قل ولا جل، ثم يدخل إلى

* شركه : بكسر الشين وسكون الراء أى المشاركة فى الزرع وجمعها أشراك، وشركاء.

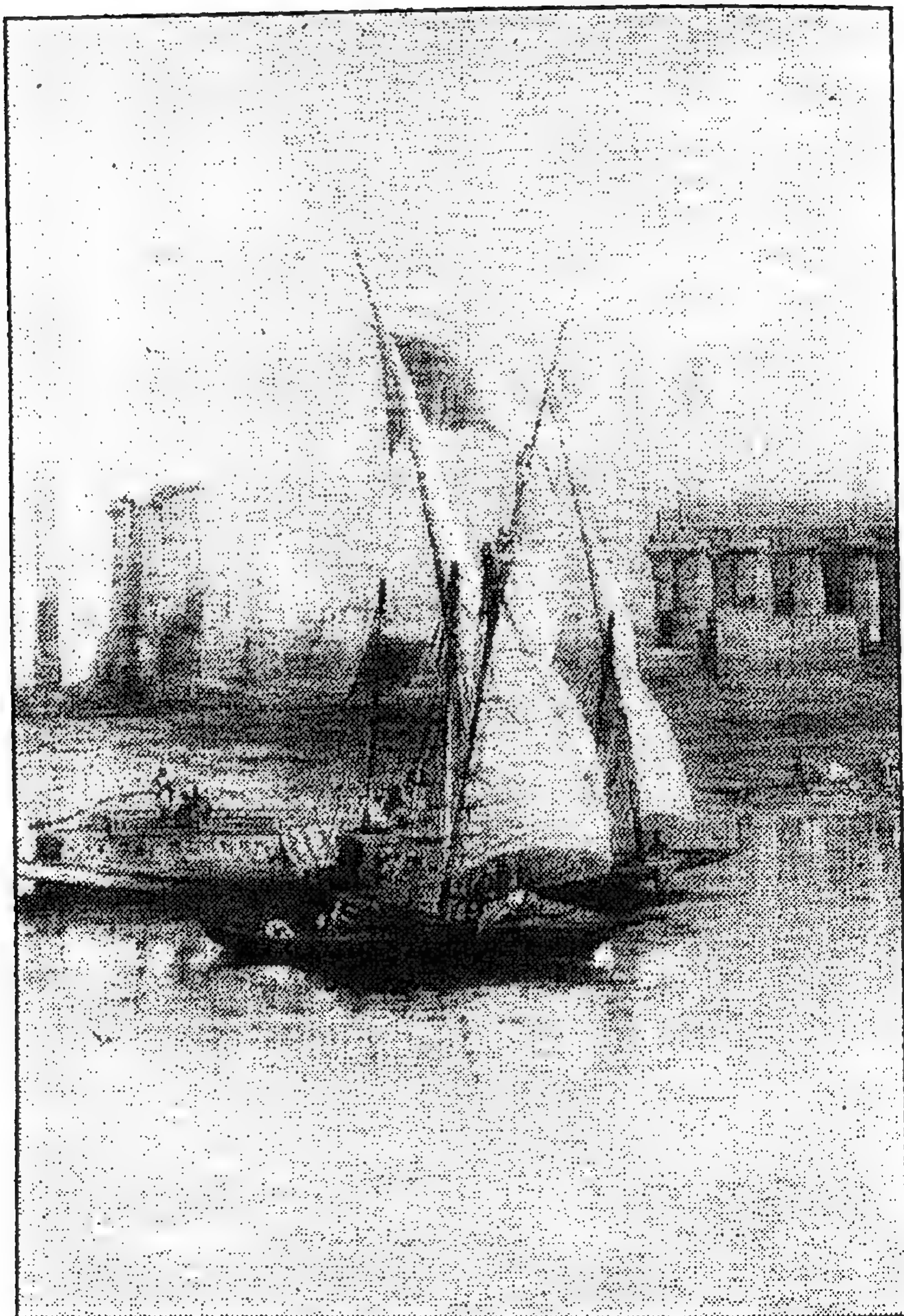
الحريم فينام حصّة لطيفة ثم يقوم إلى الصلاة وإذا جلس
مجلسا عاما وضع بجانبه فتجانا فيه قطنة وماء ورد فإذا
قرب منه بعض الأجلاف وتحادثوا معه وانصرفوا مسح بتلك
القطنة عينيه وشمها بأنفه حذرا من رائحتهم وصنائهم* ،
وكان له صلات واغداقات وغلّال يرسلها للعملاء وأرباب
المظاهر بمصر في كل سنة وكان ظلا ظليلا بأرض مصر،
ولما ارتحل لزيارته شيخنا السيد محمد مرتضى وعرف فضله
أكرمه إكراما كثيرا وأنعم عليه بغلّال وسكر وجوار وعبيد،
وكذلك كان فعله مع أمثاله من أهل العلم والمزايا ، ولم
يزل هذا شأنه حتى ظهر أمر علي بك وحصل ما تقدم
شرحه من وقايعه مع خشداشينه وذهابه إلى الصعيد
وصلحه مع صالح بك وانضمامه إليه وكان المترجم صديقا
لصالح بك وعشيرته فأمدّهما بالمال والرجال مراعاة لسعي
صالح بك حتى تم لهما الأمر (ص ٨٢٣) وغدر علي بك
بصالح بك وخرجت رجاله وأتباعه إلى الصعيد وأعلموه بما
أوقعه بهم فاغتم علي فقد صالح بك غمّا شديدا وحمله
ذلك على أن أشار عليهم بذهابهم إلى أسيوط وتملكهم
إياها فإنها باب الصعيد، فذهبوا إليها مع جملة المنافى من
مصر والمطرودين كما تقدم وأمدّهم شيخ العرب المترجم
حتى ملكوها وأخرجوا من كان بها واستوحش منه علي بك
بسبب ذلك وتابع إرسال التجاريد وقدر الله بخذلان القبالي
ورجوعهم إلى قبلى على تلك الصورة، فعند ذلك علم
همام أنه لم يبق مطلوبا لهم سواه وخصوصا مع ما وقع من
فشل كبار الهوارة وأقاربه ونفاقهم عليه، فلم يسعه إلا
الارتحال من فرشوط وتركها بما فيها من الخيرات وذهب
إلى جهة إسنا، فمات في ثامن شعبان من السنة ودفن في

* العنان: يضم الصاد ذفر الإبط.

* قمولة أو قمولا: بفتح القاف قرية من أعمال مركز الأقصر محافظة قنا.

بلدة تسمى قمولة* فقضى عليه بها رحمه الله، وخلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهم درويش وشاهين وعبد الكريم، ولما مات انكسرت نفوس الأمراء ثم إن أكابر الهوارة قدموا ابنه درويشا لكونه أكبر إخوته وأشاروا عليه بمقابلة محمد بك ففعل، وأما الأمراء فمنهم من أخذ أمانا من محمد بك وقابله وانضم إليه ومنهم من ذهب إلى ناحية درنة ونزل البحر وسافر إلى الشام والروم ومنهم من انزوى إلى الهوارة بالصعيد، وحضر درويش صحبة محمد بك إلى مصر وقابل عل بك وأعطاه بلاد فرشوط ورجع مكرما إلى بلاده فلم يحسن السير ولم يفلح، وأول ما بدا في أحكامه أنه صار يقبض على خدام أبيه وأتباعه ويعاقبهم ويسلب (ص ٨٢٤) أموالهم وقبض على رجل يسمى زعيترو وكيل البصل المرتب لمطابخ أبيه فأخذ منه أموالا عظيمة في عدة أيام على مرار، أخذ منه في دفعة من الدفعات من جنس الذهب البندقى أربعين ألفا وكذلك من يصنع البرد للجوارى السود والعبيد وذلك خلاف وكلا الغلال والأقصاب والسكر والسمن والعسل والتمر والشمع والزيت والبن والشركا في المزارع ووصلت أخباره بذلك إلى على بك فعين عليه أحمد كتخدا وسافر إليه بعدة من الأجناد والمماليك وطالبه بالأموال حتى قبض منه مقادير عظيمة ورجع بها إلى مخدمه واقتدى به بعد ذلك محمد بك في أيام إمارته وأخذ منه جملة وكذلك أتباعه من بعده حتى أخرجوا مافي دورهم من المتاع والأواني والنحاس قناطير مقنطرة، ثم تتبعوا الحفر لأجل استخراج الخبايا حتى هدموا الدور والمجالس ونبشوها وأخربوها. وحضر درويش المذكور. بآخرة إلى مصر جاليا عن وطنه ولم يزل بها حتى مات

▼ مدينة الأقصر. النيل والمعبد.



كآحاد الناس، واستمر شاهين وعبد الكريم يزرعان بأرض الوقف أسوة المزارعين ويتعيشون حتى ماتا، فأما شاهين فقتله مراد بك في سنة أربع عشرة ومايتين وألف أيام الفرنسيين لأمر نقمها عليه، وخلف ولدا يدعى محمداً، وأما عبد الكريم فإنه مات على فراشه قريباً من ذلك التاريخ وترك ولداً يدعى هماما دون البلوغ يوصف بالنجاة حسبما نقل إلينا من السفار*، وكاتبني وكاتبته في بعض المقتضيات، ورأيت ابن عمه محمداً المذكور حين أتى إلى مصر بعد ذهاب الفرنسيين وتردد (ص ٨٢٥) عندي مراراً، وسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

* السفار : بضم السين وتشديد الفاء جمع سافر (بمعنى مسافر).

[ومات] الجناب الكبير والمقدام الشهير من سرت بذكره الركبان، وطار صيته بكل ماكان، الفارس الضرغام النجيب، شيخ العرب سويلم بن حبيب، من أكابر عظماء مشايخ العرب بالقليلية ومسكنهم دجوة على شاطئ البحر [النيل]، وهو كبير نصف سعد مثل أبيه حبيب بن أحمد وليس لهم أصل مذكور في قبائل العرب وإنما اشتهروا بالفروسية والشجاعة، وحبيب هذا أصله من شطب قرية قريبة من أسيوط، ولما مات حبيب خلف ولديه سالما وسويلماً، وكان سالم أكبر من أخيه وهو الذي تولى الرياسة بعد أبيه واشتهر بالفروسية وعظم أمره وطار صيته وكثرت جنوده وفرسانه ورجاله وخيوله وأطاعته جميع المقادم وكبار القبائل ونفذت كلمته فيهم وعظمت صولته عليهم وامثلوا أمره ونهيه ولا يفعلون شيئاً بدون إشارته ومشورته، وصار له خفارة* البرين الشرقي والغربي من ابتداء بولاق إلى رشيد ودمياط، وكان هو وفرسه مقوما على انفراده بألف خيال،

٣٢٤ سويلم بن حبيب كبير سعد.

* خفارة : مثلته الخاء ومعناها الحراسة.

وكان ظهور حبيب هذا فى أوائل القرن واتفق له ولابنه
سالم هذا وقايع وأمور مع إسماعيل بك إيواظ وغيره لابس
بذكر بعضها فى ترجمته، منها أن فى سنة خمس وعشرين
ومائة وألف أرسل حبيب ولده سالمًا إلى خيول الأمير
إسماعيل بك ابن إيواظ وهجم عليها بالمرجع* وجم* معارفها
وأذناها وتركها وذهب ولم يأخذ منها شيئاً وذلك بإغراء
بعض الناس مثل (ص ٨٢٦) قيطاس بك وخلافه وكانت
الخيول بالغيط جهة القليوبية، وحضر أمير اخور وأخير
مخدومه فاغتاز لذلك وعزم على الركوب عليه فلاطفه
يوسف بك الجزار حتى سكن غيظه ثم أحضر حسناً أبا دفة
زعيم مصر سابقاً من القاسمية مشهور بالشجاعة وجعلوه
قايماً مقام الأمانة، فسافر بجبخانه ومدفعين وصحبته طوايف
ورجال وأمره بأن يطلب شرحبيب* وإن قدر على قتله
فليفعل، وكتب مكاتبات للنواحي بأن يكونوا مطيعين
للمذكور فلم يزل حتى نزل فى غيط برسيم عند ساقية
خراب وعمل هناك متراًساً ووضع المدفعين وغطاهما بلباد
وأقام رصد خيالة بالطرق وإذا بسالم بن حبيب ركب فى
عبيده ورجاله متوجهين إلى الجزيرة، فنزل بطريقة بغيط
الأوسية فحضر الخيالة الرصد إلى الأمير حسن أبى دفة
وأخبروه فركب بـرجاله وأبقى عند المدافع عشرة من
السجمانية وأوصاهم بأنهم إذا انهزموا من القوم فإنهم
يرمون بالمدفعين سواء ففعلوا ذلك بعد ملاقاهم ورمى منهم
رجالا، ووقع منهم أيضاً عند رمى المدافع والرصاص ثلاثة
عشر خيالا وأخذوا منهم نحو ستة قلايع ورجع سالم بن
حبيب بمن بقى من طايفته إلى أبيه وعرفه بما وقع له مع
الأمير حسن أبى دفة فأرسل إلى عرب الجزيرة فأحضر منهم

* المرجع: هو مرعى للخيول.

* جم: أى قص.

* شرحبيب: أى يطلب التحرش به.

فرسانا كثيرة وكذلك من إقليم المنوفية، وركب الجميع قاصدين مناوشته، ووصلته أخبار ذلك فركب بمن معه وفعل كالأول، وركب مبحراً وأنعطف عليهم وحاربهم فرمى منهم فرسانا فانهزموا أمامه فوقف (ص ٨٢٧) مكانه فرجعت عليه العرب والعبيد فانهزم أمامهم فرمحو خلفه طمعا منهم حتى وصل المدافع فرموا بهم وأتبعوهم بطلق الرصاص فولوا هارين، وسقط من عرب الجزيرة وغيرها عدة فرسان وأخذوا منهم خيولا وسلاحا، وحضرت نساؤهم ورفعوا القتلى ورجع سالم إلى أبيه وعرفه بما جرى عليهم من حرقهم وقتل فرسانهم فأرسل حبيب إلى قيطاس بك يقول له: إنك أغريتنا بابتزاز وإيواظ وتولد من ذلك أنه وجه علينا قايم مقامه وحرقنا بالنار وقتل منا أجويد، فأرسل إليه مكاتبة خطابا للقصاصين بمعاونته ومساعدته فحضر إليه منهم عدة فرسان ضاربى نار وجمع إليه عربان الجزيرة وخيالة كثيرة من المنوفية، وركب حبيب وأولاده وجموعه إلى جسر الناحية، ونزل هناك وأرسل أولاده بخيول يطلبون شرابى دفية وإذا ركب عليهم انهزموا أمامه حتى وصلوا إلى محل رباطهم بالجسر ففعلوا ذلك إلى أن وصلوا إلى الجسر فضربت القناصة بنادقهم طلقا واحدا فرموا نحو ثلاثين جنديا من الكبار، والذي ما أصيب فى بدنه أصيب حصانه وردت عليهم الخيول وانهزم الأمير حسن أبو دفية بمن بقى معه إلى دار الأوسية، فأخذت العرب الخيول الشاردة وغزوا الغزورموهم فى مقطع من الجسر وأرسل العبيد أتوا بالجراريف وجرفوا عليهم التراب من غير غسل ولا تكفين، ورجع إلى بلده وخلص ثأره وزيادة، وحضرت الأجناد إلى مصر وأخبروا الصنjq بما وقع لهم مع حبيب وأولاده،

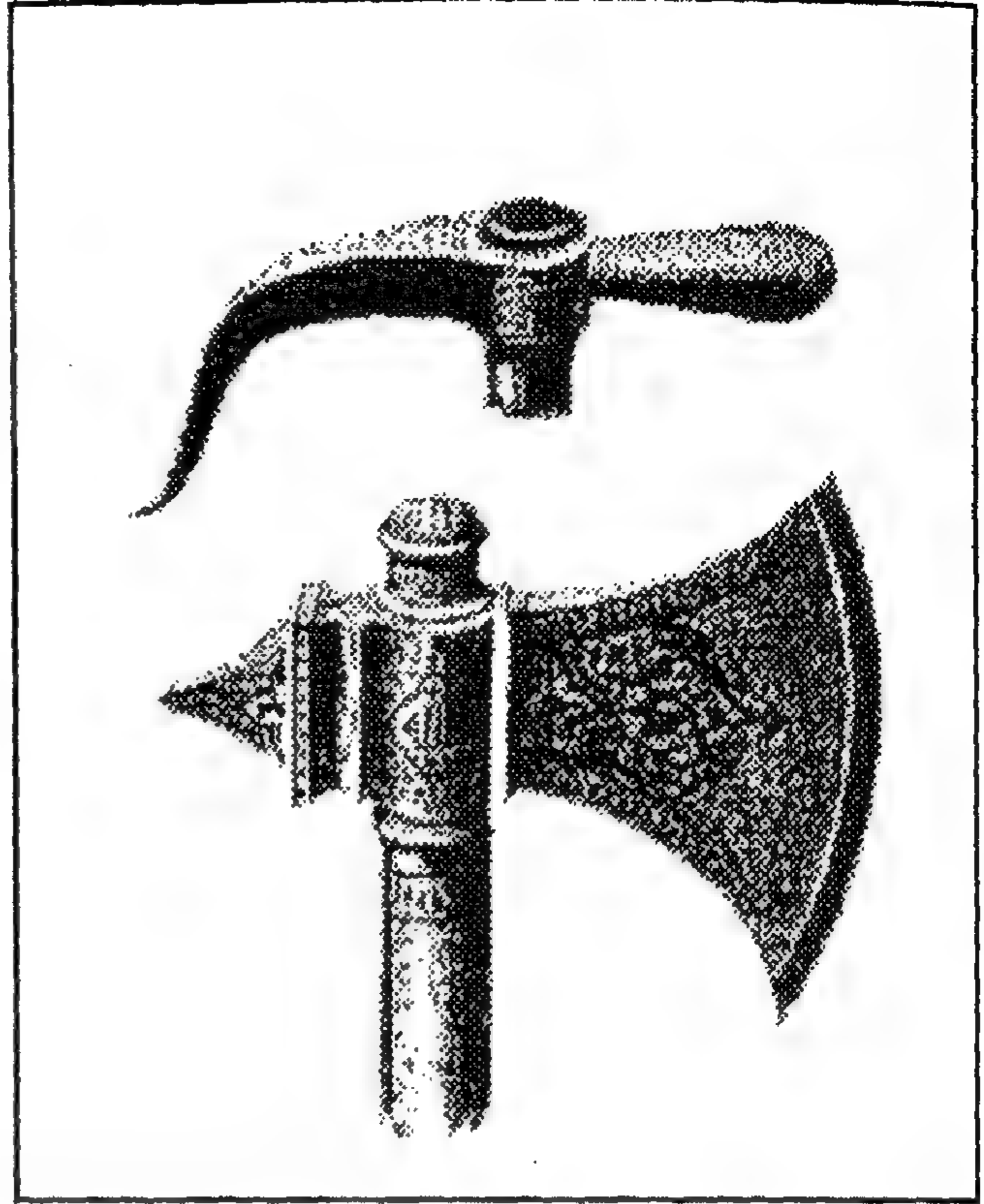


► معارك حربية.

فعزل الأمير حسن أبا دفية من قايممقامية وولى خلفه،
 وأخذ فرمانا بضرب (ص ٨٢٨) حبيب وأولاده، وركب
 عليهم من البر والبحر. ووصلت النذيرة إلى حبيب، فرمى
 مدافع أبي دفية في البحر وروضع النحاس في أشناف وألقاها
 أيضا في البحر، وقيل إن حبيب قبل هذه الواقعة بأيام
 أحضر ستة قناديل وعمرها بعد ما عاير فتايلها ووزنها بالميزان
 عياراً واحداً، وكتب على كل قنديل ورقة باسمه واسم أخيه
 وأولاده واسم ابن إيواظ وأسرجها دفعة واحدة فانطفأ الذي
 باسمه واسم أخيه وأولاده واسم ابن إيواظ وأسرجها دفعة
 واحدة فانطفأ الذي باسمه أولاً ثم انطفأ قنديل ابن إيواظ ثم
 قناديل أخيه وأولاده شيئاً بعد شيء، فقال: أنا أموت في
 دولة ابن إيواظ. ولما وصل إليه الخبر بحركة ابن إيواظ

وركوبه عليه، فركب بأخيه وأولاده وخرجوا هاربين، ووصل ابن إيواظ إلى دجوة ورمحوا على دواويرهم ورموا الرصاص وكانت المراكب وصلت إلى البر الغربي تجاه دجوة ورسوا هناك وموعدهم سماع البنادق، فعند ذلك عدوا إلى البر الشرقي وطلعوا إليه، فأمر ابن إيواظ بهدم دواوير الحباية فهدموها بالقزم والفوس وأنشأ كفرا بعيدا عن البحر بساقية وحوض دواب وجامع وميضة وطاحونين وجمع أهل البلد فعمروا مساكنهم في الكفر وسموه كفر الغلية، ورجع الأمير إسماعيل بك إلى مصر وأخذ الغز والأجناد أبقاراً وعجولا وأغناماً وجواميس وأمتعة وفرشا وأخشاباً شيئاً كثيراً ووسقوه في المراكب وحضروا به من البر أيضاً إلى مصر، وكتب مكاتبات إلى سائر القبائل من العربان بتحذيرهم من قبولهم حبيباً وأولاده، وأن لا يجمع عليه أحد ولا يؤويه، فلم يسعهم إلا أنهم ذهبوا عند عرب غزة فأكرمواهم ولم يزل بها حتى مات، وحضر سالم (ص ٨٢٩) ابنه بعد ذلك إلى قليوب ببنت الشواربي شيخ الناحية سرا وأخذ له مكتابة من إبراهيم بك أبي شنب خطاباً إلى ابن وافي المغربي بأن يوطن أولاد حبيب عنده حتى يأخذ لهم إجازة من أستاذهم، فأرسل أحضر عمه وأخاه سويلما وعدوا إلى الجبل الغربي وساروا عند ابن وافي شيخ المغاربة فرحب بهم وضرب لهم بيوت شعر وأقاموا بها إلى سنة ثلاثين ومائة وألف، فمات إبراهيم بك أبو شنب وكان يواسي أولاد حبيب ويرسل لهم وصولات بغلال يأخذونها من بلاده القبلية، فلما مات في الفصل*، ضاقت معيشتهم، فحضر سالم بن حبيب من عند ابن وافي خفية، وذلك قبل طلوع ابن إيواظ بالحج سنة إحدى وثلاثين ودخل بيت السيد محمد دمرdash وسلم

* الفصل: أي وقت انتشار الطاعون.



► أدوات حربية.

عليه وعرفه بنفسه فرحب به وشكا له حال غربته وبات عنده تلك الليلة وأخذه في الصباح إلى ابن إيواظ فدخل عليه وقبل يده ووقف، فقال السيد محمد للصنjq «عرفت هذا الذي قبل يدك؟» قال لا، قال: هذا الذي جم أذنان خيولك، قال: سالم قال: ليك قال: أتيت بيتي ولم تخف، قال له: نعم أتيت بكفني إما أن تنتقم وإما أن تعفو فإننا ضقنا من الغربة وها أنا بين يديك فقال له: مرحبا بك أحضر أهللك وعيالك وعمر في الكفر واتق الله تعالى وعليكم الأمان، وأمر له بكسوة وشال، وكتب له أمانا وأرسل به عبده، وركب سالم وذهب عند إبراهيم الشواربي بقلوب فاقام عنده حتى وصل العبد بالأمان إلى عمه وأخيه في بني سويف، فحملوا وركبوا وساروا إلى قلوب ونزلوا

بدار أوسية الكفر حتى بنوا لهم دواوير وأماكن (ص ٨٣٠) ومساكن، وأتتهم العربية ومشايخ البلاد ومقادمها للسلام والهدايا والتقادم، فأقام على ذلك حتى تولى محمد علي بك ابن إسماعيل بك أمير الحاج فأخذ منه إجازة بعمار البلد الذى على البحر، وشرع فى تعمير الدور العظيمة والبساتين والسواقى والمعاصر والجوامع وذلك سنة أربع وثلاثين ومائة ألف، واستقام حال سالم واشتهر ذكره وعظم صيته واستولى على خفارة البرين ونفذت كلمته بالبلاد البحرية من بولاق إلى البغازين وصارت المراكب والرؤساء تحت حكمه، وضرب عليهم الضرائب والعوائد الشهرية والسنوية، وأنشأ الدواوير الواسعة والبستان الكبير بشاطئ النيل، وكان عظيماً جداً وعليه عدة سواق وغرس به أصناف النخيل والأشجار المتنوعة فكانت ثماره وفاكهته وعنبه تجتنى بطول السنة، وأحضرها لها الخولة من الشام ورشيد وغير ذلك، ولما وقعت الوقائع بين ذى الفقار بك ومحمد بك جركس المتقدم ذكرها، وحضر جركس بمن معه من اللوم إلى قرب المنشية، وخرجت إليه عساكر مصر وأرسلوا إلى سالم بن حبيب فجمع العربان وحضر بفرسانه وعبيده إلى ناحية الشيمى وحارب مع الأجناد المصرية حتى قتل سليمان بك فى المعركة، وولى جركس ورجعت التجريدة وتبعه سالم بن حبيب والأسباهية وذهبوا خلفه فعدى الشرق فعدوا خلفه، وطلعت تجريدة أخرى من مصر فتلاقوا معهم وتحاربوا مع محمد بك جركس فكانت بينهم وقعة عظيمة فكانت الهزيمة على جركس وحصل ما حصل من وقوع جركس فى الروبة وموته، ودفنوه بناحية شرونة كما تقدم، ورجع سالم (ص ٨٣١) بن حبيب بما غنمه فى تلك الوقائع إلى

بلده واشتهر أمره واشترى السراري البيض، ولم يزل حتى توفي سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، وخلف ولداً يسمى علياً اشتهر أيضاً بالفروسية والنجابة والشجاعة، ولما مات سالم ترأس عوضه أخوه سويلم في مشيخة نصف سعد، فسار بشهامة واشتهر ذكره، وعظم صيته، في الإقليم المصرى زيادة عن أخيه سالم، ووسع الدواوير والجالس، ولما سافر الأمير عثمان بك الفقارى بالحج ورجع سنة إحدى وخمسين المذكورة، فأرسل هدية إلى سويلم المذكور وأرسل له الآخر التقدّم، ثم إن الأمير عثمان بك تغير خاطره على سويلم لسبب من الأسباب فركب عليه على حين غفلة ليلاً وتعالى به الدليل ونزل على دجوة طلوع الشمس، وكان الجاسوس سبق إليهم وعرفهم بركوب الصنّجق عليهم. فخرجوا من الدور ووقفوا على ظهور خيولهم بالغيط بعيداً عن البلد، فلما حضر الصنّجق ورمح على دورهم ورمى الطوائف بالرصاص فلم يجدوا أحداً، فلم يتعرض لهم بشئ ومنع الغز والطوائف عن أخذ بشئ، وبلغ خبر ركوب الصنّجق عمر بك رضوان وإبراهيم بك فركبا خلفه حتى وصلا إليه وسلمما عليه فعرفهما أنه لم يجدهم بالبلد، فركب عمر بك وأخذ صحبته مملوكين فقط وسار نحو الغيط فرآهم واقفين على ظهور الخيل، فلما عاينوه وعرفوه نزلوا عن الخيل وسلموا عليه، فقال لهم: لأى شئ تهربون من أستاذكم؟ وعرفهم أنه أتى بقصد النزهة وأحضر صحبته على بن سالم فقابل به الأمير وقبل يده ورجع (ص ٨٣٢) إلى دواره وأحضر أشياء كثيرة من أنواع المأكّل حتى اكتفى الجميع، وعزموا عليهم تلك الليلة فبات الصنّجق وباقي الأمراء وذبح لهم أغناماً كثيرة وعجلين

جاموس وتعشى الجميع، وأخرجوا لهم فى الصباح شيئاً كثيراً من أنواع الفطورات، ثم قدم لهم خيولا صافنات وركبوا ورجعوا إلى منازلهم.

ولما هرب إبراهيم بك قطامش فى أيام راغب محمد باشا وكان سويلم مراكونا عليه فجمع سويلم عرب بلوى وضرب ناحية شبرا المعديّة، فوصل الخبير إلى إبراهيم جاويش القازدغلى فأخذ فرمانا بضرب ناحية دجوة والخروج من حق أولاد حبيب فعين عليهم ثلاثة صناجق؛ هم عثمان بك أبو سيف وأحمد بك كشك وآخر، ووصلتهم النذيرة بذلك فوزعوا دبشهم* وحریمهم فى البلاد وركبوا خيولهم ونزلوا فى الغيط ونزلت لهم التجريدة ومعهم الجبخانة والخابرون وهجموا على البلد فوجدوها خالية ولما رأى الحباية كثرة التجريدة فوسعوا وذهبوا إلى ناحية الجبل الشرقى، وأرسل إبراهيم جاويش إلى عثمان بك أبى سيف أمير التجريدة بأنه ينادى فى البلاد عليهم ولم يدع أحداً منهم ينزل الريف، فركب عثمان بك وطاف بالبلاد يتجسس عليهم، وظفر لهم بقومانية وذخيرة ذاهبة إليهم من الريف على الجمال فحجزها وأخذها وذلك مرتين، ورجع عثمان بك ومن معه إلى مصر وصحبهم ما وجدوه للحباية فى البلاد من مواش وسكر وعسل وأخشاب، وهدموا جانباً من بيوتهم وكان على بن سالم لم يذهب مع سويلم إلى الجبل بل أخذ عياله وذهب عند أولاد فودة، فلما سمع (ص ٨٣٣) بالتقريط على أصحاب الدرك فأتى إلى مصر ودخل إلى بيت إبراهيم جاويش وعرفه بنفسه وطلب منه الأمان فعفا عنه بشرط أن لا يقرب دجوة ويسكن فى أى بلد شاء يزرع مثل الناس، ثم أن سويلماً ومن معه أرسلوا إلى حسين بك الخشاب بأن

* دبشهم : بفتح الدال والباء هو أثاث منازلهم.

ياخذ لهم أمانا من إبراهيم جاويز ففعل وقبل شفاعته
 حسين بك بشرط إبطال حماية المراكب وأذية بلاد الناس،
 ويكفيهم الخفارة التي أخذوها بالقوة، واستخلص لهم
 المواشى التي كان جمعها عثمان بك أبو سيف، واستقر
 سويلم كما كان بدجوة، وبنى له دواراً عظيماً ومقاعد
 مرتفعة شاهقة في العلو يحمل سقوفها عدة أعمدة وعليها
 بوابك مقوصرة ترى من مسافة بعيدة في البر والبحر، وبها
 عدة مجالس ومخادع ولواوين وفسحات علوية وسفلية
 وجميعه مفروش بالبلاط الكدّان*، وبنى بداخل ذلك الدوار
 مسجداً ومصلّى وبداخل حوش الدوار مساطب ومضايف
 لأجناس الناس الافاقية وغيرهم، وبنى تحت ذلك الدوار
 بشاطئ النيل رصيفا متيناً ومساطب يجلس عليها في بعض
 الأوقات، وأنشأ عدة مراكب تسمى الخرجات ولها شرافات
 وقلوع عظيمة وعليها رجال غلاظ أشداد فإذا مرت بهم
 سفينة صاعدة أو حادرة صرخ عليها أوليك الرجال قايلين
 البر، فإن امثلوا وحضروا أخذوا منهم ما أحبوه من حمل
 السفينة وبضائع التجار، وإن تلكأوا في الحضور قاطعوا
 عليهم بالخرجات في أسرع وقت وأحضروهم صاغرين،
 وأخذوا منهم أضعاف ما كان يؤخذ منهم لو حضروا طائعين
 من أول الأمر، وكان له قواعد وأغراض وركايز وأناس من
 الأمرا وأعوانهم بمصر يرأسلهم ويهاديهم فيذهبون عنه
 ولا يسمعون فيه (ص ٨٣٤) شكوى. وله عدة من العبيد
 السود النجارية الفرسان ملازمين له مع كل واحد حرمدان
 مقلد به ملآن بالدنانير الذهب وكان لا يبيت في داره ويأتي
 في الغالب بعد الثلث الأخير فيدخل إلى حريمه حصّة ثم
 يخرج بعد الفجر فيعمل ديواناً ويحضر بين يديه عدة من

* الكدّان: الحجارة الرخوة وهو غالباً الحجر
 الجيري.

الكتبة ويتقدم إليه أرباب الحاجات ما بين مشايخ بلاد وأجناد
 وملتزمين وعرب وفلاحين وغير ذلك والجميع وقوف بين
 يديه. والكتاب يكتبون الأوراق والمراسلات إلى النواحي،
 وغالب بلاد القليوبية والشرقية تحت حمايته وحماية أقاربه
 وأولاده ولهم فيها الشركاء والزروع والدواوير الواسعة
 المعروفة بهم والمميزة عن غيرها بالعظم والضخامة، ولا يقدر
 ملتزم ولا قايم مقام على تنفيذ أمر مع ملاحيه إلا بإشارته أو
 بإشارة من البلد في حمايته من أقاربه؛ وكذلك مشايخ البلاد
 مع أستاذيهم وكان لهم طرائق وأوضاع في الملابس
 والمطاعم فيقول الناس «سرج حبايبي وشال حبايبي
 ومركوب حبايبي» إلى ذلك وكان مع شدة مراسه وقوة بأسه
 يكرم الضيفان ويحب العلماء وأرباب الفضائل ويأنس إليهم
 ويتكلم معهم في المسائل ويواسيهم ويهاديهم وخصوصاً
 أرباب المظاهر، واتفق أن الشيخ عبد الله الشبراوي أضافه
 فقدم له جملاً، ولم يزل على ما ذكرنا حتى جرد عليهم
 على بك، وهرب سويلم إلى البحيرة في السنة الماضية ثم
 جرد عليه في هذه السنة وعلى الهنادي، وقتل شيخ العرب
 سويلم وخمسة وأربعون شخصاً من الحباية وأتوا برأسه
 وعلقت بالرميلة ثلاثة أيام، (ص ٨٣٥) وبقي من أولادهم
 خمسة وهم: سيد وأحمد وسالم ومحمد وأحمد فنزلوا على
 حكم إسماعيل بك إلى محمد بك فكلم على بك في ذلك
 وترضى خاطره فأمنهم بشرط أن لا يسكنوا محلهم ولا يكون
 لهم ذكر، وشتت قبيلتهم إلى أن عمّرهم مراد بك تابع
 محمد بك أبي الذهب وترأس عليهم شيخ العرب أحمد بن
 على بن سويلم ولكن دون الحالة الأولى بكثير، ومن غير
 صولة ولا مقارشة ولا تعد ولا خفارة، وكان إنساناً حسناً وجيهاً

محتشما مقتصرًا على حاله وشأنه ملازما على قراءة الأوراد والمذاكرة ويحب أهل الفضل والصلاح ليتبرك بهم وبدعائهم، وترددنا عليه وتردد إلينا بمصر كثيرا وبلونا منه خيرا وحسن عشرة، وكان معه أخوه شيخ العرب محمد علي مثل حاله ويزيد عنه الإنجماع عن الناس لغير مايعنيه ويعانيه في خاصة نفسه، وكان أبوهما على نزل بقلوب بدار فيحاء، وكان حسن الخلق والخلق وله حشم وأتباع كثيرة وله هبة عندهم، وكان طيب السيرة فصيحاً مفوهاً في حفظه أشعار ونوادير ولديه معرفة، وكان يفهم المعنى ويحقق الألفاظ ويطالع الكتب ومقامات الحريري ونحو ذلك.

[ومات] الأمير المبعجل على كتحدا مستحفظان الخربطلى، وهو من مماليك أحمد كتحدا الخربطلى. الذى جدد جامع الفاكهاني الذى بخط العقادين وصرف عليه من ماله مائة كيس وذلك فى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف، وأصله من أبناء الفايز بالله الفاطمى، وكان إتمامه (ص ٨٣٦) فى حادى عشر شوال من السنة المذكورة، وكان المباشر على عمارته عثمان جلى شيخ طائفة العقادين الرومى، وفى تلك السنة ألبس مملوكه المترجم على أوده باشه الضلعة وجعله ناظرا ووصيا، ومات سيده فى واقعة محمد بك الدفتردار فى جملة الأحد عشر أميرا المتقدم بيانهم، وعمل جاويز فى الباب ثم عمل كتحدا، واشتهر ذكره بعد انقضاء دولة عثمان بك الفقارى واستقلال إبراهيم كتحدا ورضوان كتحدا الجلفى بإمارة مصر، وزوج ابنته لعلى بك الغزاوى وعمل لها فرحا عظيما ببركة الرطلى عدة أيام كانت من

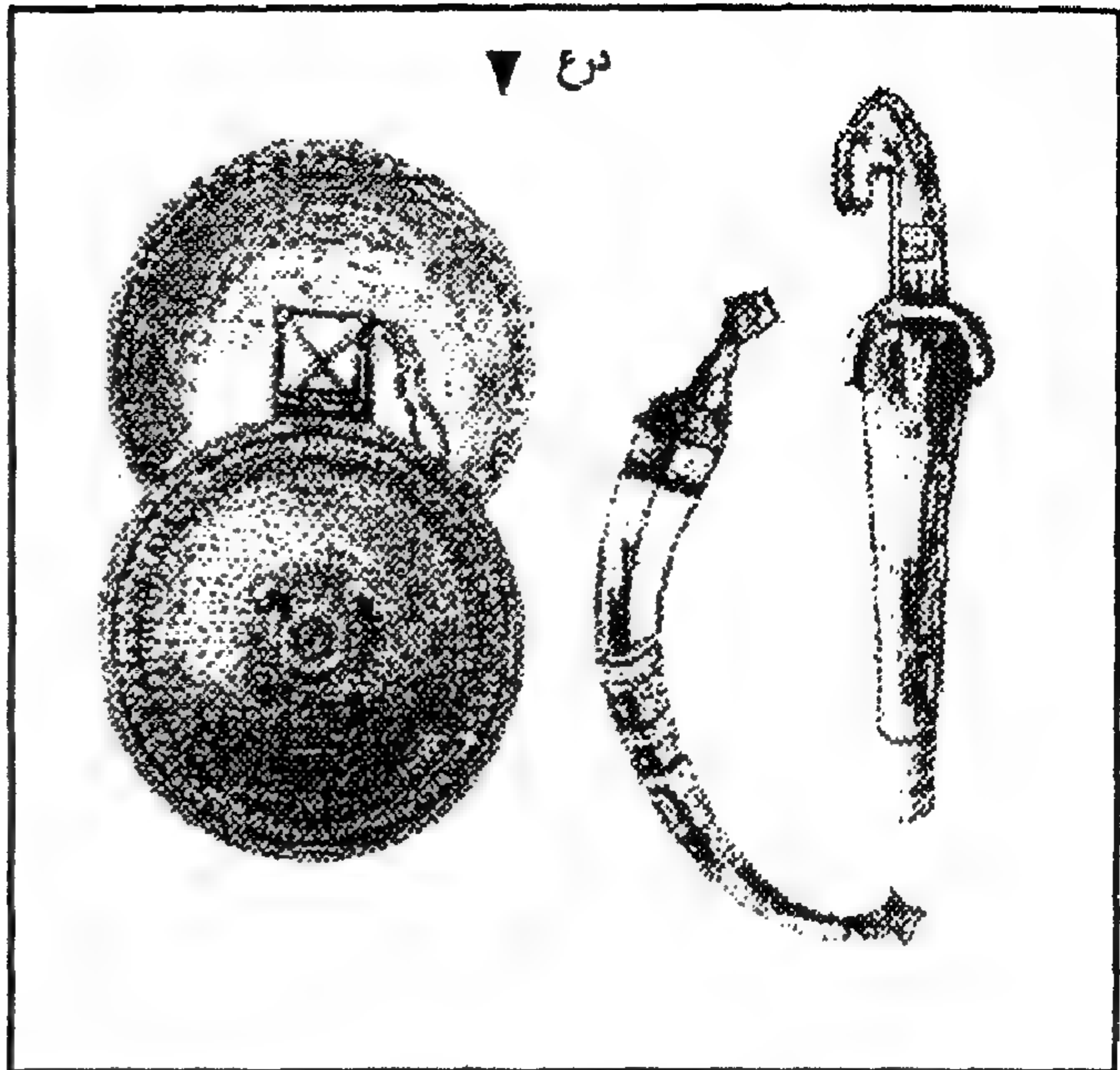
٣٢٥ على كتحدا مستحفظان الخربطلى

مقترحات مصر، وبعد انقضاء أيام الفرح زفت العروس في زفة عظيمة اجتمع العالم من الرجال والنساء والصبيان للفرجة عليها، ودخل بها على بك المذكور وولد منها حسن جلبى المشهور، وأنشأ على كتحدا المترجم داره العظيمة برأس عطفة خشقدم جهة الباطلية وداره المطلة على بركة الرطلى والقصر على الخليج الناصرى والقباب المعروفة به وغير ذلك، ونفاه على بك إلى جهة قبلى كما تقدم، فلما ذهب على بك إلى قبلى صالحه وانضوى إليه وكان هو السفير بينه وبين صالح بك فى الصلح، وبذل جهده فى ذلك هو وخليل بك الأسيوطى حتى أتموه على الوجه المتقدم، وحضر صحبة على بك إلى مصر وسكن بداره وأقبلت عليه الناس وقصدوه فى الدعاوى والشكاوى، وأمن جانب على بك واعتقد صداقته وظن أنه قلده منته فلم يلبث إلا أياماً وأخرجه منفياً إلى رشيد، ثم أرسل من خنقه هناك، (ص ٨٣٧) وكان أميراً جليلاً وجيهاً جميل الصورة واسع العينين أبيض اللحية ضخماً مهاب الشكل بهى الطلعة، ودفن هناك.

[ومات] الأمير محمد بك أبو شنب، وهو من ممالك على بك، وقتل فى معركة أسيوط كما تقدم، ودفن هناك، وكان من الشجعان المعروفين.

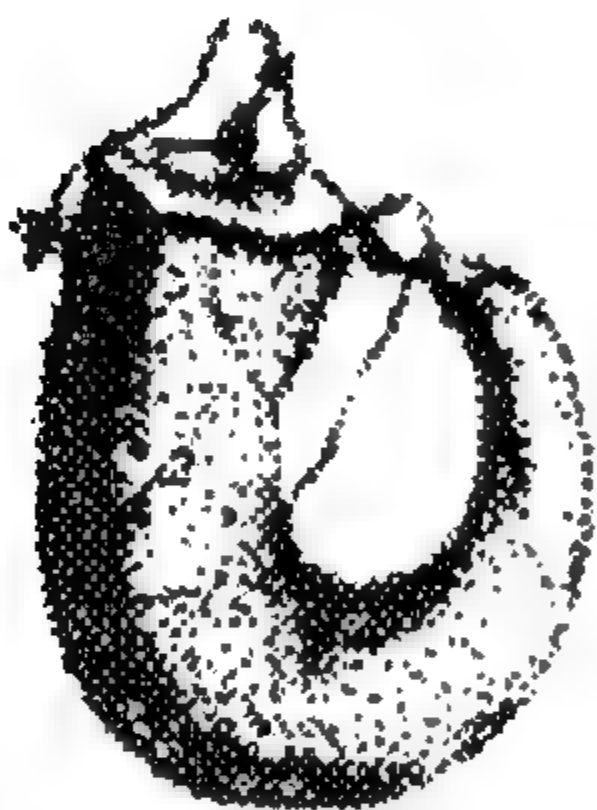
٣٢٦ محمد بك أبو شنب.





- ١١٨٤ هـ.
١٤٨٦ ق.
١٧٧٠ م.
غاية الفيضان
١٦ قيراط - ٢٣ ذراع
□ فيها تولى مصر قرا خليل باشا.
□ وفيها ابتدا القحط والشدة بمصر بسبب
المصاريف المتسببة عن الحروب التي أقامها
على بك ومحمد بك أبو الذهب، فإن
تجريدة مكة تكلفت ٢٦ مليون فرك.
□ فيها ١ توت ١٤٨٧ = ٩ سبتمبر
١٧٧٠ = الأحد ١٨ جماد أول سنة
١١٨٤ هـ.
□ فيها انتصرت روسيا على الأتراك
□ ١ يناير سنة ١٧٧١ = ٢٥ كيهك سنة
١٤٨٧ = الاثنين ١٣ رمضان سنة ١١٨٤ هـ.
□ فيها كان اقتسام بولونيا الأول بين روسيا
وبروسيا وأستوريا.

بندقية وبارودها ▶



سنة أربع وثمانين ومائة وألف [١٧٧٠ م]

* حملة على بك على الحجاز بقيادة محمد
بك أبو الذهب.

* يقصد بملك الروم السلطان العثماني. وقد
حدث هنا خلط عند الجبرتي في أسماء
الأشراف، فمن المعروف حسينا ذكر داهن
دحلان، في كتابه «تاريخ الدول الإسلامية»

فيها ورد على على بك الشريف عبد الله من أشراف مكة،
وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد
أخي الشريف مساعد منازعة في إمارة مكة بعد وفاة الشريف
مساعد، فتغلب عليه الشريف أحمد واستقل بالإمارة،
وخرج الشريف عبد الله هاربا وذهب إلى ملك
السرزم* واستنجد به، فكتب مكاتبات لعل على بك بالمعونة
والوصية والقيام معه، وحضر إلى مصر بتلك المكاتبات في
السنة الماضية، وكان على بك مشتغلا بتمهيد القطر المصري
ووافق ذلك غرضه الباطني وهو مطعمه في الاستيلاء على

بالجداول الرضية، المشهور باسم تاريخ ابن
دحلان ص ٢٠٠ وما بعدها، أن الشريف
مساعد توفي يوم الأربعاء لثلاث بقين من
شهر المحرم سنة أربع وثمانين ومائة وألف،
وكانت ولايته تسع عشر سنة إلا ثلاث
أشهر، بينما يذكر الجبرتي هنا أنه توفي
عام ١١٨٣ هـ، وعبد الله المذكور هنا هو
عبد الله بن حسين من آل بركات وليس
الشريف عبد الله. انظر المقدمة.

* متاول: هم شيعة بلاد الشام وقد ذكر
الجبرتي هنا أنه خرج مع محمد بك أبو
الذهب، حسن بك ومصطفى بك،
وصحة الاسم الأخير اسماعيل بك. انظر
المقدمة.

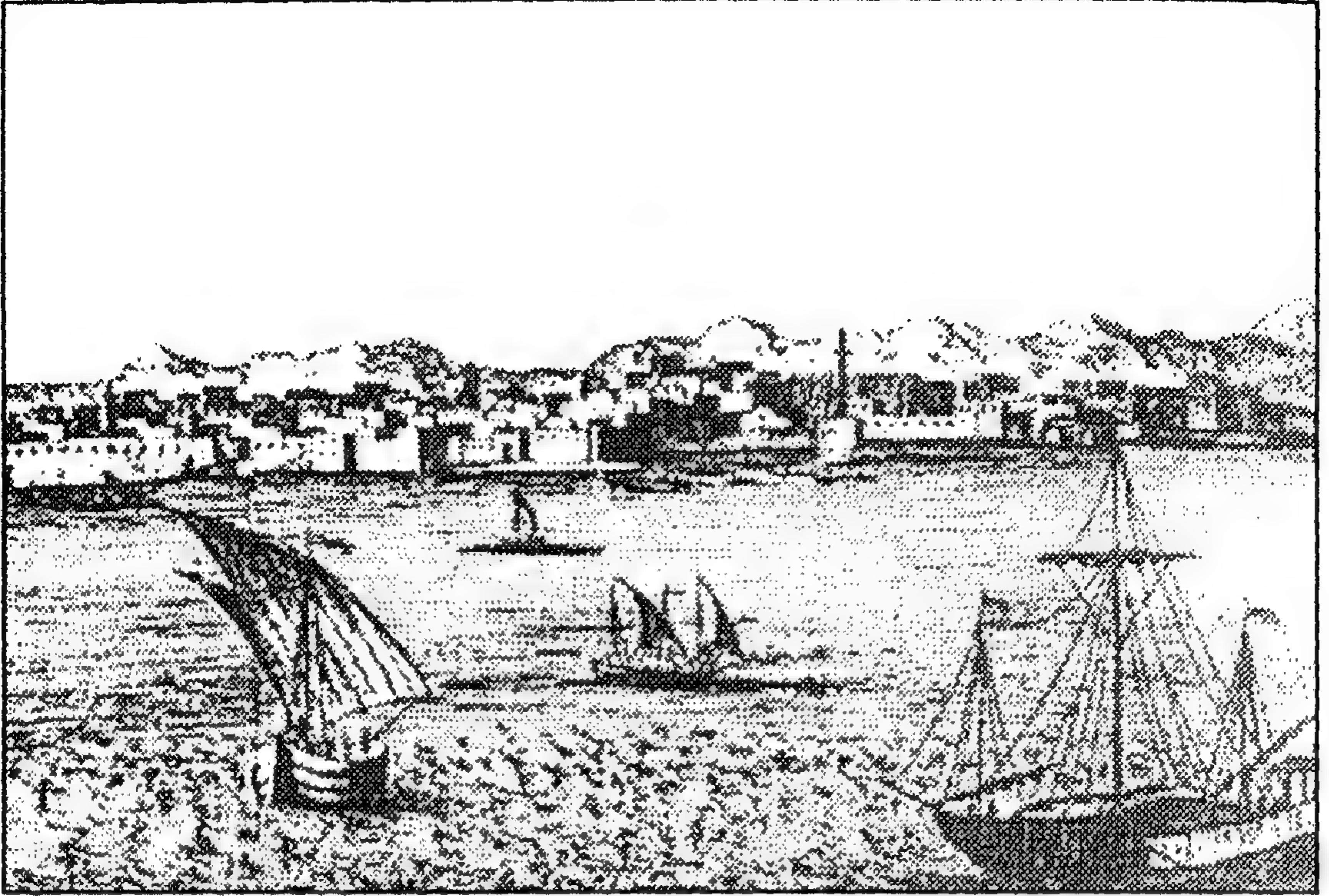
الممالك فأنزله في مكان وأكرمه ورتب له كفايته، وأقام
بمصر حتى تم أغراضه بالقطر وخلص له قبلى وبحرى،
وقتل من قتله وأخرج من أخرج، فالتفت عند ذلك إلى
مقاصده البعيدة وأمر بتجهيز الذخاير والإقامات وعمل
البقسماط الكثير حتى ملوا منه الخازن ببولاق ومصر القديمة
والقصور البرانية وبيوت الأمراء المنافى الخالية، ثم عبوا ذلك
وأرسل مع باقى الاحتياجات واللوازم من الدقيق والسمن
والزيت والعسل والسكر والأجبان فى البر والبحر، واستكتب
أصناف العساكر أترাকা ومغاربة (ص ٨٣٨) وشواما ومتاول*
ودروزا وحضارمة ويمانية وسودانا وحبوشا ودلاة وغير ذلك،
وأرسل منهم طوايف فى المقدمات والمشاة أنزلوهم من
القلزم فى المراكب وصحبتهم الجبخانات والمدافع وآلات
الحرب، وخرجت التجريدة فى شهر صفر بعد دخول
الحجاج فى تحمل زايد ومهيا عظيم وسارى عسكرها محمد
بك أبو الذهب وصحبته حسن بك ومصطفى بك
وخلافهم.

وفى ثمانى وعشرين ربيع الأول وردت الأخبار من الأقطار
الحجازية بوقوع حراة* عظيمة بين المصريين وعرب الينبع
وخلافهم من قبائل العربان والأشراف ووقعت الهزيمة على
المذكورين وانتصر عليهم المصريون، وقتل وزير الينبع المتولى
من طرف شريف مكة وقتل معه خلايق كثيرة.

وفى تاسع من شهر ربيع الآخر وصل نجاب* إلى مصر من
الديار الحجازية وأخبر بدخول محمد بك ومن معه إلى مكة،
وانهزام الشريف أحمد وخروجه هاربا. ونهب المصريون دار
الشريف ومن يلوذ به وأخذوا منها أشياء كثيرة من أمتعة
وجواهر وأموال لها قدر، وجلس الشريف عبد الله فى إمارة

* القضاء على بدو الاشراف فى البقيع.

* نجاب : الرسول، وهو يصل غالبا عن
طريق البر.



مكة، ونزل حسن بك إلى بندر جدة وتولى إمارتها عوضا عن الباشا الذي تولاهما من طرف ملك الروم؛ ووصلت الأخبار والبشائر بذلك وأرسلت إليه الملائكة بالعقبة وخلافها، فلما ورد الخير بوضوئه إلى العقبة خرجت الأمراء إلى بركة الحاج والدار الحمراء لانتظار قدومه فوصل في أواخر شهر رجب ودخل إلى مصر (ص ٨٣٩) في ثامنه في موكب عظيم، وأتت إليه العلما والأعيان للسلام وقصدته الشعراء بالقصايد والتهاني.

وفي منتصف رجب المذكور عزل علي بك عبد الرحمن أغا مستحفظان وقلد عوضه أغا الوالي، وقلد عوض الوالي موسى* أغا من أتباعه، وأمر عبد الرحمن أغا بالسفر إلى ناحية غزة وهي أول حركاته إلى جهة الشام، وأمر بقتل سليط

* أول حملات علي بك إلى الشام.

شيخ عربان غزة، فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو وإخوته وأولاده، وكان سليط هذا من العصاة العتاة له سير وأخبار.

وفيه زاد اهتمام على بك بالتحرك على جهة الشام واستكثر من جميع طوائف العسكر، وعمل البقسماط والبارود والذخاير والمون وآلات الحرب، وأمر بسفر تجريدة وأميرها اسماعيل بك وصحبته على بك الطنطاوى وعلى بك الحبشى، فبرزوا إلى جهة العادلية وخرجوا بما معهم من طوائف العسكر والممالك والأحمال والمطابخ والجبانات والعربات والضوية* وقرب الماء الكثيرة على الجمال، والكرارات والمطابخ والطبول والزمور والنقاير وغير ذلك، فلما تكامل خروجهم أقاموا بالعادلية* أياما حتى قضوا لوازمهم وارتحلوا وسافروا إلى جهة الشام.

* الضوية: حملة المشاعل والمصابيح.

* العادلية: بالشرقية. كانت محطة تاريخية على طريق المتجه للشام أو القادم منها لمصر.

وفى حادى عشرينه برزت تجريدة أخرى وعليها سليمان بك وعمر كاشف وجملة كثيرة من العساكر فنزلوا من طريق البحر على دمياط.

وفى عاشر شهر القعدة وردت أخبار من جهة الشام وأشيع وقوع حرايات بينهم وبين حكام الشام وأولاد العظم. وفى منتصفه خرجت تجريدة أخرى وسافرت (ص ٨٤٠) على طريق البر على النسق السابق.

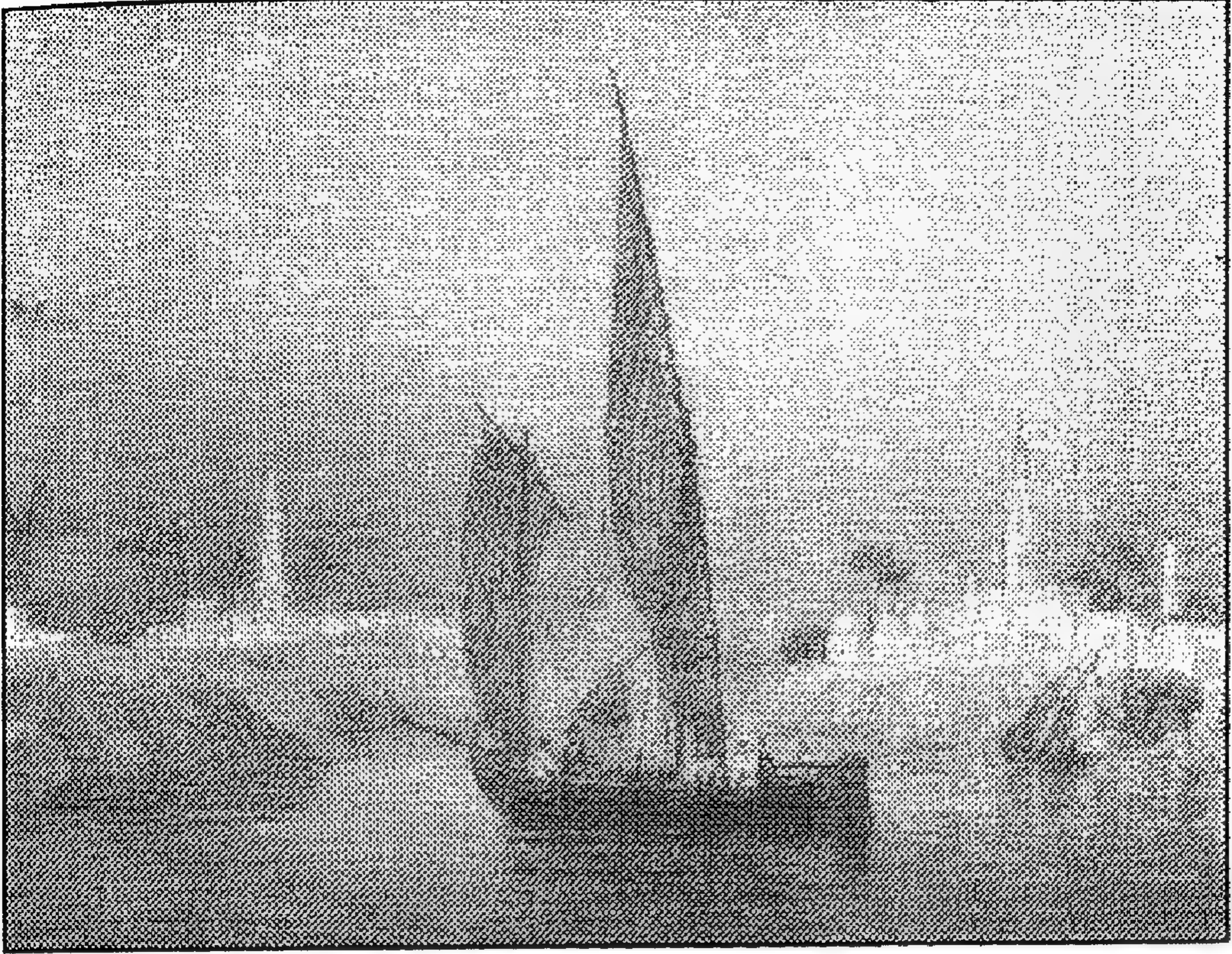
(وفى سابع عشر) طلب على بك حسن أغا تابع الوكيل والروزنامجى وباش قلعة واسماعيل أغا الزعيم وآخرين وصادرهم فى نحو أربعماية كيس بعد ما عوقوهم أياما. [وفى أواخره] عمل على بك دراهم على القرى وقرر على كل بلد مائة ريال وثلاثة ريال حق طريق؛ فضجت الناس من ذلك، وطلب من النصارى والقبط مائة ألف ريال، ومن اليهود أربعين ألفا وقبضت جميعها فى أسرع وقت.

ذكر من مات في هذه السنة (١١٨٤هـ = ١٧٧٠م)

* ٣٢٧ عبد الله بن سلامة الإدكاوي.

[مات] الشيخ العمدة الفاضل الكامل الأديب الماهر الناظم النائر الشيخ عبد الله بن سلامة الإدكاوي المصري الشافعي الشهير بالمؤذن، ولد بإدكو وهي قرية قرب رشيد سنة أربع ومائة وألف كما أخبر من لفظه، بها حفظ القرآن وورد إلى مصر، فحضر دروس علماء مصر وأدرك الطبقة الأولى، واشتهر بفن الأدب وانصوى إلى فخر الأدباء في عصره السيد علي أفندي برهان زاده نقيب السادة الأشراف، فأنزله عنده في إكرام واحتفل به وكفاه المؤنة من كل وجه، وصار يعاطيه كزوس الآداب، ويصافيه بمطارحة أشهى من ارتشاف الرضاب، وحج بصحبته بيت الله الحرام، وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، وذلك سنة سبع وأربعين ومائة وألف، وعاد إلى مصر وأقبل على تحصيل الفنون الأدبية فنظم ونثر ومهر وبهر، ورحل إلى رشيد وفوة* والاسكندرية مرارا، واجتمع على أعيان كل منها وطارحهم ومدحهم، وفي سنة تسع وثمانين رأيت من نظمه بيتين بخطه في جدار (ص ٨٤١) جامع ابن نصر بفوه تاريخ كتابتها سنة خمس وأربعين، وبعد وفاة السيد النقيب تزوج وصار صاحب عيال وتنقلت به الأحوال وصار يتأسف على ما سلف من عيشة الماضي في ظل ذلك السيد قدس سره، فلجأ إلى أستاذ عصره الشيخ الشبراوي ولازمه واعتنى به وصار لا ينفك عنه ومدحه بغير قصايد، فحصلت له العناية والإعانة، وواساه بما حصلت به الكفاية والصيانة، وله تصانيف كلها غرر، ونظم نظامه عقود الدرر، فمنها الدرة الفريدة والمنح الربانية في تفسير آيات الحكم العرفانية، والقصيدة اللازردية في مدح خير البرية، ألفها لعلها لباشا الحكيم، ومختصر شرح بانة سعاد

* فوه : أحد مراكز محافظ كفر الشيخ.



▲ منظر لمدينة فوه من النيل.

للسيوطي ، والفوايح الجنانية في المدايح الرضوانية، جمع فيها أشعار المادحين للمذكور، ثم أورد في خاتمتها ماله من الأمداح فيه نظما ونثرا، وهداية المنهومين في كذب المنجمين، والنزهة الزهية بتضمين الرحبية، نقلها من الفرائض إلى الغزل، وعقود الدرر في أوزان الأبحر الستة عشر، التزم في كل بيت منها الاقتباسات الشريفة، والدر الثمين في محاسن التضمين، وبضاعة الأريب في شعر الغريب، وذيلها بذيل يحكى دمية القصر، وله المقامة التصحيفية والمقامة القمرية في الجحون ، وله تخميس بانت سعاد وصدرها بخطبة بديعة وجعلها تأليفا مستقلا. وديوانه المشهور (ص ٨٤٢) على حروف التهجي وغير ذلك. وقد كتب بخطه الفائق كثيرا من الكتب الكبار ودواوين الأشعار، وكمل عدة أشياء من غرائب الأسفار رأيت من ذلك كثيرا،

وقاعدة خطه بين أهل مصر مشهورة لا تخفى ، رأيت مما
كتب كثيرا، فمن الدواوين : ديوان حسان رضى الله عنه
رأيت به خطه وقد أبدع فى تنميقه وكتب على حواشيه شرح
الألفاظ الغريبة، ونزهة الألباب، الجامع لفنون الآداب، وله
مطارحات لطيفة مع شعراء عصره، والواردين على مصر،
ولم يزل على حاله حتى صار أوحده زمانه، وفريد عصره
وأوانه، ولما توفي الأستاذ الحفنى اضمحل حاله، ولعب
بلباله، واعتزته الأمراض ونضب روض عزه وغاض، وتعلل
مدة أيام، حتى وافاه الحمام، فى نهار الخميس خامس
جمادى الأولى من السنة، وأخرج بصباحه، وصلى عليه
بالأزهر، ودفن بالمجاورين قرب تربة الشيخ الحفنى، ومما
اخرته من شعره قوله متوسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم:

يارب بالهادى الشفيح محمد

من قد بدا هذا الوجود لأجله

وبآله الأمجاد ثم بصحبة الـ

أخياري يا مغنى الورى من فضله

كن لى معينا فى معادى واكفى

هم المعاش وما أرى من ثقله

واستر بفضلك زلتى واغفر بعد

لك سيئتى واشف الحشا من غله

* وجد بهامش بعض النسخ ما نصه: وقد
رثاه الشيخ على الشرقاوى بقوله:

إن الادكواى فاقا بفنون الشعر حده
كان فى الفن إماما منجزا فى القضل وعده
ولقد مات فارخ مات أس الشعر بعده

(ص ٨٤٣) - (وله):

سل الله ذا الـمنّ العظيم ولا تسأل

سواه فإن الله يعطيك ما تبغى

ومهما تنل ما رمته يا أخا الحجا

من الأمل المطلوب فاقنع ولا تبغى

وله في آل البيت وفيه اقتباس:

آل طه يا أولى كل هدى
نزل القرآن في تطهيركم
نوركم يجلو دجا كل عنا
انظرونا نقتبس من نوركم

ومن غرر صنایعه النوع المخترع المسمى بوسع الاطلاع وقد
قسمه إلى أربعة أقسام: الأول أن يكون أول كل كلمة أولاً
لأختها (وفيه قوله):

بهي بدا بالوصل
بزوركه بآنت بلابل باله
الثاني: حرف عاطل وحرف منقوط سوى القافية (وفيه
قوله):

جميل بديع جل ذاتا بهيه
به زدت حباً فاتك بمجاله

الثالث: كلمة منقوطة وكلمة عاطلة ويسمى الأخيف (وفيه
قوله):

جُنْتُ وَلَوْ عَا فِي هَوَاهُ، شُفِّتْ، كَمْ
فُتِّتْ عَسَاهُ يُجْتَنَى لِكَمَالِهِ

الرابع: جميع الكلمات منقوطة (فيه قوله):

شَفِيقُ شَقِيقٍ شَبَّ شَفَى
بَغْنَجٍ، بَجْفَنٍ شَفْنَى بِنِبَالِهِ
له فيما لا يستحيل بالانعكاس* بالانعكاس قولنا لم
يَنعَكِسْ: (ص ٨٤٤)

* أي يقرأ طردا وعكسا

اربع غلبر ان أساء

وَأَسِ إِنِ الْغُلَّ عَمْرًا
ارثِ لَمِنْ مَلْ قَمْلًا
وَأَلْقِ لَمِنْ مَلْ ثَرًا
ارْمِ عَمْدُوكَا ذَا حَمْمًا
وَامْسَحْ أَذَا وَدَعِ مَمْرًا

صديقي في الأنام حليف حلم

عليه الجهلُ حتما لا يحومُ
منته * تنم * لهجروا
م اذ وجهل مئنته * تنم

* ترجمہ : نقل

وله في وسع الاطلاع، وهو أن الحرف الذي تختم به الكلمة تبدأ به الكلمة التي بعدها إلى آخر قوله:

تأمل لما أبداه هذا المهفوف

فرید دلال لا انفصال حسنه
 هنای یوای یوم مولای یسعی
 حبیب بهی یوم ملقاه هنی
 یمینا إذا القاه همی یكشف

به هام مثلى يا أخلاء آية
تمنوا إذا أمروا الحمى يتعطف
وكم ملكوه هائمى نفوسهم

مِرَامُهُمْ مِنْهُمْ هَبَاتٌ تُولَفُ

رَشَاءَ أَتَمَنَّى يَصْطَفِينِي يودُنِي

يُواصِلْنِي يَوْمَئِذَا أَتَلَهْفُ

فَيَنْعَمُ مَتَعُوبٌ بِرَّتهُ هَمُومُهُ (ص ٨٤٥)

هَيْامِي* يَنَادِي يَا مِيلِحَا أَتَعْطِفُ

* الهيام بضم الهاء : الجنون من العشق

فَزَادَ دَلَالًا إِذَا ذَكَرْتَ تَعْطِفَا

أَظْلَمَا إِذَا أَصْبَحْتَ تَسْخُو وَتُسْعِفُ

(وله في النوع المسمى بالعود):

دَلَالَةُ بِرُولَةِ الْحُبِّ زَادَ فَلَـ

قَدْ عَادَ بِالْقُرْبِ يَا صَحْبِي شَفَى سَقَمِي

دَلَالُهُ زَادَ صَحْبِي بِالْقُرْبِ زَادَ دَلَالُهُ

وَصَالَهُ طَبَّ لَبِي لَوْ يَعُودُ عَسَى

بِالْوَصْلِ يَحْسُمُ دَائِي بَلْ يَصُونُ دَمِي

وَصَالَهُ طَبَّ دَائِي عَسَى يَعُودُ وَصَالَهُ

نَبَالَهُ قَدْ أَبَادَتْ عَاشِقِيهِ فَكَمْ

عَادَتْ بِهِمْ نَافِذَاتُ الْعُودِ فَبَاتَقَمْ

نَبَالَهُ نَافِذَاتُ فَكَمْ أَصَابَتْ نَبَالَهُ

قَتَالَهُ فِي الرِّعَايَا لَا يَطَاقُ فَلَا

تَهْزَا فَقَدْ عَادَ جَدَا ذَاكَ فَاغْتَصِمْ

قَتَالَهُ فِي الرِّعَايَا فَلَا يَطَاقُ قَتَالَهُ

وله في بناء مسجد الشيخ مطهر بيت تأريخ:

إِنَّمَا يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ مِنْ آ

مِنْ بِاللَّهِ مَوْقِنَا بِالْمَفَازِ

(وله تشطير ذالية ظافر الحداد)

لَوْ كَانَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ مَلَاذِ

ما ضل عنه هجره ولذاذه
 خلا ولولا برق ثغر جبينه
 ماسح وابل جفنه ورذاذه

إلى آخرها وله من قصيدة يمدح بها بعض أمراء مصر
 ويهنيه بعام أربع وستين فيها تاريخ، كل مصراع منه تاريخ
 على حدثه، ومنقوط المصراعين تاريخ ومهملهما (ص ٨٤٦)
 تاريخ، ومنقوط الأول مع مهمل الثانى تاريخ وبالعكس،
 فالجملة ستة تواريخ فى البيت الواحد مطلعها:
 سلوه عن جفنى ما أرقه

وخاطرى المشغوف من شوقه
 «وبيت التاريخ»

عام بكم فرق قد إشراقه
 بسوحكم راق فما أشرقه

(وله):

وافى المحب إليكم يرجو اللقا
 كم مرة فأبى قضاء الله
 فلئن منتم بالتلاقى مرة
 ألبستموه حلة المتباهى

وكان فى مجلس وفيه أعيان الكتاب من الخطاطين فطلب
 منه وصفهم فقال:

انظر لمجلس ذا الكتاب تلقىهم
 مثل النجوم التى يسرى بها السارى
 قد أحرزوا قصب الأرقام واقتطفوا

جنى حـرروف لقـد زينت بأسـفار
 ما منهم من يرى يوما يراعه
 إلا وقيل له ما أحكم الباري
 (له مؤرخا عذار محبوب):

يارعى الله دهر أنس تقضى
 بك يا أيها الظريف الشمايل
 حيث ورد الحدود زاه نضير
 مثمر بالجمال يا غصن مايل
 (٨٤٧ص) ولى الدهر ماسعيت مطيع
 مسعدات بكوره والأصايل
 إن أقل أمرا أجاب وحظى
 بتمليك فى حلى السعد رافل
 منذ تبدى مسلسلا آس خديـ
 لك وأمسسى لماء وردك ناهل
 ملّ عنى ظنا بآنى سـالـ
 مع أن الحشا بحبك ذاهل
 قال ما ملت عنك لكنّ مالا
 تشتهيه بدا فما أنت فاعل
 لت يامنيتى خدودك أضحت
 جنة تجذب الحشا بسلاسل
 قال إيه شَبَّه عذارى وأرخ
 قلت مسك للورد قد جاء سايل

«وله وهو منقول من معنى فارسى»:
 شكا لى أهل الكيف شهر الصيام إذ
 أتى ودم الأجفان قد سفحوه

فقلت لهم يا قوم إن جاء نحركم
يطالبكم بالصوم فيه كلوه
(وله أيضا):

جلس الرقيب حذاء آ
س الخلد في الوجه البديع
فكانه برد العججـو
ز مقابـل فصل الربيع

(وله مستعظفا):

ياسـيـدى بـقـديـم ود بيننا
بحديثنا المـزـوج بالسـراء
بسميك الكرار قصر مد هـ
لذا الصد واحفظ صحبتى وإخائى
فالصبر عنى قد نأى والشوق
منى قد دنا وتشئت آرائى
وجفأك قد هد القوى ونواك قد
أضنى الحشا وعلى يدك شفائى
ورحق ما لاقيته أنا ذلك الـ
خل الوفى وإن أطلت جفائى
والذنب ذنبى فاعف عن يسيدى
فالعفو شأن السادة الكرماء

(له):

ليت شعرى ماذا تقولون فى حب مغرى بكم لا ينام

(وله فى المواعظ):

ليت شعري إذا دنا يارفاقي
 أجلى ثم هيئوا لي ترابي
 واغدوا بي إلى محل به صحـ
 جى جفوني وليس يرجى إيانى
 هل إذا غربلوا التراب أيلقوا
 ذرة من عظمى فى المصابى
 ويح هذى الدنيا التى تحرق الأكبا (ص ٨٤٩)
 د قد مزقت بلحدي إهابى
 وبذاك القفر اغتديت رهينا
 ليس لى من زاد ولا من ركاب
 فإذا رمت يادغستان تدرى
 شقوة من سعادة فى المآب
 فانظرة ما خطت يمينك فى لو
 حك لما تأتى غدا للحساب

(وقال لأمر اقتضى):

وعصبة سوء تجافيتهم
 ونزعت نفسى عن دائهم
 لحانى قوم على تركهم
 وقالوا ألت من أكفائهم
 فقلت لهم عذرنا واضح
 على ترك ساحة أحيائهم
 فنحن نعيش بأقلامنا
 وهم عائشون بأقفاهم

(وقال فى الرد على المنجمين):

الله يعلم ما يكون وما به

تسرى الرياح وماله يجرى الفلك

فدع المنجم في ضلالتة وما

ينبيك عنه ففي مقالته أفك* * أفك : بفتح الهمزة والفاء بمعنى كذب.

واحذر تصدقه فتهلك جاهلا

يامدعي الإيمان فيمن قد هلك

علم الإله محجب إلا على

من يرتضيه من رسول أو ملك

هذا اعتقادي والذي ألقى به

ربي لأسلك ناجيا مع من سلك

ثم الصلاة على النبي وآله

والصحب ما انشق الضياء من الحلك

وأنشده بعض أدباء الروم تاريخا بالتركية يخرج منه ستة

تواريخ وزعم أن شعراء العرب لا يحسنون مثل ذلك فعمل

تلك الليلة قوله وهو أول ما عمل من هذا النوع:

عام جديد بالهنا مقبل

وكل خير ذكره يؤثر

أتى لنا أهلا وسهلا به

ربي أنلنا فيه ما يجبر

قال لي الوقت وقد راق من

منهله المورد والمصدر

صفه بمدح رائع لائق

فهو بما تمدحه يشهر

على لساني قلت أرخته

في بيت شعر حسن يذكر

إبان عامي روحه يثمر

ووعده مثلي نوره يبهـر

فكل مصراع تاريخ، ومهمـل المصراع الأول مع مهمـل
الثاني تاريخ، ومنقوط الأول مع منقوط الثاني تاريخ، ومهمـل
الأول مع منقوط الثاني تاريخ، وعكسه فليعلم.

وله تشطير على لامية ابن الوردى مشهور. (ص ٨٥١) وله
فى الزهديات:

الله ربى لا شريك له ولا

ند ولا ضد ولا أعوان

يقضى ويفعل ما يشاء كماله

سبحانه فى كل يوم شان

(وله تخميس بيتى الرقمتين):

وحوراء النواظر أسهرتنى

ليالى هجرها بل حيرتنى

ومد حصل الوفاء وبشرتنى

رأت قمر السماء فأذكرتنى

ليالى وصلها بالرقمتين

وأبدت لى شمائلها الفواتن

ووجهها نيرا للبدر فاتن

وقالت لى وخوفى صار آمن

كلانا ناظر قمرنا ولكن

رأيت بعينها ورأت بعينى

وقال:

لم أقل قـد نام حظى إنما
 نام أهل الحظ فى وقت انتباهه
 لكن الله تعالى قادر
 فى بقائى فى توليه وجاهه

*الخود : بفتح الخاء وسكون الواو الحسنة
 الخلق الشابة أو الناعمة.

وقال فى تضمين المصراع الأخير الفارسي:

وخود* من بنات الفرس ألفت

محبتهـا لهيبـا فى حشائى
 وقد ملكتهـا رقى وحلت
 محل السر منى والوفاء
 تعاملنى بما يسبى فزادى (ص ٨٥٢)

وتمنحنى سروراً باللقاء
 سطا فىنا النوى فأتيتها كى
 أمتع ناظرى قبل التناى
 وقالت لى وقد أذرفت دموعا
 على الخد المكلل بالبهاء
 بالفاظ تحاكي عقـد در

*جه بودى كرىبودى آشنائى : ماذا تكون إذا
 لم تكن صديقا.

جه بودى كرىبودى آشنائى*

وله قصيدة ليس فيها حرف منقوط من أسفل منها:

كلمت محاسنه فتاها

وسمت تفاخر من عداها

رشا لواحظه غدت

فتاكة أو ما كفاها؟

وله أخرى ليس فيها حرف منقوط من أعلى منها:

يامليحا يهوى دوما صدودى

لم؟ ياباهى الجمال الوحيد

أحرام لو مسيلوك لوصل
نحب يرى الوصال كمعيد؟

وله نظم البحور على ترتيبها في الدوائر بأسمائها:
أطلت مديد الهجر فابسط لوافر
الوداد بقرب كامل وارث مالكي
وكن هزجا أو ارجزبوصلى وارملن
سريع انسراح ياخفيف المسالك
وضارع إذا رمت اقتضاب حسودنا
لتجتثه أصلا وقارب ودارك
وله في التضمينات نبذة صغيرة جمعها على حروف المعجم
للمرحوم الشيخ محمد سعيد السمان الدمشقي حين قدم
مصر واجتمع به سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف منها على
حرف الألف:

قال لى من هويت ياذا المعالى
إن تكن تشتهى حصول لقائى
صف كلامى وحسن نطقى بديها
قلت حسن الكلام نصف الوفاء
(وعلى حرف الباء)

أفدى حبيبى سباني
وقد حبانى قربه
عاتبته قال دعنى
فالعتب نصف المسببه
(وعلى حرف التاء)

قلت للشادن المليح وقد حل
بخديه مارماه بفؤت
نبت الشعير فوق خسيد
ك وهذا والله نصف الموت

(وعلى حرف الشين)

قلت للمفسر المبذر دبر
أمر دنياك تدركن خير عيشه
إن ساداتنا الأفاضل قالوا
إن حسن التدبير نصف المعيشه

وقال في تفضيل القديم على الجديد والجديد على
القديم: (ص ٨٥٤)

كن للمعاصر خير ناصر
كم للأوائل في مفاخر
لا تحقرون جديدهم
كم في جديدهم جواهر
ودع التعمص للأوا
نل يافستي أو للأواخر
من كان منهم مبدعا
فاعقد عليه من الخناصر

وقال يمدح الشمس الحفنى قدس الله سره:
فى كل شارقة طرفى أردده
فى روضة أنف من وجهك الحسن
يابهجة العصر يامنهاج كل علا
يامحیی الدین بالآثار والسنین
فأحمد الله إذ بالحب قربنى
من قلبك النیر الصافی من الدرن
وأرتجى منه بعد الحب ما بقيت
روحى تردد منى داخل البسطن
آمین قل سیدی کى يستجاب دعا
راج بقضاءك یا علامة الزمن

فلما سمعه الممدوح ووعاه، قال بلفظه المبين، آمين اللهم
آمين.

وقال مخمسا أبيات ابن منجك* المشهورة:

طاف بالراح مشتهدانا المدلل

ينثنى مثل بانه تتميل

قلت مذ زمزم الكئوس وأقبل

نتفدك ساقيا قد كساك الـ

حسن من فرقك المضى لساقك

في معانيك حار (ص ٨٥٥) فكري ووصفي

فلأى الصفات أبدى وأخفى

وعجيب من حيث تبدو لطرفي

تشرق الشمس من يدك ومن فيـ

ك الشريا والبندر من أطواقك

وقال مضمنا وقد بلغ عمره سبعين من السنين:

قد شبت مولاي والسبعون قد كملت

فلا تنلني في جسمي الضعيف أذى

واننى لك عبد فاقض لى كرما

بالعتق ياسيدى إن الملوك إذا

وله مضمنا:

قالوا تغربت يا هذا فقلت لهم

دعوا ملامى فإنى غير مستمع

إذ تغربت والدينار يصحبنى

لم أدر ما غربة الأوطان وهو معى

* فرس ريش : بتشديد الياء المكسورة، الذي
يدى يترويضه ويخشي منه على حازمه
(مروضه) لأنه يزال صعب المراس.

وله في المجون مضمنا:

ورب صغير من بنى الترك جاءنى
وفى خسده ورد تشوق كمائمه
فساومته وصلا ولاطفت خلقه
إلى أن دنأ نحوى ولانت شكائمه
فلما رأى توقاه خائفنا
كما يتوقى ريش الخيل حازمه

وقال أيضا من هذا النوع:

أقول وقد طالت يدى من هويت
وياطالما قد مال عنى بالقبض
أيا عطفة للصب يافاتر المها
فأدرك مطلوبى ومال إلى الأرض
ولكنه لما رأى الأير راعه
وقال وبرق الشوق يزداد فى الومض
بحقك لا تدخله فى جميعه
حنانك بعض الشر أهون من بعض

وقال مضمنا:

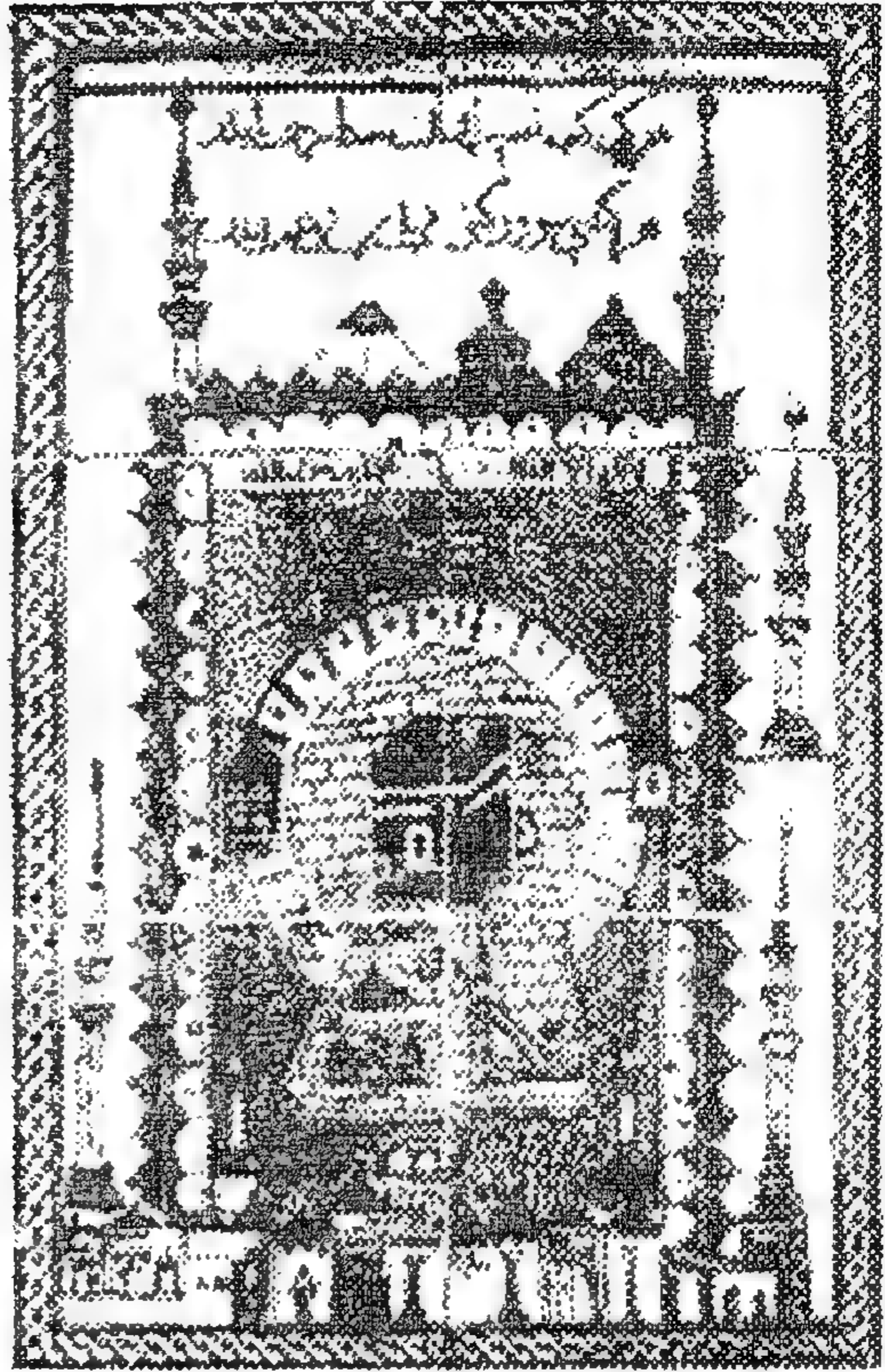
بقبله جاد حبيبى
وكان منى يفر
فقلت ياقلب أبشر
فأول الغيث قطر

وله تقرىظ بديع على شرح رسالة اسم الجنس والعلم لسيدنا
الشيخ السادات حفظه الله تعالى، والمتن للشيخ العيدروس
رحمه الله تعالى: هذا علم علامة علم، فعلم وفهم فهامة

فهم ففهم ،وجنس خاص من خاص الخواص ، ودرة من بحر علم لا من بحر غواص ، وأديب أبرز غامض تحف أتحف بها طاليها ، وليب كشف النقاب عن وجه جساء تمنعت عن غير عارفيها ، فنزهت طرفي في محاسن ما أبدع وحبت طرف نظري متأملا بدائع ما أودع ، وقلت عين الله عليه من رئيس امعن نظره ، وأنعم في تنقيح ابحاثها فكرة ، وأتقن ضم المتن لشرحه المجيد ، حتى صار في الالتئام كعقد در دار بالجيد ، كيف لا وهو من نخبة قوم عارفين ، ولكل وجهة خير همهم صارفين ، (ص ٨٥٧) وعن كل شر عازفين :

قوم هم زينة الدنيا وبهجتها
بهم نغاث إذا خطب لنا زحفا
لاسيما جبرنا ذا الفرع سيدنا
محمد سبط أهل الصدق آل وفا
أدامه من حباه الفضل يتحفنا
بكل أعجوبة تنحو لها اللطفا
وحاطه من عينون الحاسدين وأو
لاه المنى ووقاه ربه وكفى
وله هذه الأبيات الثلاثة أودع في أوایل كل كلمة منها حرفا
من حروف الهجاية :

إلى باب ثواب ثنيت جوارحي
حليم خبير درء ذنبى رضاؤه
زكا سر شانى صف ضفا طال ظله
عنايته غاثت فجلى قضاؤه
كفانى لفيض ما عدانى نواله
هدايته وافى لأمر يشاؤه



► الكعبة: رسم على القيشاني.

وقال مؤرخا وصول العين بالماء الكثير إلى مكة شرفها الله:
 جـاد بالعين الإله لنا
 بعد ما كنا فقـدناها
 وجـرت بالماء طافـحة
 ففـدونا بحمد الله
 فلذا قل إذ تـؤرخـه
 هو فـيض الله أجـراها

وكان الأغا المعين عليها من الدولة يقال له فيض الله.
 وله تشطير بيتي الشقايق لمولانا العارف بالله تعالى الشيخ
 عبد الغنى النابلسي رحمه الله (ص ٨٥٨) مستولا في ذلك،
 وكان قد ورد على السائل جملة تشايطير عليهما لأدباء
 الشام فقال:

وشقاقى قالت لنا بين الربا
 بيديع لفظ بالعقول يسام
 إن كنت ترغب فى شميم عبيرنا
 دع وجنة المحبوب فهى ضرام
 هل أنبتت قبل العوارض مثلنا
 ذا منظر تهفوا له الأجلام
 حزننا الفخار على الزهور بهجة
 قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال أيضا:

وشقاقى قالت لنا بين الربا
 رد روضنا هو جنة وسلام
 من أمنا واشتم نفحتنا يقل
 دع وجنة المحبوب فهى ضرام
 هل أنبتت قبل العوارض مثلنا (ص ٨٥٩)
 حسنا واشراقا هواه يرام
 أو ما استحت من عرفنا الذاكى شذا
 قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال أيضا:

وشقاقى قالت لنا بين الربا
 بيهاها شغف الملوك وهاموا
 وبنا غدا النعمان يعجب قايلا
 دع وجنة المحبوب فهى ضرام
 هل أنبتت قبل العوارض مثلنا
 زهرا تحار لوصفه الافهام
 أو ما درت أنا نفوق محاسنا

قلت اسكتوا لا يسمع النمام

*النمام : نبت طيب الرائحة.

وقال أيضا:

وشقايق قالت لنا بين الربا
أنا للزهور إذا حضرت إمام
بى يفخرون ومن رأى حسنى يقل
دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا
والورد فيها قد علاه قنم
وشقيقنا يزهو على طول المدى
قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال أيضا وفيه توجيه علم المنطق:

وشقايق قالت لنا بين الربا
بمقدمات ما بها إبهام
برهان سمدى الآن أنتج قايلا
دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا
حتى أضيف لها هوى وغرام
لكنها حصل التمانع عندها
قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال أيضا وفيه توجيه النحو:

وشقايق قالت لنا بين الربا
إن جئت نحوى سرك الإقدام
وإن ابتغيت لعائدى صلة الوفا (ص ٨٦٠)
دع وجنة المحبوب فهي ضرام

هل أنبتت قبل العوارض مثلنا
حتى أضيف لها هوى وغرام
لكنها قد عطلت من عامل
قلت اسكتوا لا يسمع النمام
وقال في توجيه النجوم:

وشقاقى قالت لنا بين الربا
مميزان عزى لا يزال يقام
والزهرة الغراء قالت للسهها
دع وجنة المحبوب فهي ضرام
هل أنبتت قبل العوارض مثلنا
نجمما أضاء بنوره بهرام
أو ما ترانا كالشرى بهجة
قلت اسكتوا لا يسمع النمام

وقال يخاطب الأستاذ الحفنى قدس سره:
ياسيدا عظمت جلالة قدره
ولجأه انحازت جميع الناس
قصد أذهب الله الكريم بفضله
ويلطفه ما حل بى من باس
وأزال شكواى التى قد أوهنت
عظمى فلا أشكو سوى الإفلاس

وقال متغزلا:
يمر على من أهوى فأهوى الترف
ناتا منه نحوى إذ يمر
فيعرض حين يلحظنى دلالا (ص ٨٦١)

فيا عجبى يمر ولا يمر
 وكان قد مرض مرضا أعيا الأطباء ورثى له فيه الأعداء
 فضلا عن الأحياء، فلما عوفي قال:
 قد حصل اللطف فى القضاء وقد
 أزال ربي ما كنت أخشاه
 ولست أشكو لغيره أبدا
 فالحمد لله ليس إلا هو
 وقال أيضا:

رب بالمصطفى رسولك طه
 المصطفى من سائر الأدناس
 حففنى منك يا إلهى بلطف
 وأزل ما يسؤونى من باس
 وقال أيضا:

لطف إلهى حففنى
 مما دهانى فى البس
 فالحمد لله الذى
 أذهب عن الحزن
 وقال أيضا:

لطف الله بحبلى
 بعد أن أوهن عظمى
 فله الحمد على ما
 زال من همى وغمى

وقال وهو معنى منقول من الفارسية:
 أعينك أن تكون لدى البرايا
 تسمى سارقا إذا المعانى

ولكن إن سرقت فقدر معنى
به تزدان لادر الغـوانى

وقال مؤرخا وقد كتب على حنفية للوضوء:
ياناظرا فى حسن وضعى لقد (ص ٨٦٢)
صرت سبيلا لطريق النجاة
لسان حال قايلا أرخوا
سبيل ماء للوضو والصلاة
وقال فى غرض:

نحن قوم إذا رأينا مليحا
جامعا فى جماله كل بهجه
وأردنا بالاحتياج نراه
نعمل الشرب للتفرج حجه

وقال يخطاب الشمس الحفنى فى يوم عيد:
عيد بكم يزهو سرورا
ويزيد إشراقا ونورا
فسادامكم رب العـلا
لمعاقل الإسلام سورا

ولما زوجنى المرحوم الوالد فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف
كتب إليه مهنيا ومؤرخا قوله:
ياماجدا أقواله

وفعاله طابا بذكرك
ياكنز طلاب المعـلا
رف جلها من دربحرك

يهنيك نجلك عابد الرحم
 ن زاد علا بفخرك
 هنيته مليته
 متعته يافرد عصرك
 زوجته بكر المحا
 سن فانشنى يتلو لشرك
 أبقاهما الله الكر
 يم منعمين بطول عمرك
 هذا هناء محبك الدا
 عى لكم بسمو قدرك
 والحال قد أرخته
 شمس البها زفت لبدرك

وفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف) لما اختلف خدام
 المشهد النفيسى وكبيرهم إذ ذاك الشيخ عبداللطيف فى أمر
 العنز*، وذلك أنهم أظهروا عنزا صغيرة مدره زعموا أن
 جماعة من الأسرى ببلاد الافرنج توسلوا بالسيدة نفسية
 (ص ٨٦٣) وأحضروا تلك العنز وعزموا على ذبحها فى
 ليلة يجتمعون فيها يذكرون ويدعون ويتوسلون فى
 خلاصهم ونجاتهم من الأسر، فاطلع عليهم الكافر فزجرهم
 وسبهم ومنعهم من ذبح العنز، وبات تلك الليلة فرأى رؤيا
 هالته، فلما أصبح أعتقهم وأطلقهم وأعطاهم دراهم
 وصرفهم مكرمين، ونزلوا فى مركب وحضروا إلى مصر
 وصحبتهم تلك العنز، وذهبوا إلى المشهد النفيسى بتلك
 العنز، وذكروا فى تلك العنز غير ذلك من اختلاقهم
 وخورهم كقولهم إنهم فى يوم كذا أصبحوا فوجدوها عند

*مخرافة العنز وموقف عبد الرحمن كثنخدا
منها.



المقام أو فوق المنارة وسمعوها تتكلم، أو أن السيدة تكلمت وأوصت عليها، وسمع الشيخ المذكور كلامها من داخل القبر وأبرزها للناس وأجلسها بجانبه، ويقول للناس ما يقوله من الكذب والخرافات التي يستجلب بها الدنيا، وتسامع الناس بذلك فأقبل الرجال والنساء من كل فج لزيارة تلك العنز، وأتوا إليها بالنذور والهدايا، وعرفهم أنها لا تأكل إلا قلب اللوز والفسق وتشرّب ماء الورد والسكر المكرر ونحو ذلك، فأتوه بأصناف ذلك بالقناطير، وعمل النساء للعنز القلايد الذهب والأطواق والحلى ونحو ذلك، وافتنوا بها، وشاع خبرها في بيوت الأمراء وأكابر النساء وأرسلن على قدر مقامهن من النذور والهدايا، وذهبن لزيارتها ومشاهدتها وأزدهمن عليها، فأرسل عبد الرحمان كتخدا إلى الشيخ عبد اللطيف المذكور والتمس منه حضوره إليه بتلك العنز



ليتبرك (ص ٨٦٤) بها هو وحريمه، فركب المذكور بغلته وتلك العنز في حجره ومعه طبول وزمور وبيارق ومشايخ وحوله الجم الغفير من الناس ودخل بها بيت الأمير المذكور على تلك الصورة وصعد بها إلى مجلسه وعنده الكثير من الأمرا والأعيان، فزارها وتلمس بها، ثم أمر بإدخالها إلى الحريم ليتبركن بها، وقد كان أوصى الكلارجي قبل حضوره بذبحها وطبخها، فلما أخذوها ليذهبوا بها إلى جهة الحريم، أدخلوها إلى المطبخ وذبحوها وطبخها قيّمه وحضر الغذاء وتلك العنز في ضمنه فوضعوها بين أيديهم وأكلوا منها والشيخ عبدا للطيف كذلك صار يأكل منها والكتخدا يقول : « كل ياشيخ عبد اللطيف من هذا الرميس الثمين » فيأكل منها ويقول : « والله إنه طيب ومسترونفيس » وهو لا يعلم إنه عنزه وهم يتغامزون ويضحكون ، فلما فرغوا من الأكل وشربوا القهوة وطلب الشيخ العنز، فعرفه الأمير أنها هي التي كان بين يديه في الصحن وأكلها، فبهت ، فبكته الأمير ووبخه وأمره بالانصراف، وأن يوضع جلد العنز على عمامته ويذهب به كما جاء بجمعيته وبين يديه الطبول والأشائر، ووكل به من أصله محله على تلك الصورة، فقال في ذلك المترجم :

بينت رسول الله طيبة الثنا
نفيسة لئذ تظفر بما شئت من عز
ورم من جدّها كل خير فإنها
لطلابها ياصاح أنفع من كنز

(ص ٨٦٥) ومن أعجب الأشياء تيس أراد أن
يُضِلَّ الوري في حبّها منه بالعنز
فعالجها من نور الله قلبه

بذبح وأضحى التيس من أجلها مخزى

* طيارات: ورق تكتب عليه الرسائل

ورأيت كثيرا من قصايد في طيارات * وأوراق لم تدون
وسمعت كذلك من إنشاداته لنفسه ولغيره لو كنت تيقظت
لجمع ذلك لكان ديوانا كبيرا ولكن كان ما كان. فما علق
بالبال مما أنشده لغيره وفيه تورية:

هيا البـلان موسى
خلوة تحيي النفسوسا
قليل ما تعمل فيها
قلت أستعمل موسى
وله:

إذا المرء لم ينفك والدهر مقبل
عليه ولم تخطر عليه ببال
فصوره في وسط الكنيف بفحمة
وشرشر عليه عند كل مبال

وقد خمسها ما بين المصراعين فقال:
(إذا المرء لم ينفك والدهر مقبل)
عليه بما قد كان يرجو ويأمل
وأضحى بثوب التيه والكبر يرقل
وصار يرى منك المودة تشقل
«عليه ولم تخطر عليه ببال»
فصوره في وسط الكنيف بفحمة
وكن حالة التصوير في وقت ظلمة
ومر كل مبطلون وصاحب تخمة (ض ٨٦٦)
على رأسه يخزى بعزم وهمة

«وشرشر عليه عند كل مبال»

ومما أنشده لنفسه وفيه اقتباس:

يا صباح الوجهه يابيض الشنا

راقبوا الرحمن في مأسوركم

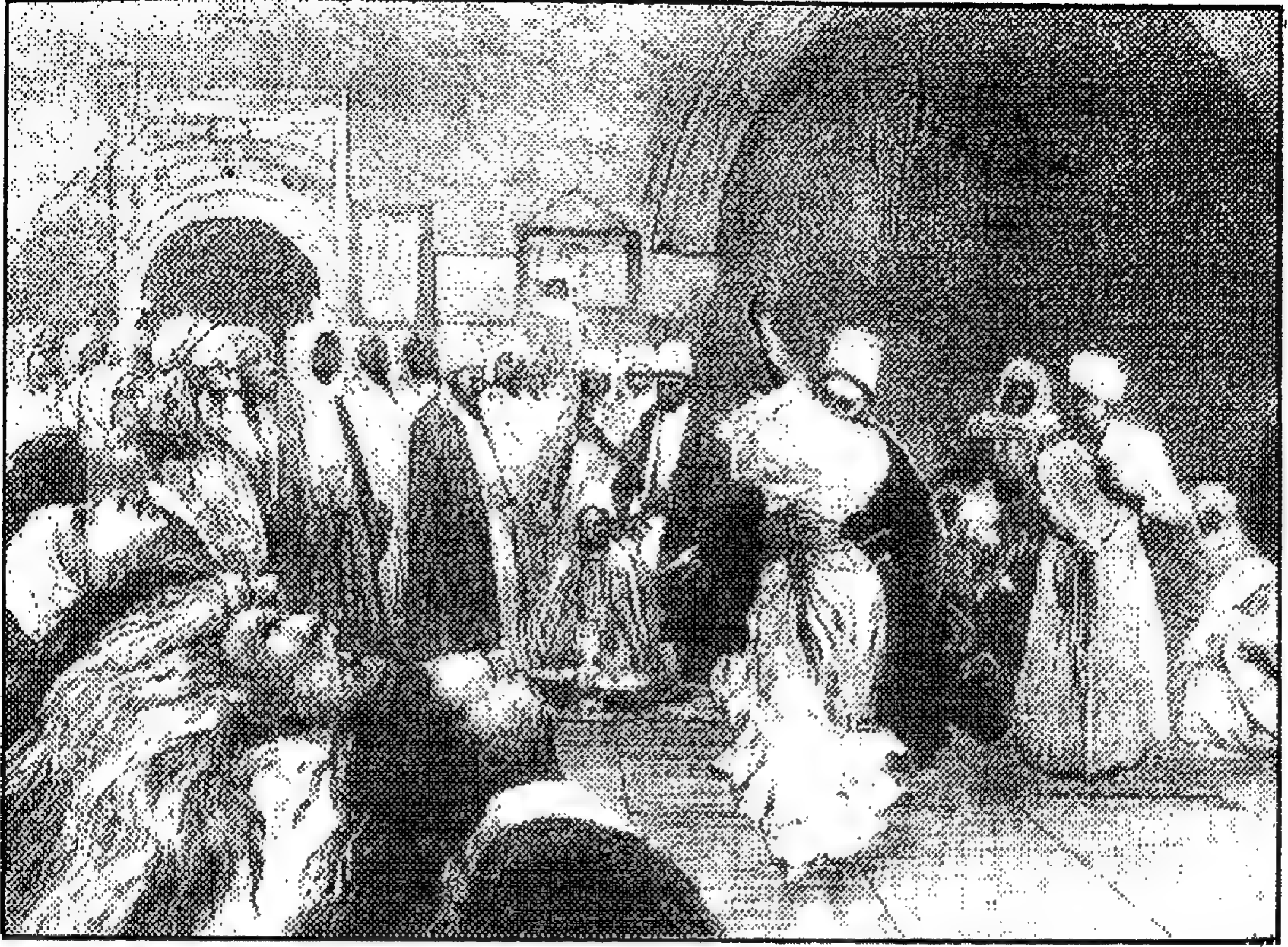
وإذا أظلم دهرٌ جـانـرٌ

انظرونا نقتبس من نوركم

ولم ينزل المترجم حتى تعلل بالأمراض والأسقام، واضمحل منه الجسم واكتوا بالآلام، حتى وافاه الحمام، في يوم الخميس خامس جمادى الأولى من السنة رحمه الله، وابنه العلامة السيد أحمد المعروف بكتيكت مفتي الشافعية بشفر سكندرية، والسيد هلال الكتبي توفيا بعده بستين، والشيخ صالح الصحاف موجود مع الأحياء أعانه الله على وقته.

٣٢٨ جعفر بن حسن البرزنجي.

[ومات] الإمام الشيخ الفصيح البارع الفقيه الشيخ / جعفر بن حسن بن عبد الكريم بن رسول الحسيني البرزنجي المدني مفتي الشافعية بها، ولد بالمدينة وأخذه عن والده، والشيخ محمد حيوة السندی وأجازه السيد مصطفى البكري، وكان يقرأ دروس الفقه داخل باب السلام وكان عجيبا في حسن الإلقاء والتقرير ومعرفة فروع المذهب، تولى الإفتاء والخطابة مدة تزيد على عشرين سنة وكان قوالا بالحق أمارا بالمعروف، واجتمع به الشيخ سليمان بن يحيى شيخ المشايخ وذكره في رحلته وأثنى عليه، وله مؤلفات منها: البر العاجل (ص ٨٦٧) بإجابة الشيخ محمد غافل، والفيض اللطيف بإجابة نائب الشرع الشريف، وفتح الرحمن على أجوبة السيد رمضان وتوفى في



شهور هذه السنة قيل مسموما والله أعلم.

٣٢٩ أحمد بن حسن النشري.

(ومات) الوالى العارف أحد المجاذيب الصادقين الأستاذ الشيخ/ أحمد بن حسن النشري الشهير بالعريان، كان من أرباب الأحوال والكرامات، ولد فى أول القرن وكان أول أمره الصحو ثم غلب عليه السكر فأدركه الخو، وكانت له فى بدايته أمور غريبة وكان كل من دخل عليه زائرا يضربه بالجرید، وكان ملازما للحج فى كل سنة، ويذهب إلى موالد سيدى أحمد البدوى المعتادة وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب، وإذا قرأ قارئ بين يديه وغلط يقول له قف فإنك غلطت. وكان رجلا جلاليا يلبس الخشنه وهى جبة صوف وعمامة صوف حمراء يعتم بها على لبدة من صوف، ويركب بغلة سريعة العدو، وملبسه دائما على هذه الصفة شتاء وصيفا، وكان شهير الذكر يعتقده الخاصة والعامة،

وتأتى الأمراء والأعيان لزيارته والتبرك منه، ويأخذ منهم دراهم كثير ينفقها على الفقرا المجتمعين عليه، وأنشأ مسجده تجاه الزاهد جوار داره وبنى بجواره صهريجاً وعمل لنفسه مدفنًا وكذلك لأهله وأقاربه وأتباعه، واتحد به شيخنا السيد أحمد العروسي واختص به اختصاصاً زائداً فكان لا يفارقه سفراً ولا حضراً، وزوجة إحدى بناته وهى أم أولاده وبشره بمشيخة الجامع الأزهر والرياسة، فعادت عليه بركته، وتحققت بشارته (ص ٨٦٨)، وكان مشهوراً بالاستشراف على الخواطر. توفى رحمه الله فى منتصف ربيع الأول وصلى عليه بالأزهر ودفن بقبره الذى أعده لنفسه فى مسجده نفعا الله به وعباده الصالحين.

٣٣٠ على بن أحمد البشيشى.

(ومات) الفقيه الصالح الشيخ / على بن أحمد بن عبد اللطيف البشيشى الشافعى روى عن أبيه عن البابلى. توفى فى غاية ربيع الثانى من السنة.

٣٣١ أحمد المولوى.

(ومات) الشيخ المبجل الصالح المفضل الدرويش / أحمد المولوى شيخ المولوية بتكية المظفر، وكان إنساناً حسناً لا بأس به مقبلاً على شأنه منجمعا عن خلطة كثير من الناس إلا بحسب الدواعى، توفى فى سابع عشرين ربيع الآخر من السنة ولم يخلف بعده مثله.

٣٣٢ شمس الدين حمودة.

(ومات) المقدام الخير الكريم صاحب الهمة العالية والمروة التامة / شمس الدين حمودة شيخ ناحية برمه بالمنوفية أخذ عن الشيخ الحفنى وكان كثير الاعتقاد فيه والإكرام له ولاتباعه وله حب فى أهل الخير واعتقاد فى أهل الصلاح،



▲ مشهد جنازة

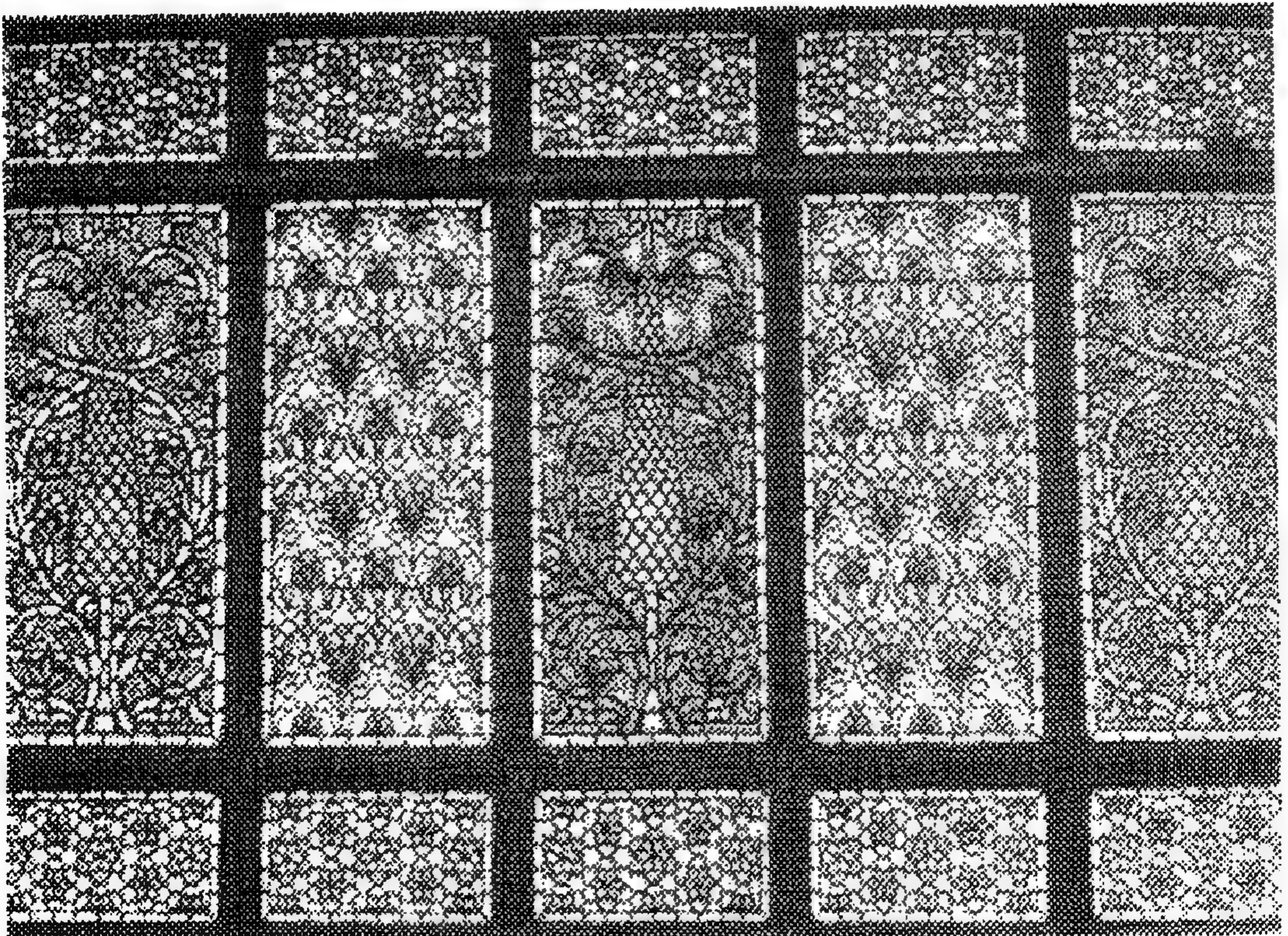
ويكرم الوافدين والضيوفان، وكان جميل الصورة طويلاً مهيباً
حسن الملبس والمركب، توفي يوم الخميس حادى عشر
رجب من السنة، وخلف أولاداً منهم محمد الحفنى الذى
سماه على اسم الشيخ لخبته فيه وأحمد شمس الدين.

(ومات) بقية السلف ونتيجة الخلف الشيخ/ أحمد سبط
الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعرانى، وشيخ السجادة(*)
كان إنساناً حسناً وقوراً سالكا منهج الاحتشام والكمال
منجمعا عن خلطة (ص ٨٦٩) الناس إلا بقدر الحاجة، توفي
يوم السبت ثامن صفر من السنة وخلف ولده سيدى عبد
الرحمن مراهقا تولى بعده على السجادة مع مشاركة قريبه
الشيخ أحمد الذى تزوج بوالدته.

٣٣٣ أحمد الشعرانى.

* شيخ السجادة : أى شيخ طريقة عبد
الوهاب الشعرانى.

[ومات] الإمام العلامة الفقيه الصالح الناسك صايم الدهر
 الشيخ / محمد الشوبرى الحنفى، تفقه على الشيخ
 الإسقاطى والشيخ سعودى وبعد وفاة المذكورين لازم الشيخ
 الوالد وتلقى عنه كثيرا، وكان إنسانا حسنا وجيها لا يتداخل
 فيما لا يعنيه مقبلا على شأنه، صايم الدهر، ملازما لداره بعد
 حضور درسه، وكان بيته بقنطرة الأمير حسين مطلا على
 الخليج.



«سنة خمسة وثمانين ومائة وألف» [١٧٧١م]

فيها أخرج على بك تجريدة عظيمة وسر عسكرها وأميرها محمد بك أبو الذهب وأيوب بك ورضوان بك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب ومماليكهم وطوايفهم وأتباعهم وعساكر كثيرة من المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاوله وخرجوا في تحمل زايد واستعداد عظيم ومهيا كبير ومعهم الطبول والزمور والذخاير والأحمال والخيام والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع الزنبلك على الجمال وأجناس العالم ألوفاً مؤلفة، وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال وشحنوا بها السفن، وسافرت من طريق دمياط في البحر، فلما وصلوا إلى الديار الشامية، فحاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملكوها بعد أيام كثيرة، ثم توجهوا إلى باقي المدن والقرى وحاربهم (ص ٨٧٠) النواب والولاة وهزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم واستولوا على الممالك الشامية إلى حد حلب، ووردت البشائر بذلك فنودي بالزينة فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها وتفاخروا في ذلك إلى الغاية، وعملت وقدرات وأحمال قناديل وشموع بالأسواق وسائر الجهات، وعملوا ولايم ومغانى وآلات وطبولا وشنكا وحراقات وغير ذلك وذلك، في شهر ربيع أول من السنة وتعاضم على بيك في نفسه ولم يكتف بذلك فأرسل إلى محمد بيك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التي افتتحوها وملكوها وأن يستمر في سيره ويتعدى

* حملة على بك على الشام بقيادة محمد بك أبو الذهب.

١١٨٥ هـ.

١٤٨٧ ق.

١٧٧١ م.

غاية الفيضان ١٨ قيراط ٢٣ ذراع

□ ١ توت ١٤٨٨ = ١٠ سبتمبر ١٧٧١ =

الثلاث ٣٠ جماد أول ١١٨٥.

□ فيها جرد على بك تجريدة تحت إمرة

محمد بك أبي الذهب فقامت من دمياط

إلى الشام بطريق البحر فحاصروا يافا ثم

ملكوها، كذا ملكوا بقية المدن الشامية

لحد حلب. وزينت مصر وبولاق ثلاثة أيام

فرحا لهذه النصر.

□ وفيها أمر على بك محمد بك أبو الذهب

أن يولي الولاة على البلاد التي افتتحوها،

ويمد فتوحاته حيث شاء، فتحالف أبو

الذهب مع بقية الرؤساء على العودة إلى

مصر ونبد ما أمر به على بك.

□ وفي أواخر جماد الثاني كانت عودة

تجريدة أبي الذهب إلى مصر.

□ وفيها حصل طاعون بالتركية.

□ وفي ١٤ شوال حاصر على بك وعلى

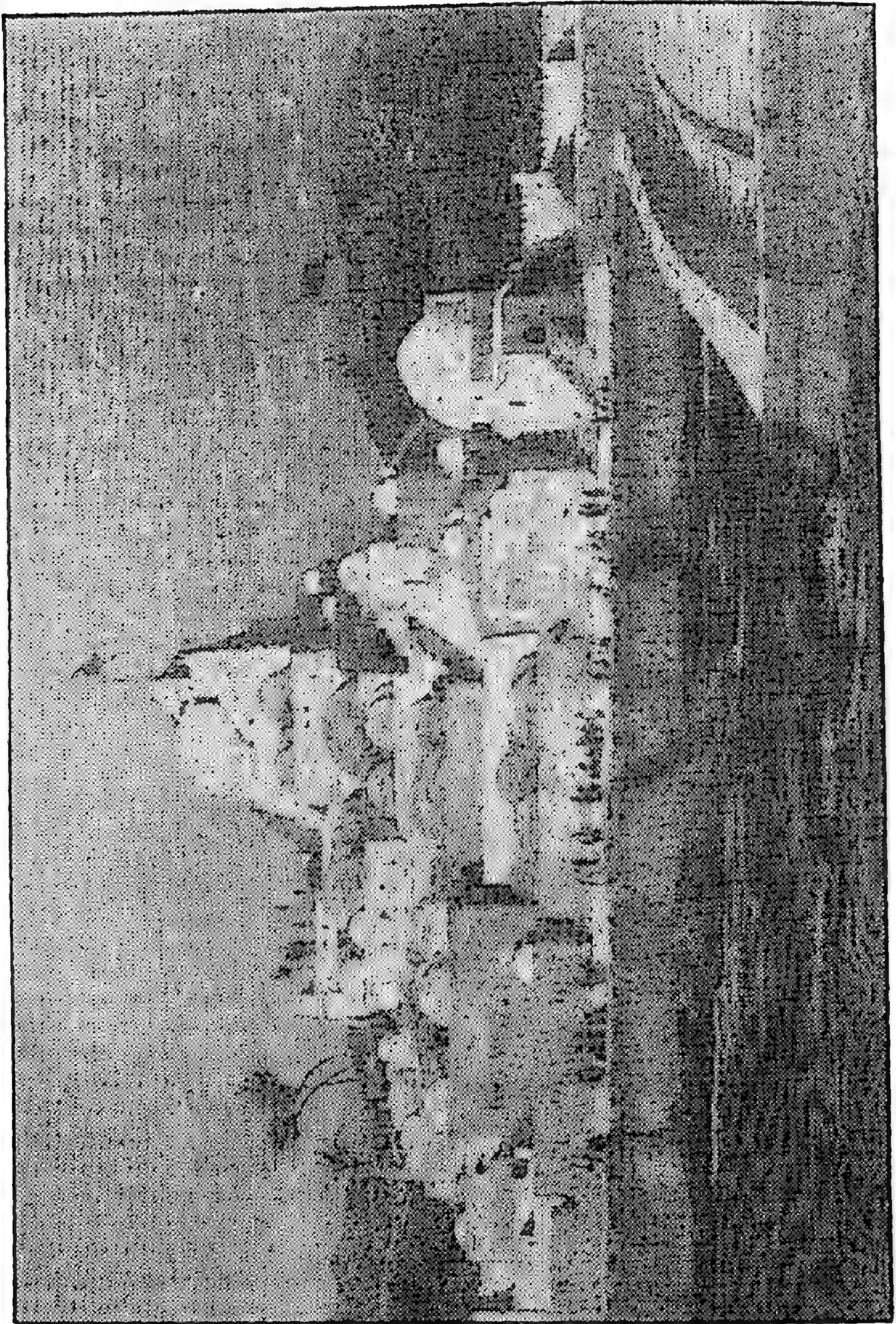
بك طنطاوى دار محمد بك أبي الذهب

قاصدين القدر به، فتقدمهم إلى البساتين

وتوجه إلى الصعيد.

□ ١ يناير ١٧٧٢ = ٢٤ كيهك ١٤٨٨ =

الأربع ٢٥ رمضان سنة ١١٨٥.



▲ مشهد ليلا من البحر

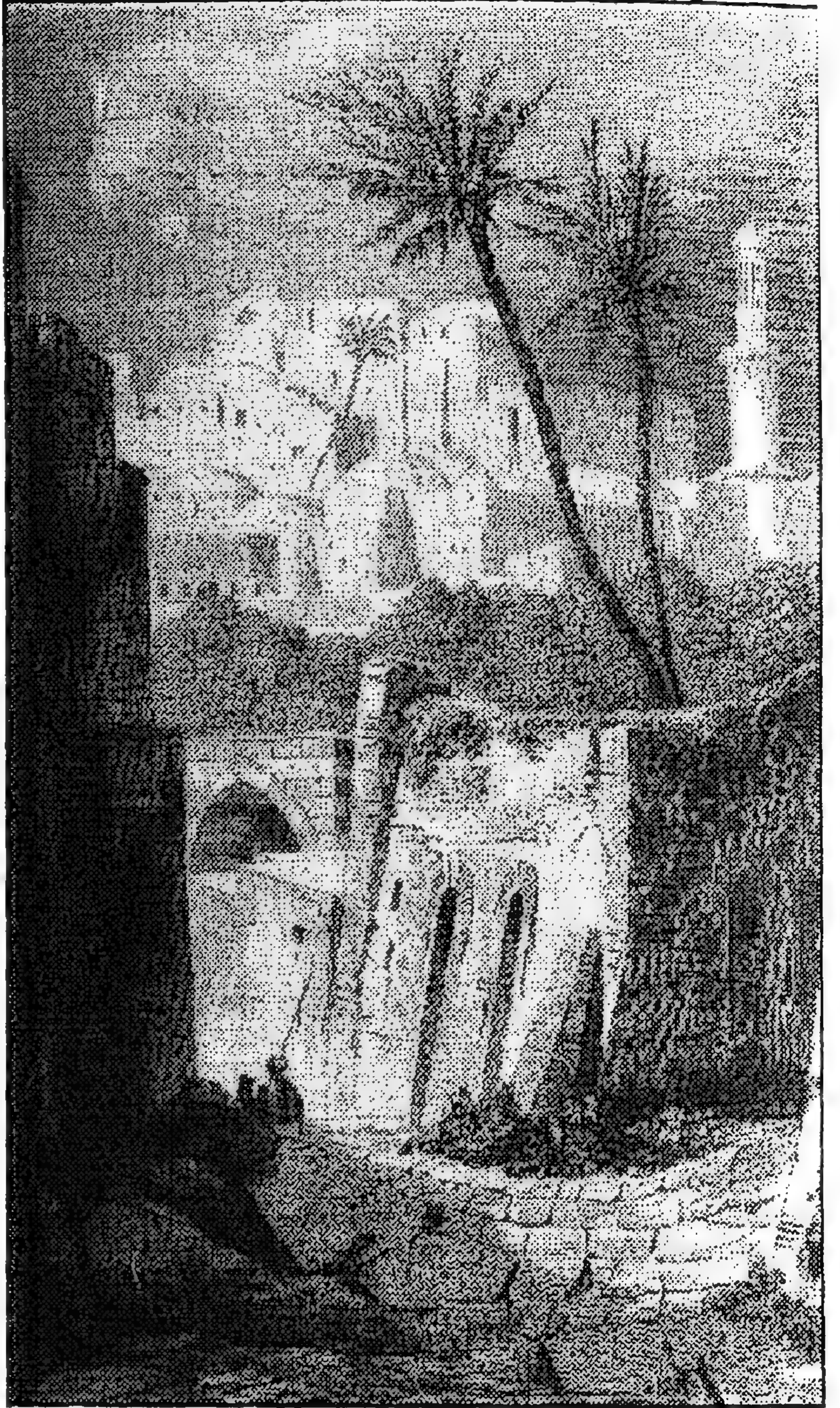
الحدود ويستولى على الممالك إلى حيث شاء وهو يتابع إليه إرسال الإمدادات واللوازم والاحتياجات ، ولا يشنون عنانهم عما يأمرهم به ، فعند ذلك جمع محمد بيك* أمراءه وخشداشينه الكبار في خلوة وعرض عليهم الأوامر فضاقت نفوسهم وستموا الحرب والقتال والغربة ، وذلك ما في نفس محمد بيك أيضا ثم قال لهم : ما تقولون ؟ قالوا : وما الذى نقوله والرأى لك فأنت كبيرنا ونحن تحت أمرك وإشارتك ولا نخالفك فيما تأمر به ؟ فقال : ربما يكون رأى مخالف لأمر أستاذنا : قالوا : ولو مخالفنا لأمره ، فنحن جميعا لا نخرج عن أمرك وإشارتك فقال : لا أقول لكم شيئا حتى نتحالف جميعا وتعاهد على الرأى الذى يكون بيننا : ففعلوا ذلك وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب ، ثم إنه قال لهم « إن أستاذنا يريد أن تقطعوا (ص ٨٧١) أعماركم في الغربة والحرب والأسفار والبعد عن الأوطان وكلما فرغنا من شيء فتع علينا غيره فرأى أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع إلى مصر ولا نذهب إلى جهة من الجهات وقد فرغنا من خدمتنا ، وإن كان يريد غير ذلك من الممالك يولى أمراء غيرنا ويرسلهم إلى ما يريد ونحن يكفينا هذا القدر ونرتاح في بيوتنا وعند عيالتنا » فقالوا جميعا : ونحن على رأيك . وأصبحوا راحلين وطالين إلى مصر ، فحضرُوا في أواخر شهر رجب على خلاف مراد مخدمهم وبقي الأمر على السكوت ، ثم إن على بيك قلد أيوب بيك إمارة جرجا وقضى أشغاله وسافر إلى الصعيد بطائفته وأتباعه وانقضى شهر شعبان ورمضان وعلى بيك مصمم على رجوع محمد بيك إلى جهة الشام وذلك مصمم على خلاف ذلك ، وبدأت بينهما الوحشة الباطنية ، فلم كان ليلة رابع شهر شوال

* تأمر محمد بك أبو الذهب ضد سيده على بك الكبير .

كتاب على بك الكبير إلى أهالي دمشق ١٧٧٠م ١١٨٤هـ .

* صدر هذا فرمان الشريف الشأن من ديوان مصر القاهرة المخروسة المعالي . دامت لها المفاخر والمعالي من من به الكريم المنان على أهل هذا الزمان . وأظهر العدل والأمان . وعم بالفضل والاحسان . جميع أهل القرايا والبلدان . وراغم أهل الجور والطغيان . أمير الأمراء الكرام . وعظيم الكبرا الفخام . المختص بمزيد عناية الملك العلام . أمير اللواء الشريف السلطاني والعلم المنيف الخاقاني . أمير على بيك أمير الحاج سابقا . وقيم مقام (قاي مقام) المخروسة حالا ، دام عزه وبقاه . ورفع بالسعد لواءه . مضمونه حمد باري النسم . ومحى الرقم . الذى قدس وعظم قدر الحرام . وبارك حوله بجزيل النعم وأمر بالعدل فى سائر الأمم . وأوعد الظالم بالهلاك والنقم . القائل تعالى فى كتابه المبين . ان الله لا يحب الظالمين ولا يصلح عمل المفسدين . ولا تأيسوا من القوم الفاسقين من بعد الصلاة والسلام على رسوله الامين . سيد الخلق اجمعين . الصادق وهو اصدق من قال الضر يزول وعلى أصحابه الدين سادوا وشادوا الدين ، صلوة وسلاما دائما ليوم الدين . فمن بعد مزيد السلام والتحية (بهيم) الامن والبركات . وجزيل النعم واخيرات . فى كل الاوقات والساعات . الى حضرة العلما العالمين . والفقها احدثين . المفتين بشريعة سيد الانام . وقضاة الاسلام . وارباب المناصب والحكام . والخاص والعام . من أهالي دمشق الشام . اعزهم الله بنور العقل واحكامه . واجارهم من الظلمة وظلامه . بلطفه واكرامه . وافاض عليهم جزيل انعامه . فالذى يحيط [به] كريم علمكم . وزكى فهمكم . ان الامة لا تجتمع على الضلالة وقد علمتهم ما صنعه عثمان باشا [والى الشام فى حينه] فى ارضكم من الظلم والجهالة . والله قد اعترض الى الحجاج والزوار وسلط عليهم الاشرار والفجار . بالاذية والاضرار . واطلم المسافرين والتجار . ذل الاماكن الشريفة وابدل امن الحرمين [باخيفة] وتعدى حدود الدين . وفعل ما لا يليق بالمسلمين . وقد قال من لا تراه العيون من يتعدى حدود

الله قاوليك هم الظالمون . قلما بلغنا عنه ما
بلغ . وانه في اناء الارض المقدسة ولغ .
فبادرنا لسراعماله بالنقض . كما ازلنا في
العام الماضي من ظلمة البعض وارادنا نطهر منه
تلك الارض نصرة للدين وغيره على
المسلمين . ورفع ضرره عن الارض المقدسة . لما
جاء في الحديث ما حل بحرمكم جل بكم .
وبلقكم ما فعله بعلمنا غرة . واذاقهم اللل بعد
العزة ودفنهم بالارض بالحياه . وقد جاء في
الحديث المقدس عن الاله من اذل اوليا الله
اذله الله . وقرله تعالى في كتابه الاسما . انا
مخشون الله (الما يخشى الله من عباده
العلماء) . فان كنتم بذلك غير راضين . وعن
دفع ضرره غير قادرين . فنحن بعون الله
قادرين على ذلك . وقد اتينا المذاهب الاربع
بذلك . واستخرنا الله وهو نعم الولي وساناه
بنصر دين محمد بعلي . وصرفنا العساكر
والاموال . في رضى الملك المتعال . ووجهنا
الفوارس والابطال ليردوا الظالم . ويستردوا
المظالم . ويميزوا العاطب من السالم . فالقصد
منكم ترك الظالمين . والبعد عنهم اجمعين .
ومن يثق بهم منكم فانه منهم يكون .
واجتهدوا فيما يرفع عنكم الشرور . ويجلب
لكم الفرح والسرور . والغبطة والخبور . وامير
الحجاج الشامي من طرفنا يتولاه حفظا
وصيانة لحجاج بيت الله . فتعاونوا على عمل
الخير وذهاب الضر والضرير . وكما قال الملك
المنان . تعاونوا على البر والتقوى والتصديق .
فالكريم الفناخ . من طلب العدل والملاح .
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان اهل الظلم
والطغيان . وها نحن قد اخبرناكم . وعلى
المعاونة بالخير قد اخبرناكم . ومن اقامة هذا
الظالم في ارضكم قد حذرناكم . والعساكر
قاصدة اليه والجميع ما يلين عليه . فلا تدعوه
يقيم بارضكم . ولا بين اعيالكم . وقد سلطنا
غضب الله وسخطه عليه . فاحفظوا منه ماير
اموالكم واحوالكم . وراى العما والكبار
اعلاه . وانتم على فعل الخير اولي . وعلى
القريب منكم والبعيد . و (الطارف) والتلبد .
والاحرار والعبيد . امان الله ورايتنا السعيد .
والله يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد . والخير
يكون . والصعب يهون . بعون مدير الكون .



تهنئة الامير منصور الشهابي لمحمد بك
ابو الذهب بفتح الشام
١٧٧٠م / ١١٨٤هـ

الجناب العالي ذو الفخر والجمال - دامت له
ربة المعالي بالسعادة والجلال - مشيد اركان
رتبة السنية - عسجدي الالقاب الشهية - صدر
صدارة الدولة المصرية - امير لوا شان اطل
الله تعالى بقاه امين - غب ابهى واشرف ما
سجعت به اطياف منابر الاغصان - على قدود
افنان الاشجار بالحنان نشايد الاوزان الشجية -
والطف ما نظمته افكار ضمائر الانام من
عقود نظام الاشعار ودرر البيان الرضية - تهدي
جناب من قد جلى سيوف الانتصار - وبدد
اعدائه كل صقع وامصار - اعنى به من رفع
اسمه باوج العلا - وترفعت اعلامه على روس
المللا - وحاز الافتخار - بقاء سيف البتار - كيف
لا وهو فريد الزمان - ونتيجة هذا الوقت
والاوان - اما بعد فى ابرك الاوقات واشرفها -
وايمن الساعات والطفها قد ورد علينا امثال
جنابكم الشريف - وفهمنا فحواه المانوس
المنيف - واتضح لنا حلول ركابكم السعيد
بدمشق الشام - بحسن تايد واكمل نظام -
والمقصود بلوغ الارب وبغية المرام - فقد
حصل عند مخلصكم بهجة لا تحدد - وسرورا
لا يعد - بتشريف ركابكم بهذه الامصار - وقد
اضطربت بقدمكم الاقطار - واستانست
البلاد - واطمانت خواطر العباد - ويسوغ لهم
ان يترنموا مع الشاعر حيث يقول:

نغر الزمان لقد غدى مبتسما
وشدا الزمان لقد غدى متسما
واجابت الافاق من اغساقها
بترنم والكون ابدى متعما

فيا له من فرح لا يقر قراره - ولا يحصى
طياره - جالبا للصدور جلاب (الجلد)
والحبور - فتحمدته جل شانه بما انعم واجدل
واكرم - فلقد انتشرت سجاياكم - وشاعت
مكارم عطاياكم - فيا خير مبعوث واكرم
باعث - ولقد بلغنا ان فى حلول ركابكم
السعيد - تبدد العذر (اى) تهديد - ولم يساعه
حتى انهزم ورحل - فلا برحت اقبالكم بالسعد
وبلوغ الامل - ورايات اعزازكم خافقه - وروس
اعدايكم طارقه - وبنوع التهجم والرجا ان

بيت على بك مع على بك الطنطاوى وخلافه واتفق معهم
على غدر محمد بك فركبوا عليه ليلا واحاطوا بداره،
ووقفت له العساكر بالأسلحة فى الطرق فركب فى خاصته
وخرج من بينهم وذهب إلى ناحية البساتين وارتحل إلى
الصعيد ، فحضر إليه بعض الأمراء أصحاب المناصب وعلى
كاشف تابع سليمان أفندى كاشف شرقى أولاد يحيى
وقدموا له ما معهم من الخيام والمال والاحتياجات ، ولم يزل
فى سيره حتى وصل إلى جرجا واجتمع عليه أيوب بك
خشداشه وأظهر له المصافاة والمؤاخاة وقدم له هدايا وخيولا
وخياما فلم يلبث إلا وقد أحضر عيون محمد بك الذين
أرصدتهم بالطريق رجلا ومعه (ص ٨٧٢) مكاتبة من على
بك خطابا لأيوب بك ويستحثه على عمل الحيلة وقتل
محمد بك بأى وجه أمكنه ويعدده إمارته وبلاده وغير
ذلك، فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له
«تذهب إليه بالكتاب واتنى بجوابه ولك مزيد الاكرام،
فذهب ذلك الساعى واصل الكتاب إلى أيوب بك
وطلب منه رد الجواب، وأعطاه الجواب وذكر فيه أنه مجتهد
فى تميم الغرض ومتربح حصول الفرصة فحضر به الى
محمد بك فعند ذلك استعد محمد بك وتحقيق خيانتته
ونفاقه، فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب، وأنه
إذا حضر إليه فى صباحها أيوب بك أخذ أرباب المناصب
نظراهم وتحفظوا عليهم، فلما حضر فى صباحها أيوب بك
جلس معه فى خلوة وأخذ كل من الخازندار والكتخدا
والجوخدار والسلحدار نظراهم من جماعة محمد بك ثم
قال محمد بك يخاطب أيوب بك: يا هل ترى نحن
مستمرون على الأخوة والمصافاة والصدقة والعهد واليمين
الذى تعاقدنا عليه بالشام! قال نعم وزيادة قال: ومن نكث

تصرفوا حسن انظاركم السنيه. في الملاحظة
لحفظ الرعيه. كما هو من صفات اخلاقكم
الرضيه. وما لنا بذلك قصد سوى ان نغتنموا
دعاهم. ويكون بذلك الثنا والحمد عند الله
والعبيد. وقد وجهنا ناقل صحيفة الدعاء بنوع
التهنى للجناب ليلا يطول بنا في هذه
النيقة الاسهاب. لان محامد حمدكم بحر لا
يقاس. ولا يحصيه براع ولا قرطاس. والمذكور
يعرض لديكم لكونه معتمدنا والرجاء ان لا
تخرجونا من خاطركم الشريف واطال الله
بقاكم والسلام.

ذلك وخان اليمين ونقض العهد؟ قال : يقطع لسانه الذي
حلف به ويده التي وضعها على المصحف، فعند ذلك قال
له : بلغني أنه أتاك كتاب من أستاذنا على بك، فجحد ذلك
فقال لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب أيضا، قال لم
يكن ذلك أبدا، ولو أتاني منه جواب، لأطلعك عليه ولا
يصح أني أكتمه عنك أو أرد له جوابا فعند ذلك أخرج له
الجواب من جيبه وأحضر إليه ذلك الرسول فسقط في يده
وأخذ يتصل ببارد العذر، فعند ذلك قال له حينئذ لا تصح
مرافقتك (٨٧٣) معي وقم فاذهب إلى سيدك وأمر بالقبض
عليه وأنزلوه إلى المركب وأحاط بوطاقه وأسبابه، وتفرقت
عنه جموعه، فلما صار وحيدا في قبضته أحضر عبد
الرحمن أغا وكان إذ ذاك بناحية قبلى وانضم إلى محمد
بك فقال له : « اذهب إلى أيوب بك واقطع يده ولسانه كما
حكم على نفسه بذلك ». فأخذ معه المشاعلى وحضر إليه
في السفينة وقطعوا يمينه ثم شبكوا في لسانه سنارة وجذبوه
ليقطعوه فتخلص منهم وألقى بنفسه إلى البحر فغرق
ومات، وكان قصد محمد بك أن يفعل به ذلك ويرسله
على هذه الصورة إلى سيده بمصر، ثم إنهم أخرجوه
وغسلوه وكفنوه ودفنوه، فعند ما وقع ذلك أقبلت الأمراء
والأفراد المتفرقون بالأقاليم على محمد بك وتحققوا عند
ذلك الخلاف بينه وبين سيده، وقد كانوا منجمعين عن
الحضور إليه ويظنون خلاف ذلك. وحضر إليه جميع
المنافى وأتباع القاسمية والهوراة الذين شردهم على بك
وسل نعمتهم فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم بالبشاشة
والحبة واعتذر لهم وواساهم وقلدهم الخدم والمناصب، وهم
أيضا تقيدوا بخدمته وبدلوا جهدهم في طاعته ووصلت
الأخبار بذلك إلى مصر، وحضر إليه كثير من ممالك أيوب

بك وأتباعه سوى من انضم منهم والتجأ إلى محمد بك وأتباعه فعند ذلك نزل بعلى بك من القهر والغيط المكظوم مالا يوصف، وشرع فى تشهيل تجريدة عظيمة وأميرها وسر عسكرها إسماعيل بك واحتفل بها احتفالا كثيرا، وأمر (ص ٨٧٤) بجمع أصناف العساكر واجتهد فى تنجيز أمرها فى أسرع وقت، وسافروا برا وبحرا فى أواخر ذى القعدة، فلما التقى الجمعان خامر إسماعيل بك وانضم بمن معه من الجموع إلى محمد بك وصاروا حزبا واحدا ورجع الذين لم يميلوا وهم القليل إلى مصر، فعند ذلك اشتد الأمر بعلى ولاحت على دولته لوايح الزوال، وكاد يموت من الغيط والقهر، وقلد سبع صناجق والكل مزلقون* وسماهم أهل مصر السبع* بنات وهم مصطفى بك وحسن بك ومراد بك وحمزة بك ويحيى بك وخليل بك كوسة ومصطفى بك أوده باشه، وعمل لهم* يرقا وداقما* ولوازم وطبلخانات فى يومين، وضم إليهم عساكر وطوائف وممالك وأتباعا، وبرز بنفسه إلى جهة البساتين وشرع فى تشهيل تجريدة أخرى، وأميرها على بك الطنطاوى وأخرج الجبخانات والمدافع الكثيرة وأمر بعمل متاريس من البحر إلى جهة الجبل وانقضت السنة.

* مذلقون: أى بدون خي.
* أمراء على بك الكبير [السبع بنات]

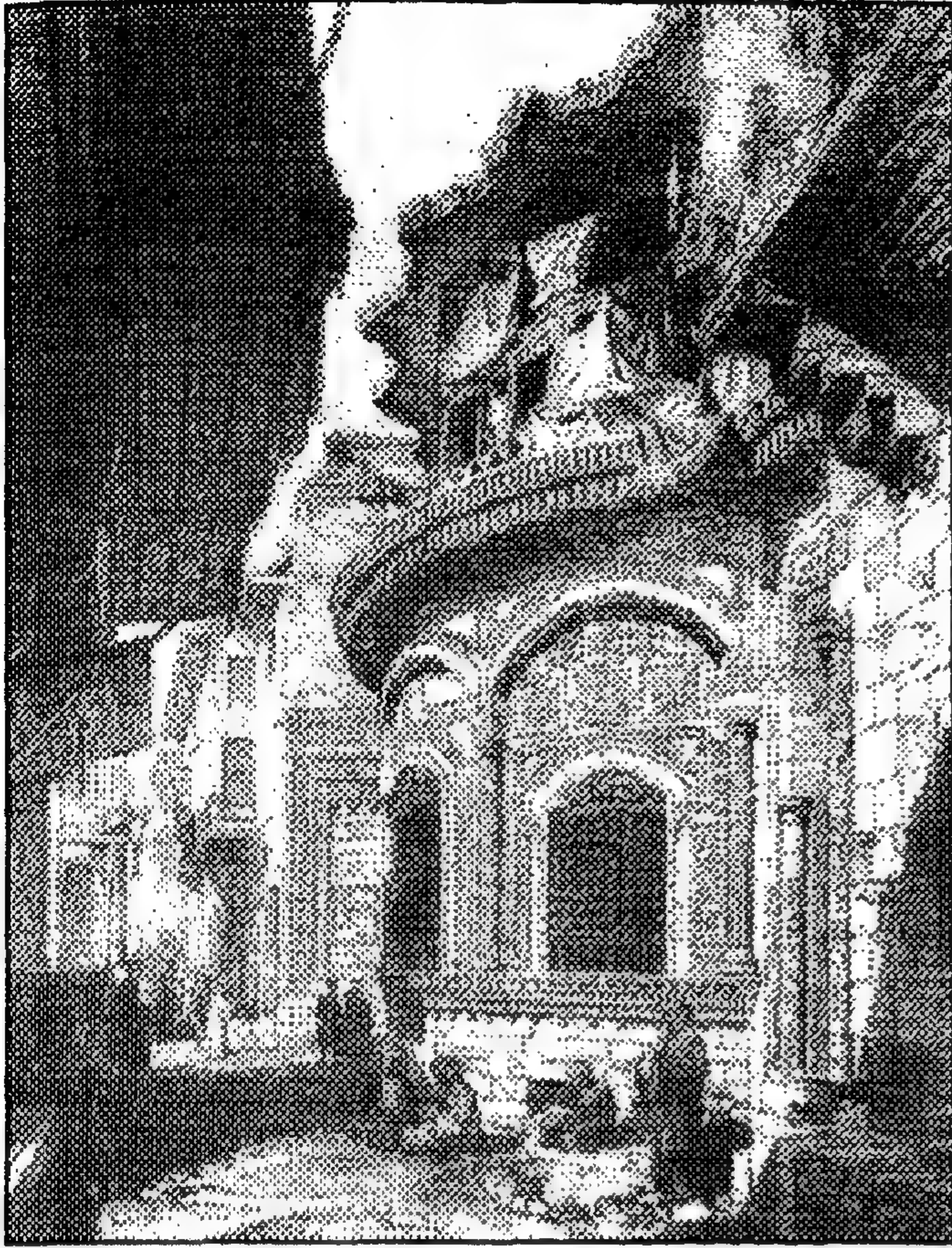
* يرق: سلاح.
* داقم: جنود.

(وأما من مات فى هذه السنة من له ذكر)

(ومات) الإمام الفقيه الصالح الخير الشيخ / على صالح بن موسى بن أحمد عمارة الشاورى المالكى مفتى فرشوط، قرأ بالأزهر العلوم ولازمه العلامة الشيخ على العدوى وتفقه عليه، وسمع الحديث من الشيخ أحمد بن مصطفى

٣٣٥ على بن صالح الشاورى

السكندري وغيره ، ورجع إلى فرشوط، فولى افتاء المالكية بها، فسار فيها سيرا مقتصدا، ولما ورد عليه الشيخ ابن الطيب راجعا من الروم تلقى عنه شيئا من الكتب وأجازه، وكان لشيخ العرب همام بن يوسف في حقه عناية (ص ٨٧٥) شديدة وصحبة أكيدة، وكانت شفاعات العلماء مقبولة عنده، بعنايته، ولذلك راج أمره واشتهر ذكره وطار صيته وكان حسن المذاكرة والمخاطبة محتشما في نفسه، متجملا في ملابسه وجيها معتبرا في الأعين، وألف شيخنا السيد محمد مرتضى باسمه (نشق الغوالي من المرويات العوالي) وذلك أيام رحلته إلى فرشوط ونزوله عنده، ورفع من شأنه عند شيخ العرب وأكرمه إكراما كثيرا، ولما تغيرت أحوال الصعيد، قدم إلى مصر مع ابن مخدمه، وما زال بها حتى توجه إلى طنطا. كان يعتريه حصر البول فيجلس أياما وهو ملازم للفراش فزار وعاد. توفي يوم دخوله إلى بولاق نهار الثلاثاء ثالث عشر شعبان من السنة، وكان يوما مطيرا ذا رعد وبرق، فوصل خبره إلى الجامع الأزهر، فخرج إليه الشيخ علي الصعيدى وكثير من العلماء ، وتخلف من تخلف لذلك العذر، فجهزوه هناك وكفنوه وأتوا به إلى الأزهر، وأردا الشيخ الصعيدى دفنه في مدفن عبد الرحمن كتحدا، لصعوبة الذهاب به إلى القرافة، ثم دفنوه بالمجاورين بجانب تربة الشيخ الصعيدى التى دفن فيها.



سبيل عام بالقاهرة
(سبيل البدوية)

أول القرن وقدم الجامع الأزهر، فحضر دروس جماعة من فضلاء العصر ولازم ببلديه الشيخ على الصعيدي ملازمة كلية، ودرس بالأزهر ونفع الطلبة، وكان إنسانا حسنا (ص ٨٧٦) منور الشيبة ذا خلق حسن وتودد وبشاشة ومروءة كاملة، وكان له ميل تام في علم الحديث ويتأسف على فوات اشتغاله به، ويحب كلام السلف ويتأمل في معانيه مع سلامة الاعتقاد وكثرة الإخلاص. توفي عشية يوم الأربعاء ثاني المحرم افتتح سنة خمس وثمانين ومائة وألف.

[ومات] الإمام العلامة الفاضل المحقق الدراك المتفنن الشيخ / محمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن خضر النفرواي المالكي، كان والده من أهل العلم والصلاح والزهد عن جانب عظيم، وعمر كثيرا حتى جاوز المائة

٣٣٧ محمد بن اسماعيل النفرواي.

وانحنى ظهره، وتوفى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، ربي
المرجم في حجر أبيه وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس
الشيخ سالم النفراوى والشيخ خليل المالكى وغيرهما،
وتفقه وحضر المعقول على كثير من الفضلاء ومهر وأنجب
ودرس، وكان جيد الحافظة قوى الفهم والغوص على
عويصات المسائل ودقائق العلوم، مستحضرا للمسائل
الفقهية والعقلية، ولما بلغ المنتهى فى العلوم المشهورة تآقت
نفسه للعلوم الحكمية والرياضية، فأحضره والده للشيخ
الوالد سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، والتمس منه مطالعته
عليه فأجابه إلى ذلك ورحب به، وكان عمره إذ ذاك نيفا
وعشرين سنة، ولما رأى ما فيه من الذكاء والنجابة والقوة
الاستعدادية والجد فى الطلب، اغتبط به كثيرا وصرف إليه
همته وأقبل عليه بكلية وأعطاه مفتاح خزانة المنزل يضع
فيها كتبه ومتاعه، واشترى له حمارا ورتب له (ص ٨٧٧)
مصروفا وكسوة ولازمه ليلا ونهارا، حتى اشتهر بنسبته إليه،
فكان يرسله فى مهماته وأسواره إلى أكابر مصر وأعيانها
مثل على بك وعبد الرحمن كتخدا وغيرهما، فيحسن
الخطاب والجواب مع الحشمة وحسن المخاطبة، مع معرفتهم
بفضله وعلمه وكانوا يكرمونه، ومدحهم بقصايد لم أعثر
على شيء منها للإهمال وطول العهد، فكان لا يذهب إلى
داره إلا فى النادر ثم يعود فى الضحوة الكبرى فيقيم إلى
بعد العصر فيذهب إلى الجامع فيقرأ درسا فى المعقول ثم
يعود وهكذا كان دأبه إلى أن مات! وتلقى عنه فن الميقات
والهيئة والهندسة وهداية الحكمة وشرحها لقاضى زاده
والجغمينى، والمبادئ والغايات والمقاصد فى أقل زمن مع
التحقيق. وحضر عليه المطول والمواقف، والزيلعى فى الفقه

برواق الجبرت بالأزهر وغير ذلك. كل ذلك بقراءته، وعانى علم الأوفاق وتلقاه عن الشيخ المرحوم حتى أدرك أسرارہ وأقبلت عليه روحانيته وأجازه الملوى والجوهري والحفنى والعفيفى وغيرهم، ولما نفى على بك إلى النوسات، أرسل إلى الشيخ [الوالد] فطلب منه أشياء يرسلها إليه مع المترجم، فأرسله إليه وأقام عنده أياما ورجع من غير أن يعلم أحد بذهابه ورجوعه، وكان يكتب الخط الجيد، وجوده على الشيخ أحمد المعروف بأبى العز، وكتب بخطه كثيرا، وألف حاشية على شرح العصام على السمرقندية وأجوبة عن الأسئلة الخمسة التى أوردها (ص ٨٧٨) الشيخ أحمد الدمنهورى على علماء العصر وأعطاهما إلى على بك وقال له أعطها للعلماء الذين يترددون عليك يجيبونى عنها إن كانوا يزعمون أنهم علماء، فأعطاهما على بك للشيخ الوالد وأخبره بمقالة الشيخ الدمنهورى، فقال له هذه وإن كانت من عريصات المسائل يجيب عنها ولدنا الشيخ محمد النفراوى» والخمسة الأسئلة المذكورة؟ الأولى فى إبطال الجزء الذى لا يتجزأ، الثانى فى قول «ابن سينا» ذات الله نفس الوجود المطلق ما معناه، الثالث فى قول أبى منصور «الماتريدى» معرفة الله واجبة بالعقل مع أن الجاهل من كل وجه يستحيل طلبه، الرابع فى قول «البرجلى» إن من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الأسلام، الخامس فى الاستثناء فى الكلمة المشرفة هل هو متصل أو منفصل، فأجاب عنها بأجوبة منظوية على مطارح الإنظار دلت على رسوخه وسعة اطلاعه وغوصه ومعرفته بدقائق كلام أذكيا الحكماء والمتكلمين وفضلاء الأشعرية والماتريدية، وعانى الرسم فرسم عدة بسائط ومنحرفات وحسب كثيرا من

الأصول والدساتير، وتصدى لتعليم الطلبة الذين كانوا يردون من الآفاق لطلب العلوم الغريبة، وكتب شرحا على متن نور الإيضاح فى الفقه الحنفى باسم الأمير عبد الرحمن كتبخدا، وله رسالة سماها (الطراز المذهب فى بيان معنى المذهب وهى عبارة عن سؤال ورد من ثغر سكندرية نظما، وكان له سليقة جيدة فى النثر والنظم، ولما ورد إلى مصر محمد أفندى سعيد قاضيا فى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف (ص ٨٧٩) امتدحه بقصيدة بليغة لم أعثر عليها، ومن نظمه ما كتب على باب ضريح السيدة نفيسة بالذهب على الرخام.

عرش الحقايق مهبط الأسرار

قبر النفيسة بنت ذى الأنوار

حسن بن زيد الحسن ابن الإمام

م على ابن عم المصطفى المختار

وذلك حين جدد بناء الأمير عبد الرحمن كتبخدا ومنه ما كتب على باب القبة:

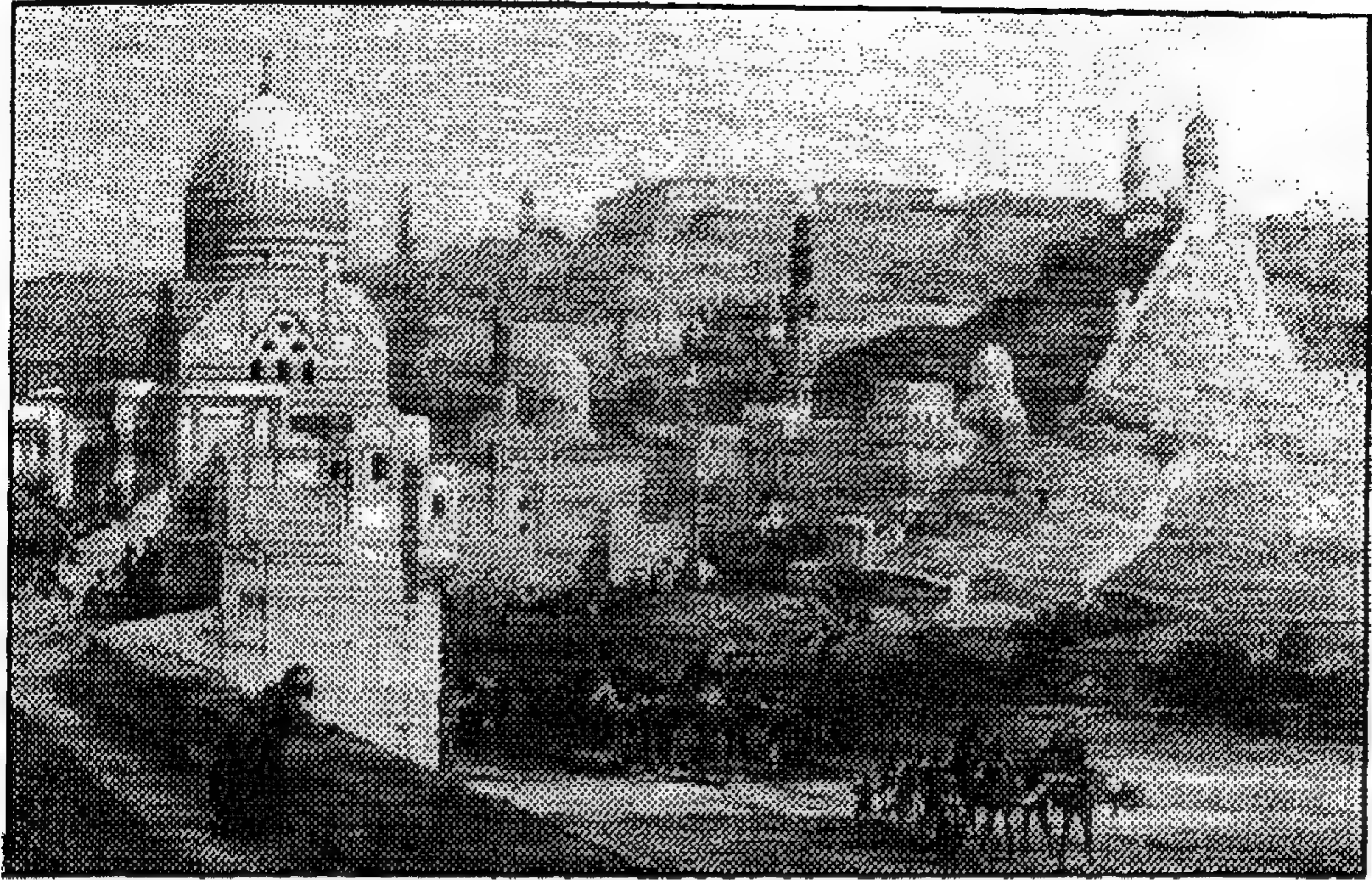
عبد الرحمن لعفو قد ترجى

قد بناها روضة للزائرين

فلذا أرختها يارايديهما

أدخلوها بسلام آمنين

وله غير ذلك كثير لم يحضرني منه إلا هذان البيتان لكوني حفظتهما وأنا صغير أيام العمارة المذكورة، وكان به حدة طبيعة وهى التى كانت سببا لموته، وهو أنه حصل بينه وبين الشيخ سليمان البجيرمى منافسة فشكاه إلى الشيخ الدمنهورى وهو إذ ذاك شيخ الجامع، فأرسل إليه فلما حضر عنده فى مجلسه بالأزهر، فتحامل عليه فقام، من عنده وقد أثر فيه القهر، ومرض أياما وتوفى فى شهر جمادى الثانية من



السنة، واغتم عليه الشيخ المرحوم غما شديداً، وتأثر لفراقه
وحزن لموته وتوعدك أياما بسبب ذلك، ومن مآثره هذه الصيغة
: اللهم صل على مظهر الجمال، ومنبع الكمال، مهبط
الوحي، ومصدر الأمر والنهي، وعلى آله وصحبه وسلم
(ص ٨٨٠) وتذكرت له هذين البيتين أيضاً:

بالعز سيروا وبالسلامه

فالسعد اضحى لكم علامه

واللطف حصن مع الكرامه

لكم دواما إلى القيامه

[ومات] الإمام الفقيه العلامة المفتي الشيخ / ابراهيم ابن
الشيخ عبد الله الشرقاوي الشافعي تفقه على علماء عصره
وحضر دروس الأشياخ المتقدمين كالملاوي والحفني والبراوي
والشيخ أحمد رزه والشيخ عطية الأجهوري، وأنجب في

٣٣٨ ابراهيم عبد الله الشرقاوي.

الأصول والفروع الفقهية، وتصدر ودرس وانقطع للإفادة والإفتاء والقضاء بين المتخاصمين من أهل القرى وأكثرهم من أهل بلاده، وكان لا يفارق محل درسه بالأزهر من الشروق إلى الغروب، وانفرد بالافتاء مدة طويلة على مذهبه، وقلما يرى فتوى وليس عليها جوابه، ولم يزل هذا دأبه حتى تعلق أياما وتوفي ثالث ربيع الثاني من السنة.

٣٣٩ علي بن محمد الجزائري ابن
الترجمان صاحب عرضحال استغاثة أبو
مدين الغوث في صف الجهاد. مات مأسورا
في موسكو.

[ومات] أحد أذكيا العصر ونجباء الدهر من جمع متفرقات الفضائل وحاز أنواع الفواضل، الصالح الرحلة الشيخ/ علي بن محمد الجزائري المعروف بابن الترجمان، ولد بالجزائر سنة ثلاثين ومائة وألف. وكان ينتمى إلى الأشراف، وزاحم العلماء بمناكبه في تحصيل أنواع العلوم، وأجازه الشيخ سيدى محمد المنور التلمسانى رحمه الله، ودخل الروم مرارا، وحظى بأرباب الدولة وأتى إلى مصر وابتنى بها دارا حسنة قرب الأزهر، وكان يخبر عن نفسه أنه لا يستغنى عن الجماع فى كل يوم (ص ٨٨١)، فلذلك ما كان يخلو عن امرأة واثنين حتى فى أسفاره، ولما ورد الأمير أحمد أغا أمينا على دار الضرب بمصر المحروسة الذى صار فيما بعد باشا، كان مختصا بصحبته لا يفارقه ليلا ولا نهارا، وله عليه إغداقات جميلة، وهو حسن العشرة يعرف فى لسانهم قليلا، وبآخرة توجه إلى دار السلطنة وكانت إذ ذاك حركة السفر إلى الجهاد وكتب عرضحالا إلى السلطان مصطفى صورته «إن من قرأ استغاثة أبى مدين الغوث فى صف الجهاد حصلت النصر» وقدمه إلى السلطان، فاستحسن أن يكون صاحب هذا العرض هو الذى يتوجه بنفسه يقرأ هذه الاستغاثة تبركا، ففاجأه الامر من حيث لا يحتسب وأخذ

في الحال وكتب مع المجاهدين وتوجه رغما عن أنفه ووصل إلى معسكر المسلمين، وصار يقرأ فقدر الله الهزيمة على المسلمين لسوء تدبير أمرا العسكر، فأسر مع من أسر، وذهب به إلى بلاد موسقو وبقي أسيرا مدة، ولم يغشه أحد بخلاصة منهم، لاشتغال الناس بما هو أهم حتى توفي هناك شهيدا غريبا في هذه السنة رحمه الله.

٣٤٠ على الفيومي.

(ومات) الشيخ الصالح العلامة/ على الفيومي المالكي شيخ رواق أهل بلاده ؛ حضر دروس الشيخ ابراهيم الفيومي وشيخنا الشيخ على الصعيدى ودرس برواقهم وكان سريع الإدراك متين الفهم له في علم الكلام باع طويل، وتزوج ابنة الشيخ أحمد الحماقي الحنفى، وتوفي ثانى شهر رمضان من السنة ودفن بالجاورين.

٣٤١ على الشيبينى.

(ومات) الشيخ الفاضل الصالح/ على الشيبينى الشافعى نزيل جرجا، قرأ على جماعة من مشايخ عصره وتكمل فى العربية والفقه، وتوجه إلى الصعيد فخالط أولاد همام من الهوارة فى بيع القرمون، فأحبوه وسكن عندهم مدة ثم سكن جرجا (ص ٨٨٢) وكان يتردد أحيانا إلى مصر وكان كثير الاجتماع بصهرنا على أفندى درويش المكتب، وكان يحكى لى عنه أشياء كثيرة من مآثره من الصلاح والعلم وحسن المعاشرة ومعرفة التجويد ووجوه القراءات، فلما تغيرت أحوال الصعيد أتى المترجم إلى مصر وكان حسن المذاكرة والمرافقة مع مداومة الذكر وتلاوة القرآن غالبا، توفي تاسع عشر رمضان فى بيت بعض أحبابه بعله البطن، وصلى عليه الشيخ أحمد بن محمد الراشدى ودفن

٣٤٢ عبد الله بن منصور التلباني.

[ومات] العمدة الفاضل اللغوي الماهر المنشيء الأديب الشيخ/ عبد الله بن منصور التلباني الشافعي المعروف بكاتب المقاطعة ، وهو ابن أخت الشيخ المعمر أحمد بن شعبان الزعبل، ولد سنة ثمان وتسعين وألف تقريبا وأدرك الطبقة الأولى من الشيوخ كالعزيزي والعشماوي والنقراوي، وكانت له معرفة تامة بعلم اللغة والقراءة، واقتنى كتباً نفيسة في سائر الفنون كان سموها بإعارتها لأهلها، وكان يعرف مظنات المسائل في الكتب، وكان الأشياخ يجلسونه ويعرفون مقامه، ولما دخل الشيخ ابن الطيب أحبه واغتنبط به وبصحبه، وحصل حاشيته على القاموس في مجلدين حافلين استكتابا، وقرظ على شرح البديعية لعلي بن تاج الدين القلعي ذكر فيه من نوع وسع الاطلاع له.

سعاد دعتنى يوم مرت تواصلا

الا أيها الحادون نـيـخـوا المطا بنا

وكتب على المقامة التصحيفية للشيخ عبد الادكاوي وقد أهدى إليه نسخة منها ما نصه:

[عبد الله. عند الله. وجيه. حبه. مجتم. مخيم.
(ص ٨٨٣). بقلوبنا. تعلوبنا. سماته. سما به. عمله.
عماله. الثواب. الثواب. ولا حرمننا. ولاء حرمننا. الابهج.
الانهج. مهدي. مهذب. نواله. نواله. مألهم. مألهم. دونه.
دونه. بقالب. تعالى. نبيه. بنية. فاحلا لنا. اخلا لنا. لحبر.
حبر. بفصاحة. قضاحبه. وخير. جبر. احبابنا. احبابنا. ثره.
بره. ومثال محب. من المحب. من. من. السلام. السلام]*
واتفق أن بعض المعترضين في مجلسه قد وضع من هذا

* النص السابق موجودا في مخطوط
جامعة القاهرة وغير موجود بكافة الطبقات
السابقة لتاريخ الجبرتي.

الوضع.

فرد عليه المترجم وانتصر لصاحب المقامة فلما بلغ ذلك كتب إليه يشكره.

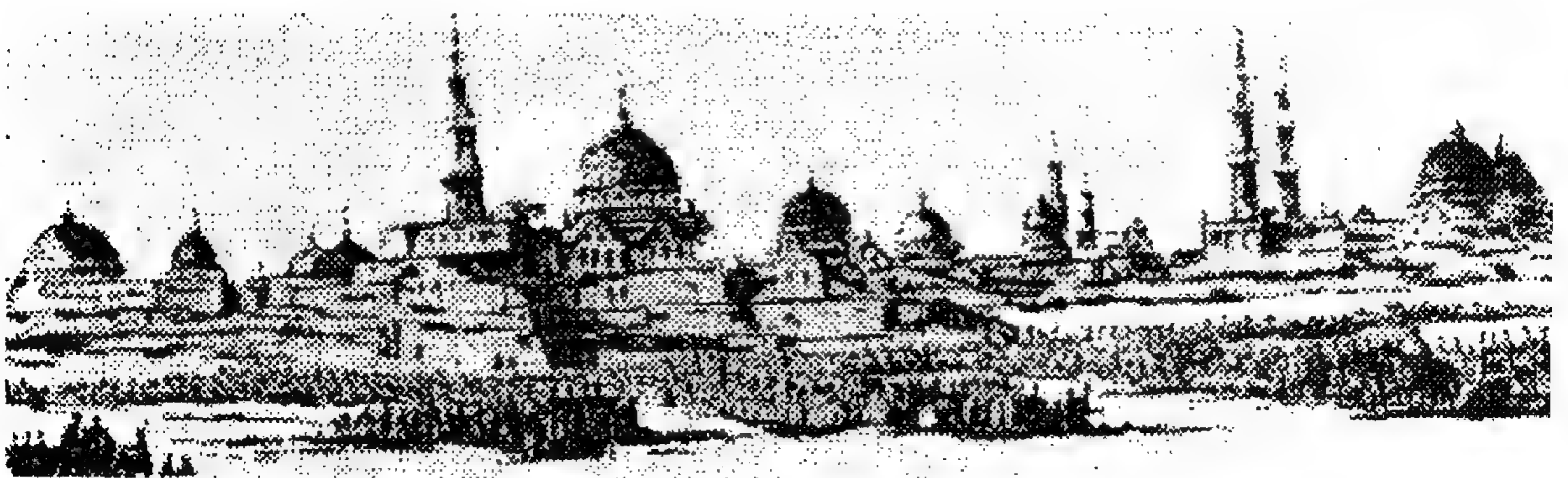
[عبد الله. عند الله. اوجه. اوجه. لجمته. لح هته. نخبة. تحية. ندية. نديه. ينيه. بينة. ثابتات. باثيات. حبي. حيث. نصرني. نصيرين. بنيئر ينير. ينر. سير. ذكي. دلت. معاينه. معاينه. على. على. رتبة. زيتته. حلة. حلة. ودقاني. ودقاني. عيب. عي. غبي يعيب. يعين. حاسد. حاشد. قوله. قوله. ودعه. ودغه. فاتهما. فاتهما. حسن. جنس. المعنى. المعين. بفصاحته. تفض ايحه. بقيت. تفتي. بحق. يحف. بتحف. تحف. بها نهاء. محب. محب. اذاه. اداة. ادبك. اذيك. آسى. آسى. قلبه. اراحه. ازاحه. فصل. فضل. سيده. شيده. البصير. النصير]*

* هذا النص موجود في مخطوط جامعة القاهرة وغير موجود بكافة الطبقات السابقة الصادرة عن كتاب الجبرتي.

ولم يزل حتى فاجأته المنون في ثالث عشرين شعبان من السنة وصلى عليه بالجامع الأزهر ودفن شرقي مقام سيدى عبد لله المنوفى بالمجاورين رحمه الله.

ومات الأمير الجليل ابراهيم أفندى الهياثم جمليان مطعوناً في نهار الأربع ثالث عشرين المحرم من السنة.

٣٤٣ ابراهيم أفندى الهياثم



”سنة ست وثمانين ومائة وألف“ [١٧٧٢م]

* هروب علي بك الكبير إلى الشام واستيلاء
محمد بك أبو الذهب على القاهرة.

١١٨٦هـ.

١٤٨٨ق.

١٧٧٢م.

غاية الفيضان ١٦ قيراط ١٩ ذراع
□ في أواخر القعدة سنة ١١٨٥ كان قيام
تجريدة من مصر تحت إمرة اسماعيل بك
الذى انضم بمن معه إلى أبي الذهب عندما
تقابل معه. وفي محرم سنة ١١٨٦ عسكر
على بك الطنطاوى بتجريدة كبيرة جهة
البساتين ليصد محمد بك أبي الذهب ومن
معه فحصلت بينهم مقتلة عظيمة عند
البياضة انهزم فيها على بك وجماعته وآل
الأمر إلى أن على بك رجع القهقرى ودخل
من باب القرافة إلى منزله، وبعد أن أخذ
أمواله خرج وذهب إلى الشام وصحبته على
بك الطنطاوى، وكان ذلك في ليلة الخميس
السابع والعشرين من محرم. وفي يوم
الخميس أوقدوا النار في الدير [دير الطين]
عند دار السلام بعد أن نهبوه، وتملك أبو
الذهب مصر واستحضر عبدالله كتنخدا
وقطع رأسه، ونادى بإبطال المعاملة التى
ضربها على بك وهى قروش مفرد ومجوز
وقطع صغار تصرف بعشر انصاف وخمسة
انصاف ونصف القرش وأكثرها نحاس
وعليها علامة على بك.
□ ١ توت ١٤٨٩ = ٩ سبتمبر ١٧٧٢ =
الاربع ١١ رجب ١١٨٦.
□ ١ يناير ١٧٧٣ = ٢٥ كيهك ١٤٨٩ =
الجمعة ٧ شوال سنة ١١٨٦.

فيها في المحرم خرج على بك إلى جهة البساتين كما تقدم في
أواخر العام الماضى وعمل متاريس ونصب عليها المدافع من
البحر إلى الجبل واجتهد في تشهيل تجريدة وأميرها على بك
الطنطاوى وصحبته باقى الأمراء الذين قلدهم والعسكر فعدوا
في منتصفه شحابة محمد بك أبي الذهب واسماعيل بك ومن
معهما وكانوا سايرين يريدون مصر فتلاقوا معهم عند بياضه
[قرب المعادى] ووقعت بينهم معركة قوية ظهر فيها فضل
القاسمية وخصوصا أتباع صالح بك وعلى أغا المعمار،
ووقعت الهزيمة على عسكر على بك وساق خلفهم القبالى
مسافة فمانعوا عن أنفسهم وعدوا على دير الطين،، وكان
على بك مقيما به، فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور
وتحير في أمره وأظهر التجلد وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع
وأقام إلى آخر النهار، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة
وغيرهم، وحضر محمد بك إلى البر المقابل لعلى بك ونصب
صيوانه وخيامه تجاهه، فتفكر على بك في أمره وركب عند
الغروب وسار إلى جهة مصر ودخل من باب القرافة وطلع إلى
باب العزب فأقام به حصاة من الليل، وأشيع بالمدينة
(ص ٨٨٥) أن مراده المحاصرة بالقلعة ثم إنه ركب إلى داره
وحمل حموله وأمواله وخرج من مصر وذهب إلى جهة الشام
وذلك ليلة الخامس والعشرين من شهر المحرم وصحبته على
بك الطنطاوى وباقى صناعقه ومماليكه وأتباعه وطوايقه، فلما
أصبح يوم الخميس سادس عشرينه عدى محمد بك إلى بر
مصر وأقدوا النار في ذلك اليوم في الدير بعد ما نهبوه،

ودخل محمد بك إلى مصر وصار أميرها ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه [أى اتباع على بك] بأن لا أحد يؤويهم ولا يتأويهم. فكانت مدة غيبته سبعين يوما، وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان إلى عبد الله كتحدا الباشا فذهب إليه بداره وقبض عليه وقطع رأسه ونادى بإبطال المعاملة التي ضربها المذكور بيد رزق النصراني، وهى قروش مفرد ومجوز، وقطع صغار تصرف بعشرة أنصاف قرش، وكان أكثر ما نحاسا وعليها علامة على بك..

(وأما من مات فى هذه السنة من العظماء)

[فمات] السيد الإمام العلامة الفقيه المحدث الفهامة الحسيب النسيب السيد على بن موسى بن مصطفى بن محمد ابن شمس الدين بن محب الدين ابن كريم الدين بن بهاء الدين داود بن سليمان بن شمس الدين بن بهاء الدين داود الكبير بن عبد الحافظ ابن أبى الوفا محمد البدرى ابن أبى الحسن على ابن شهاب الدين أحمد بن بهاء الدين داود بن عبد الحافظ بن محمد بن بدر ساكن وادى التسور ابن يوسف بن بدران بن يعقوب بن مطربن زكى الدين سالم (ص ٨٨٦) بن [محمد بن محمد بن زيد بن] حسن بن السيد عريض المرتضى الأكبر ابن الإمام ززيد الشهيد بن الامام على زين العابدين ابن السيد الشهيد الامام الحسين ابن الامام على بن أبى طالب الحسينى المقدسى الأزهرى المصرى ويعرف بابن النقيب، لأن جدوده تولوا النقابة ببيت المقدس، ولد تقريبا سنة خمس وعشرين ومائة وألف ببيت المقدس وبها نشأ وقرأ القرآن

٣٤٤ على بن موسى (ابن النقيب) نقيب
أشراف بيت المقدس.

* اللد: بشمال فلسطين

* الأبدال : فى لغة شامتنصوفة هم قوم من الصالحين لا تغلو منهم الدنيا إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر، مفردة بدليل.

* من الملاحظ ان المغاربة ذوى الاصول البربرية غالبا ما يتلقبون بلقب «العربى».

على الشيخ مصطفى الأعرج المصرى والشيخ موسى كبيبة على عود ومحمد بن نسيبة الفضلى المكي، وأخذ العلم عن عم أمه صاحب الكرامات حسين العلمى نزيل مدينة اللد* وأبى بكر بن أحمد العلمى مفتى القدس والشيخ عبد المعطى الخليلي، ووصل إلى الشام فحضر دروس الشيخ أحمد المتينى والشيخ اسماعيل العجلونى والشيخ عبد الغنى النابلسى واجتمع على الشيخ صالح البشيرى الآخذ عن الخضر عليه السلام وعامر بن نعيم وأحمد القطنانى ومصطفى بن عمرو الدمشقى، وكان من الأبدال* وأحمد النحلاوى وكان من أرباب الكشف ومحمد بن عميرة الدمشقى وعمران الدمشقى وزيد اليعبداوى وخلفه بن على اليعبداوى ورضوان الزاوى وأحمد الصفدى المجدوب والشيخ مصطفى بن سوار، ودخل حماه فأخذ عن القطب السيد ياسين القادري، وحلب فأخذ بها عن أحمد البنى وعبد الرحمن السمان، كلاهما من تلاميذ الشيخ أحمد الكتبى وعن الشيخ محمد بن هلال الرامهدانى والشيخ عبد الكريم الشرباتى، وعاد إلى بيت المقدس فاجتمع بالشيخ عبد الغنى النابلسى أيضا وبالسيد (ص ٨٨٧) مصطفى البكرى بحلب حين كان راجعا من بغداد ، فأخذ عنه الطريقة ورغبه فى مصر فوردها، وحضر على الشمسى السجيني ومصطفى العزيزى والسيد على الضرير الحنفى وأحمد مصطفى الصباغ والشهابين الملكى والجوهري والشمس الحنفى وأحمد العماوى وشيخ المذهب سليمان المنصورى، وأجازه سيدى يوسف بن ناصر الدرعى وأحمد العربى* وأحمد بن عبد اللطيف زروق وسيد محمد العياشى الأطروش والشيخ ابن الطيب، ورأس فى المذهب



◀ الفارس المصرى على النسج القباطى.

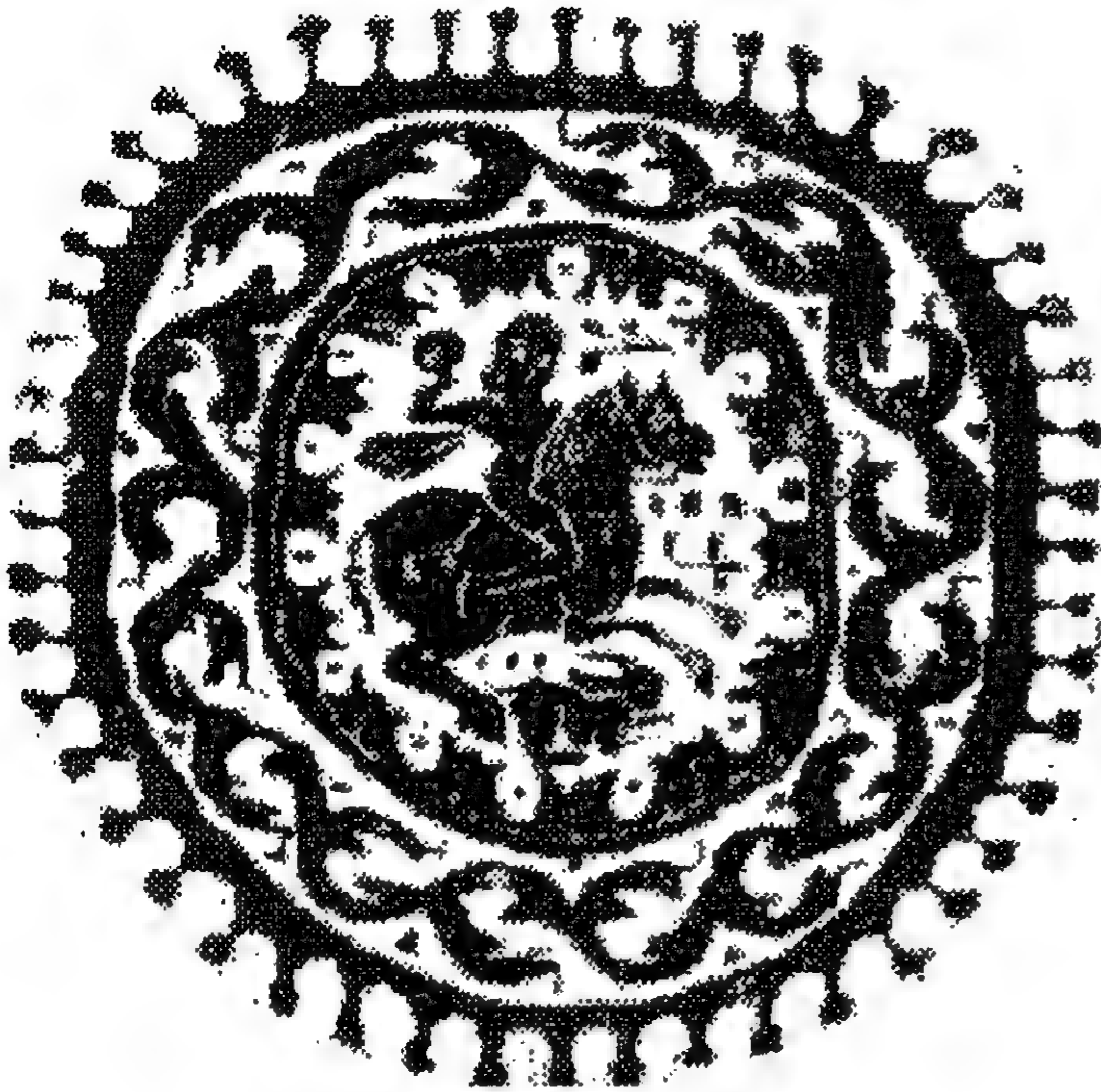
وتمهر فى الفنون ودرس بالمشهد الحسينى فى التفسير والفقه والحديث واشتهر أمره وطار صيته، وكان فقيها فى المذهب بارعا فى معرفة فنونه عارفا بأصوله وفروعه، يستنبط الأحكام بجودة ذهنه وحسن حافظته، ويكتب على الفتاوى برايق لفظه، وكانت له فى النشر طريقة غريبة لا يتكلف فى الأسجاع، وإذا سئل عن مسألة كتب عليها الجواب أحسن من الروض جاد به الغمام، وأغزر من الويل ساعده نوء النعام، ويكتب فى الترسل على سجية بادرة، وفكرة على السرعة صادرة، وكان ذا جود وسخاء وكرم ومروءة ووفاء، لا يدخل فى يده شئ من متاع الدنيا إلا وبذله لسائله وأغدق به على معتفيه^(*). وكان منزله الذى قرب المشهد الحسينى موردا للآملين، ومحطا لرحال الوافدين، مع رغبته فى الخيل المنسوبة وحسن معرفته لأنسابها وعزوه لأربابها،

*معتفيه : يقال اعتفاه إذا أتاه يطلب معروفه.



* يضممرها: يهدمها للسباق وذلك بأن يعلقها
بسقاء حتى تسمن، ثم يعود بها إلى العلف
العادي حتى تضممر وتخف.

وكان اصطبله دائما لا يخلو من اثنين أو ثلاثة يركب عليها
ويضممرها(*) ويعتنى بأحوالها ويرغب في شرائها لمعرفة
بالفروسية (ص ٨٨٨) ورمى السهام واستعمال السلاح
واللعب بالرماح وغير ذلك، ولما ضاق عليه منزله لكثرة
الوفاد عليه ولكثرة ميله إلى ربط الخيول انتقل إلى منزل
واسع بالحسينية في طرف البلد، بناء على أن الأطراف
مساكن الأشراف، فسكنه وعمر فيه وفي الزاوية التي قرب
بيته، وصرف عليها مالا كثيرا، وفي سنة سبع وسبعين ومائة
وآلف استخار الله تعالى في التوجيه إلى دار السلطنة لأمر
أوجبت رحلته إليها، منها أنه ركبت عليه الديون وكثر
مطالبوها وضاق صدره من عدم مساعدة الوقت له، وكان
إذ ذاك محل تدريسه بالمشهد الحسيني، وعزم عبد الرحمن
كتخذا على هدمه وإنشائه على هذه الصورة، ورأى أن هذه



الفارس المصري على
النسيج القباطي.

البطالة تستمر أشهرا فوجد فرصة وتوجه إليها وقرأ دروسا في الحديث في عدة جوامع واشتهر هناك بالحدث وأقبلت عليه الناس أفواجا للتلقي وأحبت الأمراء وأرباب الدولة وصارت له هناك وجاهة إلا أنه كان في درسه ينتقل تارة إلى الرد العنيف على أرباب الأموال والأكابر وملوك الزمان، وينسبهم إلى الجور والعدوان، وانحرفهم عن الحق، فوشى به الحاسدون فبرز الأمر بخروجه من البلد وكان قد تزوج هناك فعاد إلى مصر، فلما وصل إلى بولاق ذهب إليه جماعة من الفضلاء واستقبلوه واستقر في منزله وعاد إلى دروسه في المشهد، وذلك سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف، ولم يترك عادته المألوفة من إكرام الضيوف، وبذل المعروف، وكان لا يصبر على الجماع وعنده ثلاث نسوة شامية ومصرية ورومية، وإذا خرج إلى الخلاء أو بعض المنزهات أخذ



الفارس المصري على النسيج
القباطي

صحبتة من يريدھا منهم (ص ٨٨٩) ونصب لها خيمة وآلة
الاجتسال مدة إقامته يوما أو يومين أو أكثر ، وانفق له في
آخر أمره أنه ذهب عند محمد بك أبي الذهب وكان في
ضائقه فحادثه الأمير على سبيل المباشطة وقال له « كيف
رأيت أهل اسلامبول » فقال لم يبق باسلامبول ولا بمصر
خير ولا يكرمون إلا شرار الخلق وأما أهل العلم فإنهم
يموتون جوعا ، ففهم الأمير تعريضه وأمر له بمائة ألف
نصف. فضة من الضربخانة فقضى منها بعض ديونه وأنفق
باقيها على الفقراء ، وعاش بعدها أربعين يوما وتعلل بخراج
أياما وأحضروا له رجلا يهوديا فقصده بمشتر [مشرط] قيل
أنه مسموم فكان سببا لموته ، وتوفي عصر يوم الأحد سادس
شهر شعبان من السنة ، وجهاز في صبح يوم الاثنين وصلى
عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بمقبرة باب النصر على

أكمة هناك، ولما مات أحضر له الناس من الأعيان عدة أكفان وكل منهم يريد أن لا يوضع إلا في كفنه فأخذ من كل كفن قطعة وكفنوه في مجموع ذلك جبرا لخواطرهم، وأعطى الأمير محمد بك لأخيه مولانا السيد بدر الدين، عندما أخبره بموته خمسمائة ريال لتجهيزه ولوازمه، وجلس مكانه في الدار أخوه السيد بدر المذكور، وتصدر مكانه لإملاء درس الحديث النبوي بمسجد المشهد الحسيني وأقبلت عليه الناس والأعيان، ومشى على قدم أخيه وسار سيرا حسنا وجرى على نسقه وطبيعته في مكارم الأخلاق وإطعام الطعام وإكرام الضيفان والتردد إلى الأعيان والأمراء والسعي في حوائج الناس والتصدى لأهل حارته وخطته في دعاويهم وفصل خصوماتهم وصلاحهم والذب عنهم ومدافعة المتعدى عليهم ولو من الأمراء (ص ٨٩٠) والحكام في شكاويهم وتشاجرهم وقضاياهم حتى صار مرجعا وملجأ لهم في أمورهم ومقاصدهم، وصار له وجاهة ومنزلة في قلوبهم ويخشون جانبه وصولته عليهم، ثم إنه هدم الزاوية وما بجانبها وأنشأها مسجدا نفيسا لطيفا وعمل به منبرا وخطبة ورتب به إماما وخطيبا وخادما، وجعل بجانبه مiazza ومصلى لطيفة يسلك إليهما من باب مستقل وبها كراسى راحة، وأنشأ بجانب المسجد دار نفيسة وانتقل إليها بعياله وترك الدار التي كانت سكنه مع أخيه لأنها كانت بالأجرة، وبنى لأخيه ضريحا بداخل ذلك المسجد ونقله إليه وذلك سنة خمس ومائتين وألف، فلما كانت الحوادث في سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف واستيلاء الفرنسيين على الديار المصرية وقيام سكان الجهة الشرقية من أهل البلد وهي القومة الأولى التي قتل فيها دبري قايمقام تحركت في السيد

بدر الدين المذكور الحمية وجمع جموعه من أهل الحسينية والجهات البراني وانتبذ لمحاربة الإفرنج ومقاتلتهم وبذل جهده في ذلك، فما ظهر الإفرنج على المسلمين لم يسع المذكور الإقامة وخرج فارا إلى جهة البلاد الشامية وبيت المقدس، وفحص عنه الإفرنج وبشوا خلفه الجواسيس فلم يدركوه، فعند ذلك نهبوا داره وهدموا منها طرفا وكمل تخريبها أوباش الناحية وخربوا المسجد وصارت في ضمن الأماكن التي خربها الفرنسي بهدم ما حول السور من الأبنية. ثم في الواقعة الكبيرة الثانية عندما حضر الوزير والعساكر الرومية ورجعوا بعد نقض الصلح بدون طائل كما يأتي تفصيل ذلك، فلما حضروا ثانيا بمعونة (ص ٨٩١) الانكليز وتم الأمر وسافر الفرنسيين إلا بلادهم ورجع المذكور إلى مصر وشاهد ما حصل لداره ومسجده من التخريب أخذ في أسباب تعمیرها وتجديدهما حتى أعادهما أحسن مما كانا عليه قبل ذلك، وسكن بها وهو الآن بتاريخ كتابة هذا المجموع سنة عشرين ومائتين وألف [١٨٠٥]* قاطن بها ومحله مجمع شمل المحبين، ومحط رجال القاصدين بآرك الله فيه.

* أي أن الجبرتي حتى هذا التاريخ لم يكن قد انتهى من كتابه

٣٤٥ علي بن شمس الدين الحضري

[ومات] الفقيه المفن الشيخ/ علي بن شمس الدين محمد بن زهران علي الشافعي الرشيدى الشهير بالحضري، ولد بالشعر سنة أربع وعشرين وأمه آمنة بنت الحاج عامر بن أحمد العراقي وأما صالحه بنت الشريف الحاج علي زعير أحد أعيان التجار برشيد، حفظ المترجم الزيد والغلاصة وسبيل السعادة والمنهج إلى الديات، والجزرية والجوهرية، وسمع علي الشيخ يوسف القشاشي الجزرية وابن عقيل

والقطر، وعلى الشيخ عبد الله بن مرعى الشافعى. فى شوال سنة إحدى وأربعين جمع الجوامع والمنهج وألقى منه دروسا بحضرته ومختصر السعد واللقانى على جوهرته، وشرح ابنه عبد السلام والمناوى على الشمايل والبخارى وابن حجر على الأربعين والمواهب، وعلى شمس محمد بن عمر الزهيرى معظم البخارى دراية والمواهب وابن عقيل والأشمونى على الخلاصة، وجمع الجوامع والمنصف على أم البراهين، ونصف النفراوى على الرسالة والبيضاوى إلى قوله تعالى (واذا وقع القول) فكملة بعد موته.

وفى سنة ثمان وثلاثين وفد على الثغر الشيخ عطية الأجهورى فقرأ عليه العصام فى الاستعارات مع الحفيد وعلى الشيخ محمد الإدكاوى (ص ٨٩٢) شرح السيوطى على الخلاصة والشنشورى على الرحبية والتحرير لشيخ الإسلام، ثم قدم الجامع الأزهر سنة ثلاث وأربعين فجاور ثلاث سنوات فسمع على الشيخ مصطفى العزيزى شرح المنهج مرتين والخطيب والشمايل وأجازه بالإفتاء والتدريس فى رجب سنة ست وأربعين، وكان به بارا رحىما شفوفا. بمنزلة الوالد حتى بعد الوفاة، وجرت له معه وقائع كثيرة تدل على حسن توجهه له دون غيره من الطلبة، وسمع على السيد على الحنفى الضرير الأشمونى، وجمع الجوامع والمغنى، وبعض المنفرجة، والقسطلانى على البخارى، وتصريف العزى. وعلى الشمس محمد الدجى المغنى كله قراءة بحث، والخطيب وجمع الجوامع، وعلى الشيخ على قايتباى الخطيب فقط، وعلى الشيخ الحنفى الخطيب والمنهج وجمع الجوامع والأشمونى ومختصر السعد، ألفية المصطلح

ومعراج الغيطي، وعلى أخيه الشيخ يوسف الأشموني
 والمختصر ورسالة الوضع، وعلى الشيخ عطية الأجهوري
 المنهج والمختصر والسلام، وعلى أحمد الشبراملسي الشافعي
 المختصر والتحرير وبعض العصام ومنظومة في أقسام الحديث
 الضعيف، وعلى الشيخ محمد السجيني الشمال ومواقع
 من المنهج، وأجازه الشيخ الشبراوي بالكتب الستة* بعد أن
 سمع عليه بعضها منها، ورجع عن فتواه مرتين في وقفين،
 وعلى الشيخ أحمد بن سابق الزعبل المنهج كله مرتين
 وعلى الشيخ أحمد المكودي كبرى السنوسي وبعض
 مختصره دراية، وعلى الشيخ محمد المنور التلمساني شيخ
 المكودي المذكور أم البراهين دراية، وعلى الشيخ أحمد
 العماوي المالكي بعض سنن أبي داود وجمع الجوامع
 (ص ٨٩٣) والمغنى والأزهرية، ولما رجع إلى الثغر لازم
 الشيخ شمس الدين الفؤي خطيب جامع الخلي فسرده عليه
 معظم متن الزبد والمنهج وشرحه والشنشوري ومتن العباب
 وهو الذي عرفه به وبطريق تركيب الفتاوى أسئلة وأجوبة.
 وكان يقول لا بد للمبتلى بالافتاء من العباب لوضوحه
 واستيعابه، وأجازه الشيخ شلي البرلسي والشيخ عبد الدائم
 بن أحمد المالكي وأحمد بن قاسم الوني، وله مؤلفات
 جلية منها : شرح لقطة العلجان وحاشية على شرح
 الأربعين النووية للشبشيرى أجاد فيها كل الإجابة وقد رأيت
 كلا منها بالثغر عند ولده السيد أحمد، توفي في خامس
 عشرين شعبان من السنة.

* هي كتب الحديث الستة المشهورة التي
 جمعها: أبو داود، مسلم بن الحجاج،
 النسائي، الترمذي، ابن ماجه، البخاري.
 يضاف إليهم كتب: الدارمي، مالك، ابن
 حنبل.

عبد الخالق البناني، أبوه وجده وعمه من أعيان التجار والثروة بمصر، نشأ في عفة وصلاح، حفظ القرآن والمتون وحبب إليه طلب العلم فتكشف لذلك وتجرد، ولازم الحضور والطلب، ودأب واجتهد في التحصيل وسهر الليل، وكان له حافظة جيدة وفهم حاد وقوة استعدادية وقابلية، فأدرك في الزمن اليسير ما لم يدركه غيره في الزمن الكثير، لازم شيخنا الشيخ محمد الجناحي المعروف بالشافعي ملازمة كلية، وتلقى عنه غالب تحصيله في الفقه والمعقول والمنطق والاستعارات والمعاني والبيان والفرائض والحساب وشباك ابن الهائم وغير ذلك، وحضر دروس الشيخ الصعيدي والدردير وغيرهم حتى مهر وأنجب ودرس (ص ٨٩٤) واشتهر بالفضل وعمل الختوم، وحضره أشياخ العصر وشهدوا بفضله وغزارة علمه، وانتظم في عداد أكابر المحصلين والمفيدة والمستفيدين، ولم يزل هذا حاله حتى وافاه الحمام، انمحق بدره عند التمام، ومات مطعوناً في هذه السنة وهو مقتبل الشبيبة لم يجاوز الثلاثين عوضه الله الجنة، وهو ابن عم الإمام العلامة الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الخالق من أعيان العلماء المشاهير بمصر الآن بآرك الله فيه.

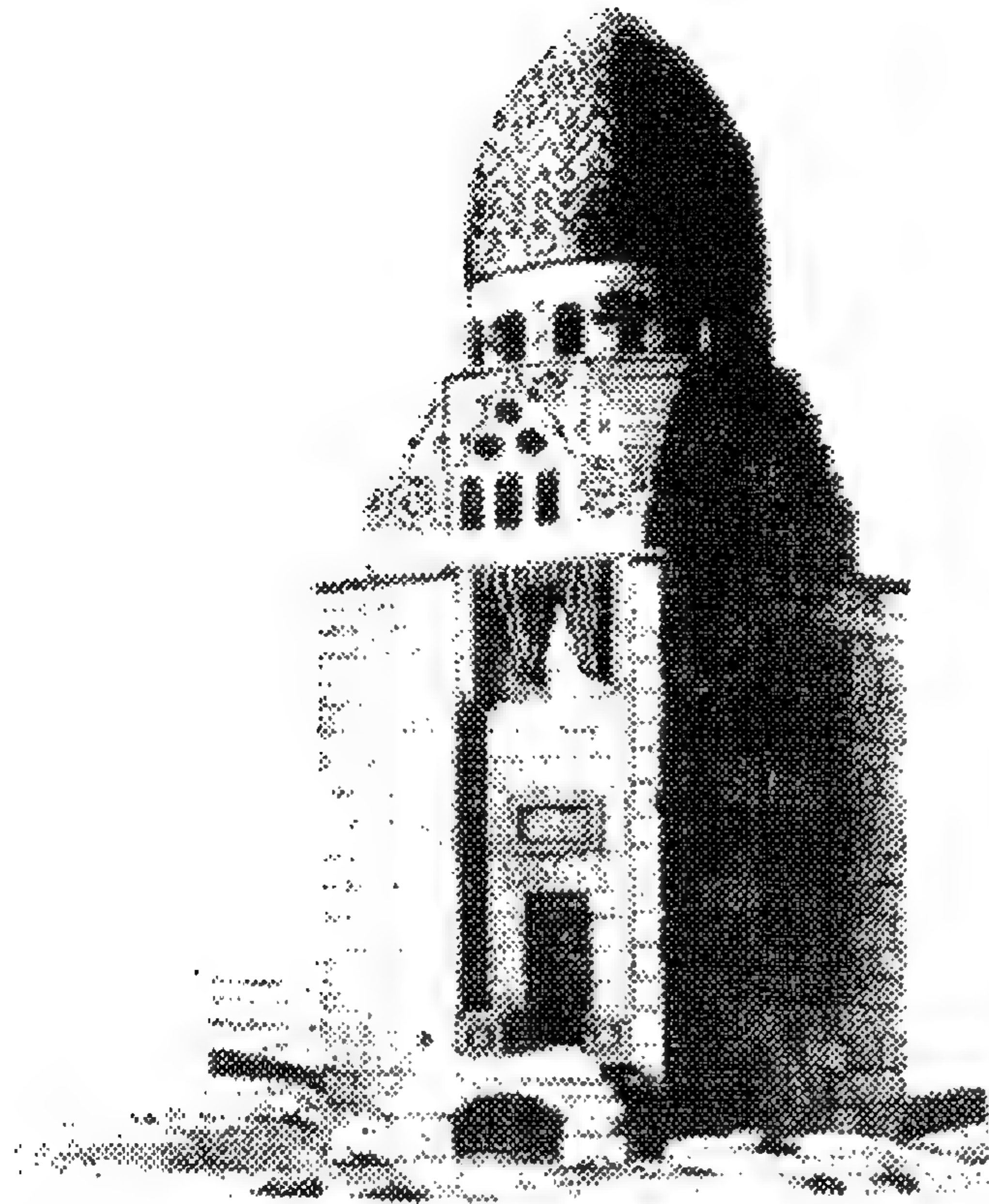
٣٤٧ أحمد بن أحمد الحماني

(ومات) الفقيه الفاضل المحقق الشيخ/ أحمد بن أحمد الحماني الشافعي الأزهرى، ولد بمصر واشتغل بالعلم من صغره ومال بكليته إليه وحبب إليه مجالسة أهله، فلازم الشيخ عيسى البراوى حتى مهر وتفقه عليه، وحضر دروس الشمس الحفنى والشيخ على الصعيدي وغيرهما، وأجازوه، وحج في سنة خمس وثمانين مرافقا لشيخنا الشيخ مصطفى

الطائي ورجعا إلى مصر وتصدر للتدريس والإفتاء في حياة
 شيوخه ودرس وأفاد وكان أكثر ملازمته لزاوية الشيخ
 الخضيرى ويقراً درساً بالصرغمتشيه وانتفع به جماعة ، وله
 حاشية على الشيخ عبد السلام مفيدة، وأخرى على الجامع
 الصغير للسيوطى لم تتم، وكان ذا صلاح وورع وخشية من
 الله وسكون ووقار، توفى يوم الأربعاء تاسع ربيع الأول من
 السنة ودفن ثانى يوم بمشهد عظيم بالقرب من السادة
 المالكية.

٣٤٨ على بندق.

[ومات] الإمام الصوفى العارف المعمر الشيخ/ على بن محمد
 بن محمد بن أحمد بن عبد القدوس ابن القطب شمس
 الدين محمد الشناوى الروحى الأحمدي المعروف ببندق، ولد
 قبل القرن وأخذ عن عميه محمد العالم وعلى المصرى، وهما
 عن (ص ٨٩٥) عمهما الشمس محمد بن عبد القدوس
 الشهير بالدناطى عن ابن عمه الشهاب الخامى ومسكنهم
 بمحلة روح [قرب طنطا] ، وهو شيخ مشايخ الأحمدية فى
 عصره، وانتهت إليه الرياسة فى زمنه، وعاش كثيراً حتى جاوز
 المائة ممتعا بالحواس، وكان له خلوة فى سطح منزله ولها كوة
 مستقبلة طنداء، بين يديها فضاء واسع يرى منها آثار طنداء
 [طنطا] وهو مستقبل القبلة فى حال جلوسه ونومه ونظره إلى
 تلك الكوة، وأخبرنى أولاده أنه هكذا هو مستمر على هذه
 الطريقة من مدة طويلة، وتوفى فى أوائل جمادى الأولى من
 السنة، واجتمع بمشهد غالب أهل البلاد من المشايخ
 والأعيان والصلحاء من الآفاق، والسيد محمد مجاهد
 الأحمدي، والشيخ محمد الموجه ، والسيد أحمد تقى الدين
 وغيرهم ودفن عند أسلافه بمحلة روح.



٣٤٩ خليل بك ابن ابراهيم بك بلفيا.

(ومات) الأمير / خليل بك ابن ابراهيم بك بلفيا، تقلد الإمارة والصنجدية بعد موت والده وفتح بيتهم وأحيا مآثرهم، وكان أهلا للإمارة ومجلا للرياسة، وتقلد إمارة الحج في سنة إحدى وثمانين ورجع في أمن وسخا، وطلع أيضا في هذه السنة ومات بالحجاز ورجع بالحج أخوه عبد الرحمن أغا بلفيا.

٣٥٠ محمد (زوج جدة الجبرتي أم والدته)

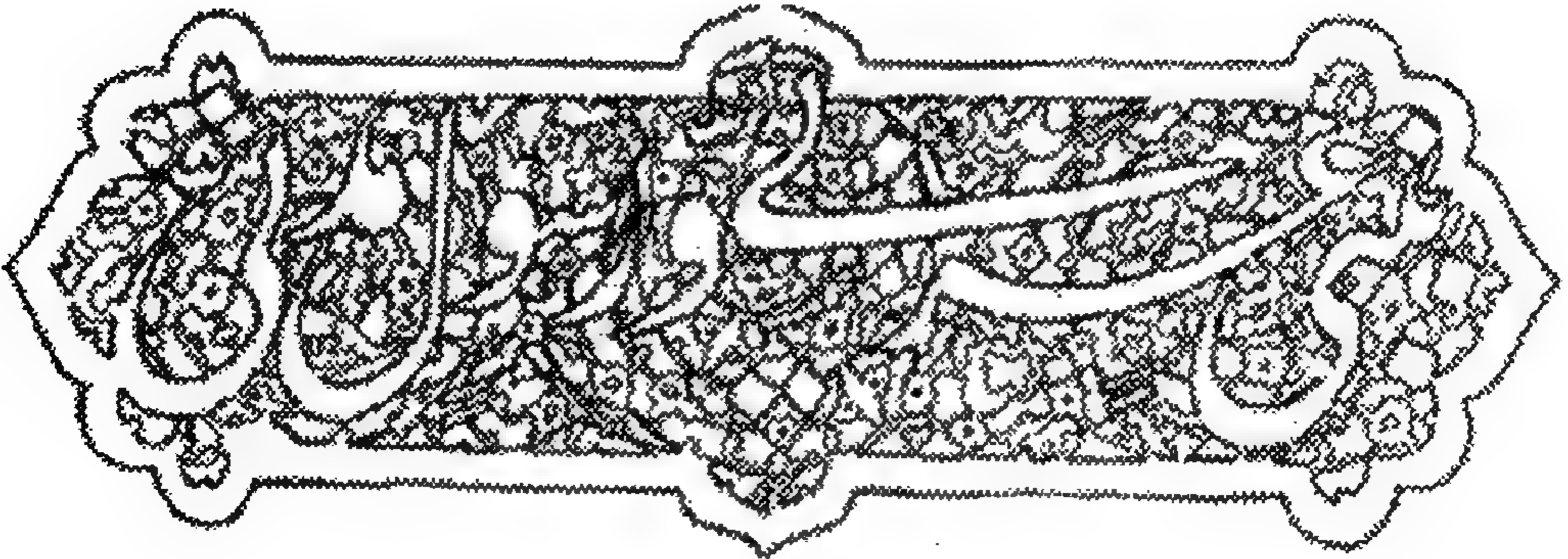
(ومات) الأجل المكرم الرئيس / محمد تابع المرحوم محمد أوده باشه طبال مستحفظان ميسر الجداوى، وهو زوج الجدة أم المرحوم الوالد تزوج بها بعد موت الجد في سنة أربع عشرة ومائة وألف، وقطن بها بيندر جدة وأولدها حسينا ومحمد وتوفي سنة أربع وخمسين عن ولديه المذكورين وأخيهما محمود من أبيهما وعتقائه ومنهم المترجم، فرباه

* النواخيد : فارسية مفردة ناخودا. والمقصود بها هنا اصحاب سفن التجارة.

ابن سيده وهو العم حسين (٨٩٦) فأنجب وعانى التجارة ورئاسة المراكب الكبار ببحر القلزم حتى صار من أعيان النواخيد* الكبار واشتهر صيته وذكره وكثر ماله وبني دارا بمصر بجوار المدارس الصالحية، واشترى الممالك والعبيد والجواري وصار له دار بمصر وبجدة، ولم يزل حتى توفي بالشام وهو راجع إلى مصر ووصل نعيه في سابع عشرين ربيع الثاني رحمه الله.

٣٥١ محمد بن عبد العزيز البنداري.

(ومات) الخواجه الصالح المعمر الحاج / محمد بن عبد العزيز البنداري وكان إنسانا حسنا وهو الذي عمر العمارة والمساكن بطندتا واشتهرت به، توفي في غرة ربيع أول - بعد تعلق - رحمه الله تعالى.





سقوط على بك الكبير في
معركة الصالحية



١١٨٧ هـ
١٤٨٩ ق
١٧٧٣ م

غاية الفيضان ٦ قيراط = ٢١ ذراع

سنة سبع وثمانين

ومائة وألف [١٧٧٣م]

□ في ١٦ محرم/ ١٠ أبريل اقتررب على بك بجيوشه، المحضرة معه من الشام، إلى الصالحية، وفي ١٨ حصلت مقتلة بين عساكر على بك ومقدمة عساكر أبي الذهب، وقد جرح على بك في هذه الواقعة. وفي ٥ صفر قام أبو الذهب يقصد الصالحية، وبعد محاربة فرت العساكر، أما على بك فبقى بفسطاطه ودافع عن نفسه بقدر طاقته، وانتهى الأمر بقيامه إلى الخرrose فأنزل في داره للمعالجة فلم تنجح فوفى في ليلة ١٦ صفر، وقيل إنه مات مسموماً.

□ في ٨ ربيع كانت وفاة السلطان مصطفى خان الثالث، ومدة سلطنته ١٦ سنة و٨ أشهر، وفي ١٠ منه جلوس السلطان الغازي عبد الحميد خان.

□ وفي ١٧ ربيع أول وصل خليل باشا الوزير

فيها تواترت الأخبار والإرجافات بمجي على بك من البلاد الشامية بجنود الشام وأولاد الظاهر عمر، فتهيأ محمد بك للقاءه وبرز خيامه إلى جهة العادلية ونصب الصيوان الكبير هناك، وهو صيوان صالح بك وهو في غاية العظم والاتساع والعلو والارتفاع، وجميعه بدوائره من جوخ صاية وبطانته بالأطلس الأحمر وطلائعه وعساكره من لحاس أصفر مموه بالذهب، فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر، ووصل الخبر بوصول على بك بجنوده إلى الصالحية، فارتحل محمد بك في خامس شهر صفر فالتقيا بالصالحية وتحاربا فكانت

إلى مصر عن طريق دمياط وكان في مدة
على بك محجوراً عليه.
□ وفي أوائل ذي الحجة شرع أبو الذهب في
تأسيس مدرسته.
□ ١ توت ١٤٩٠ = ٩ سبتمبر ١٧٧٣ =
الخميس ٢١ رجب سنة ١١٨٧.
□ ١ يناير ١٧٧٤ = ٢٥ كيهك ١٤٩٠ =
السبت ١٧ ذو القعدة سنة ١١٨٧.
□ في ١٧٧٤ هاجم كوثه جينى قائد
الاسطول الروسى فى البحر المتوسط ميناء
بيروت.

الهزيمة على على بك وأصابته جراحة فى وجهه فسقط عن
جواده فاحتاطوا به وحملوه إلى مخيم محمد بك، وخرج
إليه وتلقاه وقبل يده وخمله من تحت إبطه حتى أجلسه
بصيوانه، وقتل على بك الطنطاوى وسليمان كتحدا وعمر
جاويش وغيرهم، وذلك يوم الجمعة ثامن شهر صفر،
ووصل خبر ذلك إلى مصر فى صباح يوم السبت، وحضروا
إلى مصر وأنزل محمد بك أستاذه فى منزله الكاين
بالأزبكية بدرب عبد الحق وأجرى عليه الأطباء المداواة
جراحاته.

وفى خامس عشر صفر وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر،
 وأمير الحاج إبراهيم بك محمد (وفى تلك الليلة) توفى
الأمير على بك وذلك بعد وصوله بسبعة أيام قيل إنه سم فى
جراحاته، فغسل وكفن ودفنوه عند أسلافه بالقرافة.

(وفى سابع عشر ربيع الأول) وصل الوزير خليل باشا والى
مصر وطلع إلى القلعة فى مركب عظيم، وذلك يوم الخميس
تاسع عشره وضربوا له مدافع وشنكا من الأبراج وكان
وصوله من طريق دمياط فعمل الديوان وخلع الخلع.

١١٣ خليل باشا.

[ذكر من مات فى هذه السنة]

[ومات] فى هذه السنة الشيخ الإمام الصالح العلامة المفيد
الشيخ أحمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسن
الجوهري الخالدى الشافعى، ولد بمصر سنة اثنتين وثلاثين
وماية وألف وبها نشأ وسمع الكثير من والده ومن شيخ
الكل الشهاب الملوى وآخرين، وتصدر فى حياة أبيه
للتدريس وحج معه وجاور سنة، وكان إنسانا حسنا ذا مودة

٣٥٢ أحمد الجوهري.

وبر وشهامة ومروءة تامة وأخلاق لطيفة. توفي بعد أن تعطل أياما في حادى عشر ربيع الأول، وصلى عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل ودفن على والده بالزاوية القادرية بدرب شمس الدولة.

٣٥٣ على المرادى.

[ومات] المجل المفضل الإمام العارف صاحب المعارف على بن محمد ابن القطب الكامل السيد محمد مراد الحسينى البخارى الأصل الدمشقى الحنفى، ويعرف بالمرادى نسبة لجدّه المذكور، ولد بدمشق (ص ٨٩٨) وأخذ عن أبيه وغيره من العلماء كعلى ابن صادق الداغستانى وغيره، وكان إنسانا عظيم الشأن، ساطع البرهان، طيب الأعراق، كريم الأخلاق، منزله ماوى القاصدين، ومحط رحال الواردين، وهو والد خليل أفندى المفتى بدمشق، نزل عنده السيد العيدروس فأكرمه وبره، ولم يزل حتى توفي فى هذه السنة. وتوفى بعده بشهرين أيضا أخوه حسين أفندى المرادى رحمهما الله.

٣٥٤ إبراهيم الإدريسى.

[ومات] الماهر الأديب الشاعر الكاتب المنشئ الشيخ إبراهيم بن محمد سعيد بن جعفر الحسنى الإدريسى المنوفى المكي الشافعى ولد فى آخر القرن الحادى عشر بمكة، وأخذ عن كبار العلماء كالبصرى والنخلى وتاج الدين القلعى والعجمى، ثم من الطبقة التى تليه مثل على السخاوى وابن عقيلة فى آخرين من الواردين على الحرمين من آفاق البلاد، وأعلى ماعنده إجازة الشيخ إبراهيم الكورانى له، وله شعر نفيس وقد جمع فى ديوان، وبينه وبين السيد جعفر البيتى والسيد العيدروس مخاطبات ومحاورات، وكان الشيخ

العيدروس يقول في حقه إنه أديب جزيرة الحجاز ولا استثنى،
وفيه يقول:

إن إبراهيم أضـحى أمة
قانتبا لله رب العالمين
عالم أخلص في أعماله
هكذا شأن العباد المخلصين

وله معارضة القصيدة الحائية لابن النحاس، أبدع فيها
وأغرب، ودخل الهند بسفارة صاحب مكة فأكرم، وعاد
إلى مكة وولى كتابة السر لملكها، وكان يكاتب رجال
الدولة على لسانه على اختلاف طبقاتهم، وكان قلمه
كلسانه سيلاً، وربما شرع في كتابة سورة من (ص ٨٩٩)
القرآن وهو يتلو سورة أخرى بقدرها فلا يغلط في كتابته ولا
في قراءته، حتى تمّ معاً وهذا من أعجب ما سمعت،
وكان له مهارة ومعرفة في علم الطب. وأما إنشاءاته
فإليها انتهى في العذوبة. وتناسب القوافي، وأما نظمه
فهو فريد عصره لا يجاريه فيه مجارٍ ولا يطاوله مطاول، فمن
مشهور كلامه:

أعائب ريم البر في لفتاته
وأعذره إن قام في خلواته
تراه رأى ظبي الأوانس أنسا
فأشرب حبا في رنى لحظاته
أم اغتاظا لما أن رأى كل عاشق لحا الله
يوحده في ذاته وصفاته
صبا حاول القلب سلوة
ولم يدبر أن الموت عين حياته

ولولا النوى لم يطعم الوصل ذائقاً
أو الفرق لم يرغب لجمع شتاته
ولولا مجازى ما علمت حقيقتى
وعلمى بجهلى زاد عن شبهات

ومن كلامه بيتان من قصيدة اشتهر على الألسنة وهما
كيف يقوى على المقام محب
قد أتاه النداء من المحبوب
قد رحمتك إننا نقبل العذ

ر ونمحو بالعفو رين العيوب *
* الرين: بفتح الراء وسكون الياء بمعنى
الدنس.

وله ديوان سماه (السبع السنابل فى مدح سيد الأواخر
ص ٩٩٠٠ والأوائل) ورسالة فى علم الطب مفيدة. توفى
فى هذه السنة بمكة.

[ومات] البارع المقرئ المجود المحدث الشيخ عبد القادر بن
خليل بن عبد الله الرومى الأصل المدنى المعروف بكذك
زاده، ولد بالمدينة سنة أربعين ومائة وألف، وبها نشأ وحفظ
القرآن وجوده على شيخ القراء شمس الدين محمد
السجاعي نزيل المدينة تلميذ البقرى الكبير، وحفظ الشاطبية
واشتغل بالعمل على علماء بلده والواردين عليه، سمع أكثر
كتب الحديث على الشيخين ابن الطيب ومحمد حياة
بقراءته عليهما فى الأكثر، ولازم الشيخ ابن الطيب
ملازمة كلية حتى صار معيداً لدروسه، وكان حسن النعمة
طيب الأداء، ولى الخطابة والإمامة بالروضة المطهرة، وكان
إذا تقدم إلى المحراب فى الصلوات الجهرية تزدهم عليه



الخلق لسماع القرآن منه، ثم ورد إلى مصر فأدرك الشيخ
المعمر داود بن سليمان الخربتاوى فتلقى عنه أشياء وأجازه
وذلك في سنة ثمان وستين ومائة وألف، وحضر الشيخ
الملوى والجوهري والحفنى والبليدى وحمل عنهم
الكثير، وتزوج ثم توجه إلى الروم ثم عاد إلى المدينة فلم يقر
له بها قرار، ثم أتى إلى مصر ودار على الشيوخ البقية ثانياً،
وأخذ عنهم، وأحبه السيد إسماعيل بن مصطفى الكماخى،
وصار يجلس عنده أياماً في منزله الملاصق لجامع قوصون،
فشرع في أخذ خطابته له فاشتري* له الوظيفة فخطب به
على طريقة المدينة وازدحمت عليه الناس وراج أمره، وتزوج
ثم توجه إلى الروم وباع الوظيفة وانخلع عما كان عليه
وجلس هناك مدة وسمع السلطان قراءته في بعض المواضع
في حالة (ص ٩٠١) التبديل* فأحب أن يكون إمام لديه

* ظاهرة شراء المناصب الدينية وبيعها.

* حالة التبديل: أى يقرأ القرآن بعدة قراءات.

وكاد أن يتم ذلك فأحسن^{*} أمام السلطان بذلك فدعاه إلى منزله وسقاه شيئاً مما يفسد الصوت حسداً عليه، فلما أحس بذلك خرج فاراً فعاد إلى مصر واشتغل بالحديث، وشرع في عمل المعجم لشيخوخه الذين أدركهم في بلده وفي رحلاته إلى البلاد، ودخل حلب فاجتمع بالشيخ أبي المواهب القادري وقرأ عليه شيئاً من الصحيح وأجازه، وأخذ عن السيد المعمر إبراهيم بن محمد الطرابلسي النقيب ومن درويش مصطفى الملقى، ودخل طرابلس الشام وأخذ الاجازة من الشيخ عبد القادر الشكعاوي، ودخل «خادم» إحدى قرى الروم فاجتمع بالشيخ المعروف بمفتي «خادم» ورام أن يسمع منه الأولية فلم يجد عنه إسناداً وإنما هو من أهل المعقول فقط، ورجع إلى مصر فاجتمع بشيخنا السيد مرتضى وتلقى عنه الحديث واهتم في جمع رجاله وتمهر في الإسناد وجمع من ذلك شيئاً كثيراً في مسودات بخطه، ثم عاد إلى الحرمين ومنهما إلى أرض اليمن فاجتمع بمن بقي من الشيوخ، وأخذ عنهم ودخل صنعاء ومدح كلا من الوزير والإمام بقصيدة فأكرم بها، واجتمع على علمائها، وتلقى عنهم وصار بينه وبين الشيخ أحمد قاطن أحد علمائها محاورات، ثم دخل كوكبان فاجتمع على فريد عصره السيد عبد القادر بن أحمد الحسنى من بيت الأئمة، ودخل شبام فاجتمع على السيد إبراهيم بن عيسى الحسين، واللحية* فاجتمع بها على الشيخ عيسى زرايق وذلك في سنة خمس وثمانين ومائة وألف وعاد إلى مصر بالفوائد الغزار بما حمل في طول غيبته من النوادر والأسرار، (ص ٩٠٢) وفي هذه الخطوات التي ذكرت دخل الصعيد من طريق القصير واجتمع على مشايخ عربان الهوارة

* اللحية بضم اللام وفتح الحاء وتشديد الياء المفتوحة بلد باليمن.

ومدحهم بقصايد طنانة وأكرموه، وله ديوان جُمع فيه شعره
ومامدح به الأكابر الأولياء، وكان عنده مسودة بخطه وهذا
قبل أن يسافر إلى الشام والروم واليمن والصعيد، فقد تحصل
له في هذه السفرات كلام كثير مفرق لم يلحقه بالديوان
وكان كلما نزل في موضع ينشئ فيه قصيدة غريبة في
بابها، وكان يغوص على المعاني بفكره الثاقب فيستخرجها
ويكسوها حلة الألفاظ ويرزها أعجوبة تلعب بالعقول،
وتعمل عمل الشمول* فله دره من بليغ لم يبلغ معاصروه
شأوه، ولو أقام في موضوع كغيره لأطلع ضياه، ولكنه ألف
الغربة، وهانت عنده الكربة، فلم يبال بخشن ولا لين، ولم
يكثرث بصعب ولا هين، وأجازه الشيخ محمد السفاريني
إجازه طويلة في خمسة كراريس فيها فوايد جمّة، ومن
كلامه ما كتبه لبعض أحبابه:

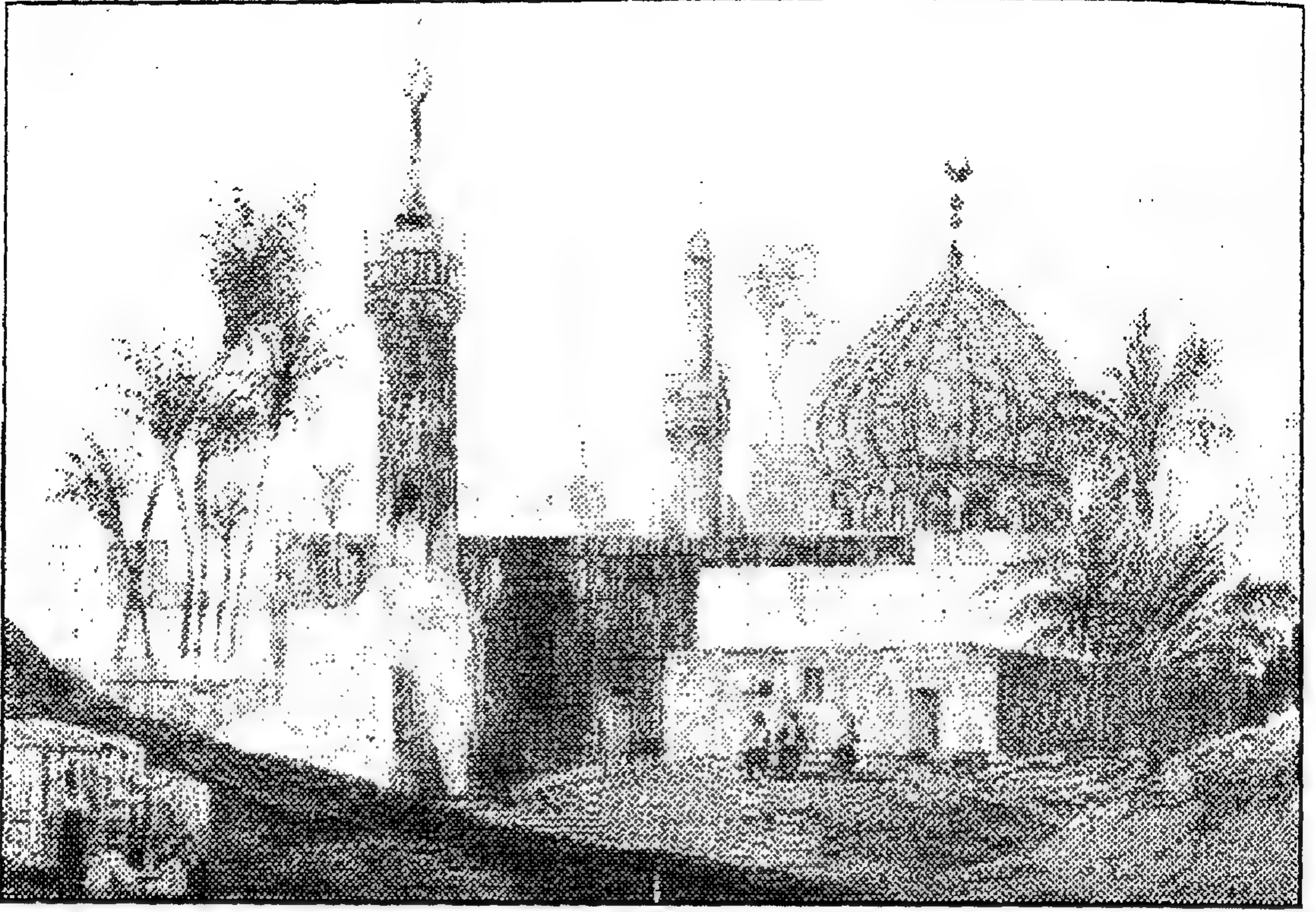
* الشمول : يفتح الشين الخمر.

ولما نما سَقَمِي تنشقت تُربكم
ومنه شَمَمْتُ البُرءَ غِبَّ التنشق
فزدني نشوقاً من تراب به الشفا
ولا تصِفِ الأجزاء للمتَشوق
ولم يزل تنتقل به الأحوال حتى سافر إلى القدس الشريف
فمكث هناك قليلاً وزار المشاهد الكرام، ومرا قد الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام، ثم ارتحل إلى نابلس فنزل في دار
السيد موسى التميمي وهو إذ ذاك قاضي البلد فأكرمه وآواه
واحترمه ومرض أياماً وانتقل إلى رحمة الله تعالى في سلخ
جمادى الثانية منها، ووصل (ص ٩٠٣) نعيه إلى مصر
وكانت معه كتبه وما جمعه في سفره من شعره، والمعجم
الذي جمعه في الشيوخ والأجزاء والأمالى التي حصلها،
وضاع ذلك جميعه ولله في خلقه ما أراد.

[ومات] العمدة الشاب الصالح الشيخ محمد بن حسن الجزايرلى ثم المدنى الحنفى الأزهرى، ولد بمكة إذ كان والده يتجر بالحرمين فى حدود الستين، وقدم به إلى مصر فلزم الشيخ حسن المقدسى مفتى الحنفية ملازمة كلية، وانضوى إليه فقرأ عليه المتون الفقهية ودَّرجه فى أدنى زمن إلى معرفة طرق الفتوى، حتى كان معيداً لدروسه وكاتباً لسؤالاته، وربما كتب على الفتوى بإذن شيخه، وفى أثناء ذلك حضر فى المعقول على الشيخ الصعيدى والشيخ البلى والشيخ محمد الأمير وغيرهما من مشايخ الوقت، وحصل طرفاً من العلوم، وصارت له الشهرة فى الجملة وأعطاه شيخه تدريس الحديث بالصرغتمشية فكان فى كل جمعة يقرأ فيه البخارى، وزوجه امرأة موسرة لها بيت بالأزبكية، وبعد وفاة شيخه تصدر للإقراء فى محله، وصار ممن يشار إليه، ولم يزل حتى مات فى عنفوان شبابه فى هذه السنة ويقال إن زوجته سمته.

[ومات] الأمير الكبير على بك الشهير صاحب الوقايع المذكورة والحوادث المشهورة، وهو مملوك إبراهيم كتحدا تابع سليمان جاويش تابع مصطفى كتحدا القازدغلى، تقلد الإمارة والصنجدية بعد موت أستاذه فى سنة ثمان وستين ومائة وألف، وكان قوى المراس شديد الشكيمة عظيم الهمة لايرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى والرياسة الكبرى، (ص ٩٠٤) لايميل لسوى الجدولا يحب اللهو ولا المزح ولا الهزل، ويحب معالى الأمور من صغره، واتفق أن بعض ولاة الأمور تشاوروا فى تلقيده الإمارة فنقل إليه مجلسهم وذكر له مساعدة فلان وممانعة فلان فقال: «أنا لاأقلد

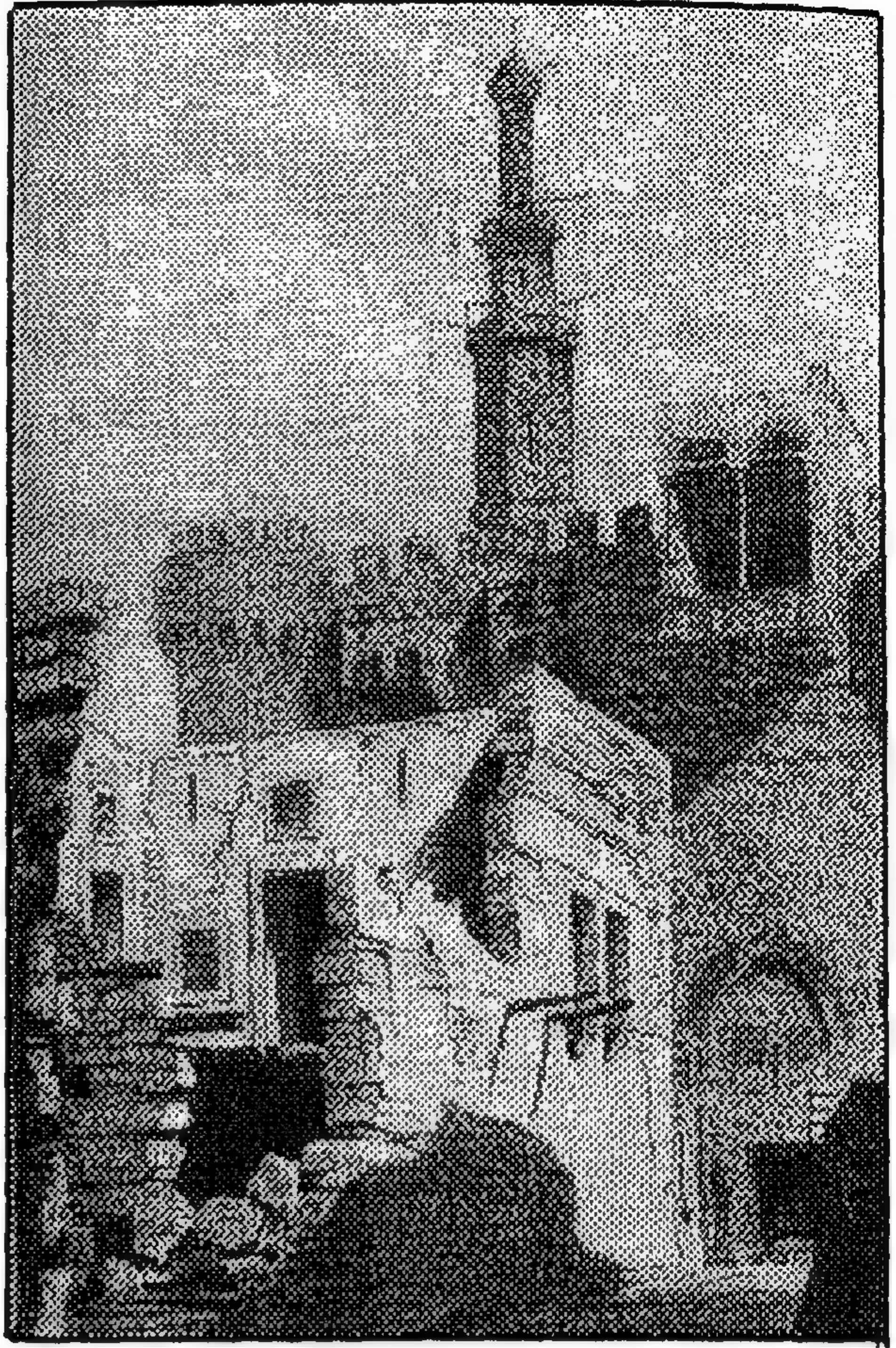
الإمارة إلا بسيفي لابعونة أحد». ولم يزل يرقى في مدارج الصعود حتى عظم شأنه وانتشر صيته ونما ذكره، وكان يلقب (يجن على) ولقب أيضا (بلوط قبان) وانضم إلى عبد الرحمن كتخدا وأظهر له خلوص المحبة واغتر هو أيضا به وظن صحة خلوصه فركن إليه وعضده وساعده ونوه بشأنه ليقوى به على نظرائه من الاختيارية والمتكلمين، واتفق أنه وقع بين أحمد جاویش المجنون تابعه وبين أهل وجاقه حادثة نقموا عليه فيها وأوجبوا عليه النفي بحسب قوانينهم واصطلاحهم، وأعرضوا الأمر على عبد الرحمن كتخدا أستاذه، فعارض في ذلك ولم يسلم لهم في نفي أحمد جاویش، ورأى أن ذلك نقصا في حقه، فتلطف به بعضهم وترجوا في إخراجه ولو إلى ناحية ترسا بالجيزة أياما قليلة مراعاة وحرمة للوجاق، فلم يرض وحنق واحتد، فلما كان في اليوم الثاني واجتمع عليه الأمراء والأعيان على عاداتهم قال لهم: «أيها الأمراء من أنا؟» أجابه الجميع بقولهم: «أنت أستاذنا وابن أستاذنا وصاحب ولائنا» قال: «إذا أمرت فيكم بأمر تنفذوه وتطيعوه؟» قالوا «نعم» قال: «على بك هذا يكون أميرنا وشيخ بلدنا ومن بعد هذا اليوم يكون الديوان والجمعية بداره، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصي عليه» فلم يسعهم إلا قبول ذلك بالسمع والطاعة وأصبح راكبًا إلى بيت على بك وتحول (ص ٩٠٥) الديوان والجمعية إليه من ذلك اليوم واستفحل أمره، ولم يمض على ذلك إلا مدة يسيرة حتى أخرج أحمد جاویش المذكور وحسن كتخدا الشعراوى وسليمان بك الشايرى كما تقدم، ثم غدر به أيضا [أي غدر بعبد الرحمان كتخدا] وأخرجه إلى الحجاز من طريق السويس، وأرسل معه صالح بك



▲ الجامع الكبير برشيد

ليوصله إلى ساحل القلزم، فلما شيعه هناك أرسل بنفى صالح بك إلى غزة ثم رد إلى رشيد ومنها ذهب إلى منية ابن خصيب وتحصن بها، وجرد عليه المترجم التجاريد ولم يزل ممتنعا بها حتى تعصب على المترجم خشداشينه وأخرجوه منفيا إلى النوسات، ثم وجهوه إلى السويس بعد قتل حسن بك الأزيكاوى، ثم منها إلى الجهة القبلىة بعد قتل عثمان بك الجرجاوى وانضم إلى صالح بك وتعاهد معه وحضر معه إلى مصر وقتل الرؤساء من أقرانه، ثم غدر بصالح بك أيضا كما تقدم مجمل ذلك، ثم نفى باقى الأعيان وفرق جمعهم فى القرى والبلدان وتبعهم خنقا وقتلا، وأبادهم فرعا وأصلا، وأفنى باقيهم بالتشريد، وجلوا عن أوطانهم إلى كل مكان بعيد؛ واستأصل كبار خشداشينه وقبيلته، وأقصى صغارهم عن ساحته وسدته، وأخرب

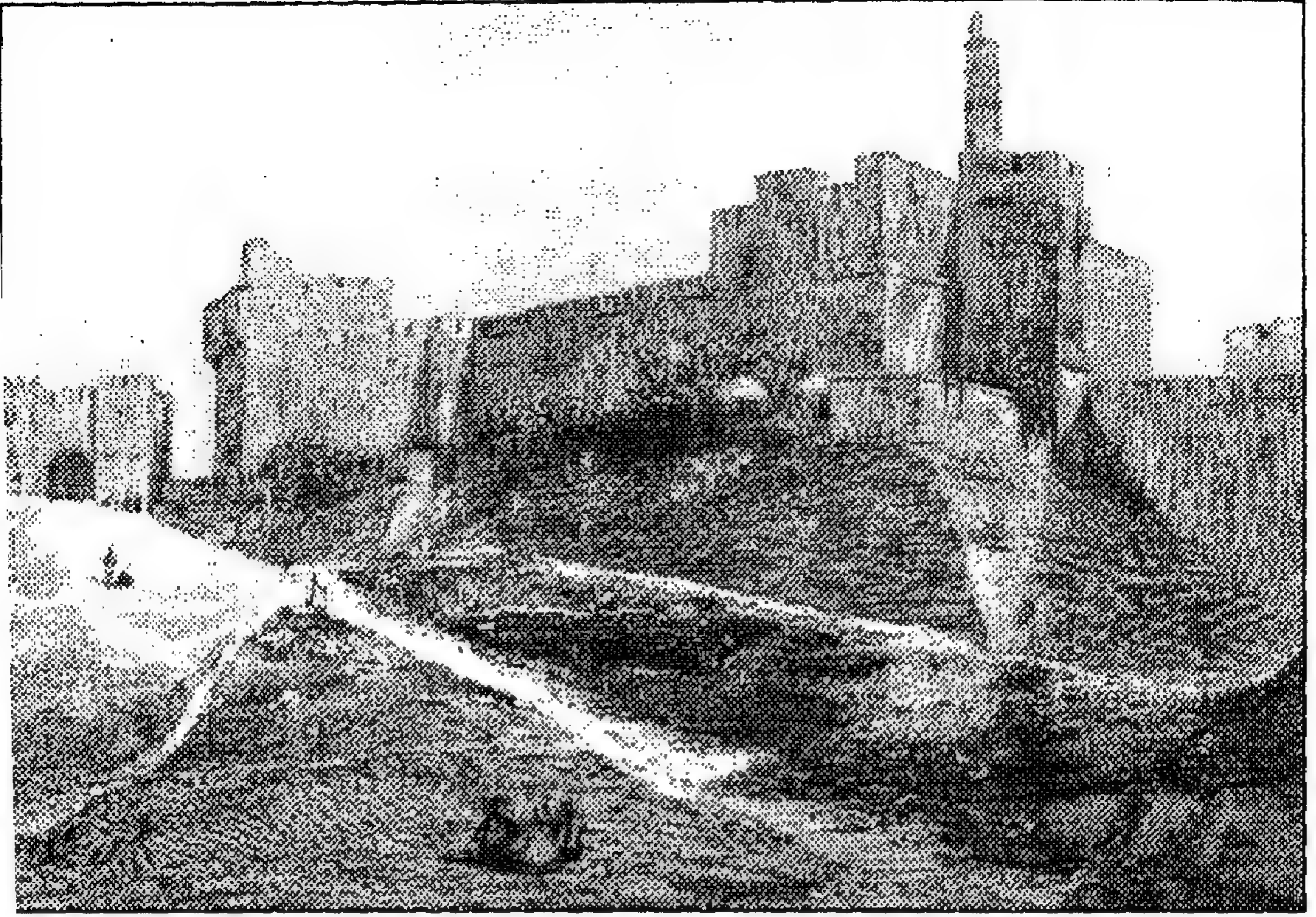
البيوت القديمة وأحرم القوانين الجسيمة والعوايد المرتبة،
والرواتب التي من سالف الدهر كانت منظمة، وقتل
الرجال، واستصفى الأموال، وحارب كبار العربان والبوادي،
وعرب الجزيرة والهنادي، وأعظم الشجعان، ومقامم البلدان،
وشتت شملهم، وفرق جمعهم، واستكثر من شراء الممالك
وجمع العسكر من ساير الأجناس واستخلص بلاد الصعيد،
وقهر (ص ٩٠٦) رجالها الصناديد، ولم يزل يمهد لنفسه
حتى خلص له ولأتباعه الإقليم المصري من الإسكندرية إلى
أسوان، ثم جرد عساكره إلى البلاد الحجازية ونقذ أغراضه
بها، ثم التفت إلى البلاد الشامية وتابع إرسال البعث
والسرايا والتجاريد إليها، وقتل عظمائها وولاتها، واستولت
أتباعه على البلاد الشامية حتى أنهم أقاموا في حصار يافا
أربعة أشهر حتى ملكوها، وعمر قلاع الإسكندرية ودمياط
وحصنها بعساكره ومنع ورود الولاة العثمانيين، وكان يطالع
كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية ويقول لبعض
خاصته: إن ملوك مصر كانوا مثلنا ممالك الأكراد مثل
السلطان بيبرس والسلطان قلاوون وأولادهم، وكذلك ملوك
الجراكسة وهم ممالك بني قلاوون إلى آخرهم كانوا كذلك،
وهؤلاء العثمانية أخذوها بالتغلب ونفاق أهلها، وينوه ويشير
بمثل هذا القول بما في ضميره وسريته ولو لم يخنه مملوكه
محمد بك لرد الأمور إلى أصولها، وكان لا يجالس إلا أهل
الوقار والحشمة والمسنين، مثل محمد أفندي كاتب
كبير الينكجيرية، ومصطفى أفندي توكللي، وعبد الله
كتخدا محمد باشا الراقم، ومرتضى أغا وأحمد أفندي،
يجالسونه بالنوبة في أوقات مخصوصة مع غاية التحرز في
الخطاب والمسامرة بوجيز القول، وكاتب إنشائه العربي



قلعة الفناار بالأسكندرية من ضمن القلاع التي عمرها على بك الكبير

الشيخ محمد الهلباوى الدمنهورى، وكاتبه الرومى مصطفى افندى الأشقر ونعمان أفندى وهو منجمه أيضاً، ويجلّ من العلماء المرحوم الوالد والشيخ أحمد الدمنهورى والشيخ على العدوى والشيخ أحمد (ص ٩٠٧) الحماقى، وكاتبه القبطى المعلم رزق بلغ فى أيامه من العظمة مالم يبلغه قبطى فيما رأينا، ومن مسقاته كرع المعلم إبراهيم الجوهري وأدرك ما أدركه بعده فى أيام محمد بك وأتباعه من بعده؛ وتتبع المفسدين والذى يتدخلون فى القضايا والدعاوى ويتحيلون على إبطال الحقوق بأخذ الرشوات والجعالات وعاقبهم بالضرب الشديد والإهانة والقتل والنفى إلى البلاد البعيدة، ولم يراع فى ذلك أحداً سواء كان متعمداً أو فقيهاً أو قاضياً أو كاتباً أو غيرها من البنادر والقرى، وكذلك المفسدون وقطاع الطريق من العرب وأهل

الخوف، وألزم أرباب الأدراك والمقدام بحفظ نواحيهم وما في حوزهم وحدودهم، عاقب الكبار بجناية الصغار، فأمنت السبل وانكفت أولاد الحرام وانكمشوا عن قبايحهم واذايهم، بحيث إن الشخص كان يسافر بمفرده ليلاً راكباً أو مشياً ومعه حمل الدراهم والدنانير إلى أى جهة ويبيت فى الغيط أو البرية آمناً مطمئناً لا يرى مكروهاً أبداً، وكان عظيم الهيبة اتفق لأناس ماتوا فرقة من هيبته، وكثيراً من كان يأخذه الرعدة بمجرد المشول بين يديه فيقول له: «هون عليك» ويلطفه حتى ترجع له نفسه، ثم يخاطبه فيما طلبه بصدده، وكان صحيح الفراسة شديد الحذق، يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين ولا يحتاج فى التفهيم إلى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق، بل يقرأها بنفسه كالماء الجارى ولو كان خطها سقيماً، ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم مضمونها ثم يمضيها أو يمزقها، وألبس سراجينه (ص ٩٠٨) قواويق فتلى [بالفاء] من جوخ أصفر تمييزاً لهم عن غيرهم من سراجين أمرائه، ولم يزل منفرداً فى سلطنة مصر لا يشاركه مشارك فى رأيه ولا فى أحكامه، وأمرأوها وحكامها مماليكه وأتباعه فلم يقنع بما أعطاه مولاه وخوَّله من ملك مصر بحرِّيها وقبليَّها الذى افتخرت به الملوك والفراعنة على غيرها من الملوك، وشرهت نفسه لزيادة وسعة المملكة، وكلف أمراءه الأسفار وفتح البلاد حتى ضاقت أنفسهم وسئموا الحروب والغربة والبعد عن الوطن، فحالف عليه كبير أمرائه محمد بك ورجع بعد فتح البلاد الشامية بدون استئذان منه، واستوحش كل من الآخر فوثب عليه وقر إلى الصعيد، وكان ما كان من رجوعه بمن



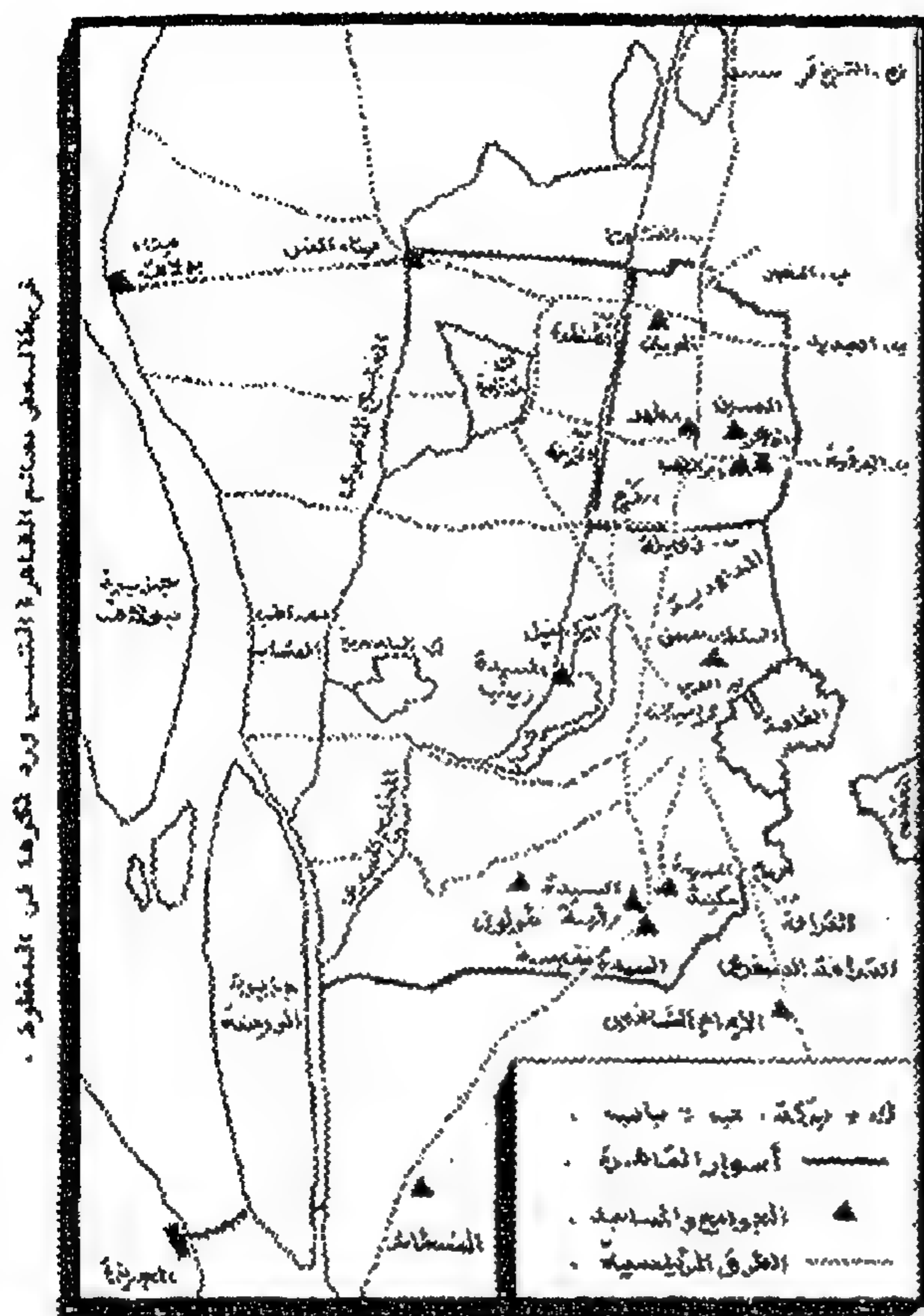
▲ أسوار مدينة القدس من الغرب

انضم إليه وخامر معه، وكانت الغلبة له على مخدمه، وفرّ منه إلى الشام وجند الجنود وقصد العود لمملكته ومحل سيادته فوصل إلى الصالحية، وخرج إليه محمد بك وتلاقيا وأصيب المترجم بجراحة في وجهه وأخذ أسيراً، وقتل من قتل من أمرائه، ورجع محمد بك وصحبته مخدمه المذكور محمولاً في تخت فأنزلوه في داره بدرب عبد الحق فأقام سبعة أيام ومات والله أعلم بكيفية موته، وكان ذلك في منتصف شهر صفر من السنة، فغسل وكفن وخرجوا بجنازته وصلى عليه بمصلى المؤمنين في مشهد حافل، ودفن بتربة أستاذه إبراهيم كتخدا بالقرافة الصغرى بجوار الإمام الشافعي، ومدفنهم مشهور هناك وبواجهته سبيل يعلوه قصر مفتاح (ص ٩٠٩) الجوانب؛ ومن مآثره العمارة العظيمة

بطنتدا وهى المسجد الجامع والقبة على مقام سيدى أحمد
البدوى رضى الله عنه، والمكاتب والميضاة الكبيرة والحنفيات
وكراسى الراحة المتسعة والمنارتان العظيمتان
والسبيل المواجه للقبة والقيسارية العظيمة النافذة من
الجهتين ومابها من الحوانيت للتجار، وسميت هناك
بالغورية لنزول تجار أهل الغورية بمصر فى حوانيتها
أيام مواسم الموالد المعتادة لبيع الأقمشة والطرايش
والعصايب، وكان المشد على تلك العمارة المعلم
حسن عبد المعطى وكان من الرجال أصحاب
الهمم، وولاه سيدانة الضريح عوضًا عن أولاد سعد
الخادم لسر سيرتهم وظلمهم فنكبهم المترجم وأخذ
ما أمكنه أخذه من مالهم وهو شىء كثير وأنفق فى
هذه العمارة، وأوقف عليها أوقافًا أرتب بالمسجد عدة
من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاوين وجعل لهم خبزًا
وجرايات وشورية فى كل يوم. وجدد أيضًا قبة الإمام
الشافعى رضى الله عنه وكشف ما عليها من الرصاص القديم
من أيام الملك الكامل الأيوبي فى القرن الخامس، وقد تشعث
وصدى لطول الزمان فجدد ما تحته من خشب القبة البالى
بغيره من الخشب النقى الحديث، ثم جعلوا عليه صفائح
الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة وهو عمل
كثير، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد
والأصباغ وكتب بإفريزها تاريخًا منظومًا بخط صالح
أفندى، وهدم أيضًا الميضاة التى كانت من عمارة عبد
الرحمن كتخدا وكانت صغيرة مثمثة الأركان ووسعها
وعمل عوضها هذه الميضاة الكبيرة وهى مربعة مستطيلة

متسعة وبجانبتها حنفية وبزائيز يُصَبُّ منها الماء، وحول
الميضأة كراسى راحة بحيضان متسعة تجرى مياهها إلى
بعضها وماؤها شديد الملوحة. ومن إنشائه أيضاً العمارة
العظيمة التى أنشأها بشاطئ النيل ببولاق حيث ذلك
الخطب تحت ربع الخرنوب وهى عبارة عن قيسارية عظيمة
بباين يسلك منها من بحرى إلى قبلى وبالعكس وخائفاً
عظيماً يعلوه مساكن من الجهتين وبخارجة حوانيت وشونة
غلال حيث مجرى النيل، ومسجد متوسط فحفروا أساس
جميع هذه العمارة حتى بلغوا الماء ثم بنوا لها خنازير مثل
المنارات من الأحجار واستعلوا عليه بعد ذلك بالبناء المحكم
بالحجر النحيت وعقدوا العقود والقواصر والأعمدة
والأخشاب المتينة، وكان العمل فى ذلك سنة خمس
وثمانين، ومات المترجم قبل إتمامها وبناء أعاليها، وكانت
هذه العمارة من أشام العمائر، لأن النيل انحسر بسببها عن
ساحل بولاق وبطل تياره واندفع إلى ناحية إنابة، ولم تزل
الأرض تعلو والأتربة تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة إلى
شون الغلال ويزيد نموها فى كل سنة حتى صار لا يركبها
الماء إلا فى سنى الغرق، ثم فحش الأمر وبنى الناس دوراً
(ص ٩١) وقهاوى فى بحرى العمارة وسبحوا إلى جهة
قرب الماء مغربين وألقوا أتربة العمائر وما يحفرونه حول
ذلك، واقتدى بهم الترابية وغيرهم ولم يجدوا مانعاً ولا
رادعاً، وكلما فعلوا ذلك هرب الماء وضعف جريانه وربت
الأرض وعلت وزادت حتى صارت كيماً تنقبض النفوس
من رؤيتها وتمتلى المنافس من عجاجها وخصوصاً فى وقت
الهجير بعد أن كانت نزهة للناظرين، ولقد أدركنا فيما قبل
ذلك تيار النيل* يندفع من ناحية بولاق المذكور إلى تلك

* كان مجرى النيل قبل عام
١١٨٥ هـ = ١٧٧١ م يأخذ مجرى شرق
المجرى الغربى الحالى عند بولاق، وقد أوضح
الجبرتي هنا السبب فى ذلك.



الجهة، ويمر بقوة تحت جدران الدور والوكايل القبلية وساحل الشون ووكالة الأبنار وخضرة البصل وجامع السنانية وربع الخرنوب إلى الجيعانية، وينعطف إلى قصر الحلّى والشيخ فرج صيفا وشتاء ولايعوقه عائق ولايقدر أحد أن يرمى بساحل النيل شيئا من التراب. فإن اطلع الحاكم على ذلك نكل به أو بخفير تلك الناحية وهذا شيء قد تؤدّع منه ومن أمثاله، وآخر من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجزئية التي يترتب بزيادتها الضرر العام عبد الرحمن أغام مستحفظان، فإنه كان يحذو طريق الحكام السالفين إلى أن ضعفت شوكته بتأمر الأصاغر، وقيد حكمه بعد الإطلاق وترك هذا الأمر ونسى بموته وتقليد الأغاشم، وتضاعف الحال حتى أن بعض الطرق الموصلة إلى بولاق استدت بتراكم الأتربة التي يلقيها أهل الأطراف خارج

بالعلوم الرياضية والنجومية ويكرم أرباب المعارف، وكان يرسل المرحوم الوالد (٩١٣) والشيخ أحمد الدمنهوري ويهاديهما، ويرسل إليهما الصلوات الكتب، وأرسل مرة إلى الشيخ الوالد ثلاثة كتب مكلفة من خزانته، هو كتاب القهستاني الكبير، وفتاوى أنقروى، ونور العين فى إصلاح جامع الفصولين كلاهما فى الفقه الحنفى، وله مؤلف فى الفن الدقيق ينسب إليه، وتولى بعده السلطان عبد الحميد خان جعل الله أيامه سعيدة.

٣٥٩ على بك الطنطاوى.

[ومات] الأمير على بك الشهير بالطنطاوى وهو من مماليك على بك المذكور وكان من الشجعان المعروفين، والفرسان المشهورين، ولم ينافق على سيده مع المنافقين، ولم يمرق مع المارقين، ولم يزل مع مخدمه فيما وجه إليه، حتى قتل بالصالحية بين يديه.

٣٦٠ اسماعيل أفندى الروزنامجى.

[ومات] الرئيس المبجل الأمير اسماعيل أفندى الروزنامجى رئيس الكتبة بمصر، وكان إنسانا حسنا منور الوجه والشبهة ضابطا محررا خيرا، أصيب بوجع فى عينيه فوعده الحاج سليمان الحكاك بشيء من الكحل وأودعه فى ورقة وضعها فى طى عمامته، وكان بها ورقة أخرى فيها شيء من السليمانى* لم يتذكرها وهو أبيض والكحل أيضا أبيض، فلما حضر عنده أخرج الورقة التى بها السليمانى من عمامته وأعطاهها له، وأمره أن يكتحل منا وقت النوم يظنها أنها ورقة الكحل، ثم انصرف إلى داره فلما نزع عمامته وقت النوم رأى ورقة الكحل وتذكر عن ذلك الأخرى فلم يمكنه الذهاب والتدارك ليلا لبعده المكان وفوات الوقت،

* السليمانى : من المواد السامة، اسمه العلمى كلوريد الزئبقوز.

والمسكين صلى العشاء واكتحل من الورقة فزال بصره في الحال، واستمر مكفوفاً إلى أن مات سحر ليلة الأحد سادس عشر ذى الحجة من آخر السنة وصلى عليه من الغد بسبيل المؤمنين، ودفن بقبره الذي أعده لنفسه بالقرب من ابن أبي جمرة عوضه الله الجنة.

[ومات] الرجل الصالح الأمير / مراد أغا تابع قيطاس بك ٣٦١ مراد أغا. القظامشى، وكان منجمعا عن الناس راضيا بحاله قانعا بمعيشته، ملازما على حضور الجماعة [صلاة الجمعة] والصلوات في المسجد. توفي يوم الأربعاء سابع عشرين شوال وصلى على بمصلى أيوب بك ودفن بالقرافة عند الطحاوى.

[ومات] الأمير / حسن كتحدا مستحفظان القازدغلى ٣٦٢ حسن كتحدا القازدغلى. الملقب بقراء، وكان من الأمراء الكبار أصحاب الحل والعقد بمصر في الزمن السابق وانقطع في بيته عن المقارشة والتداخل في الأمور، وكان مريضا بمرض الأكلة في فمه؛ ولذلك تركه على بك وأهمله حتى مات يوم الثلاثاء ثالث عشر ذى القعدة من السنة عن ذلك المرض وورم في رجله أيضا، ودفن في يومه ذلك بالقرافة.

[ومات] أيضا مصطفى أفندى الأشقر كاتب ديوان / على بك ٣٦٣ مصطفى أفندى الأشقر. خنقه خليل باشا بالقلعة في سابع عشرين جمادى الأولى بموجب مرسوم من الدولة؛ حضر بطلب رأسه ورأس عبد الله كتحدا ونعمان أفندى ومرتضى أغا فوجد محمد بك أمضى الأمر في عبد الله كتحدا، ونعمان أفندى ومرتضى أغا؛

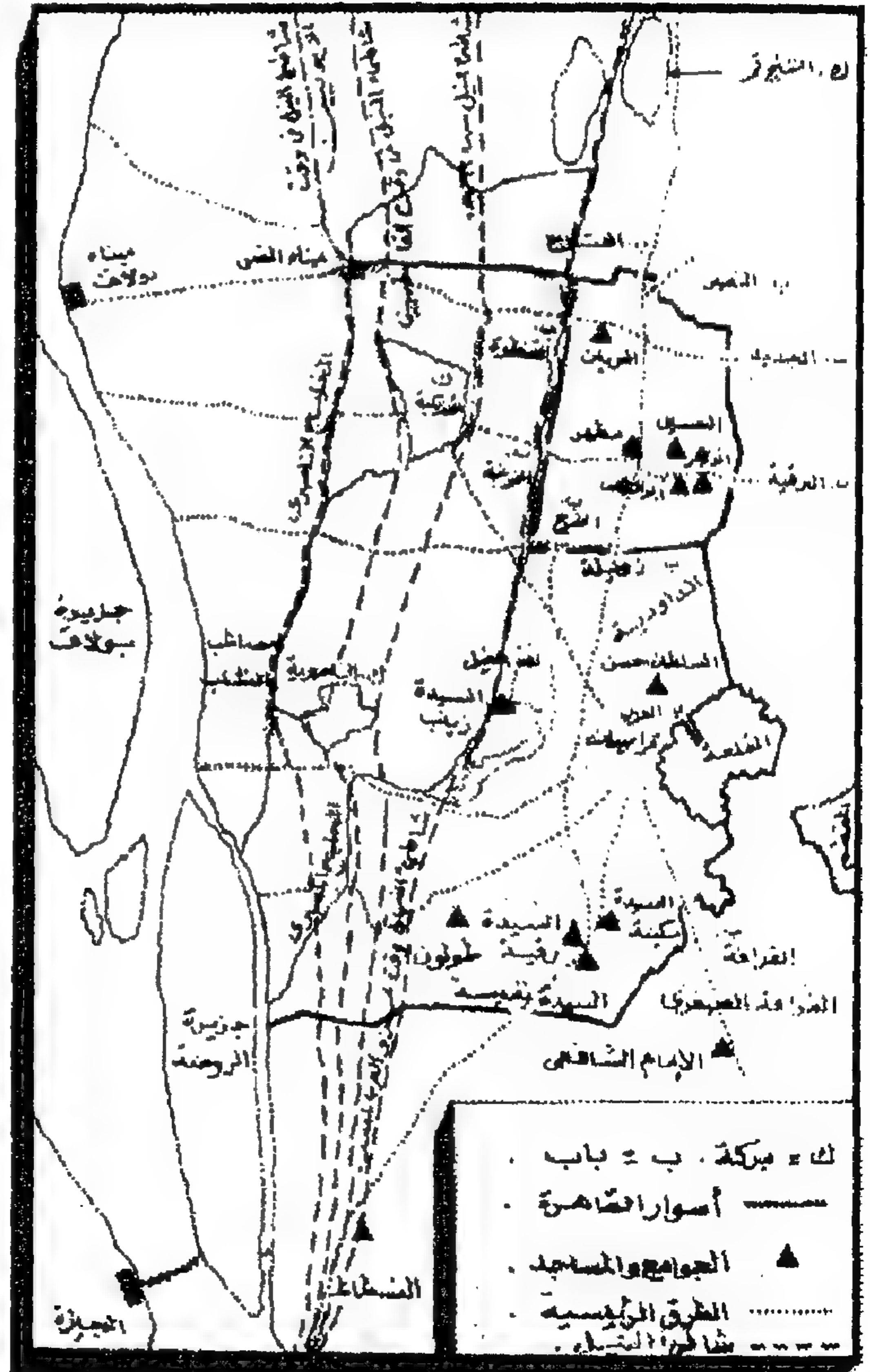
ونعمان افندى ذهب إلى الحجاز إثر موت على بك، وكذلك مرتضى أغا اختفى وتغيب وذهب من مصر ولم يعلم له مكان، واستمر المترجم فطلبه الباشا (٩١٥) إلى الميرى فلما حضر إليه أمر بخنقه فخنقوا وسلخوا رأسه ودفنوه بالقرافة وأخذ موجوداته الباشا إلى الميرى.

٣٦٤ اسماعيل الوهبي الخطاط.

[ومات] الأجل المبجل المجيد الضابط الماهر / اسماعيل بن عبد الرحمن الرومى الأصل ثم المصرى المكتب الملقب بالوهبى شيخ الخطاطين بمصر، كتب الخط وجوده على شيخ عصره السيد محمد النووى، وبرع واجتهد، واشتغل قليلا بالعلم كت بيده المصاحف مرارا، وأما نسخ الدلائل والأحزاب والأوراد السبعة فمما لا يحصى كثرة، وكان إنسانا حسنا بشوشا محبا للناس فيه مكارم الأخلاق وطيب النفس، كتب عليه غالب من بمصر من أهل الكتابة، وكان صاحب نفس وهمة عالية وكان يلى منصب سيد فى الخدمة العسكرية، وكتب عدة ألواح كبار وتوجه بها بإشارة بعض أمراء مصر إلى المدينة المنورة، فعلقها فى المواجهة الشريفة بيده، ونال بهذه الزيارة الشريفة والخدمة المنيفة سرورا وشرقا، ولما كان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف أتى الأمر من صاحب الدولة بتوجيه بعض عساكر مصرية تقوية للمجاهدين، فكان هو من جملة المعينين فيهم رئيسا فى طائفتهم، فتوجه إلى الاسكندرية وركب منها إلى الروم وأبلى فى تلك السفرة بلاء حسنا وبعد مدة أذن لهم بالانصراف فعاد إلى مصر وقد وهنت قواه واعترتة الأمراض وزاد شكواه، وهو مع ذلك يكتب ويقيد، ويجيز ويعيد، ويحضر مجالس أهلى الخط على عادتهم، وجلس ملازما

لفراشه مدة حتى وافاه الحمام ليلة الأحد سادس عشر ذى
الحجة، فجهز وصلى عليه بمشهد حافل فى مصلى
المؤمنين، ودفن عند ابى جمرة قرب العياشى فى قبر كان
أعده لنفسه منذ مدة ولم يخلف بعد مثله رحمه الله.

- فى هذه السنة صار عزل
قراخليل باشا. ثم تولى على مصر مصطفى
باشا النابلسى.
- وفى ٢٧ صفر تبوا لوزير السادس عشر على
سلطنة فرنسا، بدلا عن جده لوزير الخامس
عشر، المتوفى فى هذه السنة الاقرنكية.
- فيها الكيارى الانكليزى يريستلى
استكشف غاز الاوكسجين.
- وفى ربيع الثانى أقرت الدولة العلية محمد
بك ابا الذهب على بيكاية مصر.
- فى ١٢ من جماد أول معاهدة صلح
كوجك قينارجى بين الترك والروسيا.
- فى جما الثانى كان سفر قراخليل باشا
من القلزم يقصد جده.
- فى شعبان كان انتهاء بناء مدرسة أبى الذهب
وبناء جامع الخضيرى.
- فيها تم جورج ليزاج اختراع آلة التلغراف
ولعدم استيفائها لم يتيسر العمل بها.
- فى هذه السنة تجهز ابو الذهب بجيش جرار
للمسير الى البلاد الشامية ومحاربة الظاهر
عمر.
- وفيها كان تجديد جامع الخضيرى ، جده
سليمان افندى ابن الشيخ عبد الرحمن.
- ١ ثوت ١٤٩١ = ٩ سبتمبر ١٧٧٤ =
الجمعة ٣ رجب سنة ١١٨٨ .
- ١ يناير سنة ١٧٧٥ = ٢٥ كيهك ١٤٩١
= الأحد ٢٨ شوال سنة ١١٨٨ .



(سنة ثمان وثمانين ومائة وألف) [١٧٧٤م]

استهلت ووالى مصر خليل باشا محجوز عليه وليس له فى
الولاية إلا الاسم والعلامة على الأوراق، والتصرف الكلى
للأمير الكبير محمد بك أبو الذهب والأمرا وأعيان الدولة
ومماليكه وإشرافاته، والوقت فى هدو وسكون وأمن،
والأحكام فى الجملة مرضية والأسعار رخيّة وفى الناس بقيّة
، وستائر الحياء عليهم مرخية ، شعر:

وما الدهر فى حال سكون بساكن

ولكن مستجمع لوثوب

* يسمى مؤلف المقرئى «نبذة من أخبار
الطائفة القائمة بالملة الإسلامية ببلاد الحبشة
وقد نشر ضمن كتاب القبائل العربية فى
بلاد النوبة والحبشة» للدكتور عبد المجيد
عابدين.

حقائق عن عبدالرحمن الجبرتي
للدكتور محمد أنيس نشره بالمجلة التاريخية
المصرية المجلدات ١٠/٩ مستمدة
من وثائق المحكمة الشرعية

ذكر من مات فى هذه السنة

٣٦٥ حسن الجبرتي، والد المؤلف

[ومات] فى هذه السنة الإمام العلامة، والنحرير الفهامة،
حامل لواء العلوم على كاهل فضله، ومحرر دقائق المنطوق
والمفهوم بتحريره ونقله، من تكحلت بحبره عيون الفتوى،
وتشرف المسامع بما عنه يروى، وارتفع من حضيض التقليد
إلى ذر الفضائل، وسابق فى حلبة العلوم قصب الفواضل،
الروض النضير، الذى ليس له فى ساير العلوم نظير، وهو
فى فقه النعمان الجامع الكبير، عمدة الأنام، وفيلسوف
الإسلام، سيدى ووالدى بدر الملة والدين أبو التدانى/ حسن
بن برهان الدين ابراهيم بن الشيخ العلامة حسن بن الشيخ
نور الدين على بن الولي الصالح شمس الدين محمد بن
الشيخ زين الدين عبد الرحمن الزيلعى الجبرتي. العقيلي

على الرغم من أن المؤرخ المصرى عبد
الرحمن الجبرتي قد ألقى أضواء ساطعة على
البيئة الخاصة والبيئة العلمية التى نشأ فيها
عند ترجمته لوالده الشيخ حسن الجبرتي وفى
مواضع متفرقة من تراجم شيوخ عصره، إلا
أنه لا يكاد يذكر شيئا عن حياته بعد ذلك.
فالجبرتي يختفى فى عجائب الآثار اختفاء
يكاد يكون تاما، الأمر الذى يجعل الكتابة
عن سيرته أمرا عسيراً للغاية. ويزيد من
صعوبة هذا الأمر أن المعاصرين للجبرتي أو
حتى القريبين منه لم يكتبوا عنه إلا فى القليل
النادر. ولذلك يبدو البحث والتقيب فى
وثائق المحكمة الشرعية حول أملاك وأوقاف
الجبرتي من الأهمية بمكان فى هذا الشأن.
والملاحظات التى يتضمنها هذا المقال حول
حياة الجبرتي، مستمدة من عدد من الوثائق
المرجودة بدفتر خانة المحكمة الشرعية
بالقاهرة.

وقد نشرنا فقط خمس وثائق فى آخر المقال
مع محاولة مقابلة لقرائنها، وهذه هى
النصوص الأصلية لبعض الوثائق. أما الوثائق
الأخرى التى لم ننشرها واكتفينا بالإشارة إلى

الحنفى، وبلاد الجبرت هي بلاد الزيلع بأراضى الحبشة تحت حكم الخطى ملك الحبشة، وهم عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطائفة وهم المسلمون بذلك الاقليم ويتمذهبون بمذهب الحنفى والشافعى لاغير، وينسبون إلى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبى طالب، وكان أميرهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم النجاشى المشهور الذى آمن به ولم يره، وصلى عليه النبى صلاة الغيبة كما هو مشهور فى كتب الأحاديث، وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح، ويأتون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة فى طلب العلم، ويحجون مشاة، ولهم رواق بالمدينة المنورة، ورواق بمكة المشرفة، ورواق بالجامع الأزهر بمصر، وللحافظ المقرئ مؤلف فى أخبار بلادهم وتفصيل أحوالهم ونسبهم.

ومنهم القطب الكبير والمعتقد الشهير الشيخ اسماعيل بن سود كين الجبرتى تلميذ الشيخ ابن العربى ويسمى قطب اليمن، والشيخ عبد الله الذى ترجمه الحافظ السيوطى فى حسن المحاضرة، وهو الذى كان يعتقده الملك الظاهر برقوق، وأوصى عند موته بأن يدفن تحت قدمه بالصحرَاء، ومنهم الولى العارف الشيخ على الجبرتى الذى كان يعتقده السلطان الأشراف قايتباى وارتحل إلى بحيرة إدكو فيما بين رشيد والاسكندرية وبنى هناك مسجدا عظيما ووقف عليه عدة أماكن وقيعان وأنوال حياكة وبساتين ونخيل كثيرة، وهو موجود إلى الآن عامر بذكر الله والصلاة، وهو تحت نظر الفقير إلا أن غالب أماكنه زحفت عليها الرمال وطمستها وغابت تحتها، وفيه إلى الآن بقية صالحة، وبنى أيضا مسجدا شرقى عمارة السلطان قايتباى ودفن به، وقد خرب وانطمس معالمه (ص ٩١٨) ولم يبق إلا مدفنه،

أرقامها فى دفاتر المحكمة الشرعية، فهى ليست الصور الأصلية بل منقولة فى هذه الدفاتر عن الأصل. والوثائق الأصلية التى عينا بنشرها هنا هى: أولا - حجة بيع عبد الرحمن الجبرتى لمنزل والده (وهو المنزل المعروف ببيت الجبرية بالصنادقية) عام ١٢٠١هـ. وقد كتب على هامش الحجة ما يفيد أن عبد الرحمن الجبرتى قد استرده فى العام التالى أى فى سنة ١٢٠٢هـ. ثانيا - والوثيقة الثانية حجة بيع نفس البيت على يد ورثة الجبرتى فى سنة ١٢٩٩هـ. ثالثا - والوثيقة الثالثة تشمل حجة شراء عبد الرحمن الجبرتى لمنزل آخر بالصنادقية فى سنة ١٢٢٣هـ. رابعا - والوثيقة الرابعة تشمل حجة الأهلولة الصادرة فى سنة ١٢٥٧هـ. لورثة عبد الرحمن الجبرتى والخاصة بذلك البيت الذى اشتراه فى سنة ١٢٢٣هـ. خامسا - والوثيقة الخامسة تشمل حجة بيع المنزل المذكور فى الوثيقة الرابعة على يد ورثة عبد الرحمن الجبرتى فى نفس السنة أى فى سنة ١٢٥٧هـ.

أولا - سنة وفاة عبد الرحمن الجبرتى: ذكر مترجمو عجائب الآثار إلى الفرنسية - دون الإشارة إلى أى مرجع لقولهم - أن الشيخ عبد الرحمن الجبرتى قتل أثناء عودته من قصر محمد على فى شبرا فى ليلة ٢٧ رمضان سنة ١٢٣٧هـ (٨ يوليو ١٨٢٢)، وأن أنكروا أن ذلك قد حدث بإيعاز من محمد على باشا. وأخذ عنهم هذه الرواية، فيما يبدو، المستشرق الانجليزى مكدونالد فى ترجمته للجبرتى فى دائرة المعارف الإسلامية، كما أخذ بنفس الرواية فهرس دار الكتب المصرية ١٩٣٠ ولويس شيخو فى كتابه الأدب العربى فى القرن التاسع عشر.

ومن المؤكد أن هذا الزعم خاطئ من أساسه. فالمراج المعاصرة تؤكد، مستقلة عن بعضها البعض، أن عبد الرحمن الجبرتى كان يحيا بعد ذلك التاريخ. فقد ذكر الرحالة الإيطالى GIAMBATISTA BROCCHI الذى زار مصر فى ديسمبر ١٨٢٢، فى يومياته بتاريخ أول ديسمبر أى يوم زيارته لعبد الرحمن

وحوله حائط متهدم بغير باب ولا سقف، وقبره ظاهر مكشوف يزار وللناس فيه اعتقاد عظيم، ومن كراماته التي أكرمها الله بها أنه يرى على قبره في بعض الليالي المظلمة نور مثل قنديل المستنير، يرى ذلك سكان العمارة وغيرهم وهو أمر مشهور، ومنها أن السفار وقوافل الأعراب ينزلون بأحمالهم حول قبره في الحوطة ويتركونها من غير حارس ليالي وأياما آمين، فلا يتعدى عليها سارق ألبتة، ويعتقدون العطب للجاني في بدنه أو ماله، وهو أمر مشهور أيضا مقرر في أذهانهم إلى الآن.

ومنهم الامام الحجة المجتهد الفقيه الجدلي صاحب التصحيح والترجيح فخر الدين أبو عمر وعثمان الحنفي الزيلعي شارح الكنز المسمى بتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق المدفون بحوطة سيدي عقبة بن عامر الجهني والشيخ الزيلعي الشافعي المدفون بالقرافة الكبرى، وغير هؤلاء كثير ببلادهم وأرض الحجاز ومصر، والقصد بذلك التعريف بالنسبة، قال تعالى «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم». والنجاشي أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من الملوك ولم يره، وأسلم على يد ابن عمه جعفر بن أبي طالب وزوجه أم حبيبته رضي الله عنها وجعلها من عنده وأرسلها للنبي من الحبشة إلى المدينة، ومن أراد الاطلاع على أخبار النجاشي رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم وهداياه إلى النبي وهدايا النبي إليه وبعض أخبار الحبشة (ص ٩١٩) وما ورد فيهم من الآيات والأحاديث والآثار، فلينظر في كتاب الطراز المنقوش في محاسن الحبش للإمام العلامة علاء الدين بن

الجبرتي (١٦ ربيع أول ١٢٣٨هـ) ما يلي (زودني المسير دروشتي في الاسكندرية برسالة إلى عالم عربي هو عبد الرحمن الجبرتي وقال لي أنه ضليع في علم الهيئة، فما عثمت أن زرت بصحبة الخواجه مسرة ترجمان القنصلية الفرنسية، وكم كان دهشى عظيما حين وجدت هذا الفلكي أعمى. فسألته إذا كان لدى الفلكيين في مصر آلات يرصدون بها حركات الكواكب، فقال إنه ليس لديهم شيء منها وأن الذين ينصرفون إلى هذا العلم قليلون وقد يكون لدى بعضهم بعض آلات مجلوبة من أوروبا. فسألته إذا كان في إمكانهم أن يعرفوا مواعيد الكسوف والخسوف؟ فأجاب نفيا. فسألته أيضا إذا كانوا يضعون التقاويم للجماهير؟ فقال إن لديه بعضها ولكن ليس فيها تقويم خاص) إلى أن قال (على أني لم أرد إطالة الحديث مع هذا الشيخ الطيب الذي قيل لي عنه إنه أعلم بالتاريخ العربي المصري منه بعلم الفلك وأن له كتابا موثوقا به). كذلك ذكر جورجى زيدان أنه وجد في مكتبة محمد بك عاطف في القاهرة مخطوطا راجعه الجبرتي بنفسه وأتم مراجعته (أطال الله في عمره) بتاريخ السبت ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٤٠هـ (٦ نوفمبر ١٨٢٤) ومن الروايات التي تنفي وفاة الجبرتي في سنة ١٢٣٧هـ ما ذكره اسكندر كاردن A. Cardin المترجم والمستشار بالقنصلية الفرنسية بالاسكندرية الذي ترجم الجزء الثالث من عجائب الآثار إلى الفرنسية ونشره في عام ١٨٣٥م، فقد قال في مقدمة ترجمته أنه علم من أسرة الجبرتي أن أحد أبناء الجبرتي قتل في ليلة من ليالي رمضان سنة ١٢٣٨هـ وأن الجبرتي حزن عليه حتى فقد بصره ولم يعيش طويلا بعد ذلك.

أما الذين حددوا تاريخا آخر لوفاة الجبرتي ففي مقدمتهم المستشرق الإنجليزي ادوارد وليم لين W. Lane فقد ذكر عند كلامه عن الجبرتي أنه توفي في سنة ١٨٢٥ أو سنة ١٨٢٦ (١٢٤٠ - ١٢٤١هـ)، ولعل السبب في تردد لين في هذا التحديد يرجع

إلى أنه وصل القاهرة يوم ٢ أكتوبر ١٨٢٥ م. كذلك يحدد الحضراوي في كتابه «نزّهة انفكر» الوفاة بسنة ١٢٤١ هـ وذلك عند ترجمته لعبد الرحمن إذ يقول: (ثم صنف جملة مصنفات منها تاريخه في مصر وامراتها وقائعها وترجم فيه لمن أدركهم من متابعي وقته وسماء عجائب الآثار في التراجم والأخبار وهو في أربع مجلدات من ابتداء سنة ١١٠٠ إلى سنة ١١٣٧. ثم عمى الشيخ المذكور فترك الكتابة فيه ثلاث سنوات إلى ١١٤٠. وهذا (ما) أخبرني (به) أمين أفندي الخلواني المدني - وما زال في عز وشكّين لمواظبته على الدروس بالأزهر فانتفع به الناس وكثرت تلامذته وبعد صيته إلى أن توفي سنة ١٢٤١ بمصر المحروسة ودفن بالمحاررين). غير أن وثائق المحكمة الشرعية تجعلنا نقطع بأن عبد الرحمن الجبرتي توفي في عام ١٢٤٠ هـ. وعلى وجه التحديد فيما بين غرة ربيع الثاني (٢٣ نوفمبر ١٨٢٤ هـ) و ٢٧ رمضان من سنة ١٢٤٩ هـ (١٤ مايو ١٨٢٥) - ونحن نستند في هذا التحديد على وثيقتين. الوثيقة الأولى تؤكد أن الجبرتي كان حياً حتى غرة ربيع الثاني من سنة ١٢٤٠ هـ. تقول الوثيقة (٥) (بين يدي مولانا قائم مقام، ادعى فخر الفضلا الكرام الشيخ محمد شهاب الدين القبانى بخط الجمالية ابن المرحوم الشيخ إسماعيل شهاب الدين وهو الوكيل الشرعى عن سيدنا ومولانا الامام العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفى ابن مولانا العلامة المغفور له الشيخ حسن الجبرتي الحنفى ابن المرحوم الشيخ إبراهيم وهو الناظر الشرعى يومئذ على وقف جدته لوالده المذكور... فى شأن ماسيدكر بين يدي مولانا أفندى المومى إليه) وفى آخر الوثيقة (تحريراً فى غرة ربيع الثانى سنة أربعين ومايتين وألف). ولعل ماورد فى هذه الوثيقة من توكيل الشيخ عبد الرحمن الجبرتي للشيخ محمد شهاب الدين القبانى يؤكد ما ذكره كل من كاردن وبروكى والحضراوي من أن الجبرتي كان قد فقد بصره فى الأيام الأخيرة من حياته. أما الوثيقة

محمد بن عبد الله البخارى خطيب المدينة المنورة، ودرّج شأن الحبشان» للعلامة جلال الدين السيوطى، «وتنوير الغبش فى فضائل السودان والحبش» لابن الجوزى، وفى تفسير البغوى أخرج أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما مات النجاشى كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور، وفى «أزهار العروش» من عرف اسمه من الصحابة من الحبش ومن عبيده صلى الله عليه وسلم.

ومنهم أحد كبار المجاهدين والمهاجرين بلال بن رباح مؤذن رسول الله عليه وسلم ومولى أبى بكر الصديق، وهو أول من أذن فى الإسلام وأول من ثوب [أى قال: الصلاة خير من النوم] فى الفجر كما فى الأوائل للسيوطى، وكان خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيت المال كما فى تهذيب الأسماء واللغات، وكان يبدل الشين بالسين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنه: «شين بلال سين عندى وعند الله» وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول «كان أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا» يعنى بلالا، وروى عنه كثير من الصحابة. ومنهم أبو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وابن عمر وأسامة بن زيد وجابر وأبو سعيد الخدرى وكعب بن عرفة والبراء بن عازب وغيرهم وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أجمعين. ومنهم شقران بضم الشين المعجمة مولى رسول الله (ص ٩٢٠) وأما خدمه من الحبشة الأحرار فكثيرون، وكذلك الصحابييات من إمانه وأهل بيته، ومنهم أم أيمن ذات الهجرتين وهى مرضعته وحاضنته، وحليمة السعدية وثروبة وبركة جارية أم حبيبة، وبريرة مولاة عائشة رضى الله عنها،

ونبعة جارية أم هانئ بنت أبي طالب، وغفرة وسعيرة، وكذلك عبيد الصحابة، ومنهم مهجع بكسر الميم وفتح الميم مولى عمر بن الخطاب، وهو أول من استشهد ببدر وكان من المهاجرين الأولين، وعده النبي صلى الله عليه وسلم من سادات أهل الجنة وقال في شأنه «يوم قتل سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة». ومنهم أسلم مولى عمر بن الخطاب وأيمن الحبشى المكى والد عبد الواحد بن أيمن، ويسار مولى المغيرة بن شعبه، أخرج الحسن ابن محمد الخلال في كرامات الأوليا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال «دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى يابا هريرة يدخل على الساعة من هذا الباب رجل من أجل السبعة الذين يدفع الله عز وجل عن أهل الأرض بهم الأذى. فإذا حبشى قد طلع من ذلك الباب أقرع أجده على رأسه جرة فيها ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يابا هريرة هو هذا ثم قال مرحبا بيسار ثلاث مرات وكان يرش المسجد ويكنسه، ومات في عهده صلى الله عليه وسلم. وأما الصحابة الأحرار من الحبوش الأخيار الذين كانوا يخدمون الرسول وأصحابه وأهل بيته فكثيرون جدا لا يمكن استيعابهم (ص ٩٢١) فى هذا الاطراد ضبطا وعددا، وكذلك أبناء الحبشيات من قريش من الصحابة والتابعين وأهل البيت الطاهرين واخلفاء العباسيين، ومن ولد بأرض الحبشة من الصحابة من الحبشيات مثل صفوان ابن أمية بن خلف الجمحى وعمرو بن العاص وغيرهما مثل عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وهو أول مولود فى الإسلام بأرض الحبشة بالاتفاق، وكان يسمى بحر الجود وأخباره فى السخاء والكرم مشهورة،

الثانية فهى إقرار لنظارة أبناء الجبرتي على بعض الأوقاف التى كان الشيخ عبد الرحمن ناظرا عليها ثم انتقلت نظارتها إلى أولاده من بعده، وقد صدر هذا الاقرار فى ٢٧ رمضان من سنة ١٢٤٠ هـ. تقول الوثيقة (قرر مولانا النايب المولى خلافة (المولى خلافة) بمعرفة واطلاع حضرة سيدنا ومولانا الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم... قرر مولانا أفندى المولى خلافة كلا من المكرم محفوظ وأخته لوالده الحرمة أمان المرأة ولدى المغفور له الشيخ عبد الرحمن الجبرتي لجل المغفور له العلامة الشيخ حسن الجبرتي الحنفى الأزهرى كان، وولدى أخيهما المرحوم خليل أفندى لجل الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المشار إليه هما المكرم محمد والمصونة فاطمة سوية بينهم فى النظر والتحدث على وقف كل من العارف بالله تعالى...) وفى آخر الوثيقة (تحريرا فى سابع عشرين رمضان سنة أربعين ومايتين وألف).

وهكذا تقطع هاتان الوثيقتان بأن عبد الرحمن الجبرتي توفى فيما بين الأول من ربيع الثانى سنة ١٢٤٠ هـ والسابع والعشرين من رمضان من نفس السنة (٢٣ نوفمبر ١٨٢٤ - ١٤ مايو ١٨٢٥) وهذه الحقيقة يجب أن تضع حدا الآن للجدل الطويل حول سنة وفاة الجبرتي، وإن كنا نأمل أن يعمل باحثون بمزيد من التنقيب فى أوراق المحكمة الشرعية إلى تحديد يوم الوفاة.

وعلى ذكر سنة وفاة الجبرتي يحسن بنا هنا أن نذكر شيئا عن قبره لما تحمله القبر عادة من دلالة تشير إلى تاريخ وفاة ساكن القبر. فلا شك فى أن عبد الرحمن الجبرتي مدفون بمقبرة الجبرتية المعروفة لليوم، وهى ببستان العلماء بالمجاورين (ويسميه الجبرتي فى ترجمته لمعاصريه «البستان» أو بستان المجاورين). فلقد ذكر الحضراوى فى ترجمته للجبرتي (ودفن بالمجاورين)، وإلى جانب ذلك فقد ذكر الجبرتي نفسه فى ترجمته لوالده الشيخ حسن الجبرتي (ودفن عند أسلافه بترية الصحراء بجوار الشمسى البابلى واخطيب الشريينى) ومقبرة الجبرتية المعروفة

وعن طريق الحبشة

صحبتهها وصيفه

بحسنها مشربشه

تذكر أن أصلها

من فتيات الأنجشة

وعملها أشغال فيا

طوبى لمن قد خمشه

وخسدها لو مر في

ه الزهم يوما خدشه

«عودة وانعطاف»

إن الشيخ عبد الرحمن وهو الجد السابع لجامعه واليه ينتهى علمنا بالأجداد ، هو الذى ارتحل من بلاده ووصل إلينا خبره سلفا عن خلف ، فقدم من طريق البحر إلى جدة وانتقل إلى مكة فجاور بها وحج مرارا وذهب أيضا إلى المدينة المنورة فجاور بها سنتين ، ولقى من لقى بالحرمين من الأسيخ وتلقى عنهم ، ثم رجع إلى جدة وحضر إلى مصر من طريق القلزم فدخل إلى الجامع الأزهر فى أوائل العاشر وجاور بالرواق ولازم حضور الأسيخ واجتهد فى التحصيل وتولى شيخا على الرواق والتكلم على طايفته وتزوج وولد لهن . فلما مات خلف ولده الشيخ شمس الدين محمد ، ونشأ على قدم الصلاح والاشتغال بطلب العلم ، وتولى مشيخة الرواق كوالده ، وأنجب وأقرأ دروسا فى الفقه (ص ٩٢٣) والمعقول بالرواق وكان على غاية من الصلاح وملازمة الجماعة والسنن ولا يبيت عند عياله إلا ليلة أو ليلتين فى الجمعة ، وغالب لياليه يبيتها بالرواق لأجل الاشتغال بالمطالعة أول الليل على السهارة والتهجد آخره ، ومما اتفق له وعد من كراماته أن السراج انطفأ

والده مدفون فى القبر الأول الذى يحمل على أحد جانبيه الأبيات الشعرية السابقة - والحقيقة أنه ليس هناك ما يدل على ذلك فالقبران يحويان الجبرية حتى قبل الشيخ حسن كما هو واضح من قول المؤرخ فى ترجمته لأبيه (ودفن عند أسلافه بترية الصحراء) .

والأرجح أن الشيخ عبد الرحمن دفن مع أبيه فى نفس المقبرة . أما لماذا لم يوجد نقش على المقبرة يفيد هذا المعنى ، فلعله يرجع إلى اكتفاء أبناء عبد الرحمن الجبرتي بتلك الإشارة السابقة إلى الشيخ حسن الجبرتي أو لعله يرجع إلى الظروف الخاصة بتلك الإشارة السابقة إلى الشيخ حسن الجبرتي أو لعله يرجع إلى الظروف الخاصة التى أحاطت بوفاة الشيخ عبد الرحمن وفى مقدمتها التفكك الواضح الذى حدث فى أسرة الجبرتي بعد وفاة المؤرخ والذى يلمسه بوضوح فى حجج بيع أملاكه بالصناديقية .

ثانيا - أسرة الجبرتي :

تضيف وثائق المحكمة الشرعية بعض المعلومات الجديدة بالنسبة لأسرة المؤرخ . فقد ذكر المؤرخ فى ترجمته لوالده الشيخ حسن الجبرتي أن جده أم أبيه (الحاجة مريم بنت الشيخ العمدة الضابط محمد بن عمر المنزلى الانصارى) كان لها شأن كبير فى نشأة حسن وهى التى أوقفت عليه أوقافا كثيرة . والوثائق تذكرها باسم (المصونة الحاجة مريم خاتون بنت المرحوم شمس الدين المنزلى رئيس السادة الكتاب بمحكمة الصالحية النجمية) كذلك يذكر الجبرتي فى ترجمه لوالده (وتزوج بنت رمضان جلى يوسف المعروف بالخشاب تابع كور محمد وهم بيت مجد وثروة ببلاق) ولم يذكر الجبرتي اسم هذه الزوجة . ولكن الوثائق تذكر اسمها (صفية خاتون بنت المرحوم رمضان جلى الشهرير بالخشاب) .

كذلك يتضح من الوثيقة رقم (٤) والوثيقة رقم (٥) أن عبد الرحمن الجبرتي توفى عن ولد هو محفوظ وابنة هى أمان ، وأنهما اشتركا مع زوجته المسماة شوق فى وراثة

الشيخ عبد الرحمن، فباعوا منزله الجديد بالصنادقية عام ١٢٥٧ هـ، كما يتضح ذلك أيضا (أي أنهم الورثة الوحيدون) من حجة الأيلولة في البيت القديم بالصنادقية التي صدرت في سنة ١٢٦٠ هـ. كذلك يتضح من هذه الوثائق أن محفوظ هو ابن السيدة شوق وهو ليس شقيقا لخليل الجبرتي أو أمان الجبرتي. وكان الأستاذ خليل شيبوب قد كتب عن أولاد الجبرتي (فقد توفرت لدينا معلومات خاصة تدل على أن عبد الرحمن توفي عن ابنه (حسن ومحموط). ولكن الوثيقة رقم (٢) تؤكد خطأ هذا الزعم، لأن محفوظ هو الوريث الوحيد للجبرتي من المذكور - أما حسن الذي ذكره شيبوب فمن الواضح من نفس الوثيقة أنه لم يكن ابن الشيخ عبد الرحمن وإنما كان ابنا لزوجته شوق من زوجها حموده رجب.

كذلك تبدو أهمية هذه الوثائق في تحديد ابن الجبرتي الذي قتل عام ١٢٣٧ هـ في طريق شبرا - فما دام محفوظ هو الابن الذي عاش بعد أبيه فلا بد أن يكون قتل شبرا هو خليل الذي ذكره الجبرتي في تاريخه عند ترجمته لعلي بن عبد الله الرومي الدرويش. وعلى ذكر أحفاد الجبرتي، اعتقد شيبوب أنه لم يبق بعد محفوظ الجبرتي ذرية عصب من عبد الرحمن وأن أولاد توحيدة ابنة محفوظ تكنوا بكنية الجبرتي - ولكن الوثيقة رقم (٢) تطالعنا بأن خليل قتل شبرا كان له ولد اسمه محمد وأن محمدا هذا خلف ولدا اسمه خليل خيرى الذى اشترك فى بيع بيت الجبرتي القديم بالصنادقية سنة ١٢٩٩ هـ. أما بالنسبة لزوجات الجبرتي، فنحن نعلم أن الجبرتي تزوج في عام ١١٨٢ هـ. ولابد أن يكون هذا هو زواجه الأول، فقد ولد عبد الرحمن - حسب قوله في سنة ١١٦٧ هـ - وقد ذكر الجبرتي في ترجمته للشيخ عبد الله بن عبد الله ابن سلامة الإدكاوى ما نصه: (ولما زوجنى المرحوم الوالد في سنة الثنتين وثمانين وألف كتب إليه ال مهنتا ومورخا قوله: ياما جدا أقواله

فى بعض الليالى الشتوية فأيقظ النقيب لیسرج له سراجا فقام من نومه منكرها وأخذ قنديلا وذهب ليسرجه فلما عاد به وقرب من الرواق رأى نورا فستر ذلك القنديل ونظر إليه من بعد لينظر من أين أتاه الإسراج فوجده يطالع فى الكراس وهو فى يده اليسار وسبابة يده اليمنى رافعها وهى تضىء مثل الشمعة المستتيرة ويطالع فى نورها ثم دخل النقيب بالقنديل فاخفى ذلك الضوء وعلم الشيخ ذلك من النقيب فعاتبه على التجسس وأشار إليه بكتمان سره، ولم يعيش الشيخ بعد ذلك إلا قليلا، وتوفى إلى رحمة الله تعالى وخلف ابنه الشيخ على فنشأ أيضا على قدم أسلافه فى ملازمة العلم والعمل وصار له شهرة وثروة وتزوج بزینب بنت الإمام العلامة القاضى عبد الرحيم الجوينى، ومات فى حياة أخيه سنة تسع وثمانين وألف، وكان لزینب الجوينية أماكن جارية فى ملكها وقفتها على ولدى زوجها المذكورين، ولما توفى الشيخ حسن أعقب الجد ابراهيم (ص ٩٢٤) رضيعا فكفلته والدته الحاجة مريم بنت الشيخ العمدة الضابط محمد بن عمر المنزلى الانصارى، فنشأ أيضا نشوءا صالحا حتى بلغ الحلم فزوجوه بستينة بنت عبد الوهاب أفندى الدجلى فى سنة ثمان ومائة وألف، وبنى بها فى تلك السنة وحملت بالمترجم وولدت فى سنة عشر ومائة وألف، ومات والده وعمره شهر واحد وسن والده إذ ذاك ست عشرة سنة فربته والدته بكفالة جدته أم أبيه المذكورة ووصاية الإمام العلامة الشيخ محمد النشري، وقرروه فى مشيخة الرواق كأسلافه والمتكلم عنه الوصى المذكور فتربى فى حجوهم حتى ترعرع وحفظ القرآن وعمره عشر سنين، واشتغل بحفظ المتون فحفظ الألفية الجوهريه ومتن كنز الدقائق فى الفقه ومتن السلم والرحبية ومنظومة ابن الشحنة فى الفرائض وغير ذلك، واتفق له فى أثناء ذلك وهو ابن ثلاث عشرة سنة أنه مر مع خادمه بطريق الأزهر فنظر إلى

شيخ مقبل منور الوجه والشيبة وعليه جلالة ووقار طاعن في السن والناس يزدحمون على تقبيل يده ويتبركون به، فسأل عنه وعرف أنه ابن الشيخ الشرنبلالي، فتقدم إليه ليقبل يده كغيره فنظر إليه الشيخ وتوسمه وقبض على يده وقال «من يكون هذا الغلام ومن أبوه؟ فعرفوه عنه، فتبسم وقال عرفته بالشبه، ثم وقف وقال اسمع يا ولدي أنا قرأت على جدك وهو قرأ على والدي وأحب أن تقرأ على شيا وأجيزك وتتصل بيننا (ص ٩٢٥) سلسلة الإسناد وتخلق الأحفاد بالأجداد، فامتثل إشارته ولازم الحضور عنده في كل يوم وقرأ عليه متن نور الإيضاح تأليف والده في العبادا وكتب له الإجازة ونصها: «الحمد لله الذي أنعم على عبده بتوفيقه، وأرشده إلى سواء طريقه، وأذاقه حلاوة التفقه في دينه وتمام تحقيقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنعم بلطائف الإنعام وعظيمه ودقيقه، وأشهد أن سيدنا وسندنا محمد عبده ورسوله الهادي إلى الخير الكامل، والجبر الشامل، فأصبح كل أحد مغمورا في بحر وجوده، محفوظا من كيد الشيطان وجنوده وتعويقه، على اله الأظهار، وصحابته الأخيار، وبعد فقد حضر لدى الولد النجيب، الموفق اللبيب، الفطن الماهر، الذكي الباهر، سليل العلما الأعلام، ونتيجة الفضلا العظام، نور الدين حسن بن برهان الدين إبراهيم بن العلامة مفتي المسلمين وإمام المحققين، الشيخ حسن الجبرتي الحنفى رحم الله أسلافه وبارك فيه، وقرأ على متن نور الإيضاح من أوله إلى آخره تأليف والدي المدرج إلى رحمة الله تعالى سيدي وسندي الإمام العلامة الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالي، وأجزته أن يروى ذلك عنى وجميع ما يجوز لى روايته إجازة عامة كما أجازني به ونفقه أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه كما تلقى ذلك هو عن الشيخ على المقدسى شارح (ص ٩٢٦) نظم الكنز عن العلامة الشلبى شارح الكنز عن

وفعاله طاب بذكرك
يا كنز طلاب المعالي
رف جلها من در بحرك
يهنيك بملك عابد الر
حمن زاد علا بفخر
هنيته مليته
متعته يافرد عصرك
زوجته بكر الحما
سن فانشى يتلو لشكر
أبقاهما الله الكر
يم منعمين بطول عمرك
هذا هناء محبك الدا
عى لكم بسمو قدرك
والحال قد أرحته
شمس البها زلت لبدر

وبيت التاريخ قوله (شمس البها زلت لبدر) ١١٨٢ هـ
كذلك نعلم عن زوجة الجبرتي الثانية من ترجمته للشيخ على بن عبد الله الرومى الدرويش الذى زوج الجبرتي ربيته عام ١١٩٥ هـ (وهى أم الولد خليل فتح الله عليه) - وشيوب يعتقد أن الجبرتي لم يتزوج بعد ذلك. ولكن الوثائق رقم (٢) ورقم (٤) ورقم (٥) تذكر السيدة شوق على أنها الزوجة الوحيدة التى عاشت بعد الجبرتي، وهى ابنة الشيخ نصار نجم، فهى إذا ليست ربية عبد الله درويش الرومى الزوجة الثانية. فهل هى الزوجة الأولى التى تزوجها الجبرتي عام ١١٨٢ هـ. لا يبدو ذلك، فهى الزوجة الوحيدة التى عاشت بعد الجبرتي على الأقل لعام ١٢٦٠ هـ، هذا إلى جانب أن أحد أبنائها من غير الجبرتي وهو حسين بن حمودة رجب عاش حتى عام ١٢٩٩ هـ (الوثيقة ٢) واشترك فى بيع بيت الجبرتي القديم بالصنادقية بعد أن ورث أمه فى حصتها فى هذا المنزل. وكل هذا يرجح أنها ليست الزوجة الأولى، وأغلب الظن أنها زوجة ثالثة - كما يرجح أنها تزوجت بحمودة رجب وأنجبت حسن وحسين بعد وفاة الجبرتي وهما المذكورين فى (الوثيقة ٢) وليس قبل زواجها

القاضي عبد البر بن الشحنة عن المحقق الكمال بن الهمام
عن سراج الدين قارئ الهداية عن علاء الدين السيرامي
عن السيد جلال الدين شارح الهداية ، عن علاء الدين بن
عبد العزيز البخاري ، عن حافظ الدين صاحب الكنز ، عن
شمس الأئمة الكردي ، عن برهان الدين صاحب الهداية ،
عن فخر الإسلام البزدوي ، عن شمس الأئمة السرخسي ،
عن شمس الأئمة الحلواني ، عن القاضي ابن علي النسفي ،
عن الإمام محمد بن الفضل البخاري ، عن عبد الله
السندموني

عن الأمير عبد الله بن أبيه حفص البخاري عن أبيه
المذكور ، عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، عن الإمام
أبي يوسف عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت
رضي الله عنه ، عن الإمام حماد بن سليمان ، عن إبراهيم
النخعي ، عن الإمام علقمة ، عن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم ، عن أمين الرحي جبريل عليه
السلام ، عن الله عز وجل ، وأوصى الولد الأعز بالتقوى
ومراقبة الله في السر والنجوى ، والله تعالى يوفقه وينفع به
وبعلومه ويهدينا وأياه لما كان عليه السلف الصالح في
أساس الدين ورسومه . قال ذلك الفقير إلى الله تعالى حسن
بن حسن الشرنبلالي الحنفي في ثالث ربيع الأول من سنة
ثلاث وعشرين ومائة وألف ، وتوفي الشيخ في آخر تلك
السنة وقد جاوز التسعين ، واشتغل المترجم واجتهد في طلب
العلوم وحضر (ص ٩٢٧) أشياخ العصر وتفقه على الإمام
العلامة السيد علي السيواسي الضري ، وحضر عليه شرح
الكنز للعيني والدر المختار وكتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم
وشرح المنار لابن فرشته وشرح التحرير للكمال بن الهمام

من عبد الرحمن .
أما البنت الوحيدة التي عاشت بعده ، فهي
أمان حسب ما تفيد الوثائق وهي ليست ابنة
لزوجة شوق كما هو واضح . فهل هي أخت
شقيقة لخليل ؟ ليس هناك ما يؤكد ذلك ؛
ولكن من المؤكد أنها لم تخلف من بعدها
بدليل أن أخيها غير الشقيق قد ورثها .
(الوثيقة رقم ٢) .

أما محفوظ الذي يذكر كثير في هذه الوثائق
فمن الواضح أنه ابن الشيخ عبد الرحمن من
السيدة شوق . ويبدو أنه كان أصغر سناً من
أمان ، كما يبدو أنه كان مسئولاً إلى حد كبير
عن تبيد ثروة الأسرة . فهو الذي باع بيت
والده الجديد بالصنادقية ، وحين باعت ابنته
فاطمة (أم فرج) البيت القديم بالصنادقية لم
تسلم شيئاً لا هي ولا خليل خيري بن محمد
بن خليل الجبرتي لأن حصتهما كانت دينا
على محفوظ .

ثالثاً - عبد الرحمن الجبرتي :
لا تحمل هذه الوثائق توقيع الشيخ عبد
الرحمن الجبرتي لأن حجج هذا العصر كانت
تحمل توقيع الشهود فقط - وتشير إلى لقب
للشيخ عبد الرحمن - لا نراه في كتب
التاريخ - وهو زين الدين (الوثيقة رقم ٣) .
كما تشير هذه الوثائق إلى المرخ بقولها
(مولانا العلامة الشيخ عبد الرحمن الشهير
بالجبرتي ابن المغفور له الشيخ حسن أفندي
الجبرتي الحنفي) . كما تشير إليه أيضاً بقولها
(فخر الفضلاء العظام عمدة البلغا الكرام فخر
المدرسين الفخام مفيد الطالبين بإفهام زين
الشرعية والملة والدين مولانا العلامة الخبر
البحر الفهامة عبد الرحمن الشهير بالجبرتي
ابن خاتمة المحققين المندرج إلى أعلى عليين
المغفور له العلامة الشيخ حسن أفندي الجبرتي
الحنفي من أعيان أهل الإفادة والتدريس
بالجامع الأزهر هو حالا كوالده المذكور كان)
(وثيقة رقم ٣) .

ولما كان هذا القول قد ورد في وثيقة سنة
١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) فهو دليل على أن
عبد الرحمن الجبرتي كان حتى ذلك الوقت
وقبل وفاته بسبعة أعوام تقريباً يقوم بالتدريس

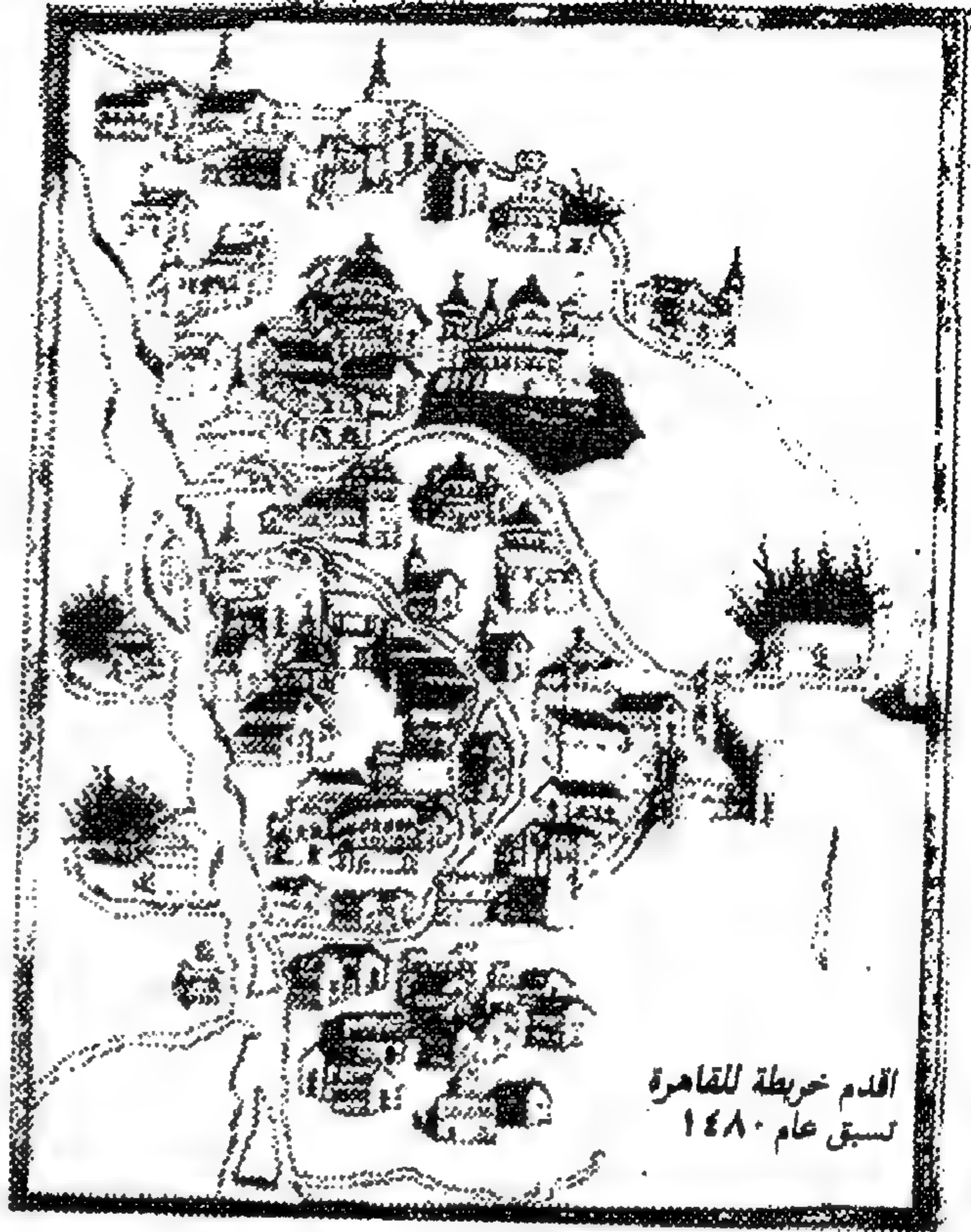
وشرح جمع الجوامع ومختصر السعد، وعلى العلامة الشيخ أحمد التونسي المعروف بالدقدوسي الحنفى شرح الكنز للعلامة الزيلعى والدرر لملا خسرو والسيد على السراجية فى الفرائض وشرح منظومة بن الشحنة فى الفرائض والشنشورى على الرحبية والتلخيص ومتن الحكم وشرح التحفة، وعلى الشيخ على العقدى الحنفى ملامسكين على الكنز ومتن الهداية والسراجية والمنار والنزة فى علم الغبار والقلصادى ومنظومة ابن الهائم وعلى الفقيه محمد بن عبد العزيز الزياى الحنفى ملتقى الأبحر وفتح القدير، والحكم لابن عطاء الله والقدرى وعقود الجمان فى المعانى والبيان وإيساغوجى، وعلى الشيخ الفقيه المحدث الشهاب أحمد بن مصطفى الاسكندرى الشهير بالصباغ شرح الكبرى وأم البراهين وشرح العقائد والمواقف وشرح المقاصد للسعد والكشاف والبيضاوى والشمايل والصحيحين رواية ودراية والأربعين النووية والمشارك والقطب على الشمسية والمواهب اللدنية وشرح النخبة، وعلى الشيخ منصور المنوفى شرح ابن عقيل على الألفية والشيخ خالد على الآجرومية والأزهرية والتوضيح وشرح تصريف العزى وشرح التلمسانية (ص ٩٢٨) واخبيصى على التهذيب، وشرح الإسلام على الخرجية، وعلى الشيخ عيد النمرسى شرح الورقات والسمرقندية وآداب البحث والعصية والعصام على السمرقندية وعلم الجبر والمقابلة والعروض وأعمال المناسخات والكسورات والأعداد الصم والغربال والمساحة والحساب، وعلى الشيخ شلى البرلسى تلخيص المفتاح والمطول والتجريد، وعلى الشيخ محمد السجيني الضيرير المكودى على الألفية والفاكهى وشرح الشذور وملاجمى،

فى الأزهر. ١
ولما كانت هذه الوثيقة هى حجة إتمام شراء الجبرتى لبيته الجديد بالصنادقية فهى دليل على أن الجبرتى حتى عام ١٢٣٣ هـ كان مرسرا إلى حد ما، فقد دفع ثمنه له ٩٩٠ ريالاً مصرياً، تبرع منها بثلاثمائة ريال (على سبيل الصلة والمعروف وقطعا لمادة الخصام والنزاع)، وهى حقيقة تعكس طبيعة الجبرتى الهادئة الكريمة.

كذلك يستتبع مما جاء فى الوثيقة رقم (٢) أن الجبرتى تولى مشيخة رواق الجبرية. فقد ذكرت الوثيقة ما بهلى (الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى لجل المرحوم الشيخ حسن أفندى الجبرتى الحنفى شيخ رواق السادة الجبرت بالرواق داخل الجامع الأزهر هو كوالده كان). وبلاحظ كذلك أن جميع الوثائق تشير إلى الشيخ حسن الجبرتى بقولها (حسن أفندى الجبرتى) وهو لقب لم تطلقه هذه الوثائق على الشيخ عبد الرحمن، وكان اللقب لا يطلق إلا على من تولى وظيفة القضاء أو الافتاء.

رابعاً: بيتا الجبرتى بالصنادقية
المعتقد بين بحاث التاريخ أنه كان للشيخ عبد الرحمن بيت واحد بالصنادقية، وصفه خليل شيرب بقوله: «وتقع هذه الدار إلى يمين السالك فى الخطة (الصنادقية) من جهة الأزهر على بعد خطوات من مدرسة السنائية قبل خان الجلابة». ومن المؤكد أن هذا المنزل هو الذى ورثه عبد الرحمن عن والده، فقد ذكرته الوثيقة رقم (٢) بقولها (المعروف بإنشاء وتجديد وسكن الشيخ حسن أفندى الجبرتى). ونحن نعلم أن الشيخ عبد الرحمن كان قد رأى فى سنة ١١٩١ أن يهدم هذا الدار لينبها من جديد وأنه أتم ذلك فى سنة ١١٩٢. فقد ذكر الجبرتى فى ترجمته للشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوى ما نصه: «ولما عمر الفقير جامع هذه الشوارد داره التى بالصنادقية بالقرب من الأزهر فى سنة إحدى وتسعين ومائة ألف عمل المترجم أبياتا وتاريخا قمت بطراز مجلس العقد الداخلى وهى:

خليلي هذا الروض فاحت زهوره
 ولاح على الأكوان حقا ظهوره
 وزاد لناء عبق الجمر طيبه
 قمته عبير المسك طاب عبوره
 سما في سماء الكون فانتهج العلا
 برفعتته وازداد سرا سروره
 ألم تر أجسام الوجود تراقصت
 وجاء التهاني باسمات ثغوره
 مكان على التقوى تأسس مجده
 من سور التوفيق والهدى سروره
 وفردوس عدن فاح فوح نسيمه
 وحففته ولدان النعيم وحوره
 ومجلس أنس كل ما فيه مشرق
 ومقعد صدق قد تسمى حوره
 بناء يروق العين حسن جماله
 وروفته يشفى الصدور صدوره
 ومن مجد بانيه تزايد بهجة
 وقلد من در المعالي نحوره
 عزيز بنى بيت المكارم فانتجت
 تغنى به حمدا ومدحا طيبوره
 وأحيا رسوم المجد والفخر والتقى
 وزانت بأعلام الكمال سطوره
 فلا زال فيه الفضل تسمو ضموره
 وتسمو على كل البدور بدوره
 ودام به سعد السعود مؤرخا
 حمى العز بالمولى الجبرتي نوره
 وتحدد الوثيقة (١) مكان المنزل على النحو
 التالي (المكان الكائن بمصر المحروسة تجاه
 الجامع الأزهر بخط الخراطين وهو خط
 العنادقية) بالقرب من مدرسة السنانية المجاور
 لوكالة المرحوم الخواجا جمال الدين الذهبي
 شاه بندر التجار بمصر كان المعروف بخان
 النشارين) - وتحدده الوثيقة رقم (٢) تحديدا
 أدنى على النحو التالي (الحد القبلي ينتهي
 سفلا لطريق الشارع وفيه باب المكان
 والحائوت المذكورين وعلو الشارع المرقوم
 وطوله عشرة أمتار وثلاثون سائتي متر والحد
 المذكورين وعلو الشارع المرقوم وطوله عشرة
 أمتار وثلاثون سائتي متر والحد الغربي ينتهي
 سفلا وعلو للوكالة المعروفة بوكالة القفاصين
 الجارية في وقف المرحومة الست زينب



وشرح مختصر ابن الحاجب والمطول، وعلى الشيخ أحمد
 العماوى شرح الجوهرة لعبد السلام والسكتانى على
 الصغرى وشرح مختصر السنوسى والكافى ونوادير الأصول
 والجامع الصغير وشرح المقاصد، وعلى الشيخ حسن
 المدابغى الأشمونى على الألفية وشرح المراح وقواعد
 الإعراب والمغنى، وعلى الشيخ الملوى شرحه على السلم
 وشرح معراج الغيطى وأوضح المسالك وأوائل الكتب الستة
 والمسلسلات والمستندات. وحضر أيضا دروس الشيخ عبد
 الرؤف البشبيشى وأبو العز العجمى وغيرهما، وجد فى
 التحصيل حتى فاق أهل عصره وباحث وناضل ودرس
 بالرواق فى الفقه والمعقول وبالسنانية ببولااق، وكان لجدته أم
 آية مكان مشرف على النيل بربع الخرنوب عندما كان النيل
 ملاصقا لسدته فسكنها مدة فكان يغدو إلى الجامع ثم يعود

البارودية بنت اسماعيل بن علي، والحد الشرقي ينتهي سفلا لحانوت وحاصل بوكالة النشارين الجاريين في وقف السلطان إينال نظارة سعادة مولانا خديو مصر، وعلوا ينتهي لوكالة النشارين المذكورة الجارية في وقف السلطان إينال المذكور وطول كل من الحدين المذكورين اثني عشر مترا وخمسة وعشرون سائتي متر. والحد البحري ينتهي سفلا وعلوا لوكالة النشارين المذكورة وطوله عشرة أمتار وعشرون سائتي متر، فجملة مسطح أرض ذلك مائة واحدة وأربعة وعشرون مترا وخمسة وسبعون سائتي متر.

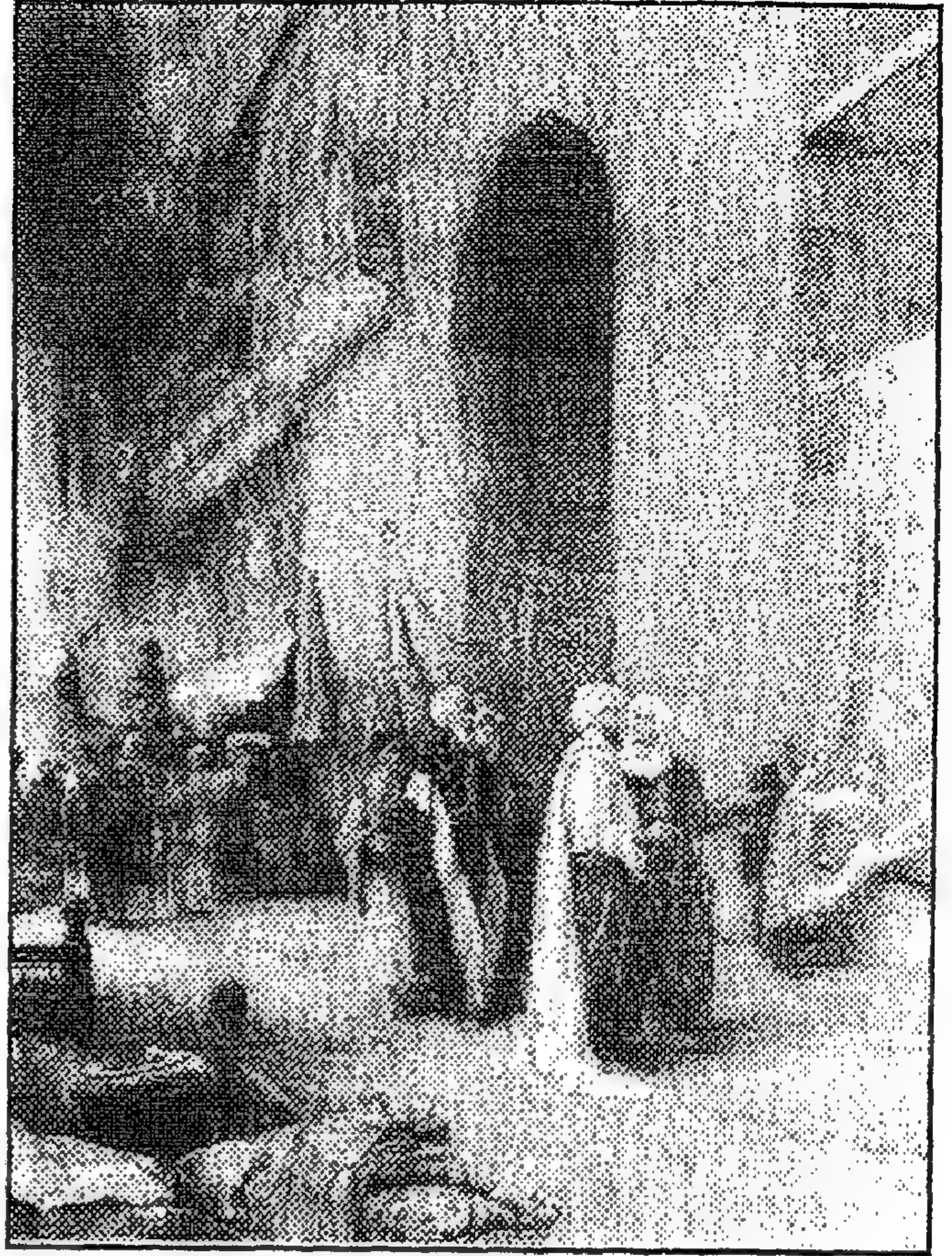
أما بالنسبة لداخل هذا المنزل فيحسن أن نقل هنا وصفه من الحجة المؤرخة في ١٢٠١ هـ لأن ذلك البيت تم تعميره في سنة ١١٩٢ هـ. تقول هذه الوثيقة في وصف داخل المنزل (المشتمل .. على واجهة غربية [المقصود هنا القبلة لأن النيل بالنسبة لهم كان الحد الشرقي] بها حانوت وباب مقنطر يدخل منه إلى حوش لطيف سقف بعضه به منور وبهر ماء معين وسلم يتوصل منه إلى أروقة مركبة على بعضها بعضا مظلة على الشارع السالك علو الواجهة المذكورة، وجميع خلو الطبقة التي من جملة الأربعة طباق الكائنة بالربع الذي علو خان النشارين بمصر المحروسة بخط الخراطين المذكور قريبا من الجامع الأزهر بالدور العلوي لسكن عبد الرحيم الشامي المختلطة الطبقة المذكورة الآن بالمكان المذكور وصارت من جملة منافعه وحقوقه ، واستجد بذلك من الأبنية بالصفة التي هو عليها الآن والمعلوم ذلك عندهما [البائع هنا هو عبد الرحمن الجبرتي] شرعا والجاري أصل الطبقة المذكورة في وقف المرحوم أحمد بن السلطان إينال وخلو الطبقة المذكورة مع ملك المكان المذكورة في تصرف وانتفاع الشيخ زين الدين عبد الرحمن الجبرتي.

وقد باع الجبرتي هذا البيت في عام ١٢٠١ هـ بثمن قدره ١٢٣ ١/٤ ربالا أبو طاقة - ونحن نعلم أن الجبرتي استرد هذا المنزل في العام التالي، فقد كتب على هامش الوثيقة

إلى بولاق، وله حاصل برقع الخرنوب يجلس فيه حصّة ثم يعود إلى السنانية فيملى هنا درسا ثم احترق ذلك المنزل بما فيه وتلفت فيه أشياء كثيرة من المتاع والصيني القديم فانتقلت إلى مصر، وكانوا يذهبون إلى مكان لها بمصر العتيقة (ص ٩٢٩) في أيام النيل بقصد النزاهة، وهي التي أعانته على تحصيل العلوم حتى أنه كان يقول «ما عرفت المصرف واحتياجات المنزل والعيال إلا بعد موتها» ومع اشتغاله بالعلم كان يعاني التجارة والبيع والشراء والمشاركة والمضاربة والمقايضة، وكانت جدته ذا غنى وثروة ولها أملاك وعقارات ووقفت عليه أماكن منها الوكالة بالصناديق والحوانيت بجوارها وبالفورية ومرجوش ومنزل بجوار المدرسة الأقباوية، ورّبت في وقفها عدة خيرات ومكتب لإقراء أيتام المسلمين بالحنوت المواجه للوكالة المذكورة وربعة تقرأ في كل يوم وختمات في ليالي المواسم وقصعتين ثريد في كل ليلة من ليالي رمضان وثلاث جواميس تفرق على الفقهاء والأيتام والفقراء في عيد الأضحى، وتزوج بجدته المذكورة بعد موت جده الأمير علي أغا باش اختيار متفرقة المعروف بالطوري، وتزوج المترجم بابنته وله حكم قلاع الطور والسويس والمويلح وكانت إذ ذاك عامرة وبها المرابطون ويصرف عليهم العلوقا والاحتياجات، ولما مات علي أغا المذكور سنة سبع وثلاثين تقلد ذلك بعده المترجم مدة مع كونه في عداد العلماء ورّبي معتوقيه عثمان وعلياً ولم يزالا في كنفه حتى ماتا بعد مدة طويلة وأرسل خادما له يسمى سليمان الحصافي جرجيا على قلعة المويلح فقتلوه هناك فتكدر لذلك وترك هذا الأمر وأعرض عنه وأقبل على شأنه من الاشتغال، وماتت زوجته بنت الأمير علي أغا المذكور

(صدر تقايل شرعى [أى فسخ العقد شرعا])
من الحاج محمد بن عبد الله محمود المذكور
قرينه للشيخ عبد الرحمن الجبرتي المذكور
قرينه فى كل ما هو مقيد قرينه بموجب حجة
شرعية مسطرة من الصالحية النجمية بمصر
مؤرخة فى تاسع عشر ربيع الثانى سنة اثنين
ومايتين وألف سنة ١٢٠٢) كذلك ورد فى
الوثيقة رقم (٢) أن ورثة الجبرتي قد باعوا هذا
المنزل فى سنة ١٢٩٩ هـ بمبلغ قدره ١٤٠
جنيها ذهباً.

غير أن المؤرخين لا يذكرون شيئا عن منزله
الآخر بالصناديقية الذى كان، كما يفهم من
الوثائق، فى مواجهة المنزل الأول الذى ورثه
عن أبيه. ومن الواضح من الوثيقة رقم (٣)
أن الجبرتي اشترى هذا المنزل الثانى بخط
الصناديقية سنة ١٢٣٣ هـ. ونحدد الوثائق هذا
المنزل على النحو التالى (المكان الكائن بمصر
المحروسة بخط الخراطين قريبا من مدرسة
السناية والجامع الأزهر على يسرة السالك
طالب للأشرفى وسوق العطارين البلدى،
الجارى أصل ذلك فى وقف المرحوم جوهى
القنباى) ثم صف هذه الوثائق داخل المنزل
على النحو التالى (المشتمل .. على باب
بالشارع الأعظم يمينه الطالب لمدرسة
السناية، يدخل من الباب المذكور إلى دهليز
به باب استثنى يدخل منه إلى حوش به يمينه
قنطرة سفلىها معالم منظره يقابلها واجهة البناء
سفلىها بير علو الدهليز - والقنطرة والسبيل
المركب على القنطرة والسبيل المركب على
القنطرة وحائط البير كامل علو ذلك من
حقوق الغير ولم يكن داخل فى عقد ذلك،
فيما بين المنظره وواجهة البير باب يدخل منه
إلى اسطبل علوه مقعد يتوصل إليه من سلم
علو ذلك من حقوقه - وبالحوش يسرة
الطالب للاسطلل باب يدخل منه إلى دهليز
علوه من حقوق الغير، بالدهليز باب يدخل
منه إلى رحاب مفروش بالرخام القديم به باب
يدخل منه إلى قاعة تحوى إيوانين ودرج قاعة
بها بابان إحداهما يدخل من إلى مجازيه به
كرسى راحة وسلم يتوصل منه إلى أغالى
والسطح العالى على على ذلك وهو علو



فى حياة أبيها فتزوج بنت رمضان جلى بن يوسف
المعروف بالخشاب تابع (ص ٩٣٠) كور محمد وهم بيت
مجدوثرية ببولاق ولهم أملاك وعقارات وأوقاف. ومن
ذلك وكالة وربيع وحوانيت تجاه جامع الزردكاش وبيت كبير
بساحل النيل وآخر تجاه جامع مرزة جريجى وهو سكن
رمضان جلى المذكور وكان إنسانا حسنا رقيق الحاشية وفيه
فضيلة وسليقة جيدة، ومن نظمه فى إعارة الكتب قوله:

كتابك لا تعمره ولا لألف

فإنك لا تعود لذاك تلفى

فخذ قولى وشد يدا عليه

فإن خالفت فقدك فيه يكفى

ولست مقلدا فى النصح بل قد

تكرر فقد ما أعطته كفى

فإن الجأت للإعطاء فاقبض

نظيرا مثله إن كان يكفي

وإن ترم اسم ناظمه حسابا

فضف أحدا إلى تسعين ألف

المقعد المذكور، والباب الثاني يدخل منه إلى مطبخ تجاهه قاعة صغيرة وسلم يتوصل منه إلى طبقة وإلى سطح صغير وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق الداخلية فيه والخارجة عند دخلا العلو المرقوم فإنه من حقوق الغير).

ويلاحظ بالنسبة للوكالات المجاورة للبيتين، إن وكالة الشارين هي نفسها وكالة السلطان أحمد بن اينال وهي على يسرة البيت القديم، ووكالة القفاصين وهي على يمنة البيت القديم ومن المحتمل أنها هي أيضا وكالة الجلابة التي وردت في الوثيقة رقم (٣).

الوثيقة رقم (١)

١٤ رمضان سنة ١٢٠١

الأمر كما ذكر فيه

ختم: توكل على خالقي عبده حسن
نمقه الفقير إليه عز شأنه حسن المولى خلاله
(المولى خلاله) بمصر المحروسة غفر له
هو إنه بمجلس الشرع الشريف الأنور
بمحكمة الجامع الحاكمي بمصر المحروسة
لدى سيدنا ومولانا فخر قضاة الإسلام وكمال
ولاية الأنام الحاكم الشرعي الحنفى الموقع خطه
الكريم أعلاه دام علاه أمين بحضرة كل من
المكرم الحاج أحمد جميلان ابن المرحوم على
والأمثل المكرم منلا مصطفى رضوان بن
المرحوم يوسف اسلامبولي والسيد الشريف
مصطفى الجرجلي ابن المرحوم السيد صالح
والشيخ محمد أحمد الرفاعي القباني برأس
خان الخليلي دام كمالهم أمين اشترى فخر
أمثاله الكرام الحاج محمد بن عبد الله
معتوق المرحوم السيد الشريف محمود ناظر
الكسوة الشريفة كان بماله لنفسه من بايعه
الشيخ الإمام الفاضل الهمام سليل العلماء
الكرام زين الدين عبد الرحمن الجبرتي
الحنفى ابن المرحوم العلامة الشيخ بدر الدين
حسن الجبرتي الحنفى شيخ مشايخ أهل
الإفادة والافتاء والتدريس بالجامع الأزهر كان
فباعه جميع المكان الكاين بمصر المحروسة
تجاه الجامع الأزهر بخط الخراطين بالقرب من
مدرسة السناية المجاور لوكالة المرحوم الخواجا

[ومات] رمضان جليبي المذكور سنة تسع وثلاثين ومائة
وآلف، واستمرت ابنته في عصمة المترجم حتى ماتت في
المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائة وآلف وعمرها ستون سنة،
وكانت من الصالحات الخيرات المصونات، وحجت صحبته
في سنة إحدى وخمسين، وكانت به بارة وله مطيعة، ومن
جملة برها له وطاعتها أنها كانت تشتري له من السراى
الحسان من مالها وتنظمهن بالحلى والملابس وتقدمهن إليه
وتعتقد حصول الأجر والثواب لها بذلك، وكان يتزوج
عليها كثيرا من الحرائر ويشترى (ص ٩٣١) الجوارى فلا
تتأثر من ذلك ولا يحصل عندها ما يحصل فى النساء من
الغيرة، ومن الوقايح الغريبة أنه لما حج المترجم فى سنة ست
 وخمسين واجتمع به الشيخ عمر الحلبي بمكة، أوصاه بأن
يشترى له جارية بيضاء تكون بكرا دون البلوغ وصفتها كذا
وكذا، فلما عاد من الحج طلب اليسرجية الجوارى لينتفى
منهن المطلوب فلم يزل حتى وقع على الغرض فاشتراها
وأدخلها عند زوجته المذكورة حتى يرسلها مع من أوصاه
بإرسالها صحبته، فلما حضر وقت السفر أخبرها بذلك
لتعمل لهم ما يجب من الزوادة ونحو ذلك، فقالت إنى
أحببت هذه الوصيفة حبا شديدا ولا أقدر على فراقها وليس
لى أولاد وقد جعلتها مثل ابنتى والجارية بكت أيضا وقالت
لا أفارق سيدتى ولا أذهب من عندها أبدا، فقال وكيف

يكون العمل ؟ قالت ادفع ثمنها من عندي واشتر أنت غيرها ففعل. ثم إنها اعتقتها وعقدت له عليها وجهزتها وفرشت لها مكانا على حداثها وبنى بها في سنة خمس وستين وكانت لا تقدر على فراقها ساعة مع كونها صارت ضررتها وولدت له أولادا، فلما كان في سنة اثنتين وثمانين المذكورة مرضت الجارية فمرضت لمرضها وثقل عليهما المرض فقامت الجارية في ضحوة النهار فنظرت إلى مولاتها وكانت في حالة غطوسها فبكت وقالت «إلهي وسيدي إن كنت قدرت بموت سيدتي اجعل يومي قبل يومها، ثم رقدت وزاد بها الحال وماتت تلك الليلة فأضجعوها بجانبها فاستيقظت مولاتها آخر الليل وجستها بيدها وصارت تقول زليخا زليخا فقالوا لها إنها نائمة فقالت إن قلبي (ص ٩٣٢) يحدثني أنها ماتت ورأيت في منامي ما يدل على ذلك فقالوا لها حياتك الباقية، فلما تحققت ذلك قامت وجلست وهي تقول: لا حياة لي بعدها وصارت تبكي وتنتحب حتى طلع النهار وشرعوا في تشهيلها وتجهيزها وغسلوها بين يديها وشالوا جنازتها ورجعت إلى فراشها ودخلت في سكرات الموت وماتت آخر النهار وخرجوا بجنازتها أيضا في اليوم الثاني، وهذا من أعجب ما شاهدته ورأيت ووعيته، وكان سني إذ ذاك أربع عشرة سنة. واشتغل المترجم في أيام اشتغاله بتجويد الخط فكتب على عبد الله أفندي الأنيس وحسن أفندي الضيائي طريقة الثلث والنسخ حتى أحكم ذلك وأجازه الكتبة وأذنوه أن يكتب الإذن على اصطلاحهم ثم جود في التعليق على أحمد أفندي الهندي النقاش لفصوص الخواتم حتى أحكم ذلك وغلب على خطه طريقته ومشى عليها، وكتب الديواني والقرمة وحفظ

جمال الدين الذهبي شاه بندر التجار بمصر كان المعروف بخان النشارين وكالة السلطان أحمدان ابنال المعروف المكان المذكور سابق بانشا وتجديد وسكن المرحوم الشيخ حسن أفندي الجبرتي والد البايع المذكور المشتغل ذلك بدلالة حجة التبايع الشرعية المسطرة من الصالحية النجمية بمصر المؤرخة في حادي عشرين رمضان سنة تسعين ومائة وألف وحجة التقايل الشرعية المسطرة من الباب العالي بمصر المؤرخة في خامس عشرين جماد أول سنة سبع وتسعين ومائة وألف على واجهة غربية بها حائوت وباب مقنطر يدخل منه إلى حوش لطيف سقف بعضه به منور وير ماء معين وسلم يتوصل منه إلى أروقة مركبة على بعضها بعضا مظلة على الشارع السالك علو الواجهة المذكورة وجميع خلو الطبقة التي من جملة الأربع طباق الكاتبة بالربع الذي علو خان النشارين بمصر المحروسة بخط الخراطيين المذكور قريبا من الجامع الأزهر بالدور العلوي. الجاور لسكن عبد الرحيم الشامي المختلطة الطبقة المذكورة الآن بالمكان المذكور وصارت من جملة منافعه وحقوقه وما استجد بذلك من الأبنية بالصفة التي هو عليها الآن المعلوم ذلك عندهما شرعا والجاري أصل الطبقة المذكورة في وقف المرحوم أحمد ابن السلطان ابنال وخلو الطبقة المذكورة مع ملك المكان المذكور في تصرف وانقطاع الشيخ زين الدين عبد الرحمن الجبرتي البايع المذكور وبه وحوزه وتصرفه واختصاصه الشرعي بمفرده إلى تاريخه يشهد له بذلك حجتي التبايع والتقابل المحكي تاريخهما أعلاه وله ولاية بيع ذلك وقبض ثمنه بالطريق الشرعي وبالتصادق على ذلك اشترى صحيحا شرعا وبما يتألفا لازما ناجزا محررا مرعا العقد بينهما في ذلك يوم تاريخه بإيجاب وقبول شرعيين بمن قدره عن ذلك من الرهالات الحجر الابي طاقة مائة ريال واحدة وثلاثة وعشرون ريالاً وربع ريال حجرا بطاقة ثمانية أقالا مقبوض ذلك من الحاج أحمد محمود المشتري المذكور بيد الشيخ زين الدين عبد الرحمن

الجبرتي البايع المذكور قبضا شرعيا بتمام ذلك
وكماله باعترافه بذلك لشهوده ومن ذكر
أعلاه في يوم تاريخه الاعتراف الشرعي ولم
يتأخر له قبله من كامل ذلك ولا من بعضه
مطالبة ولا شيء قل ولا جل واعترف المشتري
المذكور بتسلم ذلك وحيازته لنفسه التسلم
والحيازة الشرعيين بعد النظر والمعرفة والإحاطة
بذلك علما وخبرة نافيتين للجهالة شرعا
وبمقتضى ذلك صار الحاج محمد محمود
المشتري المذكور يستحق ملك كامل المكان
وملك خلو الطبقة المتداخلة به المبتاعين
المذكورين أعلاه يتصرف في ذلك لنفسه
بمفرده خاصة بساير وجوه التصرفات
الشرعية دون البايع المذكور ودون كل أحد
ويقوم بما على ذلك من الحكم لجهة وقف
أصل المذكور حكم المعتاد الجاري به العادة
الصيرورة والاستحقاق والتصرف والقيام
الشرعيات بالطريق الشرعي للمقتضى
المشروح وتصادقا على ذلك وذلك بعد أن
تقابل الحاج محمد محمود المشتري المذكور
مع الشيخ زين الدين عبد الرحمن البايع
المذكور أحكام التبائع الشرعي الصادر فيما
قبل تاريخه منه له في كامل ما ذكر بأعليه
المعين ذلك بالحجة الشرعية المسطرة من
الصالحية النجمية بمصر المؤرخة في ثلثي
عشر رمضان سنة مائتين وألف تقايلا شرعيا
وتفاسخا أحكام ذلك تفاسخا مرعيا وتسلم
كل منهما ما وجب له تسلمه شرعا
باعترافهما بذلك الاعتراف الشرعي وصار
العمل والمعمل على ما نص وشرح أعلاه
التصادق الشرعي المقبول وثبت لاشهاد بذلك
لدى مولانا أفندي المومي اليه بشهادة شهوده
ثبوتا شرعيا وحكم بموجب ذلك حكما
شرعيا تحريرا في رابع عشر رمضان سنة واحد
ومايتان وألف شهوده
إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء
صدر تقايل شرعي من الحاج محمد بن عبد
الله محمود المذكور قرين الشيخ عبد
الرحمن الجبرتي المذكور قرينه في كامل ما
هو مقيد قرينه بموجب حجة شرعية مسطرة
من الصالحية النجمية بمصر مؤرخة في تاسع

الشاهدي واللسان الفارسي والتركي حتى أن كثيرا من
الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم لفصاحته
في التكلم بلسانهم ولغتهم، وفي سنة أربع وأربعين اشتغل
 بالرياضيات فقرأ على الشيخ محمد النجاشي رقايق الحقائق
للبسط المارديني والمجيب والمقنطر ونتيجة اللاذقي والرضوانية
والدر لا بن المجدي ومنحرفات السبط، وإلى هنا انتهت
معرفة الشيخ النجاشي وعند ذلك انفتح له الباب، وانكشف
عنه الحجاب، وعرف السمات والارتفاع والتقاسيم والأرباع
والميل الثاني والأول والأصل الحقيقي والمعدل وخالط أرباب
المعارف، وكل من كان (ص ٩٣٣) من بحر الفن غارف،
وحل الرموز، وفتح الكنوز، واستخرج نتائج الدر اليتيم،
والتعديل والتقويم، وحقق أشكال الوسائط في المنحرفات
والبسائط والزيج والمخلولات وحركات التداوير والنطاقات
والتسهيل والتقريب والحل والتركيب والسهام والظلال
ودقائق الأعمال وانتهت إليه الرياسة في الصناعة، وأدعت
له أهل المعرفة بالطاعة، وسلم له عطار وجمشيد الراصد
وناظره المشتري وشهد له الطوسي والأبهرى، وتبوا من ذلك
العلم مكانا عليا وزاحم بمنكبه العيوق والشراب وقدم القدوة
العلامة والحكيم الفهامة الشيخ حسام الدين الهندي. وكان
متضلعا من العلوم الرياضية والمعارف الحكمية والفلسفية،
فنزل بمسجد في مصر القديمة واجتمع عليه بعض الطلبة
مثل الشيخ الوسيبي والشيخ أحمد الدمنهوري وتلقوا عنه
أشياء في الهيئة، فبلغ خبره المترجم فذهب إليه للأخذ عنه،
فاغتبط به الشيخ وأحبه، وأقبل بكلية عليه فلم يزل به حتى
نقله إلى داره وأفرد له مكانا وأكرم نزله وقام بأوده وطالع
عليه الجغميني وقاضي زاده والتبصرة والتذكرة وهداية

عشر ربيع الثاني سنة الثين ومايتين وألف سنة
١٢٠٢.

الوثيقة رقم (٢)

١٢ رجب سنة ١٢٩٩

مافيه من البيع والشرا

نمقه الفقير إليه عز شانه المتشرف برتبة مكة
المكرمة قيوحقلبي زاداه السيد عبد الرحمن
ناقلد القاضي بمصر اخروسة عفى عنهما
ختم : محكمة مصر الشرعية الكبرى ختم:
السيد عبد الرحمن نافذ
هو أنه بالقسمة العسكرية بمصر اخروسة بعد
أن أحال حضرة سيدنا ومولانا فخر السادة
الموالي العظام قاضي قضاة الإسلام يومئذ
بمصر المحمية الموقع خطه الكريم دام اعلاه
أمين النظر في شأن ما سيدكر فيه على
حضرة العلامة الشيخ راشد أفندي أحد
عضوى المجلس الشرعى بهذه المحكمة فلهذه
بالمجلس المشار إليه بحضرة كل من المكرم
حسن أفندي عثمان الدخاخنى الساكن بدرب
سعادة بتمن الدرب الأحمر ابن المرحوم
عثمان محمد الدمياطى ابن محمد الدمياطى
والمكرم السيد على عاشور العطار بخط الأزهر
الساكن بحارة الدويدارى بتمن الجمالية بمصر
ابن المرحوم محمد عاشور ابن عمر عاشور
دام كما لهم آمين. اشترى المكرم الحاج منلا
محمد حسين الاصفهاني الساكن بالمكان
الآتى ذكره فيه ابن المرحوم عبد الهادى
الاصفهاني ابن المرحوم الحاج على بماله
لنفسه من بايعه الثلاثة هم المكرم خليل
خيرى المستخدم بالسكة الحديد سابقا
الساكن بخط الواجبة ببوراق ابن المرحوم
محمد خليل الجبرتي ابن المرحوم خليل
الجبرتي ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن
الجبرتي الحنفى لمجل المرحوم الشيخ حسن
أفندي الجبرتي الحنفى شيخ رواق السادة
الجبرت بالرواق داخل الجامع الأزهر هو
كوالده كان والمكرم حسين رجب الدلال
بسوق النحاسين بمصر الساكن بوكالة
الوش بخط وتمن الجمالية ابن المرحوم
حمودة رجب ابن المرحوم عمر رجب والحرمه



الحكمة لأثير الدين الأبهري وما عليها من المواد والشروح
مثل السيد والميبدى قراءة بحث وتحقيق وأشكال التأسيس
فى الهندسة وتحرير إقليدس والمتوسطات والمبادئ والغايات
والأكر وعلم الإرتماطيقى والجغرافيا وعلم المساحة وغير
ذلك، ثم أراد أن يلقنه علم الصنعة الإلهية وكان من
الواصلين فيها فغالطه عن ذلك وأبت نفسه الاشتغال بسوى
العلوم المهدبة للنفس، وكان يحكى عنه أمورا وعبارات
وأشارات تشعر بأنه كان من الكُمَّل الواصلين فى كل شىء،
ولم يزل عنده حتى عزم على الرحلة وسافر إلى بلاده.
وقدم إلى مصر الإمام العلامة الشيخ محمد الغلانى
الكشناوى وسكن بدرب الأتراك، فاجتمع عليه المترجم
وتلقى عنه علم الأوفاق وقرأ عليه شرح منظومة الجزنانية
للقوصونى والدرد والترياق والمرجانية فى خصوص الخمس

فاطمة أم فرج الساكنة بحارة الجودرية بتمن
الدرب الأحمر بنت المرحوم الشيخ محفوظ
الجبرتي المتوفى الآتي ذكره فيه ابن المرحوم
الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المذكور أعلاه
الثابت معرفة المتبايعين المذكورين أسما وعينا
ونسبا بتهادة من ذكر معرفة شرعية فباعوه
على الحكم الآتي بيانه فيه جميع ملك كامل
بناء المكان الكاين بمصر المحروسة بخط
الخراطين المعروف الآن بخط الصنادقية تجاه
جامع الأزهر بالقرب من مدرسة السنانية
بتمن الجمالية وما تداخل بالمكان المذكور من
بناء الثلاث طباق والمكان علو احدها من
والفسحة بجوارهم والحاصل وصار ذلك من
جملة منافع وحقوقه يعرف ذلك بانشا
وتجديد المرحوم الجبرتي المذكور والمشمول
ذلك بدلالة حجة الأيلولة الشرعية المسطرة
من هذه المحكمة المؤرخة في جادى عشرين
القعدة سنة ستين ومائتين والى على مساكن
علوية وسفلية ومنافع ومرافق وتوابع ولواحق
وحقوق وجميع بناء الخانات التى بواجهة
المكان المذكور المشتملة بالدلالة المذكورة على
داخل ودرفتى باب ومنافع وحقوق التى
كانت أدخلت بالمكان المذكور ثم أخرجت
منه وصارت الخانات المذكورة كما كانت أولا
المحدود المكان المذكور مع ما تداخل به من
الثلاث طباق والمكان علو احدها من والفسحة
والخانات بواجهته المذكورين أعلاه الآن
بحدود أربعة بدلالة الاملا والكشف المشمول
باسم وختم حسن أفندى ثابت المهندس بهذه
الحكمة الحد القبلى ينتهى سفلا لطريق
الشارع وفيه بابى المكان والخانات المذكورين
وعلوا للشارع المرقوم وطوله عشرة أمتار
وثلاثون سانتى متر والحد الغربى ينتهى سفلا
وعلوا للوكالة المعروفة بوكالة القفاصين
الجارية فى وقف المرحومة الست زينب
البارودية بنت اسماعيل بن على والحد
الشرقى ينتهى سفلا لخانات وحاصل بوكالة
النشارين الجارين فى وقف السلطان أبنا
نظارة سعادة مولانا خديو مصر وعلوا ينتهى
لوكالة النشارين المذكورة الجارية فى وقف
السلطان أبنا المذكور وطول كل من الحدين

الخالى الوسط، والأصول والضوابط والوفق المشينى وعلم
التكسير للحروف وغير ذلك، وسافر الشيخ إلى الحج
وجاور هناك، فلما رجع أنزله عنده وصحبته زوجته وجواره
وعبيده، وكمل عنده غالب مؤلفاته، ولم يزل حتى مات
كما تقدم ذكر ذلك فى ترجمته، ولقى المترجم فى حجته
الشيخ النخلى وعبد الله بن سالم البصرى وعمر بن أحمد
بن عقيل المكي والشيخ محمد حياة السندى الكورانى وأبو
الحسن السندى والسيد محمد السقاف وغيرهم، وتلقى
عنهم وأجازوه وتلقوا هم عنه أيضا عنه ولقنه أبو الحسن
السندى طريق السادة النقشبندية والأسماء الإدريسية. وهذه
صورة إجازة الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل ومن خطه نقل:
«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى، وسلام على
عباده الذين اصطفى خصوصا أفضل أنبيائه وعترته
الطاهرين، وصحابته أجمعين وبعد، فإن مما تطابقت عليه
النصوص وتوافقت عليه السنة العموم والخصوص، أن
الباحث عن السنة الغراء لاتباع هدى سيد الأنبياء، الموجب
لحبة ذى الآلاء والنعماء، هو الفائز بالقدح (ص ٩٣٥)
المعلى، والمرفوع إلى المقام الأعلى. ومن المعلوم أنه لم يبق
فى زماننا ما يتداول منها إلا التعلل برسوم الإسناد، بعد
انتقال أهل المنزل والناد، فذو الهمة هو الذى يشار على
تحصيل أعلاه، وينافس فى فهم متنه ويفحص عن معناه،
ويناقش فى رجاله الذين عليهم مغناه، ألا وهو الشيخ الأجل
الراقى بعزمه المتين من العلم والعمل إلى أعلى محل سيدنا
وأستاذنا الشيخ حسن بن المرحوم ابراهيم بن الشيخ حسن
الجبرتي أمده الله بالمدد الإلهى فطلب من هذا الفقير أن
أجيزه. فلما لم أجد بدا من الامتثال، قلت سايلا التوفيق فى

المذكورين اثني عشر مترا وخمسة وعشرون
سائتي متر والحد البحري ينتهي سفلا وعلو
لوكالة النشارين المذكورة وطوله عشرة أمتار
وعشرون سائتي متر فجملة مسطح أرض
ذلك مائة واحدة وأربعة وعشرون مترا وخمسة
وسبعون سائتي متر وجميع أرض المكان
المبتاع المذكور المحدود بحدود أربعة بدلالة
الاملا والكشف المذكورين الحد القبلي ينتهي
لطريق الشارع المرقوم وفيه باب المكان
المذكور وطوله ستة أمتار ولثمانين سائتي متر
والحد الشرقي ينتهي بفضة سفلا للحنوت
المذكورة أعلاه وباقيه ينتهي سفلا للحنوت
والحاصل الذين بوكالة النشارين المذكورة
المذكورين وعلو وكالة النشارين المذكورة
وطوله مبتدا من قبلي ومبحر بقدر أربعة أمتار
ثم يميل شرقا بقدر ثلاثة أمتار ونصف متر ثم
يعتدل حتى يتلاقا بالحد البحري بمقدر ثمانية
أمتار وخمسة وعشرون سائتي متر والحد
البحري ينتهي سفلا وعلو لوكالة النشارين
المذكورة وطوله عشرة أمتار وعشرين سائتي
متر والحد الغربي ينتهي سفلا وعلو لوكالة
القفاصين المذكورة وطوله اثني عشر مترا
 وخمسة وعشرون سائتي متر فجملة مسطح
الأرض المكان المذكورة مائة متر واحدة
وعشرة أمتار وخمسة وسبعون سائتي متر
وبالحد الشرق من المكان المذكور ركوب من
حقوق المكان المبتاع المذكور علو بن الحانوت
المبتاعة والحنوت والحاصل الجارين في وقف
السلطان ابنال المذكور المرقومين التي عبرة
الركوب المذكور طولاً من الجهة الغربية مبتدا
من قبلي ومبحر بقدر أربعة أمتار ثم يميل
مشرقاً بقدر ثلاثة أمتار ونصف متر ثم يعتدل
مبحراً حتى يتلاقا بالحد البحري بمقدر ثمانية
أمتار وخمسة وعشرون سائتي متر وطولاً من
الجهة البحرية بمقدر ثلاثة أمتار ونصف متر
وطولاً من الجهة الشرقية اثني عشر مترا
 وخمسة وعشرون سائتي متر وطولاً من الجهة
القبلية سبعة أمتار ومسطحه ستة وخمسون
مترا وسبعة وثمانون سائتي متر وبالحد
البحري المذكور ركوب من حقوق ذلك أيضا
علو وكالة النشارين المذكورة الجارية في وقف

القول والفعال؛ أجزت مولانا الشيخ حسن المذكور المنوّه
بذكره أعلى السطور، أجزل الله تعالى له الأجور ما يجوز لي
وعني روايته من مقروء ومسموع، وأصول وفروع، بشرطه
المعتبر من تقوى الله والصيانة وضبط الألفاظ وسير الرجال
والديانة، حسبما أجازني بذلك شيوخ أكابر عدة، هم في
الشذائد عدة؛ ومنهم بل ومن أجلهم سيدي وجدى لأمي
بعد أن قرأت عليه جانباً كبيراً من كتب الحديث وغيره
قراءة تحقيق وتدقيق، وغيره من الشيوخ أهل التوفيق، وقد
سمع مولانا الشيخ حسن مني أوائل البخاري ومسلم وأبي
داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والموطأ، فليرو عني المجاز
المذكور متى شاء مما اتصلت بي روايته متى أراد رفع سند أو
كتاب لمن هو من أهل الدراية، وهو دام أنسه وزكا قدسه في
غنية عن ذلك، ولكن جرت العادة بأخذ الأكابر عن
الأصاغر (ص ٩٣٦) تكثيراً لسوادنا، فهي سند سيد الأوائل
والأواخر، وكذلك أجزت له بالصلاة المشهورة النفع بهذه
الصيغة: اللهم صل على سيدنا محمد وآله كما لا نهاية
لكمالك وعد كماله بنصب عدو جره، حسبما أجازني بها
مولانا الشيخ طاهر بن الملا إبراهيم الكوراني عن شيخه
الشيخ حسن المنوفي مفتي الحنفية بالمدينة سابقاً عن شيخه
مولانا الشيخ علي الشبراملسي عن بعض أجلاء شيوخه
وأمره أن يصلي بها بين المغرب والعشاء بلا عدد معين
وبالمواظبة عليها يظهر نتائج فتحها خصوصاً لمبتغى هذا
العلم المجد في طلبه من ذويه نفعه الله تعالى بالعلم وجعله
من أهليه. وقد أجزت الشيخ المذكور ضاعف الله تعالى له
الأجور، بالأسماء الأربعينية الإدريسية السهروردية بقراءتها
واقرائها غل صادق إن وجد، كما أجازني بذلك جملة من

السلطان أينال المذكور التي عبرة طول كل من جهته البحرية والقبلية ثمانية أمتار وسبعون سائتي متر وعرض كل من جهته الشرقية والغربية ثلاثة أمتار ونصف متر ومسطحه ثلاثين متر وخمسة وأربعون سائتي متر وبالحلج الغربي المذكور ركوب من حقوق ذلك أيضا علو وكالة القفاصين المذكورة التي عبرة طوله من الجهة الشرقية تسعة أمتار وثمانون سائتي متر وطوله من الجهة البحرية مبتدا مشرق مغرب بقدر خمسة أمتار ثم يميل مبحرا بقدر مترين ثم يعتدل حتى يتلاقا بالحلج الغربي بقدر خمسة أمتار وطوله من الجهة الغربية مبتدا من قبلي ومبحر بقدر سبعة أمتار وستين سائتي متر ثم يميل مغربا بقدر ثلاثة أمتار وأربعين سائتي متر ثم يعتدل مبحرا بقدر متر واحد وثلاثين سائتي متر ثم يميل مشرقا بقدر ثمانين سائتي متر ثم يعتدل مبحرا بقدر مترين اثنين ثم يميل مشرقا بقدر سبعين سائتي متر ثم يعتدل مبحرا حتى يتلاقا بالحلج البحري بقدر متر واحد وثلاثين سائتي متر وطوله من الجهة القبلية ثمانية أمتار وستين سائتي متر ومسطحه مائة متر واحدة وأربعة أمتار وخمسة وستين سائتي متر وجملة مسطح الثلاث ركوبات المذكورة مائة متر واحدة وتسعون مترا وسبعة وتسعون سائتي متر كل ذلك مقاس وحساب المهندسين المذكور كما ذلك معين بالكشف المرقوم وشهرة ذلك في محله تدل عليه المعلوم ذلك عندهم شرعا والجاري ذلك في ملك البايين الثلاثة المذكورين أعلاه وأيديهم وحرزهم وتصرفهم الشرعي بمفردهم إلى تاريخه بيان الحكم الموعود بذكره أعلاه فما باعه خليل وفاطمة المذكورين أعلاه سوية بينهما الحصة التي قدرها اثنان وعشرون قيراطا وسدس قيراط من كل ذلك آل ذلك إليهما إرثا من قبل مورثهما المرحوم محفوظ الجبرتي الموعود بذكره أعلاه المتوفى قبل تاريخه عن ابنته فاطمة وابن ابن أخيه لوالده المذكور أعلاه هو خليل خيري البايين المذكورين أعلاه من غير شريك ومخلف عن المتوفى المذكور أعلاه من كل من ذلك يشهد له إلى حين وفاته بالحصة

الشيوخ، وقد اتصل سندی بها أيضا عن مولانا وسيدنا الأمام مولانا الشيخ أحمد بن محمد النخلى أنزل عليه شآبيب الرحمة والغفران الواحد العلي، وهو يرويها عن الشيخ حجازي الديري عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الخامي الشناوي وأجازه شيخه أيضا بشرحها للشيخ عثمان النحرأوي، قال الشيخ عثمان أجازني بالأسماء الإدرسية العظام الشيخ كمال الدين السوداني وهو يرويها عن شيخه أبي المواهب أحمد الشناوي عن السيد ضيفة الله أحمد عن السيد وجيه الدين العلوي عن الحاج حميد الشهير بالشيخ محمد الفوثن عن الحاج حصور عن أبي الفتح هدية الله سيرمست عن الشيخ قاضن (ص ٩٣٧) السناري عن الشيخ ركن الدين أبي الفتح عن الشيخ صدر الدين أبي الفضل عن الشيخ السهرودي عن سيدي وجيه الدين المعروف بعمويه، عن الشيخ أحمد أسود الدينوري عن الشيخ ممشاد الدينوري عن الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي عن خاله سري السقطي عن الشيخ معروف الكرخي عن الشيخ داود الطائي عن الشيخ حبيب العجمي عن سيد التابعين حسن البصري، عن إمام المشارق والمغارب سيدنا علي بن أبي طالب عن سيدنا ومولانا سيد الخلق حبيب الحق عبده ورسوله وحببيه وصفيه وخليله النبي الرسول الحاوي لجميع الكمالات الأصلية والفرعية، الجامع لكل الصفات السنية والمراتب العلية، المبعوث لكل الخلق، المتخصص بالقرب من العالم الحق، سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم، محمد صلى الله عليه وسلم، قال ذلك بفمه وكتبه، تعلمه أسير ذنبه عمر بن أحمد بن عقيل السقاف باعلوي، وحفيد مولانا الشيخ عبد

التي قدرها أربعة عشر قيراطا من كل من ذلك الأيلولة المحكى تاريخها أعلاه وآلت إليه الحصة التي قدرها ثمانية قيراط وسدس قيراط باقى حصته الخلفة عنه المذكورة أعلاه بالإرث الشرعى من قبل والدته المرحومة شوق بنت المرحوم نصار أبو نجم ابن المرحوم نصار والمرحومة أمان بنت المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتي والمرحوم حسن ابن المرحوم حمودة رجب المذكور أعلاه والمتوفية المرحومة شوق المذكورة عن كل من أولادها الثلاثة هم محفوظ الجبرتي المتوفى المذكور وحسن حسين البايغ المذكور ابني المرحوم حمودة رجب المذكور أعلاه ثم توفى المرحوم حسن الابن المذكور عن كل من أخيه لوالدته المرحومة شوق المتوفية المذكورة هو محفوظ الجبرتي المرقوم أعلاه وأخيه شقيقه حسين رجب المذكور لم توفيت المرحومة أمان المذكورة أعلاه عن أخيها لوالدها المذكور أعلاه هو محفوظ المتوفى المرقوم من غير شريك ومخلف عن المرحومة شوق والمرحومة أمان المتوفيتين المذكورتين أعلاه الحصة التي قدرها عشرة قيراط من كل ذلك على ما يتبين فيه ما هو مخلف عن المرحومة شوق المتوفية المذكورة الحصة التي قدرها ثلاثة قيراط من كل من ذلك وما هو مخلف عن المرحومة أمان المتوفية المرقومة الحصة التي قدرها سبعة قيراط باقى حصتها الخلفة عنهما المذكورة أعلاه يشهد لهما إلى حين وفاتهما بذلك الحجة المذكورة وما باعه حسين رجب المذكور الحصة التي قدرها قيراط واحد ونصف وثلاث قيراط باقى كل من ذلك آل ذلك إليه إرثا من قبل أخيه شقيقه المرحوم حسين رجب ووالدته المرحومة شوق المتوفيتين المذكورين على الوجه المسطور ويشهد لكل من المتوفيين المذكورين بوضع يده على ما هو مخلف عنه من كل من ذلك بطريق الملك الشرعى إلى حين وفاته وبانتقال ذلك من بعده لورثته المذكورين ويجريان ذلك لى ملك البايغين المذكورين إلى تاريخه على الوجه المسطور كل ممن سعى أعلاه المخصوص على هامش الحجة المذكورة أعلاه بمعنى ذلك

الله بن سالم البصرى عفا الله تعالى عنهم أجمعين، سايلا من الشيخ المذكور أن لا ينساني وأصولي ومشايخي في الدين وجميع أقاربي من صالح الدعوات في خلواته وجلوات وحركاته وسكناته، وأوصى بما أوصى به نفسه وسائر المسلمين من ملازمة التقوى وكمال الاستعداد واتباع سبيل الهدى والرشاد، وأسأل الله تعالى (ص ٩٣٨) الكريم المنان أن يوفقني وإياه والمسلمين لصالح القول والعمل ويجنبنا الخطأ والزلل . ويجعلنا من العلماء العاملين والهداة الراشدين ، وأن يميّتنا على سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابه أجمعين، فى كل وقت وحين. وللمترجم أشياخ غير هؤلاء كثيرون اجتمع بهم وتلقى عنهم وشاركهم وشاركوه، مثل على أفندى الداغستاني، والشيخ عبد ربه سليمان بن أحمد القشتالي الفاسي، والشيخ عبد اللطيف الشامي، والجمال يوسف الكلارجي، والشيخ رمضان الخوانكي، والشيخ محمد النشيلي، والشيخ عمر الحلبي، والشيخ حسين عبد الشكور المكي، والشيخ ابراهيم الزمزمي، وحسن أفندى قطة مسكين، وأحمد أفندى الكرتلي، والأستاذ عبد الخالق بن وفا، وكان خصيصا به، وأجازه بالأحزاب، وهو الذى كناه بأبى التدانى، وألبسه التاج الوفائي، والسيد مصطفى العيدروس، وولده السيد عبد الرحمن ، والسيد عبد الله العيدروسي، والشيخ على بندق الشناوى الأحمدى، وكثير من المشايخ الأزهرية مثل السيد محمد البنوفرى، والشيخ عمر الإسقاطي، والشيخ أحمد الجوهري، والشيخ أحمد الدجى بن خال المترجم ، والشيخ أحمد الراشدى، والشيخ ابراهيم الحلبي صاحب حاشية الدر، والسيد سعودى محشى

وللبايعين المذكورين ولاية بيع ذلك بالطريق الشرعى بدلالة ما شرح أعلاه وبالتصادق على ذلك اشترار (ء) صحيحا شرعيا وبما ووفقا انعقد بينهم فى ذلك يوم تاريخه بإيجاب وقبول شرعيين بشمن قدره عن ذلك من الجنيهاات الذهب ضرب مصر التى عبرة الواحد منها مائة غرض صاغ جنيه واحدة وأربعون جنيهها على ما بين فيه ما هو عن ثمن حصه خليل وفاطمة المذكورين سوية بينهما مائة جنيه واحدة وثلاثون جنيهها من ذلك وما هو عن ثمن حصه حسين رجب المذكور عشرة جنيهاات باقى ذلك قاص المشتري المذكور خليل وفاطمة المذكورين أعلاه بمبلغ ثمن حصتهما المعينة لهما أعلاه نظير ما يستحقه بدمه مورثهما المرحوم محفوظ الجبرتي المتوفى المذكور من الدين الشرعى الواجب الا اذا شرعا الموافق لذلك قدرا وعددا وصفة حسب تصديقهما على ذلك التصديق الشرعى برهت بذلك ذمة المتوفى المذكور وورثيه المذكورين من مبلغ الدين المرقوم وبرهت بذلك ذمة المشتري المذكور من مبلغ المائة والثلاثون جنيهها المذكور خليل وفاطمة المذكورين وقبض حسين رجب البايع المرقوم ثمن حصته المعينة له أعلاه من المشتري المرقوم قبضا شرعيا بتمام ذلك وكما له باعتراؤه بذلك بحضوره من ذكر أعلاه فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعى واعترف المشتري المذكور بتسلم ذلك وحيازته لنفسه تسليما وحيازة شرعيين بشمن قدره بعد النظر والمعرفة والإحاطة بذلك علما وخبرة نافين للجهالة شرعا وبمقتضى ذلك وبما شرح أعلاه صار المكرم الحاج متلا محمد حسين المشتري المذكور أعلاه يستحق ملك كامل بناء المكان وما تداخل به على الوجه المسطور وبناء الخانات المذكورة ثانيا وأرض المكان المذكور آخرها الصادر له فى ذلك التبائع المشروح أعلاه بالصفة التى عليها كل من ذلك الآن يتصرف فى ذلك لنفسه بمفرده خاصة بسائر وجوه التصرفات الشرعية دون كل أحد وعليه القيام بما يقابل طبقين من الثلاث طباق والمكان علو إحدهما والفسحة

ملا مسكين، وغيرهم من الأكابر والأخيار، وأهل الأسرار والأنوار، حتى كمل فى المعارف والفنون، ورمقته بالإجلال العيون، وعلا شأنه على علماء الزمان، وتميز بين الأقران، وأذعنت له أهل الأذواق، وشاع ذكره فى الآفاق، ووفد عليه الطلاب (ص ٩٣٩) البلدانية، والواردون من النواحي الافاقية، وأتوا إليه من كل فج يسعون لميقاته ولزموا الطواف بكعبة فضله والوقوف بعرفاته، فمنهم من ينفر بعد اتمام نسكه وبلوغ أمينته، ومنهم من يواظب على الاعتكاف بساحته، وكان رحمه الله عذب المورد للطالين، طلق الحيا للواردين، يكرم كل من أم حمماه ويبلغ الراجى مناه، والمعترفى جدواه، والرغب أقصى مرماه، مع البشاشة والطلاقة وسعة الصدر والريافة وعدم رؤية المنه على المجتدى، ومسامحة الجاهل والمعتدى، مع حسن الأخلاق والصفات، التى سجدت لها الخناصر كأنها آيات سجدات؛ له صحائف أخلاق مهذبة

منها العلا والحجا والفضل ينتسج

وكانت ذاته جامعة للفضائل والفواضل، منزهة عن النقائص والردايل، وقورا محتشما مهيبا فى الأعين معظما فى النفوس محبوبا للقلوب، ولا يعادى أحدا ولا يخاصم على الدنيا، فلذلك لا تجدد من يكرهه ولا من ينقم عليه فى شىء من الأشياء، وأما مكارم الأخلاق والحلم والصفح والتواضع والقناعة وشرف النفس وكظم الغيظ والانبساط إلى الجليل والحقير كل ذلك سجيت وطبعه من غير تكلف لذلك، ولا يرى لنفسه مقاما أصلا، ولا يعرف التصنع فى الأمور، ولا دعوى علم ولا معرفة ولا مشيخة على التلاميذ والطلبة، ولا يرضى التعاضم ولا تقبيل اليد، وله منزلة عظيمة فى قلوب

والخانات والحاصل المذكورين من الحكر لجهة
وقف السلطان أنال حكم المعتاد الجارى به
العادة وبما على الطبقة باقى الثلاث طباق
المذكورة من الحكر لجهة وقف المرحوم أحمد
بن السلطان أنال حكم المعتاد الجارى به
العادة كما ذلك معين بالحجة المذكورة
التصرف والقيام الشرعيين وتصادقوا على
ذلك كله تصادقا شرعيا ثم عرض ذلك
مفصلا على حضرة مولانا أفندى المشار إليه
أعلاه فلما أن احاط علمه الكريم بذلك أمر
بكتابه وقيد بالسجل المحفوظ ضبطا للواقع
ورسم ذلك وقدره ألف غرش وأربعون قرشا
صاغا ورد بخزينة هذه المحكمة بموجب علم
خير موزع فى تاسع عشرين شهر مايو سنة
النين وثمانين وثمانمائة وألف الفركية بنمرة
خمس وستين يومية تحريرا فى ثانى عشر شهر
رجب الفرد الأصم الذى هو من شهر سنة
تسع وتسعين ومائتين وألف قيدت بنمرة ٣
سجل القسمة العسكرية.

حرف ٤ و عدد ٣

صار العمل والمعمل فيما هو معين قربته على
الحكم المعين والمشروح بحجة التابع الشرعية
المسطرة من الباب العالى بمصر الموزعة فى
خامس شهر جماد أول سنة ١٣٠١ المسجلة
بنمرة ١٦ حرف ٤ عدد ١٩.

الوثيقة رقم (٣)

٢٦ جماد آخر سنة ١٢٣٣

كما ذكر فيه الأمر

نمقه الفقير إليه عز شانه محمد مريمى

القاضى بمصر القاهرة

غفر له

سبب تحرير حروفه هو أنه بالقسمة العسكرية
بمصر المحروسة الحمية لدى سيدنا ومولانا
شيخ مشايخ الإسلام علامة الأنام قاموس
البلاغة وبراس الأفهام الناظر فى الأحكام
الشرعية قاضى القضاة يومئذ بمصر الحمية
الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه بحضرة
كل من الأمل المكرم محمد جاورش المجلد
بخط الجامع الأزهر ابن المرحوم سليمان

الأكابر والامرا والوزرا والأعيان، ويسعون إليه ويذهب إليهم
لبعض المقتضيات والشفاعات ويرسل إليهم فلا يردون
شفاعته ولا يتوانون فى (ص ٩٤٠) حاجة يتكلم فيها، وله
عندهم محبة ومنزلة فى قلوبهم وزيادة عن نظرائه من
الأشياخ لمعرفته بلسانهم ولغتهم واصطلاحهم ورغبتهم فيما
يعلمونه فيه من المزايا والأسرار والمعارف المختص بها دون
غيره، وخصوصا أكابر العثمانيين والوزرا وأهل العلوم
والفضلا منهم، مثل على باشا ابن الحكيم وراغب باشا
وأحمد باشا الكور وغيرهم، ويأتون إليه أحيانا فى التبديل،
وأكرموا وهادوا، وكل ذلك مع العفة والعزة وعدم التطلع
لشى من أسباب الدنيا بوظيفة أو مرتب أو فايط أو نحو
ذلك، وكان بينه وبين الأمير عثمان بك ذى الفقار صحبة
ومحبة، وحج فى أيام إمارته على الحج مرافقا له مرات من
ماله وصلب حاله ولم يصله منه سوى ما كان يرسله إليه
على سبيل الهدية، وكان منزل سكنه الذى بالصنادقية ضيقا
من أسفل وكثير الدرج، فعالج إبراهيم كتحدا على أن
يشترى له أو يبنى له دارا واسعة فلم يقبل، وكذلك
عبدالرحمن كتحدا وكان له ثلاثة مساكن أحدها هذا
المنزل بالقرب من الأزهر وآخر بالإبزارية بشاطئ النيل ومنزل
زوجته القديمة تجاه جامع مرزة، وفى كل منزل زوجة وسرار
وخدم، فكان ينتقل فيها مع أصحابه وتلامذته، وكان يقتنى
الممالك والعبيد والجوارى البيض والحبوش والسود، ومات له
من الأولاد نيف وأربعون ولدا ذكورا وإناثا كلهم دون
البلوغ، ولم يعيش له من الأولاد سوى الحقيق، وكان يرى
الاشتغال بغير العلم من العبثيات، وإذا أتاه طالب فرح به
وأقبل عليه ورغبه وأكرمه، وخصوصا إذا كان (ص ٩٤١)

جاويش والسيد الشريف عبد الله الخياط ابن
المرحوم السيد خليل والمكرم محمد طليل
البنان باخط المذكور ابن المرحوم الشيخ
حسن والمكرم على الكشاف بيت المال ابن
المرحوم الحاج ابراهيم المقدم والمكرم حسن
طاها الباسين بن المرحوم طاها واطلاهم
وشهادتهم على ما سيذكر فيه دام كمالهم
آمين. أشهد على نفسه الأمثل المكرم الحاج
أحمد بن المرحوم نصر الدين الآتي ذكره فيه
شهوده الاشهاد الشرعى وهو باكمل
الأوصاف المعيرة شرعا أنه صدق على صحة
البيع الصحيح الشرعى الخالى عن الرهن
والرهن والوعد والرفا الصادر فيما قبل تاريخه
من قبل ولد عم والده المذكور هو المرحوم
الحاج حموده البنان كان بن المرحوم اخراجا
الحاج أحمد بن المرحوم الحاج ناصر الدين
المذكور أعلاه حال حياته ونفوذ تصرفاته
لفخر الفضلا العظام عمدة البلغا الكرام فخر
المدرسين الفخام مفيد الطالبين بإفهام زين
الشرعية والملة والدين مولانا العلامة الحبر
البحر الفهامة عبد الرحمن الشهير بالجبرتي
بن خاتمة المحققين المدرج إلى أعلا عليين
المغفور العلامة الشيخ حسن أفندي الجبرتي
الخفى من أعيان أهل الإفادة والتدريس
بالجامع الأزهر هو حالا كوالده المذكور كان
تقدمه الله بالرحمة والرضوان آمين فى جميع
المكان الكاين بمصر المحروسة بخط اخراطين
قريبا من مدرسة السنانية والجامع الأزهر على
يسرة السالك طالبا للأشرفية وسوق العقادين
البلدى الجارى أصل ذلك فى وقف المرحوم
جوهر القنقباى المشتمل ذلك بدلالة حجتي
الاستبدال الشرعيتين المسطرتين من الباب
العالى بمصر المؤرخة إحداها فى عاشر
شعبان سنة خمسين ومائة وألف والثانية
مؤرخة فى عاشر جماد الثانى سنة إحدى
 وخمسين ومائة وألف على باب بالشارع
الأعظم يمنا الطالب لمدرسة السنانية يدخل
من الباب المذكور إلى دهليز به باب استثنى
يدخل منه حوش به يمنة قنطرة سفلها معالم
منظرة تقابلها واجهة البناء سفلها بير الدهليز
والقنطرة والسييل المركب على القنطرة

غريبا وربما دعاه للمجاورة عنده وصار من جملة عياله.
ومنهم من أقام عشرين عاما قياما ونياما لا يتكلف إلى شىء
من أمر معاشه حتى غسل ثيابه من غير ملل ولا ضجر،
وأنجب عليه كثير من علماء وقته المحققين طبقة بعد طبقة
مثل: الشيخ أحمد الراشدى، والشيخ ابراهيم الحلبي،
والشيخ مصطفى أبى الاتقان الخياط، والسيد قاسم التونسى،
والشيخ العلامة أحمد العروسى، والشيخ ابراهيم الصيحانى
المغربى، والطبقة الأخيرة التى أدركناها مثل الشيخ أبى
الحسن القلعي، والشيخ عبد الرحمن البنانى. وأما الملازمون
له فهم الشيخ محمد بن اسماعيل النفراوى، والشيخ محمد
الصبان، والشيخ محمد عرفة الدسوقي، والشيخ محمد
الأمير، والشيخ محمد الشافعى الجناحى المالكي، والشيخ
مصطفى الرئيس البولاقي، والشيخ محمد الشوبرى، والشيخ
عبد الرحمن العريشى، والشيخ محمد الفرماوى. وهؤلاء
كانوا المختصين به الملازمين عنده ليلا ونهارا، وخصوصا
الشيخ محمد النفراوى، والصبان ومحمود أفندى النيشى
والفرماوى والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد عرفة، فإنهم
كانوا بمنزلة أولاده وخصوصا الأولين فإنهما كانا لا يفارقانه
إلا وقت إقراء دروسهما، وكان يباسط أخصاءه منهم
ويمازحهم ويروحهم بالمناسبات والأدبيات والنوادر والأبيات
الشعرية والمواليات والمجونيات والحكايات اللطيفة والنكات
الظريفة، وينتقلون صحبتته فى منازل بولاق ومواطن النزهة
فيقطعون الأوقات ويشغلونها حصبة فى مدارس العلم
وأخرى فى مطارحات المسائل وأخرى للمفاكهة والمباسطة
(ص ٩٤٢) والنوادر الأدبية، ومن الملازمين على الترداد عليه
والأخذ عنه الشيخ محمد الجوهرى والشيخ سالم

وحياط البير كامل علو ذلك من حقوق الغير ولم يكن داخلا في عقد ذلك فيما بين المنظر وواجهة البير باب يدخل منه إلى اسطبل علوه مقعد يتوصل إليه من سلم علو ذلك من حقوقه وبالحوش يسرة الطالب للاسطبل باب يدخل منه إلى دهليز علوه من حقوق الغير وبالدهليز باب يدخل منه إلى رحاب مفروش بالرخام القديم به باب يدخل منه إلى قاعة تحوى إيوانين ودور قاعة بها بابان أحدهما يدخل منه إلى مجاز به كرسى راحة وسلم يتوصل منه إلى أغاني والسطح العالى على ذلك وهو علو المقعد المذكور والباب الثانى يدخل منه إلى مطبخه تجاهه قاعة صغيرة وسلم يتوصل منه إلى طبقة وإلى سطح صغير وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق الداخلة فيه والخارجة عنه خلا العلو المرقوم فإنه من حقوق الغير وجميع الخانات الكائنة بمصر المحروسة بخط الخراطين المذكور تجاه الوكالة المعروفة بخان البلاط المشتمل ذلك بالدلالة المذكورة على مسطبة وداخل ودرفتى باب خشبى نقيا ومنافع ومرافق وحقوق معلوم ذلك عندهما شرعا وله شهرة فى محله تدل عليه فى نظير مبلغ الثمن عن ذلك حين ذاك وقدره من الرهالات المصرية التى عبرة كل ربال منها تسعون نصفا فضة سبعمائة ربال معاملة مصرية وعلى صحة ما قبضه المتوفى البايح المذكور حالة التبايع لذلك من أصل مبلغ الثمن المرقوم وقدره عشرة ريات مصرية وعلى صحة ما قبضه هو يوم تاريخه بحضرة شهوده ومن ذكر أعلاه باقى الثمن المرقوم وقدره ستمائة ربال وتسعون ربالا مصرية مع ما تبرع به مولانا الشيخ عبد الرحمن المشهد له المشترى المشار إليه أعلاه للمكرم الحاج حسين الغالى المشهد المذكور على سبيل الصلة والمعروف وقطعا لمادة الخصام والنزاع ونظير التصديق المذكور وقدره ثلاثمائة ربال مصرية ليصير جملة ما قبضه الحاج حسين المذكور عن باقى ثمن المكان والخانات ومبلغ التبرع المشروحين أعلاه مبلغ قدره تسعمائة ربال وتسعون ربالا مصرية المتوفى المرحوم الحاج حمودة البنان البايح

القيروانى ومحمد أفندى مفتى الجزاير والسيد محمد الدمرداش وولداه السيد عثمان والسيد محمد. ومن تلقى عنه شيخ الشيوخ الشيخ على العدوى ، تلقى شرح الزيلعى على الكنز فى الفقه الحنفى وكثيرا من المسائل الحكمية ، ولما قرأ كتاب المواقف فكان يناقشه فى بعض المسائل محققو الطلبة فيتوقف فى تصويرها لهم فيقوم من حلقة ويقول لهم اصبروا مكانكم حتى أذهب إلى من هو أعرف منى بذلك وأعود إليكم ، ويأتى إلى المترجم فيصورها له بأسهل عبارة ويقوم فى الحال فيرجع إلى درسه ويحققها لهم.

وهذا من أعظم الديانة والإنصاف، وقد تكرر منه ذلك غير مرة، وكان يقول عنه لم نر ولم نسمع من توغل فى علم الحكمة والفلسفة وزاد إيمانه إلا هو، رحم الله الجميع أولئك ابائى فجئنى بمثلهم.

ومن تلقى عنه من أشياخ العصر العلامة الشيخ محمد المصيلحى ، والعلامة الشيخ حسن الجداوى، والشيخ محمد المسودى والشيخ أحمد بن يونس والشيخ محمد الهلباوى، والشيخ أحمد السجاعى ، لازمه كثيرا وأخذ عنه فى الهيئة والفلكيات والهداية وألف فى ذلك متونا وشروحا وحواشى، وأما من تلقى عنه من الآفاقين وأهالى بلاد الروم والشام وداغستان والمغاربة والحجازيين فلا يحصون، وأجل الحجازيين الشيخ ابراهيم الزمزمى، وأما ما اجتمع عنده وما اقتناه من الكتب فى سائر العلوم فكثير جدا قلما اجتمع ما يقاربها فى الكثرة (ص ٩٤٣) عند غيره من العلماء أو غيرهم، وكان سموحا بإعارتها وتغييرها للطلبة وذلك كان السبب فى إتلاف أكثرها وتخريمها وضياعتها، حتى أنه كان

المذكور إلى رحمة الله سبحانه وتعالى عن ولد عمه المشهد المذكور أعلاه من غير شريك ولا حاجب شرعى والآيل المكان للحاج حمودة المذكور بالارث الشرعى من قبل والده المرحوم الخواجا الحاج أحمد بن المرحوم الحاج ناصر الدين المذكور أعلاه المتوفى إلى رحمة الله تعالى قبل تاريخه عن ولده المرحوم حمودة المذكور ومخلفا عنه كامل المكان المذكور أعلاه يشهد له إلى حين وفاته بذلك الحجتين المحكى تاريخهما أعلاه ويشهد للمرحوم الحاج حمودة المذكور بكامل الخانات المذكورة أعلاه الحجج الشرعية المسطرة من الباب العالى مصر المؤرخة فى عاشر ربيع أول سنة ست وثمانين ومائة وألف المدعى ضياها المنبه على تاريخها بهامش الحجة الشرعية المسطرة من الباب العالى بمصر المؤرخة فى عاشر رمضان سنة أربع وستين ومائة وألف وكل من المكرم محمد جاريس والسيد عبد الله الخياط والمكرم محمد طایل المذكورين أعلاه الشبهة الشرعية المخصوصة على هامش الحجج المذكورة بمعنى ذلك وعلى صحة جريان ذلك فى ملك مولانا العلامة المشهد له المذكور من حين صدور البيع المذكور من المكرم الحاج حمودة المذكور والى تاريخه بدون منازع له فى ذلك ولا مدافع وعلى أن لا حق له فى ذلك بملك ولا بشبهة ملك ولا باستحقاق ولا بشبهة استحقاق ولا بتصرف ولا بشبهة تصرف ولا ببيع ولا بشراء ولا بحصة ولا بتصيب ولا بوضع يد ولا بقبض أجرة ولا بارث ولا بمرووث ولا بغير ذلك مطلقا وأن الحق والاستحقاق والملك والتصرف فى المكان والخانات المذكورين لمولانا العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرلى المشهد له المذكور بمفرده خاصة بمقتضى ما نص وشرح باعاليه تصديقا شرعيا لادافع له فى ذلك ولا فى بعضه ولا فى شيء منه بوجه من الوجوه ولا بطريق من الطرق ولا بحال من الأحوال الشرعية كلها ولا مطعنا شرعيا باعترافه بذلك بشهوده ومن ذكر أعلاه فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعى وصدقه على

أعد محلا فى المنزل ووضع فيه نسخا من الكتب المستعملة التى يتداول علماء الأزهر قراءتها للطلبة مثل الأشمونى وابن عقيل، والشيخ خالد وشروحه، والأزهرية وشروحها، والشذور، وكذلك من كتب التوحيد مثل شروح الجوهرة والهدهى وشروح السنوسية والكبرى والصغرى، وكتب المنطق والاستعارات والمعانى والبيان، وكذلك كتب الحديث والتفسير والفقه فى المذاهب وغير ذلك، فكانوا يأتون إلى ذلك المكان يأخذون ويغيرون وينقلون من غير استئذان، فمنهم من يأخذ الكتاب ولا يرده ومنهم من يهمل التغيير فتضيع الكراريس، ومنهم من يسافر ويتركها عند غيره، ومنهم من يهمل آخر الكتاب، ويتفق ان الاثنين والثلاثة يشتركون فى الكتاب الواحد والنسخة الواحدة، ولا بد من حصول التلف من أحدهم، ولا بد من حصول الضياع والتلف فى كل سنة وخصوصا فى أواخر الكتب عندما تفتقر همهم، وأكثر الناس منحرفو الطباع، معوجو الأوضاع، واقتنى أيضا كتبا نفيسة خلاف المتداولة، وأرسل إليه السلطان مصطفى نسخا من خزائنه، وكذلك أكابر الدولة بالروم ومصر وباشة تونس والجزاير واجتمع لديه من كتب الأعاجم مثل الكلستان وديوان حافظ وشاه نامه، وتواريخ العجم وكليلية ودمنة ويوسف وزليخا وغير ذلك، وبها من التشاويه [الزخارف] (ص ٩٤٤) والتصاوير البديعة الصنعة الغربية الشكل وكذلك الآلات الفلكية من الكرا النحاس التى كان اعتنى بوضعها حسن أفندى الروزنامجى بيد رضوان أفندى الفلكى كما تقدم فى ترجمتهما، ولما مات حسن أفندى المذكور اشترى جميعها من تركته، وكذلك غيرها من الآلات الارتفاعية والميالات وحلق الأرصاد

ذلك مولانا الشهيد له المذكور وقبل ذلك منه
لنفسه تصديقاً وقبولاً شرعياً وبمقتضى ذلك
وبما شرح أعلاه صار مولانا العلامة الشيخ
عبد الرحمن الجبرتي الشهيد له المشار إليه
أعلاه يستحق ملك كامل المكان والحانوت
المذكورين بأعاليه الصادر في ذلك التباعد
والتصديق المشروح أعلاه يتصرف في ذلك
لنفسه بمفرده خاصة بسائر وجوه التصرفات
الشرعية دون كل من الشهيد المذكور وكل
أحد وعليه القيام بما على ذلك من الأحكام
لمستحقها شرعاً الصيرورة والاستحقاق
والتصرف والقيام الشرعيات بالطريق الشرعي
للمقتضى المشروح أعلاه وتصادقاً على ذلك
كله تصديقاً شرعياً وثبت الإشهاد بذلك لدى
مولانا أفندي المومى إليه أعلاه بشهادة شهوده
ثبوتاً شرعياً وحكم بموجب ذلك حكماً
صحيحاً شرعياً وبه شهرت حرر في سادس
عشرين جمادى آخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
والفا. شهوده

امضاء: امضاء امضاء امضاء امضاء
صدر أبلولة شرعية من بعد المرحوم مولانا
العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المذكور
قرينه لورثته من بعده على الحكم المعين بحجة
الأبلولة الشرعية المسطرة من هذه المحكمة
مورخة في سابع شهر جمادى أول سنة ١٢٥٧.

الوثيقة رقم (٤)

٩ جمادى أول سنة ١٢٥٧

الأمر كما ذكر فيه

نمقه الفقير إليه عز شأنه عبد الملك بك ...
السيد أحمد نجيب القاضي بمصر الخروسة
غفر لهما

ختم: السيد أحمد نجيب

بالبيت العالي أعلاه الله سبحانه وتعالى
وشرفه إلى يوم الدين بمصر الخروسة بين يدي
نايب حضرة سيدنا ومولانا شيخ مشايخ
الإسلام علامة الأنام قاموس البلاغة ونبراس
الافهام الناظر في الأحكام الشرعية قاضي
القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه
الكرام أعلاه دام علاه آمين بحضرة كل من
المكرم السيد الشريف مصطفى البنان برأس

والإسطرلابات والأرباع والعدد الهندسية وأدوات غالب
الصناع مثل النجارين والخراطين والحدادين والسمكرية
والجلدين والنقاشين والصواغ والأت الرسم والتقاسيم،
ويجتمع به كل متقن وعارف في صناعته مثل حسن أفندي
الساعاتى وكان ساكناً عنده، وعابدين أفندي الساعاتى
وعلى أفندي رضوان وكان من أرباب المعارف فى كل شيء
ومحمد أفندي الاسكندراني والشيخ محمد الأقفالى
وابراهيم السكاكينى والشيخ محمد الزبدانى وكان فريداً فى
صناعة التراكيب والتقاطير واستخراج المياه والأدهان ، وغير
هؤلاء ممن رأيت ومن لم أر، وحضر إليه طلاب من الإفرنج
وقروا عليه علم الهندسة وذلك سنة تسع وخمسين ، وأهدوا
له من صنائعهم والاتهم أشياء نفيسة وذهبوا إلى بلادهم
ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت، وأخرجوه من
[القول] إلى الفعل واستخرجوا به الصنائع البديعة مثل
طواحين الهواء وجر الأثقال واستتباط المياه وغير ذلك، وفى
أيام اشتغاله بالرسم رسم ملايحصى من المزاويل على
الرخامات والبلاط الكدان ونصبها فى أماكن كثيرة
ومساجد شهيرة مثل الأزهر والأشرفية (ص ٩٤٥) وقوصون
ومشهد الإمام الشافعى والسادات، وفى الآثار منها ثلاثة
واحدة بأعلى القصر وأخرى على البوابة وأخرى عظيمة
بسطح الجامع، بقى منها قطعة وكسر باقىها فراشوا الأمراء
الذين كانوا ينزلون هناك للنزهة ليمسحوا [بها] صوانى
الأطعمة الصفرة، وكذلك بوردان بالتماس مصطفى أغا
الوردانى وكذلك بحوش مدفن الرزازين بالتماس رضوان
جربجى الرزاز رحمه الله، ونقش عليها تاريخاً منظوماً ينوه
فيه بذكر رضوان المذكور وهو هذا :

رضواننا الرزاز حاز دعاء من

صلى وزاعى كل وقت والتزم

ليساره بحذاء مزولة أتى

تاريخها حسن الجبرتى قد رسم

وغير ذلك بمنازله وغيرها حتى أن اخدم تعلموا ذلك

فصاروا يقطعون البلاط المناشير ويمسحونه بالماسح

الحديد والمبارد ويهندسون اعتداله بالمساطر والقياسات

بالبياكير، بل ويرسمونه أيضا. وأما ما كان على الرخامات

فيباشر صناعته وحفره صناع الرخام بالأزمير بعد التعليم

على مواضع الرسم ومقادير أبعاد المدارات والظلال وما

عليها من الكتابة والتعاريف، ولما تمهر الآخذون عنه

والملازمون عنده ترك الاشتغال بذلك وأحال الطلاب عليهم

فإذا كان الطالب من أبناء العرب تقيّد بتلميذه الشيخ محمد

بن اسماعيل النفراوى، وإن كان من الأعاجم والأتراك تقيّد

بمحمود أفندى النيشى، واشتغل هو بمداينة الفقه وإقرانه

ومراجعة الفتاوى والتحرى فى الفروع الفقهية والمسائل

(ص ٩٤٦) الخلافية، وانكب عليه الناس يستفتونه فى

وقائعهم ودعائهم، وتقرر فى أذهانهم تحريره الحق والنصوص

حتى أن القضاة لا يثقون إلا بفتواه دون غيره، وتقيّد

للمراجعة عنده الشيخ عبد الرحمن العريشى فانفتحت

قريحته وراج أمره وترشح بعده للإفتاء، وكان المترجم لا

يعتنى بالتأليف إلا فى بعض التحقيقات المهمة، منها «نزهة

العينين فى زكاة المعدنين» و«رفع الإشكال بظهور العشر فى

العشر فى غالب الأشكال» و«الأقوال المعربة عن أحوال

الأشربة»، و«كشف اللثام عن وجوه مخدرات النصف الأول

خان اخليلى ابن المرحوم السيد حمودة
اخلوتى والشيخ العمدة الفاضل حوى
الكمالات والفضائل مكاوى الفيومى ابن
المرحوم الحاج أحمد سعد الفيومى والسيد
شريف محمد السقطى العطار بخط المشهد
ابن المرحوم السيد محمد السقطى القباني
والعمدة الشيخ محمد جوده العدوى ابن
المرحوم حمودة والمكرم الحاج سليمان
الشايب ابن المرحوم عبد الكريم الشايب
والمكرم على عطية ابن المرحوم الحاج محمد
حميدة والمكرم حسين حميدة ابن المرحوم
الشيخ حميدة والمكرم أحمد عبد الحق ابن
المرحوم عبد الحق العدوى كل منهم بوكالة
الجلابة دام كما لهم آمين. اشترى المكرم
السيد الشريف العمدة الفاضل حوى
الكمالات والفضائل شهاب الدين أحمد وهو
الوكيل الشرعى عن والده المكرم السيد
الشريف موسى أبو النصر ابن المرحوم السيد
أحمد أبو النصر العدوى أحد التجار بوكالة
الجلابة هو التوكيل الشرعى بالطريق الشرعى
بمال والده موكله المذكور أعلاه من كل من
بإيعه هما الشيخ العمدة الأكمل محفوظ
لجل المغفور له الشيخ عبد الرحمن الشهير
بالجبرتى الخنفى القايم عن نفسه وبطريق
وكالته الشرعية عن والدته المصونة شرق
خاتون بنت المرحوم الشيخ نصار الثابت
معرفتها وتوكيله عنها فى شأن ما سيذكر فيه
بين يدى مولانا أفندى المومى إليه أعلاه
وبشهادة كل من المكرم السيد مصطفى البنان
المذكور أعلاه والمكرم على الرملى العلاف
ابن الحاج محمود ثبوتا شرعيا وفخر أمثاله
المكرمين يحيى أفندى الشهير بالحكيم ابن
عبد الله وهو الوكيل الشرعى عن زوجته
فخر الخدرات المصونة أمان خاتون بنت
المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المذكور
الثابت معرفتها وتوكيله عنها فى شأن ما
سيذكر فيه بين يدى مولانا أفندى المومى إليه
أعلاه بشهادة كل من السيد الشريف محمد
السقطى العطار والشيخ مكاوى الفيومى
المذكورين أعلاه ثبوتا شرعيا فباعاه كل من
البائع الوكيل عن نفسه وعن موكلته

والوكيل عن موكلته المذكورين أعلاه لوالده
موكلته المذكور أعلاه على الحكم الآتى بيانه
فيه وجميع ملك كامل بنا المكان الكاين
بمصر المحروسة بخط الخراطين قريبا من
مدرسة السنانية والجامع الأزهر على يسرة
السالك طالبا للأشرافية وسوق العقادين
البلدى المشتمل ذلك بدلالة ما يأتى ذكره فيه
على باب بالشارع الأعظم يمنة طالب المدرسة
السنانية يدخل من الباب المذكور إلى دهليز به
باب استثنى يدخل منه إلى حوش به يمنة
قنطرة سفلىها معالم منطرة يقابلها واجهة البنا
سفلىها بير ماء معين علو الدهليز والقنطرة
والسبيل المركب على المنطرة وحائط البير
كامل علو ذلك من حقوق الغير ولم يكن
داخل فى عقد ذلك فيما بين المنطرة وواجهة
البير باب يدخل منه إلى اسطبل علوه مقعد
يتوصل إليه من سلم علو ذلك من حقوقه
وبالحوش يسرة الطالب باب يدخل منه إلى
رحاب مفروش بالرخام القديم يدخل منه إلى
قاعة تحوى إيوانين ودور قاعة بها بابان
أحدهما يدخل منه إلى مجاز به كرسى راحة
وسلم يتوصل منه إلى أغالى والسطح العالى
على ذلك وهو علو المقعد المذكور والباب
الثانى يدخل منه إلى مطبخ تجاهه قاعة صغيرة
وسلم يتوصل منه إلى طبقة وإلى سطح صغير
وما لذلك من المنافع والمراقق والحقوق
الداخلية فيه واخارجة عنه خلا العلو المرقوم
فانه من حقوق الغير وجميع الخانات الكاينة
بمصر المحروسة بخط الخراطين المذكور تجاه
الوكالة المعروفة بخان البلاط المشتمل بذلك
بالدلالة المذكورة أعلاه على مسطبة وداخل
ودرفى باب خشبا نقيا ومنافع ومرافق وحقوق
ولكل من ذلك شهرة فى محله تدل عليه
المعلوم ذلك عندهم شرعا والجارى أصل ذلك
فى وقف المرحوم جوهر القنباى وملك بنا
ذلك فى ملك كل من البايع الوكيل
والموكلتين المذكورين أعلاه ويدهم وحوزهم
وتصرفهم واختصاصهم الشرعى بمفردهم
إلى تاريخه بيان الحكم الموعود بذكره أعلاه
ما هو فى ملك المكرم الشيخ محفوظ البايع
الوكيل المذكور خاصة نفسه الحصاة التى

من ذو الأرحام» و«الوشى الجحمل فى النسب الجحمل»،
و«القول الصايب فى الحكم على الغايب»، و«بلوغ الآمال
فى كيفية الاستقبال» و«الجداول البهية برياض الخزرجية»،
فى علم العروض و«إصلاح الأسفار عن وجوه بعض
مخدرات الدر المختار»، و«مأخذ الضبط، فى اعتراض الشرط
على الشرط» و«النسمات الفيحية على الرسالة الفتحية»،
و«العجالة على اعدل آلة» و«حقائق الدقايق على دقايق
الحقايق» و«أخصر المختصرات على ربع المقنطرات»،
و«الثمرات الجنية من أبواب الفتحية» و«المفصحة فيما
يتعلق بالأسطحة»، «الدر الثمين فى علم الموازين»، وحاشية
على «شرح قاضى زاده على الجفمينى» لم تكمل وحاشية
«الدر المختار» لم تكمل و«مناسك الحج»، وغير ذلك حواش
وتقييدات على العصام والحفيد والمطول والمواقف والهداية
فى الحكمة والبرزنجى على قاضى زاده، وأمثلة وبراهين
هندسية شتى، وماله من الرسومات المخترعة، والآلات
(ص ٩٤٧) النافعة المبتدعة. ومنها الآلة المربعة لمعرفة
الجهات، والسمت والانحرافات، بأسهل مأخذ وأقرب
طريق، والدائرة التاريخية وبركار الدرجة، واتفق أنه فى سنة
ثنتين وسبعين وقع الخلل فى الموازين والقبابين، وجهل أمر
وضفها ورسمها، وبعد تحديدها وريحها ومشيلها واستخراج
مأمينها، وظهر فيها خطأ واختلفت مقادير الموزونات وترتب
على ذلك ضياع الحقوق وتلاف الأموال، وفسد على
الصناع تقليدهم الذى درجوا عليه فعند ذلك تحركت همة
المترجم لتصحيح ذلك وأحضر الصناع لذلك من الحدادين
والسباكين وحسر المشاقيل والصنوج الكبار والصفار
والقرسطونات ورسمها بطريق الاستخراج على أصل العلم

قدرها أربعة عشر قيراطا من ذلك وما هو في ملك المصونة شوق الموكلة المذكورة خاصة نفسها الحصة التي قدرها ثلاثة قيراط من ذلك وما هو في ملك المصونة أمان الموكلة المذكورة أعلاه الحصة التي قدرها سبعة قيراط باقي المكان المتاع المذكور أعلاه يشهد لهم بذلك على الوجه لمسور حجة الأيلولة الشرعية المسطرة من القسمة العسكرية مصر المؤرخة في سابع شهر تاريخه أدناه وهي الدلالة الموعود بذكرها أعلاه المخصوص على هامشها بمعنى ذلك وكل ممن سمي أعلاه الشهادة الشرعية بالطريق الشرعي ولهما ولاية بيع ذلك عن نفسه وعن موكلته والوكيل عن موكلته المذكورين أعلاه وقبض ثمنه بالطريق الشرعي بدلالة ما شرح أعلاه وبالتصادق على ذلك اشتراء صحيحا شرعيا وبيع بتا لازما ناجزا معتبرا محررا مرعيا خاليا عن رهن ووعد ووفاء انعقد بينهم في ذلك يوم تاريخه بإيجاب وقبول شرعيين بشمن قدره عن ذلك من الغروش الرومية التي عبرة كل غرش منها أربعون نصفاً فضة ستة آلاف غرش وثلاثمائة غرش روميا نصفها حفظاً لأصلها وضبطاً وبياناً لجمالها ثلاثة آلاف غرش ومائة غرش وخمسون غرشاً روميا ثلثنا حالا مقبوض ذلك من الوكيل المشتري المذكور من مال والده موكله المذكور الخاص به شرعا بيد كل من البائع الوكيل له ولوكلته والوكيل لموكلته المذكورين أعلاه كل منهم بما يقابل حصته من ذلك قبضا شرعيا بتمام ذلك وكماله نقداً بالمجلس بحضرة شهوده ومن ذكر أعلاه في يوم تاريخه واعترف الوكيل المشتري المذكور أعلاه يتسلم ذلك وحيازته لوالده موكله المذكور أعلاه التسلم والحيازة الشرعيين بعد النظر والمعرفة والاحاطة بذلك علما وخبرة نافين للجهالة شرعا وبمقتضى ذلك وبما شرح أعلاه صار السيد الشريف موسى أبو النصر العدوي الموكل المذكور يستحق ملك كامل بنا المكان والحالتين سفله المتاعين المذكورين يتصرف في ذلك لنفسه بمفرده خاصة بسائر وجوه التصرفات الشرعية دون

العملي والوضع الهندسي، وصرف على ذلك أموالا من عنده ابتغاء لوجه الله، ثم أحضر كبار القبانية والوزانين مثل الشيخ على خليل والسيد منصور والشيخ على حسن والشيخ حسن ربيع وغيرهم وبين لهم ما هم عليه من الخطأ وعرفهم طريق الصواب في ذلك، وأطلعهم على سر الوضع والصناعة ومكنونها وأحضروا العدد وأصلحوا منها ما يمكن إصلاحه وأبطلوا ما تقادم وضعه وفسدت لقمه ومراكزه، وقيدوا بصناعة ذلك الأسطى مراد الحداد ومحمد بن عثمان حتى تحررت الموازين وانضبط أمرها وانصلح شأنها وسرت في الناس العدالة الشرعية المأمورين بإقامتها، واستمر العمل في ذلك أشهراً، وهذا هو السبب الحامل له على تصنيف الكتاب المذكور وهذا هو ثمرة العلم ونتيجة المعرفة (ص ٩٤٨) والحكمة المشار إليها بقوله تعالى «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً».

حلف الزمان لـيأتين بمثله

حنث يمينك يازمان فكفر

وأما النظم فنروي عنه القليل في بعض فوايد وضوابط منها في معاني الإعراب اللغوي قوله:

وفي اللغة الإعراب جاء مفصلاً

بثنتين مع عشر يعد مفاده

إبان وتحسين وجول تحبيب

إزالة عرب الشيء وهو فساده

تكلم بالفصحى أو الفحش أو ولد

له عربي اللون صارت جياده

عرباً ولم يلحن كلاماً تغيّر

واعطاء عربون لينجو فؤاده

(وله في نظم ساعات النهار):

إذا رمت ساعات النهار وحصرها

مرتبة فاقبل عليها الاعتنا

شروق بكور ثم غدوة ضحوة

فهاجرة ثم الهجير فظهرنا

ظهرته ثم الرواح فعصره

أصيل غروب بالهناء أتى لنا

(وله في ساعات الليل):

وإن رمت ساعات ليل فأول

بها شفق يأتيك في العسد بينا

غسيق عشاء ثم عتمة جهمة (ص ٩٤٩)

فزلفته ثم السديفة فافطنا

فبهرته ثم السحير فصبحه

صباح فإسفار فخذها بلاعنا

(وله فيما لا يسوغ الشرب بعده):

توق لشرب الماء من بعد عشرة

طعام وحمام وحلو مجامع

ومتعبة من بعد مسهل فأكهه

ويقظنها من بعد سخن وجائع

(وله في الدم الطاهر):

فطاهره باق بلحم وعسرقه

وكبد وقلب مع طحال بلا شك

ومالم يسيل منا وبق وقمل

كل من البايع الوكيل والموكلتين المذكورين
أعلاه ودون كل أحد وعليه القيام بما على
ذلك من الحكم لجهة وقف أصله المذكور
حكم المعتاد الجاري به العادة كما ذلك معين
بالحجة المحكي تاريخها أعلاه المصيرة
والاستحقاق والتصرف الشرعيات بالطريق
الشرعي للمقتضى المشروح أعلاه وتصادقوا
على ذلك كله تصادقا شرعيا وثبت الأشهاد
بذلك بين يدي مولانا أفندي المومى إليه أعلاه
بشهادة شهوده لبونا شرعيا وحكم حضرة
مولانا شيخ الإسلام المشار إليه أعلاه بموجب
ذلك حكما صحيحا شرعيا تحريرا في تاسع
شهر جماد أول سنة سبع وخمسين ومائتين
وآلف.

شهوده

إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء

الوليقة رقم (٥)

٧ جماد أول سنة ١٢٥٧

الأمر كما ذكر فيه

نصفه الفقير إليه عز شأنه السيد نجيب أحمد

القاضي بمصر المحروسة

ختم : السيد نجيب أحمد

سبب تحرير حروفه هو أنه بالقسم العسكرية

المحمية بين يدي حضرة سيدنا ومولانا شيخ

مشايخ الإسلام علامة الأنام قاموس البلاغة

ونبراس الافهام الناظر في الأحكام الشرعية

وأمر القسم العسكرية قاضي القضاة يومئذ

بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام

علاه آمين بحضرة كل من المكرم على

الرمالي العلال ابن المرحوم الحاج محمود

الرمالي والمكرم حسين العدوي ابن المرحوم

عبد الرحمن العدوي والمكرم على السقا ابن

المرحوم حسن غانم دام كمالهم آمين بعد أن

توفى إلى رحمة الله سبحانه وتعالى قبل

تاريخه مولانا العلامة الشيخ عبد الرحمان

الشهير بالجبرتي ابن المغفور له الشيخ حسن

أفندي الجبرتي الحنفى والنحصر ميراثه الشرعى

في كل من زوجته المصونة شوق بنت المرحوم

الشيخ نصار ولديها هما العمدة الفاضل

الشيخ محفوظ من الزوجة المذكورة والمصونة

والحق براغيثا كذلك والسّمك

(وله في وضع الكتب فوق بعضها) :

إذا رمت وضعا للعلوم مرتبا

فبادر إلى حوز وحفظ لشارده

فنحو فتعبير كلام ففقههم

كذلك أخبار ودعوات وارده

ومن بعد ذا علم القراءة فوقها

ومن فوقه التفسير فادر موارده

(وله في ألقاب البناء والإعراب) :

ألا إن ألقاب البناء بيانها

سكون وكسر ثم فتح كذا ضم

فألقاب إعراب أتت يامسامري

برفع ونصب ثم جر كذا جزم

(وله في لفظ شفة على ما في المصباح) :

وشففة لكل ذات تنطق

قند وضعت فاحفظ لما قد حققوا

جحفلة مقمة ومشفر

لخافر ظلف وخف حرروا

ومنسمر لدى جناح صائد

منقار موضوع لغير الصائد

خطم وخرطوم لسبع ثبثا

فنطيسة لكل خنزير أتى

(وله في ياء المخاطبة على مذهب الأخفش) :

أمان المرأة من غير الزوجة المذكورة من غير
شريك ولا مانع شرعى وكان الخلف عن
المتوفى المذكور مما يورث شرعا جميع ملك
كامل بنا المكان الكائن مصر المحروسة بخط
الخراطين قريبا من مدرسة السنانية والجامع
الأزهر على يسرة السالك طالبا للأشرفية
وسوق العقادين البلدى المشتمل ذلك بدلالة
ما يأتى ذكره فيه على باب بالشارع الأعظم
يمتد الطالب لمدرسة السنانية يدخل من الباب
المذكور إلى دهليز به باب استثنى يدخل منه
إلى حوش به يمينة منظره سفلىها معالم منظره
يقابلها واجهة البنا سفلىها بير ماء معين علو
الدهليز والقنطرة والسبيل المركب على
القنطرة وحائط البير كامل علو ذلك من
حقوق الغير ولم يكن داخلا فى عقد ذلك
فيما بين المنظره وواجهة البير باب يدخل منه
إلى اسطبل علوه مقعد يتوصل إليه من سلم
علو ذلك من حقوقه بالخوش يسرة الطالب
باب يدخل منه إلى دهليز علوه من حقوق
الغير بالدهليز باب يدخل منه إلى رحاب
مفروش بالرخام القديم يدخل منه إلى قاعة
تحتوى إيوانين ودور قاعة بها بابان أحدهما
يدخل منه إلى مجاز به كرسي راحة وسلم
يتوصل منه إلى أغاني والسطح العالى على
ذلك وهو علو المقعد المذكور والباب الثانى
يدخل منه إلى مطبخ تجاه قاعة صغيرة وسلم
يتوصل منه إلى طبقة وإلى سطح صغير وما
لذلك من المنافع والمرافق والحقوق الداخلة
فيه والخارجة عنه خلا العلو المرقوم فانه من
حقوق الغير وجميع الخانات الكائنة بمصر
المحروسة بخط الخراطين المذكور تجاه الوكالة
المعروفة بخان البلاط المشتمل ذلك بدلالة ما
يأتى ذكره فيه على مسطبة وداخل ودرغى
باب خشبا تقيا ومنافع ومرافق وحقوق ولكل
من ذلك شهرة فى محله تدل عليه المعلوم
ذلك عند الورثة المذكورين العلم الشرع
النافى للجهالة شرعا والجارى أصل ذلك فى
وقف المرحوم جوهر القنقبائى وبنا ذلك فى
ملك المتوفى المذكور وبه وحوزه وتصرفه
الشرعى بمفرده إلى تاريخه يشهد له بذلك
إلى حين وفاته الحجة الشرعية المسطرة من

وأخفش في بالضربى مخالف

وتضرب بين قائلًا ذى أحرف

(وله في تفصيل الثياب):

لتفصيل الثياب يوم سبت

سقام قد تزايد أو تجدد

وفي التالى لهم مع غموم

وفي الاثنين مبروك ومسعد

ويسرق أو يحرق فى الثلاثا

وتاليه جلب الرزق يعهد

وفي يوم الخميس لرزق علم

وفي الغرا طول العمر يقصد

وله فى العقود التى تتعين فيها النقود كما فى الفصول

العمادية:

خذعين مالك فى مواطن عشرة

هبة وغصب ثم شركة السلم

(ص ٩٥١) وكذلك المقروض فى دعوى غدت

بتصادق من غير ما أصل حتم

وكذلك العبد المعين اذا قضى

قراض برء وهو فى باب السلم

وكذلك المشرى بثوب ثم قب

ل القبض مات فعين ثوب تلتزم

وكذلك فى البيع الذى هو فاسد

من أصله كالبيع فى حر حكم

القسمه العسكرية بمصر المؤرخة فى سادس
عشرين جماد آخر سنة ثلاث وثلاثين ومايتين
وآلف المخصوص على هامشها بمعنى ذلك وكل
من سعى أعلاه الشهادة الشرعية بالطريق
الشرعى وال ذلك من بعد المتوفى المذكور
لورثته المذكورين وقسم ذلك بينهم بالفريضة
الشرعية فكان ما خص المصونة شوق الزوجة
المذكورة بحق الثمن فرضا من قبل زوجها
المتوفى المذكور الحصة التى قدرها ثلاثة
قراريط من ذلك وما خص العمدة الفاضل
الشيخ محفوظ الابن المذكور من قبل والده
المتوفى المذكور الحصة التى قدرها الثلث
والربع أربعة عشر قيراطا من ذلك وما خص
المصونة أمان البنت المذكورة من قبل والدها
المتوفى المذكور التى قدرها السدس والثمن
سبعة قراريط باقى ذلك الأيلولة والقسمه
الشرعيتين بالطريق الشرعى وبمقتضى ذلك
وبما شرح أعلاه صار كل من المصونة شوق
وولدها الشيخ محفوظ والمصونة أمان
يستحقون على الوجه المسطور ملك كامل
حصصهم المعينة لهم أعلاه يتصرف كل
منهم فى حصته المعينة أعلاه بسائر وجوه
التصرفات الشرعية دون غيرهم ودون كل
أحد وعليهم القيام بما على ذلك ثم الحكم
لجهة وقف أصلهما المذكور حكم المعتاد
الجارب به العادة كما ذلك معين بالخجة
محكى تاريخها أعلاه الصيرورة والاستحقاق
والتصرف والقيام الشرعيات بالطريق الشرعى
للمقتضى المشروح أعلاه وكتب ذلك عند
الطلب والالتماس ليراجع به عند الاحتياج
إليه والاحتجاج به تحريرا فى سابع شهر جماد
أول سنة سبع وخمسين ومايتين وآلف
شهوده
إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء

صدر تباع شرعى من كل من المكرم الشيخ
محفوظ المذكور قرينه القايم عن نفسه
وبطريق وكالته عن والدته المصونة شوق
والمكرم يحيى أفندى ابن عبد الله الحكيم
وهو الوكيل الشرعى عن زوجته المصونة أمان
المذكورين قرينه فى جميع ما هو معين قرينه

بعد ثبوت معرفتهما شرعا إلى السيد الشريف
موسى أبو النصر ابن المرحوم السيد أحمد أبو
النصر العدوى المشمول بوكالة والده السيد
الشريف العمدة الفاضل أحمد بموجب
حجة شرعية من الباب العالي بمصر مؤرخة
في تاسع شهر تاريخه المذكور بأعاليه.

(وله فيما يصح مع الإكراه):

طلاق عتاق والنكاح ورجعة

يمين وإسلام وعفو عن العمد

ظهار وإيلاء وفيء ونذره

رضاع وإيمان وتديير للعبد

طلاق على جعل كذا العتق صلحهم

عن العمد الاستيلاء إيجاب للمسدي

قبول لإيداع فخذها فكلها

تصح مع الإكراه عشرون في العد

(وله في أصول المطعومات):

طعمونا أصولها البسيطة

حرارة ملوحة

حموضة عفوضة قبوضة

دسومة حلاوة تفاهة

ورأيت بخطه عند هذه الأبيات ما نصه: قال في شرح

المواقف حدوث الطعوم على هذا الوجه المخصوص مما لم

يقم عليه برهان ولا أمانة عند غلبة الظن ولذا قيل مباحث

الطعوم دعاوى خالية عن الدلائل. وكتب بهامشها أيضا

نقلا عن (ص ٩٥٢) مجموعة الحفيد: الفرق بين العفص

والقبض أن القابض يقبض ظاهر اللسان والعافص يقبض

ظاهره وباطنه، والتفاهة المعدومة مثل مافي الخبز واللحم وقد

يقال التف لما لا طعم له أصلا كالحديد وهذا هو المشهور

انتهى (وله):

إدراك كلى كذا مركب

ملكه لكل شيء يطلب
قواعد تصاحبت مع أصل
كذا اعتقاد جازم ياخلي
علما عليهما أطلقوا يا صاح
فاحفظ تفز بغرة الإصباح
وخصصوا الجزئي قل بالمعرفة
كذا البسيط يسمي فاعرفه
كذا إدراك جديد قد أتى
أواخر إدراكين فاحفظ مثبتا

وله في نظم أصول الحلال:
صول حلال جنن في العد عشرة
فخذها لكي تحظى بخير نباهه
تجارة ذي صدق ونصح إجاره
ومهدي أخ زاك وطيب ورائه
وخمس لغنم حيث قسم عادل
وأحياء موات ثم نبت مباحه
وصيد لبر ثم صيد لأبحر
كذلك سؤال عند مس لحاجه

والأصل فيه أنه اجتمع الإمام الطرطوشي والإمام ابن
(ص ٩٥٣) السيد البطليوسي رحمهما الله تعالى وتذاكرا
في الحلال هل بقي منه شيء، فقال البطليوسي: أصول
الحلال عشرة وسع الله تعالى بها على عباده: تجارة بصدق
وإجارة بنصح، وهديّة من أخ صالح، وميراث من أصل
طيب، وأحياء الموات وما أنبتته أرض غير مملوكة، وخمس

الغنائم إذا قسمت بعدل وصيد البر، وصيد البحر، والسؤال عند ميسس الحاجة، فقال الإمام الطرطوشي يجب على كل مسلم تقييد هذه الأصول ليكون على أهبة من الحلال الذي هو أهم المهمات والله تعالى الموفق للصواب.

(فايدة) رأيت بخط المترجم قال، رأيت بخط الشيخ عثمان النجدي قال : رأيت بخط الشيخ أحمد العجمي ما صورته وإن من شيء إلا يسبح بحمده إلا الحمار والكلب كما في الدر المنثور عن أبي الشيخ عن ابن عباس وفيه أيضا عن عمرو بن عنبسة ما تستقل الشمس، فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح بحمده إلا ما كان من الشيطان وأغبياء بني آدم، والأغبياء جمع غبي وهو القليل الفطنة، وفي فتاوى الجلال السيوطي رحمه الله:

قد خصصت آية الإسرا لتصف

وصف الحياة كرطب الزرع والشجر

فيابس مات لا تسبيح منه كذا

مازال من موضع كالقطع للحجر

فزاد عليها المترجم ما تقدم ذكره وألحقها بها في هذا البيت فقال:

والأغبياء كذا في العد قد ثبتوا (ص ٩٥٤)

كلب حمار وإبليس بلا نكر

وله في عد من يدخل الجنة من الحيوان:

وفي الجنة الفيحاء قد كان عشرة

من الحيوان اعدد وكن متاملا

فأولا في العد ناقصة صالح

وعجلا لابراهيم كبش الفدا تلا
 وحوت ابن متى بقرة لكليمهم
 ونمل سليمان بن داود ذى العلا
 وهدهد بلقيس وابل محمد
 عليه صلاة نشرها ضاع فى الملا
 يلى ذا الحمار للعزيرز وكلبهم
 وحسبى ربي ناظما متوكلا
 براق لطفه ثم ذنب ليووسف
 مزادان فيها فاحفظ العد مكمل

وهذا ما حصلته وعثرت عليه من نظمه، وأما ما قيل فيه من
 المدائح فلم أعثر بشيء من ذلك مع كثرت إلا بقصيدة من
 نظم تلميذه العلامة الشيخ شمس الدين محمد الصبان
 وجدنا مثبتة بديوانه، وسبب ذلك أنه كان رحمه الله لا يرى
 لنفسه مقاما، وإذا أتاه إنسان بأبيات أو قصيدة قبلها وأجاز
 قايلها ثم أحرقها والقصيدة هى هذه:

يامن بأفئدة العشاق قد لعبا
 رفقا بحالى فإن الصبر قد هربا
 كم ياظلومى تسقينى كنوس أسى (ص ٩٥٥)
 وكم تحمل قلبى فى الهوى كريبا
 مهلا رويدك يكفى ما صنعت فقد
 صيرتنى فى الهوى بين الورى عجبا
 أما كفاك لهيب لو قرب به
 لشاطئ البحر أضحى ملتهبا؟
 أما كفاك سهاد لا بديل له
 ومدمع كلما قلت ارتفع سكبا؟

وفرط حزن به الأسقام قد قرنت
 أمسى وأصبح بين الناس مكتئبا
 لك المحاسن خافيتها وظاهرها
 ولى الهوى ما نأى منه وما قربا
 أفدى بنفسى وبالدينيا منير دجى
 الشمس والبدر من أنواره اكتسبا
 أغنى أغنيى بالأرواح ممتزج
 مهفهم مارنا إلا سطا وسبا
 ظبى بسفك دم العشاق ذو ولع
 كأنه عنده من بعض ما وجبا
 إن كان ينكر قتل المفرمين به
 فخذ بدم العشاق قد خصبا
 الحسن مملوكه واللفظ خادمه
 والذل عبد له فانظر ترى العجبا
 من لى برشف عتيق الراح من فمه
 وقطف ورد على خديه قد ركبا
 يافتنة الخلق ياحلو الشمايل صل
 متيما ملت أحشاؤه وصبا
 (ص ٩٥٦) لم يستمع فيك عذال الهوى أبدا
 ولا إلى جهة السلوان عنك صبا
 لا والذى زانت الأيام طلعتته
 وفلق ساير أرباب العلا رتبا
 ركن الأنام فريد العصر أوحده
 معيد دهر المعالي بعد ما ذهب
 شمس الكمال ولكن لا كسوف له
 بحر العلوم ولكن ماؤه عذبا

حبر أطاعته أصناف الفنون ففى
 كل الفنون تراه الحايـز القصبـا
 هو الفياث إذا ما المشكلات عصت
 هو الملاذ إذا ما معضل صعبا
 يحج كعبته طلاب جـوهره
 فينفرون وكل أدرك الأربا
 لفضل تدعن الأعـيان قاطبة
 إذ كل ما وهبوه بعض ما وهبا
 أفديه من سيد لم يبق محمـدة
 إلا وكان لها دون الأنـام أبا
 العلم والحلم والتقوى بضائعه
 واللفظ والخلق منه حقا اكتسبا
 لكفه كرم إن قل أشبهه
 هتان ودق على كل الورى سـكبا
 ما جاءه طالب يرجو نوافحه
 إلا ونال من الآمال ما طلبا
 لنفسه همم من قاس أصغرها (ص ٩٥٧)
 بهمة الدهر فاعلم أنه كذبا
 كنز الفصاحة أستاذ البلاغة إن
 يسمعه قس يقل سبحان من وهبا
 تكاد جلاسه من حسن منطقـه
 ومن لطافته أن يرقصوا طربا
 مهذب النفس ما مر النسيم به
 إلا وكان من الأخلاق مكتسبا
 وكم له من كمالات ومن شـيم
 يجل معشارها عن حصر من حسبا

فاحضر مجالسه تنظر محاسنه
 واجلس بحضرته يوما تر العجبا
 محاسن الناس جزد من محاسنه
 ولم أقل فيه إلا بعض ما وجبا
 ته يازمان وفاخر إن سيدنا
 قد قلدتك يداه الدر والذهببا
 يامن بطلعتنه زان الجبرت ومن
 كادت جبرت به أن تفضل العربا
 ومن تسمى كأخلاق له حسنا
 هاك امتداحا بذكراك اعتلى رتبا
 أذاك يرفل في أثواب عزته
 لكنه من حياء أسبل الحجبا
 فجد له بقبول منك يجبره
 وغض عن عيبه فالعفو قد طلبا
 واشمل محمدا الصبان ناظمه
 بلحظة منك من تلحظ ينل أربا
 (ص ٩٥٨) لازالت في حلل الأفراح مرتفلا
 ولافتنت عن الأسواء محتجبا
 ولا برحت بعين السعد ملتحظا
 وكل من لك ياأستاذنا صحبا

وقال فيه أيضا تهنئة له بمولد الحسين سنة أربع وسبعين:
 بمولد الحسين السعد هنا كا
 والوقت بالعز والإقبال وافاكا
 وأصبحت مصرنا الغراء مشرقة
 بنور ذاك ونور من محياكا

والورق بالمولد الأسنى تهنئنا
 طورا وطورا تهادينا بذكر اكا
 أولاك مولاك ما يرضيك فى فرح
 وفى هناء وأبقى الله محياكا
 وهاك مولاي تاريخا وتهنئة
 فى ضمن بيت يفوق الدر إن حاكا
 يا أزيد الناس فى علم وفى عمل
 بمولد الحسين السعد هناكا

وللعلامة الشيخ سالم القيروانى:
 إمام إن ظفرت به فلازم
 حماه وقل لنفسك قد ظفرتى
 يذل له الجموح من المعانى
 لكل ياقريحته بهرتى
 ولما انقاد كل عرويص علم
 له جبرا تسمى بالجبرتى

(ص ٩٥٩) ذكرها فى دياجة حاشيت التى كتبها على لقط
 الجواهر، وقد كان قرأ عليه طرفا من العلوم الحكمية. وهذا
 ما عثرت عليه، وللشيخ قاسم والشيخ محمد شبانة
 وغيرهما فيه مدايح كثيرة وتواريخ أعوام ومواسم لم أعثر
 على شيء منها، ولما وصل إلى مصر الشيخ ابراهيم بن أبى
 البركات العباسى البغدادى الشهير بابن السويدي فى سنة
 خمس وسبعين ومائة وألف، وكان إماما فاضلا فصيحاً
 مفوها ينظم الشعر بالإملاء ارتجالاً فى أى قافية من أى بحر
 من غير تكلف، فأنزله المترجم وأكرمه واغبط به وصار

يتنقل صحبته مع الجماعة بمنازل بولاق والمنازل، واتفق أنه تمرض أيام فأقام بمنزل بولاق المشرف على النيل فقيد به من يعوله ويخدمه ويعمل مزاجه، فكان كلما اختلى بنفسه وحبب عليه النسمات الشمالية والنفحات البحرية أخذ القلم بينانه، ونقش على أخشابه وحيطانه، فكتب نحو العشرين قصيدة على قواف عديدة كلها مدائح في المذكور، والرياض والزهور، والكوثر والسلسبيل، وجريان النيل، وتركت بحالها، وذهب كغيرها، وفي سنة تسع وسبعين توفي ولده أخى لأبى أبو الفلاح على، وقد بلغ من العمر اثنتى عشر سنة، فحزن عليه وانقبض خاطره وانحرف مزاجه، وتوالت عليه النوازل، وأوجاع المفاصل، وترك الذهاب إلى بولاق وغيرها، ونقل العيال من هناك ولازم البيت الذى بالصنادقية واقتصر عليه وفتر عن الحركة إلا فى النادر، وصار يملئ الدروس بالمنزل، ويكتب على الفتاوى ويراجع المسائل الشرعية والقضايا الحكيمة، مع (ص ٩٦٠) الديانة والتحرى والمراجعة والاستتباط والقياس الصحيح ومراعاة الأصول والقواعد، ومطارحات التحقيقات والفوائد، وتلقى الوافدين وإكرام الواردين وإطعام الطعام، وتبليغ القاصد المرام، ومراعاة الأقارب والأجانب، مع البشاشة ولين الجانب، وسعة الصدر وحسن الأخلاق، مع الخلال والأصحاب والرفاق، ويخدم بنفسه جلأسه. ولا يمل معهم إيناسه، ولا يخل بالموجود، ولا يتكلف المفقود، ولا يتضع فى أحواله، ولا يتمشدد فى أقواله، ويلاحظ السنة فى أفعاله، ومن أخلاقه أنه كان يجلس بآخر المجلس على أى هيئة كان بعمامة وبدونها، ويلبس أى شى كان، ويتحزم ولو بكنار الجوخ أو قطعة خرقة أو شال كشميرى أو محزم، ولا

ينام على فراش ممهد، بل ينام كيفما اتفق، وكان أكثر نومه وهو جالس، وله مع الله جانب كبير، كثير الذكر، دأب المراقبة والفكر، ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلّى ما تيسر من النوافل والوتر، ثم يشتغل بالذكر. حتى يطلع الفجر فيصلّى الصبح ويجلس كذلك إلى طلوع الشمس، فيضطجع قليلا أو ينام وهو جالس مستندا، وهذا دأبه على الدوام، ويحاذر الرياء ما أمكن، وكان يصوم رجب وشعبان ورمضان، ولا يقول إني صائم، وربما ذهب إلى بعض الأعيان أودعى إلى وليمة فيأتون إليه بالقهوة والشربات فلا يرد ذلك، بل يأخذها ويوهم الشرب، وكذلك الأكل ويضايح ذلك بالمؤانسة والمباينة مع صاحب المكان والجالسين، وكان مع مسائره للناس وبشاشته (ص ٩٦١) ومخاطبته لهم على قدر عقولهم عظيم الهيبة في نفوسهم وقورا محتشما ذا جلال وجمال. وسمعت مرة شيخنا سيدى الشيخ محمود الكردى يقول: أنا عندما كنت أراه داخلا فى دهليز الجامع يداخلى منه هيبة عظيمة وأدخل إلى رواقنا وأنظر إليه من داخل وأسأل المجاورين عنه فيقولون لى: «هذا الشيخ الجبرتى» فأتعجب لما يداخلى من هيبة دون غيره من الأشياخ، فلما تكرر على ذلك أخبرت الأستاذ الحفنى فتبسم وقال لى «نعم إنه صاحب أسرار».

وكان صفته مربع القامة ضخم الكراديس أبيض اللون، عظيم اللحية منور الشيبة واسع العينين غزير شعر الحاجبين وجيه الطلعة، يهابه كل من يراه، ويود أنه لا يصرف نظره عن جميل محياه، ولم يزل على طريقته المفيدة، وأفعاله الحميدة، إلى أن آذنت شمسها بالزوال، وغرب بعدما طلع

من مشرق الإقبال، وتعلل اثني عشر يوما بالهيضة
الصفراوية [التهاب الكبدى]، فكان كلما تناول شيئا
قذفته معدته عندما يريد الاضطجاع إلى أن اقتصر على
المشروبا فقط، وهو مع ذلك لا يصلى إلا من قيام ولم يغب
عن حواسه، وكان ذكره فى هذه المدة يقرأ الصمدية مرة ثم
يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بالصيغة السنوسية
كذلك، ثم الاسم العشرين من الأسماء الإدريسية وهو
(يارحيم كل صريخ ومكروب وغيائه ومعاذه) هكذا كان دأبه
ليلا ونهارا حتى توفى يوم الثلاثاء قبيل الزوال غرة شهر صفر
من السنة، وجهز فى صبح يوم الأربعاء وصلى عليه بالأزهر
(ص ٩٦٢) بمشهد حافل جدا، ودفن عند أسلافه بتربة
الصحراء بجوار الشمس البابلى والخطيب الشربيني، ومات له
من العمر سبع وسبعون سنة، ورثاه تلميذه العلامة الشيخ
محمد الصبان بهذه الأيا وأنشدت وقت حضور الجنازة:

ويحك يانفسى كيف القرار
ودولة الفضل بها البين سار
وكيف يصفو العيش من بعدما
كأس الردى بين ذوى الجند دار
إن لهذا الدهر أقضية
فيهن للمستبصرين اعتبار
كم سل أسىاف المنايا على
قوم إليهم كان يعزى الفخار
وكم رماهم بسهام النوى
كأنما يأخذ منهم بشار
وما كفاه ما جرى سابقا
منه وما صال علينا وجار

حتى أذاق الناس نائبة
 بالبعض منها اسود وجه النهار
 فقد إمام المسلمين الذي
 بنوره كان الوجود استنار
 شيخ الشيوخ المجتبي المتقى
 رحلة أهل العلم من كل دار
 شمس الهدى بحر السخاء الذي
 تغرق في جود يديه البحار
 (ص ٩٦٣) أنعم به من لوذعى حوى
 مكارم الأخلاق مافيه عار
 وطود حلم زانه خلق
 لطف الصبا من لطفه مستعار
 وروض فضل طالما قطفت
 أهل التقى منه جنى الثمار
 ذاك الذ مثل اسمه حسن
 أعنى الجبرتي إمام الوقار
 ياسيدا ساد بني دهره
 وفاضلا ما لعلاه انحصار
 سرت إلى جنة عدن وقد
 أضربت من فقدك في القلب نار
 أبشـر من الله بنيل المنى
 في مقعد الصدق وحسن الجوار
 يارب حقق ما نرجى له
 يجاه طه تجاه أهل الفخار
 صلى عليه خالق الخلق مع
 تسليمه ما حل ركب وسار

والآل والأصحاب ما سكب

أعين محزون دموعا غزار

(وللشيخ أحمد الخلامي):

بك العيون لفقد هذا الأمد

العالم الحبر الهمام الأوحـد

شيخ الشيوخ ومعدن الجود الذي

كانت به كل الأفاضل تقـدى

(ص ٩٦٤) كهف المحاويج الضعف إذا بهم

محل ألم وصاحب الكف الندى

شمس المعارف والتقى حسن الجبر

تى الذى قد كان رجب المـورد

حزنت عليه عيوننا وقلوبنا

حزن الدروس على الرؤوس الرشـد

بكت الخافل والدروس لفقده

إذا كان فيها قامعا للمعتدى

وكذا البروج مع الكواكب أظهرت

أسفنا على ذاك الإمام المفرد

من للمسائل والفنون مـهذبـا؟

من للفتاوى بعد هذا السيد؟

كم أبرز المكنون ثاقب فـهـمـه

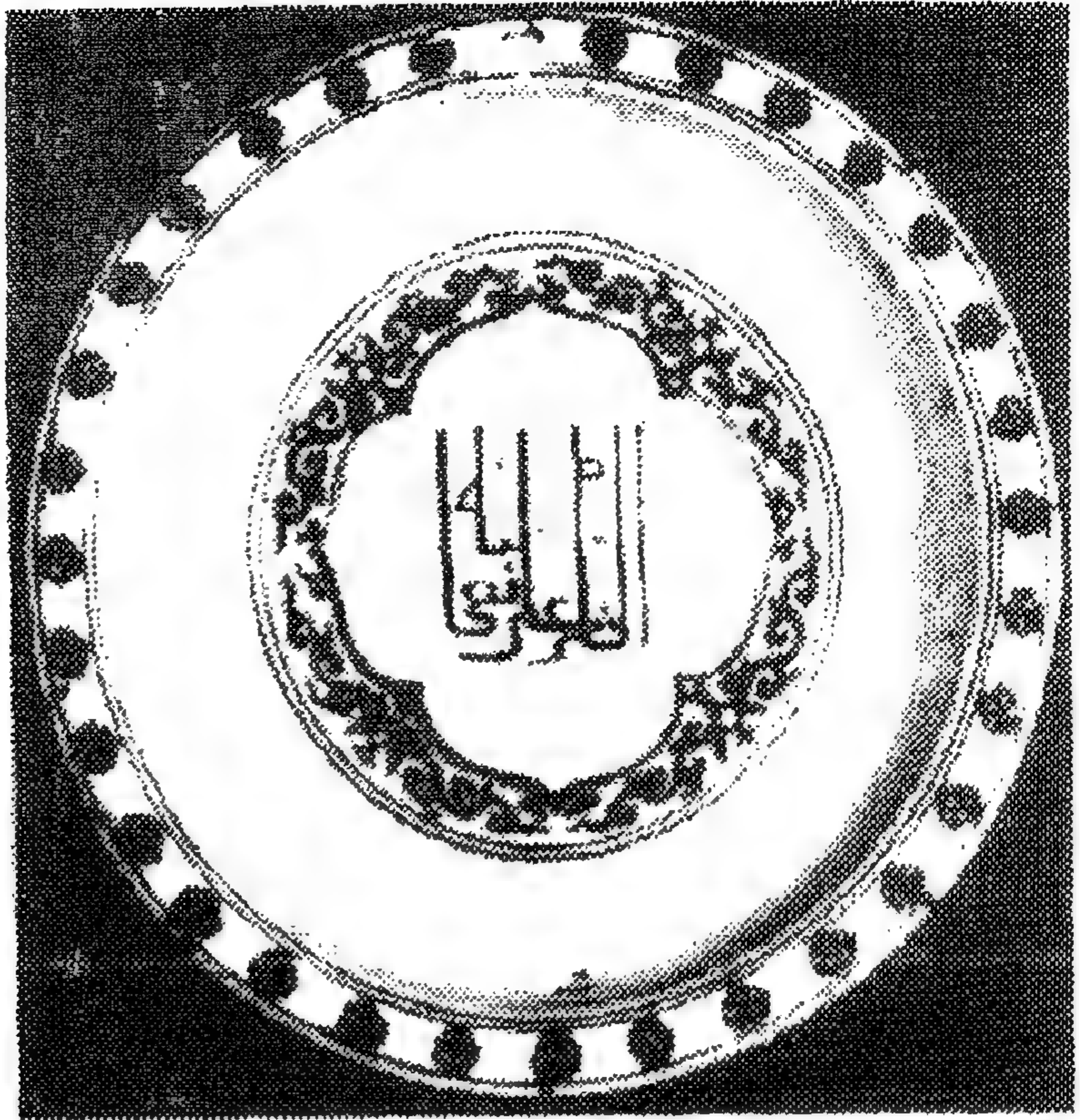
ولكم أفاد الطالبين بمعهـد

واها على ذاك العزيز وحلمه

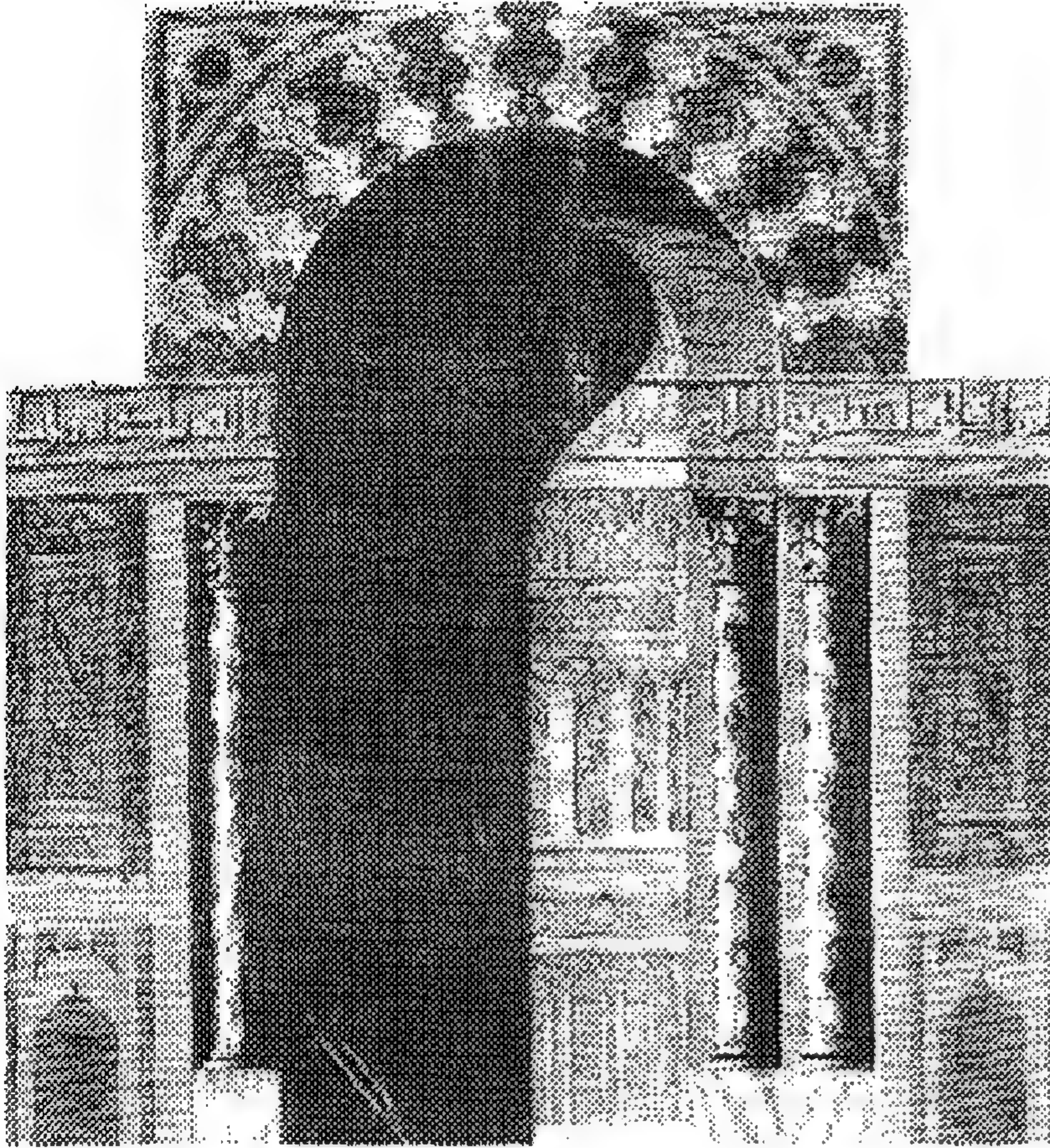
وبشاشة الوجه الجميل المسعد

واحسرتاه قد عدنا شيخنا

من كان للطلاب أقوى مُسند



ياعين سحى بالبكا لا تبخلى
 ياعين شحى بالكرى لا ترقدى
 ياعين قد مات الذى تبغيه
 من كان عونى فى الخطوب ومقصدى
 رحمت مولانا العظيم جلاله (ص ٩٦٥)
 تغشاه دوما سرمدا فى سرمدا
 وجزاه رب العرش خير جزائه
 وحباه فى الفردوس أسنى مقعد
 ثم الصلاة مع السلام على الذى
 كل الورى ترجوه حقا فى غد
 وعلى صحابته الكرام وآله
 من هم نجوم فى الظلام المهتدى



تفاصيل معمارية من جامع
السلطان حسن.

ما أن محزون وحن فؤاده
لسماع ذكر حبيبه في مشهد

(ولغيره أيضا):

لحس الله دهرا كل أيامه محن
وكل سرور في أوقاته حزن
وما الناس في ذا الدهر إلا شواخص
وكل له من دهره ما به افتتن
فمنحة هذا الدهر لاشك محنة
وإدباره صعب وأقباله فتن
فيا طالبا من ذلك الدهر راحة
رويدك من ذا نالها أو بها اطمأن؟

لقد صال هذا الدهر صولة ظالم
 وسل سيف البغي في السر والعلن
 وأفجعنا في مفرد العصر شيخنا
 كريم السجايا صاحب المجد والسنن
 وذاك الجبرتي الذي كان قدوة
 على منهج التحقيق والشرع يؤتمن
 إمام له في كل فن براعة (ص ٩٦٦)
 وفهم ذكي واجتهاد له حسن
 لقد كان هذا الخبر قطب زماننا
 فأحررنا من شخصه ذلك الزمن
 نعتة غواذي السحب وانهل دمعها
 كذا الفلك الدوار قد مسه شجن
 وأظلمت الدنيا وغارت نجومها
 وشمس الضحى غابت وبدر الدجى وهن
 فمن للفتاوى والمسائل بعده
 ومن ذا الذي في كل فن له فطن؟
 لئن مات فالذكر الجميل مخلد
 وإن غاب عن أبصارنا في الحشا استكن
 ولم انسسه الطالبون ببيتبه
 وكل إلى ذاك المذهب قد ركن
 يدير عليهم من سلاف علومه
 كئوسا من التسليم أشهى وأعذب
 فواحسرتاه قد عدلنا بيننا
 وصرنا حيارى لانعى بعده الوطن
 فيا عين سحي واندبى فقد ماجد
 وسوحي ونوحي واهجرى لذة الوسن

عدمننا فتى قد كان مأوى وملجأ
 فسواها وآها لا نرى مثله فتن
 ولما دعاه ذو الجلال لقربه
 ولم يبق فى دار الفناء له وطن
 أجاب سريعا ثم ولى مودعا
 وسار لجنات بها فاز من سكن
 (ص ٩٦٧) فناديت به من عظم وجدى مؤرخا
 بمقعد صدق قد قدمت أيا حسن
 هنيئا مريئا فزت فوزا مؤيدا
 بجنا عدن وهى من أعظم المن
 عليك من المولى الكريم تحية
 كذا رحمات لا يكدرها حزن
 وصل مع تسليم رب العلا على
 نبي أتانا بالفروض وبالسنن
 محمد المبعوث للناس رحمة
 ومن قد بكى جذع على فقدته وحن
 صلاة وتسليما يدومان سرمد
 مدى الدهر ما وجد تحرك أو سكن
 كذا الآل والأصحاب ما كوكب سرى
 وما دمت عين على فقد من ظعن
 وقوله نعته (غواذى السحب) البيت وما بعده، وذلك أن يوم
 وفاته غيمت السماء وأرعدت وأمطرت مطرا خفيفا وكان
 الوقت صيفا فأشار إلى ذلك فى الأبيات (ورثاه أيضا الخامى
 بهذه القصيدة):

مهج بالخطوب تعيا وتعدم
 وفؤاد من الضنا يتالم

وعيون مكحولة بسهاد
 قد كساها من النوى ثوب عندم
 وقلوب مملوءة حسرات
 نارها لا تزال تقوى وتضرم
 ويح دهرى فكم أذاب قلوبا (ص ٩٦٨)
 وبرى أعظمنا وأضنى وأسقم
 لا يبالى وليس يرعى ذمامنا
 وعلى منا جناه لم يتندم
 طالما صال واستطال علينا
 وغزانا من حيث لا قط نعلم
 ورمانا فصادف الهم قلبا
 كان أقوى القلوب دينا وأقوم
 خاننا فيه ذا الزمان فلا كا
 ن زمان على الخيانة يقدم
 كان بدرا فأسرعت كسفه الأر
 ض فزال الضياء والجو أظلم
 لهف قلبى على امرئ كان فينا
 عقله بالورى يقاس وأعظم
 حسن الاسم والصفى كريم ال
 خلق والخلق ذى العطاء المفخم
 ياله من مجند لودعى
 بحر جسود وكنز در منظم
 ياله من معظم قل أن يو
 جد فى الكون مثله من معظم
 عالم فاضل عزيز مهتاب
 بين أقرانه كبسير مقدم

ماعسى أن أقول فى مدح شخص
 كان فى الله لم يخش لوم لوم
 أقفرت بعده ربوع المعالى
 وعليها سرادق الحزن خيم
 (ص ٩٦٩) ونعته مجالس العلم إذ كا
 ن لديها كفارس فوق أدهم
 وبكتسه نكاتها والفتاوى
 بدموع كغيث سحب تركم
 كم قلوب لفقده قد أتاها
 مآدهاها من حيث لا تتوهم
 أى قلب يطيق فقد عزيز
 كان للواردين أعظم مغنم
 سامه وارد النوى فلعمرى
 كم زوى ذا النوى نكالا وأبرم
 فلو ان المتون يقبل جمعلا
 كان لكنه قضاء محتم
 منذ وافى لربه وحبيباه
 فى جنان تفوق ما يتوهم
 صح تاريخه فسيأهل ودى
 الجببترتى فى الجنان ينعم
 فعليه من ربه رحمات
 كل وقت على الدوام وأدوم
 وصلاة من المهيمن تهدى
 مع سلام على النبى المكرم
 أشرف المرسلين أزكى البرايا
 من عليه الإله صلى وسلم

وعلى آله الكرام وصحب
 وذوهم وكل من قد تقدم
 ما بكت أعين على مثل هذا
 أو نعااه قلب عليه تالم
 أورثاه الخامي إذ قال فيه (ص ٩٧٠)
 مهج باخطوب تعيا وتعدم

[ومات] الإمام العلامة الفقيه المعمر الشيخ / أحمد بن
 محمد محمد الحماقى الحنفى، كان أبوه من كبار علماء
 الشافعية فتحنف هذا بإذن الإمام الشافعى رضى الله عنه
 لرؤيا رآها، وكان يخبر بها من لفظه، وتلقى عن أنمة
 عصره كالشيخ أحمد الدسوقى والشيخ على العقدى،
 ومحمد عبد العزيز الزيادى، والشيخ أحمد البنوفرى،
 والشيخ سليمان المنصورى وغيرهم، وتصدر للإقراء
 والتدريس بالجامع الأزهر مدة سنتين، ثم تولى مشيخة إفتاء
 الحنفية بعد موت الشيخ حسن المقدسى، وفى ذلك يقول
 الشيخ عبد الله الإدكاوى :

رجع الحق بعد طول ثناء
 لإمام له الخناصر تعقد
 فى جميع الفنون فقها ونحوا
 وبيانا بمنطق ليس يجحد
 هو ذو الفضل ليس ينكر هذا
 غير قدم بجهله قد تفرد
 ويراع الفتوى استمر مقيما
 عند مولى له الفضائل تسند

والورى بالدعاء قالت تؤرخ

دام فى كف أحمد الفضل أحمد
وكان إنسانا حسنا دمث الأخلاق حسن العشرة صافى
الطوية عارفا بفروع المذهب لين الجانب لا يتحاشى الجلوس
فى الأسواق والقهاوى، وكان إخوانه من أهل العلم ينقمون
عليه فى ذلك فلا يبالى (ص ٩٧١) باعتراضهم، ولم يزل
حتى توفى فى سحر ليلة الجمعة خامس عشرين صفر من
السنة رحمه الله.

٣٦٧ أحمد شاهين الراشدى.

[ومات] الإمام الفقى العلامة المحدث الفرضى الأصولى
الورع الزاهد الصالح الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن
شاهين الراشدى الشافعى الأزهرى، ولد بالراشدية وهى قرية
بالغربية سنة ثمان عشرة ومائة وألف، وبها نشأ وحفظ
القرآن وجوَّده، وقدم الأزهر فتفقه على الشيخ مصطفى
العزبى، والشيخ مصطفى العشماوى، وأخذ الحساب
والفرايض على الشيخ محمد الغمرى، وسمع الكتب الستة
على الشيخ عيد النمرسى بطرفيها وبعضها على الشيخ عبد
الوهاب الطندتاوى، وسيدى محمد الصغير، وله شيوخ
كثيرون، ورافق الشيخ الوالد وعاشره مدة طويلة وتلقى عنه
وهو أحد أصحابه من الطبقة الأولى، ولم يزل محافظا على
وده وتردده ومؤانسته ويتذكر الأزمان السالفة والأيام الماضية،
وله شيوخ كثيرون، وكان من جملة محفوظاته البهجة
الوردية، وقد انفرد فى عصره بذلك واعتنى بالكتب الستة
كتابة ومقابلة وتصحيحا، وكان حسن التلاوة للقرآن، حلو
الأداء مع معرفته بأصول الموسيقى، ولذلك ناطت به رغبة
الأمراء، فصلى إماما بالأمير محمد بك ابن اسماعيل بك،

مع كمال العفة والوقار والإنجماع عن الناس حتى إن كثيرا منهم يود أن يسمع منه حزبا من القرآن فلا يمكنه ذلك، ثم أقلع عن ذلك وأقبل على إفادة الناس فأقرأ المنهج مرارا وابن حجر على المنهاج مرارا، وكان يتقنه ويحل مشكلاته بكمال التؤدة (ص ٩٧٢) والسكينة، فاستمر مدة يقرأ دروسه بمدرسة السنانية قرب الأزهر، ثم انتقل إلى زاوية قرب المشهد الحسيني، وكان تقريره مثل سلاسل الذهب في حسن السبك، ولما بنى المرحوم يوسف جريجى الهياثم المسجد قرب منزله بخط أبى محمود الحنفى رتب فيه خطيبا وإماما وأعاد دروس الحديث فيه، فمما قرأ فيه صحيح مسلم وسنن أبى داود، هذا مع صيامه الدهر وقيامه الليل من مدة طويلة، ويقوم الليل بالقرآن، وفيه جذبة إلى الله تعالى، وقد انتفع به كثير من الأعلام، ولما بنى المرحوم محمد بك أبو الذهب المدرسة تجاه الجامع الأزهر فى هذه السنة راوده أن يكون خطيبا بها فامتنع فألح عليه وأرسل له صرة فيها دنانير لها صورة فأبى أن يقبل ذلك ورده فألح عليه، فلما أكثر عليه خطب بها أول جمعة وألبسه فروة سمور، وأعطاه صرة فيها دنانير فقبلها كرها ورجع إلى منزله محموما، يقال فيما بلغنى أنه طلب من الله أن لا يخطب بعد ذلك، فانقطع فى منزله مريضا إلى أن توفى ليلة الثلاثاء ثانى شوال من السنة، وجهز ثانى يوم وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ودفن بالقرافة الصغرى تجاه قبة أبى جعفر الطحاوى، ولم يخلف بعده فى جميع الفضائل مثله، وكان صفته نحيف البدن منور الوجه والشيبة ناتئ الجبهة ولا يلبس زى الفقهاء ولا العمامة الكبيرة بل يلبس قاوروقا لطيفا فتلى، ويركب بغلة وعليها سلخ شاة أزرق، وأخذ كتبه

الأمير محمد بك ووقفها في كتب خاتته التي جعلها بمدرسته،
وكان لها جرم كلها صحيحة مخدومة وسرق غالبها.

٣٦٨ سعد الشنواني.

[ومات] الشيخ الصالح/ سعد بن محمد بن عبد الله
الشنواني، حصل في حياته شيا كثيرا من العلوم، ومال إلى
فن الأدب فمهر فيه، وتنزل قاضيا في محكمة باب الشعرية
بمصر، وكان إنسانا حسنا بينه وبين الفضلا مخاطبات
ومحاولات، وشعره حسن مقبول، وله قصايد ومدائح في
الأوليا وغيرهم أحسن فيها، ولم أعثر على شيء منها، ووجد
له شيخنا السيد مرتضى نسبة إلى الشيخ شهاب الدين
العراقي دفن شنوان، توفي يوم السبت خامس جمادى الثانية
من السنة وقد جاوز السبعين رحمه الله

٣٦٩ علي بن حسن المالكي.

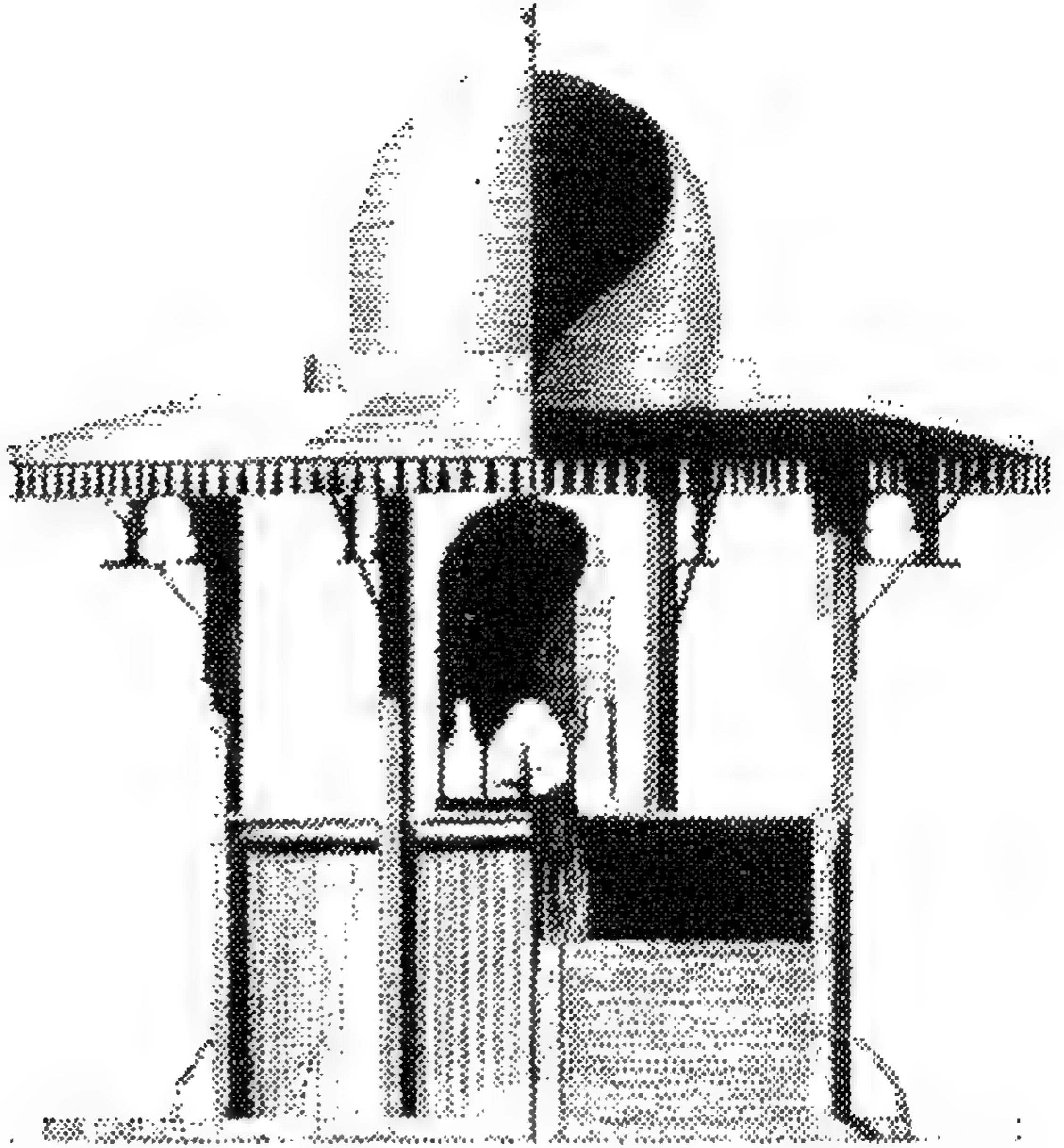
[ومات] العلامة الفقيه لصالح الدين الشيخ/ علي بن حسن
المالكي الأزهرى، قرأ على الشيخ العدوى وبه تخرج وحضر
غيره من الأشياخ ومهر في الفقه والمعقول وألقى دروسا
بالأزهر ونفع الطلبة، وكان ملازما على قراءة الكتب النافعة
للمبتدئين مثل أبى الحسن وابن تركى والعشماوية في الفقه،
وفى النحو الشيخ خالد والأزهرية والشذور، وحلقة درسه
عظيمة جدا، وكان لسانه أبدا متحركا بذكر الله، توفي ليلة
الخميس منتصف ربيع الأول من السنة ودفن بالمجاورين.

٣٧٠ محمد السفاريني النابلسي.

[ومات] الشيخ الإمام المحدث البارع الزاهد الصوفي محمد
بن أحمد بن سالم أبو عبد الله السفاريني النابلسي الحنبلي،
ولد كما وجد بخطه سنة أربع عشرة ومائة وألف تقريبا
بسفارين، وقرأ القرآن في سنة إحدى وثلاثين في نابلس

واشتغل بالعلم قليلا وارتحل إلى دمشق سنة ثلاث وثلاثين ومكث (ص ٩٧٤) بها قدر خمس سنوات فقرأ بها على الشيخ عبد القادر التغلبي دليل الطالب للشيخ مرعي الحنبلي من أوله إلى آخره قراءة تحقيق، والإقناع للشيخ موسى الحجازي، وحضره في الجامع الصغير للسيوطي بين العشاءين وغيره مما كان يقرأ عليه في سائر أنواع العلوم، وذاكره في عدة مباحث من شرحه على الدليل، فمنها ما رجع عنها ومنا ما لم يرجع لوجود الأصول التي نقل منها، وكان يكرمه ويقدمه على غيره، وأجازه بما في ضمن ثبته الذي خرج له الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزالي في سنة خمس وثلاثين، وعلى الشيخ عبد الغني النابلسي الأربعين النووية وثلاثيات البخاري والإمام أحمد، وحضر دروسه في تفسير القاضي وتفسيره الذي صنفه في علم التصوف، وأجازه عموما بسائر ما يجوز له وبمصنفاته كلها، وكتب له إجازة مطولة وذكر فيها مصنفاته، وعلى الشيخ عبد الرحمن المجلد ثلاثيات البخاري وحضر دروسه العامة وأجازه، وعلى الشيخ عبد السلام بن محمد الكامل بعض كتب الحديث وشيا من رسائل إخوان الصفا، وعلى ملا الياس الكوراني كتب المعقول وعلى الشيخ اسماعيل بن محمد العجلواني الصحيح بطرفيه مع مراجعة شروحه الموجودة في كل رجب وشعبان ورمضان كل سنة مدة إقامته بدمشق وثلاثيات البخاري وبعض ثلاثيات أحمد وشيا من الجامع الصغير مع مراجعة شرحه للمناوي والعلقي وشيئا من الجامع الكبير وبعضها من كتاب الإحياء مع مراجعة تخريج أحاديثه للزين العراقي، والأندلسية (ص ٩٧٥) في العروض مع مطالعة بعض شروحها وبعضها

من شرح شذور الذهب، وشرح رسالة الوضع مع حاشيته التي ألفها وحاشية ملا الياس وأجازه بكل ذلك وبما يجوز له روايته، وعلى الشيخ أحمد بن علي المنيني شرح جمع الجوامع للمحلى، وشرح الكافية لملا جامي، وشرح القطر للفاكهي وحضر دروسه للصحيح وشرحه على منظومة الخصايس الصغرى للسيوطي، وقد أجازه بكل ذلك مطولة كتبها بخطه، وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزي بعضاً من شرح ألفية العراقي لذكريا وأول سنن أبي داود . وعلى قريه الشيخ أحمد الغزي غالب الصحيح بالجامع الأموي بحضرة جملة من كبار شيوخ المذاهب الأربعة، وعلى الشيخ مصطفى بن سوار أول صحيح مسلم، وعلى حامد أفندي مفتي الشام المسلسل بالأولية وثلاثيات البخاري وبعض ثلاثيات أحمد، وحج سنة ثمان وأربعين فسمع بالمدينة على الشيخ محمد حياة المسلسل بالأولية وأوائل الكتب الستة ، وتفقه على شيخ المذهب مصطفى بن عبد الحق اللبدي، وطه بن أحمد اللبدي، ومصطفى بن يوسف الكرمي، وعبد الرحيم الكرمي، والشيخ معمر السيد هاشم الحنبلي، والشيخ محمد السلفيني وغيرهم ، ومن شيوخه الشيخ محمد الخليلي سمع عليه أشياء، والشيخ عبدالله البصروي سمع عليه ثلاثيات أحمد مع المقابلة بالأصل المصحح، والشيخ محمد الدقاق أدركه بالمدينة وقرأ عليه أشياء، واجتمع بالسيد مصطفى البكري فلزمه وقرأ عليه مصنفاته وأجازه بماله وكتب له بذلك، (ص ٩٧٦) وله شيوخ آخر غير من ذكرت وله مؤلفات منها شرح عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني في مجلدين وشرح ثلاثيات أحمد في مجلد ضخيم، وشرح نونية الصرصري الحنبلي



سماء معارج الأنوار في سيرة النبي المختار، وبحر الوفا في
سيرة النبي المصطفى ، وغدا الألباب في شرح منظومة
الآداب والبحور الزاخرة في علوم الآخرة، وشرح الدرة
المضيئة في اعتقاد الفرقة الأثرية ولوايح الأنوار السنية في
شرح منظومة أبي بكر بن أبي داود الحائية، وما وجدته من
نظمه ونقلته من خطه :

لكل امرئ عند الإله وسيلة
ستنحيه في يوم الجزا من عذابه
ومالي سوى ذلي وفقير وفاقتي
وحسن رجائي وانكساري بيباه
عسى خالقي يمحو ذنوبي بهمه
ويقبضي مستمسكا بكتابه

وله أيضا:

إذا رأيت ذوى ظلم فقل لهم
ستندمون إذا ما جئتمو سقرا
عنفهم بشنيع من قبايحهم
وأقرأ لهم آية فى آخر الشعرا

وله أيضا:

ألا ليت شعرى هل أبين ليلة
بمكة حولى صالح وزميل
وهل أردن يوما مياها لزمزم (ص ٩٧٧)
وهل يُعدون لى فى الطراف قبول

وله أيضا:

وشادن من بنى الأتراك قلت له
قصدى أقبل ياكل المنى شففتك
فقال لى كف عن هذا الكلام ولو
قبلتها يا صريع الحب ماشفتك

(والأضل فيه قول من سبق):

وشادن قلت له
دعنى أقبل شففتك
فقلت له كم مرة
قبلتها ما شففتك

وله أيضا:

ظن العـــــواذل أنى
من قلة المال أشقى



▲ دروايش الطرق الصوفية.

فقلت لا، ذاك إفك

قال له خير وأبقى

وكان المترجم شيخا ذا شيبة منورة مهيبا جميل الشكل ناصرا للسنة، قامعا للبدعة قوالا بالحق مقبلا على شأنه مداوما على قيام الليل في المسجد ملازما على نشر علوم الحديث محبا في أهله ولازال يملئ ويفيد ويجيز من سنة ثمان وأربعين إلى أن توفي يوم الاثنين ثامن شوال من هذه السنة بنابلس، وجهز وصلى عليه بالجامع الكبير ودفن بالمقبرة الزاركنية وكثر الأسف عليه ولم يخلف بعده مثله، ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله رحمة واسعة.

[ومات] العمدة المجل الفاضل الشيخ / أحمد بن محمد بن عبد السلام الشرفي، المغربي الأصل، المصري المولد، وكن والده شيخا على رواق المغاربة بالجامع الأزهر، ومن شيوخ الشيخ أحمد الدمهوري، وولده هذا (ص ٩٧٨).

ان له معرفة بعلم الميقات ومشاركة حسنة وفيه صداقة ود وحسن عشرة مع الإخوان ومكارم أخلاق ويدعو الناس والعلماء في المولد النبوي إلى بيته بالأزكية، ويقدم لهم الموايد والحلوى وشراب السكر، وكان لديه فوايد ومآثر حسنة، توفي سابع عشر ربيع الأول من السنة، وقد جاوز السبعين رحمه الله.

[ومات] العمدة الفاضل الشيخ زين الدين / قاسم العبادي الحنفي، تفقه على الشيخ سليمان المنصوري والشيخ أحمد بن عمر الإسقاطي إلى أن صار يقرأ درسا في المذهب، ولم يزل ملازما شأنه حتى توفي ثالث عشر الحجة من السنة وقد ناهز الثمانين رحمه الله.

[ومات] العمدة الشيخ / عبد الله الموقت قوصون وكان يعرف بالطويل، وكان إنسانا صالحا ناسكا ورعا، توفي فجأة في الحمام ثاني عشر الحجة عن سبع وثمانين سنة.

[ومات] العمدة الفاضل الأديب الماهر الشيخ / علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن عامر العطشي الفيومي، وهو أخو أحمد العطشي وكان له مذاكرة حسنة وحضر على الشيخ الحنفي وغيره، وكان نعم الرجل

[ومات] السيد الشريف المعمر / محمد بن حسن محمد
الحسنى الوفائى باش جاويش السادة الأشراف، أخذ عن
الشيخ المعمر يوسف الطولونى، وكان يحكى عنه حكايا
مستحسنة وغرايب، وكان متقيدا بالسيد محمد أبى هادى
الوفائى فى أيام نقابته على الأشراف ولديه فضيلة وفوايد،
توفى فى هذه السنة عن نحو ثمانين سنة.

[ومات] الشيخ الصالح / سليمان (ص ٩٧٩) بن داود بن
سليمان بن أحمد الخربتاوى وكان من أهل المروة والدين،
توفى ثامن عشرين المحرم من السنة فى سن الثمانين.

[ومات] الجنا ب المكرم الأمير / أحمد أغا البارودى وهو من
ممالك ابراهيم كتحدا القازدغلى وتزوج بابنته التى من بنت
البارودى وسكن معها فى بيتهم المشهور خارج باب سعادة
والخرق، وولد له منها أولاد ذكور وإناث ومنهم صاحبنا
ابراهيم جلى وعلى مصطفى وهو أستاذ محمد أغا الآتى
ذكره، تقلد المترجم فى أيام على بك مناصب جليلة مثل
أغاوية المتفرقة وكتخدا الجاويشية، وكان إنسانا حسنا صافى
الباطن لا يميل طبعه لسوى فعل الخير، ويحب أهل العلم
وممارستهم، وكان له ميل عظيم واعتقاد حسن فى المرحوم
الشيخ الوالد ويزوره فى كل جمعة مع غاية الأدب والامثال
، وما شاهدته من كمال أدبه وشدة اعتقاده وحبه أنه صادفه
مرة بالطريق وهو إذ ذاك كتحدا الجاويشية، وهو راكب فى
أبهته وأتباعه، والشيخ راكب على بغلته، فعندما رآه ترجل

ونزل عن جواده وقبل يده، فأنكر عليه فعله واستعظمه واستحى منه، والتمس منه أن يقيد به بعض الطلبة ليقر به شيئا من الفقه والدين، فقيده به الشيخ عبد الرحمن العريشي، فكان يذهب إليه ويطلع له القدوري وغيره، وكان يكرمه ويواسيه ولم يزل على حسن حالته حتى توفي في سابع جمادى الأولى من السنة، وكان له في منزله (ص ٩٨٠) خلوة ينفرد فيها بنفسه ويخلع ثياب الأبهة ويلبس كساء صوف أحمر على بدن، ويأخذ بيده سبحة كبيرة يذكر ربه عليها.

٣٧٨ خليل أغا.

[ومات] الأمير الصالح / خليل أغا مملوك عثمان بك الكبير تابع ذى الفقار وهو أستاذ الأمير على خليل، توفي ببلد له بالفيوم، وجيء به ميتا في عشية نهار السبت حادى عشرين جمادى الثانية من السنة فغسل وكفن ودفن بالقرافة، وكان إنسانا دينا خيرا محبا للعلماء والصلحاء.

٣٧٩ اسماعيل أفندى.

[ومات] الأمير اسماعيل أفندى تابع المرحوم الشريف محمد أغا كاتب البيورلدى وكان إنسانا خيرا صالحا توفي يوم الأحد ثانى عشرين جمادى الثانية.

٣٨٠ عبد اللطيف أفندى. نقيب الاشراف بالقدس.

[ومات] السيد المعمر الشريف عبد اللطيف أفندى نقيب الأشراف بالقدس وابن نقبائها عن تسعين سنة تقريبا، وتولى بعده أكبر أولاده السيد عبد الله أفندى رحمه الله.

٣٨١ محمد أفندى جاوجان ميسر.

[ومات] الأمير المبجل / محمد أفندى جاوجان ميسر، وكان حافظا لكتاب الله موفقا، وفيه فضيلة وفصاحة يحب

العلماء والأشراف ويحسن إليهم، توفي ليلة الاثنين عشرين ربيع الأول وصلى عليه بالأزهر ودفن بالمجاورين.

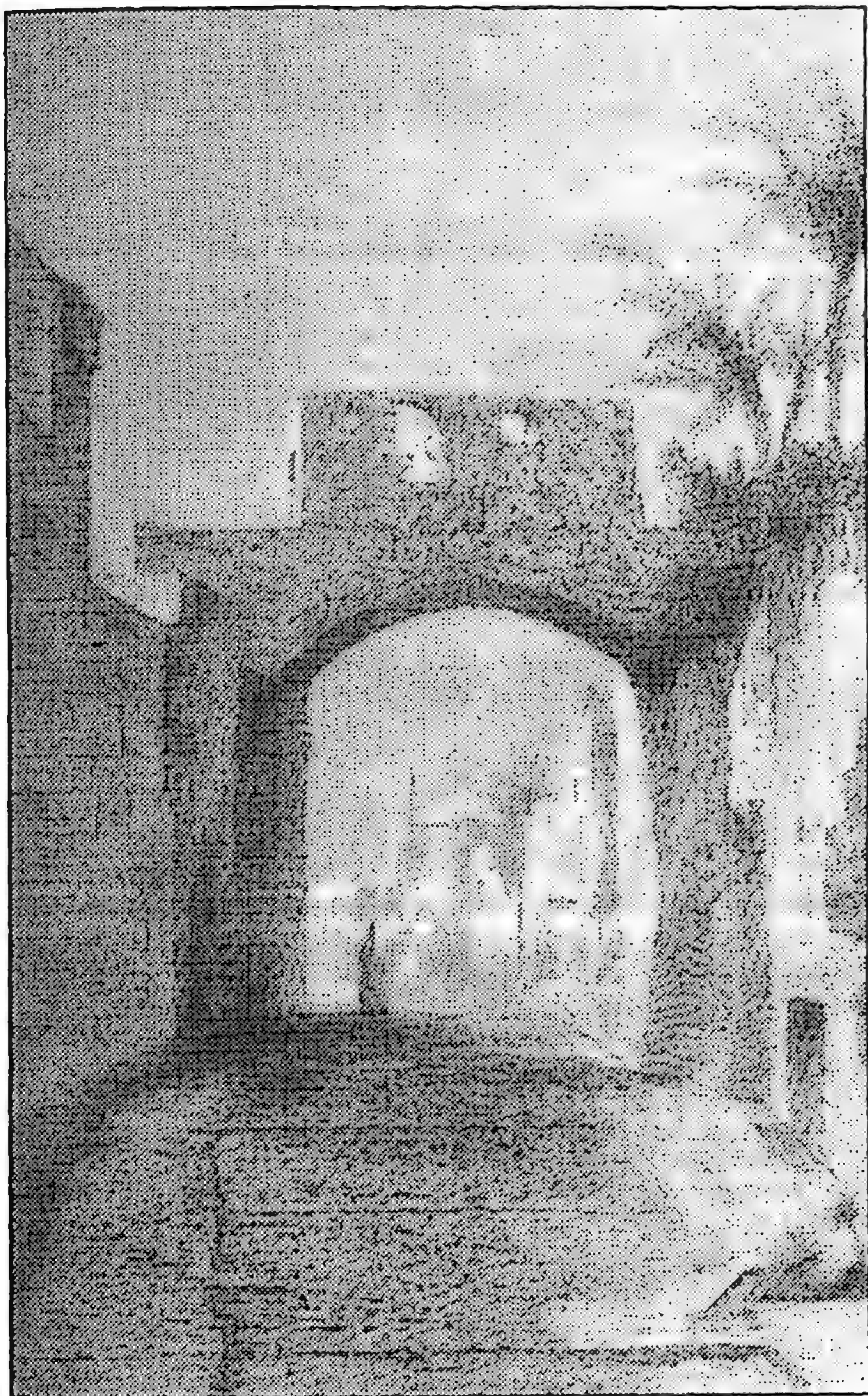
[ومات] الأمير / مصطفى بك الصيداوى تابع الأمير على بك القازدغلى كان سبب موته أنه خرج إلى اخلاء جهة قصر العينى وركض جواده فسقط عنه ومات لوقته، وحمل إلى منزله بدرب الحجر، وجهاز وكفن ودفن بالقرافة وذلك فى منتصف ربيع (ص ٩٨١) الأول من السنة.

[ومات] الأمير / على أغا أبو قورة من جماعة الوكيل سادس عشر ربيع الأول سنة تاريخه.

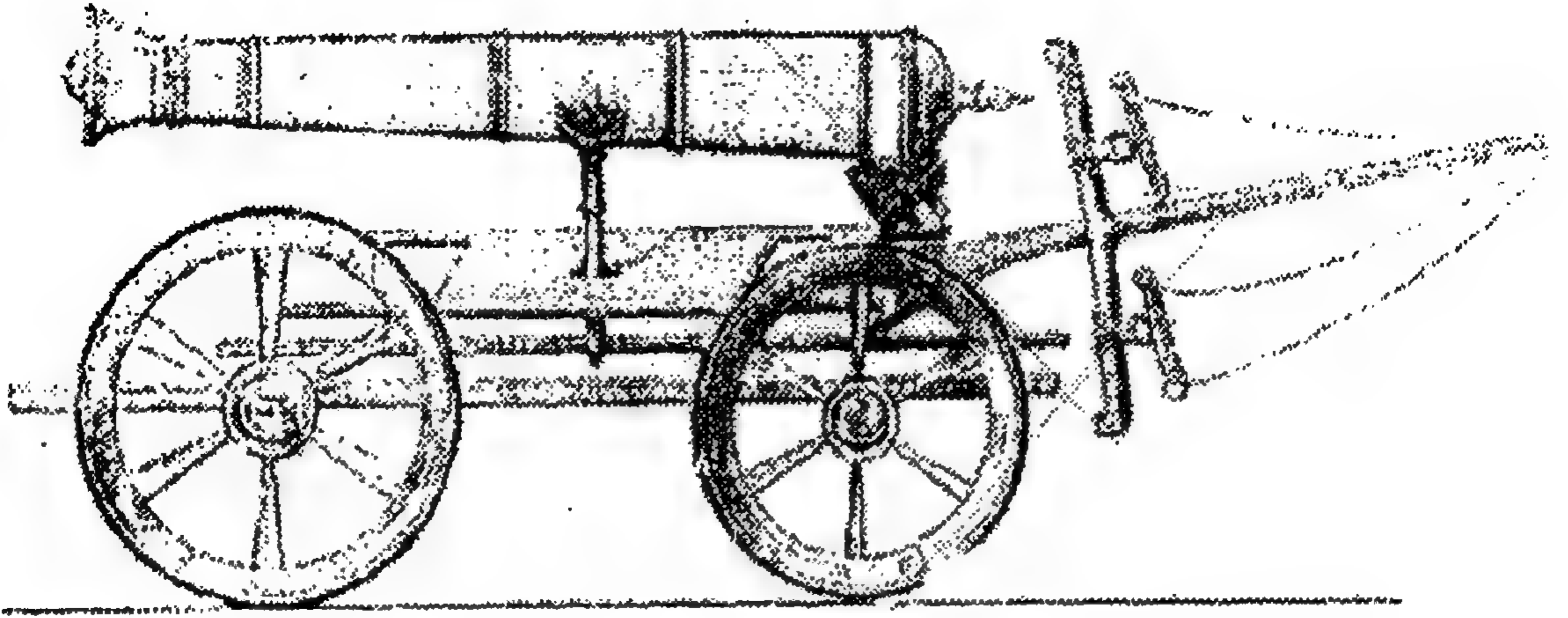
[ومات] الأمير / محمد أفندى الزاملى كاتب قلم الغربية، وكان صاحب بشاشة وتودد وحسن أخلاق، توفي رابع عشرين صفر من السنة، وخلف ولده حسن أفندى قلقة الغربية الآتى ذكره فى سنة اثنتين ومايتين وألف.

[ومات] الخوجا المكرم الحاج / محمد عرفات الغزاوى التاجر، وهو والد عبد الله ومصطفى، توفي يوم الثلاثاء ثامن صفر من السنة، والله تعالى أعلم.





▲ باب الزهومة بالقدس.



▲ مدفعية قديمة تجرها الدواب.

سنة تسع وثمانين ومائة وألف [١٧٧٥]

١١٥ مصطفى باشا التابلسي..
*حملة ابو الذهب على الشام.

١١٨٩ هـ.

١٤٩١ ق.

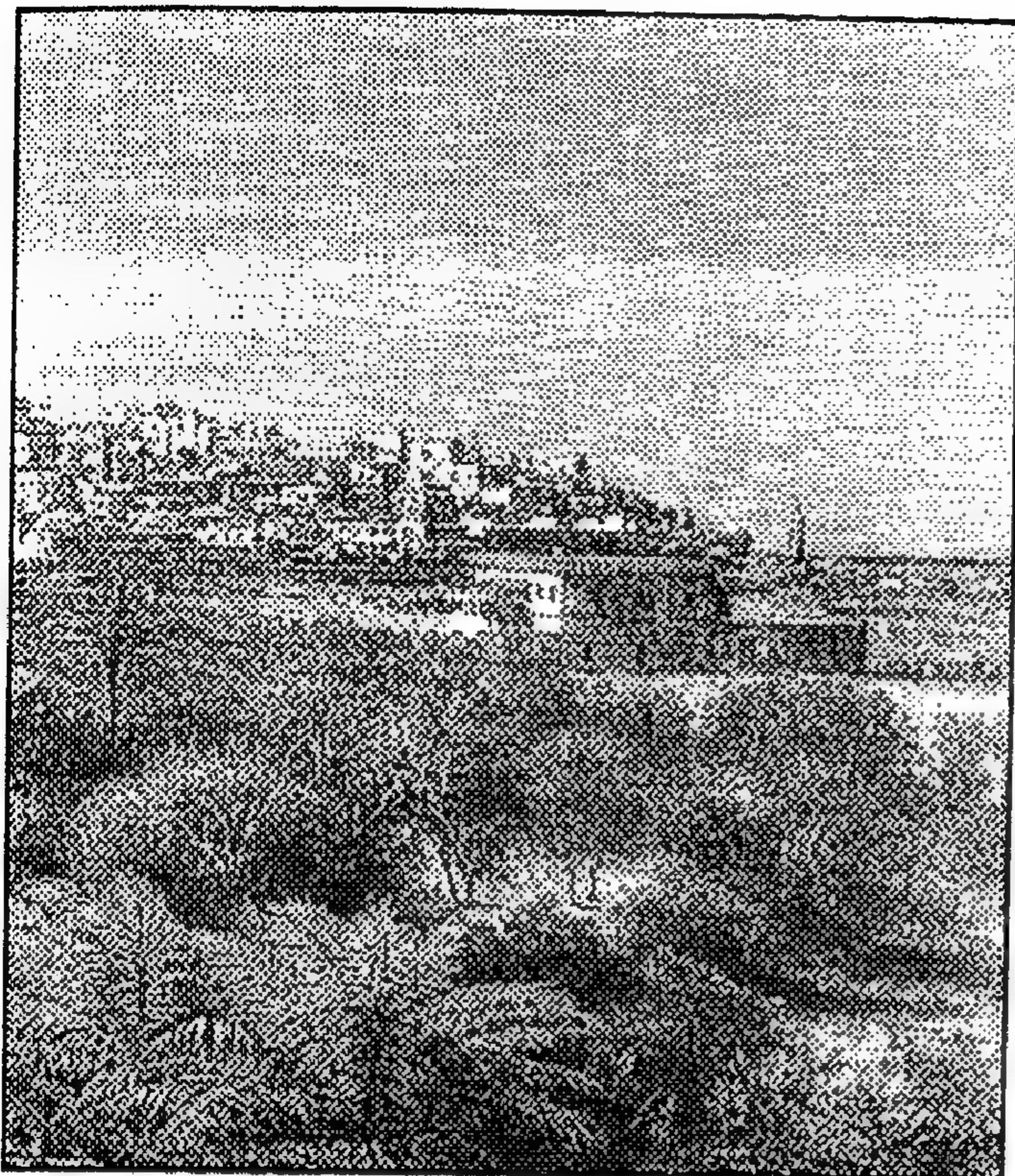
١٧٧٥ م.

غاية الفيضان ٢٣ ذراع / ١٢ قيراط

□ في الحرم / مارس، سافر محمد بك ابو الذهب الى الشام واتاب عنه في مصر ابراهيم بك. فحاصر يافا. وبعد محاربة تملكها بالقوة والاقتدار. ثم سار الى عكا فدخلها بدون مانع لهروب الظاهر عمر. □ وفي اوائل ربيع اول زينت مصر ثلاثة ايام اعلانا بهذه النصره.

□ وفي ٨ [ربيع اول] توفي محمد بك ابو الذهب في عكا، ولم يعلم ان كان مات مقتولا أم مات بداء السكتة. وفي ٢٤ ربيع الثاني حضرت جثته مع العساكر تحت إمرة مراد بك، ودفن في الليران الشرقي من مدرسته، تجاه الجامع الأزهر، وتولى مشيخة البلد على مصر بعده اسماعيل بك، رغما عن ادعاءات مراد

فيها عزم محمد بك ابو الذهب على السفر والتوجه إلى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر واستخلاص ما بيده من البلاد، فبرز خيامه إلى العادلية وفرق الأموال والتراويل على الامراء والعساكر والمماليك، واستعد لذلك استعدادا عظيما في البحر والبر، وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبنخانة والمدافع والقنابر والمدفع الكبير المسمى بأبو مائلة، الذي كان سبكه في العام الماضي، وسافر بجموعه وعساكره في أوائل الحرم، وأخذ صحبته مراد بك، وابراهيم بك طنان، واسماعيل بك تابع اسماعيل بك الكبير لا غير، ونزل بمصر ابراهيم بك وجعله عوضا عنه في اماره مصر،



- بك وابراهيم بك.
- بعض المغاربة ، القاصدين الحج ، جدد الجزء الذى يلى القبلة والمقصورة من جامع سيدى ابي العباس بالاسكندرية.
 - فى هذه السنة الافرنكية كان ابتداء الحرب بين الكلترا والولايات المتحدة من امريكا، هؤلاء تحت امرة واشنطن.
 - فى هذه السنة الهجرية تعين مصطفى باشا النابلسى لولاية جدة. وتعين ابراهيم باشا عزب كيرلى بدله على مصر من قبل الدولة العلية. ومات فى السنة بعينها.
 - ١ توت ١٤٩٢ = ١٠ سبتمبر ١٧٧٥ = الاحد ١٤ جماد الثانى سنة ١١٨٩
 - ١ يناير ١٧٧٦ = ٢٤ كيهك ١٤٩٢ = الاثنين ٩ ذو القعدة سنة ١١٨٩.

◀ حصن يافا

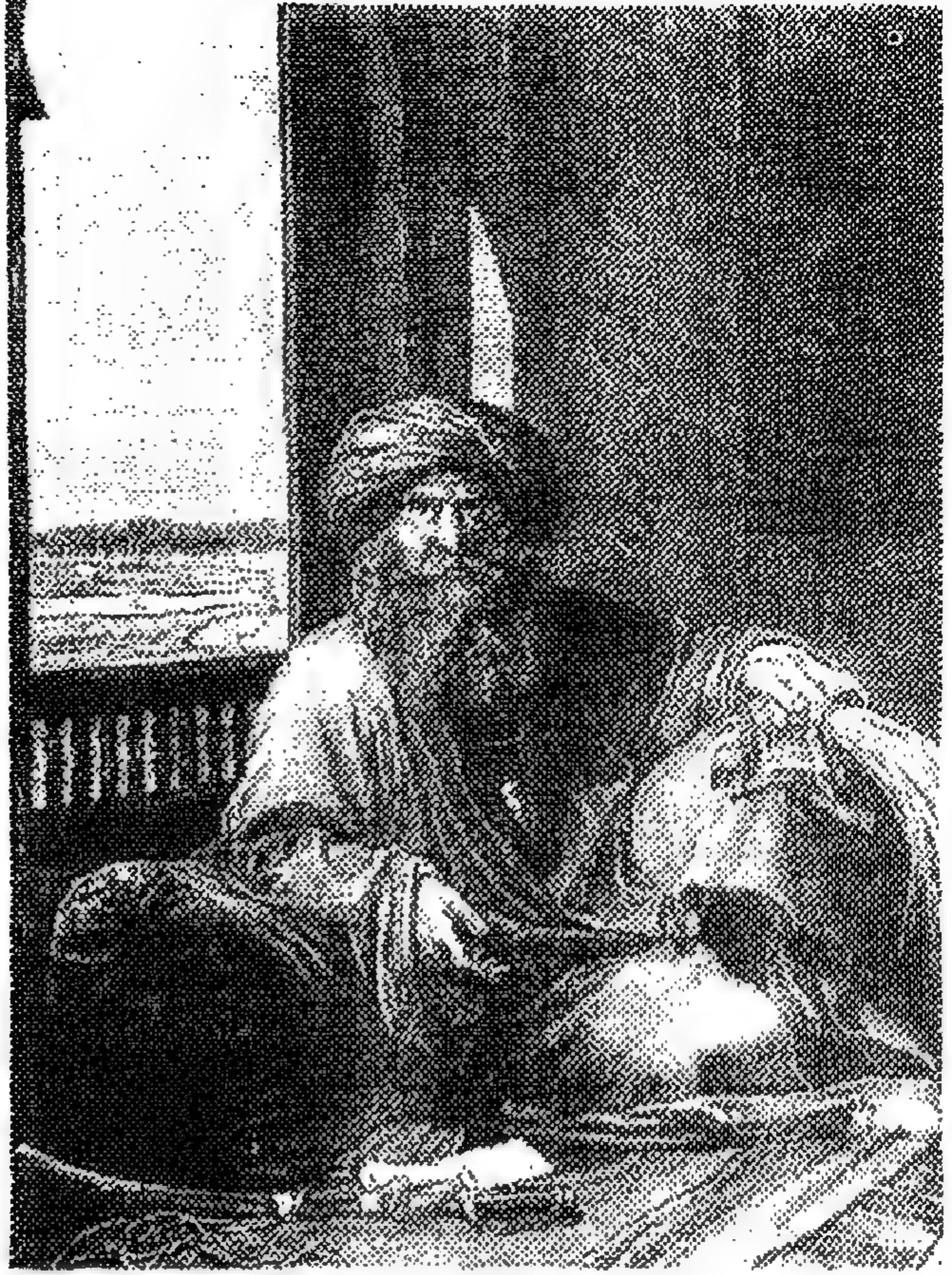
واسماعيل بك وباقي الأمراء والباشا الذى بالقلعة وهو مصطفى باشا النابلسى وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقلية، ولم يزل فى سيره حتى وصل إلى جهة غزة وارتجت البلاد لوروده، ولم يقف احد (ص ٩٨٢) فى وجهه، وتحصن اهل يافا بها، وكذلك الظاهر عمر تحصن بعكا، فلما وصل إلى يافا حاصرها وضيق على أهلها، وامتنعوا هم أيضا عليه، وحاربوه من داخل وحاربهم من خارج، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليالى، فكانوا يصعدون إلى أعلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا، فلم يزالوا بالحرب عليها حتى نقبوا أسوارها، وهجموا عليها من كل ناحية، وملكوها عنوة، ونهبوها وقبضوا على أهلها وربطوهم فى الخبال والجنازير، وسبوا النساء والصبيان، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم جمعوا الأسرى خارج البلد

ودوروا فيهم السيف، وقتلوهم عن آخرهم، ولم يميزوا بين الشريف والنصراني واليهودي والعالم والجاهل والعامي والسوقي ولا بين الظالم والمظلوم، وربما عوقب من لا جنى، وبنوا من رعوس القتلى عدة صوامع ووجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والنزوابع، ثم ارتحل عنها طالبا عكا، فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافا، اشتد خوفه وخرج من عكا هاربا وتركها وحصونها. فوصل إليها محمد بك ودخلها من غير مانع، وأذعنت له باقى البلاد، ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته، وداخل محمد بك من الفرور والفرح مالا مزيد عليه وما آل به إلى الموت والهلاك، وأرسل بالبشائر إلى مصر والأمرا بالزينة، فنودي بذلك وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة، وعمل بها وقدرات وشنكات وحرقات وأفراح (ص ٩٨٣) ثلاثة أيام بلياليها، وذلك فى أوائل ربيع الثانى، فعند انقضاء ذلك ورد الخبر بموت محمد بك، واستمر فى كل يوم يفشو الخبر، وينمو ويزيد ويتناقل ويتأكد، حتى وردت الساعة بتصحيح ذلك، وشاع فى الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى «حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون*». وذلك أنه لما تم له الأمر وملك البلاد المصرية والشامية وأذعن الجميع لطاعته، وقد كان أرسل إسماعيل أغا أخا على بك الغزاوى إلى اسلامبول يطلب إمرة مصر والشام، وأرسل صحبته أموالا وهدايا فأجيب إلى ذلك، وأعطوه التقاليد والخلع والبرق والداقم، وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر، فوفاه ذلك يوم دخوله عكا، فامتلاً فرحاً، وحم بدنه فى الحال، فأقام محموماً ثلاثة أيام، ومات ليلة الرابع، ثامن ربيع الثانى، ووافى خبر موته إسماعيل أغا عندما تهيأ ونزل

* وفاة محمد بك أبو الذهب فى الوقت الذى وافقت فيه السلطنة على نيابته على مصر والشام.

* مبلسون : متحصرون آيسون.

فى المراكب يريد المسير إلى مخدمه ، فانتقض الأمر وردت
 التقاليد وباقي الأشياء ولما تم له أمر يافا وعكا وباقي البلاد
 والشغور، فرح الامراء والأجناد الذين بصحبته برجوعهم إلى
 مصر وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع إلى الأوطان،
 فاجتمعوا إليه فى اليوم الذى نزل به ما نزل فى ليلته ، فتيين
 لهم من كلامه عدم العود وأنه يريد تقليدهم المناصب
 والأحكام بالديار الشامية وبلاد السواحل، وأمرهم بإرسال
 المكاتبات إلى بيوتهم وعيالهم بالبشارات بما فتح الله عليهم
 وما سيفتح لهم، ويظمنوهم ويطلبوا احتياجاتهم ولوازمهم
 المحتاجين إليها من مصر، فعند ذلك اغتموا، وعلموا أنهم لا
 براح لهم، وأن أمله غير هذا، وذهب كل إلى مخيمه يفكر
 فى أمره، قال الناقل: وأقمنا على ذلك الثلاثة أيام التى
 تمرض فيها، وأكثرنا لا يعلم بمرضه ولا يدخل إليه إلا بعض
 خواصه، ولا يذكرون ذلك إلا بقولهم فى اليوم الثالث إنه
 منحرف المزاج، فلما كان فى صبح الليلة التى مات بها،
 نظرنا إلى صيوانه وقد انهدم ركنه، وأولاد الخزنة فى حركة،
 ثم زاد الحال، وجردوا على بعضهم السلاح بسبب المال،
 وظهر أمر موته وارتبك العرضى، وحضر مراد بك فصددهم
 وكفهم عن بعضهم، وجمع كبارهم وتشاوروا فى أمرهم،
 وأرضى خواطريهم ، خوفا من وقوع الفشل فيهم وتشتتهم
 فى بلاد الغربه وطمع الشاميين وشماتهم فيهم، واتفق
 رأيهم على الرحيل، وأخذوا رمة سيدهم صحبتهم لما تحقق
 عندهم أنهم إن دفنوه هناك فى بعض المواضع أخرجهم أهل
 البلاد ونيشوه وأحرقوه، فغسلوه وكفنوه ولفوه فى المشمعات
 ووضعوه فى عربة وارتحلوا به طالبين الديار المصرية، فوصلوا
 فى ستة عشر يوما، ليلة الرابع والعشرين من شهر ربيع



► مراد بك.

الثاني أواخر النهار، فأرادوا دفنه في القرافة، وحضر الشيخ الصعيدي فأشار بدفنه في مدرسته تجاه الأزهر، فحفروا له قبرا في الليوان الصغير الشرقي وبنوه ليلا، ولما أصبح النهار، عملوا مشهدا، وخرجوا بجنازته من بيته الذي بقوصون، ومشى أمامه المشايخ والعلماء (٩٨٥) والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد وأطفال المكاتب، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود ستر على راحته ونته، حتى وصلوا به إلى مدفنه، وعملوا عنده ختمات وقرائات وصدقات عدة ليال وأيام نحو أربعين يوما، واستقر أتباعه أمرا مصر وريسهم إبراهيم* بك ومراد بك، وباقيهم الذين أمره في حياته، ومات عنهم يوسف بك وأحمد بك الكلارجي ومصطفى بك الكبير وأيوب بك الكبير وذو الفقار بك ومحمد بك الطبال ورضوان بك، والذين تأمروا بعده أيوب بك الدفتردار

* تولى إبراهيم بك ومراد بك أمور البلاد

وسليمان بك الأغا وإبراهيم بك الوالى وأيوب بك الصغير
وسليم بك أبو دياب ولجين بك، وسيأتى ذكر أخبارهم.

(ذكر من مات فى هذه السنة)

٣٨٦ على المنسفىسى.

(مات) الإمام الهمام، شيخ مشايخ الإسلام ، عالم العلما
الأعلام، إمام المحققين وعمدة المدققين، الشيخ/ على بن
أحمد بن مكرم الله الصعيدى العدوى المالكى، ولد ببني
عدى كما أخبر عن نفسه سنة اثنتى عشرة ومائة وألف،
ويقال له أيضا المنسفىسى لأن أصوله منها، وقدم إلى مصر
وحضر دروس المشايخ كالشيخ عبد الوهاب الملوى والشيخ
شلبى البرلسى والشيخ سالم النفراوى والشيخ عبد الله
المغربى والسيد محمد السلمونى ثلاثهم عن اخرشى وأقرانه
وكسيدى محمد الصغير والشيخ إبراهيم الفيومى، (٩٨٦)
قال وبشرنى بالعلم حين قبلت يده وأنا صغير ومحمد بن
زكرى والشيخ محمد السجيني والشيخ إبراهيم شعيب
المالكى والشيخ أحمد الملوى والشيخ أحمد الديريى والشيخ
عيد النمرسى والشيخ مصطفى العزيزى والشيخ محمد
العشماوى والشيخ محمد بن يوسف والشيخ أحمد
الإسقاطى والبقرى والعماروى والسيد على السيواسى
والمداينى والدفرى والبليدى والحفنى وآخرين، وبآخرة تلقن
الطريقة الأحمدية عن الشيخ على بن محمد الشناوى،
ودرس بالأزهر وغيره وقد بارك الله فى أصحابه طبقة بعد
طبقة كما هو مشاهد، وكان يحكى عن نفسه أنه طالما كان
يبيت بالجوع فى مبدأ اشتغاله بالعلم، وكان لا يقدر على
ثمن الورق، ومع ذلك إن وجد شيا تصدق به، وقد تكررت

له بشارات حسنة مناما ويقظة إذا حكى شيئا من ذلك قال
هكذا كان الامام مالك يخبر أصحابه بالرويا ويقول
«الرويا* تسر ولا تضر» منها ما وقع لشيخنا العارف سيدى
محمود الكردى قال «رأيت النبى صلى الله عليه وسل فى
المنام يقول : على الصعيدى خليفتى فلما انتبهت وخطر
ببالى الشيخ قلت على الصعيدى غيره كثير، فنمت، فرأيت
ثانيا يقول على الصعيدى هذا ويشير للشيخ». ورأى بعض
الصلحاء النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فى محراب
الأزهر والطلبة تعرض عليه تقايد الأشياخ ، فلما رأى ما
قيد عن الشيخ ، صار يقول بذل وانكسار ياعلى ويكررها،
ورأى الشيخ نفسه [النبى] فى المنام فقال (٩٨٧) له
«أجزنى» قال «أجزتك» وأمثال ذلك كثير ورأى غير واحد
من الصلحاء النبى صلى الله عليه وسلم يأمره بالحضور عليه
وآخر رأى مالكا والشافعى فى مجلس تدريسه، وشهد له
بالمعرفة والصلاح أكثر من النصف من أهل عصره، وقال
العلامة الشيخ محمد الأمير «ولقد سمعت شيخنا العفيفى
رضى الله عنه فى مرض موته يقول «الشيخ ناج والذى
يحضره ناج» أو كلاما هذا معناه. وله مؤلفات دالة على
فضله، منها حاشية على ابن تركى وأخرى على الزرقانى
على العزيزة وأخرى على شرح أبى الحسن على الرسالة فى
مجلدين ضخمين، وأخرى على الخرشى وأخرى على شرح
الزرقانى على المختصر وأخرى على الهدهى على الصغرى
وحاشيتان على عبد السلام على الجوهرة كبرى وصغرى،
وأخرى على الأخضرى على السلم، وأخرى على ابن عبد
الحق على بسملة شيخ الإسلام وأخرى على شرح شيخ
الإسلام على ألفية المصطلح للعراقى وغير ذلك، وكان قبل

*حول قصص رأى النبى فى المنام.

* كان الشيخ المنسفي أول من وضع الحواشي على كتب فقه المالكية.

ظهوره لم تكن المالكية تعرف الحواشي* على شروح كتبهم الفقية، فهو أول من خدم تلك الكتب بها، وله شرح على خطبة كتاب إمداد الفتاح على نور الإيضاح في مذهب الحنفية للشيخ الشرنبلالي، وكان رحمه الله شديد الشكيمة في الدين يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وإقامة الشريعة ويحب الاجتهاد في طلب العلم ويكره سفاسف الأمور وينهى عن شرب الدخان ويمنع من شربه بحضرته وبحضرة أهل العلم تعظيماً لهم، وإذا دخل إلى منزل من منازل الأمراء رأى من يشرب الدخان شنع عليه وكسر آله ولو كانت في يد كبير الأمراء، (ص ٩٨٨) وشاع عنه بذلك وعرف في جميع الخاص والعام وتركوه بحضرته فكانوا عندما يرونه مقبلاً من بعيد نبه بعضهم بعضاً ورفعوا شبكاتهم وأقصابهم وأخفوها عنه، وإن رأى شيئاً منها أنكر عليهم ووبخهم وعنفهم وزجرهم، حتى أن علي بك في أيام إمارته كان إذا دخل عليه في حاجة أو شفاعاة أخبروه قبل وصوله إلى مجلسه فيرفع الشبك من يده ويخفوه من وجهه وذلك مع عتوه وتجبره وتكبره، واتفق أنه دخل عليه في بعض الأوقات فتلقاه على عادته وقبل يده وجلس فسكت الأمير مفكراً في أمر من الأمور فظن الشيخ إعراضه عنه فأخذته الحدة وقال مخاطباً له باللغة الصعيدية «يامين يامين يامن هو غضبك ورضاك على حد سواء بل غضبك خير من رضاك» وكرر ذلك وقام قائماً وهو يأخذ بخاطره ويقول «أنا لم أغضب من شيء» ويستعطفه فلم يجبه ولم يجلس ثانياً وخرج ذاهباً، ثم سأل علي بك عن القضية التي أتى بسببها فأخبروه فأمر بقضاها، واستمر الشيخ منقطعاً عن الدخول إليه مدة حتى ركب في ليلة من ليالي رمضان مع الشيخ الوالد في حاجة عند بعض الأمراء ومرا بيت علي بك

فقال له «ادخل بنا نسلم عليه» فقال «ياشيخنا أنا لا أدخل» . فقال «لابد من دخولك معي فلم تسعه مخالفته وانسر بذلك على بك تلك الليلة سرورا كثيرا.

ولما مات على بك واستقل محمد بك أبو الذهب بإمارة مصر كان يجلس من شأنه ويحبه ولا يرد شفاعته في شئ أبدا وكل من تعسر عليه قضا حاجة ذهب إلى الشيخ (ص ٩٨٩) وأنهى إليه قصته فيكتبها مع غيرها في قائمة حتى تمتلى الورقة ثم يذهب إلى الأمير بعد يومين أو ثلاثة فعندما يستقر في الجلوس يخرج القائمة من جيبه ويقص ما فيها من القصص والدعاوى واحدة بعد واحدة ويأمر بقضاء كل منها والأمير لا يخالفه ولا ينقبض خاطره في شئ من ذلك، وفي أثناء ذلك يقول له لا تضجر ولا تأسف على شئ يفوتك بغير حق في الدنيا فإن الدنيا فانية وكلنا نموت ويوم القيامة يسألنا الرب عن تأخرنا عن نصحك وما نحن قد نصحناك وخرجنا من العهدة. وإذا تلکأ في شئ صرخ عليه وقال له «أتق النار وعذاب جهنم» ثم يمسك بيده ويقول له «أنا خائف على هذه اليد الكويسة من النار» وأمثال ذلك، ولما بنى الأمير المذكور مدرسته كان المترجم هو المتعين في التدريس بها داخل القبة على الكرسي، وابتدأ بها البخاري وحضره كبار المدرسين فيها وغيرهم ولم يترك درسه بالأزهر ولا بالبرديكية وكان يقرأ قبل ذلك بمسجد الغريب عند باب البرقية في وظيفة جعلها له الأمير عبد الرحمن كتخدا وكذلك وظيفة بعد الجمعة بجامع مرزه، ببولاك وكان على قدم السلف في الاشتغال والقناعة وشرف النفس وعدم التصنع والتقوى ولا يركب إلا الحمار ويواسي أهله وأقاربه ويرسل إلى فقراهم ببلده الصلات والأكسية والبز والطرح للنساء والعصايب والمداسات وغير

ذلك، ولم يزل مواظبا على الإقراء والإفادة حتى تمرض بخراج في ظهره أياما قليلة، وتوفي في عاشر رجب من السنة (ص ٩٩٠) وصلى عليه بالأزهر بمشهد عظيم ودفن بالبستان بالقرافة الكبرى رحمه الله، ولم يخلف بعده مثله ولم أعثر على شئ من مراثيه.

٣٨٧ أحمد الزبيرى البراوى.

(ومات) الإمام العلامة الفقيه الصالح الشيخ/ أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن محمد الزبيرى البراوى الشافعى، ولد بمصر وبها نشأ وحفظ القرآن والمتون وتفقه على والده وغيره، وحضر المعقول وتمهر وأنجب ودرس في حياة والده، وبعد وفاته تصدر للتدريس في محله وحضره طلبة أبيه واتسعت حلقة درسه مثل أبيه واشتهر ذكره وانتظم في عداد العلماء وكان نعم الرجل شهامة وصرامة وفيه صداقة وحب للإخوان، توفي بطندتا ليلة الأربعاء ثالث عشر ربيع الأول فجأة إذ كان ذهب للزيارة المعتادة وجيء به إلى مصر فغسل في بيته وكفن وصلى عليه بالجامع الأزهر ودفن بتربة والده بالمجاورين.

٣٨٨ أحمد البقرى المقرئ.

(ومات) الإمام الفاضل المسن الشيخ/ أحمد بن رجب بن محمد البقرى الشافعى المقرئ، حضر دروس كل من الشيخ المدابغى والحفنى ولازم الأول كثيرا فسمع منه البخارى بطريقه، والسيرة الشامية كلها وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وكان سريع الفهم وافر العلم كثير التلاوة للقرآن مواظبا على قيام الليل سفرا وحضرا ويحفظ أورادا كثيرة وأحزابا ويجيز بها وكان يحفظ غالب السيرة ويسردها من حفظه ونعم الرجل كان متانة ومهابة. توفي وهو متوجه إلى الحج في منزلة النخل آخر يوم من شوال من السنة

٣٨٩ محمد السمان.

(ومات) عالم المدينة ورئيسها الشيخ / محمد بن عبد الكريم السمان، ولد بالمدينة ونشأ في حجر والده واشتغل يسيراً بالعلم وأرسله والده إلى مصر في سنة أربع وسبعين ومائة وألف لمقتضى فتلقته تلامذه أبيه بالإكرام وعقد حلقة الذكر بالمشهد الحسيني وأقبلت عليه الناس، ثم توجه إلى المدينة، ولما توفي والده أقم شيخاً في محله، ولم يزل على طريقته حتى مات في رابع الحجة من السنة عن ثمانين سنة.

٣٩٠ أحمد الشامي.

(ومات) العلامة المعمر الصالح الشيخ / أحمد الخليلي الشامي أحد المدرسين بالأزهر تلقى عن أشياخ عصره ودرس وأفاد وكان به انتفاع للطلبة تام عام وألف إعراب الآجرومية وغيره وتوفي في عاشر صفر من السنة.

٣٩١ الأمير محمد بك أبو الذهب.

(ومات) الأمير الكبير / محمد بك أبو الذهب تابع على بك الشهير، اشتراه استاذة في سنة خمس وسبعين فأقام مع أولاد الخزنة أياماً قليلة وكان إذ ذاك إسماعيل بك خازندار فلما أمر إسماعيل بك قلده الخازندارية مكانه وطلع مع مخدومه إلى الحج ورجع أوائل سنة ثمان وسبعين وتأمّر في تلك السنة وتقلد الصنحية وعرف بأبي الذهب، وسبب تلقبه بذلك أنه لما لبس الخلعة بالقلعة صار يفرق البقاشيش ذهباً وفي حال ركوبه ومروره جعل ينثر الذهب على الفقرا والجمعيدية حتى دخل إلى منزله فعرف بذلك، لأنه لم يتقدم نظيره لغيره ممن تقلد الإمريات، واشتهر عنه هذا اللقب وشاع وسمع عن نفسه (ص ٩٩٢) شهرته بذلك فكان لا يضع في جيبه إلا الذهب ولا يعطى إلا الذهب، ويقول «أنا

أبو الذهب فلا أمسك إلا الذهب» وعظم شأنه في زمن قليل ونوه مخدمه بذكره وعينه في المهمات الكبيرة والوقائع الشهيرة وكان سعيد الحركات مؤيد العزمات لم يعهد عليه الخذلان في مصاف قط، وقد تقدمت أخباره ووقايعه في أيام أستاذه على بك وبعده واستكثر من شراء الممالك والعبيد حتى اجتمع عنده في الزمن القليل مالا يتفق لغيره في الزمن الكثير وتقلدوا المناصب والإمريات، فلما تمهدت البلاد بسعده المقرون ببأس أستاذه ثم خالف عليه وضم المشردين وغمرهم بالإخسان واستمال بواقى أركان الدولة واستلين الجميع جانبه وجنحوا إليه وأحبوه وأعانوه وتعصبوا له وقاتلوا بين يديه حتى أراحوا على بك وخرج هاربا من مصر إلى الشام، واستقر المترجم بمصر وساس الأمور وقلد المناصب وجبى الأموال والغلال وراسل الدولة العثمانية وظهر لهم الطاعة وقلد مملوكه إبراهيم بك إمارة الحج تلك السنة، وصرف العلايف وعوايد العربان وأرسل الغلال للحرمين والصمر وتحرك على بك للرجوع إلى مصر، وجيش الجيوش فلم يهتم المترجم لذلك وكادله كيذا بأن جمع القرائنه والذين يظن فيهم النفاق وأسر إليهم أن يرسلوا على بك ويستعجلوه في الحضور وينمقوا مساوى للمترجم ومنفرات ويعدوه بالخامرة معه (ص ٩٩٣) والقيام بنصرتة متى حضر وأرسلوها إليه بالشريطة السرية* فراج عليه ذلك واعتقد صحتة وأرسل إليهم بالجوابات وأعادوا له الرسالة كذلك باطلاع مخدمهم وإشارته فعند ذلك قوى عزم على بك على الحضور وأقبل بجنوده إلى جهة الديار المصرية، فخرج إليه المترجم ولاقاه بالصالحية وأحضره أسيرا كما تقدم، ومات بعد أيام قليلة وانقضى أمره وارتاح المترجم من قبله وجمع باقى الأمراء المطرودين

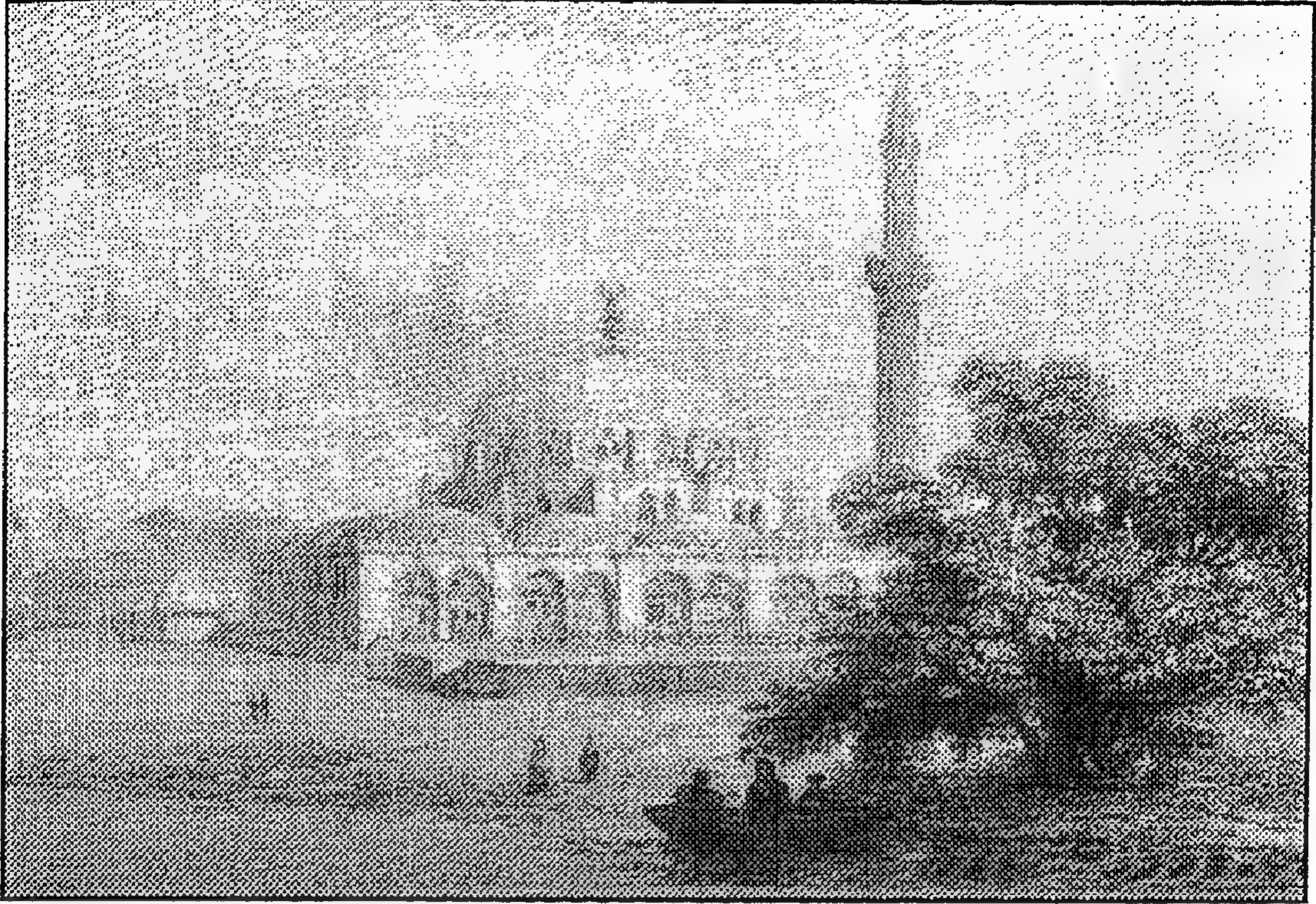
* الشريطة السرية: هى ما يسمى اليرم بالشفرة.

والمشردين وأكرمهم واستخدمهم وواساهم واستوزرهم
وقلدهم المناصب ورد إليهم بلادهم وعوايدهم واستعبدتهم
بالإحسان والعطايا واستبدلهم العز بعد الذل والهوان، وراحة
الأوطان بعد الغربة والتشريد والهجاج في البلدان، فثبتت
دولته وارتاحت النواحي من الشرور والتجاريد وهابته العربان
وقطاع الطريق وأولاد الحرام، وأمنت السبل وسلكت الطرق
بالقوافل والبضائع ووصلت المجلوبات من الجهات القبلية
والبحرية بالتجارات والمبيعات، وحضر إلى مصر خليل باشا
وطلع إلى القلعة على العادة القديمة، وحضر للمترجم من
الدولة المرسومات والخطابات، ووصل إليه سيف وخلعة
فلبس ذلك في الديوان ونزل في أبهة عظيمة شأنه وانفرد
بإمارة مصر واستقام أمره وأهمل أمر أتباع أستاذه على بك
وأقام أكثرهم بمصر بطالا، وحضر إلى مصر مصطفى باشا
النايلسى من أولاد العظم والتجأ إليه فأكرم نزله، ورتب له
الرواتب وكاتب الدولة وصالح عليه وطلب له ولاية
(ص ٩٩٤) مصر فأجيب إلى ذلك ووصلت إليه التقاليد
والداقم في ربيع الثاني سنة ثمان وثمانين ووجه خليل باشا
إلى الولاية جدة وسافر من القلزم في جمادى الثانية وتوفي
هناك ، وفي أواخر سنة سبعة وثمانين شرع في بناء مدرسته
التي تجاه الجامع الأزهر وكان محلها ربا ع متخربة فاشتراها
من أربابها وهدمها وأمر ببنائها على هذه الصفة وهى على
أرنيك* جامع السنانية الكاين بشرط النيل ببولا ق فرتب لنقل
الأتربة وحمل الجير والرماد والطين عدد كبير من قطارات
البغال وكذلك الجمال لشيل الأحجار العظيمة كل حجر
واحد على جمل وطحنوا لها الجبس الحلوانى المصيص
ورموا أساسها فى أوائل شهر الحجة ختام السنة المذكورة،
ولما تم عقد قبتها العظيمة وما حولها من القباب المعقودة

* أرنيك : نظام أو خطه للبناء.

على اللواوين وبيضوها ونقشوا داخل القبة بالألوان والأصباغ وعمل لها شبابيك عظيمة كلها من النحاس الأصفر المصنوع وعمل بظاهرها فسحة مفروشة بالرخام المرمر وبوسطها حنفية وحولها مساكن لتصوفة الأتراك وبداخلها عدة كراسي راحة وكذلك بدورها العلوى وبأسفل من ذلك ميضا عظيمة تمتلى بالماء من نوفرة بوسطها تصب فى صحن كبير من الرخام المصنوع نقلوه إليها من بعض الأماكن القديمة ويفيض منه فيملا الميضا ، و حول الميضا عدة كراسي راحة وأنشأ ساقية لذلك فحفروها (٩٩٥) وخرج ماؤها فى غاية الملوحة ، وأنشأ أسفل ذلك صهريجاً عظيماً يملأ فى كل سنة من ماء النيل وحوضاً عظيماً لسقى الدواب وعمل بأعلى الميضاة ثلاثة أماكن برسم جلوس المفتين الثلاثة [هم الحنفى والشافعى والمالكى] يجلسون بها حصة من النهار لإفادة الناس بعد إملاء الدروس ، وقرر فيها الشيخ أحمد الدردير مفتى المالكية والشيخ عبد الرحمن العريشى مفتى الحنفية والشيخ حسن الكفراوى مفتى الشافعية ، ولما تم البناء فرشت جميعها بالحصر ومن فوقها الأبسطه الرومى من داخل وخارج حتى فرجات الشبابيك ومساكن الطبايق ، ولما استقر جلوس المفتين المذكورين بالثلاثة أماكن التى أعدت لهم أضرت بهم الرائحة الصاعدة إليهم من المراحيض التى من أسفل واعلموا الأمير بذلك فأمر بإبطالها وبنوا خلفها بعيداً عنها وتقرر فى خطابتها الشيخ أحمد الراشدى وغالب المدرسين بالأزهر مثل الشيخ على الصعيدى مدرس البخارى والشيخ أحمد الدردير والشيخ محمد الأمير والشيخ عبد الرحمن العريشى والشيخ حسن الكفراوى والشيخ أحمد يونس

والشيخ أحمد السمنودي وللشيخ علي الشنويهي والشيخ
عبد الله اللبان والشيخ محمد الحفناوي والشيخ محمد
الطحلاوي والشيخ حسن الجداوي والشيخ أبي الحسن
القلعي والشيخ البيلي والشيخ محمد الحريري والشيخ
منصور المنصوري (ص ٩٩٦) والشيخ أحمد جاد الله
والشيخ محمد المصيلحي ودرسا ليحيى أفندي شيخ
الأتراك وتقرر السيد عباس إماما راتبا بها وفي وظيفة التوقيت
الشيخ محمد الضبان، وجعل بها خزانة كتب عظيمة
وجعل خازنها محمد أفندي حافظ وينوب عنه الشيخ
محمد الشافعي الجناحي ورتب للمدرسين الكبار في كل يوم
مائة وخمسين نصفا فضة ومن دونهم خمسون نصفا
وكذلك للطلبة منهم من له عشرة أنصاف في كل يوم
ومنهم من له أكثر وأقل وبقدر عدد الدراهم أراد من البر
في كل سنة، ولما انتهى أمرها وضلى بها الجمعة في شهر
شعبان سنة ثمان وثمانين فحضر الأمير المذكور واجتمع
المشايع والطلبة وأرباب الوظائف وصلوا بها الجمعة، وبعد
انقضاء الصلاة جلس الشيخ الصعدي على الكرسي وأملأ
حديث (من بنى الله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله
له بيتا في الجنة) فلما انقضى ذلك أحضرت الخلع والفراوى
فألبس الشيخ الصعدي والشيخ الراشدي الخطيب والمفتين
الثلاثة فراوى سمور وباقي المدرسين فراوى نافا بيضا وأنعم
في ذلك اليوم على الخدمة والمؤذنين وفرق عليهم الذهب
والبقاشيش وتنافس الفقهاء والأشياخ والطلبة تحاسدوا
وتفانتوا. ووقف على ذلك أمانة قويسنا وغيرها والخوانيت
التي أسفل المدرسة ولم يصرف إلا سنة واحدة فإن المترجم



▲ جامع السنايية فى بولاق، كان وقتها
قرب شاطئ النيل.

سافر فى أوائل سنة تسع وثمانين إلى (ص ٩٩٧) البلاد
الشامية كما تقدم، ومات هناك ورجعوا برمته وتآمر أتباعه
وتقاسموا البلاد فيما بينهم ومن جملتها أمانة قويسنا
الموقوفة فبرد أمر المدرسة وعوضوا عن ذلك الوكالة التى
أنشأها على بك ببولاق لمصرف أجر الخدمة وعليق الأنوار
بعد ما أضعفوا المعاليم ونقصوها ، وزعوا عليهم ذلك الإيراد
القليل ، ولم يزل الحال يتناقص ويضعف حتى بطل منها
غالب الوظائف والخدم إلى أن بطل التوقيت والأذان بل
والصلاة فى أكثر الأوقات وأخلق فرشها وبسطها وعتقت
وبليت وسرق بعضها وأغلق أحد أبوابها المواجه للقبة
الموصل للمشهد الحسينى بل أغلقت جميعا شهورا مع كون
الأمراء أصحاب الحل والعقد أتباع الواقف ومماليكه. لكن

لما فقدت منهم القابلية واستولى عليهم الطمع والتفاخر
 والتنافس والتفاضل خوف الفشل وتفرق الكلمة مع
 الانحراف عن الأوضاع ظهر الخلل فى كل شى حتى فى
 الأمور الموجبة لنظام دولتهم وإقامة ناموسهم كما يتضح
 ذلك فيما بعد، وبالجمللة فإن المترجم كان آخر من أدركنا
 من الأمراء المصريين شهامة وصرامة وسعدا وحزما وحكما
 وسماحة وحلما، وكان قريبا للخير يجب العلما والصلحا
 ويميل بطبعه ويعتقد فيهم ويعظمهم وينصت لكلامهم
 ويعطيهم العطايا الجزيلة ويكره المخالفين للدين، ولم يشتهر
 عنه شى من الموبقات والمحرمات ولا ما يشينه فى دينه أو
 يخل بمروته، بهى الطلعة جميل الصورة أبيض اللون
 معتدل القامة والبدن مسترسل (ص ٩٩٨) اللحية مهابة
 الشكل وقورا محتشما قليل الكلام والإلتفات ليس بمهدار
 ولا خوار ولا عجول، مبجلا فى ركوبه وجلوسه، يباشر
 الأحكام بنفسه، ولولا ما فعله آخر [أيامه] من الإسراف فى
 قتل أهل يافا بإشارة وزراه لكانت حسناته أكثر من سيئاته،
 ولم يتفق لأمر مثله فى كثرة الممالك وظهور شأنهم فى
 المدة اليسيرة وعظم أمرهم بعده وانحرفت طباعهم عن
 قبول العدالة ومالوا إلى طرق الجهالة، واشتروا الممالك
 فنشوا على طرايقهم وزادوا عن سوابقهم وألقوا المظالم
 وظنوها مغنم، وتمادوا على الجور وتلاحقوا فى البغى على
 الفور، إلى أن حصل ما حصل، ونزل، وسيتلى عليك من
 ذلك أنباء وأخبار، وما حل بالإقليم بسببهم من الخراب
 والدمار والله تعالى أعلم.

سنة تسعين ومائة وألف [١٧٧٦م]

(ص ٩٩٩)

كان سلطان العصر فيها السلطان عبد الحميد بن أحمد خان العثماني ووالى مصر الوزير محمد باشا عزت الكبير وأمرأوها إبراهيم بك ومراد بك مملوكا محمد بك أبى الذهب وخشداشينها أيوب بك الصغير ومحمد بك طبل وحسن بك سوق السلاح وذو الفقار بك ولاجين بك ومصطفى بك الصغير بك وعثمان بك الشرقاوى وخليل بك الابراهيمى، ومن البيوت القديمة حسن بك قصبة رضوان، ورضوان بك بليفا وإبراهيم بك طنان وعبد الرحمن بك عثمان الجرجاوى وسليمان بك الشاهورى، وبقايا اختيارية (ص ١٠٠٠) الوجاقات مثل أحمد باشجاويش أرئود وأحمد جاويش المجنون واسماعيل أفندى الخلوتى وسليمان البرديسى وحسن أفندى درب الشمسى وعبدلارحمن أغا محرم ومحمد أغا محرم وأغا أحمد كتحدا المعروف بوزير وأحمد كتحدا الفلاح، وباقي جماعة الفلاح وإبراهيم كتحدا منا وغيرهم والأمر والنهى للأمراء المحمدية المتقدم ذكرهم وكبيرهم وشيخ البلد إبراهيم بك ولا ينفذ أمر بدون اطلاع قسيمه مراد بك واسماعيل بك الكبير مستنزه ومنعكف فى بيته وقائع بإيراده وبلاده ومنزرو عن التداخل فيهم من موت سيدهم وعمر داره التى بالأزبكية وأقام بها.

١١٥ إبراهيم باشا كيرلى [لم يذكره الجبرتى]

١١٦ محمد باشا عزت

١١٩٠ هـ.

١٤٩٢ ق.

١٧٧٦ م.

غاية الفيضان ٦ قيراط / ٢٠ ذراع

□ فى هذه السنة تولى مصر محمد باشا عزت من قبل الدولة العلية، ورئيس الأمراء اسماعيل بك الذى كان متزها ومنعكفا عن الأشغال التى كانت تقضى بواسطة الأمراء المحمدية وكبيرهم إبراهيم بك. □ وفيها توفى الأمير عبد الرحمن كتحدا صاحب العمارات المشهورة بمصر، بعد أن قام اثنتى عشرة سنة بالحجاز منفيا بأمر على بك.

□ وفى ٢١ [جماد أول] نادى الأمريكان باستقلالهم.

□ وفى هذه السنة الأفرنكية استيلاء الجنرال واشنطن على بوستن.

١ توت ١٤٩٣ = ٩ سبتمبر ١٧٧٦ = الاثنين ٢٥ رجب سنة ١١٩٠.

□ فيها اكتشف الطبيب هنرى خير الانكليزى تطعيم وتلقيح الجدري، وكوفىء على ذلك بمبلغ ٣٠ ألف جنيه.

□ فيها اخترع روشون الميكرومتر ذو البلور الصخرى.

□ ١ يناير ١٧٧٧ - ٢٥ كيهك ١٤٩٣ = الاربع ٢١ ذو القعدة سنة ١١٩٠.

(وفيها فى يوم الخميس سابع شهر صفر) وصل الحج إلى مصر ودخل الركب وأمير الحاج يوسف بك.

(وفى ليلة الجمعة تاسع صفر) وقع حريق بالأزبكية وذلك فى نصف الليل بخطرة الساكت احترق فيها عدة بيوت عظام وكان شيئا مهولا ثم إنها عمرت فى أقرب وقت والذى لم يقدر على العمارة باع أرضه فاشتراها القادر وعمرها، فعمر رضوان بك بلفيا دار عظيمة وكذلك الخواجا السيد عمر غراب والسيد أحمد عبد السلام والحاج محمود محرم بحيث إنه لم يأتى النيل القابل إلا وهى أحسن وأبهج مما كانت عليه.

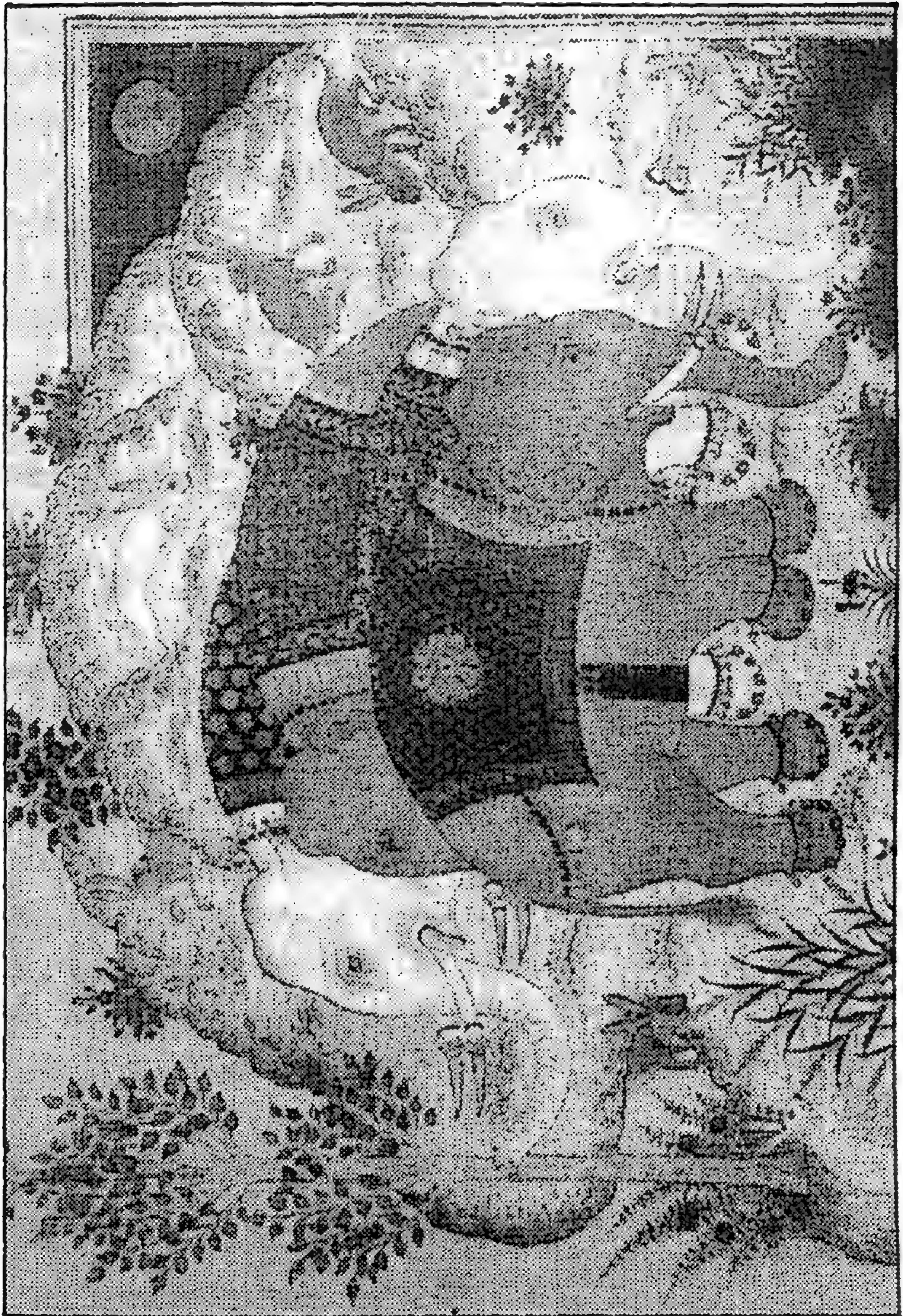
(وفىها) سقط ربع «بسوق الغورية ومات فيه عدة كثيرة من الناس تحت الردم، ثم إن عبد الرحمن أغا (ص ١٠٠١) مستحفظان أخذ تلك الأماكن من أربابها شراء وأنشأ الخوانيت والربع علوها والوكالة المعروفة الآن بوكالة الزيت والبوابة التى يسلك منها من السوق.

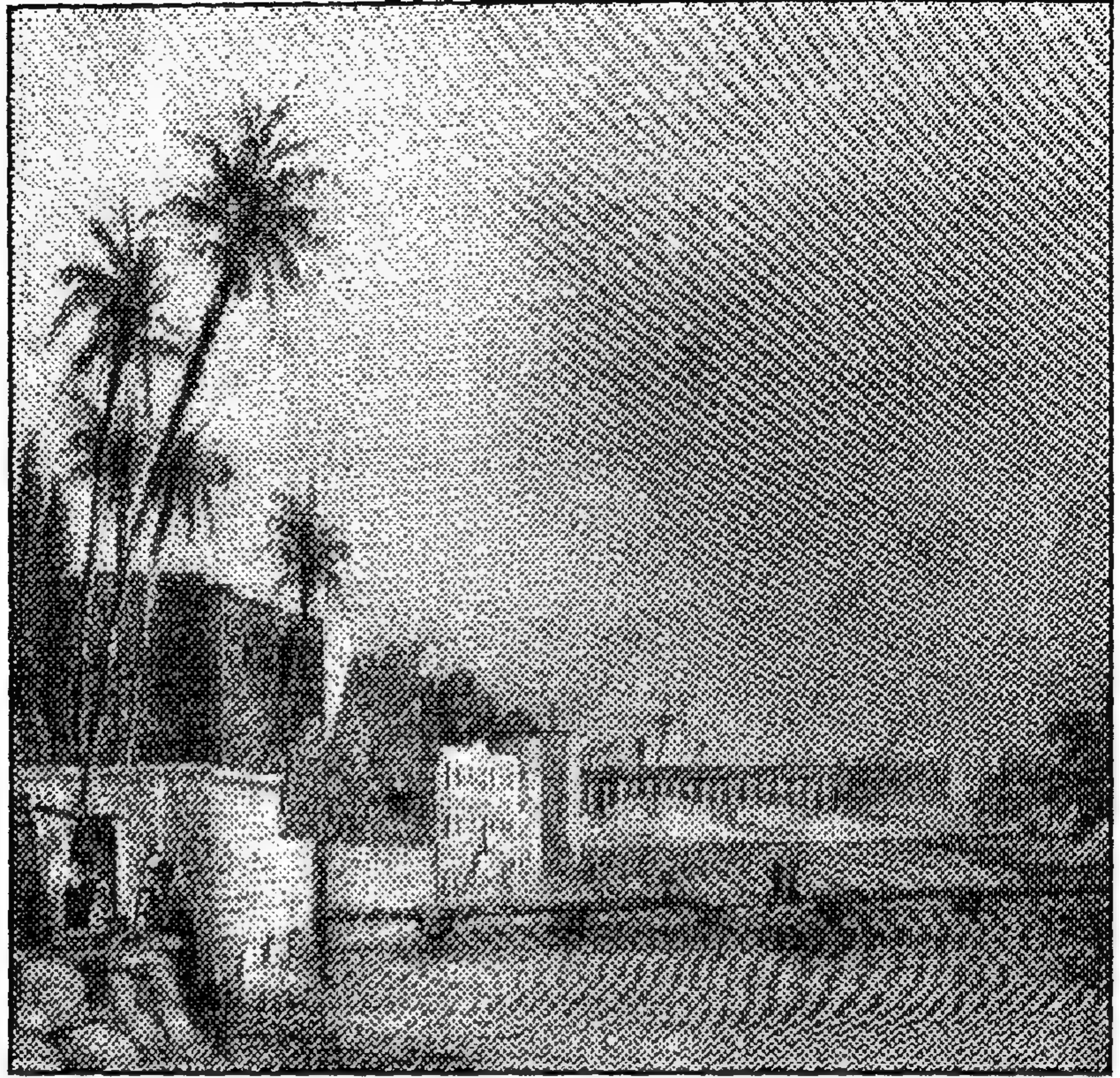
* حضور جماعة من الهنود ومعهم فيل صغير.

(وفىها) حضر جماعة * من الهنود ومعهم فيل صغير ذهبوا به إلى قصر العينى وأدخلوا بالاسطبل الكبير وهرع الناس للفرجة عليه ووقف الخدم على أبواب القصر يأخذون من المتفرجين دراهم وكذلك سواسه الهنود جمعوا بسية دراهم كثيرة وصار الناس يأتون إليه بالكعك وقصب السكر ويتفرجون على مصه فى القصب وتناولوه بخرطومهم وكان الهنود يخاطبونه بلسانهم ويفهم كلامهم وإذا حضروه بين يدي كبير كلموه فيبرك على يديه ويشير بالسلام بخرطومهم.

* وقوع الخلاف بين مراد بك وإبراهيم بك طنان.

(وفىها فى شهر رمضان) تعصب مراد بك * وتغير خاطره





▲ النيل عند جزيرة الروضة (الفرع الشرقي). وشاهد في الخلفية مجرى العيون وفي مقدمة الصورة يظهر الجسر الذي يعبر النيل للجزيرة.

على ابراهيم بك طنان ونفاه إلى المحلة الكبيرة وفرق بلاده على من أحب ولم يبق له إلا القليل.

((وفيها) شرع الامير اسماعيل بك في عمل مهم لزواج ابنته وهي من زوجته هانم بنت سيدهم ابراهيم كتحدا الذي كان تزوجها في سنة أربع وسبعين بالمهم المذكور في حوادث تلك السنة وكان ذلك المهم في أوائل شهر ذى الحجة وكان قبل هذا المهم حصل بينه وبين مراد بك منازعة ومخاصمة وسببها أن مراد بك أراد أن يأخذ من اسماعيل بك السرو* ورأس الخليج فوق بينهما مشاححة ومخاصمة كاد يتولد منها فتنة ، فسعى في الصلح بينهما ابراهيم بك فاصطلحا على غل، وشرع في إثر ذلك اسماعيل بك في عمل (ص ١٠٠٢) الفرح فاجتمعوا يوم العقد في وليمة عظيمة

* السرو: بلدة تابعة لمركز فارسكور / محافظة دمياط.

ووقف مراد بك وفرق المحارم والمناديل على الحاضرين وهو يطوف بنفسه على أقدامه، وعمل المهم كثيرة ونزل محمد باشا عزت باستدعا إلى بيت اسماعيل بك، وعندما وصل إلى حارة قوصون نزل الأمراء بأسرهم مشاة على أقدامهم لملاقاته، فمشوا جميعا أمامه على أقدامهم وبأيديهم المباخر والقماقم، ولم يزالوا كذلك حتى طلع إلى المجلس ووقفوا في خدمته مثل المماليك حتى انقضت أيام الولايم زفوا العروس إلى زوجها ابراهيم أغا، الذي صنجه اسماعيل بك وهو خازن داره ومملوكه يسمونه قشطة، وكانت هذه الزفة من المواكب الجليلة ومشى فيها الفيل وعليه خلعة جوخ أحمر فكان ذلك من النوادر.

(ذكر من مات في هذه السنة)

[ومات] في هذه السنة الفقيه المتفنن العلامة الشيخ / أحمد بن محمد بن محمد السجاعي الشافعي الأزهرى ولد بالسجاعية قرب المحلة، وقدم الأزهر صغيرا فحضر دروس الشيخ العزيزى والشيخ محمد السجيني والشيخ عبده الديوى والسيد على الضرير فتمهر ودرس وأفتى وألف وكان ملازما على زيارة قبور الأوليا ويحيى الليالى بقراءة القرآن مع صلاح وديانة وولاية وجذب وله مع الله حال غريب وهو والد الشيخ الأوحى أحمد (١٠٠٣) الآتى ذكره فى تاريخ موته، توفى المترجم رحمه الله تعالى فى عصر يوم الأربعاء ثامن عشرى ذى القعدة.

٣٩٢ أحمد السجاعي

[ومات] الشيخ الإمام الفقيه العلامة الشيخ / عطية بن

٣٩٣ عطية الأجهورى

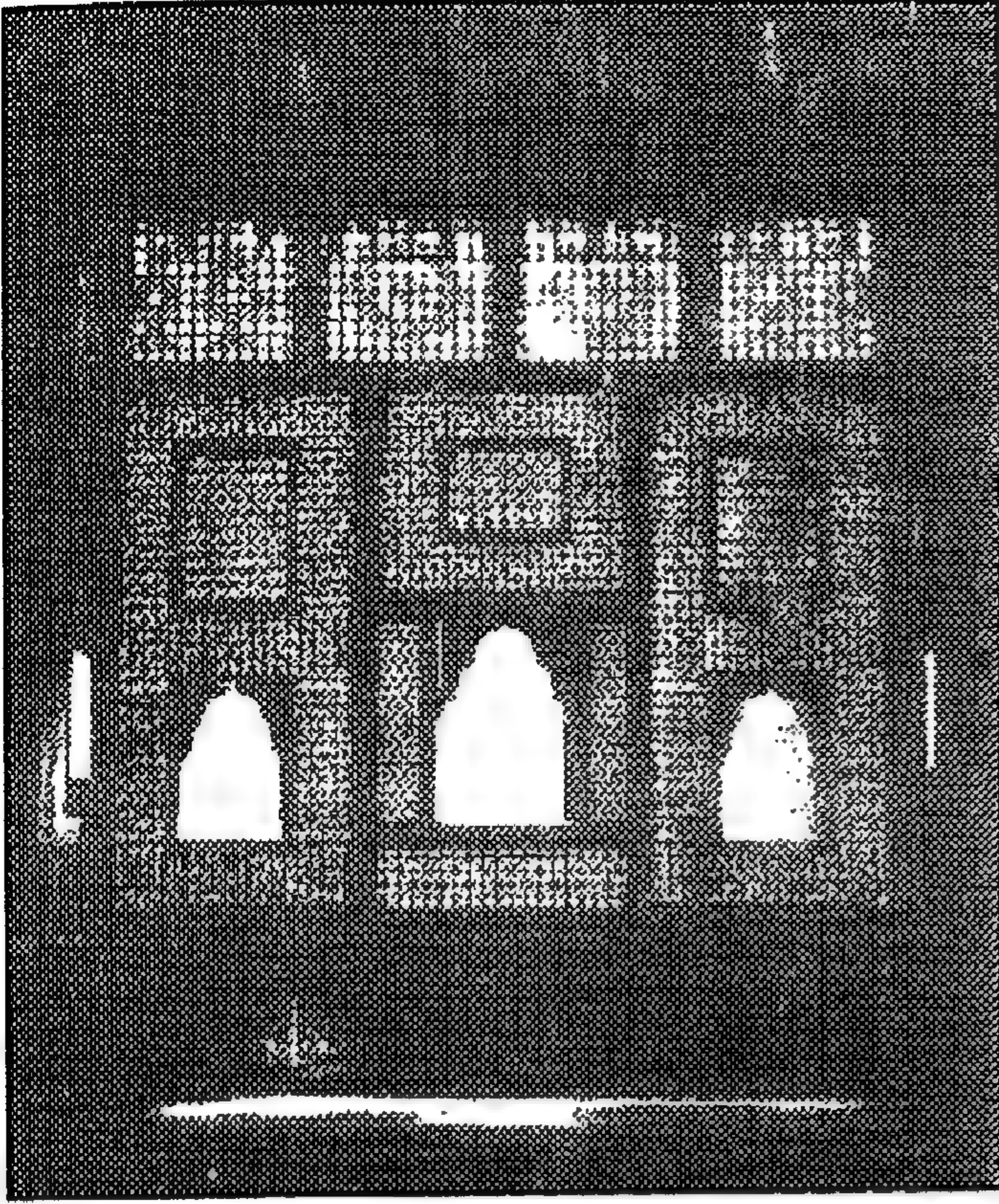
عطية الأجهوري الشافعي البرهاني الضرير، ولد بأجهور
الورد إحدى قرى مصر وقدم مصر فحضر دروس الشيخ
العشماوى والشيخ مصطفى العزيرى وتفقه عليهما وعلى
غيرهما وأتقن فى الأصول وسع الحديث ومهر فى الآلات
وأفجج ودرس المنهج والتحرير مرارا وكذا جمع الجوامع
بمسجد الشيخ مطهر وله فى أسباب النزول مؤلف حسن
فى بابيه جامع جام لما تشتت من أبوابه وحاشية على
الجلالين مفيدة وكذلك حاشية على شرح الزرقانى على
اليقونية فى مصطلح الحديث وغير ذلك ، وقد حضر عليه
غالب علما مصر الموجودين واعترفوا بفضله وأنجبوا ببركته
وكان يتأنى فى تقريره ويكرر الإلقاء مرارا مراعاة للمستعملين
الذين يكتبون ما يقوله ، ولما بنى المرحوم عبد الرحمن
كتخدا هذا الجامع المعروف الآن بالشيخ مطهر الذى كان
أصله مدرسة للحنفية وكانت تعرف بالسيوفيين بنى
للمترجم بيتا بدهليزها وسكن فيه بعياله وأولاده توفى فى
أواخر رمضان.

٣٩٤ أحمد العجمى

[ومات] الشيخ الفاضل النجيب / أحمد بن محمد بن
العجمى الشافعى كان شابا فهيمًا ذاكًا (ص ١٠٠٤) ذا
حفظ جيد، حضر على علما العصر وحصل العقول
والمنقول وأدرك جانبًا من العلوم والمعارف ودرس وأملى ولو
عاش لانتظم فى سلك أعظم العلماء ولكن احترمته المنية
فى يوم الاثنين حادى عشر جمادى الآخرة.

٣٩٥ أحمد المقدسى

الشيخ الصالح الورع الناسك / أحمد بن نور الدين
المقدسى الحنفى إمام جامع قجماس وخطيبه بالدرب الأحمر



وهو أخو الشيخ حسن المقدسى مفتى السادة الحنفية شارك
أخاه الشيخ حسنا المذكور فى شيوخه واشتغل بالعلم، وكان
شيخا وقورا بهى الشكل مقبلا على شأنه منجمعا عن
الناس، توفى ليلة الاثنين سادس عشر ربيع الأول.

[ومات] الفقيه الفاضل الشيخ/ ابراهيم بن خليل الصيحاني
الغزى الحنفى، ولد بغزة وبها نشأ وقرأ بعض المتون على
فضلا بلده وورد الجامع الأزهر فحضر الدروس، ولازم
المرحوم الوالد حسنا الجبرتي وتلقى عنه الفقه وبعض العلوم
الغريبة، ثم عاد إلى غزة وتولى الافتاء بالمذهب، وكان يرسل
إلى الوالد فى كل سنة جانبا من اللوز المر فى غلق مقدار
عشرين رطلا ، فنخرج دهنه ونرفعه فى الزجاج لنفع الناس

٣٩٦ ابراهيم الصيحاني

في الدهن ومعالجات بعض الأمراض والجروح ، ولم يزل على ذلك حتى ارتحل إلى دمشق ، وتولى أمانة الفتوى بعده الشيخ عبدالشافى ، فسار أحسن سير وتوفى بها في هذه السنة (ص ١٠٠٥) في عشر التسعين رحمه الله .

٣٩٧ على الشنويهي .

[ومات] الفقيه الفاضل الصالح الشيخ / على بن محمد بن نصر بن هيكل بن جامع الشنويهي ، تفقه على جماعة من فضلاء العصر وكان يحضر درس الحديث في كل جمعة على السيد البليدى ، ودرس بالأزهر وانتفع به الطلبة وكان مشهورا بمعرفة الفروع الفقهية ، وكان درسه حافلا جدا وله حظ في كثرة الطلبة وكان الأشياخ يتضايقون من حلقة درسه فيطردونه من المقصورة فيخرج إلى الصحن ، فتملاً حلقة درسه صحن الجامع وفي بعض الأحيان ينتقل إلى مدرسة السنانية بجماعته ، وكان يخطب بجامع الأشرفية بالوراقين ، وخطبته لطيفة مختصرة ، وقرأ المنهج مرارا ، وكان شديد الشكيمة على نهج السلف الأول لا يعرف التصنع ، وكان يخبر عن نفسه أنه كان كثير الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه لما تنزل مدرسا في الحمدية من جملة الجماعة انقطع عنه ذلك ، وكان يبكى ويتأسف لذلك . توفى في ثامن عشر شعبان وأملى نسبه على الدكة إلى سيدنا على رضى الله عنه .

٣٩٨ عثمان بك الفقارى .

* برصا: قرب بحر مرمرة .

[ومات] الأمير الكبير الشهير / عثمان بك الفقارى باسلامبول في هذه السنة وكان مدة غيابه ببرصا * واسلامبول نيفا وأربعا وثلاثين سنة ، وقد تقدم ذكره وذكر مبدأ أمره وظهوره وسبب خروجه من مصر ما يغنى عن

إعادة بعضه وهو أمر مشهور، وإلى الآن بين الناس مذكور، حتى أنهم جعلوا سنة خروجه تاريخاً يؤرخون به وفياتهم ومواليدهم ، فيقولون ولد فلان سنة خروج عثمان بك، ومات فلان بعد خروج عثمان بك بسنة أو شهر مثلاً.

٣٩٩ الأمير عبد الرحمن كتخدا

[ومات] الأمير عبد الرحمن كتخدا وهو ابن حسن جاویش القازدغلی أستاذ سليمان جاویش أستاذ ابراهيم كتخدا مولى جميع الأمراء المصريين الموجودين الآن. وخبره ومبدأ إقبال الدنيا عليه أنه لما مات عثمان كتخدا القازدغلی واستولى سليمان جاویش الجوخدار على موجوده ولم يعط المترجم الذى هو ابن سيد أستاذه شيئاً، ولم يجد من ينصفه فى إيصال حق من طائفة باب الينكجيرية حسداً منهم وميلاً لأهوائهم وأغراضهم ، فحقن منهم وخرج من بابهم وانتقل إلى وجاق العزب، وحلف أنه لا يرجع إلى وجاق الينكجيرية مادام سليمان جاویش الجوخدار حياً، وبر فى قسمه، فإنه لما مات سليمان جاویش ببركة الحاج سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف كما تقدم بادر سليمان كتخدا الجاويشية زوج أم عبد الرحمن كتخدا وأستاذ عثمان بك فى تقليد عبد الرحمن جاویش، لأنه وراثته ومولاه، وأحضره ليلاً وقلدوه ذلك، وأحضر الكاتب والدفاتر وتسلم مفاتيح الخشخانات* والتركة بأجمعها ، وكان شيئاً يحل عن الوصف، وكذلك تقاسيط البلاد، (ص ١٠٠٧) ولم تطمح نفس عثمان بك لشئ من ذلك، وأخذ المترجم غرضه من باب العزب ورجع إلى باب الينكجيرية، ونما أمره من حينئذ وحج صحبة عثمان بك فى سنة خمس وخمسين، وأقام هناك إلى سنة إحدى وستين فحضر مع الحجاج وتولى كتخدا الوقت

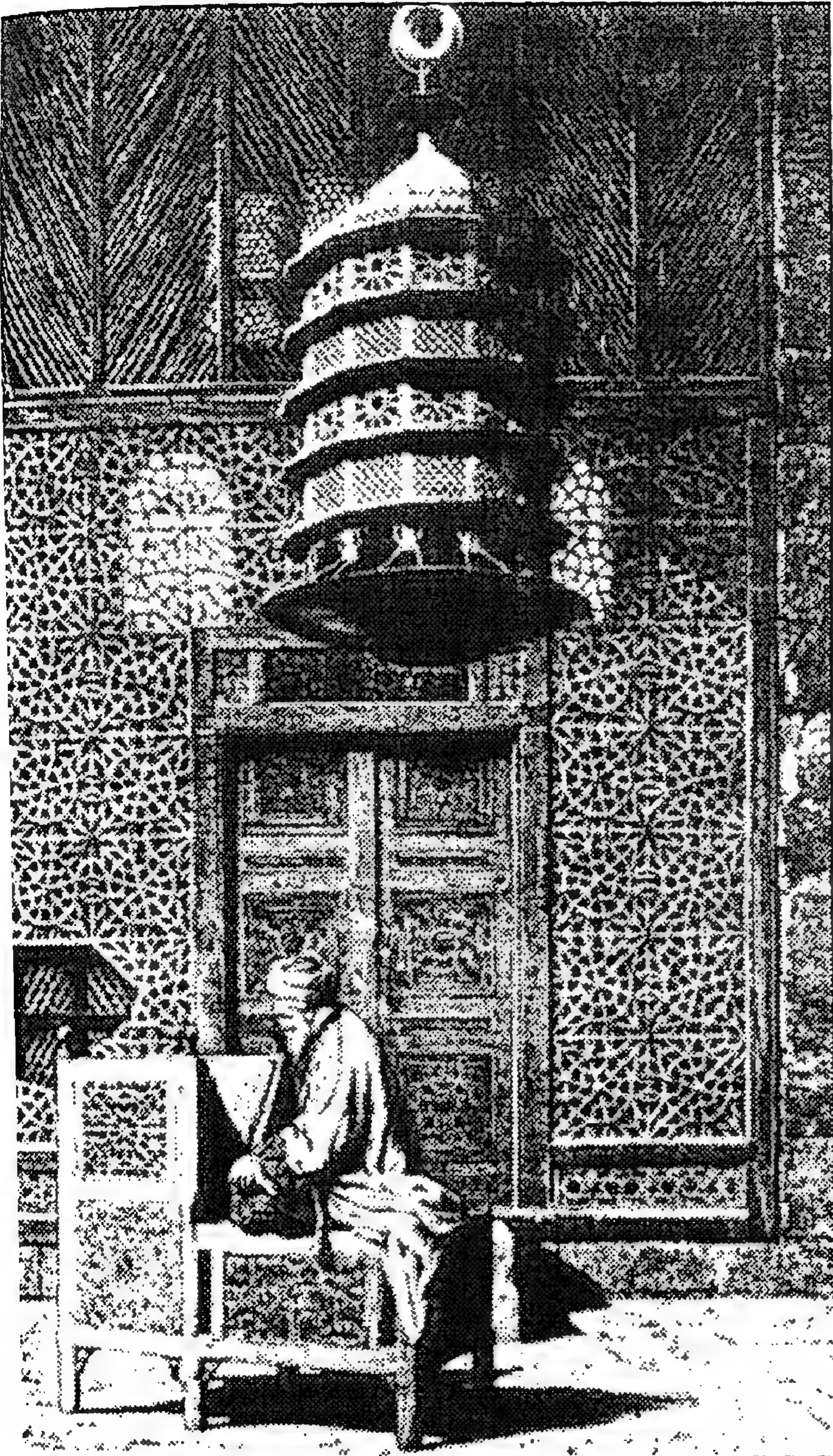
* الخشخانات : مفردا خشخانة: وهى السلاح

* عمائر الأمير عبد الرحمن كتخدا التي ذكرها الجبرتي:

- ١ - سبيل وكتاب بين القصرين
- ٢ - جامع المغاربة.
- ٣ - سبيل وكتاب جامع المغاربة.
- ٤ - جامع تجاه باب الفتح
- ٥ - كتاب ومدفن السيدة السطوحية
- ٦ - كتاب وسقاية وحوض لشرب الدواب قرب الأزيكية.
- ٧ - كتاب وسقاية وحوض لشرب الدواب في الخطابة .
- ٨ - كتاب وسقاية وحوض لشرب الدواب عند جامع الدشطوطي.
- ٩ - أنشاء وزاد في مقصورة الجامع الأزهر
- ١٠ - محراب جديد بالجامع الأزهر.
- ١١ - أنشاء باب عظيم للأزهر جهة حارة كتامة، بني فوقه مكتبا لتعليم الأيتام وسقاية لشرب المارين.
- ١٢ - عمل لنفسه مدفنا بداخل الأزهر.
- ١٣ - رواق للصعايدة به مرافق ومنافع ومطبخ ومخدع وخزائن كتب.
- ١٤ - إنشاء منارة جديدة بالأزهر .
- ١٥ - إنشاء بابا جهة باب المطبخ عليه منارة.
- ١٦ - بني المدرسة الطبرسية وجعلها مع المدرسة الآقباوية من داخل الباب الكبير.
- ١٧ - على يمين المدرسة الطبرسية أقام منارة فوقه مكتب بميضاة لها ساقية مخصصة.
- ١٨ - جدد رواق المكاوين والتكرورين.
- ١٩ - بني المشهد الحسيني
- ٢٠ - إنشاء جامعا وصهريجا وحوضا وسقاية ومكتبا عند باب البرقية المعروف بالغريب.
- ٢١ - إنشاء جامعا ومكتب وحوض وميضاة وساقية ومنارة عند كوم الشيخ سلامة قرب الأزيكية.
- ٢٢ - عمر مسجد الإمام الشافعي.
- ٢٣ - إنشاء صهريجا ومقصورة لضريح الإمام زكريا الانصاري عند القبة.
- ٢٤ - عمر المشهد النفيسي ومسجده ، وبني به صهريجا.
- ٢٥ - عمر مشهد السيدة سكيبة بخط الخليفة.

ستين ، و شرع في بناء المساجد وعمل الخيرات وإبطال المنكرات ، وأبطل حمامير حارة اليهود، فأول عماراته* بعد رجوعه : السبيل والكتاب الذي يعلوه بين القصرين وجاء في غاية الظرف وأحسن المباني ، وأنشأ جامع المغاربة وعمل عند بابه سبيلا وكتابا وميضاة تفتح بطول النهار ، وأنشأ تجاه باب الفتوح مسجدا ظريفا بمنارة وصهريج وكتاب ومدفن السيدة السطوحية ، وأنشأ بالقرب من تربة الأزيكية سقاية وحوضا لسقى الدواب ويعلوه كتاب، وفي الخطابة كذلك، وعند جامع الدشطوطي كذلك، وأنشأ وزاد في مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولاً وعرضا ، يشتمل على خمسين عامودا من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت، وتسقف أعلاها بالخشب النقي ، وبني به محرابا جديدا ومنبرا، وأنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة وبني بأعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن، وبداخله رحبة متسعة وصهريج (ص ١٠٠٨) عظيم وسقاية لشرب العطاش المارين، وعمل لنفسه مدفنا بتلك الرحبة وعليه قبة معقودة وتركيبية من رخام بديعة الصنعة، وبها أيضا رواق مخصص بمجاوري الصعايدة المنقطعين لطلب العلم يسلك إليه من تلك الرحبة بدرج يصعد منه إلى الرواق وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب، وبني بجانب ذلك الباب منارة، وأنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع وعليه منارة أيضا. وبني المدرسة الطبرسية وأنشأها إنشاء جديدا وجعلها مع مدرسة الآقباوية المقابلة لها من داخل الباب الكبير الذي أنشأه خارجهما جهة القبر الموصل للمشهد الحسيني وخان

- عمر مشهد السيدة عائشة.
- عمر مشهد السيدة رقية.
- عمر مشهد السيدة فاطمة.
- عمر جامع حارة عابدين.
- عمر مشهد ابو السعود الجارحي.
- عمر مسجد مشهد شرف الدين الكردى.
- عمر مسجد الموسيقى.
- عمر المدرسة السيوفية المعروفة بالشيخ مطهر بخط باب الترهومة.
- عمر المارستان المنصوري.
- بنى قناطر طنطا (طننتاء).
- بنى قنطرة حارة عابدين.
- بنى قنطرة حارة الموسيقى.
- بنى قناطر وجسور ببلاد الحجاز.
- قصره المعروف ٣٩ - باسمه على النيل بولاق ومصر القديمة . والذي هدم هـ ذل.
- دار سكنة بحارة عابدين . وذلك
- خلاف عمائره الأخرى فى الشام وبلاد لروم.



لجرا كسة، وهو عبارة عن باين عظيمين كل باب بمصراعين وعلى يمينهما منارة، وفوقه مكتب أيضا وبداخله على يمين السالك بظاهر الطبرسية ميضأة، وأنشأ لها ساقية مخصوص إجراء الماء إليها، وبداخل باب الميضأة يصعد منه للمنارة ورواق البغداديين والهنود، فجاء هذا الباب وما بداخله من الطبرسية والآقباوية والأروقة من أحسن المباني في العظم والوجاهة والفخامة وأرخ بعضهم ذلك بهذه الأبيات الركيكة.

تبارك الله باب الأزهر انفتح

وعاد أحسن مما كان وانصلحا

(ص ١٠٠٩) تفر عينا إذا شاهدت بهجته

بإخلاص بانيه للعلماء والصلحا

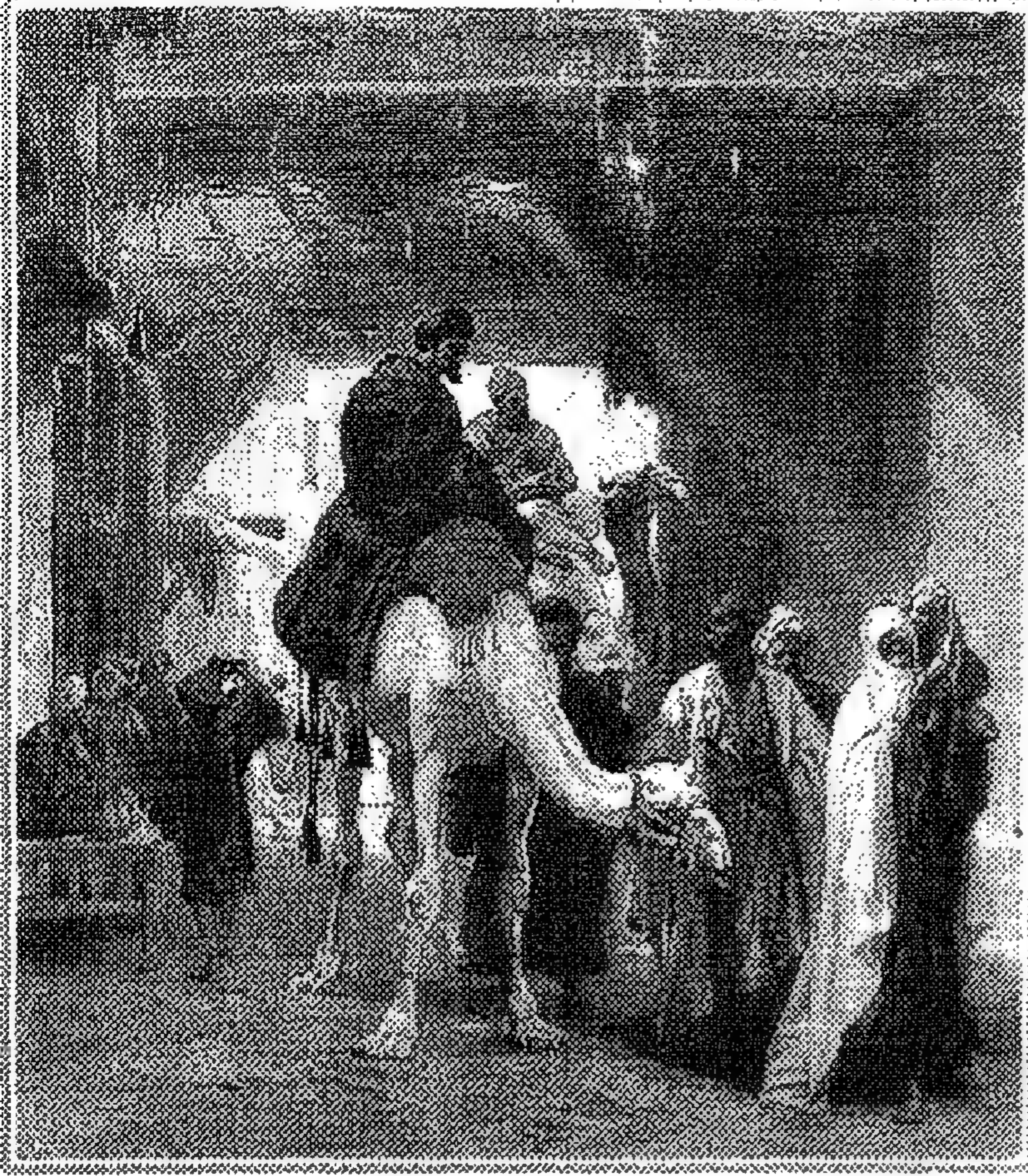
وأدخل على أدب تلقى الهداة به

قد قرروا حكما ميزانها جحا

بالباب قد بدأ الأكوان أرخه

بعبد رحمن باب الأزهر انفتح

وجدد رواقا للمكاوين والتكرورين، وبني المشهد الحسيني على هذه الصفة وعمل به صهريجا وحنفية بفسحة ولواوين في غاية الحسن ورتب له تراتيب، وزاد في مرتبات الأزهر والأنخباز ورتب لمطبخه في خصوص أيام رمضان في كل يوم خمسة أرادب أرز أبيض وقنطار سمن ورأس جاموس وغير ذلك من التراتيب والزيت والوقود للمطبخ، وأنشئ عند باب البرقية المعروف بالغريب جامعا وصهريجا وحوضا وسقاية ومكتبا ورتب فيه تدريسا وكذلك جهة الأزبكية بالقرب من كوم الشيخ سلامة جامع ومكتب وحوض



◀ أحد أسواق القاهرة

وميضأة وساقية ومنازة. وعمر المسجد بجوار ضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه في مكان المدرسة الصلاحية. وعمل عند باب القبة الصهرنج والمقصورة الكبيرة التي بها ضريح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري فيما بين المسجد ودهليز القبة، وفرش طريق القبة بالرخام الملون يسلك إليه بدھليز طويل متسع، وعليه بوابة (ص ١٠١٠) كبيرة من داخل الدھليز البراني وعلى الدھليز البراني من كلتا الجهتين بوابتين. وعمر أيضا المشهد النفيسي ومسجده وبنى الصهرنج على هذه الهيئة الموجودة، وجعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال. وبنى أيضا مشهد السيدة زينب بقناطر السباع، ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة والسيدة فاطمة



سوق السجاد بالقاهرة

والسيدة رقية، والجامع والرباط بحارة عابدين ، وكذلك مشهد أبى السعود الجارحى على الصفة التى هو عليها الآن ومسجد شرف الدين الكردى بالحسينية. والمسجد بخط الموسكى وبنى للشيخ الحفنى دار بجوار ذلك المسجد وينفذ إليه من داخل. وعمر المدرسة السيوفية المعروفة بالشيخ مطهر بخط باب الزهومة وبنى لوالدته بها مدفنا. وأنشأ خارج باب القرافة حوضا وسقاية وصهريجا . وجدد المارستان * المنصورى ، وهدم أعلى القبة الكبيرة المنصورية والقبة التى كانت بأعلى الفسحة من خارج ولم يعد عمارتهما بل سقف قبة المدفن فقط وترك الأخرى مكشوفة، ورتب له خيرات وأخبارا زيادة على البقايا القديمة، ولما عزم على ترميمه وعمارته أراد أن يحتاط بجهات وقفه فلم يجد له كتاب وقف ولا دفتر، وكانت كتب أوقافه ودفاتره فى

* المارستان : بفتح الراء وكسرهما : دار المرضى أى المستشفى.

داخل خزانة الكتب، فاحتترقت بما فيها من كتب (ص ١٠١١) العلم والمصاحف ونسخ الوقفيات والدفاتر، ووقفه يشتمل على وقف الملك المنصور قلاوون الكبير الأصلي ووقف ولده الملك الناصر محمد ووقف ابن الناصر أبو الفدا إسماعيل، بل وغير ذلك من مرتبات الملوك من أولادهم، ثم إنه وجد دفترا من دفاتر الشطب المستجدة عند بعض المباشرين، وذلك بعد الفحص والتفتيش فاستدل به على بعض الجهات المحتكرة. وللمترجم عماير كثيرة وقناطر وجسور في بلاد الحجاز حين كان مجاورا هناك. وبنى القناطر بطندتا في الطريق الموصلة إلى محلة مرحوم * والقنطرة الجديدة الموصلة إلى حارة عابدين من ناحية اخلوتى على الخليج وقنطرة بناحية الموسكى، ورّب للعميان الفقرا الأكسية الصوف المسماة بالزعايط فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء فى كل سنة، فيأتون إلى داره أفواجا فى أيام معلومة ويعودون مسرورين بتلك الكساوى وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الاحرامات الطولونية يرتدون بها وقت التسبيح فى ليالى الشتاء، وكذلك يفرق الحبر* المحلاوى والبز* الصغيدى والملايات* والأخفاف والبوايج* القيصرلى على النساء الفقيرات والأرامل ويخرج عند بيته فى ليالى رمضان وقت الإفطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالشريد المسقى بمرق اللحم (ص ١٠١٢) والسمن للفقراء المجتمعين ويفرق عليهم النقيب هبر* اللحم النضيج فيعطى لكل فقير جعله وحصته فى يده، وعند ما يفرغون من الأكل، يعطى لكل واحد منهم رغيفين ونصف فضة برسم سحوره إلى غير ذلك. ومن عمايره القصر الكبير

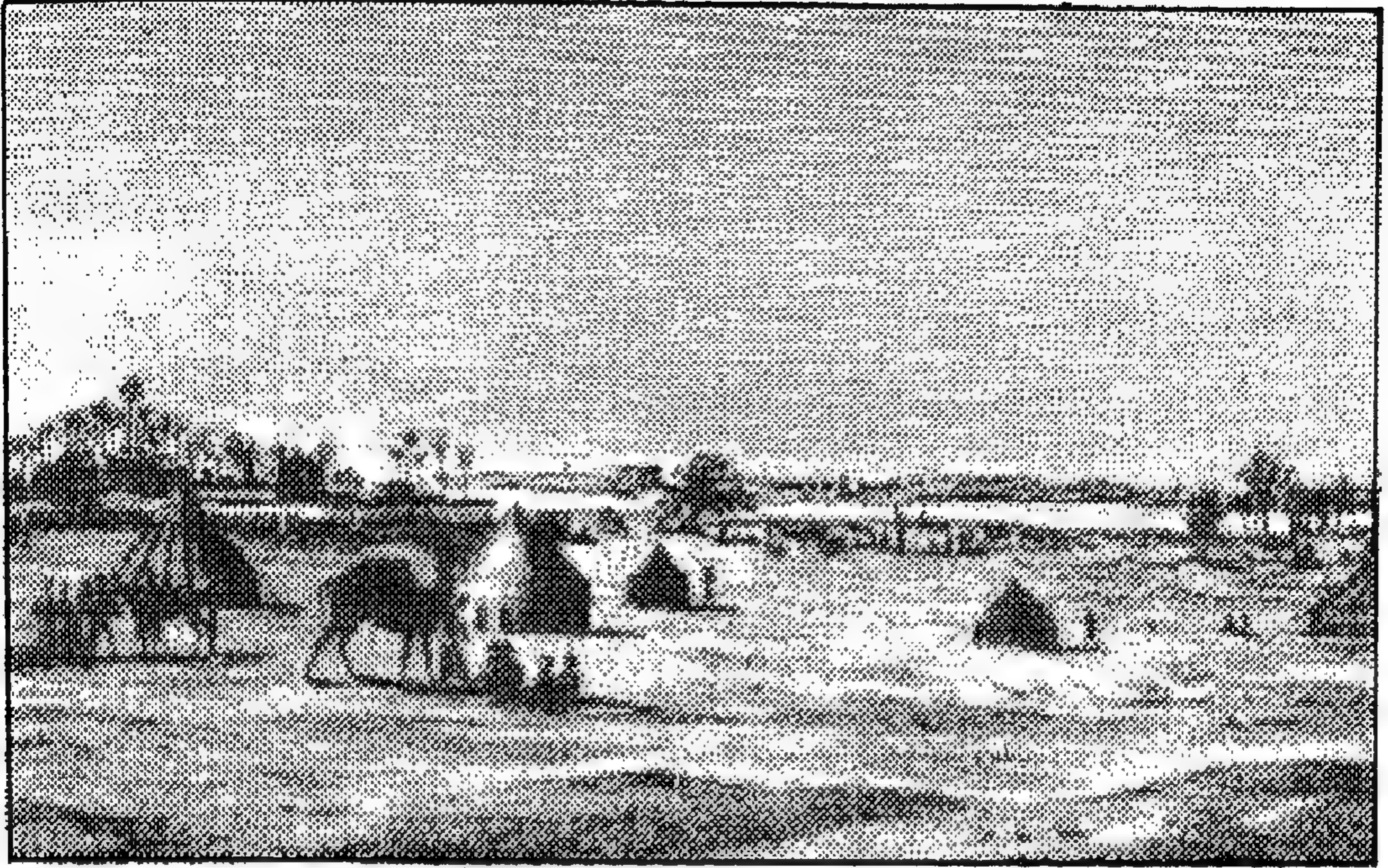
* محلة مرحوم : بلدة من بلاد مركز طنطا (غربية)

* الحبر: بكسر الحاء وفتح الباء جمع حبرة وملاءة سوداء تلبسها نساء مصر إذا خرجن من البيوت جمعها حبرات.
* البز : الثياب من الكتان أو القطن جمعها بزور.
* البوايج نوع من الأحذية بفتح الباء مفردة بابوج.

* هبر : مصدر هبر هبرا للحم قطعه قطعاً كباراً.

المعروف به بشاطى النيل فيما بين بولاق ومصر القديمة، وكان قصرا عظيما من الأبنية الملوكية، وقد هدم فى سنة خمس ومائتين بيد الشيخ على بن حسن مباشر الوقف، وبيعت أنقاضه وأخشابه، ومات المذكور بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر. ومن عمايره أيضا دار سكنه بحارة عابدين وكان من الدور العظيمة المحكمة الوضع والإتقان لا يماثلها دار بمصر فى حسنها زخرفة مجالسها وما بها من النقوش والرخام والقيشاني والذهب المصوه واللزورد* وأنواع الأصباغ وبديع الصنعة والتأنيق والبهجة، وغرس بها بستانا بديعا بداخله قاعة متسعة مربعة الأركان بوسطها فسقية مفروشة بالرخام البديع الصنعة وأركانها مركبة على أعمدة من الرخام ، وغير ذلك من العمارات حتى اشتهر ذكره بذلك وسمى بصاحب الخيرات والعمائر فى مصر والشام والروم، وعدة المساجد التى أنشأها وجدها وأقيمت فيها الخطبة والجمعة والجماعة ثمانية عشر مسجدا، وذلك خلاف الزوايا والأسبلة والسقايات والمكاتب والأحواض والقناطر والمربوط للنساء الفقيرات (ص ١٣٠) والمنقطعات ، وكان له فى هندسة الأبنية وحسن وضع العمائر ملكة يقتدر بها على ما يرومه من الوضع من غير مباشرة ولا مشاهدة، ولو لم يكن له من المآثر إلا ما أنشأه بالجامع الأزهر من الزيادة التى تقصر عنها همم الملوك لكفاه ذلك، وأيضا المشهد الحسيني ومسجده والزينبي والنفيسي، وضم لوقفه ثلاث قرى من بلاد الارز بناحية رشيد وهى تفينة وديى وحصة كتامة، وجعل إيرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمنقطعين، وزاد فى طعام المجاورين بالأزهر ومطبخهم الهريسة فى يومى الاثنين والخميس، وقد تعطل

* اللزورد : بضم الزاى وفتحها وسكون الراء
: معدن يتخذ للحلى ، وأجوده الصافى
الشفاف الأزرق



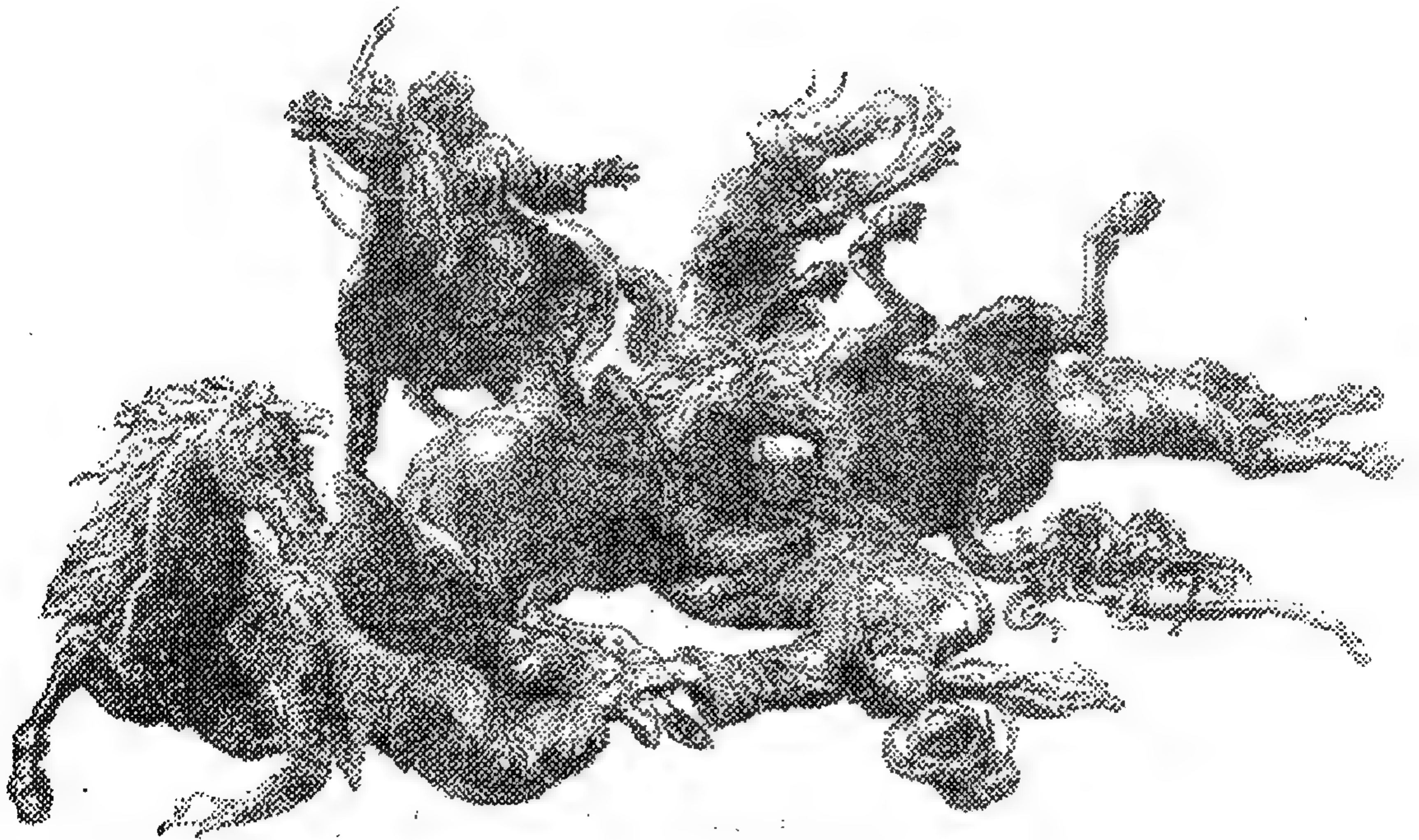
▲ بركة الحاج قرب العادلية.

غالب ذلك في هذا التاريخ الذي نحن فيه لغاية سنة
عشرين مائتين وألف بسبب استيلاء الخراب وتوالى الحن
وتعطل الأسباب. ولم يزل هذا شأنه إلى أن استفحل أمر
على بك وأخرجه منفيا إلى الحجاز، وذلك في أوائل شهر
القعدة سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، فأقام بالحجاز اثنتي
عشرة سنة، فلما سافر يوسف بك أميرا بالحاج في السنة
الماضية صمم على إحضاره صحبته إلى مصر فأحضره في
تختروان، وذلك في سابع شهر صفر سنة تسعين ومائة
وألف، وقد استولى عليه العى والهرم وكرب الغربة، فدخل
إلى بيته مريضا فأقام أحد عشر يوما ومات، فغسلوه وكفنوه
وخرجوا بجنازته في مشهد حافل حضره (ص ١٠١٤)
العلماء والأمراء والتجار ومؤذنو المساجد وأولاد المكاتب التي
أنشأها ورتب لهم فيها الكساوى والمعالييم في كل سنة،

* موقف الجبرتي من حركة علي بك الكبير.

وصلوا عليه بالأزهر ودفن بمدفنه الذي أعده لنفسه بالأزهر عند الباب القبلي، ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله، من مساويه قبول الرشا والتحيل على مصادرة بعض الأغنيا في أموالهم، واقتدى به في ذلك غيره، حتى صارت سنة مقررة وطريقة مسلوكة ليست منكورة وكذلك المصالحاة على تركات الأغنياء التي لها وارث ومن سيئاته* العظيمة التي طار شررها وتضاعف ضررها وعم الإقليم خرابها وتعدى إلى جميع الدنيا هبابها، معاضدته لعلی بك ليقوى به على أرباب الرياسة، فلم يزل يلقي بينهم الفتن ويغري بعضهم على بعض ويسلط عليهم على بك المذكور، حتى أضعف شوكت الأقويا وأكد العداوة بين الأصفيا، واشتد ساعد على بك، فعند ذلك التفت إليه وكلب بنابه عليه وأخرجه من مصر وأبعده عن وطنه، فلم يجد عند ذلك من يدافع عنه، وأقام هذه المدة في مكة غريبا وحيدا، وأخرج أيضا في اليوم الذي أخرجه فيه نيفا وعشرين أميرا من الاختيارية كما تقدم، فعند ذلك خلا لعلی بك وخشداشينه الجوفياضوا وأفرخوا وامتد شرهم إلى الآن الذي نحن فيه كما سيتلى عليك بعضه، فهو الذي كان السبب بتقدير الله تعالى في ظهور أمرهم، (ص ١٥١) فلو لم يكن له من المساوى إلا هذه لكفاه، ولما رجع من الحجاز متمرضا ذهب إليه ابراهيم بك ومراد بك وباقي خشداشينهم ليعودوه ولم يكن رأيهم قبل ذلك، فكان من وصيته لهم: كونوا مع بعضكم واضبطوا أمركم ولا تدخلوا الأغاى بينكم، وهذا بدل عن قوله أوصيكم بتقوى الله تعالى وتجنبوا الظلم وافعلوا الخير، فإن الدنيا زائلة وانظروا حالى ومآلى أو نحو ذلك، هكذا أخبرنى من كان حاضرا في ذلك الوقت، وكان سليط

اللسان ويتصنع الحماسة، فغفر الله لناوله، رأيته مرة وأنا إذ
 ذاك في سن التمييز قبل أن ينفي إلى الحجاز وهو ماش في
 جنازة مربع القامة أبيض اللون مسترسل اللحية ويغلب
 عليها البياض مترفها في ملبسه معجبا بنفسه يشار إليه
 بالبنان.



(سنة إحدى وتسعين ومائة)

[وَأَلْف] (١٧٧٧م)

١١٩١ هـ.

١٤٩٣ ق.

١٧٧٧ م.

غاية الفيضان ١٢ قيراط / ٢٢ ذراع

□ في ٣٢ و٣ جماد أول ثارت المغاربة بالأزهر،
وقفلت العلماء أبواب الجامع وأغلقت
الدكاكين والأسواق وحصلت مقتلة جرح
فيها كثير من اتباع الاغوات وقتل فيها
ثلاثة من المغاربة ، وذلك بسبب تعضيد
يوسف بك المجحف بحق المغاربة في وقف
ال لهم ولانتهازه العلماء. وفي ٦ منه سكن
اسماعيل بك الفتنة، وكان منتصرا لأهل
الأزهر

□ وفي ١٤ جمادى الثانية تأمر مراد بك
وجماعته على قتل اسماعيل بك فخرج
الى جهة العادلية ، فتملك ابراهيم بك
ومراد بك القلعة في ٢١ جمادى الثانية.

□ وفي ١٨ منه قامت تجريدة تحت إمرة
اسماعيل بك الصغير، وفي ٢١ رجب
تقابلت التجريدة مع الامرا القبالي فكانت
الهزيمة على التجريدة فتحصن اسماعيل
بك في متاريس برية بين حلوان والتين
فانتصر على القبالي بعد معركة شديدة
رجعت على أثرها القبالي إلى الصعيد،
ودخل اسماعيل بك منتصرا في شعبان .

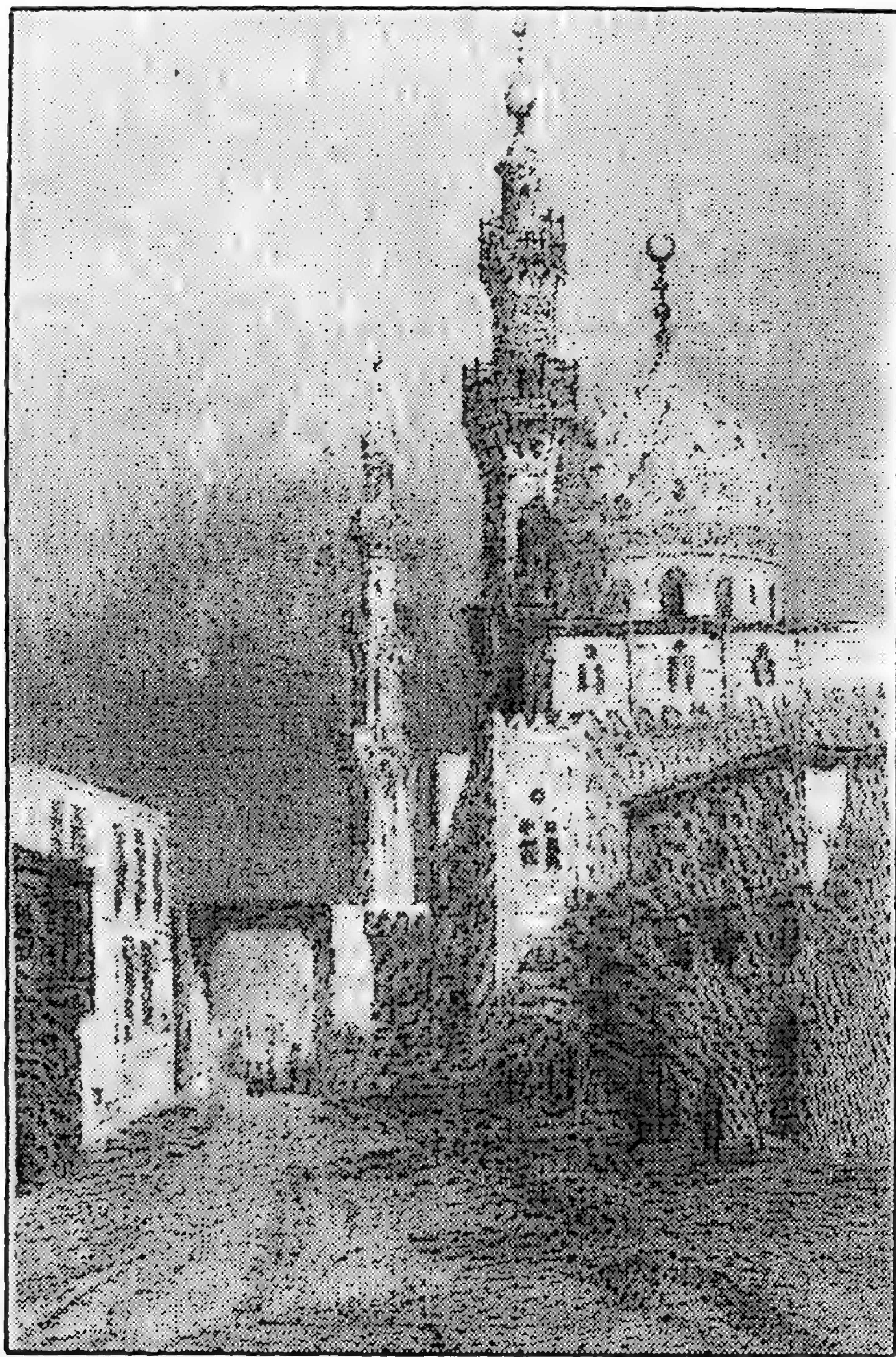
□ ١ ثوت ١٤٩٤ = ٩ سبتمبر ١٧٧٧ =
الثلاث ٦ شعبان سنة ١١٩١ .

□ ١ يناير ١٧٧٨ = ٢٥ كيهك ١٤٩٤ =
الخميس ٢ ذوالحجة سنة ١١٩١ .

فيها في أوائل ربيع الأول ورد أغا من الديار الرومية بطلب
عساكر لسفر العجم فاجتمع الأمرا وتشاوروا في ذلك،
فاتفق رأيهم على إحضار ابراهيم بك طنان فأحضروه من
الحلة وقلدوه إمارة ذلك.

وفيها في أوائل شهر جمادى الأولى وقعت حادثة في طائفة
المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر، وذلك أنه آل إليهم مكان
موقوف ، وجحد واضع اليد ذلك والتجا إلى بعض الأمرا
وكتبوا فتوى في شأن ذلك، واختلفوا في ثبوت الوقف
(ص ١٠١٦) بالإشاعة، ثم أقاموا الدعوى في المحكمة وثبت
الحق للمغاربة ، ووقع بينهم منازعات ، وعزلوا شيخهم،
وولوا آخر، وكان المندفع في الخصومة واللسانة شيخا منهم
يسمى الشيخ عباس، والأمير الملتجئ إليه الخصم يوسف
بك، فلما ترافعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير،
حنق لذلك ونسبهم إلى ارتكاب الباطل، فأرسل من طرفه
من يقبض على الشيخ عباس المذكور من بين المجاورين،
فطردوا المعينين وشتموهم وأخبروا الشيخ أحمد الدردير،
فكتب مراسلة إلى يوسف بك تتضمن عدم تعرضه لأهل
العلم، ومعاودة الحكم الشرعي، وأرسلها صحبة الشيخ عبد
الرحمن الفرنوي وآخر. فعندما وصلوا إليه وأعطوه التذكرة،
نهرهم وأمر بالقبض عليهم وسجنهم بالحبس، ووصل الخبر
إلى الشيخ الدردير وأهل الجامع فاجتمعوا في صبحها
وأبطلوا الدروس والآذان والصلوات وقفلوا أبواب الجامع

وجلس المشايخ بالقبلة القديمة، وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الامراء، وأغلق أهل الأسواق القرية الحوانيت وبلغ الامراء ذلك فأرسلوا إلى يوسف بك فأطلق المسجونين ، وأرسل ابراهيم بك من طرفه ابراهيم أغا بيت المال فلم يأخذ جوابا، وحضر الأغا إلى الغورية ونزل هناك ونادى بالأمان وأمر بفتح الحوانيت، فبلغ مجاوري المغاربة ذلك، فذهب إليه (ص ١٧ ١٠) طائفة منهم وتبعهم بعض العوام وبأيديهم العصي والمساوق وضربوا أتباع الأغا ورجموه بالأحجار، فركب عليهم وأشهر فيهم السلاح هو وماليكه، فقتل من مجاوري المغاربة ثلاثة أنفار وأنجرح منهم كذلك ومن العامة، وذهب الأغا ورجع الفريق الآخر، وبقي الهرج إلى ثاني يوم، فحضرُوا اسماعيل بك والشيخ السادات وعلى أغا كتحدا الجاويشية وحسن أغا أغات المتفرقة والترجمان وحسن أفندي كاتب حواله وغيرهم، فنزلوا الأشرفية وأرسلوا إلى أهل الجامع تذكرة بانفضاض الجمع وتمام المطلوب، وكان ذلك عند الغروب فلم يرضوا بمجرد الوعد وطلبوا الجامكية والجراية فركبوا ورجعوا ، وأصبح يوم الاربعاء والحال على ما هو عليه واسماعيل بك مظهر الاهتمام لنصرة أهل الأزهر فحضر مع الشيخ السادات وجلسوا بالجامع المؤيدي وأرسلوا للمشايخ تذكرة صالحة الشيخ ابراهيم السندوبي ملخصها أن اسماعيل بك تكفل بقضا اشغال المشايخ وقضا حوايجهم وقبول فتواهم وصرف جماكيهم وجراياتهم وذلك بضمان الشيخ السادات له، فلما حضر الشيخ ابراهيم بالتذكرة وقراها الشيخ عبد الرحمن العريشي جهارا وهو قايم على اقدامه ، فلما سمعوها اكثروا من الهرج واللغط وقالوا هذا كلام لا أصل



▲ جامعی الامیرین یوسف بک و ابراهیم آغا.

له وترددت الارساليات والذهاب والجي بطول النهار، ثم اصطلحوا (ص ١٨١٠) وفتحوا الجامع فى آخر النهار، وأرسلوا لهم فى يوم الخميس جانبا من دراهم الجامكية ومن جملة ما اشترطوه فى الصلح عدم مرور الأغا والوالى والمحتسب من حارة الازهر وغير ذلك شروط لم ينفذ منها شىء، وعمل ابراهيم بك ناظرا على الجامع عوضا عن الاغا وارسل من طرفه جنديا للمطبخ وسكن الاضطراب، وبعد مضى اربعة ايام من هذه الحادثة مر الاغا وبعده الوالى كذلك فارسل المشايخ الى ابراهيم بك يخبروه فقال ان الطريق يمر بها البر والفاجر ولا يستغنى الحكام عن المرور.

وفى اوائله ايضا احضر مراد بك شخصا يقال له سليمان كاشف من اتباع يوسف بك وضربه علقه بالنبايت بسبب من الاسباب فحقدها عليه يوسف بك واستوحش من طرفه.

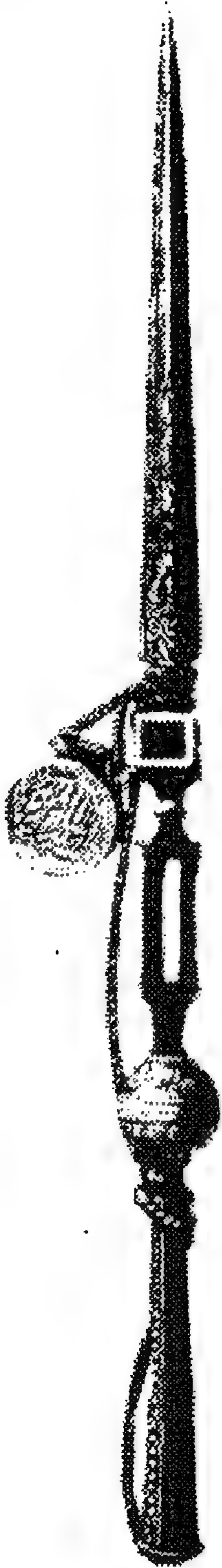
وفى ثانى عشر جمادى الثانية قبض الاغا على انسان شريف من اولاد البلد يسمى حسن المدابغى وضربه حتى مات، وسبب ذلك انه كان فى جملة من خرج على الاغا بالغورية يوم فتنه الجامع، وكان إنسانا لا بأس به.

وفى ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الثانية خرج اسماعيل بك جهة العادلية مغضبا، وسبب ذلك أن مراد بك زاد فى العسف والتعدى خصوصا فى طرف اسماعيل بك وابراهيم بك يسعى بينهما فى الصلح، واجتمعوا فى آخر مجلس عند ابراهيم بك فتكلم اسماعيل بك كلاما (ص ١٩١٠) مفحما وقال أنا تارك لكم مصر وإمارتها وجاعلكم مثل أولادى ولا أريد إلا المعيشة وراحة السر وأنتم لا تراعون لى



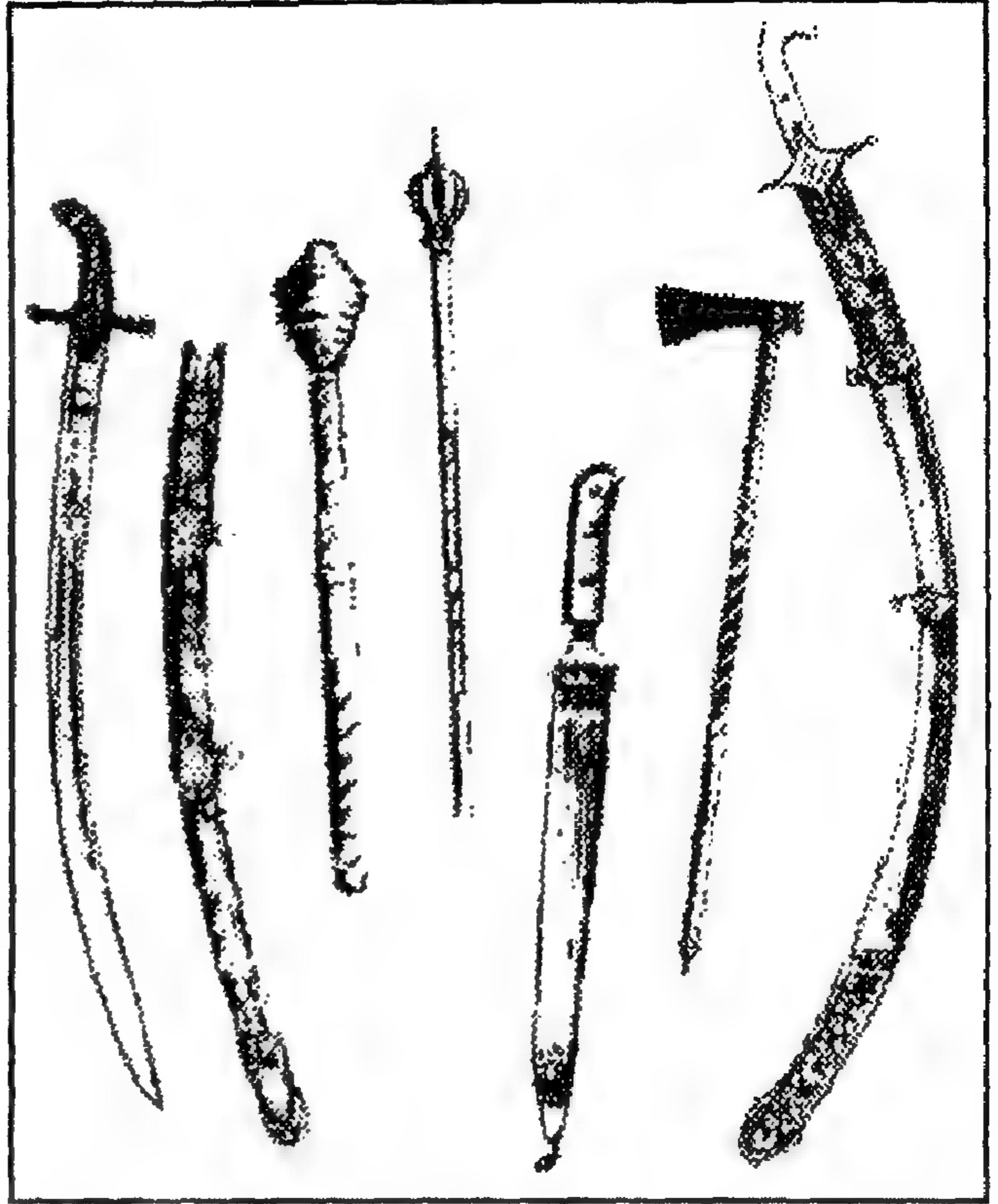
*خلافات ومعارك بين اسماعيل بك ومراد بك

حقاً وأمثال ذلك من الكلام، فحضر في هذه الأيام إلى اسماعيل بك مركب غلال، فأرسل مراد بك* وأخذ ما فيها، وعلم أن اسماعيل بك يغتاز لذلك، ثم اتفق مع بعض أغراضه أنهم يركبون من الغد إلى اسماعيل بك ويدخلون عليه في بيته ويقتلونه، فعلم اسماعيل بك بذلك، فركب في الصباح وخرج إلى العادلية بعد أن عزل بيته وحريمه ليلاً، وجلس بالأشبية وركب مراد بك ذاهباً إلى اسماعيل بك فوجده قد خرج إلى الأشبية، وكان إبراهيم بك طلع إلى قصر العيني، فذهب إلى مراد بك، ولما أشيع خروج اسماعيل بك ركب يوسف بك وخرج إليه وتبعه محمد بك طبل وحسن بك وإبراهيم بك طنان وذو الفقار بك وغيرهم، ووصل الخبر إلى إبراهيم بك ومراد بك ومن انضم إليهم، فركبوا وحضروا إلى القلعة وملكوا الأبواب وامتلات الرميلة والميدان بعساكرهم وصحبهم أحمد بك الكلارجي ولاجين بك وأيوب بك ومصطفى بك، واضطربت المدينة وأغلق الناس الدكاكين، واستمروا على ذلك يوم السبت ويوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء وتسحب من أهل القلعة جماعة خرجوا إلى اسماعيل بك ويوسف بك (ص ١٠٢٠) ومن معهما وهم اسماعيل أغا أخو علي بك الغزاوي وأخو سليم أغا وعبد الرحمن أغا أغات الينكجيرية سابقاً، فأرسل أهل القلعة إبراهيم أغا الوالي فجلس بباب النصر وأغلق الباب ونزل الباشا إلى باب العزب، فحضر قاسم كتحدا عزبان أمين البحرين وعبد الرحمن أغا وصحبهم جماعة إلى باب النصر وفتحوا الباب وطردهم الوالي، وذلك في يوم الاثنين، وملكوا باب النصر، فأرسلوا إليهم طائفة من عسكر المغاربة فضربوا عليهم



رأس حربة

أسلحة
: سيف،
خنجر،
مقارع، بلطة.



بالرصاص وحمل عليهم الآخرون فشتتهم ورجعوا إلى خلف، وقتل من المغاربة أنفار وانجرح منهم كذلك وانتشر البرانيون حوالى جهات مصر وذهب منهم طائفة إلى جهة بولاق وفيهم محمد بك طبل فوجدوا طائفة من الكشاف والأجناد حضروا إلى بولاق لأجل العليق والتبن، فوقعت بينهم وقعة فانهزموا إلى قصر عبد الرحمن كتخداء، وأخذ أوليك العليق والتبن وطلع منهم طائفة إلى الجبل واشتد الحال وعظمت الفتنة، فأراد الباشا إجراء الصلح فأرسل أيوب أغا ورجع بجواب عدم رضاهم بالصلح، وقالوا «قد تخاصمنا واصطلحنا مرارا» ثم أرسل إليهم أحمد جاويش المجنون فذهب ولم يرجع والتف عليهم، فأرسل الباشا ولده وكتخداه سعيد بك مرارا ثم دخل يوم الأربعاء عبد الرحمن أغا من باب النصر، وشق من وسط المدينة وأمامه المنادى



▲ فارس يستخدم الطنبجة (القدارة)

ينادى على الناس برفع بضائعهم من (ص ١٠٢٩)
 الحوانيت، فرفع الناس بواقي بضائعهم من الدكاكين، ولم
 يزل سايرا حتى وصل إلى باب زويلة ونزل بجامع المؤيد
 وجلس به مقدار ساعتين ورتب عسكريا هناك على السقايف
 والأسبلة، ثم ركب راجعا وعاد صحبته إبراهيم بك الطناني،
 ومعهم عدة أجناد عسكريين وخرجوا من باب زويلة إلى الدرب
 الأحمر إلى جامع المرداني فجلسوا عنده إلى بعد الظهر ثم
 زحفوا إلى التبانة إلى قرب الحجر، وعملوا هناك متاريس
 ورتبوا بها جماعة، وكذلك ناحية سوق العزى فنزل إليهم
 جماعة من القلعة وتراموا بالرصاص وقطعوا الطرق على من
 بالقلعة إلى بعد العصر، فنزل إليهم خيالة مدرعين فحمل
 عليهم عسكري المغاربة فوقع منهم أربعة خيالة وانجرح لاجين
 بك فحملوه إلى بيته في شنف، وقتل أنفار من عسكري

* معارك بين العسكري العثماني والمغاربة.

المغاربة وولى القلعاوية إلى جهة القلعة، وبعد الغروب انفصل عنهم عسكر المغاربة ونكسوا أعلامهم وحضروا عند أجناسهم، والتفوا عليهم ولاحت لوايح الخذلان على من بالقلعة، ودخل عليهم الليل وانكف الفريقان، وأصبح يوم الخميس فدخل الكثير من البرانيين إلى المدينة شيا فشيا وربطوا في جميع الجهات حتى انحصروا بالقلعة، وأخذوا ينقبون عليهم فلما شاهدوا الغلب فيهم نزلوا من باب الميدان وذهبوا جهة البساتين إلى الصعيد* (ص ١٠٢٢) فتخلف عنهم أحمد بك الكلارجي وأيوب بك وإبراهيم بك أوده باشه ولاجين بك مجروح، وخرج المتخلفون إلى اسماعيل بك ويوسف بك وطلبوا منهما الأمان وانضموا إليهم، وعندما أشيع نزول إبراهيم بك ومراد بك من القلعة، هجم المرابطون بالحجر وسوق السلاح على الرميلة ونهبوا خيامهم وعازقهم الذى بها وبالميدان حتى جمال الباشا وخيول الدلاة، وذلك يوم الخميس قبل العصر بنصف ساعة، فدخل اسماعيل بك بعد العصر من ذلك اليوم من باب النصر وتوجهوا إلى بيوتهم، وأصبح يوم الجمعة فشق عبد الرحمن أغا ونادى بالأمان والبيع والشراء وراق الحال.

ولما كان يوم الأحد ثانى عشرين جمادى الثانية طلوعوا إلى الديوان فخلع الباشا على اسماعيل بك خلعتى سمور، واستقر اسماعيل بك شيخ البلاد ومدير الدولة، وقلدوا حسن بك الجداوى صنجقا كما كان، وكانت الصنجدية مرفوعة عنه من موت سيده على بك، وكذلك رضوان بك قرابة على بك قلده صنجدية وقلدوا اسماعيل* أغا أخا على بك الغزاوى صنجدية أيضا، وسكن بيت إبراهيم بك الكبير وقلدوا سليمان كاشف من أتباع يوسف بك وهو الذى كان ضربه علقه مراد بك بالنبت كما تقدم صنجدية (ص ١٠٢٣) ولقبه الناس بأنبوت، وقلدوا أيضا سليم

* هروب مراد بك وإبراهيم بك للصعيد

* أفراد اسماعيل بك بالسلطة.

كاشف من أتباع إسماعيل بك صنجقية وقلدوا عبد الرحمن
أغا أغاوية مستحفظان كما كان، ومحمد كاشف والى
الشرطة، وفي عشية ذلك اليوم أنزلوا سليمان أغا مستحفظان
إلى بولاق وأنزلوه فى مركب منقيا إلى دمياط بعدما صودر فى
نحو أربعين ألف ريال .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينه أنزلوا أيضا سليمان كتحدا
مستحفظان وعثمان كتحدا بأش اختيار مستحفظان المعروف
بأبى مساوق، والأمير عبد الله أغا وأنزلوهم إلى المراكب، ثم
حصل عنهم العفو فردوهم إلى بيوتهم.

وفى ذلك اليوم طلعا إلى الديوان فقلدوا ذا الفقار بك دفتر دار
عوضا عن رضوان بك بلفيا، وذلك بإشارة يوسف بك لكونه
كان مع مراد بك وإبراهيم بك، حتى إنه أراد أن يسلب
نعمته، فمنعه عنه إسماعيل بك.

وفى يوم الأربعاء ثانى شهر رجب حضر عند يوسف بك
حسن بك الجداوى وصحبته إسماعيل بك الصغير وهو أخو
على بك الغزاوى وسليم بك الإسماعيلى وعبد الرحمن بك
العلوى، فجلسوا معه ساعة لطيفة بالمقعد المطل على البركة،
فجلس حسن بيك أمامه وكان جالسا على الدكة المرتفعة
عن المرتبة وجلس تحت شماله (ص ١٠٢٤) على المرتبة
إسماعيل بك الصغير وسليم بك، وعبد الرحمن بك استمر
واقفا حادثوه فى شىء وتناجوا مع بعضهم وتأخر عنهم
الواقفون من المماليك والأجناد فسحب عبد الرحمن بك
التمشاة* وضرب بها يوسف بك فأراد أن يهزم قائما، فداس
على ملوطة* إسماعيل بك فوقع على ظهره، فنزلوا عليه
بالسيوف وضربوا فى وجوه الواقفين طلق بارود فهربوا إلى
خلف، ونزل الضاربون من القيطون* وركبوا وذهبوا إلى

*التمشاة : السيف فيه شطب.

*ملوطة: أى طرف سلاحه.

*القيطون: الخدع الذى يسكنه الحشم
الاحرار، ويجمع على «قطن»

إسماعيل بك فركب فى تلك الساعة وطلع إلى القلعة وأرسل اسماعيل كتحدا عزبان إلى الباشا وكان بقصر العيني بقصد التنزه، فركب من هناك وطلع إلى القلعة وجلس بباب العزب صحبة إسماعيل بك، فلما بلغ الأمر الذين هم خشداشين يوسف بك فركبوا وخرجوا من المدينة وذهبوا إلى قبلى، وهم أحمد بك الكلارجى وذو الفقار بك ورضوان بك الجرجاوى، فركب خلفهم طائفة فلم يدركوهم، وأرسلوا إلى محمد بك طبل فكرنك فى بيته ونصب له مدافع وأبى من الخروج لأنه صار من المذبذبين، فلما وقع منه ذلك ذهب إليه حسن بك سوق السلاح وأخذه بالأمان إلى اسماعيل بك بعد ما نزل إلى بيته، فأمره أن يأخذه عنده فلما أصبح أستاذنه فى زيارة الإمام الشافعى فأذن له فركب إلى جهة القرافة وذهب إلى (ص ١٠٢٥) جهة الصعيد وانقضت الفتنة، ودفن يوسف بك.

وفى يوم الخميس ، طلّعوا إلى الديوان فخلع الباشا على اسماعيل* بك الكبير فروة سمور وأقره على مشيخة البلد وقلدوا حسن بك قصبة رضوان إمارة الحج عوضا عن يوسف بك وقلدوا عبد الرحمن العلوى صنجقا كما كان وقلدوا ابراهيم أغا خازندار اسماعيل بك الذى زوجه ابنته صنجقية ، وتلقب بإبراهيم بك قشطة وسكن بيت محمد بك وقلدوا حسين أغا خازندار اسماعيل بك سابقا صنجقية أيضا، وسكن بيت أحمد بيك الكلارجى وقلدوا كاشفين أيضا لاسماعيل بك يسمى كل واحد منهما بعثمان صنجقين وسكن أحدهما بيت مصطفى بك الذى كان سكن محمد بك طبل وهو على بركة الفيل حيث جامع أربك اليوسفى وهو الذى يسمى بعثمان بك طبل وعثمان الثانى وهو الذى لقب بقفا التور، وسكن بيت ذى الفقار المقابل لبيت بلفيا، وقلدوا على أغا جوخدار اسماعيل بك صنجقية أيضا وسكن

* اسماعيل بك يتولى مشيخة البلد.

بيت مراد بك عند الكباش وهو بيت صالح بك الكبير، وكان يسكنه سليمان بك أبو نبوت اليوسفى، وأما بيت يوسف بك فسكن به سليم بك وقلدوا يوسف أغا من أتباع اسماعيل بك واليا، ونفروا أيوب بك وسليمان بك إلى المنصورة.

* وفاء النيل ٤ مسرى القبطى.

وفى صباحها يوم الجمعة رابع شهر الفرد الموافق لرباع مسرى القبطى (ص ٢٦ ١٠) نودى بوفاء النيل ونزل الباشا صباح يوم السبت وكسر السد على العادة وجرى الماء فى الخليج وعاد الباشا إلى القلعة.

* اسماعيل بك يطارد الامراء المماليك بالصعيد

وفى سابعه اتفقوا على إرسال تجريدة إلى الصعيد وسر عسكرها اسماعيل بك * الصغير، وعينوا للتوجه صحبته حسن بك الجداوى وإبراهيم بك الطنانى وسليم بك الطنانى وسليم بك الاسماعيلى وإبراهيم بك أوده باشا وحسن بك الشرقاوى المعروف بسوق السلاح، وقاسم كتخدا عزبان وعلى أغا المعمار وكان غايبا بالمنية فلما قبل [ذهبوا للوجه القبلى] فتخلص وترك أحواله وغلالة وحضر إلى مصر وصحبته طايفة من الهوارة والعربان، فلما حضر أرادوا أن يقلدوه صنجدية فامتنع من ذلك، وشرعوا فى تشهيل التجريدة وطلبوا طلبا عظيما وصرف الباشا ألف كيس من الخزينة لنفقة العسكر وخلعوا على الهوارة ومشايخ العربان ووعدوهم بالخير.

وفيه جاءت الأخبار بأن على بك السروجى ساق خلف محمد بك طبل فلحقه عند مكان تجاه البدرشين واحتاط به العربان وقتلوا مماليكه وشرد من نجا منهم وتفرق ونهبوا ما معه وعروه وسلموه لكاشف هناك من أتباع اسماعيل بك فوقع فى عرضه وعرض مشايخ البلد فالبسوه حوايج وهربوه وصحبته اثنان من الأجناد، فلما حضر على بك السروجى أخبره العرب بما حصل، فأخذ ذلك الكاشف وحضر صحبته إلى اسماعيل

بك فضرب الكاشف علقه ونفاه (ص ٢٧ ١٠).

وفيه ورد الخبر أيضا عن ذى الفقار بك بأن العرب عروه أيضا فهرب فلحقوه وأرادوا قتله فألقى نفسه فى البحر بفرسه وغرق ومات.

وفى يوم الاثنين رابع عشر رجب برزت عساكر التجريدة إلى جهة البساتين وفى يوم الخميس خرج أيضا غالب الأمراء وبرزوا خيامهم.

وفى يوم الجمعة ثامن عشر رجب سافرت التجريدة برا وبحرا، وفى يوم السبت سادس عشرين رجب وصلت الأخبار بأن التجريدة تلاقى مع الأمراء القبالي ووقع بينهم معركة قوية، فكانت الهزيمة على التجريدة، فلما وصلت هذه الأخبار اضطرب اسماعيل بك وتخلل غزله وكذلك أمراؤه، ودخل الأجناد مشتين مهزومين وكانت الوقعة يوم الجمعة فى بياضة من أعمال الشرق [شرق النيل]، فكبسوهم على حين غفلة وقت الفجر، فركب على أغا المعمار وقاسم كتحدا عزبان وإبراهيم بك طنان فحاربوا جهدهم، فأصيب على أغا وقاسم كتحدا ووقعت خيولهما، وذلك بعد أن ساق على أغا وصحبته رضوان أغا طنان وقصد مراد بك وضربه رضوان فى وجهه بالسيف، فلحقه خليل بك كوسه الإبراهيمى وضرب على أغا بالقراينة فأصابته فى عنقه ووقع فرسه وسقط ميتا، فلما قتل هذان الأميران ولى إبراهيم بك طنان، فانهزم بقية الأمراء لأنه لم يكن فيهم أشجع من هؤلاء الثلاثة، وباقيهم ليس له دربة فى الحرب وسر عسكر مقصوب* ومريض. واحتاط

* مقصوب : مأسور.

الأمراء القبليون بخيامهم وحمالاتهم ومراكبهم (ص ٢٨ ١٠) بما فيها وكانت نيفا وخمسمائة مركب، وكان كبير العسكر فى قنجة صغيرة فلما عاين الكسرة أسرع فى الانحدار، وكذلك بعض الأمراء انحدروا معه وباقيهم وصلوا البر على

هيئة شنيعة، وكان اسماعيل بك بمصر القديمة ينتظر أمرا
التجريدة، فلما حصل ذلك نزل الباشا فى يوم الأحد وخرج
إلى الآثار وجلس مع الصنjq ونادوا بالنفير العام، فخرج
القاضى والمشايخ والتجار وأرباب الصنائع والمغاربة وأهل
الحارات والعصب وغلقت الأسواق، وخرج الناس فى يوم
الاثنين حتى ملوا الفضاء، فلما عاين ذلك اسماعيل بك
وعلم أنهم يحتاجون إلى مصروف وماكل وأكثرهم فقرا،
وذلك غاية لا تدرك، فأشار على تجار المغاربة والألضاشات *

* الألضاشات : الابع .

بالمكث، ورجع بقية العامة وأرباب الحرف ومشايخ الأشار
والفقرا من أهل الزوايا والبيوت، ووصل القبليون إلى حلوان
وطمعوا فى أخذ مصر بعد الكسرة قبل الاستعداد ثانيا. وفى
يوم الاثنين أرسل اسماعيل بك عدة من الأجناد وأصحابهم
عسكر المغاربة ومعهم الجبخانه والمدافع، فنصبوا المتاريس
مابين التبين * وحلوان تجاه الأخصام، وركب فى ليلتها
اسماعيل بك * وأمرأه وأجناده، وأحضر الباشا قليون رومى
من دمياط وريسه يسمى حسن الغاوى مشهور بمعرفة الحرب
فى البحر، يشتمل ذلك القليون على خمسة وعشرين
مدافعا فأقلع به ليلا تجاه العسكر وارتفع حتى تجاوز
مراكبهم، وضرب بالمدافع (ص ١٠٢٩) على وطاقهم فى
البر وعلى مراكبهم فى البحر وساق جميع المراكب بما
فيها، ووقع المصاف واشتد الجلاذ بين الفريقين فكان بينهم
وقعة قوية وقتل فيها من أوليك رضوان بك الجرجاوى
وخليل بك كوسة الابراهيمى وخازنداره وكشاف وأجناد
ووقعت على القبالي * الهزيمة، ولم يظهر مراد بك فى هذه
المعركة بسبب جراحته، ثم هجموا على وطاقهم وخيامهم
ونهبوها. ونزل محمد بك طبل بفرسه إلى البحر وغرق ومات

* التبين : مركز الصف / الجيزه
* معركة ليلية ينتصر فيها اسماعيل بك على
الامراء القبالي.

* القبالي : امراء الوجه القبلى من المماليك.

ورجع ابراهيم بك ومراد بك وهو مجروح ومصطفى بك وأحمد بك الكلارجى وأتباعهم وذهبوا إلى قبلى وساقوا خلعهم فلم يدركوهم ودخل اسماعيل بك والأمراء والأجناد والعسكر إلى مصر منصورين مؤيدين وكانت هذه النصره بخلاف المظنون وكان رجوعهم يوم الأربعاء غرة شهر شعبان.

وفى ليلة السبت رابع شعبان حضر كاشف وصحبته جملة من المماليك وكان هذا الكاشف مأسورا عند القبلى فلما انهزموا أذنوا له بالرجوع إلى بيته وانضم إليه عدة مماليك ماتت أسيادهم فلما حضروا عند اسماعيل بك فرقهم على الامرا .

وفى سابعه أحضروا رمة على أغا المعمار إلى بيته ففسلوه وكفنوه وصلوا عليه فى مشهد حافل ودفنوه بالقرافة. وفيه تقلد حسن بك الجداوى ولاية جرجا ، وجاءت الأخبار بأن القبلىين استقروا بشرق أولاد يحيى.

وفى آخر شعبان سافر حسن بك الجداوى إلى جرجا (ص ١٠٣٠) وصحبته كشاف الولايات وحكام الأقاليم فضج لنزولهم ساحل البحر بسبب أخذهم المراكب.

وفى منتصف شهر رمضان ولدت امرأة مولودا يشبه خلقة الفيل* مثل وجهه وآذانه ، وله نابان خارجان من فمه، وأبوه رجل جمال وامراته لما رأت الفيل وكانت فى أشهر وحامها فنقلت شبهه فى ولدها وأخذته الناس يتفرجون عليه فى

* قصة الطفل الفيل

وفي يوم الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان ركب أمرا
اسماعيل بك* وصناجقه وعساكره في آخر الليل واحتاطوا
ببيت اسماعيل بك الصغير أخى على بك الغزاوى، فركب
في مماليكه وخاصته وخرج من البيت فوجدوا الطرق كلها
مسدودة بالعسكر والأجناد، فدخل من عطفة الفرن
يريد الفرار، وخرج على جهة قنطرة عمر شاه فوجد العسكر
والأجناد أمامه وخلفه فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من
عطفة إلى عطفة حتى وصل إلى عطفة البيدق، وأصيب
بسيف على عاتقه وسقطت عمامته، وصار مكشوف الرأس
إلى أن وصل إلى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية، فلاقاه
عثمان بك أحد صناجق اسماعيل بك فردّه وسقط فرسه
واحتاطوا به فنزل على دكان فى أسوأ حال مكشوف الرأس
والدم خارج من كركه*، فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال
وأخذه عثمان بك إلى بيته وتركه وذهب إلى سيده فأخبره
فخلع عليه فروة وفرسا مرختا* وأرسلوا إليه الوالى فحنقه
ووضعوه فى تابوت وأرسلوه إلى بيته الصغير فبات به ميتا
وأخرجوه (ص ١٠٣١) فى صباحها فى مشهد ودفنوه، وكان
اسماعيل بك قد استوحش منه وظهر عليه فى أحكامه
وأوامره، وكلما أبرم شيا عارضه فيه وازدحم الناس على بيته
وأقبلت إليه أرباب الخصومات والدعاوى وصار له عزوة
كبيرة وانضم إليه كشاف واختيارية، وحدثته نفسه بالانفراد
وتخيل منه اسماعيل بك فتركه وما يفعله، وأظهر أنه مرمود
فى عينيه وانقطع بالحريم من أول شهر رمضان، ثم سافر فى

* اسماعيل بك الكبير يغتال اسماعيل بك
الصغير

* الكرك: لباس يرتدى فوق القفطان الحرير
المزركش باكمامة الطويلة، وللكرك اكمام
قصيرة.

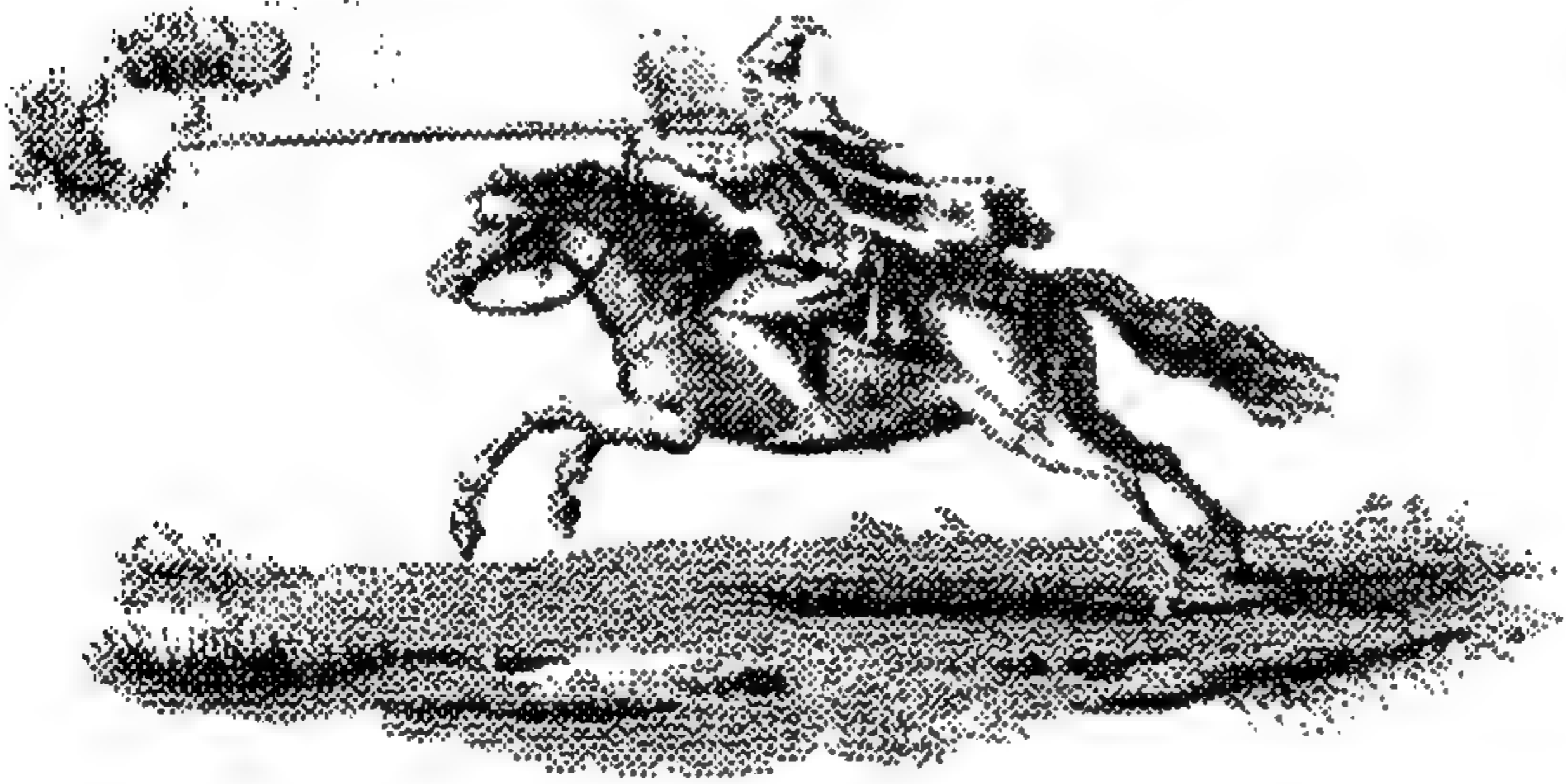
* مرخت : مسرجا.

أواخره فى النيل لزيارة سيدى أحمد البدوى ثم رجع وبيت
مع أتباعه ومن يثق به، وقاموا عليه وقتلوه كما ذكر، ولما
انقضى أمره شرع اسماعيل بك فى ابعاد ونفى من كان
يلوذ به وينتمى إليه، فأنزلوا ابراهيم بك بلفيا ومحمد أغا
الترجمان وعلى كتحدا الفلاح وبعض كشاف إلى بولاق،
وأراد قتل أخيه سليم أغا المعروف بتمرنك فافتدى نفسه
بثلاثين ألف ريال، ثم نفوه ثالث شوال، ونفى ابراهيم بك
بلفيا إلى المحلة، وفى تلك الأيام قرر اسماعيل بك على كل
بلد من القرى ثلثمائة ريال، وهى أول سيناته.

وفى يوم الأحد ثانى عشرين شوال عملوا موكب الحمل
وامير الحاج حسن بك رضوان*، وفى يوم الخميس رابع ذى
القعدة تقلد عبد الرحمن بك عثمان صنجقية وكانت
مرفوعة عنه وكذلك على بك، وفى يوم الاثنين ثامن
سافرت تجريدة لجهة الصعيد للامراء القبالي لأنهم تقفوا
واستولوا على البلاد، وقبضوا الخراج وملكوا من جرجا إلى
فوق وحسن (ص ١٠٣٢) بك أمير الصعيد مقيم وليس فيه
قدرة على مقاومتهم، ومنعوا ورود الغلال حتى غلا سعرها،
فعينوا لهم التجريدة وسر عسكرها رضوان بك وعلى بك
الجوخدار وسليم بك وابراهيم بك طنان وحسن سوق
السلاح.

وفى يوم الأحد حادى عشرين القعدة خرج اسماعيل بك
إلى ناحية دير الطين وعزم على التوجه إلى قبلى بنفسه،
وأرسل الباشا فرمانات لساير الأمرا والوجاقلية وأمرهم
جميعا بالسفر فخرجوا جميعا ونصبوا وطاقتهم عند

* خروج الحمل واميره حسن بك رضوان



أورته جاویش
من ضباط الانكشارية.

المعادی، ونزل الباشا وجلس بقصر العینی وطلبوا طلبا عظیما.

وفی يوم الجمعة عدی اسماعیل بك إلى البر الثانی وترك بمصر عبد الرحمن أغا مستحفظان كتخدا ورضوان بك بلفیا وعثمان بك طبل وابراهيم بك قشطة صهره وحسین بك ومقدام الأبواب لحفظ البلد، فكان المقادم يدورون بالطوف [العسكر] فی الجهات لیلا ونهارا مع هدو سر الناس وسكون الحال فی مدة غیاب الجميع.

وفی سادس شهر الحجة وصلت مكاتبات من اسماعیل بك ومن الامرا الذین بصحبته بأنهم وصلوا إلى المنية ، فلم يجدوا بها أحد من القبلیین وأنهم فی أسیوط ومعهم



باش جاویش

اسماعيل ابو على من كبار الهوارة.

وفى سابع عشره حضر الوجاقلية الذين كانوا بالتجريدة وحضر أيضا أيوب. اغا كان عند القبالي فحضر (ص ١٠٣٣) إلى عند اسماعيل بك بأمان واستأذنه فى التوجه إلى بيته ليرى عياله، فأذن له وأرسله صحبة الوجاقلية.

وسبب رجوع الوجاقلية لما رأى اسماعيل بك بعد الامراء وأراد أن يذهب خلفهم، فأمرهم بالرجوع للتخفيف وانقضت هذه السنة.



قائد انكشارى

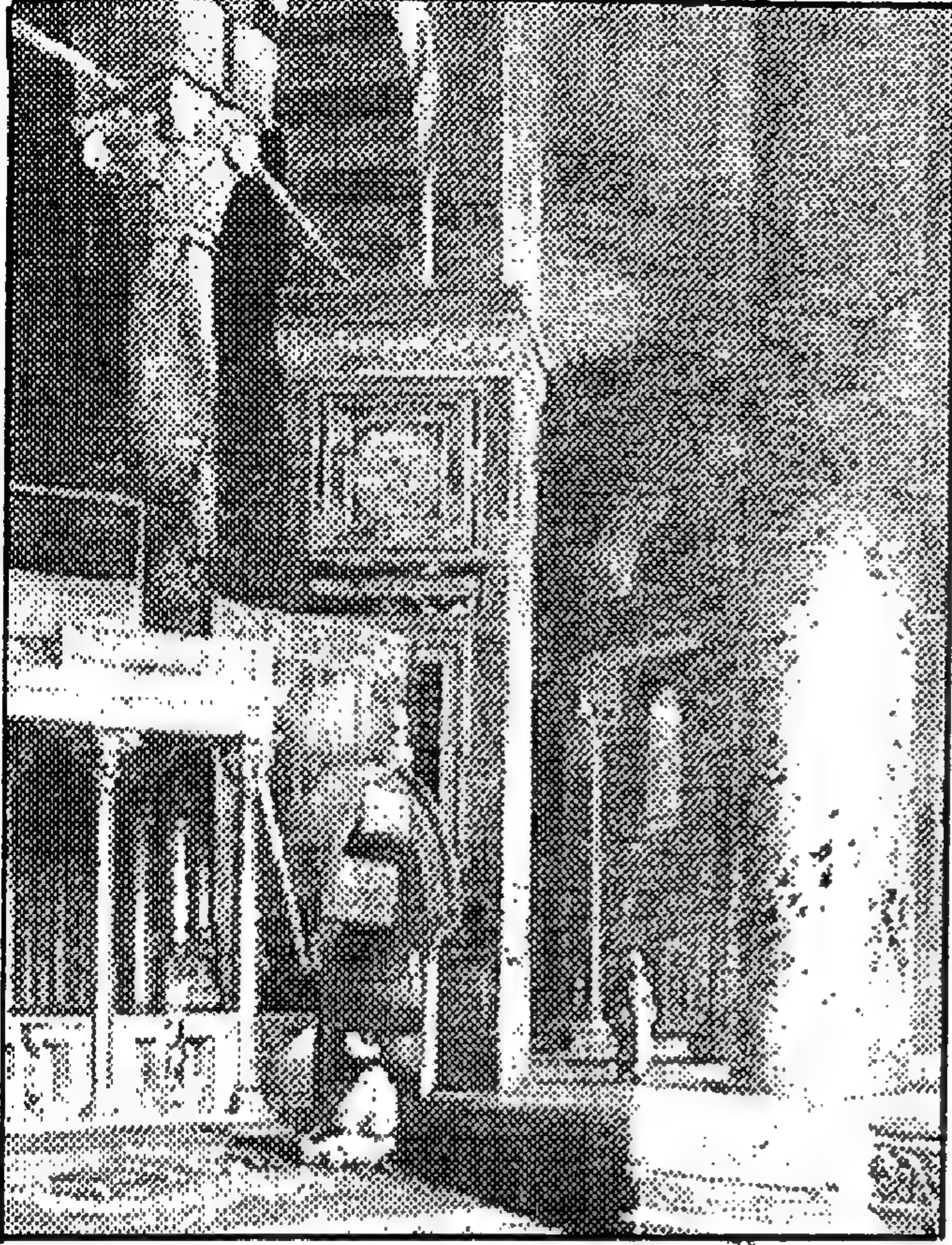
(ذكر من مات فى هذه السنة)

٤٠٠ محمد هاشم الاسيوطى



جندى يحمل قرابينه وطلبته

(ومات) الشريف الصالح المرشد الواصل السيد/ محمد هاشم الأسىوطى، ولد بأسىوط وبيتهم يعرف بيت فاضل، نشأ ببلده على قدم الخير والصلاح، وحضر دروس الشيخ حسن الجديرى ثم ورد إلى مصر فحضر دروس كل من الشيخ محمد البليدى والشيخ محمد الشماوى والشيخ عطية الأجهورى وأخذ الطريق على الشيخ عبد الوهاب العفيفى، وكان منقطعا للعبادة متقشفا متواضعا، وكان غالب جلوسه بالأشرفية ومسجد الشيخ مطهر، وكان لا يزاحم الناس ولا يداخلهم فى أحوال دنياهم، ولهم فيه اعتقاد عظيم ويذهبون لزيارته ويقتبسون من إشارته واستخارته، ويتبركون بإجازته فى الأوراد والأسماء، ويسافر لزيارة سيدى أحمد البدوى ثم يعود إلى خلوته، وربما مكث عند بعض أصدقائه



أياما بقصد البعد عن الناس وعندما يعلمون استقراره بالخلوة،
 ويزدحمون على زيارته، وكان نعم الرجل (ص ١٠٣٤) سمّا
 وورعا، توفي في سابع شعبان في بيته بالأزبكية وصلوا عليه
 بالأزهر ودفن بالمجاورين ، رحمه الله.

[ومات] الشيخ الإمام الأديب الفاضل الفقيه أحد العلما
 الأعلام الشيخ محمد بن ابراهيم العوفي المالكي ، لازم
 الشمس الحفنى وأخاه الشيخ يوسف ، وحضر دروس الشيخ
 على العدوى والشيخ عيسى البراوى ، وأفتى ودرس ، وكان
 شافعى المذهب ، فسعى فيه جماعة عند الشيخ الحفنى
 فأحضره وأثبت عليه بخطه ما نقل عنه فتوعده ، فلحق
 بالشيخ على العدوى وانتقل لمذهب مالك ، وكان رحمه الله

٤٠١ محمد العوفى.

عالماً محصلاً ببحاثة متفنتنا غير عشر البديهة، شاعرا ما جتنا خليعاً، ومع ذلك كان حلقة درسه تزيد على الثلاثماية في الأزهر، مات رحمه الله مفلوجاً، وحين أصابه المرض رجع إلى مذهب الشافعي وقرأ ابن قاسم بمسجد قريب من منزله، ويحمله الطلبة إلى المسجد فيقرأ وهو يتعلم لتعقد لسانه بالفالج مع ما كان فيه من الفصاحة أولاً، ثم برى يسيراً، ولم يلبث أن عاوده المرض وتوفى إلى رحمة الله تعالى.

٤٠٢ رمضان الحماشي.

[ومات] الأديب الماهر الشيخ / رمضان بن محمد المنصوري الأحمدي الشهير بالحماشي سبط آل الباز، ولد بالمنصورة، وقرأ المتون على مشايخ بلده، وانزوى إلى شيخ الأدب محمد المنصوري (ص ١٠٣٥) الشاعر فرقاء في الشعر وهذبه وبه تخرج، وورد إلى مصر مراراً، وسمعنا من قصائده وكلامه الكثير، وله قصائد سنية في المدايح الأحمدية تنشد في الجموع، وبينه وبين الأديب قاسم عبد القادر المدني محاورات ومداعبات، وأخبر أنه ورد الحرمين من مدة، ومدح كلا من الشريف والوزير وأكابر الأعيان بقصائد طنانة، كان ينشد منها جملة مستكثرة مما يدل على سعة باعه في الفصاحة، ولم يزل فقيراً مملقاً يشكو الزمان وأهليه ويلزم جنى بنيه، وبآخرة تزوج امرأة موسرة بمصر، وتوجه بها إلى مكة فأتاه الحمام وهو في ثغر جدة في سنة تاريخه، ومن آثاره تعجيز وتصدير البيتين المشهورين وهما:

إن الطفاف السهي

عند كسري المتناهي

هي كانت نعم جاهي
 وإذا ما صرت ساهي
 لي قالت خل عنكما
 لا تدبر لك أمـــــرا
 تلق بعد العسر يسرا
 وارقب الألفاظ صـــــرا
 حيث قالت لك جهرا
 أنا أولى بك منكأ

ومن ذلك قوله مشطرا تعجيز أحمد بن أبي بكر بن نظام
 تصدير بدر خوج يتي ابن مكانس وهما:
 فتنت به حلو الشمايل أهيف*
 تغار غصون البان* منه إذا مشى
 يعذبني والغدير يحظى بوصله
 وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

*أهيف: ضامر البطن رقيق الخصر.
 *البان: شجر معتدل القوام، يشبه به القد
 لطوله.

(فتنت به حلو الشمايل أهيف)
 مرير الجفا بالسحر عينيه قد حشا
 هلاك تبدى في سماء كماله
 له مسكن في وسط قلبي والحشا
 فطلعت به يسبي القلوب جمالها
 وناظره بالفتك فينا تحرشا
 بروحي محياه الجميل إخاله
 كشمس الضحى نورا لقلبي أدهشا



مليح التثنى لست ألقى نظيره

* بشا : أى بالشام * وهل توجد العنقاء فى مصر أوبشا *

قليل الوفا لم استطع كتم حبه

كثير التجنى فيه حبى قد فشا

* الفطى : مفردا فطة، وهى حد السيف أو
السنان ونحوهما.

جميل وترى بالطبى * لفتائه

فيها خجلة الأقمار يوكسها * الرشا

* يوكسها الرشا: يوكس ينقص . الرشا: ولد
الطية.

تغليب بدور التم منه إذا بدا

(تغار غصون البان منه إذا مشى)

(ويعذبني والغير يحظى بوصله)

فيا شقوتى فى الحب يأسعد من وشا

فيا عصبه العذال كفوا ملامكم

ففكرى لغير الحب فيه تشوشا

أبيت سميع النجم أرجو خياله
 يعود فما أحلاه أن مر أو مشى
 فما زال طرفي شيقا لجماله (ص ١٠٣٧)
 وما زال قلبي للقا متعطشا
 متى قاتني بالوصل يبعد حرقتي
 ويرشفني من ريقه العذب منعشا
 فها مقلتي الرصداء ترقب قربه
 فللعين وصل الحب نور من العشا
 فما الوصل إلا نعمة وتفضل
 يفوز به القاصي ويحرم من يشا
 ولا عيبة في قرب هذا وبعد ذا
 (وذاك فضل الله يؤتيه من يشا)

٤٠٣ الأمير يوسف بك الكبير

(ومات) الأمير يوسف بك الكبير وهو من أمراء محمد بك
 أبي الذهب أمره في سنة ست وثمانين وزوجه بأخته، وشرع
 في بنا داره على بركة الفيل داخل درب الحمام تجاه جامع
 الماس، وكان يسلك إليها من هذا الدرب من طرق الشيخ
 ظلام، وكان هذا الدرب كثير العطف ضيق المسالك فأخذ
 بيوته بعضها شرا وبعضها غصبا، وجعلها طريقا واسعة
 وعليها بوابة عظيمة، وأراد أن يجعل أمام باب داره رحبة
 متسعة، فعارضه جامع خير بك حديد فعزم على هدمه ونقله
 إلى آخر الرحبة، فسأل المرحوم الوالد وكان يعتقد ويجنح
 إلى قوله فقال له لا يجوز ذلك فامتلث وتركه على حاله،
 واستمر يعمر في تلك الدار نحو خمس سنوات، وأخذ بيت
 الداودية الذي بجواره وهدمه جميعه وأدخله فيها، وصرف

(ص ١٠٣٨) فى تلك الدار أموالا عظيمة، فكان بينى الجهة منها حتى يتمها بعد تبليطها وترخيمها بالرخام الدقى الخردة المحكم الصنعة والسقوف والأخشاب والرواشن * والخرط والأدهان، ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها إلى آخرها وبينها ثانيا على وضع آخر، وهكذا كان دأبه، واتفق أنه ورد إليه من بلاده القبلية ثمانون ألف إردب غلال، فوزعها بأسرها على الموااة فى ثمن الجبس والجير والأحجار والأخشاب والحديد وغير ذلك، وكان فيه حدة زائدة وتخليط فى الأمور والحركات ولا يستقر بالجلس، بل يقوم ويقعد ويصرخ، ويروق حاله فى بعض الأوقات فيظهر فيه بعض إنسانية، ثم يتغير ويتعكر من أدنى شىء، ولما مات سيده محمد بك وتولى إمارة الحج ازداد عتوا وعسفا وانحرافا، خصوصا مع طائفة الفقهاء والمتعممين لأمر نقمها عليهم. منها أن شيخا يسمى الشيخ أحمد صادومة وكان رجلا مسنا ذا شيبة وهيبة وأصله من سمند * وله شهرة عظيمة وباع طويل فى الروحانيات وتحريك الجمادات والسيميات * ويكلم الجن و يخاطبهم مشافهة ويظهرهم للعيان، كما أخبرنى عنه من شاهده، وللناس اختلاف فى شأنه، وكان للشيخ حسن الكفراوى به التمام وعشرة ومحة أكيدة واعتقاد عظيم ويخبر عنه أنه من الأوليا وأرباب الأحوال والمكاشفات، بل يقول (ص ١٠٣٩) إنه هو الفرد الجامع، ونوه بشأنه عند الأمرا وخصوصا محمد بك أبا الذهب فراج حال كل منهما بالآخر، فاتفق أن الأمير المذكور اختلى بمحظيته فرأى على سوتها كتابة فسألها عن ذلك وتهدها بالقتل فأخبرته أن المرأة الفلانية ذهبت بها إلى هذا الشيخ، هو الذى كتب

* الرواشن : جمع مفردة روّشن : وهو الكوة يفتح الكاف وضمها : أى ثقب البيت، فالمراد بالرواشن الطاقات فى الحائط ، ومفردها طاق.

* سمند : مركز من مراكز الغريبة

* السيميات : جاء فى مقدمة ابن خلدون فى بابى علوم السحر والطلسمات، وعلم أسرار الحروف ما ملخصه : صناعة السيميا : هى إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى، ويكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية. فهو من قبيل السحر، ويسمى علم السيميا علم أسرار الحروف وقد ظهر هذا العلم عند غلاة المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات فى عالم العناصر. وحاصله عندهم وتمرته : تصرف النفوس الربانية فى عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية فى الأكوان

لها ذلك ليجبها إلى سيدها، فنزل في الحال وأرسل فقبض على الشيخ صادومة المذكور وأمر بقتله والقائه في البحر [النيل] ففعلوا به ذلك، وأرسل إلى داره فاحتاط بما فيها فأخرجوا منها أشياء كثيرة وتمائيل ومنها تمثال من قطيفة على هيئة الذكر فأحضروا له تلك الأشياء، فصار يريها للجالسين عنده والمترددین عليه من الأمرا وغيرهم، ووضع ذلك التمثال بجانبه على الوسادة فيأخذه بيده ويشير لمن يجلس معه ويتعجبون ويضحكون، ويقول: انظروا أفاعيل المشايخ، وعزل الشيخ حسن الكفراوي من إفتا الشافعية ورفع عنه وظيفة الحمديّة، وأحضر الشيخ أحمد بن يوسف الخليفى وخلع عليه وألبسه فروة وقرره في ذلك عوضا عن الشيخ الكفراوي، واتفق أيضا أن الشيخ عبد الباقي ابن الشيخ عبد الوهاب العفيفى طلق على زوج بنت أخيه في غيابه على يد الشيخ حسن الجداوى المالكي على قاعدة مذهبه، وزوجها من آخر، وحضر زوجها (ص ١٠٤٠) من الفيوم وذهب إلى ذلك الأمير وشكا له الشيخ عبد الباقي فطلبه فوجده غائبا في منية عفيف* فأرسل إليه أعوانا أهانوه وقبضوا عليه ووضعوا الحديد في رقبته ورجليه وأحضروه في صورة منكرة وحبسه في حاصل أرباب الجرائم من الفلاحين، فركب الشيخ على الصعيدي العدوى والشيخ الجداوى وجماعة كثيرة من المتعممين وذهبوا إليه وخاطبه الشيخ الصعيدي وقال له ما هذه الأفعال وهذا التجارى؟ فقال له أفعالكم يا مشايخ أقبح، فقال له هذا قول في مذهب المالكية معمول به، فقال من يقول إن المرأة تطلق زوجها إذا غاب عنها وعندها ما تنفقه وما تصرفه ووكيله يعطيها ما

*منية عفيف: أو ميت عفيف: قرية من قرى مركز الباجور منوفية.

* اليسرجى: تاجر الرقيق.

تطلبه، ثم يأتى من غيبته فيجدها مع غيره؟ فقالوا له نحن
أعلم بالأحكام الشرعية، فقال لو رأيت الشيخ الذى فسخ
النكاح، فقال الشيخ الجداوى أنا الذى فسخت النكاح
على قاعدة مدهبى، فقام على أقدامه وصرح وقال : والله
أكسر رأسك، فصرخ عليه الشيخ على الصعيدي وسبه،
وقال له : لعنك الله ولعن اليسرجى * الذى جاء بك ومن
باعك ومن اشتراك ومن جعلك أميرا، فتوسط بينهم
الحاضرون من الأمرا يسكنون حديثه وحدثهم، وأحضروا
الشيخ عبد الباقي من الحبس فأخذوه وخرجوا وهم يسبونه
وهو يسمعهم. واتفق (ص ١٠٤١) أيضا أن الشيخ عبد
الرحمن العريشى لما توفى صهره الشيخ أحمد المعروف
بالسقط وجعله القاضى وصيا على أولاده وتركته وكان عليه
ديون كثيرة أثبتها أربابها بالحكمة واستوفوها وأخذ عليهم
صكوكا بذلك، فذهبت زوجة المتوفى إلى يوسف بك بعد
ذلك بنحوست سنوات وذكرت له أن الشيخ عبد الرحمن
انتهب ميراث زوجها وتواطأ مع أرباب الديون وقاسمهم فيما
أخذوه، فأحضر الشيخ عبد الرحمن وكان إذ ذاك مفتى
الحنفية وطالبه بإحضار الخلفات أو قيمتها فعرفه أنه وزعها
على أرباب الديون وقسم الباقي بين الورثة وانقضى أمرها.
وأبرز له الصكوك والحجج ودفتر القسام، فلم يقبل وقال
هذا كله تزوير وفاقحه فى عدة مجالس وهو مصر على قوله
وطلبه للتركة، ثم أحضره يوما وحبسه عند الخازن دار، فركب
شيخ السادات إليه وكلمه فى أمره وطلبه من محبسه فلما
علم الشيخ عبد الرحمن حضور شيخ السادات هناك رمى
عمامته وفراجه وتطور وصرخ وخرج يعدو مسرعا وهو

يقول بيتك خراب يا يوسف بك ونزل إلى الحوش صارخا بأعلى صوته وهو مكشوف الرأس يقول ذلك وأمثاله فلما عاينه يوسف بك وهو يفعل ذلك احتد الآخر و كان جالسا مع شيخ السادات في المقعد المطل على الحوش، فقام على أقدامه وصار (ص ١٠٤٢) يصرخ على خدمه ويقول أمسكوه اقتلوه ونحو ذلك، وشيخ السادات يقول له : أى شىء هذا الفعل ؟ اجلس يا مبارك، وأرسل إليه تابعه الشيخ ابراهيم السندوبى فنزل إليه وألبسه عمامته وفراجه ونزل الشيخ فركب وأخذه صحبته إلى داره، وتلافوا القضية وسكتوها، ثم حصل منه ما حصل فى الدعوى المتقدمة وما ترتب عليها من الفتنة وقفل الجامع وقتل الأنفس، وثقل أمره على مراد بك وأضمر له السر، فلما سافر أميرا بالحج فى السنة الماضية قصد مراد بك اغتياله أو نفيه عند رجوعه بالحج، واتفق مع أمرائه وضايح القضية. وسافر إلى جهة الغربية والمنوفية وعسف فى البلاد ويريد أن يجعل عودته على نصف الشهر فى أوان رجوع الحج، ووصل الخبر إلى يوسف بك فاستعجل الحضور فصار يجعل كل مرحلتين فى مرحلة حتى وصل محترسا فى سابع صفر قبل حضور مراد بك من سرحته، وعندما قرب وصول مراد بك إلى دخول مصر ركب يوسف بك فى مماليكه وطوايفه وعدده، وخرج إلى خارج البلد فسعى إبراهيم بك بينهما وصالحهما، واستمرت بينهما المنافرة القلبية من حينئذ إلى أن حصل ما حصل وانضم إلى اسماعيل بك ثم قتله اسماعيل بك بيد حسن بيك واسماعيل بك الصغير (ص ١٠٤٣) كما تقدم.

[ومات] الأمير/ على أغا المعمار وهو من مماليك مصطفى بك المعروف بالقرد وخشداش صالح بك الكبير، وكان من الأبطال المعروفين والشجعان المعدودين فلما قتل كبيرهم صالح بك استمر في بلاد قبلى على ما يتعلق به من الالتزام ويدفع ما عليه من المال والغلال إلى أن استوحش محمد بك أبو الذهب من سيده على بك وخرج إلى الصعيد وقتل خشداشه أيوب بك، وتحقق الأجانب بذلك صحة العداوة فأقبلوا على محمد بك من كل جانب برجالهم وأموالهم ومنهم على أغا المذكور، وكان ضخما عظيم الخلقة جهورى الصوت شهما يصدع بالكلام، فأنس به محمد بك وأكرمه واجتهد هو في نصرته ومنا صحتة، وجمع إليه الأمراء والأجناد المنفيين والمطرودين الذين شتتهم على بك وقتل أسيادهم، وكبار الهوار الذين قهرهم على بك أيضا، واستولى على بلادهم مثل أولاد همام وأولاد نصير وأولاد وافي واسماعيل أبى على وأبى عبد الله وغيرهم، وحضر معه الجميع إلى جهة مصر كما تقدم، ولما وصلوا إلى تجاه التبين وأخرج لهم على بك التجريدة وأميرها على بك الطنطاوى خرج على أغا هذا إلى الحرب هو ومن معه وبأيديهم مساق* غلاظ قصيرة ولها جلب حديد وفي طرفها أزيد من قبضة (ص ١٠٤٤) بها مسامير متينة محددة الروس إلى خارج، يضربون بها خوذة الفارس ضربة واحدة فتخسف في دماغه، وكانت هذه من مبتكرات المترجم حتى إنه تسمى بأبى الجلب، ولما خلصت إمارة مصر إلى محمد بك جعل كتخذه اسماعيل أغا على بك الغزاوى المذكور، فنقم عليه أمورا فاهمله وأحضر على أغا هذا

* مساق: عصى بجلب حديد في طرفها
كرة حديد مزودة بمسامير حادة، وهى من
ابتكار على أغا المعمار.

وخلع عليه وجعله كتخداه، فسار فى الناس سيرا حسنا ويقضى حوايج الناس من غير تطلع إلى شىء، ويقول الحق ولو على مخدومه، وكان مخدومه أيضا يحبه ويرجع إلى رأيه فى الأمور لما تحققه فيه من المناصحة وعدم الميل إلى هوى النفس وعرض الدنيا، وكان يحب أهل العلم والفضل والقرآن ويميل بكلية إليهم مع لين الجانب والتواضع عدم الأنفة، ولما أنشأ محمد بك مدرسته الحمديّة تجاه الأزهر وقرر فيها الدروس كان يحضر معنا المترجم على شيخنا الشيخ على العدوى فى صحيح البخارى مع الملازمة، واتخذ لنفسه خلوة بالمدرسة المذكورة يستريح فيها وتأتيه أرباب الحوايج فيقضى لهم أشغالهم، وكان يلم بحضرة الشيخ محمد حفيد الأستاذ الحفنى ويحبه وأخذ عنه طريق السادة الخلوّية وحر دروسه مع المودة وحسن العشرة، ويحضر ختوم* دروس المشايخ ويقرأ عشرا من القرآن بأعلى صوته (ص ١٠٤٥) عند تمام المجلس، ومملوكه حسن أغا الذى زوجه ابنته واشتهر بعده، وحج المترجم فى السنة الماضية فى هيئة جليلة وآثار جميلة، وتوفى فى وقعة بياضة قتيلا كما تقدم.

* ختوم: أى ختوم دروس المشايخ: أى احتفال العلماء بالانتهاء من دراسة كتاب أو علم.

(ومات) الأمير/ اسماعيل بك الصغير وهو أخو على بك الغزاوى وهم خمسة إخوة على بك واسماعيل بك هذا وسليم أغا المعروف بتمرلنك وعثمان وأحمد، ولما تأمر على بك كان إخوته الأربعة باسلامبول بماليك عند بشير أغا القزلار وأعتقهم وتسامعوا بإمارة أخيهم فحضر إليه اسماعيل وأحمد وسليم واستمر عثمان باسلامبول وأقام اسماعيل وسليم وأحمد بمصر، وعمل اسماعيل كتخدا عند أخيه

٤٠٥ اسماعيل بك الصغير

على بك وعمل سليم خازن دار عند ابراهيم كتحدا أياما ثم قامت عليه مماليكه وعزلوه لكونه أجنبيا عنهم، وصار لهم إمرة وبيوت والتزام، وتزوج اسماعيل بهانم ابنة رضوان كتحدا الجلفى وهى المسماة بفاطمة هانم، وذلك أن رضوان كتحدا كان عقد لها على مملوكه على أغا الذى قلده الصنحية ولم يدخل بها، ولما خرج رضوان كتحدا وخرج معه على المذكور فيمن خرج كما تقدم وذهب إلى بغداد أرسل لها يطلبها إليه من مصر، وأرسل مع وكيله عشرة آلاف دينار وأشيا فلم يسلموا فى إرسالها، وكتبوا فتوى بفسخ النكاح على قاعدة مذهب مالك وتزوجها اسماعيل أغا هذا وظهر ذكره بها وسكن (ص ١٠٤٦) بها فى دار أبيها العظيمة بالأزبكية، وصار من أرباب الوجاهة، فلما استقل محمد بك أبو الذهب بملك مصر بعد سيده

* عهد سيدنا عمر رضى الله عنه:

لما فتح عمرو بن المقدس استأذنه عمرو بن العاص فى فتح مصر، فأغراه، ثم أبعده الزبير ابن العوام، فساروا سنة عشرين (هجريه) أو إحدى أو اثنتين أو خمس (أى وعشرين) فلما حاربوا المصريين وحاصروهم راسلهم أهل البلاد حتى صالحهم عمرو والزبير على الجزية، وأجروا ما أخذوا قبل ذلك عنوة، فجرى الصلح، وشرطوا رد السبايا. فامضى لهم عمر ابن الخطاب عهد الصلح على أن يجيز السبايا فى الاسلام، وكتب العهد بينهم ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم:
هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ودمهم وأموالهم وكافتهم وصاعهم ومدهم وعدهم، لا يزيد شئ فى ذلك، ولا ينقص، ولا يساكنهم التوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليه ما جنى نصرتهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزية بعدد دمهم، وذمتنا من أبى برية. وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر

استوزره وجعله كتحداه مدة، وأراد أن يتزوج بالست سلتن محظية رضوان كتحدا وكان تزوج بها أخوه على بك ومات عنها، فصرفه مخدومه محمد بك أبو الذهب وعرفه أنها ربما امتنعت عليه مراعاة لهانم ابنة سيدها، فركب محمد بك وأتى عند على أغا كتحدا الجويشية المجاور لسكنها بدرب السادات وأرسل إليها على أغا فلم يمكنها الامتناع، فعقد عليها، وماتت هانم بعد ذلك، وباع بيت الأزبكية لمخدومه محمد بك، وبنى داره المجاورة لبيت الصابونجى وصرف عليها أموالا كثيرة، وأضاف إليها البيت الذى عند باب الهواء المعروف ببيت المرحوم من الشرايبيه وسكنها مدة، وزوجه محمد بك سرية من سرارية أيضا ثم باع تلك الدار لأيوب بك الكبير وسكنها، ولما سافر محمد بك إلى الشام نحارة الظاهر عمر أرسل المترجم من هناك إلى اسلامبول بهدايا وأموال للدولة ومكاتبات بطلب ولاية

ذلك، ومن دخل في صلحهم من الروم
والثوب فله ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن
أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه
ويخرج من سلطتنا، وعليهم ما عليهم أثلاثا
في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم، على
ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة
رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذم
المؤمنين.

وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا
وكذا رأسا، وكذا وكذا فرسا، على أن لا
يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة.
شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه. وكتب
وردان وحضره انتهى.

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم، وقبلوا
الصلح، ونزل المسلمون القسطنطينية.
(القسم الخامس - المجلد الثاني من تاريخ ابن
خلدون ص ٩٧١)

وقال بعض المؤرخين: إن مصر فتحت عنوة
بغير عهد واصطلحوا على أن يفرض على
جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط
ديناران عن كل نفس، شريفهم ووضيعهم،
من بلغ الحلم منهم، وليس على الشيخ
الفاني، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم،
ولا النساء شيء، وعلى أن للمسلمين عليهم
النزل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه
ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك
كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم،
وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يعرض لهم في
شيء منها. وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة
من بلغ منهم الجزية فكانوا أكثر من ستة
الآلاف ألف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ
اثنى عشر ألف ألف دينار في كل سنة كانت
تذهب للخليفة في الحجاز ويصرف منها على
الجند والمسلمين الفقراء القائمين بغير عمل.

مصر والشام، وأجيب إلى ذلك، وكتب له التقليد وأعطوه
رقم الوزارة وتم الأمر، وأراد المسير بذلك إلى محمد بك فورد
الخبر بموته فبطل ذلك، ورجع المترجم إلى مصر وأقام بها
في ثروة (ص ١٠٤٧) إلى أن حصلت الوحشة بين
اسماعيل بك ويوسف بك والجماعة الحمدية وكانت الغلبة
عليهم، فقلده اسماعيل بك الصنجدية وقدمه في الأمور
ونوه بشانه، وأوهمه أنه يريد تفويض الأمور إليه لما يعلمه فيه
من العقل والرياسة فاغتر بذلك، وباشق قتل يوسف بك هو
وحسن بك الجداوى كما تقدم، وظن أن الوقت صفا له
فاندفع في الرياسة وازدحمت الروس عليه وأخذ في النقص
والإبرام، فعاجله اسماعيل بك وأحاطوا به وقتلوه كما ذكر،
وكان ذا دها ومعرفة وفيه صلابة وقوة جنان وحزم مع
التواضع وتهذيب الأخلاق، وكان يحب أهل العلم ويكره
النصارى كراهة شديدة وتصدى لأذيتهم أيام كتحداثيته
لمحمد بك وكتب في حقهم فتاوى بنقضهم العهد وخروجهم
عن طرايقهم التي أخذ عليهم بها من أيام سيدنا عمر* رضى
الله عنه، ونادى عليهم ومنعهم من ركوب الحمير ولبسهم
الملابس الفاخرة وشراهم الجوارى والعبيد واستخدمهم
المسلمين وتقنع نسايتهم بالبراقع البيض ونحو ذلك، وكذلك
فعل معهم مثل ذلك عندما تلبس بالصنجدية، وكان له
اعتقاد عظيم في الشيخ محمد الجوهري ويسعى بكلية في
قضاء أشغاله وحوايجه، وكان لا بأس به.

(ومات) الأمير (ص ١٠٤٨) / قاسم كتحدا عزبان وكان
من ممالك محمد بك أبى الذهب وتقلد كتحداية العزب
وأمين البحرين، وكان بطلا شجاعا موصوفا، ومال عن
خشداشينه كراهة منة لأفعالهم حتى خرج إلى محاربتهم
وقتل، غفر الله له.

٤٠٦ قاسم كتحدا عزبان.

* رؤية الرحالة فولاني لمصر في عهد علي بك الكبير

النيل واتساع الدلتا

النيل علة وجود مصر من الناحيتين الطبيعية والسياسية: فهو وحده يسد أولى حاجات الكائنات العضوية، وهي الحاجة إلى الماء، وما أمسها في المناخات الحارة المتعطشة أبداً إلى ذلك العنصر الرئيسى. فالنيل وحده بمعزل عن معونة سماء شحيحة المطر يحمل إلى كل سقع غداء الزرع. فهو بحلوله ثلاثة أشهر على الأرض يشربها مقداراً من الماء يجعلها في غنى عنه سائر أيام السنة. ولولا فيضانه لما أمكن استغلال الأرض إلا في بقعة ضيقة الحدود كثيرة التكاليف. ومن الصواب القول أنه مقياس البحبوحة والخير والحياة. ولو أن البرتغالي «البوكرك» استطاع تنفيذ مشروعه بتحويل مجراه من النوبيا إلى البحر الأحمر، لما كان هذه البقعة الخصبة إلا صحراء تضاهي بوحشتها الفلوات المحيطة بها. ومتى رأينا إلى أى مدى يستخدم الإنسان طاقة هذا النهر، لا يبقى في وسعنا أن نلوم الطبيعة على أنها منعت عنه المزيد.

وقد حق للمصريين في سائر الأزمنة واليوم أن ينظروا إلى النيل نظرة اجلال ديني، ومياه النهر طوال ستة أشهر كثيرة الاعتكار حتى أنها لا تسوغ للشرب مالم تصف. وفي الشهور الثلاثة التي تسبق الفيضان يقل عمقها وتسخن في مسانلها فتخضر وتأسن وتمتلئ بالديدان، فتدعو الحاجة عندئذ إلى استخدام المياه المخزونة في الآبار. أما المترفون فإنهم يقطرون الماء ويردونه بالتبخر.

لقد كتب الرحالون والمؤرخون كثيراً عن النيل

* ثلاثة أعوام في مصر وهر الشام بقلم س. ف. فولاني الجزء الأول نقله إلى العربية إدوار البستاني

وغرائبه حتى كدت اعتقد بادئ ذي بدء أن الموضوع افضى إلى نقاد، على أن الآراء تتبدل في أقل الأشياء تبديلاً. فإن لم يكن لديك في بعض الأحيان جديد يقال، فلا أقل من أن تصلح ما قيل. وهذا هو شأنى تجاه بعض الآراء التي ضمنها المسير سافاري رسائله وقد مثلت للطبع حديثاً. فإن ما أراد إثباته من أمر انبساط الدلتا وارتفاعها يختلف عن النتائج التي أيدتها الوقائع في نظري والاسناد التي يحتج بها هو نفسه اختلافاً يجملى على بسط مناقضاتنا أمام الرأي العام. ومتى عرفت أن إقامة السيد سافاري امتدت إلى سنتين في تلك البلاد، مما يجعل لرأيه وزناً لا يلبث أن يصبح حجة راجحة، تبين لك ضرورة هذا الجدل الذي أباحه. فلنبسط المسائل ولنعالج أولاً قضية انبساط الدلتا أو اتساعها. إن مؤرخاً يونانياً قد ذكر عن مصر كل ما نعرفه عنها تقريباً وما توليده الأيام. عنيت به هيروديس الهاليكارناقي Herodote d'Halycarnaffe الذي كتب من اثنين وعشرين قرناً ما يلي:

«إن مصر حيث ينزل الاغارقة من البحر (الدلتا) هي أرضاً مكتسبة، وهي هبة النهر شأن كل الاصقاع المستنقعة التي تمتد صعداً على مسافة ثلاثة أيام ركوباً في النهر.»

والاسباب التي يحتج بها الثابتا لقوله تدل على أنه لا يسندها إلى حكم مبسّر، إذ يقول:

«وفي الواقع أن أرض مصر التي هي من الطين الأسود الاخضر تختلف تمام الاختلاف عن أرض القريقيا الرملية الحمراء وعن أرض جزيرة العرب الخرفية المصخرة.. وهذا الطين ينقله النيل من النوبيا.. والاصداف التي تحتويها الصحراء تدل دلالة كافية على أن البحر، فيما سلف، كان أكثر اقتراباً للأرض.»

إن هيرودس باعترافه بتخبطى النهر، وهو أمر

وانشأوا مدينة نقراطس فيما وراء شاديه. وبعد سور
الميليزيين باتجاه مصب (الدلتا) تقع بحيرات منها
بحيرة بوطس إلخ....»

هذه هي الفقرة التي يتكلم فيها استرابون عن
الميليزيين ، ولا نرى فيها ذكرا لمتليس التي لم يرد
اسمها في الكتاب كله. وقد استقاها دانفيل^(٣) عن
بطليموس دون ان ينسبها الى الميليزيين. وما لم
يثبت المسيو سافارى نسبة متليس الى سور الميليزيين
بتنقيبات قد يكون قام بها في المكان نفسه، فلا
يجوز التسليم بقوله.

وقد حسب ان هوميروس يسدى اليه شهادة
ثمالة في المقاطع التي يتكلم فيها عن المسافة بين
جزيرة النار ومصر، وسيحكم القارئ اذا كان هنا
اكثر توفيقا. انى اورد ترجمة مدام داسيه^(٤) وهى
على كونها اقل روعة من غيرها، الا انها اكثر تقيدا
بالحرف:

«روى منيلاس انه تقوم فى البحر مقابل النيل
جزيرة تدعى النار، وهى تبعد عن احد مصاب هذا
النهر مسافة ما يقطع فى يوم واحد مركب تواليه
الرياح... (وبعد ذلك يقول بروتيوس لميلاس): ان
القدر القاسى لا يسمح بان ترى وطنك العزيز...
مالم تعد مرة أخرى الى النهر (ايجوبتوس) وتقدم
الدبائح الكاملة الى الخالدين. (واستطرد منيلاس):
قال هذا وامتلاً قلبى كآبة وألما لان هذا الإله يأمرنى
بالرجوع الى النهر ايجوبتوس الذى تحف طريقه
المشقات والمخاطر».

يريد المسيو سافارى فى هذه الشواهد وعلى
الاخص اولها ان يستخلص ان المنارة ، وهى اليوم
لاصقة بالشاطئ، كانت فيما مضى بعيدة عنه

يوالم طبيعة الاشياء، لم يعين مدى تخطيه. على ان
سافارى حسب انه بإمكانه ان يفعل . فلنتفحص
كيف علل ذلك:

«ان مصر^(١) اذا تزايدت ارتفاعا تزايدت فى
الطول ايضا، وبين الوقايح الكثيرة التى اوردها
التاريخ اختار واحدة فقط، انه فى ايام الملك
بسامتيكوس [بسماتيك] رست مراكب الميليزيين
وعدهدها ثلاثون عند مصب بلطين ، وهى اليوم
رشيد، وتحصنوا فيها. وبنوا مدينة اسموها متليس،
وهى «فوه» التى احتفظت باسم «مسيل» فى
مصطلحات الاقباط. ان هذه المدينة ، التى كانت
فيما مضى على البحر، اصبحت تبعد عنه اليوم
تسعة فراسخ. وهو المدى الذى انبسطت عليه الدلتا
من ايام بسامتيكوس الى اليوم».

اول ما يتبادر الى الذهن ان هذا التعليل فى
منتهى الدقة. على اننا يرجوعنا الى الاصل الذى
استقى منه سافارى نجد انه غفل عن الامر الاهم.
واليك نص استرابون مترجما بحرفه^(٢):

«بعد مصب بلطين يقوم رأس رملى منخفض
يسمى قرن الحمل وينفذ بعيدا (فى البحر) ، ثم
يأتى مرقب برسيا وسور الميليزيين، لان هؤلاء جاؤوا
بثلاثين سفينة الى مصب بلطين ونزلوا الى البر فى
ايام كسياسارس ملك الميديين التى كانت ايام
الملك بسامتيكوس، وشيدوا الحصن الذى يتسم
باسمهم. وما انقضى زمن حتى تقدموا صوب
سايس وقهروا الجناريس فى معركة على النهر،

١ - رسائل عن مصر، الجزء الاول، الصفحة ١٦.
٢ - جورجيموس استرابون، طبعة سنة ١٧٠٧، الكتاب ١٧،
الصفحة ١١٥٢.
٣ - راجع مذكرات دانفيل الرائعة عن مصر، طبعة سنة ١٧٦٥،
ص ٧٧.
٤ - الاودية ، الكتاب الرابع.

كثيرا. على ان هوميروس عندما ذكر المسافة من هذه الجزيرة . لم يشأ تطبيقها على «الشاطئ» المقابل كما ترجم الرحالة ، بل على «ارض مصر» و «نهر النيل» ، ومن جهة ثانية انه من الخطأ القول ان «نهار الابحار» يعنى المسافة غير المحدودة التى تستطيع اجتيازها مراكب الاقدمين، وان الاغارقة باستعمالهم هذا التعبير يخصصونه بمقدار ثابت هو خمسمائة واربعون غلوة. ويوضح هيرودتس هذا الامر صراحة فيورد عليه مثلا ويقول ان النيل تجاوز على البحر بالارض التى تمتد صعدا حتى ثلاثة ايام وابحار» ، وان الالف والستمائة وعشرين غلوة التى تحصل توافق حسابه الادق لمسافة الالف والخمسمائة غلوة الواقعة بين هليوبولس والبحر على ما ذكر فى مكان آخر. فاذا ما اعتبرنا مع دانفيل ان الخمسمائة واربعين غلوة [Stad] تساوى سبعة وعشرين الف خطوة [taise] ، اى ما يقرب من نصف درجة، نرى بواسطة البركار ان هذا المقياس يوازى المسافة بين المنارة والنيل نفسه، وهى تنطبق خاصة على ثلثى فرسخ فوق الرشيد، فى مكان يحق لنا بعض الحق ان نحل فيه المدينة التى اعطت اسمها لمصب بلطين. ومن الجدير بالذكر انها المدينة التى تردد عليها اليونانيون ونزل فيها الميليزيون قبل هوميروس بقرن ونصف القرن. فليس ما يثبت اذن ان تجاوز الدلتا او القنارة حصل بالسرعة التى يفترضونها افتراضا. فاذا سلمنا بها بقى علينا ان نفسر كيف ان هذا الشاطئ الذى لم يكسب نصف فرسخ من ايام الاسكندرية ، قد كسب احد عشر ميلا فى سحابة زمن لا تحسب شيئا بالنسبة الى الاولى، قد انقضت بين منيلاس وذلك الفاتح.

وثمة طريقة اصح لتقدير هذا التجاوز فى اعتماد القياس الوضعى الذى ذكره هيرودتس ، واليك

النص:

«ان عرض مصر فى البحر من الخليج البلتينى حتى مستقعات سربونيدا بالقرب من قاسيوس هو ثلاثة الاف وستمائة غلوة، وطولها من البحر حتى هليوبولس الف وخمسمائة غلوة..»

فلنحصر ههنا فى هذه الفقرة. لقد برهن دانفيل بحذقه المعتاد ان غلوة هيرودتس يجب ان تقدر بخمسين او احدى وخمسين خطوة فرنسية. فاذا اعتمدنا هذا الرقم تبين ان ١٥٠٠ غلوة توازى ٧٦٠٠٠ خطوة، اى درجة وما يقرب من الدقيقة ونصف الدقيقة. والحال ان الملاحظات الفلكية التى ابداهها نيبوهر رحالة ملك الداتمارك فى السنة ١٧٦١ تدل على ان فرق العرض بالنسبة لخط الاستواء بين هليوبولس (حاليا المطرية) والبحر هو درجة وتسع وعشرون دقيقة تحت دمياط ودرجة واربع وعشرون دقيقة تحت رشيد فيحصل من جهة ثلاث دقائق ونصف الدقيقة او تجاوز مسافة فرسخ ونصف فرسخ، ومن الجهة الاخرى ثمانى دقائق ونصف الدقيقة او ثلاثة فراسخ ونصف الفرسخ. ويدل هذا على ان الشاطئ القديم كان يضاوى احد عشر الف وثمانمائة خطوة فيما تحت الرشيد، وهذا ما يحرف بعض الانحراف عن الخط الذى اراه فى فقرة هوميروس، فى حين ان التطبيق على فرع دمياط ينزل الى تسعمائة وخمسين خطوة تحت المدينة المذكورة. صحيح ان القياس فورا بواسطة البركار يجعل ان خط الشاطئ يتصاعد نحوا من ثلاثة فراسخ لجهة الرشيد، ويقع على دمياط نفسها، وهذا ما يحصل من حساب المثلث باعتبار الفرق فى الطول. ولكن بلطين التى اشار اليها هيرودتس تصبح عندئذ خارج الخط ولا يبقى صحيحا ان بوسيريس فى وسط الدلتا على ما ذكر المؤرخ نفسه. ولا ريب ان ما اورده القدماء وما نعرفه نحن عن

هذا المكان ليس من الواضح بحيث يجوز لنا ان نعين بدقة درجات التجاوز المتعاقبة. ولا يستطيع التفكير بحزم إلا من تهيأ له القيام بأبحاث كالتى قام بها الكونت ده شوازول Le comte de Choiseul فى مياندريا، ويقتضى لذلك تنقيب فى الأرض. على ان اعمالا من هذا النوع تستدعى تألف اسباب لا ييسر وجودها إلا للقليل من الرحالين. وتشخص هنا صعوبة ناشئة عن كون الأرض الرملية التى تتكون منها الدلتا تبدل من يوم الى آخر تبديلا عظيما، لان البحر والنيل ليسا عاملها الوحيدين، فالريح هنا طويلة الباع، فهى تارة تملأ الترع وتدفع النهر على ما حدث للفرع الكانوبى القديم، وتارة تسفى الرمال وتدفن الخرائب حتى تمحو معالمها. ويورد نيوهر مثلا جديرا بالنظر، وهو انه يوم كان فى الرشيد سنة ١٧٦٢ كشفت المصادفة فى تلال الرمل القائمة جنوبى المدينة عن الخربة قديمة مختلفة بينها عشرون ركيزة جميلة من الرخام تمت الى الفن الاغريقى، ولم يرد فى التقاليد اسم المدينة التى كانت قائمة هناك. وقد بدا لى ان الصحراء المجاورة على النمط نفسه. ان هذه الرقعة التى كان فيما سلفت عامرة بالترع والمد اصبحت تلالا كاسية بالرمال الناعمة الصفراء التى تركمها الرياح على قدم كل حاجز وكثيرا ما تغمر النخيل. ولذلك، وعلى ما بذل دالفيل من جهد، فلا يمكن الركون بتأكيد الى مطابقاته بين كثير من الاماكن القديمة والحديثة.

اما سافارى فقد كان اكثر اصابة فى ما ذكره عن احدى ثورات النيل التى يبدو منها ان هذا النهر قد انساب كله فيما سلف عبر ليبيا فى غربى منفيس. على ان رواية هيروودس نفسه التى اعتمدها سافارى تصطدم وبعض المصاعب. يقول هذا المؤرخ نقلا عن كهنة هليوبولس ان مينيس اول

ملوك مصر قد سد الكوع الذى كان يدور فيه النهر على مسافة فرسخين وربع الفرسخ (مائة غلوة) تحت منفيس واحتفر له مجرى جديدا شرقى هذه المدينة. ألا يستدل من هذا ان منفيس كانت حتى ذلك الزمن فى صحراء قاحلة محرومة من الماء؟ هل يجوز التسليم بهذا الافتراض؟ أيصح التصديق بالحرف ان مينيس [ميناء] قام بهذه الاعمال العظيمة وأنشأ مدينة ورد اليها كائنة قبله، وان يكون حفر الاقنية والبحيرات واقام الجسور وشيد القصور والهيكل والارصفة، كل ذلك فى بدء نشأة أمة وفى طفولة جميع الفنون؟ ومينيس هذا هل هو مؤرخ؟ أليست روايات كهنة تلك الجاهلية من صعيد الميثولوجيا؟ فى اعتقادى ان المسيل الذى سده مينيس لم يكن الا انحرافا فى النيل من شأنه ايداء الرى فى الدلتا. وما يعزز هذا الافتراض، على رغم شهادة هيروودس، انك اذا سرحت النظر من الاهرام، فى هذا الوادى، لاتبين فيه اى مضيق يحمل على الظن بقيام حاجز قديم هناك. ويلوح ان سافارى اجهد نفسه لبيان ان الفجوة الكبيرة المسماة «بحر بلا ماء» اشارة الى كونها مجرى قديما للنيل، كانت تنتهى الى السد الوارد ذكره تحت منفيس، فى حين ان جميع الرحالين الذين المع اليهم دالفيل يجعلون نهايتها فى الفيوم التى هى تنمة طبيعية لها. ويقتضى لاثبات هذا الواقع الجديد رؤية الامكنة نفسها. ولم اسمع قط فى القاهرة من قال ان سافارى قد تقدم فى الجنوب الى ما يجاوز اهرام الجيزة. ان تكوين الدلتا الذى يستدل عليه سافارى من هذا التبدل امر لا يعقل، اذ كيف يجوز لك «فى هذه الثورة المفاجئة» ان تتصور «ان وطأة المياه الهائلة التى انصبت فى مدخل الخليج قد جزرت مياه البحر»؟ ان اصطدام كتلتين سائلتين لا يحدث الا امتزاجا لا يلبث ان يفضى الى مستوى مشترك

سنة، من هيرودوتس حتى ١٧٧٧ : ٢٢٣٧ ، او
الفان ومثان واربعون سنة اذا شئت، فيكون الجمع
٣١٤٠ .

فمن اين اتت الزيادة (١٤٤ سنة) في حساب
المسيو سافارى ؟

ولم يعتمد حسابا غير حساب المؤلف ؟
فلنتخط ذلك الى التسلسل التاريخي .

في ايام هيرودوتس كان يقتضى لغمر الدلتا
ست عشرة ذراعا او خمس عشرة على الاقل ،
كذلك في ايام الرومانيين كان الحد المعين خمس
عشرة وست عشرة .

يقول استرابون : « ان الفيضان لم يكن ليعم
البلاذ ، قبل بطروليوس ، ما لم يبلغ ارتفاع النيل اربع
عشرة ذراعا . على ان هذا الحاكم كان يحصل عن
طريق الفن على ما كانت الطبيعة تضن به . فكان
الفيضان يعم اذا ما ارتفع النيل اثنتى عشرة ذراعا .
ولم ينقض العرب هذا القول . فان احذ كتبهم
ينطوى على جدول مفصل لجميع فيضانات النيل
من السنة الاولى للهجرة (٦٢٢) حتى السنة ٨٧٥
هجرية (١٤٧٠) . ويتبين من هذا الكتاب ان النيل ،
في احدث العهود ، اذا كان عمق مجراه اربع عشرة
ذراعا ، فاخير والمونة مضمونتان لسنة ، او كان عمقه
ست عشرة فالمونة لسنتين ، ولكنه اذا تدلى عن اربع
عشرة او بلغ الثبى عشرة فهناك قحط . وهذا
مايتفق ورواية هيرودوتس ان الكتاب الذى استشهد
به عربى اللغة ، ولكن النتائج فى متناول الجميع .
وحسب المطالع ان يراجع كلمة « النيل » فى المكتبة
الشرقية لهربل و Herbelot او مختارات القلشندي
فى « رحلة » الدكتور شو .

ان نوع الازرع لا يحتمل الالتباس . فقد برهن
فريره ودانفيل وبايى Freret, Dainville, et
Bailli ان الدراع المصرية ما انفكت محددة باربعة

بينهما . صحيح ان الرحالة يضيف : « لقد تراكم
الطين والرمل اللذان جرهما النيل ، وجزيرة الدلتا
التي كانت صغيرة بادئ ذى بدء قد خرجت من
مياه البحر وارجعت حدوده » .

ولكن كيف تخرج جزيرة من البحر ؟ ان المياه
الجارية تحدث انبساطا لا تراكما ، وهذا ما يسوقنا الى
مسألة الارتفاع .

ارتفاع الدلتا

ان هيرودوتس ، الذى عرف عن الارتفاع ما
عرفه عن الانبساط ، لم يتطرق الى مقدار كليهما .
على انه اورد واقع يستند اليها سافارى ليخلص منها
الى نتائج وضعية . واليك ملخص قوله :

« فى ايام مواريس الذى عاش قبل حرب طروادة
بخميس مئة سنة ، كانت ثمانى اذرع كافية لغمر
الدلتا فى كامل اتساعها . ولما جاء هيرودوتس الى
مصر كان يقتضى لذلك خمس عشرة ، وفى عهد
الامبراطورية الرومانية ست عشرة ، والنيل الضخم
حتى اثنتين وعشرين . واذن فقد ارتفعت الدلتا اربع
عشرة ذراعا خلال ثلاثة الاف ومائتين وثمانين
سنة . »

نعم ، اذا سلمنا بالوقائع على ما بسطت . بيد اننا
اذا استقيناها من ينابيعها نجد ان بعض اللواحق
تشوه المبادئ والنتائج فلنورد نص هيرودوتس :

« يزوى الكهنة المصريون انه فى ايام الملك
مواريس كان النيل يغمر الدلتا بارتفاعه ثمانى اذرع
فقط . وفى ايامنا نحن لا يمتد على البلاد اذا لم
يرتفع ست عشرة ذراعا او خمس عشرة على الاقل .
والحال انه لم تنقض بعد تسعمائة سنة على موت
مواريس حتى يومنا هذا . »

فلنحسب : من مواريس حتى هيرودوتس : ٩٠٠

وعشرين قيراطا ما يوازي عندنا عشرين قيراطا ونصف القيراط. والذراع المصرية الحالية مجزأة الى اربعة وعشرين قيراطا. على ان الاعمدة المستعملة لقياس علو النهر قد طرأ عليها تشويه لا يجوز اغفاله.

يقول القلشندي:

«بين للعرب، اول عهدهم في مصر، ان الناس كانوا يتهافتون على جمع مؤنة السنة كلما ظهر ان النيل لم يبلغ حد الفيضان. وكان هذا الامر يشوش النظام. فرفعت الشكوى الى الخليفة عمر، فامر عمرو بن العاص ان يتفحص الامر. واليك ما بسط عمرو امام الخليفة: لقد قمنا بالبحث الذي امرت به، فتبين لنا ان النيل اذا ما ارتفع الى اربع عشرة ذراعا فالغلة تكفى للسنة، واذا بلغ ست عشرة ذراعا كانت الغلال فائضة، ولكنها رديئة اذا كان الارتفاع اثنتي عشرة ذراعا او ثمانى عشرة. ولما كان الشعب يعرف ذلك مما يذاع عليه فى الخطب عادة، فقد نتجت بعض الامور التى تعرقل التجارة.»

وقد يكون عمر فكر فى الغاء الخطب تلافيا لهذه المحاذير، ولكن الامر لم يكن مما يمكن حدوثه، فابتدع - برأى ابي طالب - طريقة اسفرت عن النتيجة نفسها. كان مقياس النيل مجزأ الى اذرع واحدها اربعة وعشرون قيراطا، فامر عمر باتلافه وابدل منه آخر وضعه فى جزيرة الروضة، وامر ان تكون اذرع الاثنتي عشرة السفلى مؤلفة من ثمانية وعشرين قيراطا عوضا عن اربعة وعشرين، وان تبقى الاذرع العليا على ما كانت عليه من قبل، أى اربعة وعشرين قيراطا للذراع الواحدة. وافضى الامر عندئذ الى ان النيل اذا علم على المقياس درجة اثنتي عشرة ذراعا كانت حقيقة

ارتفاعه اربع عشرة ذراعا، لان كل ذراع من هذه الاذرع الاثنتي عشرة كانت تزيد اربعة قيراط اي مجموعا مقداره ثمانية واربعون قيراطا توازي ذراعتين اثنتين، بحيث ان الاعلان عن ارتفاع المياه الى اربع عشرة ذراعا، وهو الحد المؤذن بغلال «كافية»، كان يشير فى الحقيقة الى انها بلغت درجة «الفيض». على ان هذه الخدعة التى جازت على الجمهور لم تفت مؤرخى العرب. فقد اضافوا على ما سبق ان مقياس الصعيد - او مصر العليا - بقيت مقسمة على اساس اربعة وعشرين قيراطا، وان الحد «ثمانية عشر» كان دائما ضارا، و«التسعة عشر» نادرا جدا، والعشرين يكاد يكون اعجوبة.

وما كان الاطراد اذن الا زعما باطلا، وباستطاعتنا ان ندحضه بواقعة اولى هى ان حالة النيل لم تتبدل سحابة زمن معروف يطول الى ثمانية عشر قرنا، فلماذا تبدلت حاله اليوم، وكيف انتقل منذ السنة الالف والاربعمائة والثلاث والسبعين من خمسة عشر قيراطا الى اثنتين وعشرين بمثل هذه المفاجأة؟ ان هذه المسألة سهلة الحل. ولست ابحت عن تفسير لها فى الوقائع الطبيعية، بل فى ملابتها فليس النيل هو الذى تبدل، بل العمود ومقاييسه. والسر الذى يحيط به الاثراك يحول دون تثبيت الرحالين فيه. على ان بوكوك الذى استطاع ان يراه [اى المقياس] سنة ١٧٣٩ يروى ان درجات الاذرع كانت مشوهة وغير متساوية. وهذا ما يحمل على الاعتقاد بان الاثراك تمثلوا بعمر وشوهوا فيه تشويها جديدا. وثمة امر يبدد الشك فى هذا الصدد: ان نيبوهر - الذى لا يجوز التريب فى ملاحظته - قام سنة ١٧٦٢ بقياس معالم الفيضان على حائط فى الجزيرة، فتبين له ان النيل قد هبط فى يونيو اربع وعشرين قدما

سبتمبر ١٧٨٣ ان بعض رقاع الحقول ما برحت مغطاة، على كون المياه قد تقلصت عنها منذ خمسة عشر يوما، وان الاماكن المنكشفة تحمل آثار الفيضان. فالامر الذى يلمح إليه سافارى، ان هو الا نتيجة فيضان ردى، ولا يجوز القول ان ارتفاع الارض قد غير فى حالة الدلتا او ان الامر المضى بالمصريين الى ان يحصلوا على الماء بالوسائل الميكانيكية وهى مرهقة ومحدودة ففى جنوب الدلتا تروى الأرض بالشادوف لان المياه تكون فى مستوى الأرض، اما فى شمالها فتروى بالسواقي.

بقى علينا ان نحل مسألة اذرع مواريس الشمالى، ولا احسب ان لها اسباب من غير هذا النوع. يظهر ان المقاييس قد طرأ عليها تبديل بعد عهد هذا الامير، فاصبحت الذراع ذراعين. ويعزز هذا الافتراض ان مصر لم تكن فى عهد مواريس مملكة واحدة بل ثلاثا ما بين اسوان والبحر. فجاء سيزوزتريس ووحدها بالفتح، ولكنها عادت بعد هذا الامير الى انقسامها وظلت عليه حتى عهد بسامتيك. ان هذا الانقلاب فى المقاييس ينطبق كل المطابقة على سيزوزتريس الذى احدث مثله فى الحكومة. فهو الذى جدد الشرائع والادارة، واقام السدود، ومهد طرق المدن والقرى، وحفر من الترع عددا تمكنت معه مصر من اهمال العجلات التى كانت تستخدم حتى ذلك العهد، على ما ذكر هيرودتس.

ومن الحسن ان لذكر ان الفيضان متفاوت الدرجات، فهو غير متمثل فى مصر كلها، بل يتدرج فى الهبوط كلما انحدر النهر. فالطمي فى اسوان اضخم منه فى القاهرة بمعدل السدس. وعندما يبلغ سبعا وعشرين قدما فى القاهرة، لا يكاد يبلغ اربع اقدام فى دمياط والرشيد. ومرد ذلك

فرنسية، اذا حولتها الى اذرع باعتبار الذراع عشرين قيراطا ونصف القيراط، حصل لك اربع عشرة ذراعا وقيراطا واحدا. صحيح ان النيل يستمر فى الهبوط بعد ذلك ثمانية عشر يوما، ولكن اذا حسبنا درجة هبوطه نصف ذراع بحسب تقدير بوكوك يكون المحصل اربع عشرة ذراعا ونصف الذراع. وهذا ما يلتقى والحساب القديم تماما.

وثمة زعم اخذ به سافارى لا يمكننى التسليم به دون تحفظ. يقول فى الصفحة الرابعة عشرة من رسالته الاولى:

«منذ اقامتى فى مصر، درت حول الدلتا مرتين حتى الى اجتزتها من قناة المنوفية، وكان النهر يجرى ملء ضفافه فى ساعدى دمياط والرشيد وفى السواعد التى تخترق داخل البلاد، ولكنه لم يكن يظمى على الارض الا فى الاماكن المنخفضة حيث كانت تبضع السدود لرى حقول الارز». ويستنتج من هنا:

«ان الدلتا هى حاليا فى الوضع الاكثر مواءمة للزراعة، لان هذه الجزيرة بحرمانها الفيضان قد ربحت «كل سنة ثلاثة اشهر يقضيها الصعيد تحت المياه».

ليس ماهو اغرب من هذا الريح، فاذا كانت الدلتا تريح من عدم الفيضان فلاى سبب كان؟ يقول ان «المجارى تقوم مقام الفيضان».

على ان تشبيه الدلتا بغياض السين من الخطأ بمكان. فالماء ليس فى مستوى الارض الاحيال البحر، وهو دون مستواها فى اى مكان آخر. والضفاف ترتفع كلما صعدت فى البر. واذا جاز لى ان اورد شهادتى، اثبت اننى عند انحدارى من القاهرة الى رشيد لاحظت فى السادس والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين من شهر

الى ان النهر يرتفع اكثر فأكثر فى مجراه الواحد وواديه الضيق برغم كمية الماء التى تشربها الاراضى ، وبالعكس فهو بعد مجاوزته القاهرة وانعاقه من تضيق الجبال عليه وتوزعه بين آلاف الشعاب، يخسر حتما فى العمق ما يربحه فى الانبساط.

يدرك مما ذكرت مبلغ غرور الذين توهموا انهم عرفوا بالضبط مقدار ارتفاع الدلتا وتوسعها. ولكنى ، وقد نبذت الاحوال التوهمية، لا يسعنى انكار اساس الوقائع نفسها، فهى مؤيدة بالتعليل وتفحص الارض. مثل ذلك ان ارتفاع الارض يشبته ، فى نظرى ، امر لم يؤبه له كثيرا: انك اذا ذهبت من رشيد الى القاهرة، والمياه منخفضة شأنها فى شهر مارس، تبين لك كلما صعدت فى النهر ان الضفة ترتفع تدريجيا فوق المياه، فاذا علاها قدمين فى رشيد علاها ثلاثا او اربعا فى فوه واكثر من اثنتى عشرة فى القاهرة. فاذا عللنا هذا الواقع يمكن الاستدلال منه على ارتفاع الارض بفعل الرواسب، لان طبقة الطين التى تتناسب وسماكة طبقات الماء الراسبة منها يجب ان تكون اكثف او الطف بحسب عمق الطبقات، وقد رأينا انها تسير بتدرج مماثل من اسوان حتى البحر.

ويظهر تضخم الدلتا بصورة مدهشة فى شكل الارض المصرية على البحر المتوسط. فاذا ترسمتها على الخارطة رأيت ان الارض التى فى خط النهر - تلك الارض المكونة من مادة غرينيه - قد اتخذت نسوا نصف دائرى ، وان خطوط شاطئ جزيرة العرب وافريقيا التى يصفو عليها تذهب فى اتجاه مقعر نحو عمق الدلتا يدل على ان هذه الارض كانت خليجا ملاء الزمن.

ان ظاهرة الترسيب فى خلجان، وهى عامة

لكل الانهر، تجرى بطريقة آلية عامة ايضا، فمياه الامطار والثلوج المتحدرة من الجبال الى الاودية تجتري ما تقتلعه من التربة فى سقوطها. اما القسم الوزن من هذه الانقراض كالحصى والرمال فلا يلبث ان يقف اذا لم يدفعه تيار سريع. على ان المياه اذا لم تصادف إلا تربة ناعمة خفيفة فهى تحمل منها كميات وافرة وتجرح كثبانها بسهولة. والنيل الذى صادف من امثال هذه المواد فى بلاد الحبشة وافريقيا الداخلية قد استخدمها لتعجيل العمل. فقد حملتها مياهه وامتلأ منها مجراه، حتى أنه غالبا ما برم بها وعرقلت مجراه. على انه عندما يستعيد قواه بالفيضان يدفع هذه الكثبان الى البحر، ويستقدم غيرها فى الوقت نفسه للفصل التالى: فاذا ما بلغت الاووال مصبه تراكمت وتكونت منها رملات، لان المنحدر يخفف من فاعلية الجرى، فى حين ان البحر يقيم توازن مقاومة. وينتج عن ذلك ركود يضطر العكر الطافى ان ينحدر الى اسفل ويستقر فى الاماكن الاقل اضطرابا كالشواطى. وهكذا يثرى الريف شيئا فشيئا من انقراض البلاد العليا والدلتا نفسها، لان النيل ينتزع من الحبشة ما يعطى الصعيد، ومن الصعيد ما يعطى الدلتا، ومن الدلتا ما يدفعه الى البحر. فحيثما ينساب يعرى الارض التى يغنيها فى وقت معا. فاذا صعدت نحو القاهرة، والمياه منخفضة ، رأيت الحوافى المنحوتة عموديا تنهار رقعا لان النيل يحتفرها شيئا فشيئا من أسافلها، مانعا ترتيبها الرقيقة من السند، فتتفكك فى مسيله. وعند فيوضة المياه تبطل التربة وتنداف، ثم لا تلبث ان تتفلق بفعل الشمس والجفاف وتتساقط رقعا كبيرة يجرها النيل. وعلى هذه الصورة تكبست الترع الكثيرة واتسع غيرها بارتفاع قعر النهر ارتفاعا مستمرا. وهذا ما حدث للترعة الممتدة من النضير الى فرع دمياط. فهذه القناة التى حفرتها فى البدء

صغيرة طبقات الماء التي كانت تمتد على مساحات اكثر اتساعا. ويبدو ان الدلتا تكونت ببطء استمر سحابة قرون مجهولة المدى، ولكن الطبيعة لا يعوزها الزمن.

لا شك ان المجال ما يزال واسعا في هذه البلاد للاستقراء واعادة النظر، ولكنهما ، على ماسبق وذكرت، يصطدمان بعقبات يحتاج تذليلها الى وقت ومهارة وبذل. وكثيرا ما تكون العقبات العرضية اكثر خطورة من العقبات الجوهرية. دليل ذلك ما حدث للبارون دي توت Le Baron de Tott في صدد مقياس النيل. فقد بذل المال عثا للمنادين حتى يتبين حقيقة ارتفاع النيل، فكانت اقوالهم المتناقضة تدل على احد امرين: اما سوء النية، او الجهل المشترك. وقد يقول قائل انه يحسن صنع ركائز قياسية في بيوتات خاصة. بيد ان هذه العمليات البسيطة نظريا، مستحيلة التحقيق عمليا، وتعرض من باشرها الى اخطار جسيمة ، لان مجرد فضول الفرنسيين عند قدومهم يسوء الاثراك، فهم يحسبون ان لهم مطمعا في البلاد، لان ما يقوم به الروس مضافا الى الظنون السائدة لما يعزز فيهم التريب، وتروج في هذا الوقت الشائعات ان الزمن المنتبأ عنه قد حل، وان ثمة انقلابا في الحكم والدين والمصير الخ الخ. وبعد، فلنعد الى ما نحن في صدد.

انى ألما الماما خفيفا بفصل الفيضان وهو معروف ، وتدرجه تدرجا ضئيلا وغير فجائي، ويتنوع حالاته التي تظهره تارة خفيفا وتارة شديدا ، او مما لا يؤبه له في بعض الاحايين. والحالة الاخيرة نادرة جدا وان تكن قد حدثت مرتين او ثلاثا على ما يذكرون. ان جميع هذه الامور عمت معرفتها

يد الانسان قد اصبحت شبيهة بنهر السين في اماكن متعددة، وهى تسد مسد الفرع الاصلى الواصل بطن البقرة بالنضير الذى يتكس حتى يوشك ان يصبح ارضا يابسة اذا لم يستفرغ. وسبب ذلك ان النهر ينزع باستمرار نحو الخط المستقيم حيث هو اكثر ما يكون قوة والدفاعا. وهو من اجل هذا السبب نفسه قد تحول نحو فرع بلطين الذى لم يكن فى الاصل الا قناة اصطناعية.

ويستدل ايضا من حركات النهر هذه ان التكس يجب ان يحدث على خطوط المصاب الكبرى والتيارات الاشد. ومنظر الارض ينطبق على هذه النظرية، لان تفحص اخطارطة يدل ان نواتج الارض اكثر ما تلاحظ فى اتجاه ساعدى دمياط ورشيد، وما يجاورهما او يتوسطهما من الاراضى بقى بحيرات ومستنقعات شائعة بين اليابسة والبحر، لان الاقنية الصغيرة التى تتخللها لم يكن فى استطاعتها ان تحدث الا تكسا ناقصا. فالرواسب والطين تنهد ببطء لا يرتفع بها الى ما فوق المياه ما لم يتدخل عامل اكثر فاعلية وهو البحر. فهو الذى يعمل دون ما تمهل على رفع مستوى الشطوط الواطنة فوق مياهه. وفى الواقع ان امواجه المتلاشية على الشاطئ تدفع ما تصادفه من طين ورمل، وتركم دفعاتهم هذا السد الطفيف وتكسبه ارتفاعا لا يتيسر قط فى المياه الساكنة. وهذه الظاهرة يحسبها السائر على ضفاف البحر عند شاطئ واطى خاسف، شرط الا يكون للبحر تيارات على الساحل، لانه اذا كان يخسر فى الاماكن التى تدور فيها مياهه فهو يربح حيثما تتحرك. ومتى اصبحت الرملات الخصبه فى مستوى الماء استولت عليها يد الانسان ، ولكن عوضا عن ان يقال انها رفعت مستواها فوق المياه يجب ان يقال انها انزلت مستوى المياه، لان الاقنية المحفورة تجمع فى مساحات

الى حد لا يجوز معه التكرار. ومن المعروف ايضا ان اسباب تلك العوارض التي كانت لغزا للاقدمين لم تعد لغزا للاوروبيين. فمنذ انبأهم رحالوهم ان الحبشة والبقاع الملاصقة لها من افريقيا تغمرها الامطار في مايو، يونيو، يوليو، فقد استدلوا بذلك على ان تلك الامطار بحكم طبيعة الارض تنحدر من آلاف الجداول وتستجمع في واد واحد لتظهر على الضفاف البعيدة غمرا مهيبا يستغرق سيلانه ثلاثة شهور.

اننا نترك للفيزيين اليونانيين الزعم القائل بان ضغط الرياح الشمالية يوقف مجرى النهر. ومن العجب ان يكونوا القائلين بهذا التفسير، لان الرياح اذا كانت تؤثر في سطح المياه فهي لا تحول دون خضوع العمق للانحدار. وعبثا حاول بعض المعاصرين الاستشهاد بمثل البحر المتوسط الذي اذا ما استمرت الرياح الشرقية يعرى شاطئ سوريا مقدار قدم او قدم ونصف القدم ليغطي شواطئ اسبانيا بالمقدار نفسه، حتى اذا هبت الرياح الغربية كان المفعول معكوسا. فلا وجه مقابلة بين بحر لا انحدار فيه ولهر، وبين بسطة المتوسط والنيل، وبين ست وعشرين قدما وثمانية عشر قيراطا.

موجز تاريخ على بك

يعتبر مولد هذا الرجل غموض وريبة، شأنه بذلك شأن معظم المماليك، فهم وقد باعهم ذروهم في سن الحداثة او انتزعهم الاعداء، لا يعون من اصلهم ومن وطنهم إلا قليلا من شيء وكثيرا ما يكتمون ذلك. وفي رأى جدير بالثقة انه متحدر من عشيرة الاباطيين في القوقاس. وارقاء هذه العشيرة مرغوب فيهم. وقد نقله النحاسون الى القاهرة في جملة ما نقلوا، فاشتراه هناك اليهوديان اسحق

ويوسف واهدياه الى ابراهيم الكاخية [كتخد]. ويقدر عمره وقتل باثنتي عشرة سنة او اربع عشرة. بيد ان الشرقيين، مسلمين ونصارى، لا سجلات للمواليد عندهم، فلا تعرف اعمارهم بالضبط. وقام على عند سيده الجديد بمهام المماليك وهي المهام التي يضطلع بها غلمان الامراء. ودرب هناك على الفروسية والرماية وتسديد الجريد وضرب السيف. ولقن بعض مبادئ الكتابة والقراءة. وظهر في ممارسته هذه التمارين من النرق ما جعل القوم يلقبونه «الجن على» وهي لفظة تركية معناها الجنون. على ان مشاغل الطموح ماعتمت ان لينت طباعه وكبحت من جماحه. ولما راوحت سنة بين الثامنة عشرة والعشرين، اذن له سيده بارسال لحيته. ومعنى ذلك انه اعتقه، لان الوجه الامرد عند الاتراك خاص بالعبيد والنساء. وهم من أجل ذلك يتأففون من منظر الاوروبيين لاول وهلة. ومنذ اعتقه ابراهيم وهبه، زوجة وريعا، واسند اليه منصب كاشف، اى حاكم مقاطعة. ثم احله في مصاف البكوات الاربعة والعشرين. وما كانت هذه الرتب مضافة إلى المكانة والثروة اللتين احرزهما الا لتوقظ فيه الطموح. فلما مات سيده في السنة ١٧٥٧ وجد المجال فسيحا امام مراميه، فاشترك في كل الدسائس التي كانت تهدف الى تولية الحكام او عزلهم. وعليه تقع تبعة اغتيال الكاخية رضوان. وكان الحاكم عندئذ عبد الرحمن، وهو رجل ضعيف السلطة بذاته، الا ان بعض الاحزاب المتألفة كانت تسانده. وكان على عهدئذ شيخ البلد، فرأى في وجود عبد الرحمن على رأس القافلة المتجهة الى مكة فرصة للايقاع به، فنضاه. ولكنه مالبث ان لفى بدوره الى غزة. سوى ان غزة الواقعة في ولاية الباشا التركي لم تكن في نظره مكانا امينا تطيب فيه الاقامة. فذهب في اتجاهها ايها، ثم تحول في اليوم الثالث الى

الصعيد حيث لحق به انصاره. واقام في جرجا زهاء سنتين قضاهما في تهيئة وانضاج ما يعتزمه من الاستيلاء على السلطة. وكان له في القاهرة اصدقاء يمدهم بالمال الوفير، فاستدعوه اليها في السنة ١٧٦٦. فظهر فيها على حين غرة، وقتل في ليلة واحدة اربعة بكوات، ونفى اربعة آخرين، حتى اصبح رئيسا على الغالبية. واذا استجمعت السلطة كلها في يده، عزم على ان يستخدمها في سبيل تعظيم شأنهن. ولم تقف مطامعه عند لقب القائد، بل رأي في سيادة الاستانة ما يجرح كبرياءه، ونهدت نفسه الى لقب سلطان مصر. وانحصرت جميع مساعيه في هذا الاتجاه، فطرد الباشا الذي كان قد اصبح مجرد اداة تمثيلية، ورفض الجزية المعتادة. وفي السنة ١٧٦٨ امر بسك العملة ووسمها بطغرائه. فوجم الباب العالي لهذا الافتئات، ولكن قمعه كان يقتضى حربا صريحة لم تكن الاحوال مواتية لها، لان اسياة الاستانة كانت تشغلهم مسائل بولندا ومطامع الروس، فصرفوا همهم كله الى الشمال، وحاولوا تجاه على طريقته المعتادة في مثل هذه الاحوال، فماولفوا نحوه مبعوثيهم المعروفين باسم القبوجيين يحملون مراسيم المشقة. ولكنه كان يستقبلهم بالسم او الخنجر، فيحبط مساعيهم. فرأى على ان الفرصة مناسبة للايغال في مقاصده الى ابعد حدود النجاح. وكان يحتل الصعيد وقتئذ شيوخ من العربان على شيء من التمرد. وكان احدهم همام يتمتع بنفوذ يدعو الى القلق. فشاء على ان يتخلص منه، واحتج بكون هذا الشيخ يمسك على ابراهيم الكاخية مالا قد ائتمن عليه، وبانه يؤاوى العصاة اللالذين به. فوجه عليه كتيبة من المماليك بقيادة محمد بك ابادت هماما وقواته في يوم واحد. وكان ذلك في سنة ١٧٦٩.

وشهد هذا العام حملة اخرى ترامت نتائجها الى القارة الاوروبية نفسها. فقد سلح على السفن في السويس واطلق عليها المماليك صوب جدة مرفأ مكة، وامر القائد حسن بك ان يحتلها، فيما انطلقت من البر كوكبة من الفرسان بقيادة محمد بك فاستولت على مكة نفسها، واعملت النهب فيها. وكان غرضه ان يجعل من جدة مستودعا لتجارة الهند. وهذه الخطة التي اوعز بها اليه تاجر شاب من البندقية حظى بثقته، كان يقصد بها اهمال خط رأس الرجاء الصالح والاستعاضة عنه بالطريق القديمة عبر البحرين المتوسط والاحمر. بيد ان عاقبة الحوادث دلت على انه استعجل الامر، وان الشرائع يجب ان تسبق الذهاب الى البلاد التي يرجى لها الازدهار.

وحسب على، بعد انتصاره على امير ضئيل الشأن في الصعيد وفتح اكراخ مكة، ان من حقه السيطرة على العالم بأسره.

واوهمه رجال بطائته انه كسلطان الاستانة شوكة وسطوة، فأمن بما قالوا. ولو اعمل الفكر قليلا لتحقق ان مصر بالنسبة الى سائر السلطنة دويلة صغيرة. وان ثمانية الاف فارس تحت امره لا تحسب شيئا يذكر تجاه مئة الف انكشارى مرتينين باشارة السلطان. ولكن المماليك يجهلون تقويم البلدان. وكان على، وهو يرى مصر عن كثب، يحسب انها اوسع من تركيا التي ينظر اليها من بعيد. فعزم على مباشرة فتوحاته. ومن الطبيعي ان تكون سوريا، وهي على يابه، اولى مبتغياته. كانت حوادث تلك الايام توائم مقاصده. فالجرب الدائرة مع روسيا من السنة ١٧٦٩ تشغل القوات التركية جميعها في الشمال، والشيخ عمر الظاهر المتمرد على السلطان حليف امين مقتدر، واختلاسات باشا دمشق تهيج الافكار للشورة. اذن، ما اجملها فرصة

لاحتلال ولايته والخروج من هذه المغامرة بلقب منقلد الشعوب ! ادرك على هذا كله، فلم يتأخر عن القيام بحركاته الا بمقدار ما تقتضيه العدة للامر. فلما استكمل الالهية في شهر ديسمبر من السنة ١٧٧٠ جرد كوكبة من المماليك تبلغ خمسمائة فارس (والمماليك لا يسيرون رجالة قط) ، وسيرهم على غزاة ليضمن النفاذ الى فلسطين. وما ان بلغ امر الاحتلال مسامع عثمان باشا حاكم دمشق، حتى هرع الى مجابهته. فارتعدت فرائض المماليك من سرعته وعدد الجنود. فامسكوا اعنة الخيل تأهباً للهروب. بيد ان عمر الضاهر الرجل الذي لم تعرف له سوريا مثيلاً بالنشاط، اقبل من عكا وانقلدهم من الورطة. وكان عثمان يعسكر بالقرب من يافا، فانهزم دون مائتة. فاحتل الضاهر يافا والرملة وفلسطين برمتها، وفتحت الطريق امام الجيش الكبير المنتظر.

وصل هذا الجيش نهاية فبراير من السنة ١٧٧١، وقد ذكرت صحف تلك الايام ان عدده ستون الف مقاتل، فحسب الناس في اوربا انه يماثل جيوش روسيا او المانيا، وفاتهم ان الاتراك، واخصهم اترك آسيا، يختلفون عن الاوروبيين من الناحية العسكرية اكثر مما يختلفون عنهم في العادات والاخلاق. فان ستين الف جندي عندهم ابعد من ان يوازوا ستين الف من جنودنا. وفي الجيش الذي نحن في صددده دليل على ذلك. فانه يتألف من اربعين الف رجل موزعين على الوجه الآتي: خمسة آلاف فارس من المماليك، والف وخمسمائة مغربي رجالة. ويتبع كل مملوك خادمان راجلان مسلحان بالعصى، ومجموعهم عشرة آلاف. وثمة الفا خادم وسراج وراء البكوات، فضلا عن الباعة المرتزقة والتبع. هذا هو الجيش الذي نحن في صددده كما وصفه لي اناس شاهدوه

وتبعوه. وكان يقوم على قيادته محمد بك احد رجال بطانة على الملقب بابي الذهب نظرا الى الترف البادي في اجهزة جواده وفرش خيمته. اما الترتيب والنظام فلا اثر لهما قط في ذلك الجيش، لان جيوش المماليك والاتراك ان هي الا خليط غامض من فرسان لا مماثلة في ازيائهم، وجيادهم متباينة القد، مختلفة اللون. زحف هذا الحشد صوب عكا تاركا وراءه آثارا من فوضاه وتعدياته. فاتصل بجماعة الشيخ الضاهر وهم الف وخمسمائة فارس صفدى [من مدينة صفدا] بامرهم ولده على، والف ومائتا فارس من المتأولة بقيادة الشيخ ناصيف، وما يقرب من الف راجل من المغاربة. فلما تم هذا الاتصال ودبرت الخطة، زحف الجيش على دمشق في خلال نيسان. وكان عثمان قد وجد متسعا من الوقت لاعداد عدته، فجمع جيشا يضاهي جيش عدوه عددا. والنضم اليه باشاوات صيدا وطرابلس وحلب، فتربصوا جميعا تحت اسوار دمشق. ولا نتصور هنا حركات متوافقة كالتى تجعل الحرب عندنا منذ معتنى سنة علم حساب وتبصر. فلا المام للاسيويين بتلك المبادئ. وجيوشهم هواشة، وزحفهم نهب، وحملاهم غزوات، ومعاركهم اعتراك، يسعى اقدرهم او اجراهم الى الآخر فينهزم غالبا دون نزال. فاذا ثبت، نشب القتال واختلط المتقاتلون وتلاحموا وتفجرت البواريد، وحطمت الرماح، وتكاد تعوزهم المدافع وقلما استخدموها. وكثيرا ما يسود الرعب ولا سبب له، فيهرب فريق ويترحمه الآخر مناديا بالنصر. ويكابد المغلوب شريعة الغالب، وكثيرا ما تنتهي الحملة بانتهاء المعركة.

هذا جزء مما حدث في سوريا سنة ١٧٧١. زحف جيش على وعمر على الشام، وانتظره الباشاوات، فتقدم. وكان الامر الحاسم في اليوم

السادس من يونيو فقد صال المماليك والصفديون على الأتراك وأمعنوا في التقتيل حتى دعر هؤلاء وادبروا. ولم يكن الباشاوات آخر المنهزمين. فسيطر الخلفاء على المدينة الخالية من الجنود والأسوار واستولوا عليها. واستقلت القلعة بالمقاومة، وليس في أسوارها مدفع ولا مدفعي، ولكن هناك خندقاً موحلاً، وما وراء الخرائب بعض الرماة. وكان ذلك كافياً لكبح جماح هذا الجيش من الفرسان. على أن الحاضرين، وقد غلبوا على أمرهم، عاهدوا العدو في اليوم الثالث على التسليم، ولكن ما طلع النهار حتى حدث انقلاب هو أغرب ما تناقلته المسامع. ففي الوقت الذي كان ينتظر القوم إشارة التسليم، إذا بمحمد يصبح بجماعته الأديار، ويتحول جميع فرسانه صوب مصر. وعبثاً تسارع على الضاهر وناصيف ليستفهماه سبب هذا المآل المفاجئ، فلم يحظيا من هذا المملوك إلا بتهديد المتجبر. وارتحل القوم في بلبلة. وما كان ارتحالهم انكفاء بل هزيمة، كأن العدو يعمل السيوف في كشوحهم. وامتلات الطريق من دمشق إلى القاهرة بالمشاة والفرسان المشتتين، فضلاً عن المهام والعدد المهمة. وقد جعلوا مرد هذه الحادثة الغربية وقتلوا ما شاع من موت على بك. على أن عقدة اللغز الحقيقية مؤامرة سرية حصلت في خيمة محمد ليلاً، إذ أن عثمان لما استشعر عجز قواته لجأ إلى الأغراء. فأوفد إلى القائد المصري أحمد رجاله اللبقيين بحسجة مفاوضته بالمصالحة، فسعى بدس الشقاق والعصيان، وأدخل في زوع محمد أن الدور الذي يمثله يعرض شرفه وحياته، وأنه يخطئ إذا اعتقد أن السلطان سوف لن يقتص من على بك، وأن انتهاكه حرمة مدينة مقدسة كدمشق أحد البايين إلى الكعبة تدليس لها، وأنه يدهش من كونه هو محمد يؤثر على حظرة السلطان رضي أحد عبيده ويجعل بينه

وبين الذات الشاهانية سيد آخر، وأنه من المعروف أن هذا السيد يعرضه كل يوم لخطر جديدة ويضحي به في سبيل مطامعه الشخصية وحسد كاخيته رزق القبطي. فهذه الأسباب، وأخصها الأخيران المتعلقان بمسائل معروفة، قد أثرت أبعد التأثير في محمد وأتراه البكوات، فتفاوضوا للحال فيما بينهم، وأقسموا على السيف والمصحف أنهم قائلون إلى القاهرة في الحال. وكان ترحلهم المفاجئ نتيجة لهذه الخطة. فقد انصرفوا عن الفتح وساروا سيرا حثيثاً، حتى أن خبر عودتهم لم يسبقهم إلى القاهرة إلا بست ساعات فقط. فارتاع على وحدثت النفس في معاقبة قائده فوراً. ولكن محمد كان كثيراً برفاقه، فلم يكن ثمة سبيل لاية محاولة ضده. وكان لابد من المداجاة، فلزمها على بسهولة لأنه مدين بحظه لها أكثر منه لشجاعته.

لقد حرم على فجأة من ثمرات حرب كثيرة التكاليف، ولكنه لم يرجع عند مقاصده، بل استمر على إرسال النجيدات إلى حليفه عمر الضاهر، وحشد جيشاً آخر سنة ١٧٧٢، ولكن الحظ سئم من مساعدة على فتحول عنه. فكانت نكبته الأولى في خسارة سفنه التي استولى عليها القرصان الروس مقابل دمياط، فيما كانت تنقل الأرز لعمر الضاهر. ثم جاءت حادثة هرب محمود بك ضيفاً على ابالة.

كان من الصعب على على أن ينسى حادثة دمشق، ولكن بقية الحب التي يضمورها المرء نحو من أحسن إليهم كانت تحول دون انزاله الضربة القاضية. بيد أنه عزم عليها بعد حديث مع التاجر البندقي الذي كان يحظى بثقته.

وقد شافهني التاجر نفسه بهذا الحديث وهو: «قال على بك: هل لسلطين الفرنجة اولاد يضاهون بالثروة ابني محمد؟ فأجابه التاجر: لا،

يامولاي، وهم يحاذرون ذلك مخافة ان يعظم شأن الاولاد فتأخذهم العجلة ليرثوا آباءهم».

ونفذت هذه الكلمة الى قلب علي كالسهم. فاصبح يرى في محمد خصما خطرا، فصمم على اهلاكه. ولكي يتم له النجاح دون مغامرة، انفذ الامر اولا الى القائمين على حراسة ابواب القاهرة بان يحولوا دون خروج اى كان من الممالك عند العصر او في الليل. ثم ابلغ محمدا انه منفي للحال الى الصعيد. وكان يقصد من هذه المناقضة ان يوقف محمد عند الابواب، وان يستولى الحراس عليه من ايسر سبيل. على ان الاقدار وارت هذه التدابير الضعيفة المبهمه. وشاء الحظ ان يؤدي سوء التفاهم الى حسابان محمد مكلفا مهمة خاصة من علي. فتركوه وشأنه يمر مع اتباعه. وهنا ضاع الامل بالنجاح. وبلغ امر الغلطة عليا، فأمر بتعقبه. على ان محمدا ابدى من رباطة الجأش ما جعل القوم يتهيبون مهاجمته. فيمم الصعيد يتأكله الغيظ وتحذوه رغبة الانتقام، ولكن خطرا آخر كان يترصد به، فان ايوب بك، احد قادة علي، تظاهر بمشاطرة المنفى احقاده، فاستقبله بفرح وابتهاج واقسم على السيف والقرآن بانه يخازبه علي. ولم تنقض بضعة ايام حتى انجلى الوقائع عن رسائل من ايوب الى علي يعده فيها برأس عدوه قريبا. وتكشفت الدسيسة لمحمد، فألقى القبض على اخطائ وقطع معصماه ولسانه، ثم أرسله الى القاهرة لينال ثواب سيده.

بيد ان الممالك، وقد ملوا تشامخ علي، تحولوا جماعات الى خصمه. وكان اربعون يوما كافية لمحمد حتى تستجمع له قوة تمكن معها ان ينحدر من الصعيد مشرع السلاح. فقابله علي بقوة من انصاره. ولكن كثيرين منهم انضموا الى العدو. واخيرا، في خلال شهر ابريل من السنة ١٧٧٢،

وقعت الواقعة، في سهل المصاطب [ديرالطين] عند ابواب القاهرة، ودارت الدائرة على علي، فدخل محمد المدينة بالوفير من رجاله وعدده. ولم يتسن لعلي بك الا فرصة الهرب مع ثمانمائة مملوك تبعوه. ولاول مرة في حياته قصد الى غزة. وحاول ان يذهب لفوره الى عكا مقرر حليفه عمر الضاهر. ولكن اهل نابلس ويافا سدوا المسالك دونه. فاضطر عمر الضاهر، ان يأتي بنفسه ليزيل من امامه العقبات، وذهب به الى عكا. وكان جنود عثمان والدروز يحاصرون مدينة صيدا، فاستنجدته عليهم. فانطلق يصحبه علي. وكانت قوتاهما مجتمعين، تبلغان سبعة الاف فارس. وما اقتربوا من المدينة حتى رفع الاتراك الحصار عنها، وتراجعوا صوب شمالها مسافة فرسخ حتى نهر الحولة. وهناك في شهر يوليو سنة ١٧٧٢ نشبت معركة هي اضخم معارك تلك الحرب واكثرها انتظاما. وكان جيش الترك ثلاثة اضعاف جيش الحليفين، ولكنه منى بهزيمة نكراء. فهرب قادته الباشاوات السبعة وبقيت صيدا في يد الضاهر وحاكمها الدكزلي. وفي عودة علي بك وعمر الضاهر الى عكا انطلقا الى يافا لينزلا القصاص بسكانها المتمردين الذين حاولوا الاحتفاظ بمستودع ذخيرة وامتعة كانت قد افرغتها مراكب علي بك قبل ان يطرد من القاهرة. وكان يحتل المدينة شيخ من نابلس، فأغلق ابوابها واكرههما علي محاصرتها. وبدأت هذه الحملة في شهر يوليو، واستمرت ثمانية اشهر على كون يافا لا يعصمها الا جدار بستالى لا خنادق حوله. ذلك بان السوريين والمصريين يعوزهم المران في حرب الحصار شأنهم في حرب البر. واخيرا استسلم المحاصرون في شهر فبراير من سنة ١٧٧٣. واستعاد علي حريته فاصبح شغله الشاغل ان يرجع الى مصر. ووعد عمر الضاهر بالنجدة، في حين ان الروس وعدوا

بمساندته، وكان قد حالفهم بعد قضية القرصنة التي سبق ذكرها عند دمياط. على ان استجماع تلك الوسائل الشتى يحتاج الى وقت، وعلى نافذ الصبر، وما كانت وعود رزق كاخيته ورجام الغيوب عنده الا لتزيده طمحا، فما برح هذا القبطى يؤكد له ان ساعة عودته قد آذنت، وانها، على ما تدل الكواكب، ستتم فى احسن الاحوال واكثرها موائمة، وان ثمة دلائل على ان محمد صائر الى هلاك اكيد. وكان على، شأن سائر الاتراك، يعتقد بالتنجيم ويثق برزق ثقة يسرها ان تنبؤاته كثيرا ما كانت تصدق وتصح. فيم الانتظار اذن؟ وجاءته عن القاهرة انباء عجلت فى نقاد صبره. ففى أوائل شهر ابريل وردت عليه رسائل من اصدقائه يذكرون فيها انهم سئموا عبده العاق، وانهم ينتظرون رجوعه للاقتصاص من محمد. لقرر المسير للحال. ولم يبق فى وسعه ان ينتظر قدوم الروس، فسانطلق مع المماليك والف وخمسمائة رجل من الصفديين بقيادة عثمان بن عمر الظاهر. بيد انه كان يجهل ان رسائل القاهرة ان هى الا مكيدة من محمد نفسه استكتبها مرسلها عنوة ليخدع عليا ويوقعه فى الشرك المنصوب له. وفى الواقع ما كاد على يتورط فى الصحراء بين غزة ومصر حتى التقى فرقة مختارة من المماليك يبلغ عدد رجالها الف مقاتل يتولى قيادتهم مراد بك، وهو فتى من المماليك شغف بامرأة على بك، فوعده بها محمد اذا سلمه رأس زوجها. وما لاح لمراد غبار الاعداء عن بعد حتى انقض عليهم وبعرهم. واستتم الحظ له فالتقى عليها فى المعمة وجها لوجه، فهاجمه وساف جيئه فجرحه وقبض عليه ثم استاقه الى محمد. وكان هذا الاخير على مسافة فرسخين وراء الجيش، فاستقبل سيده القديم وبالف فى توقيره والحدب عليه مبالغة تم عند الاتراك على الغدر، وخصه بخيمة

فاخرة الرياش، واوصى بالعناية التامة به، وكرر انه الف مرة عبده الذى يلثم موطئ قدميه. على ان هذه المأساة انتهت فى اليوم الثالث بموت على، وعزاه البعض الى جراحه، فيما عزاه البعض الاخر الى السم. والاحتمالان متعادلان بحيث يتعذر الترجيح.

هكذا انتهت حياة هذا الرجل الذى استوقف اهتمام أوروبا حقبة من الزمن، وتوقع بعض الساسة من ورائه انقلابا خطيرا. لا ريب انه كان رجلا خارقا، ولكن من المبالغة ان نحله فى مصاف الرجال العظام. ويروى الشهود الشقا ان كان ينطوى على كثير من المزاي الفطرية، الا ان افتقاره الى الثقافة حال دون نمائها النماء الذى يجعل منها فضائل كبرى. لتجاوز عن اعتقاده بالتنجيم الذى كان يسير اعماله اكثر مما كان يسيرها التبصر فى الاسباب والاحوال، ولتجاوز عن خيالاته وحنثه بالعهود والايقاع بالمحسنين اليه، تلك الوسائل التى تدرع بها لتولى السلطة واستبقائها فى يديه. ولا ريب ان الخلقيات عند جماعة امرهم فوضى هى غيرها عند قوم يسودهم السلام. على اننا اذا حكمنا على اهل المطامع بمقتضى المبادئ التى يقولون بها، نرى ان على بك وضع خطة للتوسع فلم يترسم خطوطها، وعمل على هلاك نفسه. ومن الحق خاصة ان نأخذ عليه ثلاثة اخطاء:

١ - نزعتة على غير تبصر الى الفتوحات التى نفدت معها مداخله وقواته وصرفته عن ادارة بلاده الداخلية.

٢ - ركونه الى الراحة قبل الاوان وتحويل العمل على معاونيه مما حط من قدره عند المماليك، وجرا الناس على الثورة.

٣ - واخيرا، اغداقه الثروات الهائلة على رأس احد خاصته مما اكسب هذا الاخير مكانة افراط فيها

على؟ وهل اخطأوا بتقييح تجارة الهند التي انحصرت منافعتها في ايد معدودات؟ واذا كان على قد انفق خمسة وعشرين الف ليرة ثمننا لقبضة خنجر، أما كان من حق الشعب ان ينكره هذا البدخ وينفر من صاحبه؟

وهذا السماح في العطاء الذي كان يحسبه رجال خاصته فضيلة، اما كان الشعب مصيبا، وقد حصل على حسابه، ان يعده لقبضة وعيبا؟ اى فضل لهذا الرجل فى بذل لا يكلفه شيئا؟ أكان من العدل ان يرضى عواطفه الخاصة ويسدد التزاماته على لفقة الجمهور كما حدث له ان فعل مع قيم قصره حسن الانكشارى الذى تلخص قصته فى انه كان له عند على بك خمسمائة دينار. وعندما أخرج على بك للمنفى (لفى ثلاث مرات) جاءه حسن هذا فظن على بك أنه جاء يطالبه بماله، فشرع يعتذر له. غير أن حسنا هذا أخرج من جيبه خمسمائة دينار أخرى وقال له: انك الآن فى محنة، فخذ هذه أيضا، فأقسم على بك أنه متى عاد للسلطة يجعل لهذا الرجل ثروة لامثيل لهما. وقد أوفى بوعدده وعينه خازن دارا وعبثا حدثوه بأمر اختلاسائه، فلم يقتص به. لا لكران ان معظم اعمال على بك لا تستند الى مبادئ العدل والانسانية بقدر ماهى ترجع الى عوامل طمعه وزهوه، فلم تكن مصر فى نظره الا ملكا، والشعب إلا قطيعا يجوز له ان ينصرف به على هواه. أتعجب بعد هذا ان الناس الذين عاملهم معاملة السيد المتصلف ينظرون اليه نظرة الاجراء المستائين؟

موجز الحوادث منذ موت على بك

حتى السنة ١٧٨٥

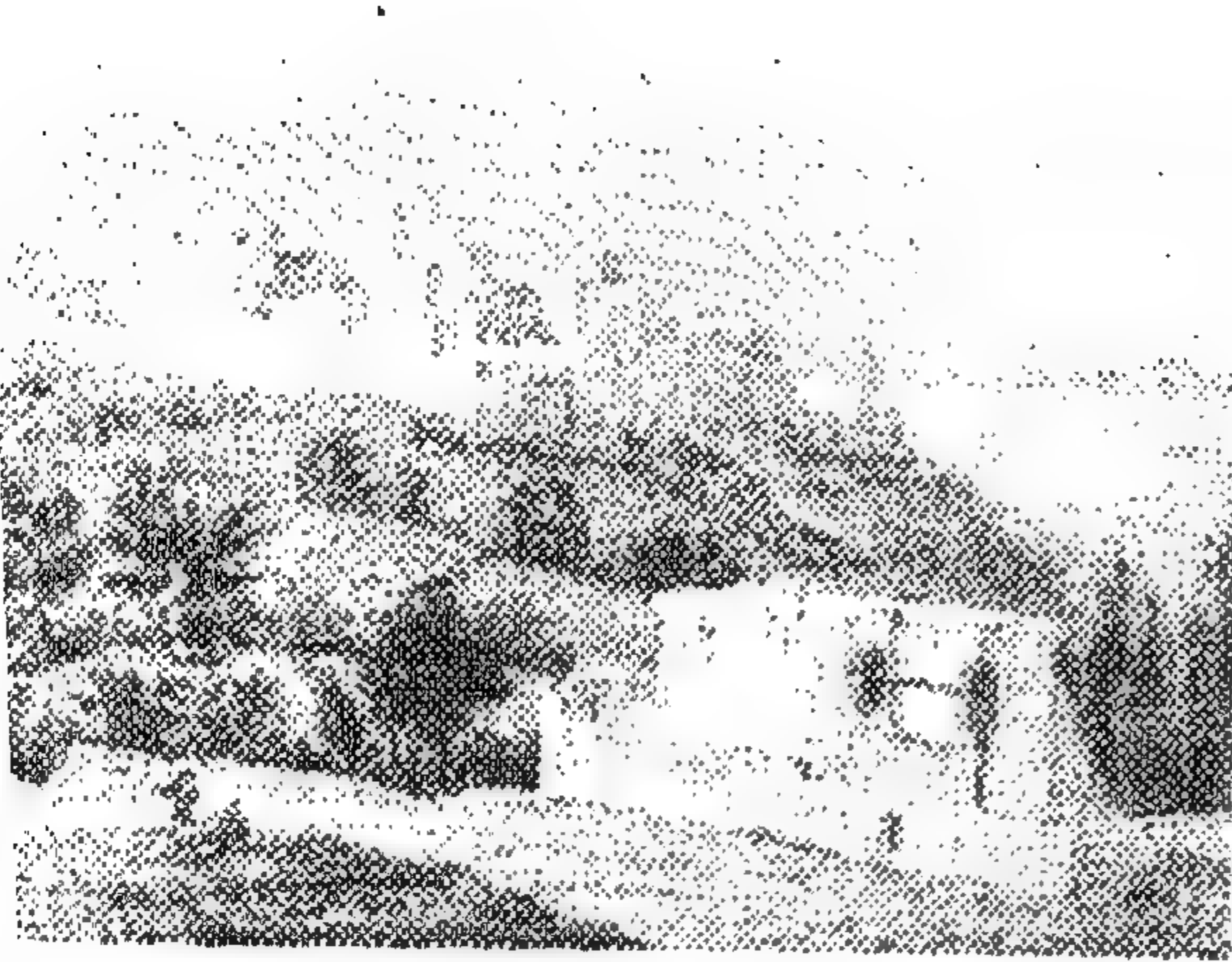
لم تتبدل حال المصريين بعد موت على. فان خلفاءه لم يحاولوا الاقتداء حتى بما هو جدير

وتجاوز. ولو افترضنا ان محمدا من اهل الفضيلة، اما كان يجدر بعلى ان يحذر غواية المدهنين الذين يلتفون فى كل بلاد الناس حول الجاه والنعم؟ على ان ثمة مزية جدية بالاعجاب تميز على بك من سائر الطغاة الذين تعاقبوا على الحكم فى مصر. لكن تكن عيوب التربية الرديئة قد حالت دون معرفته الجمد الحقيقى، فمن الثابت انه كان طامحا اليه، وما كان هذا الطموح يوما مراد النفوس الوضيعة. ولم يكن يعوزه الا مقربون يعرفون السبيل الى ذلك الجمد، وقلائل هم القادة الذين يستحقون هذا الاطراء.

ولا يسعنى السكوت عن ملاحظة سمعتها فى القاهرة. ان التجار الاوروبيين الذين شهدوا عليا حاكما ومخلوعا يطرون ما اتصف به من حلم وتشيع للعدل وعطف على الفرقة، ويدهشون لعدم تأسف الشعب عليه، فينعتون هذا الشعب بالتقلب او لكران الجميل. على ان هذا الامر لا يبدو غريبا فى نظرى. فان احكام الشعب فى مصر وغيرها تمليها عليه احوال معاشه. فبمقدار ما يكون الاحكام قد عسروها له او يسروها، يبادلهم مقتا وذما او ثناء ورضى. وما كانت هذه الطريقة يوما عمياء او جائرة، ومتى اعوز اغيز الجماعات فمن اقل حقوقها ان تضمن بعرفان الجميل والاعجاب. ماذا يعنى شعب مصر ان يفتح على الصعيد او مكة او سوريا اذا لم تكن هذه الفتوحات عاملة على تحسين حاله؟ وقد حدث فى الواقع ما افضى بالبلاد الى اسوأ مآل. فان لفقات الحروب ادت الى تفاقم الضرائب، فبلغت تكاليف حملة مكة وحدها ستة وعشرين مليونا بعملة فرنسا. وخرجت المؤن من البلاد وراء الجيوش، ولجا بعض التجار المقربين الى الاحتكار، فحدثت مجاعة عمت البلاد طوال سنتى ١٧٧٠ و ١٧٧١. فهل اخطأ سكان القاهرة وفلاحو المزارع الجائعون بتذمرهم من

من غزوة حتى انكفأ عنها رجال عمر الضاهر
لعلمهم ان المقاومة لا تجديهم فتيلا، فاحتلها ولم
يتوقف بل زحف على يافا.

وكانت تقوم على حراسة هذه المدينة حامية
يعززها جميع السكان وهم متمرسون بالقتال.
فتصدوا للمعتدى فحاصروهم، وبدلنا تاريخ هذا
الحصار على مبلغ جهل اولئك القوم للفنون الحربية.
وفي ما نورده من الوقائع الرئيسية برهان على ذلك.



تقع يافا على ساحل قليل الارتفاع عن سطح
البحر. وتقوم المدينة نفسها على تل كقالب السكر
ينتصب عموديا الى مئة وثلاثين قدما. وتبدو المنازل
المزروعة على السفح كالمسطحات المتراكبة. وفي
القمة قلعة صغيرة تشارف جميع ما يحيط بها.
واسفل التل محاط بجدار غير محصن يراوح
ارتفاعه بين اثنتي عشرة قدما واربع عشرة، وسماكته
بين قدمين وثلاث. ولا تميزه من حائط البساتين إلا
الشرفات التي تعلوه، ولا خنادق تعصمه. وتمتد
حياله حدائق من الليمون والبرتقال تبلغ ثمارها
حجما غريبا بفضل خصب التربة. تلك هي المدينة

بالثناء من سلوكه. اما محمد بك الذي خلفه
في شهر ابريل من السنة ١٧٧٣، فلم يظهر من
خلال سنتي حكمه الا نزق اللص ولؤم الخائن.

وخشى ان يرمى بالجحود ونكران الجميل
فتظاهر بانه المنتقم لحقوق السلطان ورسول مشيخته،
فارسل الجزية الى الاستانة بعد ان انقطعت عنها
ست سنوات، واقسم يمين الطاعة بلا قيد ولا
شرط، وجدد خضوعه عند موت علي بك، وتوسل
بحجة اخلاصه للسلطان فاستأذنه في محاربة عمر
الضاهر. وهو طلب لو اتيح للباب العالي ان يلتصقه
التماسا لفعل، فما بالك به وهو يمنحه تكريما؟ اجل
لقد اجاب محمدا الى رغبته واسبغ عليه لقب باشا
القاهرة. فاصبحت الحملة شغله الشاغل. وقد
يتساءل المرء اى فائد سياسية يفيدها حاكم على
مصر من سحق عمر الضاهر الثائر في سوريا؟ على
ان السياسة في هذه الحالة، شأنها في سائر الاحوال،
ابعد من ان يسترشد بها اولئك الناس. فالعوامل هنا
محض شخصية ومنها حق محمد، اذا لم يكن
باستطاعته ان ينسى الرسالة الاليمية التي كان
الضاهر قد وجهها اليه في ابان ثورة دمشق، ولا
المساعي التي قام بها ضده لمصلحة علي بك.
وتحالفت البغضاء والجشع. فقد كان من الماثور عن
ابراهيم الصباغ وزير عمر الضاهر انه جمع ثروات
طائلة. فكانت مصلحة محمد بهلاك عمر الضاهر
مزدوجة: الثار والاثراء. ولذلك لم يتردد في اقتحام
غمرات الحرب، فاستعد لها بنشاط تسعره البغضاء.
وتعزز بمدفعية عظيمة، واستقدم لها مدفعيين
اجانب، وجعل قيادتها بأمرة الانكليزي روبنسن،
واستجر من السويس مدفعا طوله ثلاث عشرة قدما.
واخيرا ظهر في فلسطين على رأس جيش يضاهي
الجيش الذي كان قد جرده على دمشق. وكان
ذلك في شهر فبراير من السنة ١٧٧٦. وما اقترب

التي هاجمها محمد. وكان حمايتها عندئذ خمسمائة صفدي او ستمائة، ومثل هذا العدد من السكان هبوا جميعا لصد العدو وسلاحهم السيف وبنادق الصوان والفتيل. وكان في حوزتهم بعض مدافع فولاذية زنة قنابلها اربع وعشرون رطلاً. ولم يكن لتلك المدافع محامل فرفعوها على قواعد خشبية ركزت بمجلة فائقة. وحسبوا ان القوة في الشجاعة والبغضاء، فأجابوا العدو على انداره بالتهديد والعيارات النارية.

واذا رأى محمد انه لابد من اكتساحهم عنوة واقتدار، عسكر امام المدينة ولكن المماليك يجهلون القواعد الفنية بدليل ان محمدا وقف من المدينة على نصف مرمى المدفع، فنبهه الى خطاه سيل القنابل المنهمر على خيامه، فتراجع رويدا حتى استقر في المكان الامين. فنصبت له خيمة اسرفوا في زخرفتها، وبدت فيها مظاهر من البدخ لا حد لها، ثم ضربت حولها خيام المماليك دونما نسق او نظام. واصطنع عسكره اكواخا من جذوع الشجر واغصان الليمون. وتدبر سائر الجيش امره بقدر المستطاع. وتوزع الحراس هنا وهناك على وجه يكاد يكون مرضيا. ولم يقيموا المتاريس حول المعسكر. وحسبوا مع ذلك انهم معسكرون بمقتضى الاصول. وتحتم عليهم تثبيت المدفعية فتخبروا لها منهدا من الارض في الجنوب الشرقي من المدينة، وأحكموا ثمانية مدافع ضخمة وراء جدر البساتين على مسافة مائتي خطوة من المدينة، وشرعوا يطلقون النار على رغم رصاص البنادق المتساقط عليهم من اعالي السطوح، مما كان سببا في تقتيل الكثيرين من مطلقى مدافعهم. ان هذا الترتيب يبدو غريبا في اوربا، حتى ان الناس قد يشكون في حقيقة امره. بيد ان تلك الحوادث لم يمر عليها احدى عشرة سنة. وقد شاهدت اماكنها،

واستمعت بصددها الى شهود عيان. وارى المفروض على الا اشوه وقائع يجب ان تكون مستندا للحكم على ذهنية امة. وفتحت المدافع في هذا الجدار ثغرة واسعة، فحاول المماليك عبورها على ظهور الجياد. واذا تبين لهم ان الامر مستحيل ترجلوا، وساروا بسراريلهم الواسعة وارذيتهم المشمّرة يتعشرون بالانقاض، السيوف العقفاء في ايديهم والطبنجات في اوساطهم. وحسبوا انهم جاوزوا كل العقبات بعد اجتيازهم هذه الانقاض. بيد ان المحاصرين تريثوا حتى نفذ المماليك الى الارض المنكشفة فامطروهم وابلا من الرصاص. فارتدوا منهزمين. فاستنفزهم مراد بك مرات متتالية، ولكن على غير طائل. وكان محمد بك في هذا الوقت يتميز غيظا ويأسا. واستمرت الحال على هذا المنوال ستة واربعين يوما. على ان عدد المحاصرين بالمدينة كان يتناقص يوما فيوما بسبب الهجمات المتوالية. ويتسوا من اية نجدة تصلهم من عكا. وسنموا ان يستمروا في الدفاع عن قضية عمر الزاهر. وكان المسلمون اكثر تبرما من غيرهم، ناسبين الى المسيحيين انصرافهم الى الصلاة والشغالهم بالكنائس اكثر من اهتمامهم بساحة القتال. وفتح البعض باب المفاوضات، فاقترح اخلاء المكان اذا كان المصريون يؤمنون المحاصرين على المال والارواح. ووضعت الشروط حتى كاد يصح القول ان المعاهدة ابرمت بين الفريقين. ولكن لفرا من المماليك غنموا فرصة الهدنة فانسلوا الى المدينة، وباشروا النهب، فحاول الاهالي المدافعة، واستؤنف الهجوم. وتوالت الجيوش زرافات وقام بأعمال السلب والتقتيل، فحصد السيف النساء والاطفال والشيوخ. وابت وحشية محمد ونذالته إلا ان يرفع نصبا للنصر، فأمر ان يشاد له هرم من رؤوس القتلى المناكيد، وقد جاوز عددهم الفا ومائتي نسمة. وكان من نتيجة هذه

الكارثة التي حلت بالمدينة في ١٩ مايو سنة ١٧٧٩ ان عم الذعر سائر البلاد ، فانهزم الشيخ عمر الضاهر من عكا حيث حل ابنه على محله. وكان على هذا شديد البأس ، على كونه شوه امجاده بشوراته على ابيه ، فاعتقد ان محمد - وكان قد حالفه - سيحترم الحلف ، ولكن هذا المملوك ما كاد ينتهي الى ابواب عكا حتى طلب من على ثمننا لصداقته له رأس ابيه ، فرفض على وتغلى عن المدينة للمصريين ، فانتهبوها انتهابا. وكاد التجار الفرنسيون يتعرضون لمثل هذا المصير ، ولكنهم ما لبثوا ان فوجئوا بخطر مريع. فقد ترامي الى مسامع محمد انهم مؤتمنون على ثروة ابراهيم كاخية عمر الضاهر ، فاندبرهم بالموت اذا منعوها عنه. وعين للبحث عنها فيما بينهم نهار الاحد التالي ، فوقع في هذا النهار حدث انقذهم من هذه الورطة الهائلة. فقد استولت على محمد حمى خبيثة اهلكته بعد يومين ، فقضى في زهرة العمر ، وكان ذلك في شهر يوليو من السنة ١٧٧٦ . ويعتقد المسيحيون ان هذه الميته قصاص من النبي الياس الذي كان محمد قد هتك حرمة كنيسته على جبل الكرمل. ويروون ايضا انه كان يراه مرات عديدة بصورة شيخ ويصيح باستمرار: «ابعدوا عني هذا الشيخ الذي يلزمني ويرعبنى » على ان الذين شهدوا ساعاته الاخيرة قد اخبروا اشخاصا جديرين بالشقة في القاهرة ان هذه الرؤيا ما كانت الا نتيجة للهلديان الناشئ عن ذكرى الضحايا التي غدر بها محمد ، وان موته يرجع الى رداءة المناخ والقيظ والتعب المفرط ، فضلا عن الهموم المرهقة التي لازمتها في ابان حصار يافا. وتجدر الاشارة هنا الى اننا لو شئنا الاعتماد في كتابة التاريخ الحديث على رواية مسيحيي سوريا ومصر لجاءت ملأى - كما في العصور السالفة - بالمعجزات والرؤى.

وما ذاع نبا موت محمد حتى سادت الجيش القوضى على ما حصل له في دمشق ، وانهزم صوب مصر. وكان مراد بك قد اصبح ذا نفوذ عظيم فاسرع الى القاهرة ينازع ابراهيم بك القيادة ، وهو من اخصاء الميت واحد معتقيهم. فلم يبلغ مسامعه ما آلت اليه الامور حتى اتخذ من التدابير ما يضمن له بقاء السلطة التي كان مؤتمنا عليها منذ غياب سيدهم. وكانت الاحوال جميعها تؤذن بوقوع الحرب بينهما على ان كلا الخصمين وازن بين وسائله ووسائل عدوه فرأى انها متعادلة بحيث اصبح يخشى عاقبة القتال. لذلك اختاروا السلم وتوافقا على ان تكون السلطة بينهما مشاعا ، شرط ان يحتفظ ابراهيم بلقب شيخ البلد او القائد. هذا ما قضت به مصلحتهما المشتركة في التأمين على سلامة كليهما. وكان البكوات الذين من بيت على (اي الذين اعتقهم) يتبرمون سرا بكون السلطة قد انتقلت الى يد حزب جديد. وكانت رفعة الشأن التي بلغها محمد تجرح كبرياءهم. وبدت لهم سلطة عبيده مما يفوق طاقة الاحتمال. فعزموا على التخلص منها وشرعوا يدسون الدسائس ويحزبون الاحزاب حتى تيسر لهم ان يؤلفوا عصبة اطلقوا عليها اسم بيت على بك. وكان يرأس هذه العصبة حسن بك الملقب بالجداوى نسبة الى جدة التي كان حاكما عليها. وزاملة اسماعيل بك احد معتقى الكاخية ابراهيم. وبلغت دسائسهم حدا من النجاح اكبر مراد بك وابراهيم بك على اخلاء القاهرة. فانكفأ الى الصعيد حيث تقرر منقاهما ، وتمكنا هناك من تنظيم شؤونهما بفضل ما التحق بهما من الانصار المنشقين. فرجعا الى القاهرة على رأس اربعمئة فارس هزموا الاعداء على كونهم يزيدونهم في العدد ثلاثة اضعاف ، فطرد اسماعيل وحسن بدورهما الى الصعيد حيث لا يزالان. وقلق مراد

ارادوا فى بعض الاحيان ان يصححوا الانباء الواردة فيها، ولكن معلوماتهم استعملت فى غير طرقها، فرجعوا عن الاهتمام بهذا الامر الذى يهبطهم بالتكاليف ولا يفيدون منه شيئا.

خرج مراد بك من القاهرة وسار بخيالاته بمحاذاة النهر تتبعه المراكب حاملة ذخائره ومهماته. ووافقت مسيره ربيع شمالية مؤاتى. وكان المنفيون، وعددهم خمسمائة، ينزلون ما وراء جرجا. فلما علموا بقدوم العدو دب بينهم الشقاق وانقسموا فريقين يريد احدهما الحرب والآخر التسليم. وكثيرون قالوا بهذا الرأى الاخير فاستخذوا لمراد بك. على ان اسماعيل وحسن استمرا على عنادهما فانطلقا صوب اسوان يتبعهما مائتان وخمسون خيالا. فتعقبهما مراد حتى الشلال حيث اعتصما فى اماكن وعرة جعلت لهما افضلية حسب الممالك انه يستحيل معها اقتحامهما. وخشى مراد ان يطول غيابه عن القاهرة فتتفجر فيها ثورة جديدة، فأسرع بالعودة اليها، مما هيا للمنفيين، وقد خرجوا من المأزق، ان يرجعوا الى مراكزهم الاولى فى الصعيد.

ان جماعات تسودها الميل الخاصة ولا يفكر افرادها بغير نفوسهم دون ما نظر الى مخبات الغد، ولا يوحى قادتها من الاحترام ما يضمن لهم طاعة المسود، ان جماعات كذلك لا تستقر بها السيادة، بل ان ثباتها ضرب من الحال. فان تصادم عناصرها غير المتجانسة يفضى بها الى قلق واضطراب شاملين.

وهذا ما حدث ويحدث لجماعة الممالك فى القاهرة. فان مرادا ما كاد يرجع اليها حتى تولدت دسائس جديدة افضت الى اضطرابات جديدة. فقد اجتمع فى تلك المدينة، فضلا عن حزبه وحزبى ابراهيم وبيت على بك، بكوات ينتسبون الى

وابراهيم من بقاء هذا الحزب، فحاولوا ابادته ولكنهما لم يفلحا. ثم اقطعا العصاة مقاطعة فى نواحي جرجا. على ان الممالك ينزعون دائما الى ملذات القاهرة، فحاولوا بعض الاضطرابات خلال السنة ١٧٨٣. فرأى مراد بك ان يعمل مرة أخرى على ابادتهم. وكان - عند وصولى الى مصر - يعد العدة لهذا العمل. وانتشر رجاله على ضفاف النيل يوقفون المراكب ويسوقون ربانها تحت تهديد العصي الى القاهرة. والناس يتهاربون من السخرة. وقد فرضت على تجارة المدينة ضريبة هائلة. واكره اصحاب الافران والتجار على بيع سلعهم باسعار هى دون اسعار تكاليفها. وكانت ضروب الاغتصاب هذه التى ينكرها الناس فى اوربا تجرى وكأنها امور عادية. وكان مراد بك قد انجز اعداد وسائله فى اوائل شهر نيسان، فانطلق الى الصعيد.

ان انباء الاستانة التى تراجعت اصداؤها فى اوربا وصفت هذه الحملة بانها حملة حرب عظمى وجيش ضخمة. ويصح اطلاق هذه النعوت عليها اذا قيست بوسائل مراد بك وحالة مصر، ولكن عددها فى الواقع الفان من الفرسان. فاذا تدبرنا اخبار الاستانة وما يعتريها من التشويه المعتاد وجب ان نصدق احد امرين: فاما ان يكون اترك العاصمة جاهلين ما يجرى فى مصر وسوريا، واما ان يكونوا تعمدوا التهويل على الاوربيين. على ان صعوبة المواصلات بين تلك الاصقاع المتباعدة فى السلطنة تجعل الافتراض الاول اكثر احتمالا من الافتراض الثانى. ولقد يبدو للمتسائل ان باستطاعة تجارنا المقيمين فى مختلف الاساكن [الموانى] ان يرشدونا الى حقيقة الحوادث. بيد ان هؤلاء التجار المحصورين فى «خاناتهم» كالسجناء لا يبدون كثيرا من الاهتمام بما هو غريب عن متاجرهم، ويقتصرون على قراءة الجرائد المرسلة اليهم من اوربا. وقد

بيوتات اخرى. تنادوا في شهر يوليو من سنة ١٧٨٣ لضم قواهم، وكانت منعزلة حتى هذا اليوم، ونهضوا الى القيادة. وشاءت المصادفة ان يكشف امر هذه العصبة فنفي قاداتها الخمسة الى الدلتا. فتظاهروا بالاستخذاء. ولكنهم ما كادوا يخرجون من المدينة حتى تحولوا الى الصعيد وهو الملاذ المعتاد الذي يوائم جميع المستأين. فلوحقوا لهارا كاملا في صحراء الاهرام، ولكن على غير طائل. واستطاعوا التخلص من المماليك والعرب، وبلغوا المنيا دون ما حادث، واستقروا فيها. وكانت هذه القرية الواقعة على اربعين ميلا من القاهرة على ضفاف النيل مؤاتية لاغراضهم، اذ تسلطوا على النهر بحيث يسر لهم الاستيلاء على كل موارد الصعيد. وعرفوا ان يفيدوا من هذا الوضع، لان المؤن التي ترد في هذا الفصل من تلك المقاطعة قد وقعت في يدهم، وحرمت القاهرة من الميرة وتهددتها المجاعة. اصف الى ذلك ان البكوات واصحاب الاملاك الذين تقع مزارعهم في الفيوم قد حرموا ريعها لان المنفيين فرضوا عليها الفرد والضرائب. وكانت هذه البلبلة مما يستلزم حملة جديدة.

اما مراد بك وقد أتعبت الحملة السابقة فقد رفض ان يقوم بأخرى، فأخذها ابراهيم بك على عاتقه، وباشر اعداد العدة لها في شهر اغسطس على رغم حلول رمضان. فحجزت المراكب وربانها على ما حدث في إبان الحملة السابقة. ثم فرضت الضرائب وصورر متعهدو الارزاق. وفي اوائل شهر أكتوبر خرج ابراهيم على رأس جيش نعتوه بالجيش الرهيب لانه كان يناهز ثلاثة الاف فارس. وانطلق في النيل نفسه لان مياه الفيضان كانت ما برحت تغمر معظم البلاد. ولم تمض ايام قلائل حتى تواجه الجيشان. بيد ان ابراهيم لم يكن ذا مزاج حربي شأن مراد، فلم يهاجم المتحالفين، بل فاوضهم، فتوافقوا على

معاهدة شفوية قضت برجوع البكوات الى سابق حالهم. وترب مراد من هذا الاتفاق اذ رأى فيه دسياسة عليه، وساد الحذر بينه وبين خصمه. وزاد في قلقه ما ابداه المنفيون من التشامخ في اثناء احد المجالس العامة. فأوجس الخيانة وتدارك الامر بان خرج من القاهرة برجاله وانصرف الى الصعيد. وحسب الناس ان الحرب واقعة لا محالة. بيد ان ابراهيم أثر التسوية. وبعد انقضاء اربعة اشهر انحدر مراد الى الجيزة متحفزا للقتال. على ان الفريقين بقيا خمسة وعشرين يوما وجها لوجه، يفصل بينهما النهر ولا يتقاتلان. ثم شرعا بالتفاوض. سوى ان شروطه لم تكن مما يرتاح له مراد، فرجع الى الصعيد لانه لم يكن من القوة بحيث يستطيع إملاء شروطه عنوة واقتدارا. فأوفد اليه مراد مفاوضين تمكنوا، بعد أخذ ورد سحابة اربعة اشهر. ان يعودوا به الى القاهرة. وكانت الشروط ان يستمر مراد على مقاسمة ابراهيم السلطة، وان تنزع من البكوات الخمسة املاكهم. واذ رأى البكوات ان ابراهيم ضحى بهم لاذوا بالفرار. فطاردهم مراد واستعمل عرب البادية للقبض عليهم، ثم رجع بهم الى القاهرة ليكونوا فيها قيد نظره. ولاح للناس وقتئذ ان السلم استقر. بيد ان ما حصل بين القائدين كان من شأنه ان يكشف عن حقيقة مرادهما الواحد تجاه الآخر. فلم يكن من المستطاع، والحالة هذه، ان يتصافيا لأن كلا منهما كان يثق ان الآخر يتحين الفرص للايقاع به. فلبثا في يقظة وحذر. وما عتمت هذه الحرب الباطنة ان اكرهت مراد بك على مغادرة القاهرة في السنة ١٧٨٤. فضرب خيامه على ابواب المدينة حيث اظهر من العزم والجلد ما ادخل الرعب في قلب ابراهيم، فهرب برجاله الى الصعيد، واستقر فيها حتى شهر

بيوتات اخرى. تنادوا في شهر يوليو من سنة ١٧٨٣ لضم قواهم، وكانت منعزلة حتى هذا اليوم، ونهضوا الى القيادة. وشاءت المصادفة ان يكشف امر هذه العصبة فنفي قاداتها الخمسة الى الدلتا. فتظاهروا بالاستخذاء. ولكنهم ما كادوا يخرجون من المدينة حتى تحولوا الى الصعيد وهو الملاذ المعتاد الذي يوائم جميع المستأين. فلوحقوا لهارا كاملا في صحراء الاهرام، ولكن على غير طائل. واستطاعوا التخلص من المماليك والعرب، وبلغوا المنيا دون ما حادث، واستقروا فيها. وكانت هذه القرية الواقعة على اربعين ميلا من القاهرة على ضفاف النيل مؤاتية لاغراضهم، اذ تسلطوا على النهر بحيث يسر لهم الاستيلاء على كل موارد الصعيد. وعرفوا ان يفيدوا من هذا الوضع، لان المؤن التي ترد في هذا الفصل من تلك المقاطعة قد وقعت في يدهم، وحرمت القاهرة من الميرة وتهددتها المجاعة. اصف الى ذلك ان البكوات واصحاب الاملاك الذين تقع مزارعهم في الفيوم قد حرموا ريعها لان المنفيين فرضوا عليها الفرد والضرائب. وكانت هذه البلبلة مما يستلزم حملة جديدة.

اما مراد بك وقد أتعبت الحملة السابقة فقد رفض ان يقوم بأخرى، فأخذها ابراهيم بك على عاتقه، وباشر اعداد العدة لها في شهر اغسطس على رغم حلول رمضان. فحجزت المراكب وربانها على ما حدث في إبان الحملة السابقة. ثم فرضت الضرائب وصورر متعهدو الارزاق. وفي اوائل شهر أكتوبر خرج ابراهيم على رأس جيش نعتوه بالجيش الرهيب لانه كان يناهز ثلاثة الاف فارس. وانطلق في النيل نفسه لان مياه الفيضان كانت ما برحت تغمر معظم البلاد. ولم تمض ايام قلائل حتى تواجه الجيشان. بيد ان ابراهيم لم يكن ذا مزاج حربي شأن مراد، فلم يهاجم المتحالفين، بل فاوضهم، فتوافقوا على

مارس من السنة ١٧٨٥. ثم رجع الى القاهرة على اثر محالفة جديدة. ولا يزال يقاسم خصمه السلطة ريثما تهيب له دسيمة جديدة فرصة الانتقام.

هذه هي خلاصة عن الثورات التي تعاقبت على مصر في هذه السنوات الاخيرة. والى لم التبسط في ذكر الملابسات المتعددة التي رافقت الحوادث لانها لا تفيد شيئا، فضلا عما يعتور صحتها من الشك والريبة. وان هي الا دسائس وخيانات واعتداءات على الارواح يفضى تكرار رواياتها الى الملل. وحسب المطالع ان يتتبع سلسلة الوقائع الرئيسية ويستخلص منها فكرا عامة عن طبائع البلاد التي يدرسها وعن حالتها السياسية. بقى علينا ان نتبسط في درس هاتين الناحيتين.

الحالة الراهنة في مصر

منذ ثور الكاخية ابراهيم وثورة على بك، على الاخص اصبحت سلطة العثمانيين اقل استقرارا في مصر منها في اية ولاية اخرى. من الثابت ان للباب العالي في مصر باشا يمثله، ولكن هذا الرجل المحصور قيد المراقبة في قصره بالقاهرة انما هو سجين المماليك اكثر مما هو ممثل السلطان، وهو عرضة للخلع والنفي والطرده. ولا يكاد يتبلغ الانذار على يد ضابط اسود الرداء حتى «ينزل» من قصره كأي من الناس. وقد شاء نفر من الباشاوات بايعاز من الباب العالي ان يستعيدوا سلطاتهم بما حاولوه من وسائل المكر. بيد ان البكوات احاطوا هذه الدسائس بانخاطر، مما جعل الباشاوات يقتنعون، في الوقت الحاضر، بقضاء مدة اسرهم بهدوء وسكينة سحابة ثلاث سنوات،

وبانفاق مخصصاتهم المعينة لهم. على ان البكوات لا يتجرأون على اعلان استقلالهم مخافة ان تؤول السيطرة على «الديوان» الى احد الاحزاب المتطرفة. فكل شيء يجري باسم السلطان، وتقبل اوامره «على الرأس والعين»، اى بعميق الاحترام. على ان هذه الظاهرة المضحكة لا تقتصر بالتنفيذ قط. فكثيرا ما علقت الجزية، واذا أدت فهي ناقصة ابدا، اذ يسقطون منها مقدار نفقات شتى لتنظيف الترع، ونقل اوساخ القاهرة الى البحر، ومرتبات الجنود، وترميم الجوامع الخ الخ. وجميعها نفقات وهمية كاذبة. ويخدعون الناس في حقيقة مبلغ الفيضان ودرجته. ولولا الخوف من مراكب الدولة التي تأتي رشيد والاسكندرية كل سنة لتحصيل ضريبة الارز والحنطة، لما ادوها. وهم مع ذلك يتصالحون على مقاديرها مع المكلفين جبايتها. هذا والباب العالي يفض الطرف عن هذا التعسف جريا على سياسته المألوفة. فهو يعرف انه اذا لجأ الى تدابير القمع التزم بجهود وتكاليف قد تضطره الى حرب معلنة يجوز ان تحط من شأنه، فضلا عن ان مصالح اشد خطرا تفرض عليه حشد القوات جميعها في الشمال (تجاه روسيا). وهو اذن في حوصه على سلامة الاستانة نفسها يكل الى الاقدار مهمة استعادة سلطانه على الولايات البعيدة. فيعمل على التفرق بين الاحزاب حتى لا يسود احدها او يستقر. وهذه الطريقة التي لم تخيب مقاصده حتى اليوم قد جاءت موافقة لكبار ضباطه ايضا، فهم يسامون المتمردين على نفوذهم وحمايتهم لهم، ويجمعون من جراء ذلك المبالغ الطائلة. وهذا هو اليوم شأن امير البحر حسن باشا، فقد سلك المسلك نفسه مع مراد وابراهيم فحصل منهما على اموال باهظة.

ميليشيا المماليك

ان المماليك عند استيلائهم على الحكم فى مصر تذرعو بالوسائل التى حسبوا انها تضمن استقرارهم فيه. ولا ريب ان انجح تلك الوسائل كان ما قاموا به من اضعاف فرقتى العزب والانكشارية العسكريةين، بحيث ان هاتين الفرقتين، وقد كانتا مفرعة فى يد الباشا، اصبحتا مثله ولا حول لهما ولا طول. وهذا خطأ آخر تقع تبعته على عاتق الباب العالى. فان عدد الجند الاتراك الذى كان حتى قبل ثورة الكاخية ابراهيم اربعين الف رجل خيالة ورجالة، قد انزل الى نصفه بسبب جشع القادة الذين كانوا يحتفظون لأنفسهم بالمرتببات المخصصة للجنود. وجاء على بك بعد ابراهيم يستكمل هذه البلبلة. فشرع بالتخلص من الرؤساء الذين يترتب منهم، وترك مراكزهم شاغرة، وجرد القادة من النفوذ، وردد الجيوش التركية حتى ان العزب والانكشارية والفرق الخمس الاخرى اصبحت اليوم خليطا من الحرفيين والمرزقة والمتشردين الذين يرتضون حراسة اى باب لقاء اجر يتقاضونه، ويرتجفون امام المماليك كما ترتجف منهم سوقة القاهرة. والواقع ان قوة مصر العسكرية تنحصر فى فرقة المماليك. فمنهم بضع مئات منتشرون فى البلاد والقرى للمحافظة على السلطة وجباية الضرائب والحزول دون المظالم. على ان معظمهم فى القاهرة. ولا يجاوز عددهم بحسب تقدير العارفين ثمانية آلاف وخمسمائة رجل بين بكوات، وكشافة ومعتمقين وارقاء. ويدخل فى هذا العدد شبان لم يبلغوا العشرين او الثمانية والعشرين من العمر. واعظم بيوتاتهم شانا بيت ابراهيم بك الذى يتألف من ستمائة مملوك. ثم يأتى مراد بك وله منهم اربعمائة. على انه فى جراته وسخائه يعادل قدر

خصمه الثرى البخيل. ولكل من البكوات الآخرين، وهم ثمانية عشر او عشرون، عدد يراوح بين خمسين ومائتى مملوك. وثمة نفر من المماليك يصح ان نعتهم بالمبهمين، وهم متحذروا بيوتات منقرضة يشايعون هذا او ذاك من الفروع بحسب مقتضيات مصالحهم. وتراهم ابدا على اهبة التحيز لمن يزيدهم عطاء. اصف الى هؤلاء بعض «السراجين» وهم فئة من خدم الجياد ينقلون اوامر البكوات ويقومون باعمال الحراسة. وهذا المجموع يكاد يبلغ عشرة آلاف فارس. ولا حساب عندهم للمشاة، فهم لا شأن لهم فى تركيا عامة، وفى الولايات الاسيوية بوجه خاص، لان افانين الفرس والتتر ما برحت تسود هذه الاصقاع. فالجرب عندهم كروفر لا يحسن القيام بهما الا فارس. فهو دون سواء رجل الحرب فى المتعارف بينهم. ولما كان رجل الحرب عندهم صاحب الجاه والشرف، فقد رأوا فى السعى على الاقدام دليل حقارة، فاختصوا به الشعب. وهم من اجل ذلك لا يسمحون لسكان مصر الا باقتناء البغال والحمير، محتفظين لأنفسهم بحق ركوب الجياد. ويمارسون هذا الامتياز الى ابعد حدوده. فانك لا تراهم فى المدينة او الحقل او اثناء التزاور حتى من باب الى باب، الا على ظهور الخيل. ويحملهم على هذا الامر، فضلا عما سبق، نوع الملابس التى يرتدونها. وهذه الملابس التى لا تختلف من حيث الشكل عن ازياء اهل اليسر فى تركيا جديرة بان توصف.

النبذة الاولى

البسة المماليك

قميص واسع من نسيج قطنى ناصع اللون ضارب الى الصفرة، يعلوها رداء كالمبدلة من كتان الهند او من نسيج دمشق او حلب. وهذا الرداء

يحسنون الطراد ركوبا، وان الفارس اذا اسقط عن جواده مصيره الهلكة، فجوابهم على كل ذلك «انها العادة».

النبذة الثانية

جهاز المماليك

ولنر اذا كان جهاز جيادهم اطبق على المعقول. ان اهل اوربا منذ تعودوا البحث في علة الاشياء شعروا ان الفرس، لكي تسهل عليه الحركات تحت فارسه، يحتاج الى عدة وحمل خفيفين. وهذا التحول الذي طلع علينا به القرن الثامن عشر لا يعرف المماليك من امره شيئا. فهم ما برحوا على ذهنية القرن التاسع، ينقادون ابدا «للعادة» ويوسقون الحصان بعدة ضخمة الهيكل، مشقلة بالحديد والخشب والجلد. يعلوها من وراء قربوس يرتفع ثمانى قراريط ويغطي الفارس حتى رأس الورك، ومن امام قربوس آخر يهدد صدره اذا ما انحنى، ويستعوضون عن الصفة تحت السرج بثلاثة اغطى صوفية سميكه، ويثبت كل ذلك فى السرج بحزام يمر فوقه، ويربط ليس بأبازيم ذات شوكلات، بل بسموط معقود قليلة المتانة كثيرة التعقيد. وسروجهم واسعة المقدمة ولا سير لها فى المؤخرة، مما يجعلها تسترسل على كتفى الفرس. والركب لوحات من النحاس تفوق الرجل طولا وعرضا وترتفع حوافها مقدار قيراط، وهى تتدلى من العرى. ولهذه الركب زوايا حادة كالشفار تستعمل عوضا عن المهاميز لتفتح فى كشوح الجياد جراحا مستطيلة. ويزن الركابان عادة عشر ارطال، وكثيرا ما تزنان اثنتى عشرة رطلا. وهذا الامر مستغرب، خصوصا وان اخليل فى مصر صغيرة القدود. والزماد ينتهى بحلقة حديدية تضغط على الذقن حتى تكاد تقطع الجلد،

المسمى بالعنترى ينحدر من العنق حتى الكاحلين، وينضم جانباه على مقدم الجسم حتى الوركين حيث يثبت بتكتين. ويعملوا هذا الرداء رداء آخر بشكل الاول واتساعه، يصل كماه الواصلتان حتى رؤوس الاصابع، ويسمونه القفطان. ويصنع عادة من الحرير، وهو ائمن من الرداء الاول. وثمة منطق طويل يضم الرذائين معا الى القد ويقسم الجسم الى جزئين. اصف الى ذلك قطعة ثلاثة من الجوخ غير مبطنة، هى الجبة. ولا يختلف شكلها عن القطعتين الاوليين اجمالا، سوى ان كميتها مقصوصان عند المرفقين. وهذه الجبة تكسى، فى الشتاء وغالبا فى الصيف، بالجلد فتصبح فروة. وفوق هذه الغلافات الثلاثة يأتى معطف رابع يرتدى فى الاحتفالات، وهو يغطى مجمل الجسم ورأس الاصابع، اذ يرون فى كشفها امام العظماء ما يتنافى الحشمة والادب. ويبدو الجسم تحت هذا المعطف مثل كيس طويل يخرج منه عنق عار ورأس حليق تعلوه عمامة. وعمامة المماليك تسمى «القاووق» وهو على شكل اسطوانة صفراء تحيط بها لفافة من الشاش منتظمة الاستدارة. ويتعلون حذاء من الجلد الاصفر يكسو الرجل حتى العقب، وخفا بلا حوافى معدا لان ينزع فى الطريق. اما الثوب الغريب فهو السروال، لانه من السعة بحيث يصل الى الذقن طولا، وكل ساق من ساقيه تسع الجسم كله. ويصطنعه المماليك من جوخ البندقية، وهو اكثر سماكة وانعم ملمسا من الصوف الخشن. ولهذا السروال منطق ذو حجرة يعقد على الاقسام المدلاة من الثياب التى ذكرناها، فتضم جميعها تحت السروال تيسيرا للمشى. فمتى تصورت المماليك مقمطين على هذه الصورة، سهل عليك ان تفهم السر فى تشاقل خطاهم، وهم يرون فى ثيابهم راحة وسعة. وعشا تقول لهم انها تعرقل سيرهم مشاة، وانهم لا

دمشق، ويدفع ثمن السيف الواحد اربعين او خمسين ليرة فرنسية ذهباً. وخصائص السيف المفضلة عندهم خفته وصفاء معدنه ورينيه وتموج حديدته، وبوجه خاص رقة شفرته، ويجب الاعتراف انها رائعة ولكنها سريعة العطب كالزجاج.

النبذة الرابعة

تدريب الممالك وتمارينهم

ان تدريب الممالك على استخدام هذه الأسلحة شغلهم الشاغل طوال الحياة. يخرج معظمهم صبيحة كل يوم الى سهل حيال القاهرة، وهناك يطلقون اعنة الجياد، ويتدربون على اخذ القرابينة برشاقة وتسديد الرماية فيها، ثم يضعونها تحت الفخذ وينتزعون غدارة يطلقونها ويرمونها ما وراء الكتف، ثم غدارة ثانية تمر بالتجربة نفسها، متكلين على البريم الذي يشد كلا الغدارتين الى الشوب. فيشجعهم البكوات الحاضرون. ومن تمكن منهم من حطم الهدف، وهو عبارة عن اناء من خزف، ذهبت اليه التهاني والمكافأة. ويتدربون ايضا على معالجة السيوف، وبنوع خاص على تسديد الضربة من الشمال الى اليمين، وتوجه من الاسفل الى الاعلى، وهي اصعب الضربات على من يتقيها. وهم على قسط من المهارة بحيث ان الكثيرين منهم يقطعون بسيوفهم الحادة كلة من القطن كما يقطع قالب الزبدة، ويرمون السهام، ولو انهم لبدوها من اساليب القتال. واحب تمارينهم لعب الجريد، والجريد معناه القصبة، ويطلق على كل عصا ترمى باليد بحسب القواعد التي اعتمدها الرومانيون للترامي بالمزاريق. ويستعمل الممالك عوضاً عن العصي اغصان النخيل الرطبة. وهي اغصان طولها اربع اقدام يزن الواحد منها خمس ليرات او ستا. يتسلح للفرسان بهذه «الحراش» ويخوضون الميدان،

مما يجعل الفرس محطهم جالبي الفكين ولا فم له ذلك ان الممالك يرجون اللجام رجاء عنيفاً، فيطلقون العنان للفرس، ثم يوقفونه بغتة في اشد انطلاقاته واذ يشد لجام الفرس تتصلب قوائمه، ويطوى عرقوبه، ينزلق بمجمله قطعة واحدة كأنه حصان خشبي. ومن المعلوم ان هذه الطريقة تتلف الفم والقوائم بتكرارها. على ان الممالك يجدون فيها الناقه، وهي تتفق مع اساليبهم في القتال. ومع ذلك فالملوك فارس ثبت قوى، على رغم ساقيه المعقوفتين وكثرة تلويه، وعليه سيماء حربية تفتن عين الغريب. ويجدر القول انه اكثر تولقاً في تخير سلاحه.

النبذة الثالثة

اسلحة الممالك

سلاحهم الاول قرابينة انجليزية [بندقية]، طولها ثلاثون قيراطاً، وعيارها من القوة بحيث تطلق عشر رصاصات او اثنتي عشرة في وقت معاً، ويحملون في اوساطهم غدارتين مشدودتين الى الشوب ببريم من الحرير. وتبدلي من القربوس ضمة من الاسلحة يستعملونها للقتل ضرباً [منها المقامع والخناجير]. ويتبدلي من حمالة في جنبهم الايمن سيف معقوف قلماً نشاهد نظيره في اوربا، طول نصله في خط مستقيم اربعة وعشرون قيراطاً، واذا قيس انحناءه فثلاثون قيراطاً. ولهذا الشكل الذي نراه مستغرباً ما يبرره عندهم. فقد دل الاختبار على ان النصل المستقيم يقتصر فعله على موقع الضربة وحينها لانه لا يقطع الا بالضغط، في حين ان النصل الاعوج ينزلق بقوة الدراع تفهقراً ويتسع مدى فعله. وهذه الملاحظة لم تفت البربر المقتنون في اساليب القتال والتقتيل. وهذا ما حمل الشرقيين على استعمال السيوف الخنية العريضة. والملوك العادي يجلب سيوفه من الاستانة ومن اوربا. اما البكوات فهم يتنازعون سيوف الفرس والمصانع القديمة في

وهي تنشب عادة في القاهرة نفسها. فتنفجر الفتنة في اوقات لا تبررها، ويمتطي البكوات الجياد، وينطلق صوت النذير، ويظهر المتقاتلون.

ويستحرق القتال مسايقة في شوارع المدينة. وتنتهي المعركة بسقوط بعض القتلى. ثم يوجه المغلوب في طريق المنفى. اما الشعب فلا علاقة له بهذا الاعتراك، اذ ما هم ان يتذابح الطغاة؟ ولكن لا يجوز لنا ان نمثله يشاهد القتال بهدوء وسكينة. ان وقوفه هذا الموقف في معمة الرصاص والسيوف يحيطه بأشد المخاطر. ومن اجل ذلك تراه يفر من ساحة القتال حتى يستقر السلام.

ولا يندر ان ترى الرعاع يعملون النهب في مساكن المنفيين، لا يصددهم عن ذلك اصحاب الغلبة. ومن الحسن ان نلاحظ ان هذه العبارات التي تقرأها في الباء اوربا: «الممالك يحصدون الانصار، البكوات استنفزوا الشعب الشعب يناصر هذا الحزب او ذاك، لا تعبر تعبيرا صادقا عن واقع الحال، لان الشعب في كل هذا عامل لا يعمل.

وقد تنتقل الحرب الى البراري حيث لا يسدى المتقاتلون من فنون القتال اكثر ما ابدوا منها في شوارع المدينة. فيهاجم اقوامهم او اجراهم الآخر ويتعقبه. فاذا تعادل الخصمان في الشجاعة تربص كلاهما او تواعدا الى مكان، حتى اذا تلاقيا فيه تقارب الحشدان مفرزات يسير في طليعتها اشد الجنود مراسا. فيتجابه القوم ويتداعون للنزاع، ثم يتهاجمون. ويختار كل رجل منزله. ويطلقون النار اذا استطاعوا، ولكن سرعان ما ينتلقون الى المقارعة بالسيوف. وهنا تظهر براعة الفارس ومرونة الفرس فاذا سقط هذا هلك ذاك.

وفي الهزيمة، ينهض الخدم اسيادهم. فاذا كانوا بمنجنى عن الرقيب قتلوه طمعا بما يحملونه من ذهب. وكثيرا ما يتقرر مصير المعركة بعد مقتل

ثم تنطلق بهم الجياد عدوا، فيرمون الجريد عن بعد، فاذا ما رمى المهاجم الجريد انشئ. فيلحق به من يليه ويرمى الجريد بدوره. وتواتى الجياد فوارسها مؤاتاة تحسب معها انها في مثل اغتباطهم. على ان هذه الغبطة شديدة المخاطر، فثمة سواعد ترمى بشدة، فتأتى ضرباتها جارحة بل قاتلة. والويل كان لمن لا يتقى جريد على بك.

ان هذه الالعاب التي تبدو لنا وحشية هي ذات علاقة بحالة الامم السياسية، وكانت شائعة بينا لثلاثة قرون خلت. وما كان تلاشيها نتيجة لحادثة هنري الثاني [الذي قتل بحربة اصابته احدى عينيه في سنة ١١٥٩م] او لفلسفة العصر، بمقدار ما كان نتيجة للسلام الداخلي الذي جعلها عديمة الفائدة واذا كانت قد بقيت على حالها عند الاتراك والمماليك، فما ذلك إلا لان فوضى المجتمع تضطرمهم الى التمرس بكل ما له علاقة بالحرب. فلنر اذا كانوا قد تقدموا في هذا الحقل بنسبة مراتهم عليه.

النبذة الخامسة

الفن الحربي عند المماليك

اذا تحدث الناس في اوربا عن فتنة او حرب، تمثلوا للحال رجالا موزعين كتائب وسرايا وكوكبات، وازياء عسكرية ملونة، ووحدات منتظمة خطوطا او صفوفافا، وحركات خاصة او مناورات شاملة، وبالجملة، سلسلة عمليات قائمة على قواعد موضوعة بعد امعان وتفكير. تلك التصورات تصدق عندنا. فاذا ما شئنا الانتقال بها الى البلاد التي ندرسها كانت مجرد اخطاء وحسب.

ان المماليك لا يعرفون شيئا من صناعات الحربية. فلا ازياء عندهم، ولا نظام، ولا وحدات، ولا انتظام، ولا يمثلون لأمر. فتجمعهم غوغاء، وسيرهم فوضى، واقتالهم براز، وحربهم شقاوة ولصوصية.

رجلين او ثلاثة.

وقد ادرك الممالك، فى هذه الآونة الاخيرة، ان مصلحة الحر تعود على اسيادهم، فتركوا لهم شرف المغامرة فى اخطارها. فاذا ربحوا كان ذلك من حسن طالع الجميع، وان غلبوا على امرهم استسلم الممالك للمنتصر، وهو كثيرا ما يكون قد فاوضهم على شروطه مسبقا. وهم يعرفون ان منفعتهم فى التزام السكون، فيطمئنون الى السيد الجديد الذى يجرى عليهم الاجر، ويرجعون فى ركابه الى القاهرة حيث يصبحون عائلة عليه بانتظار مصير آخر.

النبة السادسة

الانتظام عند الممالك

ان الترحرج الذى يسود الميليشيا ناشى عن اسباب تكوينها فذلك القروى الفتى الذى بيع فى منغوليا او جيورجيا لا تطأ قدماه ارض مصر حتى تتطور افكاره وتفتح عيناه على حياة واسعة المجال فكل ما حوله يوقظ طمعه وجرائه. وعلى كونه ما برح رقيقا يشعر انه معد لأن يصبح سيذا، ويتلبس للحال بذهنية حالته المقبلة، ويساوم على حاجة مولاه اليه، فيبيعه خدماته واخلاصه، ويقيسها بالاجر الذى يتقاضاه او بالذى يترقبه. ولما كان هذا المجتمع لا يحدوه الا عامل المال، فان اخص ما يهتم له الاسياد ارضاء جشع خدمهم استبقاء لتعلقهم بهم. وهذا هو السبب فى اسراف البكوات الآيل الى خراب مصر التى ينهبونها نهبا، وفى تمرد الممالك على اسيادهم وهم يبتزون اموالهم، وفى هذه الدسائس التى مائزال تهزم هذا كبارا وصغارا. اذ لا يكاد يعتق الرقيق حتى يتطلع الى اعلى المناصب. ترى، من يستطيع الحد من مطامعه؟ ليس فى من يتولون القيادة من مواهب التفوق ما يفرض

الاحترام، فهو لا يرى بينهم الا جنودا مثله رقا الى السلطة بمراسيم القوى. فاذا شاء هذا القوى ان يوعاه وصل به الى المقام نفسه. ولا تعوزه عندئذ البراعة فى فن الحكم لان هذا الفن ان هو الا قبض المال وضرب السيف. ونشأ عن هذه الحال بدخ مستفيض انطلقت معه أعنة الحاجات جميعا حتى لم يبق حد لشراهة العظماء. وقد بلغ هذا البدخ مبلغا عظيما حتى اصبحت تكاليف المملوك الواحد لا تنقص عن الفين وخمسمائة ليرة. وقد يكلف بعضهم ضعفى هذه القيمة. فكلما حل رمضان جاء بأثواب جدد من أجواخ فرنسا وانسجة البندقية واقمشة دمشق او الهند. وكثيرا ما تستبدل الجياد والاسرجة، والغدارات، والسيوف، والركب المذهبة، واللجومات المفضضة.

اما القادة فيخصون، تمييزا لهم عن العامة، بالحلى والحجارة الكريمة، والجياد العربية (ثمن الواحد يراوح بين مائتين وثلاثمائة ليرة فرنساوية)، وشالات الكشمير (ثمن الواحد من خمس وعشرين الى خمسين ليرة فرنساوية)، وفروا عديده ابخسها ثمننا يساوى خمسمائة ليرة. وقد لبذت النساء زينة الدنانير المصقفة على الرأس والصدر، بحجة انها مفرطة فى بساطتها، واستعصن عنها بالماس والزمرد واللؤلؤ، واضفن الى الشالات والفراء انسجة مدينة ليون وزخارفها. فمتى كانت هذه حاجات طبقة حاكمة لا تتعرف بحق ملكية او حياة، تراءت لنا عواقب تلك الحاجات على الطبقات المكروهة على سد تلك الحاجات وعلى اخلاق اصحابها.

النبة السابعة

ان آداب الممالك هى من التفسخ بحيث يخشى على من وصفها، بمجرد حقيقتها، ان

بهذه الذهنية. وهي تقتصر من جهة على المداورة تجاه بلاط الاستانة تجنباً للضرائب ولغضب السلطان، ومن جهة أخرى على شراء العديد من العبيد، ومضاعفة عدد الاصدقاء، وتلافي المؤامرات، وابادة الخصم المستتر بالسّم والحديد. والرؤساء ابداء في حالة النذير، يعيشون عيشة الطفافة القدماء في سرقوزة، فلا ينام مراد و ابراهيم إلا بين القرايينات والسيوف. وليس لهذا المجتمع اى المام بفكرة الامن والنظام العام. والغرض الوحيد عند هؤلاء القوم الحصول على المال. والاستيلاء عليه حيثما يظهر، واغتصابه ايا كان مالكه، وفرض الضرائب على القرى او على الجمرك الذى يحيلها على تجارة البلاد.

النبذة الاولى

حالة الشعب فى مصر

كل ما فى مصر يتفق والنظام الذى يسودها. فحيثما لا ينعم الفلاح بشمرة اتعابه تراه ينصرف الى العمل كارها، فتहन الزراعة. وحيث لا ضمانه حرية الاستمتاع فلا صناعة قائمة، والفنون بدائية. وحيثما لا تجدى المعارف نفعا فلا ينشط الناس الى اقتباسها وتبقى العقول على وحشتها. وهذه هى حالة مصر. فان معظم اراضيها فى يد البكوات والمماليك ورجال الشريعة. اما اصحاب الاملاك الآخرون فعددهم جد محدود، فضلا عما يصيب املاكهم من التكاليف وما يتعاقب عليها من الضرائب والمكوس. والارث عندهم لا يشمل العقارات، بل هى تؤول الى الحكومة، ومنها يشتريها اصحابها. والفلاحون آلات مأجورة لا يترك لهم للمعاش إلا ما يقيهم الموت. وما يحصلونه من ارز وحنطة يذهب الى موائد اسيادهم، فيما يحتفظون الذرة ويصنعون منها خبزاً بلا خمير، لا طعم له اذا كان بارداً،

يتعرض لتهمة المبالغة المفرضة. فقد ولد معظمهم على المذهب اليونانى، وهم يطهرون عندما يشتريهم مواليتهم، ولكنهم فى نظر الاتراك كفار لا دين لهم ولا ايمان. وانهم غريباء عن بعضهم لا تربطهم العواطف الطبيعية التى تجمع بين سائر الناس. ولما كانوا لا اهل لهم ولا اولاد، فلا الماضى فعل شيئاً فى سبيلهم، ولا هم يفعلون شيئاً فى سبيل المستقبل. وتراهم جهلة تعودوا الخرافات بحكم التربية، والشراسة عن طريق القتل، والعصيان عن طريق الاضطرابات، والخيانة عن طريق الدسائس، واللؤم عن طريق المواربة، وفساد الاخلاق عن طريق التهلك على انواعه. وهم بصورة خاصة مستسلمون لهذا النوع المخزى الذى طالما كان رذيلة اليونان والتتر [اللواط]: وهى الامثلة الاولى التى يتلقونها من اسيادهم فى السلاح. ولا يجد المرء تفسيراً لهذا الميل متى عرف ان لهم جميعاً نساء. هذا ما لم نفترض انهم يبحثون فى احد الجنسين عن اللذة التى حرموها فى الجنس الآخر. والواقع انه ليس من ملوك واحد بلا وصمة.

حكومة المماليك

هذا هو نوع الناس الذين يتحكمون اليوم فى مقدرات مصر ويربى الحكومة رجال من هذا الطراز. اما طريق الوصول الى هذه المعالى فبعض ضربات سيف موفقة وايغال فى الرياء او الجراة. ومن الطبيعى ان هؤلاء الوصوليين لا تبدل طباعهم بتبدل الحظوظ، فهم ينطرون على نفوس عبيد فى اثواب ملوك. وكانت السيادة فى نظرهم عبارة عن ذلك الفن الصعب الذى يوجه الميول المختلفة فى امة كثيرة العدد نحو غرض مشترك، ولكنها وسيلة للاستكثار من النساء والحلى والجياد والعبيد، وارضاء الهوى. فالادارة داخلية كانت او خارجية مسيرة

يختبرونه في ملة وقدها من ورث الجواميس والبقر. [الجلّة] فهذا الخبز مضافا الى الماء والبصل النيء قوتهم طوال العام. ويحسبون سعدها اذا تخلل طعامهم هذا شيء من العسل والجن واللبن الرائب والتمر. اما اللحم والشحم فمادتان يرغبون فيهما كثيرا، ولكن لا اثر لهما في مآكلهم في غير الاعياد الكبرى، وفي بيوت اهل السعة منهم. وملبسهم كله عبارة عن قميص من الخام الازرق وجبة سوداء من نسيج خشن. وتعلوا رؤوسهم قلنسوة من الكتان يطوقونها بمنديل من الصوف الاحمر. اما الذراعان والساقان والصدر فعارية جميعها. واغلبهم لا يلبس السراويل. ومساكنهم اكواخ ترابية يضيق الصدر من قيظها ودخانها، وتحاصرهم فيها الامراض الناشئة عن الاوساخ والرطوبة والغذاء الرديء. اصف الى هذه الادواء الجسدية ما ينتابهم من خوف الغزو والنهب [من البدو العرب] وزيارات المماليك والانتقامات العائلية ومشاكل الحرب الاهلية المستديمة. هذه هي صورة تنطبق على كل القرى. وليست صورة المدن اكثر بهجة منها. ففي القاهرة نفسها يروع الغريب منظر الخراب والشقاء الشاملين. فثمة جماعات تزدحم في الازقة باطمار بالية تنبوعها النواظر، واجسام عارية تشمئزها النفوس. وكثيرا ما تلتقى خيالة يرتدون الشياب الشمينة. بيد ان هذا البذخ يجعلك اكثر تألما لمنظر البؤس والشقاء. فكل ما ترى وتسمع ينبئك انك في بلد العبودية والطغيان. فلا تسمع إلا أحاديث الاضطرابات الاهلية، والفقر الشامل، وابتزاز المال، والضرب والقتل. فما من حرز يعصم الحياة او الملك. ويسفك دم الرجل كما يسفك دم الثور. والقضاء نفسه يريقه دون ما تقيد بصيغة او شكل. فضابط الليل في طوافه وضابط النهار في تجواله يحاكمان ويحكمان وينقلدان في لغة البصر. ويرافق

كليهما جلادون يقطعون الرؤوس عند اول اشارة يتلقونها، ويلقونها في اكياس من الجلد مخافة ان تدلس الارض. وليت الناس يتعرضون للعقاب بسبب جريمة ولو صورية! ولكن ما يحدث غالبا هو ان جشع ذوى السلطان او وشاية عدو يكونان السبب في ان يساق امام البك رجل تذهب المظان الى انه ذو مال. فيفرضون عليه اداء مبلغ منه، حتى اذا الكر قلبوه على ظهره وجلدوا باطن قدميه مائتين او ثلاثمائة جلدة، وقد يقتلونه بهذه الطريقة. والويل لمن يشتبه فيه انه من اهل السعة واليسار، فثمة مائة دساس عى اهبة السعى به. ولا يستطيع التملص من اغتصاب ذوى السلطان الا اذا ظهر بمظهر الفقر والبساء.

النبذة الثانية

العشقاء والجماعة في السنوات الاخيرة

تفاقت حالة البؤس في العاصمة المصرية ابان السنوات الثلاث الاخيرة. فقد تضافرت مع المساوى المعتادة الناشئة عن الطغيان المتمادى واضطرابات السنوات السابقة كوارث طبيعية اكثر تهديما. فقد نفذ الهواء الاصفر من الاستالة في خريف سنة ١٧٨٣ وفتك بالسكان فتكا ذريعا في فصل الشتاء حتى لقد خرجت الف وخمسمائة جثة من ابواب القاهرة في يوم واحد. وجاء الصيف فحد من شدة الوباء، على ما لوف نتاجه في هذه البلاد. وعقبت هذه الكارثة كارثة اخرى مثلها هولا. فقد جاء فيضان سنة ١٧٨٣ ناقصا بحيث بقي جزء كبير من الاراضى بورا لعدم الري، ولم يزرع قسم آخر لافتقار الناس الى البدار. وكان النيل لم يبلغ الحد المواتى في سنة ١٧٨٤. فحجم القمح. ولم ينقص شهر نوفمبر حتى كانت الجماعة قد حصدت من

سكان القاهرة عددا يكاد يضاهي ما حصده الهواء الاصفر منهم واقفرت الشوارع من المتسولين الذين كانوا يملأونها لانهم هلكوا او ترحلوا . ولم تكن الكارثة اقل هولاً في القرى، فقد هجرها عدد عديد من السكان هرباً من الفناء، وانتشروا في البلاد المجاورة. وقد شاهدتهم في سوريا خلال السنة ١٧٨٥ افواجا وجماعات. وكانت ازقة صيدا وحيفا وسائر فلسطين تعج بالمصريين، وعلامتهم الفارقة لولهم الضارب الى السواد وقد توغل فريق منهم حتى حلب وديار بكر.

ليس في الامكان حصر مقدار النقص في عدد السكان خلال هاتين السنتين، لان الاتراك لا سجلات عندهم للمواليد والوفيات والاحصاء. وفي الرأي السائد ان البلاد فقدت سدس ساكنيها.

وقد تكررت في هذه الاحوال جميع المشاهد التي تقشعر من وصفها الابدان وتطبع في النفس تأثيرات من الهول والكآبة لا تمحي. فقد كانت الشوارع والساحات العامة - على نحو ما حصل ابان مجاعة البنغال لسنوات خلت - مزدحمة بهياكل منهوكة القوى تستجدي باصواتها الواهنة شفقة عابري السبل، ولكن على غير طائل، لان خوف الخطر المشترك حجب القلوب. فكان هؤلاء التعساء يلفظون آخر انفاسهم، فيما هم مستلقون بظهورهم على منازل البكوات التي يعرفون انها تزخر بالحنطة والارز. وكثيرا ما كان صراخهم يزعج الممالك فيطاردونهم باعقاب العصي.

ولم ينفر الجوع من اية وسيلة كانت لسد ما بهم من كلب الجوع، فقد التهموا اقذر الاشياء. ولا انسى قط مشهدا شاهدته في عودتي من سوريا الى فرنسا في شهر مارس سنة ١٧٨٥ . لقد رأيت تحت اسوار الاسكندرية القديمة ناعسين جائعين على جثة

جمل ينارغان الكلاب قطع لحمه النتن.

وهناك نفوس شديدة المراس بعد ان تؤدي قسطها من الشفقة تجاه هذه النكبات العظيمة لا تتمالك من ان تتولاها ردة من الغضب على من يكابدونها. فتري ان هذه الشعوب التي لا تملك الشجاعة لدفعها او تتلقاها دون ان تتأسى بالانتقام خليقة بأن تموت. ويذهب البعض الى القول مجازفة ان في هذه الوقائع دليلا على ان سكان البلاد الحارة مستضعفون طبعا ومزاجا، وان الطبيعة اعدتهم لان يكونوا ابدا عبيد الاستبداد.

ولكن هل بحث هؤلاء فيما اذا كان تلك الحوادث وما يماثلها لم تقع في مناخات يريدون ايلاءها شرف الاستثثار بامتياز الحرية؟ وهل لاحظوا اذا كانت الحوادث العامة التي يستندون اليها لا ترافقها احوال وملابس تشوه نتائجها؟ في السياسة كما في الطب من الاعراض ما يضللك عن حقيقة اسباب الداء. وكثيرا ما يتعجل الناس في وضع القواعد الكلية بالاستناد الى حوادث فردية، فيأتون بهذه المبادئ الشاملة التي، وان كانت تروق العقل، الا انها كثيرة الابهام. من النادر ان تكون الوقائع التي يدور عليها التعليل صحيحة، لان ملاحظتها هي من الدقة بحيث يخشى غالبا ان تقوم المذاهب على قواعد وهمية.

وفي الحالة التي نحن في صدددها، اذا تقصينا اسباب استكانة المصريين للارهاق، وجدنا ان هذا الشعب الذي تسوده احوال قاسية اجدر بالشفقة منه بالاحتقار. والسبب في ذلك ان الحالة السياسية في هذه البلاد غيرها في اوروبا . فان آثار الثورات القديمة عندنا ما برحت تتضاءل يوما بعد يوم حتى تقرب الغرباء الغالبون من الوطنيين المغلوبين على امرهم، وتولدت من امتزاجهم امم متماثلة، موحدة المصالح. اما في مصر وفي معظم آسيا فقد اصبح

الوطنيون مستعبدين - على اثر انقلابات حديثة العهد - لفاتحين غرباء، وتألفت من الفريقين جماعات مختلطة متباينة المصالح. فالدولة هنا فئتان: فئة الشعب المنتصر التي يحتل افرادها جميع مناصب السلطة المدنية والعسكرية، وفئة الشعب المغلوب الموزعة بين الطبقات المرؤوسة في المجتمع. والفئة الحاكمة التي تخول نفسها حق الاثرة في الملكية بقوة الفتح لا ترى في الفئة المحكومة سوى آلة طيعة للاستمتاع. وهذه الفئة الاخيرة، وقد تعرت من كل مصلحة شخصية، لا تؤدي للفئة الاخرى الا اقل ما يمكنها اداءه. فان الحكومات في دول اوربا تستمد وسائل الحكم من صميم الامم. وليس من السهل عليهما او من الموافق لهما ان تتعسف في استعمال السلطة.

ومهما يكن من امر فهي لا تبلغ في استعمالها حدود الظلم والطغيان. وسبب ذلك انه فضلا عن تلك الجماهير التي يسمونها الشعب القوى بكتلته الضعيف ابدا باختلافاته، توجد طبقة اخرى تتوسط الشعب والحكومة وتوازن بين كليهما، وهي طبقة الاثرياء الموزعين في المناصب الاجتماعية الذين يعينهم ان تحترم حقوق الاحتراز والملكية. اما في مصر فليس من حالة وسطى، ولا طبقات اشراف وكهنة وتجار وملاكين يتكون منهم جسم وسط بين الشعب والحكومة. فالناس هناك اما جنود ورجال شريعة اى رجال حكم، او فلاحون وحرفيون وتجار واخص ما يعوز الشعب الوسيلة الاولى لخاربة الظلم، وهي توحيد القوى وتوجيهها عليه. ان ابادة الممالك تقتضى ان يتآزر الفلاحون جميعا ويشوروا. وفي هذا الامر استحالة يرجع سببها الى النظام طريقة الاستبداد، ففي كل ولاية او قضاء حاكم، وفي كل قرية قائمقام يسهر على حركات الجمهور. وهو ان كان واحدا ضد الجميع، فان السلطة التي

يمثلها تجعله قويا مهابا. وقد دل الاختبار على ان الرجل الذي تدفعه الشجاعة الى سيادة قوم يجد بينهم اذلاء يهرعون لمساندته. ان هذا القائم مقام يكل الى بعض افراد الشعب شيئا من سلطته، فيصبحون اسنادا له، ثم يتحاسدون ويتنازعون على رضاه، فيستعملهم الواحد بعد الآخر ليأتى عليهم جميعا. وفي القرى من التحاسد والبغضاء ما يدس التفرقة والتخاذل. ولكن اذا افترضنا ان السكان اتحدوا وتضاموا، وفي الامر ما فيه من الصعوبة، فاي قدرة لزمرة من الفلاحين المشاة الحفاة ولو تسلحوا بالعصى والبنادق تجاه فرسان شاكي السلاح مدربين على اساليب القتال؟ ان لايأس بوجه خاص من خلاص مصر كلما تأملت طبيعة ارضها المؤاتية للفروسية. فاذا كانت افضل كتاب المشاة عندنا ما برحت تهرب منازلة الفرسان في السهل، فما قولك في شعب يجهل فنون القتال البدائية، ولا يتيسر له ان يقتبسها لانها ثمرة المران، والمران عندهم امر محال. ان الحرية لا تجد مواردها الكبرى الا في البلاد الجبلية، حيث تستطيع الشرذمة الصغيرة الاستعاضة عن العدد بالحدق والبراعة. فهي متحدة في بادئ الامر بسبب قلة عددها، وتكتسب كل يوم قوى جديدة بسبب تعود استعمالها. وترى المستبد المقتدر قد حدث السلطة من نشاطه فيما طل، ولاتلبث هذه الجماعات من الفلاحين او السرايين التي كان يحثقها ان تصبح متمرسه بالحرب، فتنازعه في السهول فن القتال وثمره الغلبة.

ويختلف الامر في البلاد المسطحة حيث تفرق التجمعات على اهنون سبيل، بحيث لا يبقى للفلاح - وهو الذي لا يعرف حتى اقامة المتاريس - من مورد الاشقة سيده والاستمرار في العبودية. واذا كان من مبدأ عام يجوز الاخذ به فليس اصدق من

لنسانهم وبناتهم لاقل اخلال بالعفاف، فى كل ذلك دليل على انه اذا كانت العادة قد ايقظت فيهم النخوة فى بعض النواحي، فان هذه النخوة لا يعوزها إلا التوجيه حتى تصبح شجاعة رهيبة. ان الفتن التى يشيرونها آونة بعد اخرى، وقد عيل صبرهم - فى مديرية الشرقية خاصة - تدل على نار تحت الرماد تنتظر للانفجار يدا تعرف كيف تحركها.

النبذة الثالثة

حالة النفسون والنفوس

ان الحائل العظيم دون ثورة حسنة الطالع فى مصر انما هو الجهل المدقع الذى تتمرغ فيه الامة. وهذا الجهل، وقد اعمى العقول عن اسباب الادواء وعن ادويتها، قد عماها كذلك عن وسائل التداوى. انى وقد نويت العودة الى هذا الموضوع لا تبسط الآن فى تفاصيله، وحسبى الملاحظة ان هذا الجهل الشائع بين جميع الطبقات يمتد بمفاعليه الى جميع فروع المعارف الادبية والطبيعية والعلوم والفنون الجميلة حتى الفنون الميكانيكية التى ما يزال ابسطها فى دور نشأته، واشغال التجارة والحدادة والاسلحة بعيدة عن الاحكام والاتقان. اما السلع والبضائع الحديدية وانابيب البنادق فتستورد من الخارج، وانك بالجهد تجد ساعاتيا فى القاهرة، وهو اوروبى والصاغة اكثر عددا مما هم فى حلب وازمير. ولكنهم اعجز من ان يحكموا تركيب حجر كريم. وفى القاهرة يصنعون البارود، ولكنه خشن. وثمة معامل للسكر يستخرج منها دبسى المادة. والايض منه كثير التكاليف. والاسجة الحريرية على شىء من الاتقان، ولكنها اقل اتقاناً بمراحل من مثيلاتها فى اوروبا واعلى ثمناً.

القول : ان البلاد السهلية مقام الخمول والعبودية، والجبال وطن النشاط والحرية. وقد يكون فى حالة المصريين الحاضرة ما يكبت شجاعتهم دون ان يصح القول ان بذورها ليست فى طبائعهم او ان المناخ قد حرمهم اياها. وفى الواقع ان هذا الجهد المستمر فى النفس، الذى يسمى الشجاعة، انما هو صفة نفسية اكثر منها جسدية. وما كانت حرارة المناخ مرتفعة او منخفضة لتوحى الجرأة على اقتحام المخاطر بمقدار ما تبعثه عليها المروءة والثقة بالنفس.

فاذا العدم هذان العنصران جاز ان تلبث الشجاعة فى جمود على انه اذا كان ثمة من قوم جديرين بالحماسة فهم اولئك الذين تمرست اجسامهم بالالم واكتسبوا صلابة تغلب عليه، كالمصريين مثلاً، فقد اخطأ من وصفهم انهم اناس اوهنهم الحر، او خنثتهم الخلاعة اجل، قد يكون لسكان المدن واهل الثراء هذا التأث الذى هو خاصة من خصائصهم ايا كان المناخ. بيد ان القرويين المسمين بالفلاحين تحقيراً لهم، يعانون من المشقات ما يثير الدهشة والاستغراب. فانك لتراهم طوال ايام يغترفون من مياه النيل عراة معرضين لحرارة شمس تقتل امثالنا. ومن كانوا منهم خدماً للمماليك قاموا بكل حركات الفارس، فهم يتبعونه فى المدينة، وفى الحقل، وفى الحرب، وفى كل مكان ابداً مرتجلين، ويقضون اياماً كاملة يتعقبون الغيول او يتقدمونها ركضاً، حتى اذا ادركهم التعب تعلقوا باذيالها كيلا يتخلفوا. وثمة سمات نفسانية تفضى بنا الى استقراءات مماثلة لتلك المظاهر الجسدية. فان العناد الذى يديه القرويون فى بغضائهم وفى ثاراتهم وشراستهم فى اقتالهم قرية واخرى وتمسكهم بشرف المحافظة على السر برغم ضربات العصي ووحشيتهم فى معاقبة

حالة التجارة

قد يدهش المرء وسط هذه الهمجية الشاملة ان تحتفظ التجارة بهذا النشاط في القاهرة. على ان من يتفحص مواردها بامعان يتبين ان ثمة سببين يجعلان من القاهرة مركزا لتجارة واسعة:

الاول استجماع ما تستهلكه البلاد في دائرة هذه المدينة. فهي موطن كبار الملاكين كافة كالمماليك ورجال الشريعة الذين يحصرون فيها جميع حاصلاتهم دون ان يردوا شيئا الى البلاد التي تنتجها. والشأنى مركزها الذي يجعل منها مجازا الى جزيرة العرب والهند عن طريق البحر الاحمر، والى الحبشة عن طريق النيل، والى اوروبا والسلطنة العثمانية عن طريق البحر المتوسط. فتقبل على القاهرة في كل سنة قافلة من الحبشة تنقل الرقيق (يرواح عددهم بين الف عبد والف ومائتين) والعاج ومسجوق الذهب وريش النعام والصموغ وطيور الببغاء والقرودة. وتقوم من اقاصى مراكش نحو مكة قافلة اخرى يفد عليها حجاج تلك النواحي حتى شواطئ السنغال. فتسير بمحاذاة المتوسط لينضم اليها حجاج طرابلس وتونس وغيرهم، حتى تطلع على الاسكندرية عبر الصحراء بثلاثة آلاف جمل او اربعة، ثم تهبط القاهرة لتنضم الى قافلة مصر، فتيممان مكة معا، وتعودان منها بعد مئة يوم.

على ان حجاج مراكش الذين تفصلهم عن بلادهم مسافة ستمائة فرسخ فهم لا يرجعون اليها الا بعد مضي سنة او تزيد. وتحمل هذه القوافل معها النسجة الهند والشيلا والصموغ والعطور واللؤلؤ والبن اليمني بنوع خاص. وهذه البضائع تصل ايضا الى السويس على ظهور السفن الشراعية التي تنطلق من جدة في شهر مايو عند مؤاتة الريح الجنوبية. اما القاهرة فلا تحتفظ بهذه البضائع كلها. بيد انها

فضلا عن القسم الذي تستهلكه منها تفيد من رسوم المرور ومن نفقات الحجاج. وتأتيها من دمشق حين بعد آخر قوافل صغيرة تنقل اليها الحرائر والقطنيات والزيت والثمار المجففة. ولا يخلو مرفأ دمياط في الربيع من السفن التي تفرغ فيه مشحونات التبغ اللدقاني الذي يستهلك في مصر على نطاق واسع جدا. وتحمل هذه السفن من مصر الارز، فيما تتوارد سفن اخرى دون ما انقطاع على الاسكندرية ناقلة اليها من الاستانة الاثواب والاسلحة والفراء والمسافرين والادوات المعدنية، ومن مرسيليا وليفورنو والبندقية الكتان والحرير والخموضات والورق والحديد والرصاص الخ... وتنقل هذه السلع الى الرشيد بحرا ثم توجه على القاهرة عن طريق النيل. وتدل ذلك هذه النظرة الشاملة على اتساع سوق التجارة في القاهرة، ولكن متى عرفت ان قسما كبيرا من البضائع الهندية والبن يذهب الى الخارج، وان اثمانه تسدد سلعا وبضائع من اوروبا وتركيا، وان معظم استهلاك البلاد يدور على ادوات البدخ والترف في حين ان اكثر منتوجاتها من المواد الخام، تبين لك ان هذه التجارة الواسعة لا تعود على مصر بالمنافع الكثيرة والرخاء الوفير.

الطاعون

شاء بعضهم ان يحملنا على الظن ان الطاعون ينشأ في مصر. بيد ان الواقع يكذب هذا الرأي القائم على الاطاني المبهمة، اذ يؤكد تجارنا المقيمون في الاسكندرية منذ سنوات طويلة ان الطاعون لا يتسرب قط من داخل البلاد، ويوافقهم المصريون على ذلك، بل انه يظهر اولا على ساحل الاسكندرية، فينفذ منها الى رشيد، ومن رشيد الى القاهرة، فالى دمياط، فالى سائر الدلتا. ويلاحظون ان هذا الوباء ينتشر دائما على اثر وصول احد المراكب المقلعة من ازمير او الاستانة، وانه اذا كان

شديدا ابان فصل الصيف فى احدى المدن المذكورة كان خطره اشد على المدينة الاخرى فى فصل الشتاء الذى يليه. ويدو من الثابت ان موطنه الحقيقى الاستانة حيث يتأبد بفضل ما يظهر الاتراك من اهمال اعمى اذ تباع امتعة الموتى الموبوتين علانية. ثم تأتى سفن الاسكندرية فتتقل الفراء والاثواب الصوفية المباعة على النحو المذكور، وتصرفها فى اسواق المدينة حيث تزرع جراثيم الرباء. واليونانيون الذين يتعاطون هذه التجارة هم فى الغالب ضحاياها الاولى. ويمتد الرباء شيئا فشيئا الى رشيد حتى ينتهى الى القاهرة متأثرا فى مسيرة الطريق الذى تسلكه البضائع يوميا. اما التجار الفرنجة فلا يكادون يستشعرون وقوع الداء حتى يعتصموا فى «خاباتهم» مع خدمهم، ويقطعوا كل صلة بالخارج، فتسلم اليهم اقواتهم عند باب الخان، فيتسلمها البواب بكلايب من حديد، ويضعها فى برميل ماء معد لها. فاذا ما شاء احد مكالمتهم، وقفوا منه على مسافة تحول دون التماس بالثياب او بالنفس. وهم بهذه الطريقة يتقنون الآفة ما لم يخلوا بقواعد الاحتراز. فقد حدث منذ سنتين ان هرا قفز عن السطوح الى مقر تجارنا، فنقل الطاعون الى رجلين منهم مالبث احدهما ان قضى تحبه.

ويمكنك ان تتصور مبلغ الضرر الذى يستولى على هؤلاء القوم فى احتباسهم، وهو يستمر من ثلاثة شهور الى اربعة، يقتصرون خلالها على التلهى بلعب الورق والتنزه مساء على السطوح.

وما يسترعى النظر ان الطاعون يتسلط فى الاستانة صيفا فيما يضول او يزول شتاء. وهو بالعكس يسيطر فى مصر شتاء حتى اذا ما اطل شهر يوليو اباده. بيد ان هذه الغرابة الظاهرة تقوم على قاعدة واحدة. فالشتاء يبيد الطاعون فى الاستانة لان بردها قارس جدا، والصيف يذكيه لان الحرارة فيها مشوبة بالرطوبة بسبب جوار البحار

والجبال والغابات. وفى مصر يثيره الشتاء بسبب رطوبته واعتداله، ويمحقه الصيف لانه حار وجاف. ويعمل فيه عمله فى اللحوم التى يمنعها من الفساد. وما كانت الحرارة مؤذية إلا بمقدار ما تمتزج بالرطوبة [لنلاحظ فى القاهرة ان السقائين حملة الماء الذين ترشح عليهم المياه الباردة باستمرار من القرب التى يحملونها فوق ظهورهم لا يصابون قط بالطاعون، ولكن الأمر هنا اغتسال لارطوبة]. ان مصر تنكب بالطاعون كل اربع سنوات او خمس. ولكن ما يحدثه من التلف فى الارواح خليق بان يجعلها قاعا صفصفا لولا ما تعاض به من الغرباء المقبلين عليها جماعات من سائر ولايات السلطنة.

اما فى سوريا فالطاعون نادرا جدا، وقد مضت خمس وعشرون سنة على آخر مرة تفشى فى انحاءها. ويرجع ذلك الى ندرة السفن المقبلة من الاستانة توا. فضلا عن انه لا يتبلد بسهولة فى هذه الولاية. فاذا ما نقل من الارخبيل او من دمياط نفسها الى خلجان اللاذقية او صيدا او عكا، فهو لا يتأصل فيها. ويقتضى له لكى يغزو سوريا بأسرها ان تلبسه احوال اعدادية ويمر بطريق معينة كان يأتى من القاهرة الى دمشق رأسا.

ان التسليم للقدر مضافا الى همجية الحكومة قد حال حتى اليوم دون الاحتراز من هذا الداء الويل. على ان الاتراك تأثروا اخيرا بجذوى الوسائل التى اعتمدها الفرنجة. ويدو ان الباب العالى اصبح باذى الاهتمام للقضية، اذا صح انه اصدر فى العام المنقضى ارادة بالنشاء محاجر صحية فى ازمير وكنديا والاسكندرية. وسبق لحكومة تونس ان تذرعت بهذا التدبير الرشيد منذ سنوات على ان فوضى الادارة التركية كفيلة بان ينتهى الامل بهذه المؤسسات الى اخفاق رغم مالها من الاهمية القصوى للتجارة ولسلامة دول البحر المتوسط.

- تقديم الجزء الثانى ٥
- هوامش ٦٣
- فصل عود وانعطاف ٦٩
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٦٣ = ١٧٤٩ م (اضافة) -
- نيابة أحمد باشا كور [النائب رقم ١٠٢] -
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٦٤ = ١٧٥٠ م (اضافة) ٧٠
- أحمد باشا يهاجم علماء الأزهر ٧٢
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٦٥ = ١٧٥١ م (اضافة) -
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٦٦ = ١٧٥٢ م (اضافة) ٧٣
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٦٧ = ١٧٥٣ م (اضافة) -
- نيابة عبد الله باشا [النائب رقم ١٠٣] ٧٤
- نيابة محمد باشا أمين [النائب رقم ١٠٤] -
- المصريون الاقباط يجهزون قافلة للحج إلى القدس والمشايخ يهاجمونها ٧٥
- نيابة مصطفى باشا بلطجى [النائب رقم ١٠٥] ٧٦
- نيابة على باشا حكيم [نيابة ثالثة رقم ١٠٦] حضر فى خدمته أحمد برشناق [الجزائر] -
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٦٨ = ١٧٥٤ م (اضافة) ٧٧
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٦٩ = ١٧٥٥ م (إضافة) ٧٨
- * ذكر من مات فى هذه الاعوام من العلماء والاعيان:
- ٢٣٢ - محمد القلبنى (كان ينفق من الغيب) ت : ١١٦٤ = ١٧٥٠ م ٧٧
- ٢٣٣ - محمد بن أحمد العشماوى (شافعى) ت : ١١٦٧ = ١٧٥٣ م -
- هامش: موجز لاحداث عام ت : ١١٦٩ = ١٧٥٥ م (اضافة) ٧٨
- ٢٣٤ - سالم بن محمد النفراوى (مالكى) ت : ١١٦٨ = ١٧٥٤ م ٧٩
- ٢٣٥ - سليمان بن مصطفى المنير (حنفى) ت : ١١٦٩ = ١٧٥٥ م -
- ٢٣٦ - عمر بن محمد الشنوائى. ت : ١١٦٧ = ١٧٥٣ م ٨٠
- ٢٣٧ - صالح الفلاح. (مؤسس بيت الفلاح) -
- هامش: موجز لاحداث عام ١٧٧٠ = ١٧٥٦ م (اضافة) -

- ٨١ هاشم: بعض التحولات في النظام المملوكي في ظل الاحتلال العثماني.
- ٨٢ ٢٣٨ - ابراهيم كتحدا القازدغلي . ت: ١١٦٨ = ١٧٥٤ م.
- ٨٦ ٢٣٩ - رضوان كتحدا الجلفي (بموته لم يقم لوجاق العزب صوله).
- ١١٥ ٢٤٠ - احمد بن محمد الشرايبي (من اعيان التجار المغاربة بمصر).
- ١١٨ ٢٤١ - احمد جليبي ابن الامير علي . ت: ١١٧١ = ١٧٥٧ م.
- ١١٩ ٢٤٢ - السلطان محمود خان . ت: ١١٦٨ = ١٧٥٤ م.
- ٢٤٣ - حمودة السديدي . ت: ١١٦٣ = ١٧٤٩ م (من شعراء الامير رضوان).
- ١٢٠ ٢٤٤ - محمد جليبي الصابونجي.
- ١٢٢ فصل في بيت القازدغلية.
- ٢٤٥ - حسين بك كشكش.
- ١٢٦ ٢٤٦ - عبد الله الشبراوي . شيخ الأزهر (شافعي) . ت: ١١٧١ = ١٧٥٧ م.
- ١٣٠ ٢٤٧ - حسن بن علي المنطاوي المدابغي (شافعي) . ت: ١١٧٠ = ١٧٥٦ م.
- ١٣٢ ٢٤٨ - محمد بن الطيب الفاسي . ت: ١١٧٠ هـ.
- ٢٤٩ - داود بن سليمان الشرنوبى الخربتاوي (مالكي) . ت: ١١٧٠ هـ.
- ٢٥٠ - محمد بن علي الجزائى العارف بالله . ت: ١١٧٠ هـ.
- ٢٥١ - محمد بن احمد (حنفي) . ت: ١١٧٠ هـ.
- ١٣٤ ٢٥٢ - علي بن تاج الدين القلعي (حنفي) . ت: ١١٧٢ = ١٧٥٨ م.
- ١٤٨ ٢٥٣ - علي بن جبريل (طبيب) . ت: ١١٧٠ هـ.
- ١٥٥ ٢٥٤ - عبد الوهاب الدبلي (ابن خال والد الجبرتي) . ت: ١١٧١ = ١٧٥٧ م.
- ١٥٦ ٢٥٥ - علي بن خضر العمروسي (مالكي) . ت: ١١٧٣ = ١٧٥٩ م.
- ١٥٧ ٢٥٦ - محمد بن وفا (شيخ الاشراف) . ت: ١١٧١ = ١٧٥٧ م.
- ٢٥٧ - حسين الخلي (شافعي) . ت: ١١٧٠ = ١٧٥٦ م.
- ١٥٩ ٢٥٨ - عبد الوهاب بن عبد السلام البرهاني (مالكي) . ت: ١١٧٢ = ١٧٥٨ م.
- ١٦١ ٢٥٩ - محمد بكري بن ابي السرور (شيخ السجادة البكرية) . ت: ١١٧١ = ١٧٥٧ م.
- ١٦٣ ٢٦٠ - السلطان عثمان خان . ت: ١١٧١ هـ.
- ٢٦١ - مصطفى اسعد اللقيمي الدمياطي (شاعر) . ت: ١١٧٣ - ١٧٥٩ م.
- المدامه الأرجوانية في المقامة الرضوانية، في مدح الامير رضوان.
- ٢٠٢ رسالة ادبية من عصر الجبرتي.
- ٢١٣ ٢٦٢ - محمد سعيد بن محمد (حنفي) شاعر . ت: ١١٧٣ = ١٧٥٩ م.

- ٢٦٣ - عامر الانبوطى (من الشعراء الظرفاء. له ألفية الطعام على وزن ألفية ابن مالك). ٢٢٧
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٧١ = ١٧٥٧ م. (إضافة). ٢٢٨
- ٢٦٤ - عمر بن رضوان. ت: ١١٧١ هـ. ٢٣١
- ٢٦٥ - ابراهيم السكاكيني (صانع السيوف). ت: ١١٧١ = ١٧٥٧ م. ٢٣٢
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٧٢ = ١٧٥٨ م. -

ملاحق: (إضافة).

- سياسة السلطنة العثمانية تجاه المصريين من أهل الدمة. ٢٣٣
- فتوى شرعية لصالح المصريين الاقباط. ٢٥٠
- الأواصر الصادرة من الختسب العثماني، بفرض قيود على الاقباط واليهود والمسلمين. ٢٥١
- مشاكل تجاور المساجد والكنائس. ٢٥٢
- وصل [لما سبق من احداث]. ٢٥٣
- طاعون قارب شيعه في ١١٧١ = ١٧٥٧ م. -
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٧٣ = ١٧٥٩ م (إضافة). ٢٥٤
- نيابة مصطفى باشا [رقم ١٠٧] سنة ١١٧١ هـ. -
- نيابة أحمد باشا كامل [١٠٨] سنة ١١٧٤ هـ. -
- نيابة باكير باشا [رقم ١٠٩] سنة ١١٧٥ هـ. ٢٥٥
- نيابة حسن باشا [رقم ١١٠] سنة ١١٧٦ هـ. ٢٥٦
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٧٤ = ١٧٦٠ م (إضافة). -
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٧٥ = ١٧٦١ م (إضافة). ٢٥٧
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٧٦ = ١٧٦٢ م (إضافة). -
- ظهور شأن على بك الكبير. ٢٥٨
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٧٧ = ١٧٦٣ م (إضافة). ٢٥٩
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٧٨ = ١٧٦٤ م (إضافة). -
- ظهور شأن محمد بك ابو الذهب. ٢٦٠
- عاصفة بحرية على الاسكندرية تغرق السفن. ٢٦١
- نفى عبد الرحمان كتخدا إلى الحجاز. -
- نيابة حمزه باشا [١١١] سنة ١١٧٩ = ١٧٦٥ م (إضافة). ٢٦٣

- هامش : موجز لاحداث سنة ١١٧٩ = ١٧٦٥ م (اضافة). ٢٦٤
- نفى على بك الكبير. ٢٦٦
- عودة على بك إلى القاهرة. ٢٦٨
- مظاهر الاحتفال بعيد الفطر. ٢٧٠
- هامش : موجز لاحداث سنة ١١٨٠ = ١٧٦٦ م (اضافة). ٢٧١
- ليابة محمد باشا راقم [١١٢] سنة ١١٨١ = ١٧٦٧ م. ٢٧٤
- هامش : موجز لاحداث عام ١١٨١ = ١٧٦٧ م (اضافة). -
- انضمام الامراء المماليك إلى على بك الكبير. ٢٧٦
- صعود على بك للديوان وتقلده مشيخة البلد. ٢٧٧
- نفى امراء بيت الفلاح بتدبير على بك. ٢٧٨
- معارك بين على بك وحسين بك كشكش. -

*** ذكر من مات في هذه الاعوام من اكابر العلماء واعاظم الامراء:**

- ٢٦٦ - محمد بن محمد البليدي (مالكي) ت: ١١٧٦ = ١٧٦٢ م. ٢٨٠
- ٢٦٧ - محمد ابو هادي بن وفا. (شيخ السجادة الوفاية) ت: ١١٧٦ هـ. ٢٨١
- ٢٦٨ - محمد باشا راغب (الصدر الأعظم) ت: ١١٧٦ هـ. -
- ٢٦٩ - على الهوارى (مروض خيول) مجذوب. قتل في ١١٧٦ هـ. ٢٨٣
- ٢٧٠ - عمر بن احمد بن عقيل السقاف (شافعي) ت: ١١٧٧ = ١٧٦٣ م. -
- ٢٧١ - محمد العدوى (حنفي) ت: ١١٧٥ = ١٧٦١ م. ٢٨٤
- ٢٧٢ - محمد بن عبد الوهاب الدلجي (حنفي) ت: ١١٧٧ = ١٧٦٣ م. -
- ٢٧٣ - حسن بن سلامة الطيبي (مالكي) ت: ١١٧٦ = ١٧٦٢ م. ٢٨٥
- ٢٧٤ - حسن بن على بن دياب (مفتي) ت: ١١٧٦ هـ. -
- ٢٧٥ - خليل بن محمد المغربي (مالكي) ت: ١١٧٧ = ١٧٦٣ م. ٢٨٦
- ٢٧٦ - عمر بن على الفتوشى (ابن الوكيل) ت: ١١٧٥ = ١٧٦١ م. ٢٨٧
- ٢٧٧ - محفوظ الفوى. ت: ١١٧٨ = ١٧٦٤ م. -
- ٢٧٨ - محمد بن يوسف الدنجيهي (شافعي) ت: ١١٧٨ = ١٧٦٤ م. -
- ٢٧٩ - عبد الرحمان أغا. ت: ١١٧٩ = ١٧٦٥ م. -
- ٢٨٠ - ابراهيم أوده باشه غانم. ت: ١١٧٧ = ١٧٦٣ م. ٢٨٨

- ٢٨٨ ٢٨١ - عبد الفتاح المرحومى . ت: ١١٧٨ = ١٧٦٤ م.
- ٢٨٢ - حسن النابلسى . ت: ١١٧٨ = ١٧٦٤ م.
- ٢٨٣ - علي بن عبد الله . (أغا دار السعادة) ت: ١١٧٦ = ١٧٦٢ م.
- ٢٩٠ ٢٨٤ - يوسف الحفنى . (شاعر) . ت: ١١٧٨ = ١٧٦٤ م.
- ٢٩١ ٢٨٥ - علي بن أبى الخير (شافعى) ت: ١١٧٨ هـ.
- ٢٩٢ ٢٨٦ - ابراهيم بن محمد الحسينى (حنفى) ت: ١١٧٩ = ١٧٦٥ م.
- ٢٨٧ - محمد بن عيسى الدمياطى (شافعى) ت: ١١٧٨ = ١٧٦٤ م.
- ٢٩٣ ٢٨٨ - أحمد بن محمد السحيمى (شافعى) ت: ١١٧٨ هـ.
- ٢٩٤ ٢٨٩ - محمد بن أحمد بن صالح ابن السعود الجارحى (شافعى) ت: ١١٧٩ = ١٧٦٥ م.
- ٢٩٠ - محمد بن حسين العادلى الدمرداشى . ت: ١١٧٨ = ١٧٦٤ م.
- ٢٩٥ ٢٩١ - سليمان بن عبد الله (خطاط) ت: ١١٧٩ = ١٧٦٥ م.
- ٢٩٢ - محمد بن رضوان السيوطى ابن الصلاح . ت: ١١٨٠ = ١٧٦٦ م.
- ٣٤٣ ٢٩٣ - محمد سعيد بن أبى بكر الحسينى . ت: ١١٨٠ هـ.
- ٣٤٤ ٢٩٤ - أحمد بن أحمد السنبلاوى (شافعى) ت: ١١٨٠ هـ.
- ٢٩٥ - حسن أفندى بن حسن الضيائى (خطاط) ت: ١١٨٠ هـ.
- ٣٤٦ ٢٩٦ - عبد الكريم بن على المسيرى (شافعى) ت: ١١٨١ هـ.
- ٣٤٧ ٢٩٧ - أحمد بن عبد الفتاح الملوى (شافعى) ت: ١١٨١ هـ.
- ٣٤٩ ٢٩٨ - عبد الحى بن الحسن البهنسى (مالكى) ت: ١١٨١ هـ.
- ٣٥٠ ٢٩٩ - عبد الخالق بن أبى بكر الزجاجى (حنفى) ت: ١١٨١ هـ.
- ٣٥٢ ٣٠٠ - عمر بن على بن يحيى الطحلاوى (مالكى) ت: ١١٨١ هـ.
- ٣٥٣ ٣٠١ - عبد الوهاب الشربينى (شافعى) ت: ١١٨١ هـ.
- ٣٥٤ ٣٠٢ - محمد بن سالم الحفناوى الخلوئى (شافعى).
- ٣٦٥ ● رسالة تربوية من عهد الجبرتى.
- ٣٧٠ ● ذكر أخذ العهد على الطريقة الخلوئية.
- ● سلسلة أخذ العهد كما رواها النبى محمد . (انظر فى الملاحق نبذة مطولة عن الطرق الصوفية فى مصر تحت الاحتلال العثمانى.
- ٣٧٣ ● ترجمة مكررة لعبد الوهاب الشربينى (انظر ترجمة رقم ٣٠١).
- ٣٩٠ ٣٠٣ - محمد العبيدى الفارسكورى (شافعى).
- ٣٠٤ - أحمد أبو عامر النفراوى (مالكى).
- ٣٩١

- ٣٩١ ٣٠٥ - حسن جوجوبك وجن على بك.
- ٣٠٦ - رضوان جرجي الرزاز.
- ٣٩٢ • هامش : موجز لاحداث عام ١١٨٢ = ١٧٦٨ (اضافة).
- ٣٩٤ ملاحق:
- ٣٩٥ • الحالة الاجتماعية في فترة الاحتلال العثماني.
- ٣٩٩ • الحالة الفكرية.
- ٤٠٩ • نبذة عن احوال الشعر ومذاهبه في فترة الاحتلال العثماني.
- ٤١٦ • ظهور فكرة السادة البكرية في مصر.
- ٤٤٧ • نبذة عن شعر آل البيت في مصر.
- ٤٦٤ • نبذة عن شعر المدرسة الشعبية المصرية في فترة الاحتلال العثماني.
- ٤٧٣ • الطرق الصوفية في مصر في ظل الاحتلال العثماني.
- ٥١٠ • المخطوطات مصورة من فترة الاحتلال العثماني.
- ٥٢٣ * احداث سنة اثنتين وثمانين ومائة والف = ١٧٦٨ م.
- • هامش: موجز لاحداث عام ١١٨٢ = ١٧٦٨ م (إضافة)
- ٥٢٤ • عودة محمد بك ابو الذهب برؤس ستة من الامراء المنافسين لسيدته علي بك الكبير.
- ٥٢٥ • علي بك يصادر اموال خدم ضريح السيد البدوي.
- ■ باشا مصر في هذه الفترة هو محمد باشا الاورفلي.
- • اغتيال صالح بك منافس علي بك علي يد ابو الذهب ورفض احمد الجزار الاشتراك في اغتياله...
- ٥٢٦ • قصة احمد الجزار حتى هروبه من مصر سنة ١١٨٢ هـ للشام.
- • هامش: حول العوامل التي ساعدت علي ظهور الجزار وغيره من الزعامات.
- ٥٣٠ • علي بك يبدأ في كسر شوكة الشيخ همام، شيخ عرب الهوارة.
- ٥٣١ (انظر في الملاحق التالية) نبذة مطولة عن علاقة الهوارة بالسلطنة العثمانية.
- ٥٣٢ • علي بك يعزل الباشا بسبب اكتشافه مؤامرة يدبرها ضده.
- • علي بك يصادر اموال المعلم اسعاف اليهودي ويقتله.
- • علي بك يرسل الهدايا إلى السلطان وحاشيته لاستمالتهم إلى صفه.
- ٥٣٣ • علي بك ينفي الامراء المنافسين له ويصادر اموالهم.

* ذكر من مات في هذه السنة [١١٨٢ = ١٧٦٨م] من المشايخ والاعيان.

- ٣٠٧ - احمد بن الحسن الجوهري (شافعي) وتفاصيل منحه الاجازة. ٥٣٣
- ٣٠٨ - عيسى بن احمد البراوي (شافعي). ٥٣٩
- ٣٠٩ - حسن بن نور الدين المقدسي (حنفي). -
- ٣١٠ - محمد بدر الدين الشرنبالي (شافعي). ٥٤١
- نص رسالة «تحرير المباحث في تعليق القدرة بالحوادث» للمترجم. ٥٤٣
- تعليق الاستاذ الحنفي على هذه الرسالة. ٥٤٥
- حاشية السكتاني. ٥٤٦
- ٣١١ - احمد ابن اسماعيل بن محمد الوفائي (لقب الاشراف الوفائية). ٥٤٧
- ٣١٢ - عبد الرؤف بن محمد السجيني، شيخ الازهر (شافعي). ٥٥٠
- ٣١٣ - أحد بن صلاح الدين الدنجي (شيخ المتبولية). ٢٥٢
- ٣١٤ - أحمد بن أحمد العطشي (شافعي). -
- ٣١٥ - خليل بك القازدغلي. -
- ٣١٦ - حسين بك كشكش القازدغلي. ٥٥٤
- ٣١٧ - صالح بك القاسمي. ٥٥٥
- ٣١٨ - جعفر بن محمد البيتي السقاف. ٥٥٧
- شعر في ذم العرب. ٥٦٧
- رسالة أدبية من عهد الجبرتي. ٥٦٩
- رسالة أدبية أخرى. ٥٧٧

● ملاحق (إضافة) ٥٩٣

* علاقة الهوارة بالعثمانيين. -

* حجة اسقاط شيخ العرب همام. ٦١٩

* وثيقة عن لسب الهوارة إلى أسرة الرسول. ٦٢٣

* وثيقة عن وقف الهمامية. ٦٢٤

● هامش: موجز لاحداث سنة ١١٨٣ = ١٧٦٩م (إضافة). ٦٢٥

● احداث سنة ثلاثة وثمانين ومائة والف. -

● وفاة محمد باشا ووصول باشا جديد. -

● عودة احمد بوشناق الجزار إلى مصر بخارية على بك بأمل أن يحكم مصر. ٦٢٦

- ٦٢٦ ● قتل سويلم بن حبيب.
- ٦٢٧ ● الشيخ همام ينسق جهوده ضد علي بك مع منافسيه من الامراء المماليك.
- ● تجريدة علي بك الكبير علي الصعيد بقيادة أبو الذهب.
- ● أبو الذهب ينتصر علي الهوارة ويستولي علي اسيوط.
- ٦٢٩ ● موت همام قهراً بعد هزيمته واستيلاء ابو الذهب علي فرشوط.
- ٦٣٠ ● استسلام درويش ابن الشيخ همام لأبو الذهب.
- ٦٣١ * ذكر من مات في هذه السنة [١١٨٣ = ١٧٦٩م] من العلماء والامراء
- ٣١٩ - علي بن حجازي بن محمد اخلوتي
- ٦٣٣ ● رسالة اخلوتية للشيخ علي حجازي اخلوتي.
- ٦٣٥ ٣٢٠ - حسن البشيشي الفوي.
- ٦٣٦ ٣٢١ - محمد أفندي بن إسماعيل السكندري (الأديب).
- ٦٤٠ ● رسالة أدبية للشيخ الادكاوي إلى محمد أفندي السكندري.
- ٦٤٣ ٣٢٢ - علي بن العري بن علي السقاط. هو في الغالب من البربر.
- ٦٤٥ ٣٢٣ - همام بن يوسف الهواري (شيخ البدو الهوارة).
- ٦٥٠ ٣٢٤ - سويل بن حبيب (كبير نصف سعد).
- ٦٦١ ٣٢٥ - علي كتخدا مستحفظان اخلوطلي.
- ٦٦٢ ٣٢٦ - محمد بك أبو شنب.
- ٦٦٣ ● هامش: أحداث سنة أربع وثمانين واية والف.
- ● هامش: موجز لاحداث سنة ١١٨٤ = ١٧٧٠م. (اضافة).
- ● حملة علي بك الكبير علي الحجاز بقيادة ابو الذهب.
- ٦٦٤ ● ابو الذهب يقضي علي البدو الاشراف في البقيع.
- ٦٦٥ ● أول حملات علي بك علي الشام.

* ذكر من مات في هذه السنة ١١٨٤ = ١٧٧٠م:

- ٦٦٧ ٣٢٧ - عبد الله بن سلامة الادكاوي الشاعر (شافعي).
- ٦٩١ ● خرافة العنزة وموقف عبد الرحمن كتخدا منها.
- ٦٩٥ ٣٢٨ - جعفر بن حسن البرزنجي. (شافعي).

- ٣٢٩ - أحمد بن حسن النشوتى. ٦٩٦
- ٣٣٠ - على بن أحد البشبيشى. (شافعى). ٦٩٧
- ٣٣١ - أحمد المولوى. (شيخ المولوية بنكية المظفر). -
- ٣٣٢ - شمس الدين حمودة. -
- ٣٣٣ - أحمد الشعرانى (شيخ السجادة). ٦٩٨
- ٣٣٤ - محمد الشوبرى (حنفى). ٦٩٩
- أحداث سنة خمس وثمانين ومائة وألف [١٧٧١ م]. ٧٠٠
- هامش: موجز لاحداث سنة ١١٨٥. (اضافة). -
- حملة على بك على الشام بقيادة ابو الذهب. -
- كتاب على بك الكبير الى اهالى دمشق (هامش) ٧٠٢
- تأمر ابو الذهب ضد سيده على بك. -

* ذكر من مات فى هذه السنة [١١٨٥ = ١٧٧١ م].

- ٣٣٥ - على بن صالح الشاورى. [مالكى]. ٧٠٦
- ٣٣٦ - على بن عبد الرحمن العدوى. [مالكى]. ٧٠٧
- ٣٣٧ - محمد بن إسماعيل النفراوى. [مالكى]. ٧٠٨
- ٣٣٨ - إبراهيم عبد الله الشرقاوى. (شافعى). ٧١٢
- ٣٣٩ - على بن محمد الجزايرلى. صاحب عرضحال استغاثة ابو مدين الغوث فى صف الجهاد.
- مات مأسوزا فى الموسكو. -
- ٣٤٠ - على الفيومى. (مالكى). ٧١٣
- ٣٤١ - على الشيبينى. (شافعى). ٧١٤
- ٣٤٢ - عبد الله بن منصور التلبانى. -
- ٣٤٣ - ابراهيم أفندى الهياثم. ٧١٥
- هروب على بك الكبير الى الشام واستيلاء ابو الذهب على القاهرة. ٧١٦
- هامش: موجز لاحداث سنة ١١٨٦ = ١٧٧٢ م (اضافة). ٧١٧

* ذكر من مات فى هذه السنة من العظماء:

- ٣٤٤ - على بن موسى. (نقيب اشراف بيت المقدس). ٧١٨

- ٧٢٥ ٣٤٥ - علي بن شمس الدين الخضرى. (شافعى).
- ٧٢٧ ٣٤٦ - محمد بن عبد الواحد البنانى. (شافعى).
- ٧٢٨ ٣٤٧ - أحمد بن أحمد الحمامى. (شافعى).
- ٧٢٩ ٣٤٨ - علي بندق.
- ٧٣٠ ٣٤٩ - خليل بك ابن إبراهيم بك بلفيا. (شقيق عبد الرحمن أغا بلفيا).
- ٣٥٠ - محمد (زوج جدة الجبرتى، ام والده).
- ٧٣١ ٣٥١ - محمد بن عبد العزيز البندارى.

- ٧٣٣ ● احداث سنة سبع وثمانين ومائة و الف = ١٧٧٣ م.
- ● هامش: موجز لاحداث سنة ١١٨٧ = ١٧٧٣ م.
- ٧٣٤ ● هزيمة علي بك الكبير عن دعوته بجنده إلى مصر، ثم وفاته.
- ■ نيابة خليل باشا (رقم ١١٣) سنة ١١٨٧.

* ذكر من مات في هذه السنة.

- ٧٣٤ ٣٥٢ - أحمد الجوهري. (شافعى).
- ٧٣٥ ٣٥٣ - علي المرادى. (حنفى).
- ٣٥٤ - إبراهيم الإدريسى. (شافعى).
- ٧٣٧ ٣٥٥ - عبد القادر كدك زاده.
- ٧٤١ ٣٥٦ - محمد الجزايرلى. (حنفى).
- ٣٥٧ - علي بك الكبير القازدغلى (بلوط قبان).
- ٧٤٩ ● الجبرتى يوضح سبب تغير النيل لجراه عند القاهرة.
- ٧٥١ ٣٥٨ - السلطان مصطفى بن أحمد خان.
- ٧٥٢ ٣٥٩ - علي بك الطنطاوى.
- ٣٦٠ - إسماعيل أفندى الدولامجى.
- ٧٥٣ ٣٦١ - مراد أغا.
- ٣٦٢ - حسن كتخدا القازدغلى.
- ٣٦٣ - مصطفى أفندى الأشقر.
- ٧٥٤ ٣٦٤ - إسماعيل الوهبى الخطاط.

- احداث عام ١١٨٨ = ١٧٧٤م ٧٥٥
- هامش: موجز لاحداث سنة ١٧٨٨ = ١٧٧٤. ٧٥٦
- ٣٦٥ - حسن الجبرتي. (والد المؤلف). -
- هامش: حقائق عن عبد الرحمن الجبرتي مستمدة من وثائق المحكمة الشرعية. بقلم د. محمد انيس. -
- عودة والعطاف (حول ذكر الجبرتي لأنسابه). ٧٦٢
- ٣٦٦ - أحمد بن محمد الحمافي. (حنفي). ٨٠٩
- ٣٦٧ - أحمد شاهين الراشدي. (شافعي). ٨١٠
- ٣٦٨ - سعد بن محمد الشنواني. ٨١٢
- ٣٦٩ - علي بن حسن: (مالكي). -
- ٣٧٠ - محمد السفاريني النابلسي. (حنبلي). -
- ٣٧١ - أحمد بن محمد الشرفي. ٨١٨
- ٣٧٢ - قاسم العبادي. (حنفي). -
- ٣٧٣ - عبد الله الطويل. (مؤذن). -
- ٣٧٤ - علي بن عامر العطشي. (شافعي). -
- ٣٧٥ - محمد بن حسن الوفائي. (باش جاويش الساده الاشراف). ٨١٩
- ٣٧٦ - سليمان بن داود الخربتاوي. -
- ٣٧٧ - أحمد أغا البارودي (من ممالك إبراهيم كتنخدا القادغلي وزوج ابنته، ووالد إبراهيم حلي). -
- ٣٧٨ - خليل أغا. (مملوك عثمان بك الكبير واستاذ الأمير علي خليل). ٨٢٠
- ٣٧٩ - إسماعيل أفندي (كاتب البيورلدي). -
- ٣٨٠ - عبد اللطيف أفندي. (نقيب الاشراف بالقدس). -
- ٣٨١ - محمد أفندي جاوجان ميسو. -
- ٣٨٢ - مصطفى بك الصيداوي. (تابع علي بك القازدغلي). ٨٢١
- ٣٨٣ - علي أغا ابو قرره (من جماعة الوكيل). -
- ٣٨٤ - محمد أفندي الزاملي. (كاتب قلم العزية). -
- ٣٨٥ - محمد عرفات الغزاوي. (تاجر). -
- احداث سنة تسع وثمانين ومائة والف = ١٧٧٥م. ٨٢٣
- هامش: موجز لاحداث عام ١١٨٩ = ١٧٧٥م. -
- نيابة مصطفى باشا النابلسي [١١٤] سنة ١١٨٩. -

- ٨٢٣ ● حملة أبو الذهب على الشام.
- ٨٢٥ ● وفاة أبو الذهب في الوقت الذي وافقت فيه السلطنة على نيابته على مصر والشام.
- ٨٢٧ ● تولى إبراهيم بك ومراد بك أمور البلاد.

*** ذكر من مات في هذه السنة ١١٨٩ = ١٧٧٥ م.**

- ٨٢٨ ٣٨٦ - علي المنسفي. (مالكي). من المقرين لعلى بك الكبير.
- ٨٢٩ ● قصص رؤية النبي في المنام.
- ٨٣٠ ● كان المنسفي أول من وضع الحواشي على كتب فقه المالكية.
- ٨٣٢ ٣٨٧ - أحمد الزبيرى البراوى (شافعى).
- ٣٨٨ - أحمد بن رجب البقرى. (شافعى).
- ٨٣٣ ٣٨٩ - محمد بن عبد الكريم السمان.
- ٣٩٠ - أحمد الخليلى الشامى.
- ٣٩١ - محمد بك أبو الذهب.

- ٨٤٠ ● أحداث سنة تسعين ومائة والف = ١٧٧٦ م.
- ■ نيابة إبراهيم كبرى. [لم يذكره الجبرلى].
- ■ نيابة محمد باشا عزت. [١١٦] سنة ١١٩٠ = ١٧٧٦
- ● هامش: موجز لأحداث عام ١١٩٠ = ١٧٧٦ م.
- ٨٤١ ● حضور جماعة من الهنود معهم فيل صغير لاستعراضه.
- ● وقوع خلافات بين مراد بك والامراء.

*** ذكر من مات في هذه السنة ١١٩٠ = ١٧٧٦ م:**

- ٨٤٤ ٣٩٢ - أحمد بن محمد السجاعى. (شافعى).
- ٣٩٣ - عطية الأجهورى. (شافعى).
- ٨٤٥ ٣٩٤ - أحمد بن محمد العجمى. (شافعى).
- ٣٩٥ - أحمد بن نور الدين المقدسى. (حنفى) أخو مفتى الحنفية الشيخ حسن.
- ٨٤٦ ٣٩٦ - إبراهيم بن خليل الصبحانى. (حنفى).
- ٨٤٧ ٣٩٧ - على بن محمد بن هيكल الشويهى.

- ٣٩٨ - عثمان بك الفقارى. (مات بعد هروبه إلى اسلا مبول). ٨٤٧
- ٣٩٩ - عبد الرحمن كتخدا. (هو ابن حسن جاويز القازدغلى). ٨٤٨
- عمائر عبد الرحمن كتخدا فى القاهرة وخارجها. -
- احداث سنة احدى وتسعين ومائة والف = ١٧٧٧ م. ٨٥٩
- هامش موجز لاحداث عام ١١٩١. (اضافة). -
- خلافات ومعارك بين اسماعيل بك ومراد بك. ٨٦٤
- معارك بين العسكر والمغاربة. ٨٦٦
- هروب مراد بك وابراهيم بك إلى الصعيد. ٨٦٧
- انفراد اسماعيل بك بالسلطة. -
- اسماعيل بك يتولى مشيخة البلد. ٨٦٩
- اسماعيل بك يفشل فى مطاردة الأمراء القبالي بالصعيد. ٨٧٠
- معركة نيلية ينتصر فيها اسماعيل بك على الامراء القبالي. ٨٧٢
- قصة الطفل الفيل. ٨٧٣
- اسماعيل بك يفتال اسماعيل بك الصغير. ٨٧٤
- خروج الحمل واميره حسن بك رضوان. ٨٧٥

*** ذكر من مات في هذه السنة من الاعيان ١١٩١ = ١٧٧٧ م.**

- ٤٠٠ - محمد هاشم الاسيوطى. ٨٧٧
- ٤٠١ - محمد بن ابراهيم العوفى. (مالكى). ٨٧٨
- ٤٠٢ - رمضان بن محمد المنصورى الحمامى. ٨٧٩
- ٤٠٣ - يوسف بك الكبير. (من امراء ابو الذهب). ٨٨٢
- ٤٠٤ - على اغا المعمار. (من ممالك مصطفى بك القرد). ٨٨٦
- ٤٠٥ - اسماعيل بك الصغير. (أخو على بك الغزاوى). قتله اسماعيل بك. ٨٨٨
- هامش: عهد سيدنا عمر للمصريين. (إضافة). ٨٨٩
- ٤٠٦ - قاسم كتخدا عزبان. (من ممالك ابو الذهب). ٨٩٠
- ملحق من كتاب «ثلاثة اعوام فى مصر وبر الشام» بقلم: س. ف. . فولنى.
- نقله إلى العربية: إدوار البستاني. ٨٩١

● مصادر التحقيق:

١ - عبد الرحمن الجبرتي. دراسات وبحوث. اصدار المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. القاهرة. ١٩٧٦.

2- Stanford Shaw; The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt. 1517 - 1798. Princeton Oriental Studies. 1962

٣ - الادب المصرى فى ظل الحكم العثمانى
تأليف : محمد سيد كيلانى.
دار الفرجانى / ١٩٨٤ - القاهرة.

٤ - تاصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتي.
تأليف: د. أحمد السعيد سليمان. دار المعارف / ١٩٧٩ - القاهرة.



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

٨ ش أبو المعالي (المجوزة) الجزيرة - ت/ فاكس : ٣٤٧٣٦٩١

١ ش سوماح من ش الزنازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - جيزة
تليفون وفاكس ٥٦٣٤٦٩٩

هذه السلسلة تضم

- | | | |
|--|--|--|
| ١ - فتح العرب لمصر | ١٣ - تاريخ مصر من محمد علي إلى
العصر الحديث | ٢٧ - محمود فهمي النقراشي |
| ٢ - تاريخ مصر إلى الفتح العثماني | ١٤ - الحكم المصري في الشام | ٢٨ - دور القصر في الحياة السياسية |
| ٣ - الجيش المصري البري والبحري في
عهد محمد علي | ١٥ - تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق | ٢٩ - مذكرات اللورد كيللرن |
| ٤ - تاريخ مصر من أقدم العصور إلى
الفتح الفارسي | ١٦ - آثار الزعيم سعد زغلول | ٣٠ - عادات المصريين |
| ٥ - تاريخ مصر من عهد المماليك إلى
نهاية حكم إسماعيل | ١٧ - مذكراتي | ٣١ - خنقاوات الصوفية ج ١ |
| ٦ - تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى
قبيل الوقت الحاضر | ١٨ - الجيش المصري في الحرب الروسية
المعروفة بحرب القرم | ٣٢ - خنقاوات الصوفية ج ٢ |
| ٧ - ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا | ١٩ - وادي النطرون ورهبانه وأديرته
ومختصر البطارقة | ٣٣ - تحفة الناظرين فيمن ولي مصر
الملوك والسلاطين |
| ٨ - تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل
باشا (مجلد أول) | ٢٠ - الجمعية الأثرية المصرية في صحراء
العرب والأديرة الشرقية | ٣٤ - تاريخ عمرو بن العاص |
| ٩ - تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل
باشا (مجلد ثاني) | ٢١ - الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع
البحر الأبيض (النيل الأبيض) | ٣٥ - دور القبائل العربية في صعيد مصر |
| ١٠ - فتوح مصر وأخبارها | ٢٢ - السلطان قلاوون (تاريخه - أحوال
مصر في عهده - منشأته المعمارية) | ٣٦ - علاقات الفاطميين في مصر بدول
المغرب |
| ١١ - تاريخ مصر الحديث مع فزلركة في
تاريخ مصر القديم | ٢٣ - صفوة العصر | ٣٧ - عبد الرحمن الجبرتي ٥ أجزاء |
| ١٢ - قوانين الدواوين | ٢٤ - المماليك في مصر | ٣٨ - مصر في العصر العثماني في القرن
١٩ - خطط المقريري ٣ أجزاء
(محققة منقحة في ٢٧٥٠ صفحة) |
| | ٢٥ - تاريخ دولة المماليك في مصر | |
| | ٢٦ - سلاطين بني عثمان | |

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. Tel. : 5756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٥٧٥٦٤٢١